

فی

عین العلم و زین الحلم

تأليف العلامة الفاضلة الشيخ نور الدين
سيد علي بن سلطان محمد الهروي المدوني القاري
مطبعة المطبعات العثمانية سنة ١٢٠١ هـ

مكتبة الثقافة الدينية

شرح

عين العالم في شرح

للامام العلامة والمجرب النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
منازع علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة التوفي سنة ١٠١٤ هـ

الجزء الأول

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي، ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة

فرع ١٤ ميدان المتبة بالقاهرة

تليفون: ٩٢٦٢٧٧-٩٢٢٦٢٠

فهرست

صفحة	صفحة
والأحاديث النبوية والآثار	٣ خطبة مؤلف الكتاب
المروية	٦ كلام الإمام جعفر الصادق في
٢٦ بيان أن من حق علم المعاملة	تفسير قوله تعالى «في مقعد صدق»
العمل به	١٢ حصر الكتاب في عشرين باباً
٢٧ ذكر ما ورد في ذم ترك العمل	١٤ «المقدمة في العلم»
من الكتاب والسنة	١٥ تقسيم العلم إلى علم المكاشفة
٢٩ آداب المعلم والتعليم	وعلم المعاملة
٣٣ بيان ما هو علم التصوف وذكر	١٥ تفسير علم المكاشفة
أقوال علماء السلف في ذلك	١٦ تفسير علم المعاملة
٣٥ فرض العين مقدم على فرض	١٧ الدليل على أن علم المعاملة مقدم
الكفاية وبيان ما يسوغ له من	على علم المكاشفة
فروض الكفاية	١٨ الدليل على أن علم المعاملة لا
٣٧ آداب المناظرة وصفات المناظر	ينفك عن علم المكاشفة
المقبولة	١٩ ما ورد في فضل العلم والعاملين به
٣٩ التمسك بالأصول الثلاثة	٢١ بيان حقيقة المعاملة
الكتاب والسنة والاجماع	٢٣ بيان ما هو العلم المطلوب للشخص
٤١ سبب تزعزع عقيدة المتكلم	٢٤ بيان ما ورد في فضل التعلم
المشتغل بالظن دون العامى المتقن	والتعليم من الآيات القرآنية

محتويات الجزء الاول من كتاب عين العلم وزين الحلم ٥١٣

صفحة	صفحة
٤٢	بيان أن على الانسان أن يعد
عن ورود الشبهة والهدوى	
والوسوسة	
٤٣	كلام علماء السلف والخلف
في علم الكلام	
٤٧	على الشخص أن يتمسك في
الفروع بالمجمع عليه أو المتفق عليه	
بين الأئمة الأربعة المجتهدين ثم	
يأخذ بالاحوط ثم الاوثق دليلا	
ثم قول من ظن أنه أفضل	
٤٨	ما ورد في فضل أبي حنيفة
مؤسس المذهب وذكر بعض	
مناقبه وأحواله	
	(الباب الاول في الورد)
٥٥	تفسير الورد وبيان أنواع العبادة
المطلوبة من المكلف	
٥٦	ذكر أشياء من حق الصلاة
٥٧	تساهل الصحابة رضي الله عنهم
في الظاهر	
٦٠	مشروعية الوضوء بعد أشياء
ذكرها المصنف على مذهبه	
٦١	كيفية الطهارة
٦٣	مشروعية اعفاء اللحية وبيان حدها
وما كان عليه الصحابة رضي الله	
عنهم في ذلك	
٦٥	بيان ما يجتنبه الانسان عند
وضوئه	
٦٦	المواضع التي يشرع فيها السواك
٦٧	مشروعية المحافظة على الجماعة في
أقرب المساجد	
٦٨	بيان آداب الصلاة
٦٩	بيان أن الإمامة أفضل من الأذان
٧٠	ينبغي أن تراعى الأعمال الباطنة
في الصلاة وهي ستة	
٧٢	مشروعية الاجتهاد في قطع
العلائق التي تعوق المصلي في	
صلاته	
٧٦	أقوال العلماء فيمن يصلي وقلبه
غير حاضر	
٧٨	الأولياء يكشفون في الصلاة
على حسب الصفاء	
٧٩	من أنواع الورد قراءة القرآن
٨١	بيان الأحزاب المروية عن
الشارع	
٨٣	مشروعية قراءة الأوراد من
القرآن الحكيم	
٨٧	مشروعية تحسين الصوت
بالقراءة	
٨٩	مشروعية تدبر الآيات عند
تلاوتها والتأمل في معانيها	
٩٠	بيان أن للقرآن ظهرا وبطنا
٩٢	التشديد على من فسر القرآن برأيه
٩٤	آداب تلاوة القرآن
٩٦	مشروعية الصلاة على النبي ﷺ
والأكثر منها	

صفحة	صفحة
٩٧	من الاوراد المروية الاذكار
٩٨	اثباته عن الرسول ﷺ
٩٩	مشروعية الدعاء وبيان أنه
١٠١	مع العبادة
١٠٢	من حق الدعاء أن يترصد به
١٠٣	فضائل الأوقات وبيانها مفصلة
١٠٤	مشروعية استقبال القبلة ورفع
١٠٤	اليدين في الدعاء
١٠٥	مشروعية افتتاح الدعاء
١٠٥	بالتحميد والصلاة على النبي صلى
١٠٧	الله عليه وآله وسلم والختم بهما
١٠٨	اجتناب الجهر والخافتة في الدعاء
١١٠	النهي عن تكلف السجع في
١١١	الكلام وما ورد في ذلك
١١٣	مشروعية التضرع والخفية
١١٣	في الدعاء
١١٤	مشروعية رجاء الاجابة
١١٥	استحباب الالحاح في الدعاء
١١٦	حديث ثلاثة لا ترد دعوتهم
١١٧	مشروعية التفكير في الدعاء
١١٨	وما ينشأ عنها من الثمرات
١١٩	والفوائد
١٢٠	بيان أن مجرى التفكير شينان
١٢١	وتفصيل ذلك
١٢٢	مشروعية مداومة العبادة
١٢٣	ظاهرا وباطنا
١٢٤	الاوقات التي يطلب فيها
١٢٥	الذكر كثيرا
١٢٦	فضل قراءة القرآن في قيام
١٢٧	الصلاة متديرا
١٢٨	فضل الاشتغال بالعلم وأنه
١٢٩	أفضل من صلاة ألف ركعة
١٣٠	وبيان ما المراد به
١٣١	مشروعية المداومة على الاوراد
١٣٢	وان قلت
١٣٣	بيان أوراد الليل
١٣٤	مشروعية الاجتهاد في قيام الليل
١٣٥	وبيان حال السلف في ذلك
١٣٦	بيان أن المعين على القيام تسعة
١٣٧	اشياء وسردها مفصلة
١٣٨	يستحب مراعاة فواضل الليالي
١٣٩	والاياام وبيانها مفصلة
١٤٠	ما ينبغي فعله في يوم الجمعة
١٤١	ما ورد في فضل البكور
١٤٢	مشروعية المحافظة على الرواتب
١٤٣	وسائر السن وبيانها مفصلة
١٤٤	مشروعية اختيار الانفراد
١٤٥	بالعبادة ان خاف الرياء والجماعة
١٤٦	ان خاف الكسل ويخير ان أمنهما
١٤٧	استحباب مراعاة كل ما فيه
١٤٨	فضيلة وذكر أمثلة منها
١٤٩	مشروعية الاحتراز في الاوقات
١٥٠	المكروهة عن ايقاع العبادة فيها
١٥١	(الباب الثاني في)
١٥٢	(الانفاق والقناعة)

صفحة	صفحة
والاذى	١٤٠ ماورد في فضل الاتفاق ودم الامساك
١٥٧ بيان ان افضل الصدقة ما كانت	١٤٢ من جملة الحكمة في الاتفاق
عن طيب نفس وأجود مال	تنظيف القلب وتخليته عن البخل
١٥٨ من تصرف اليه الصدقات	١٤٢ بيان أسباب الحرص
ويان أوصافهم	١٤٤ ماورد في البخل والسخى من
١٦١ الاولى في صرف الصدقة الى	الذم والمدح
من هو جامع للاوصاف التي	١٤٧ بيان مايفضى الى المهلكات من
ذكرها المؤلف أو اكثرها	الصفات القيحة والأفعال
١٦١ مشروعية التصدق كل يوم	الفضيلة
وعدم رد السائل	١٤٨ بيان فوائد المال
١٦٢ آداب المتصدق عند دفع الصدقة	١٥٠ بيان حقيقة السخى
لمستحقها	١٥٠ بيان ان السخاوة تفارق الايثار
١٦٢ مشروعية تقديم نفقة النفس	والتبذير والتسخي والمروءة
والعيال ودليل ذلك	١٥٢ حق النفقة والعطاء أن يعجل
١٦٣ مشروعية المباكرة بصرف	قبل الوجوب ودليل ذلك
الصدقة	١٥٣ استحباب تعيين وقت النفقات
١٦٥ الاجتهاد في تحصيل أنواع	أفاضل الاوقات كشهر رمضان
الصدقة حقيقة وحكما وبيان	وذي الحجة
أنواعها مفصلة	١٥٣ استحباب الاسرار في الصدقات
١٦٦ عدم مشروعية النذر في الصدقات	ان خاف الرياء وذكر ماورد
ودليل ذلك	في ذلك من الآيات القرآنية
(الباب الثالث في)	والاحاديث النبوية
(الصوم وكسر الشهوة)	١٥٤ بيان حقيقة المن في الصدقات
١٦٨ ماورد في فضل الصوم	واقوال العلماء فيه
١٧٠ بيان أدنى رتب الصوم	١٥٥ تعريف المحسن حقيقة
١٧٠ ما يفطر الصائم من الأمور	١٥٦ تعريف الأذى
المعنوية	١٥٦ بيان السبب الباعث على المن

صفحة	صفحة
١٨٦	١٧٢ ما يقول الصائم اذا شاتم أحد أو قاتله
١٨٩	١٧٣ مشروعية تقليل الاكل في الصوم عند الافطار والسحور وتعليل ذلك
١٩٠	١٧٥ اجتناب أمور في الصوم هي عاتقة عن وصول الثواب وبيانها مفصلة
١٩١	١٧٦ بيان وقت الاكل وعادة السلف في ذلك
١٩٣	١٧٧ بيان الاقتصاد في الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد
١٩٨	١٧٨ بيان جنس المأكل و ذكر مراتبه وكذلك ذكر مراتب الادام
١٩٩	١٨٠ التحذير لمن جعل همه الدنيا وأنواع الطعام والشراب
٢٠١	١٨٢ مشروعية تعجيل الافطار وتأخير السحور وما ينبغى له أن يبدأ به في الفطور
٢٠٣	١٨٢ تخصيص رمضان بالصدقة والتلاوة والاعتكاف
٢٠٣	١٨٣ استحباب مراعاة سائر الاعمال في الايام الفاضلة كالاشهر الحرم والجمعة
٢٠٤	١٨٤ بيان أفضل أيام الصيام
٢٠٥	(الباب الرابع في)
٢٠٥	(السفر والحج والغزو)
١٨٦	تقسيم السفر الى ديني ودنيوي وتعريف كل منهما وذكر أمثلة منهما
١٨٩	عدم مشروعية شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وبيانها
١٩٠	تفسير قوله من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه
١٩١	بيان السفر الدنيوي وذكر أمثلة منه
١٩٣	آداب السفر
١٩٨	ذكر اشياء لا يجوز مصاحبها في السفر
١٩٩	ما يجوز أن يكون مع المسافر في سفره
٢٠١	مشروعية دخول المسافر المسجد عند دخوله البلد وصلاة ركعتين
٢٠١	مشروعية نحر جزور أو بقرة عند دخول المسافر البلد ودليل ذلك
٢٠٣	مشروعية المشي الى أداء فريضة الحج ان قدر على ذلك
٢٠٣	كيفية مشي الحاج وصفة هيئته
٢٠٤	لا ينبغي للحاج أن يمسأ كس في شراء الهدى والأضحية
٢٠٥	ما ينوي الحاج عند ذبح الفداء
٢٠٥	مشروعية الاكثار من الاتحاق

صفحة	صفحة
(الباب الخامس في التزوج والتخلي)	في طريق مكة ذهابا وإيابا ومن
٢١٧ ذكر فوائد النكاح	علامات قبول ذلك
٢١٨ مشروعية الجمع بين أربع نسوة	٢٠٦ آداب مناسك الحج
إن لم يعتصم بواحدة وأقوال	٢٠٦ مشروعية تلقي الحاج بالترحيب
العلماء في ذلك	عند وصوله إلى بلده
٢٢١ الأجر الكثير لمن احتمل جفاء	٢٠٧ مشروعية الذهاب إلى المدينة
النساء	وزيارة قبر الرسول ﷺ
٢٢٢ الفائدة العظمى والمقصود	وقبور الصحابة وأهل البيت
الأصلي من الزواج الولد	وسائر مشاهدتها رضي الله
٢٢٣ من فوائد النكاح الاستئذان	عنهم أجمعين
بسنته عليه الصلاة والسلام	٢٠٨ مشروعية الصلاة في مساجد
٢٢٤ بيان ثمرات الولد ومنافعه	المدينة والتبرك بآبارها
٢٢٥ متى يتعين النكاح	٢٠٨ بيان آبار المدينة وذكر أسمائها
٢٢٧ الأولى للجمع بين الزوج والعبادة	٢١٠ يستحب للحاج الإقامة بمكة
٢٢٨ كل عضو يصالح لنعمة أخروية	مع مراعاة حقوقها وكذلك
٢٢٩ ضرر النظر في الأمر أقوى	بالمدينة
من النظر إلى المرأة	٢١٢ حق الجهاد أن ينوي نصرته الدين
٢٢٩ ينبغي أن يراعى المتزوج	وبذل النفس في رضائه تعالى
الاعتدال في الوقاع لأن	٢١٣ ما للجهاد من الأجر والثواب
الافراط في الجماع يولد أشياء	في سبيله
كثيرة تضر	٢١٤ أرواح الشهداء في حواصل
٢٣٠ مقدمات النكاح كالخطبة	طير خضر الخ
ووقت العقد	٢١٥ لا يشرع الجهاد لمن كان مشغولا
٢٣١ اختيار المرأة الصالحة المتدينة	بتعهد الأهل وخدمة الأبوين
فهو خير له في دينه ودنياه	٢١٥ استحباب خدمة الغزاة
٢٣٢ من المشروع خفة مهر الزوجة	وتجهيزهم
وتقليله	٢١٦ مشروعية تعلم الفروسية
٢٣٣ يختار من النساء الولود البكر	والمسابقة والرمي

صفحة	صفحة
٢٤٥ استحباب تسمية اسماء المولود	٢٣٤ ما يكره من أوصاف النساء
٢٤٦ كراهة الجمع بين اسمه عليه السلام وبين كنيته	٢٣٥ يجب مراعاة أوصاف الزوجة لان الطلاق بيد من له الساق
٢٤٦ مشروعية تسمية السقط	٢٣٦ مشروعية المهادات قبل الزواج من الزوجين لانه يورث المحبة
٢٤٧ يستحب أن يعق عن الولد بشاتين وعن الانثى بشاة ودليل ذلك	٢٣٧ لا يجوز خطبة الرجل على خطبة أخيه وتعليل ذلك
٢٤٨ مشروعية تحنيك الولد	٢٣٧ مشروعية نشر السكر واللوز على رأس العروس
(الباب السادس في)	٢٣٨ مشروعية التسمية في ابتداء الوقاع وقراءة الفاتحة وسؤال الذرية الطيبة ومجانبة الشيطان
(الكسب والورع)	٢٣٩ الاوقات التي يستحب فيها الجماع
٢٤٨ الحديث على طالب الحلال والكسب منه والاعراض عن الحرام وترك مباشرته وماورد في ذلك من الادلة	٢٣٩ استحباب المباشرة كل اربع ليال
٢٥٠ يعطى القاضى والمفتى الكفاية من بيت المال	٢٤٠ مشروعية مضاجعة الحائض ومواكلتها مخالفة للجورس
٢٥١ مشروعية التبكير في الكسب والعمل	٢٤٠ من المنهى عنه اتيان المرأة جانب دبرها لانه اللواط الصغرى
٢٥٣ بيان الحرف المقبولة الشريفة وما ليس كذلك	٢٤١ عدم مشروعية العزل الا في أحوال مخصوصة
٢٥٤ بيان أن ما يحرم استعماله من الاواني وغيرها لا يجوز بيعه	٢٤٣ مشروعية الفرح بالمولود وعدم الاغتنام بالبنت
٢٥٤ استحباب معاملة الصالح المتدين المستتر حاله دون الفاسق	٢٤٤ استحباب التأذين في أذن المولود اليمنى والاقامة في اليسرى وقطع سرته واماطة الاذى عنه
٢٥٤ كراهة المبالغة في مدح المبيع وذم المشتري وان صدق	٢٤٥ مشروعية الاختتان في اليوم السابع من الولادة
٢٥٥ كراهة الخلف في البيع والشراء	
٢٥٥ يجب على المتبايعين أن يظهرا	

محتويات الجزء الأول من كتاب عين العلم وزين الحلم ٥١٩

صفحة	صفحة
ما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنه وأرضاه	عيوب السلعة والتمن ٢٥٧
(الباب السابع في الاتباع والمعيشة)	لا تشرع الزيادة في الثمن ترغيبا لغيره بدون ان يقصد الشراء
٢٧١ ماورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في اتباع النبي ﷺ في آدابه في الأكل والشرب واللبس والنام والسلام وما لا يستغنى عنه في أمور الدنيا	٢٥٩ مشروعية التساهل في البيع والشراء
٢٧١ بيان ان المسترسل في اتباع الهوى يشبه البهائم	٢٦٠ استحباب المبادرة في اعطاء الأجرة وقضاء الدين قبل الاجل وينوى القضاء ان عجز
٢٧٢ مشروعية غسل اليدين قبل الأكل وبعده ودليل ذلك	٢٦١ مشروعية الاستقراض في ضعف قوة بان يكون في حج أو غزو وكذلك في تكفين الميت وتزويج الفقير الذي يخاف على نفسه الزنا
٢٧٣ مشروعية افتتاح الأكل بالملح والاختتام به	٢٦١ مشروعية كيل الطعام أخذا واعطاء
٢٧٣ كراهية الأكل على خوان	٢٦٢ استحباب اختيار حرف السلف كالحرث والحمل والتجر والخياطة والرعي والكتابة وكل ما ينفع الأمة ويعزز مركزها
٢٧٣ بيان ان الاشنان والمنخل والخوان والشبيع من البدع	٢٦٣ مشروعية اتخاذ الغنم والدجاج وغيرها للدر والنسل
٢٧٤ كراهية الأكل متكأ إلا الفاكمة	٢٦٤ كراهية الحرص في البيع والشراء
٢٧٦ كيفية الجلوس على الطعام	٢٦٥ كراهية ركوب البحر الا للحج أو غزو
٢٥٧ تقديم الطعام على الصلاة ان أمن فواتها	٢٦٥ مشروعية الورع في البيع والشراء وبيان مراتبه
٢٧٦ استحباب اكثر الأيدي على الطعام	٢٦٧ كراهة الوسوسة في البيع والشراء ومثال ذلك
٢٧٧ ما يجتنب من الأواني في الطعام	٢٦٨ ينبغي التشدد في الاحتياط وبيان
٢٧٧ مشروعية التسمية في ابتداء الأكل	
٢٧٧ كراهة عيب المأكول وتجاوزه عما يليه	

صفحة	صفحة
٢٧٨	كراهية الأكل من أعلى القصعة وكذلك وسطها ولا بأصبعين ولا بأربع ولا بالشمال
٢٧٨	كراهية قطع الخبز واللحم بالسكين
٢٧٩	مشروعية تحضير البقل والخل في السفرة
٢٨٠	ذكر أشياء من آداب الأكل
٢٨١	مشروعية لعق الأصابع بعد الطعام وأكل السواقط
٢٨٢	استحباب الدعاء لمن أكل طعاما عنده
٢٨٣	آداب الطعام
٢٨٦	كراهية التكلف لتقديم الطعام
٢٨٧	تقديم الشيء الذي يحتاج إليه العيال أولا تسامح به النفس يورث الانقطاع
٢٨٧	استحباب تقديم ما تشتهي النفس وما ورد في ذلك من الآثار
٢٨٩	استحباب الضيافة ودليل ذلك
٢٩٠	كراهية إهمال ضيافة الأقرباء والأخوان وتخصيص بعضهم
٢٩٠	اجابة الدعوة
٢٩٠	استحباب الاعتذار لمن لم يجب الدعوة
٢٩٣	ضيافة من لم يقبل الطعام بالعطر وطيب الكلام
٢٩٣	وجوب انكار المنكر على من
٢٩٤	حضر الوليمة ووجد فيها منكرا
٢٩٤	آداب الضيافة زيادة على ما تقدم
٢٩٦	مدة الضيافة ثلاثة أيام
٢٩٦	استثنائات كل من الضيف والمضيف صاحبه في صوم النفل
٢٩٦	مشروعية ارسال الطعام الى أصحاب المصائب
٢٩٧	اجتناب طعام السلطان ويقبل لو أكره على ذلك
٢٩٧	كراهية أكل الثوم والبصل والكرات لا سيما يوم الجمعة
٢٩٨	آداب الطعام زيادة على ما تقدم
٢٩٩	كراهية مؤاكلة الاشرار ومشاريتهم
٢٩٩	ما يأكله الشخص من أنواع الدقيق والتمر
٣٠٠	مشروعية تجويع النفس
٣٠١	اجتناب الشرب أثناء الأكل
٣٠١	آداب الشرب
٣٠٣	استحباب اختيار الثوب الأبيض وينوي ستر العورة
٣٠٣	آداب اللبس
٣٠٥	مشروعية لبس العمامة مع ارخاء الذيل لها بين الكتفين الى قدر الشبر أو نصف الظهر
٣٠٦	آداب لبس الخف والنعل
٣٠٦	استحباب الطيب وعدم رده
٣٠٦	تعريف طيب الرجل وطيب المرأة

صفحة		صفحة
٣١٧	آداب المشي	٣٠٧ مشروعية اجتناب الجناء والنمص والاتصاص
٣١٨	مشروعية الابعاد عند قضاء الحاجة وستر العورة	٣٠٧ اجتناب رفع البناء أكثر من سبعة أذرع، ويبدأ يوم الأحد
٣١٨	كراهية استقبال النيرين والقبلة والبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة الخ	٣٠٨ مشروعية اتخاذ وضع للوضوء والغسل والبول والغائط والضياقة
٣١٩	آداب البول	٣٠٨ كراهية التوطن في دار الحرب ودليل ذلك
٣٢٠	مشروعية الدعاء قبل دخول الخلاء ويعنه	٣٠٩ آداب دخول البيت
٣٢٠	آداب تطيق البدن والاعضاء الظاهرة	٣١٠ مشروعية الوضوء للنوم والاستياك واعداد الطهور والسواك
٣٢١	إباحة دخول الحمام سائر العورة عن النظر	٣١٠ مشروعية وضع وضية الرجل تحت رأسه خوفاً من هجوم الموت
٣٢٢	آداب دخول الحمام	٣١١ بيان ما يتلوه من الآيات القرآنية عند النوم
٣٢٣	كراهية دخول المرأة الحمام	٣١٣ كراهية النوم مفترداً وعلى سطح وبعد العصر
٣٢٤	مشروعية قص الشوارب	٣١٤ مشروعية القيلولة
٣٢٥	مشروعية حلق العانة وتنفذ الايط وكراهية تأخيرهما أكثر من أربعين يوماً	٣١٥ استحباب قص الرؤيا على عالم ناصح
٣٢٦	استحباب الاكتحال بالأمم	٣١٥ استحباب البزق عن اليسار والتعوذ إذا رأى مكروها
٣٢٦	مقدار طول الاحية	٣١٦ كراهية اقتناء الكلاب الا لصيد أو ماشية أو زرع
٣٢٧	خضاب الرأس واللحية بالسواد مكروه ويجوز بالحناء والكم	٣١٦ كراهية استقبال الشمس واستدبارها
٣٢٨	استحباب الوضوء للجنب قبل النوم	
٣٢٩	كراهية ازالة الشعر والظفر حال الجنابة	
٣٢٩	استحباب كنس المساجد	

صفحة	صفحة
٣٤٢ استحباب قبول الهدية والمكافأة	وتنويرها وفرشها
عليها	٣٢٩ كراهية زخرفة المساجد ونقشها
٣٤٢ مشروعية التزام المرأة قعر	ووضع الصور فيها
البيت وعدم النظر خارجه	٣٢٩ آداب دخول المسجد والجلوس
٣٤٣ استحباب الصبر ولزوم السكنة	فيه
إذا أصيب المرء بمكروه ويحترز	٣٣٣ كراهية الجلوس في الاسواق
من شق ثوب أو ضرب خد	الا إذا أدى حقها
أو حلق شعر	٣٣٣ استحباب افتتاح الكلام
٣٤٤ آداب المريض وما ينبغي له	بالتسمية والتحميد والاستعاذة
٣٤٥ مشروعية التداوى ولو	والصلاة على النبي ﷺ
بإستقراض دراهم من أهله	٣٣٤ آداب التلاوة
وزوجته	٣٣٥ مشروعية البكاء من خشية
٣٤٦ مشروعية الاحتجام وبيان	الله وكراهية الضحك
أوقاته	٣٣٦ آداب العطاس والتأوب والبراق
٣٤٧ النهي عن الكى والرقية	٣٣٧ مشروعية افتتاح الكتاب
٣٤٨ مشروعية الإيضاء بثلث المال	بالتحميد والصلاة
وارضاء الخصوم وقضاء الديون	٣٣٨ آداب السؤال لقضاء الحاجة
وفدية الصلاة والصوم	٣٤٠ مشاوراة المرأة ومخالفتها
٣٤٩ مشروعية قراءة يس على المحتضر	٣٤٠ الاقتصاد في المال والكسب
والموتى	بحيث لا يترك دينه لديناه
٣٥٠ مشروعية تلقين الميت كلمة	٣٤١ مشروعية ارتداف الخادم
التوحيد	خلف سيده
(الباب الثامن في الصعبة)	٣٤١ استحباب الصدق بفاضل
٣٥١ فوائد الصعبة وثمراتها	النفقة والسعى في حاجات الناس
٣٥٢ بيان ان المتحايين في الله على	قبل أن يدخل بيته
منابر من نور حول العرش	٣٤١ استحباب قيامه بمصالح البيت
٣٥٣ بيان من يحب ويتخذ صاحبا	من خصف نعل وتخييط ثوب
٣٥٥ شرح معنى الأخوة والمحبة والخلة	وقطع لحم

صفحة	صفحة
المظلوم واعانة الضعيف	٢٥٧
٣٨٢ بيان حقوق المؤمن على المؤمن	ماورد في صحة الفساق والاشرار من الآثار
٣٨٥ استحباب مجالسة الفقير دون الغني	٣٦٠ يسأل الانسان يوم القيامة عن حقوق الصحبة
٣٨٥ ما على العاقل اذا ابتلى بمجالسة العامي الجاهل وذى السلطان	٣٦١ حال السلف في الأخوة والصحبة
٣٨٨ كراهية الهجر فرق ثلاثة	٣٦٣ مشروعية سؤال من أحب عن اسمه واسم أبيه ومنزله
٣٨٨ مشروعية الاستئذان للدخول ثلاثا	٣٦٤ آداب الصحبة والمحبة
٣٨٩ استحباب عيادة المريض وبيان آدابها	٣٦٩ استحباب زيارة الاحباب والاصحاب غبا
٣٩٢ ما يفعل باليت عند موته	٣٧٠ مشروعية السلام على المسلم وان لقيه مرارا
٣٩٢ مشروعية التعزية وتشيع الجنازة	٣٧٢ كراهية السلام على النسوة وعند تلاوة القرآن والأذان وقضاء الحاجة
٣٩٤ الاجتهاد في أن يكون عدد من يصلى على الميت أربعين	٣٧٣ آداب السلام
٣٩٤ بيان ما يصنع في الميت بعد دفنه	٣٧٤ مشروعية المصافحة وكيفيةها
٣٩٥ مشروعية زيارة القبور وآدابها وأوقاتها	٣٧٤ استحباب معاينة القادم واخذ ركاب العلماء للتوقير
٣٩٧ ماورد في بر الوالدين وبيان الآداب معهما وصلتهما بعد موتهما	٣٧٦ كراهية القيام
٣٩٨ مشروعية صلة الرحم وزيارته	٣٧٧ استحباب توقير العلماء والصلحاء والشيوخ
٤٠٠ بيان حقوق الجار واسترضاء خاطره	٣٧٨ استحباب مراعاة الصف - ار وتكفل اليتيم
٤٠١ ماورد في حد الجار	٣٧٩ مشروعية تسميت العاطس
٤٠٣ مشروعية حسن المعاشرة مع المرأة وما ورد في ذلك	٣٨٠ مشروعية اصلاح ذات البين وستر العورة وارشاد الضال وتفريج المكروب ونصر
٤٠٥ مشروعية الغيرة وكيفيةها	
٤٠٦ استحباب منع المرأة من حضور المساجد	

صفحة	صفحة
والنهي عن المنكر وهو من	٤٠٧ مشروعية الاعتدال في النفقة
فروض الكفاية	٤٠٨ مشروعية العدل بين النساء
٤٣٥ شروط الأمر بالمعروف والنهي	في البيوت والاعطاء
عن المنكر	٤٠٩ مشروعية ارسال حكمين ليصلحا
٤٤١ مراتب الحسبة	بين الزوجين اذا وقع بينهما
٤٤٦ أقوال العلماء في كون المنكر	خصومة
يلزم أن يكون متفقا عليه أم لا	٤١٠ مشروعية نصيحة الزوج لزوجته
٤٤٧ كراهية المصر على الذنب وإن	اذا خالفت وعصت عليه
كان صغيرة وترك اعاقته	٤١١ بيان حقوق الزوجين وتفصيل
٤٤٨ ماورد في ذم المبتدع وانتهازه	ذلك
٤٤٨ مشروعية اضطرار الذمي الى	٤١٦ قيام الزوجة بامور البيت وما
أضيق الطرق وعدم بدئه بالسلام	ورد في ذلك من الآثار
٤٤٩ تسميت الكافر بالهداية لا بالرحمة	٤١٨ المحافظة على حال الولد في التعليم
﴿ الباب التاسع ﴾	الديني والدنيوي
﴿ في الصمت وآفات اللسان ﴾	٤٢٢ كراهية الضرب للغضب والعفو
٤٤٩ ماورد في فضل السكوت	خير
٤٤٩ بيان أن أكثر خطايا ابن آدم	٤٢٤ مشروعية تهذيب أهل البيت
في لسانه	بالرياضة لاسيما الولد المراهق
٤٥٠ فوائد الصمت	٤٢٥ كراهية الضرب على الوجه
٤٥٢ بيان حديث من حسن اسلام	والتعذيب بالثار
المرء تركه مالا يعنيه	٤٢٥ مشروعية الرفق بالحيوان
٤٥٣ من المذموم الخوض في الباطل	٤٢٦ كراهية اكرام الفساق والدعاء
كمحاسن النساء ومقامات الفساق	لهم وبرهان ذلك
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك	٤٢٩ مشروعية دفع الظلم عن نفسه
وحروب الصحابة والمذاهب	وغیره
الباطلة وما ورد في ذلك من	٤٣٠ مجانبة الحكم والظلمة وأبواب
الآثار	الامراء وما ورد في ذلك
٤٥٤ بيان علاج ذلك ودوائه	٤٣٣ مشروعية الأمر بالمعروف

صفحة	صفحة
٤٥٤	الزجر عن المراء وتعريفه
٤٥٥	النهي عن الجدال الا في حق
٤٥٦	بيان ان أول ما عهد الاله الى
٤٥٧	الرسول ﷺ بعد عبادة
٤٥٨	الاوثان وشرب الخمر
٤٥٩	النهي عن الخصومة وتعريفها
٤٦٠	وما ورد فيها
٤٦١	النهي عن التشديق بتسكف
٤٦٢	التسجع والتصنع فيه
٤٦٣	ذم الفحش في الكلام وما
٤٦٤	ورد فيه
٤٦٥	النهي عن السب
٤٦٦	النهي عن اللعن وتفسيره وبيان
٤٦٧	ما يرخص فيه وبسط الكلام
٤٦٨	في ذلك
٤٦٩	النهي عن نسبة الذنب الى المسلم
٤٧٠	وهو برىء منه
٤٧١	عدم مشروعية الدعاء على أحد
٤٧٢	وتعليل ذلك
٤٧٣	النهي عن المازح وتعريفه
٤٧٤	ومضاره وما ورد في ذلك من
٤٧٥	الآثار (١)
٤٧٦	كراهية الاستهزاء وتعريفه وما
٤٧٧	ورد في ذمه
٤٧٨	النهي عن إظهار السر وتعريفه
٤٧٩	(١) ملزمة ٥٩ تكررت في صحائفها من
٤٨٠	الأعلى سهوا ولذلك أبقينا رقم الصحائف في
٤٨١	الفهرست على أصلها مكررة كما ترى فليحذره
٤٨٢	وما ورد في ذلك
٤٨٣	النهي عن الخلف
٤٨٤	تحریم الكذب وما ورد فيه من
٤٨٥	الذم واستثناء أشياء يجوز
٤٨٦	الكذب فيها
٤٨٧	الكلام على المعارض وأقوال
٤٨٨	العلماء في ذلك
٤٨٩	التصريح بالكذب عند عدم
٤٩٠	امكان التلويح مع اعتبار النية
٤٩١	والاستفتاء من القلب
٤٩٢	الكلام على المبالغة في القول
٤٩٣	كقولهم جئتك ألف مرة
٤٩٤	من أعظم الكذب الكذب
٤٩٥	في الاخبار والرؤيا
٤٩٦	النهي عن الغيبة وذكر مضارها
٤٩٧	وما ورد في ذمها
٤٩٨	ذكر أنواع الغيبة وبيان أنها ستة
٤٩٩	من أنواع الغيبة التصريح
٥٠٠	والتعريض والاشارة والغمز
٥٠١	والمحاكاة
٥٠٢	ما ورد في ذم الغيبة من الكتاب
٥٠٣	والآثار
٥٠٤	بيان الباعث والسبب في الغيبة
٥٠٥	وأنها سبعة مشهورة

صفحة	صفحة
٤٧٢	المرخص في ذكر مساوى الغير سبعة أشياء وبيانها مفصلة
٤٧٣	ذكر الفاجر بما فيه ليحذر الناس منه جائز
٤٧٤	والأصل في الغرض الصحيح عند ذكرك أخاك بما يكره الاستفتاء من القاب حال التصريح والتلويح
٤٧٤	ماذا على المقتاب من العمل وأقوال السلف في ذلك وما ورد في ذلك من الآثار
٤٧٦	بيان أن النيمة حرام وذكر مضارها وما ينشأ عن ذلك من المفاسد
٤٧٧	ما على ذي الوجهين من الاثم في الدينا والآخرة
٤٧٨	النهى عن مدح ما لا يستحق المدح وبيان خطره وأنه يضر المادح والممدوح
٤٧٩	النهى عن التكلم بما لا يباح شرعا ومثاله
٤٨١	النهى عن سؤال العامة عما يتعذر ادراكه ومثاله ذلك
٤٨٢	النهى عن القول بالظن والتجسس ومفاسد ذلك
٤٨٣	النهى عن استماع القول بالظن وبيان أن المستمع شريك القائل
٤٨٣	لاقصاص في نحو الغيبة والسب والتجسس لا تحصره على مورد الشرع
٤٨٣	بيان عدم حرمة استماع الاشعار للالتذاذ ودليل ذلك
٤٨٤	ذكر ما ورد في انشاد الشعر بين يدي الرسول ﷺ وكذلك زمن الخلفاء الراشدين من بعده
٤٨٦	بيان أن ما ورد من النهى عن الشعر بحمول على التجرد له أو إذا تضمن فحشا وهجاء واقتراء
٤٨٦	جواز المدح في الشعر إذا وجد الوصف المذكور في الممدوح وذكر الآثار في ذلك
٤٨٨	حكم الغناء وذكر أنواعه
٤٩٠	ذكر مراتب الاستماع وأقوال علماء السلف في ذلك
٤٩٠	كلام الشيخ أحمد الغزالي اخي حجة الاسلام في استماع الغناء
٤٩٢	يشترط في السماع رعاية السنة بالحمل على ما يليق به تعالى
٤٩٣	بيان أن التواجد مذموم وذكر علة ذلك
٤٩٤	بيان حق السماع وواجبه
٤٩٥	لا يجوز التغنى بالقرآن وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في ذلك ومن جاء بعدهم من التابعين فمن بعدهم
٤٩٨	كراهية ضرب اليد والدف عند قراءة القرآن
٤٩٨	من حق السماع أن ينتفى شاغل

فهرست

(الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم لمنلا على القارى)

صفحة		صفحة
٤٣	بيان أن السبب لحب المدح ثلاثة أمور	٢ (الباب العاشر في الاناة والحكم والعفو والنصيحة والحق)
٤٤	بيان أن علاج حب المدح شيان	٢ تفسير الاناة والحق
٤٦	(الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة)	٣ آفات العجلة
٤٦	بيان ماورد في التواضع	٤ الغضب وتعريفه ومفاسده
٤٧	علامات الكبر ثلاثة عشر وبيانها	٧ بيان أن باعث الغضب ستة أشياء وذكرها مفصلة
٤٩	عمل السائق وتواضعهم	٨ بيان مراتب الغضب في الاشخاص
٥٢	آيات الكبر ستة	١٠ علاج الغضب
٥٥	علاج الكبر خمسة أشياء	١٢ ذم الحق وعلاجه
٥٦	آفات العجب	١٥ ذم الحسد وبيان آفاته
٦٥	(الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق)	١٨ بيان أسباب الحسد
٦٥	تعريف الاخلاص وبيان أغلى مراتبه	٢٠ (الباب الحادى عشر في العزلة والخنول وحب الذم وبغض المدح)
٦٧	تعريف النية	٢٠ بيان أقوال العلماء في تفضيل العزلة على الخلطة
٧١	بيان أن النية الأصل وما عداها الفسر	٢٠ ذكر فوائد العزلة
٧٥	بيان أدنى رتب الصدق	٢٧ بيان آفات العزلة
٨٠	بيان أن الرياء يختص بعمل الظاهر ٨٢ آفات الرياء	٣٥ التفصيل في حب الجاه
٩٩	بيان علاج داء الرياء	٣٧ آفات حب الجاه
١٠٢	الأنبياء أمروا باظهار العمل للاقتداء	٣٨ بيان سبب حب الجاه
١٠٤	بيان أن كتمان المعاصى ماورد به	٣٩ علاج رفع حب الجاه خمسة أشياء

﴿ محتويات الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم ﴾

صفحة		صفحة
	القلب وتقسيمها	١٠٦
١٤٧	بيان وسوسة النفس وتسويل الشيطان	
١٥١	بيان اختلاف العلماء في الخواطر هل يؤخذ عليها الانسان أم لا وتحقيق ذلك الواجب الاحتراز عن الشيطان	١٠٩
١٥٤	وبيان طرق الاحتراز منه	
١٥٩	اختلاف العلماء في أمن الأقوياء	١٠٩
١٦٠	الواجب الاحتراز عن النفس	١١٣
	وبيان طرقه	١١٤
١٦٥	بيان طريق تهذيب الاخلاق	السلف
١٦٧	بيان أن الطريق الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه إنما يحصل بخمسة أمور وإيرادها	١١٦
١٦٩	بيان أن حب الدنيا رأس كل خطيئة	بيان أن آفات الامل وضرراته ستة وذكرها مفصلة
١٧٢	﴿ الباب السادس عشر في التوبة والمراعاة والتقوى ﴾	سبب الامل شينان
١٧٢	تعريف التوبة وبيان أهمها واجبة	١١٧
١٨٠	اختلاف العلماء في حصر الكبائر	١١٩
٢١٢	الباب السابع عشر في الصبر والرضا والشكر	حق ذكر الموت أن يذكر رغبة لقاءه تعالى ونعشا للخوف الموجب سرعة التدارك دون التأسف على فوات الدنيا
٢٤٧	الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء	بيان المراد بالمحب لقاء الله
٢٧٤	الباب التاسع عشر في الفقر والزهد	الأصل في ذكر الموت الانتباه
٣١٣	الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين	بيان أنواع الضرر وعلاجها
٣٥٤	الخاتمة في المحبة والسلوك	﴿ الباب الخامس عشر في تقوى الخواطر والرياضة ﴾
		١٢٨
		١٢٨
		١٢٢
		١٢٢
		١٢٣
		١٣٦
		وإمارة
		١٣٧
		١٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي العظيم العليم • على ما هدانا الى الطريق القويم • والصلاة والتسليم
على نبيه الكريم • وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه المقيمين المديمين على
الصراط المستقيم •

(أما بعد) فيقول خادم كلام ربه القديم • وحديث رسوله الفخيم • على بن سلطان
محمد القارى • عاملهما الله البارى • بلطفه الخفى • وكرمه الوفى : إن هذا فتح شرح
بجمل بجمل غير مختل. ومطول غير عمل (١) لكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية
الابحاز ونهاية الالغاز • كاد أن يكون من أنواع الالعجاز • وهو فى الحقيقة مختصر أحياء
علوم الدين (٢) لحجة الاسلام. وبرهان الآنام • رجاء أن أستفيض من بركات كلمات العلماء
الأصفياء • وأستفيد من تفحات صفحات (٣) المشايخ الأولياء • وأن أذكرك فى جملتهم •
وأحشر فى زمريتهم • وإن قصرت فى متابعتهم وخدمتهم • اغترارا بمحبتهم •
واكتفاء بمودتهم • وأقول كما قال القائل من ذوى الفضائل :

لى سادة من عزم • أقدامهم فوق الجباه
انلم أكن منهم قلى • فى حبهم عز وجاه

(١) فى النسخ جميعها بجمل بجمل غير مطلق ولا مختل بل وهو تركيب يفيد المعنى ولعله حصل من التماسخ العوام
سأحهم الله (٢) فى النسخ المطبوعة أحياء العلوم وما هنا موافق لتسمية مؤلف الأصل (٣) لى بعض النسخ صفائح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ ثَقَّتِي يَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ بِاسْمِكَ أَبْتَدَى. وَبِكَ أَقْتَدَى. وَبُنُورِ قُدْسِكَ أَهْتَدَى.

قال المصنف رحمه الله وتفعنا بركات علومه وتقواه - وهو من فضلاء الهند وصلاحاتهم - على ما صرح به الشيخ ابن حجر في شرح مقدمته ، وقيل : انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله أعلم بتصحيح نيته في تخفية ترجمته : ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها ((وبه ثقتي)) أي وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده ، وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى ((يا رب)) أغثنى في شدتي وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها وإشارة اليها ، وفي الابتداء به في مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بأنه رب العالمين عموما - كما يفيد فائحة فاتحة الكتاب ورائحة نائحة فصل الخطاب - ورب كل فرد من أفراد بني آدم خصوصا كما يوصى اليه حديث « أدبني ربى فأحسن تأديبى » (١) وقول بعضهم : حسبى ربى من كل مرربى ، ويدل عليه خبر « رضيت بالله رباً » ثم زاد في مقام التأكيذ ونظام التأييد لأفادة اظهار العبودية في معرض الربوبية بقوله : ((يا رباه)) بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب في الندبة والمرغوب في الفجاءة ، والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والأظهر تعلقه بقوله ((باسمك)) أي لا بغيره ((أبْتَدَى)) كما هو واجب على المنتهى والمبتدى ((وبك)) أي بحكمك ((أَقْتَدَى)) وبعونك اقتدى ((وبُنُورِ قُدْسِكَ)) أي المطهر المصور في صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك إشارة الى قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ((أَهْتَدَى)) إيماء الى قوله سبحانه : (من يهد الله فهو المهتدى) وقوله : (قل ان الهدى هدى الله) والمعنى أنه يهذى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق

(١) رواه السمعاني فى أدب الاملاء عن ابن مسعود وكذا العسكرى فى الامثال وسنده ضعيف وفيه أيضاً غرابة لكن معناه صحيح ، أى علمنى ربى رياضة النفس والتشوف الى معالى الامور ومحاسن الاخلاق وذلك بافضاله على مجمىع العلوم السكسية والوهمية بما لا يتبع ولا يحصل نظير ذلك لاحد من خلق الله على الاطلاق فقد حاز صلى الله عليه وسلم جميع اقسام الادب والا داب قال الله تعالى : (وانك لعلى خالق عظيم)

اللَّهُ اللَّهُ إِلَامٌ تَمُدُّ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَيْنِيكَ ۞

بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله ﴿اللَّهُ اللَّهُ﴾ أى اتق الله مرة بعد أخرى فى أمر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوى ، والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) أى ظاهرا وباطنا أو التقدير أستغيث بالله وأستعين بطلب رضاه فيما أرجو وأخشاه ، والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض أنسه وتبين له الأمر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرهما بقوله : الله الله أى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى : (ويحذر كم الله نفسه) ولقوله عز وجل : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ، ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه أو معاتبا أو خطابا عاما لاسمها اذا كان له مصاحبا : ﴿ إلام ﴾ أصله الى ما يحرف الجار وما الاستهامة وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال فى مرتبة النظامية وحذف الالف من ما اكتماء بالحركة الفتحية اليانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية ، والمعنى الى متى أيها المخاطب المعاتب ﴿ تمد ﴾ أى تطمع وتتوجه ﴿ الى زهرة الحياة الدنيا ﴾ أى بهجتها وزينتها ﴿ عينيك ﴾ وفيه اقتباس من قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقوله سبحانه : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) وروى انه عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون : لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولا نفقةناها فى سبيل الله تعالى فقال ﷺ : لقد أعطيت سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها والعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها ، بل لا مناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ، ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق : من أوتى القرآن ورأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ، وقال أبو القاسم القشيري : غار سبحانه على عينه أن يستعملها فى النظر إلى غيره ، ويقال : إذالم يسلم له اشباع نظر ظاهره الى الدنيا

وَحَتَامٌ تَنْكُصُ بَعْدَ إِيْنَاسٍ نَارٍ عَلَى عَقِيْبِكَ * أَيْجِبْهُكَ الشَّهَوَاتُ الْخَسِيْسَةُ لِلْأَحْجَامِ ①
 أَمْ يَعُوْقُكَ الزَّخَارِفُ الْمُموْهَةٌ عَنِ الْأَقْدَامِ؟ مَا لَكَ تَسْعَى فِي الْمُبَاهَاتِ وَالْمَجَارَاةِ
 وَجَمْعِ الْحَطَامِ؟ لِنَشْرِ الصِّيتِ وَرَفْعِ الْقَدْرِ

فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى؟ ((وحتام)) أى وحتى متى ((تنكص)) أى ترجع عن القيام بالأقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه، وفيه تلميح الى فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبيس كما أخبر الله عنه بقوله: (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الى أن قال ((نكص على عقيبه)) الآية، وتلويح الى قوله سبحانه: (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ((بعد ايناس نار)) أى بعد ابصار نار. واستيناس أنوار. واحساس أسرار. وأخبار من ديار. ليس بها بعض أغيار ((على عقيبك)) أى متوجها الى دار أ كدار فيها أنواع حجب وأغيار وفي الكلام اقتباس من قوله تعالى: ((آسر من جانب الطور نارا)) أى نار نور داراً، والمعنى ابعده ظهور الحق وطريق الصدق آثار وقيل: ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخرية، وهذا على تقدير ان يكون على عقيبك ظرف لايناس، وأما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقيبك عن طريق العبادة وسبيل أهل الارادة الذى يملك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التى بها من نار جهنم يقينا ((أيجبهك)) من جبهه بالتخفيف أى رده أو بالتشديد أى نكسر رأسه، أى ايبعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول ((الشهوات الخسيسة)) أى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية ((للاحجام)) أى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ((أم يعوقك)) من عاق أو عوق أى او يمنعك ويصدك ((الزخارف الموهة)) أى الزينات المتوهمة الملفةقة ((عن الاقدام)) على عمل الآخرة الفاخرة المحققة ((مالك)) أى ما حالك أو أى شىء حاصل لك فى ما لك حال كونك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك ((تسعى فى المباهات)) أى المفاخرة فى غير الحالات الفاخرة التى تنفع فى الآخرة، وفى نسخة المهارات أى المجادلة والمخاصمة ((والمجاراة)) أى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات ((وجمع الحطام)) أى من أموال الشبهة والحرام ((لنشر الصيت)) أى لا انتشار الجاه عند العوام كالانعام ((ورفع القدر))

وَصَرَفَ وُجُوهُ الْأَنَامِ ۖ وَتَنَسَّى نَعِيمَ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صَدُوقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ، وَمَا شَأْنُكَ تَرْغَبُ عَنْ عِلْمِ سَمَاءِ رَبِّكَ الْأَعْلَى بِالْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ
وَالنُّورِ وَالْهُدَى ۖ وَتَرْغَبُ فِيمَا أَحْدَثَهُ قُرُونٌ فَشَافِيهَا الْكَذِبُ وَالْبِدْعَةُ وَالْهُوَى ۖ

أى بالقعود فى مقام الصدر عند معرض القدر (وصرف وجوه الانام) أى بالتردد اليك
فى الليالى والايام (وتنسى نعيم جنات) أى بساكنات وعودة للمتقين باقية (ونهر) أى
وانهار جارية فيها عين عافية من آفات سارية (فى مقعد صدق) أى مكان مرضى ومجلس
حق (عند ملك مقتدر) أى مقربين فى غاية الاعتبار. عند من تعالى امره فى الملك
والاقتدار. بحيث اهم على ذوى الانهام والاسرار. فهى عندية منزلة ومكانة لا عندية
منزل ومكان لعلو شأنه ورفعة برهانه ، قال جعفر الصادق : مدح المكان بالصدق
فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان
يبيع لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلفاته ، وقال الواسطى : ليس يحل من
اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام
بامره ونظره الى ربه فى مقعد صدق عند ملك مقتدر ، وقيل : الصدق فى عبادته من
لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعواض والاعراض (وما
شأنك) أى وما عذرک فى مقام حذرک (ترغب) أى تعرض وتبعد (عن علم
سماء ربك الأعلى بالفقه) حيث قال تعالى : (لعلهم يفقهون) وقال : (فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) (والحكمة) حيث قال عز وجل : (يؤتى
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ، (والنور) حيث قال
سبحانه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال : (أفمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه) (والهدى) حيث قال عز وعلا : (قل ان هدى الله هو الهدى
والسلام على من اتبع الهدى) وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم
المعاملة ، واما ما سبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لاز من كوشف فعرف
الحق يتعين عليه ان يرغب فى علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه
(وترغب) أى تميل وتخوض (فما أحدثه قرون) أى طبقات بعد خير القرون من
قرن الصحابة والتابعين واتباعهم (فشافيا) أى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب)
أى فى حكاياتهم (والبدعة) فى اعتقاداتهم (والهوى) أى هوى ارباب النفوس

قَفَا نَبْكَ عَلَى رُسُومِ عُلُومِ الدِّينِ * وَأَطْلَالَ أَعْمَالَ الْيَقِينِ ۝ وَدَمِنْ كَمَالَاتِ
الْأَحْوَالِ ۝ وَوَارَدَاتِ مُشَاهَدَاتِ الْجَمَالِ ۝ غَدَّتِ الدِّيَارُ عَافِيَةً ۝ وَظَلَّتِ الْآثَارُ بَاقِيَةً
وَأَصْبَحَ الْأَصْحَابُ رَاحِلِينَ ۝ وَأَضْحَى الْأَعْرَابُ

ومشتياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة
وسائر علوم الفلاسفة (قفا) خطاب لصاحبه كأنه شبه نفسه ان يكون في سفر يسير
مع رفيقه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا في مقام الحجاب غلب
عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء في ميدان اليبداء فلم يتمالك في مهالك
الآزمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال: قفا (نبك)
بالاتفاق على حزن الفراق ، وقيل . أصله قف قف فحذف الثاني وعوض عنه الالف
لان الفاعل كالجزء من الفعل ، وقيل : أصله قفن ابدل نونه ألفا ، والمعنى قفا ايها المخاطب مع
الرجل المعاتب نبك (على رسوم علوم الدين) اي آثارها المندرسة في ديارها المنقلبة
بعد اقبالها الى ادبارها بقلة علماء الشريعة وأخبارها (١) (واطلال اعمال اليقين) اي
وعلى انطماس علامات اعمال أهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو
كانوا من المجتهدين في امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين
للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة (ودمن كمالات الاحوال) بكسر الدال وفتح
الميم وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود أهل الشهود
في زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على
صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة في مقام التوحيد . واصحاب الجذبة
في مرتبة التأيد (غدت الديار) أي صارت ديار العلوم وجدار الفهوم (عافية) اي
خربة واهية (وظلت الآثار) اي وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام (باقية)
وفيه ايماء الى قوله عليه السلام « ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن
الارسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة » (٢) (وأصبح الاصحاب) اي العلماء الكبار الذين
بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٣) (راحلين)
اي مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى : (أفلا يرون أنا أناتى
الأرض نقصها من أطرافها) اي بأخذ العلماء من اكفافها (واضحى الاعراب) اي

(١) في النسخة المطبوعة واخبارها بالخام المعجمة وهو تصحيف (٣) الحديث رواه الحاكم في تاريخه
باطوله من هذا ، والديلمي ولا يخفى عليك مرتبتهما (٣) رواه البيهقي واسنده الديلمي عن ابن عباس

نَازِلِينَ ۖ فَيَأْسَفُ عَلَى مَنَامِ الْقُلُوبِ وَقِيَامِ الْأَلْسِنَةِ وَمَضَاءِ الْعُلُومِ وَبَقَاءِ الْأَوْعِيَةِ
وَيَاهُفِي عَلَى صَيْرُورَةِ الْحَالِ كُتُبًا وَرِسَائِلَ ۖ وَانْقِلَابِ الْعَمَلِ أَجُوبَةً وَمَسَائِلَ ۖ
وَيَاحْشَرَتِي عَلَى انْطِمَاسِ الْمَعْنَى عَنِ الْأَسْمِ ۖ وَانْدِرَاسِ الْحَقِيقَةِ عَنِ الرَّسْمِ ۖ
وَيَاسَوَاتِي عَلَى خُلُوقِ الْقَشْرِ عَنِ اللَّبَابِ ۖ وَاغْتِرَارِ الْقَوْمِ بِلَامِعِ السَّرَابِ ۖ

الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا
وأجدران لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) (نازلين) أى فى مقام العلماء العاملين
وفيه إيحاء الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد
فى حديث جبريل « وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » (١)
(فيا أسفى) أى تأسفى (على منام القلوب وقيام الألسنة) أى على غفلة القلوب القاسية
وحدة الألسنة الراسية ، وفيه إشارة الى ما ورد فى ذم علماء آخر الزمان « ان قلوبهم امر من
الصبر وأستهم أحلى من العسل » (ومضاء العلوم) أى وعلى مضى العلوم الفاخرة
وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الأوعية) أى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ
الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية (ويالهفى) بفتح الحاء أى
تعطشى (على صيرورة الحال) أى حال ذوى الشئائل (كتباً ورسائل) أى مشحونة
بقيل وقال واظهار فضال (وانقلاب العمل اجوبة ومسائل) أى يبحثون فيها ولا
يعملون بها يخوضون فيما ليس تحتها طائل (وياحسرتى) أى تحسرى (على انطماس المعنى
عن الاسم) أى محو المعنى المراد عن المبنى والمواد (واندراس الحقيقة عن الرسم)
أى رسم الشريعة والطريقة (وياسواتى) أى فضيحتى (على خلوق القشر) أى العلوم
الآلية من الاعراب والاعراب (عن اللباب) أى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب
الذى يذكره لاولى الالباب فى جميع الفصول والابواب (واغترار القوم) أى اهل الزمان
من أرباب الحجاب (بلامع السراب) أى الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال
الظاهرة ؛ وفيه تلويح الى قوله سبحانه : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

كذا قال المجنونى فى كتابه كشف الحفاء ولم يبين مرتبته ، قال الشوكانى فى رسالته القول المفيد فى أدلة
الاجتهاد والتقليد . هذا الحديث قد روى من طرق عن جابر . وابن عمر رضى الله عنهما وصرح أئمة
الجرح والتعديل بانهم لم يصح منه شئ ، وانهم ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تكلم عليه الحفاظ
بما يشفى ويكفى اهـ (١) هو قطعة من حديث رواه مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أَمَّا الْخِيَامُ فَانْهَاجَ كَيْامَهُمْ ۝ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا
 خَطَرَ بِيَالِي أَنْ أُرِيحَ بِلِبَالِي بِتَصْفِاحِ تِلْكَ الْعُلُومِ وَأَسْرَارِهَا ۝ وَتَتَّبِعُ سِيرَ الرِّجَالِ
 وَآثَارَهَا ۝ رَجَاءً أَنْ أُحِثَّ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ ۝ وَأَنْ أُبْعَثَ فِي أَشْيَاعِهِمْ ۝ فَا مَتَرَيْتُ أَطْبَاءَ
 الطَّاقَةِ ۝ وَاحْتَمَلْتُ أَعْيَاءَ الْمَشَقَّةِ ۝ وَبَالَغْتُ فِي جَمْعِهَا وَتَهْذِيبِهَا ۝ وَاسْتَقْصَيْتُ فِي ضَبْطِهَا
 وَتَرْتِيبِهَا ۝ مَعَ أَنِّي سَكَيْتُ نَادِيَ الْبَيَانِ ۝ وَسَكَيْتُ حِلْبَةَ الرَّهَانِ ۝

الظمان ماء) والله در القائل من اعلامهم :

لا والذي حجت قريش بيته ۝ مستقبلين الركن من بطحائها

ما ابصرت عيني خيام قبيلة ۝ الا بكيت احبتي بفنائها

﴿ اما الخيام ﴾ جمع خيمة ﴿ فانها كيامهم ﴾ أى فى منازل الحى ومقامهم ﴿ وأرى نساء
 الحى غير نساها ﴾ أى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء
 والخدمة والسخاء ، والمافى انه ظهر السفهاء فى صورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ
 العرفاء ﴿ خطري بالى ﴾ جواب شرط مقدر أى لما كان الامر كذلك خطرى خاطرى
 هذالك ﴿ ان أريح بلبالى ﴾ أى أدخل فى الراحة قلبى فى ميدان حبرى ، وفى نسخة
 بالزأى أى أزيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى ﴿ بتصفاح تلك العلوم ﴾ أى بتفحص
 صفحات العلوم النافعة الذخرة فى الدنيا والآخرة ﴿ واسرارها ﴾ أى ودقائقها
 وحقائقها الفاخرة ﴿ وتتبع سير الرجال ﴾ أى سلوك أصحاب الحال ، وفى نسخة مسير
 وفى أخرى « سير » بكسر السين وفتح الياء أى شمائل أرباب الفضائل وأصحاب الفواضل
 ﴿ وآثارها ﴾ أى اللامعة أنوارها تحت أستارها ﴿ رجاء أن أحث ﴾ أن أحرص وأحرص
 ﴿ على اتباعهم ﴾ بتشديد التاء أى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا ﴿ واربعث فى اشياهم ﴾
 أى أحشر فى اتباعهم فى العقبي ﴿ فامتريت اطباء الطاقة ﴾ أى حاولت وعالجت صرف
 الوسع والقدرة ﴿ واحتملت أعباء المشقة ﴾ أى وتحملت أثقال المشاق فى طريق
 المحبة وسبيل المعذرة ﴿ وبالغت فى جمعها ﴾ أى ضبط افرادها ﴿ وتهذيبها ﴾ أى
 تنقيتها وحذف زوائدها ﴿ واستقصيت فى ضبطها وترتيبها ﴾ أى ضبط معانيها
 وحفظ مبانيها ﴿ مع أنى سكيت نادى البيان ﴾ بكسر السين وتشديد الكاف أى كثير
 السكوت وبجلس التيدان ﴿ وسكيت حلبة الرهان ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف

وَأَتْخَفْتُ بِهِ الْفَرْعَ الْعَلِيَّ مِنَ الْأَصْلِ الْعَلَوِيِّ وَالْغُصْنَ السَّنِيَّ مِنَ الشَّجَرِ الْحُسَيْنِيِّ
أَرْفَعَ السَّرَاةَ عِمَادًا وَأَطْوَلَ الْكُفَاةَ نِجَادًا * وَأَكْثَرَ الْكَرَامِ رِمَادًا * وَأَكْبَرَ الْعِظَامِ
وَسَادًا * وَهُوَ ابْنُ نَبِيِّ بَنِي عَدْنَانَ *

المفتوحة ويشدد أى أو آخر الخيل فى ميدان المسابقة والجولان والجريان يمتحن
فيه الأفراس العشرة على عرف ذلك الزمان ، ويرهن للسبق مال يأخذه من سبق
فرسه ذلك المكان، وفيه تلويح الى قول من قال : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان
(واتخفت به) أى بتصنيفى هذا (الفرع العلى) أى الرفيع (من الأصل العلوى)
أى المنسوب الى على المنيع (والغصن السنى) أى المنسوب الى أهل السنة والجماعة
العزیز الوجود فيما بين السادة أو السنى بفتح فكسر أى الشريف الجلى الحسنى
(من الشجر الحسينى) وفى نسخة الحسنى أى المنسوب الى أحد أولاد فاطمة الزهراء ،
وفيه تنبيه على أن كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر أولاد
على (ارفع السراة) جمع السرى (عِمَادًا) بكسر العين أى أعلى الاشراف اعتمادا
يقال : فلان رفيع العِمَادِ أى شريف سنى الذى ذكر على الصيت ، وقيل : العِمَادُ فى الأصل عيدان
يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه ، وقيل : بل يراد بها حقيقتها
أى مرتفع العِمَادِ فوق البنيان ليراه الضيفار فيقععدونه وذو الحاجات فيطلبونه (وأطول
الكفاة) جمع الكمى (نِجَادًا) بكسر النون بعده جيم وهو حائل السيف وهو كناية
عن طول قامته وطول شأنه ، والمعنى أفضل شجعتان زمانه استنادا (وأكثر الكرام
رِمَادًا) كناية عن كثرة الجود المستازم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة
الرماد ولدوام وقود ناره ليلال فى تلال البلاد فيهندى به الضيفان من العباد (وأكبر
العظام وسادا) كناية عن كونه معظما موقعا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن
نبي بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وإلى
هنا من النسب الشريف لاخلاف فيه بين العلماء الأعيان وانما الخلاف فيما فوقه
مختلف البيان ، ولذا يروى أن النبي ﷺ كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان أمسك

وَسَمِيَ جَدُّهُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ۝ رُكْنَ الدُّنْيَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ ۝ قُطْبَ الشَّرْعِ الْمَدَارَ
عَلَيْهِ ۝ طَاهَرَ الذَّلِيلَ عَنْ دَنْسِ الْهَوَى ۝ عَازَفَ الْقَلْبَ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ۝ رَاسِخَ الْقَدَمِ
فِي شَرِيعَةِ الْمُصْطَفَى ۝ صَارَفَ الْعَنَانَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُرْتَضَى ۝ بَلَغَهُ اللَّهُ إِلَى الْكَمَالِ الْأَعْلَى ۝
وَأَوْصَلَهُ إِلَى السَّعَادَةِ الْقُصْوَى ۝ وَأَدَامَ الْمَجْدَ بَيْنَ ثَوْبِيهِ ۝ وَأَقَامَ الْكَرَّمَ بَيْنَ بَرْدِيهِ ۝

عما بعده من عنان البيان ، وقال : كذب النسابون أى فى هذا الشأن قال تعالى : (وقرونا
بين ذلك كثيرا) قال ابن عباس : ولو شاء الله أن يعلمه لعلمه ، وقال ابن دحية : أجمع العلماء
والاجماع حجة على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوز زه ، وفى مسند
الفردوس عز ابن عباس أنه عليه السلام كان إذا انتسب لم يتجاوز معدن عدنان ثم يمسك
ويقول : كذب النسابون ، وقال السبيلى : الأصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود
وقال غيره : كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : (الم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قال : كذب النسابون (١) يعنى أنهم يدعون علم
الانساب وقد نفى الله عنها عن العباد فى الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون
أبلا يعرفون ۝ وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم ؟ فكره ذلك وقال : من أخبره
بما هنالك (وسمى جده خليل الرحمن) يعنى اسم الممدوح إبراهيم كاسم جده الكريم
الخليل أبى ولده الجليل اسماعيل جد نبينا ﷺ وشرف وكرم (ركن الدنيا) أى المدار
عليه (المشار إليه) المشهود لديه (قطب الشرع) النافع فى العقى (المدار عليه) كالتفسير
لما قبله مشيرا إلى علمه ومعرفة ، والحاصل أنه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمال
الآخروية (طاهر الذليل عن دنس الهوى) كناية عن صلاحه ودياته (عازف
القلب) أى صارفه (عن لذة الدنيا) إشارة إلى ورعه وزهده وحسن رعايته (راسخ القدم
فى شريعة المصطفى) إيماء إلى ثباته فى أمر الدين واستقامته (صارف العنان إلى الطريق
المرتضى) اشعار بأنه على مذهب الصوفى وسلوك طريقته وإيماء إلى أنه (٢) متصف بصفات
الانبياء ومقامات الأولياء فانه تابع لجده الأعلى والادنى (بلغه الله إلى الكمال الأعلى)
أى فى الدنيا والآخرة (وأوصله إلى السعادة القصوى) أى والسيادة العظمى وهى
رضا المولى (وأدام المجد بين ثوبيه) أى العظمة فى ذاته (وأقام الكرم بين برديه)
أى السخاوة فى صفاته ، قال صاحب المفتاح : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه

(١) رواه أيضا ابن سعد وابن عساکر عن ابن عباس (٢) فى بعض النسخ وإيماء به

فَصَلَ بِحُسْنِ لُطْفِ رَحْمَانِي . وَعَمِيمِ فَضْلِ رَبَّانِي . كِتَابَ حَجْمِهِ عِنْدِي صَغِيرٌ .
 لَيْسَ هَلْ الْحِفْظُ وَالْإِسْتِصْحَابُ . وَعَلَيْهِ عَلَى ظَنِّي غَزِيرٌ . يَغْنَى عَمَّا عَدَّاهُ فِي الْبَابِ *
 وَأَبْوَابُهُ عَشْرُونَ قَدْ صَدَرَتْ بِمَقْدَمَةٍ هِيَ أُخْرَى بِالتَّقْدِيمِ . وَذِيلَتْ بِخَاتَمَةٍ
 حَقٌّ أَنْ يَقَعَ بِهَا التَّسْمِيمُ *

من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، أراد القائل ان لا يصرح
 بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان
 محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي .
 وأنا بحمد الله سبحانه لم أجعل تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تأليف باسم أحد من الامراء
 والوزراء وإنما أردت به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيامة ﴿ فصل بحسن لطف
 رحمانى وعميم فضل ربانى ﴾ أى بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله ﴿ كتاب حجمه
 عندى صغير ﴾ لانه فى أوراق معدودات يتم بها الكتاب من غير طريق الاطباب ﴿ ليسهل
 الحفظ ﴾ أى بالجنان ﴿ والاستصحاب ﴾ أى مع الابدان ﴿ وعلمه ﴾ أى معلوماته
 ﴿ على ظنى غزير ﴾ أى كثير لاشتماله على جميع ما فى الاحياء من أربع مجلدات لكامل
 الاستقصاء فهو كاللباب . وانما قال : على ظنى هضم النفسه فى هذا الباب . ولان صاحب
 البيت أدري بما فيه لعدم الحجاب ﴿ يغنى عما عداه فى الباب ﴾ أى باب التصوف وفصل
 الخطاب ﴿ وأبوابه عشرون ﴾ بابا فيها كفاية لارباب الالباب ، فالباب الاول فى الورد .
 والثانى فى الاتفاق . والثالث فى الصوم . والرابع فى السفر . والخامس
 فى التزوج . والسادس فى الكسب . والسابع فى المعيشة . والثامن فى الصحبة
 والناسم فى الصمت . والعاشر فى الاناة . والحادى عشر فى العرلة . والثانى عشر
 فى التواضع . والثالث عشر فى الاخلاص . والرابع عشر فى التفويض . والخامس
 عشر فى تهى الخواطر . والسادس عشر فى التوبة . والسابع عشر فى الصبر
 والشكر . والثامن عشر فى الخوف والرجاء . والتاسع عشر فى الفقر والزهد .
 والعشرون فى التوحيد والتوكل واليقين ﴿ قد صدرت ﴾ أى ابتدأت ﴿ بمقدمة ﴾
 فى العلم والمعرفة ﴿ هى اخرى ﴾ أى اليق وأولى ﴿ بالتقديم وذيلت ﴾ أى ختمت وانخرت
 ﴿ بخاتمة ﴾ فى المحبة ﴿ حق ﴾ أى اجدر واحق ﴿ ان يقع بها التسميم ﴾ لئلا يحتاج الى الترميم

وَأَسْمُهُ الْمَطَابِقُ لِلْمُسَمَّى - عَيْنُ الْعِلْمِ وَزَيْنُ الْحِلْمِ - وَأَسَاسُهُ الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ وَشَيْمُ الصَّحَابَةِ الشُّمُّ مَعْرَى عَمَّا حَدَّثَ مِنْ وَضَعٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ لَا يَسْمُنُ
وَلَا يُغْنَى مِنْ جُوعٍ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْتَكْحُلِ ۝
نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ۝ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝

(وَأَسْمُهُ الْمَطَابِقُ لِلْمُسَمَّى عَيْنُ الْعِلْمِ) الذي تبيجته وثمرته أن يكون (زَيْنُ الْحِلْمِ) بل هو
معدن أسرار الشريعة والطريقة. ومنبع أنوار المعرفة والحقيقة (وَأَسَاسُهُ) أي
مدار بنائه ونبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشُّمُّ) بضم الشين وتشديد الميم
جمع الأشم أي سير الأصحاب الكبار من ذوى الافتخار، وفيه الأشعار بان أجماع الصحابة
وأكثرهم هو الأول بالاعتبار لأنهم من أولى الأيدي والأبصار (مَعْرَى) أي خال
ومجرد (عَمَّا حَدَّثَ) أي اخترع وابتدع (مِنْ وَضَعٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ) كالآراء الفاسدة
والأهواء الكاسدة (لَا يَسْمُنُ) ذلك الموضوع أو غير المشروع (وَلَا يُغْنَى مِنْ جُوعٍ)
أي لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع حين الافادة والاستفادة (لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ
كَالتَّكْحُلِ) بفتح الحاء إشارة إلى أن تمويه الكتاب بالتكلف من الأعمال المحدثه كالتكحل
صنعة، وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلب كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة
أحد ولو تكلف في مشقة، وفيه تنبيه نبيه على أن طريق النجاة لا نام هو متابعتة عليه السلام
وأصحابه الكرام في جميع أحكام الإسلام كما يشير إليه قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ويدل عليه حديث «أصحابي كالنجوم بأيهم
اقتربتهم اقتدبتم اهتديتم» وخبر «لا تجتمع أمتي على الضلالة وعليكم بالسواد الأعظم» (١) والله
سبحانه أعلم فالله أزل وأبدا لا نشرك به أحدا (نَحْمَدُهُ) في كل آن ونشكره في كل
زمان (وَنُسْتَعِينُهُ) في كل شأنا (وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ) في كل مكان (وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا) أي من الأخلاق الدنيئة (وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا) من الأحوال الرديئة (وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) موجد أو معبود أو مشهود (إِلَّا اللَّهُ) أي الذات المستجمع لكمال الصفات فلا
نعبد إلا إياه ولا نلتفت إلى ما سواه (وَحْدَهُ) منفرد بالذات (لَا شَرِيكَ لَهُ) في كمال

(١) الحديث لم يصح لفظه ولا سنده كما قال ابن حزم في الأحكام لكن معناه صحيح لاخبار آخر

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أُعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالْدَّرَجَةَ
الرَّافِعَةَ وَبَعَثَهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

المقدمة في العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ ثَقَنِي

الصفات (ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله) وحبيبه وخليله (أعطاه الله تعالى) خبر أو دعاء
(الوسيلة) وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة ؟ فقال : هي مرتبة لا ينالها
إلا واحد أرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة من الله تعالى حات له الشفاعة
(والفضيلة) أي الزيادة في المرتبة المنية (والدرجة الرفيعة) أي في المنزلة البديعة
(وبعثه) أي حشره ونشره (مقامًا محمودًا) يحمد به الأولون والآخرون ويغبطه
النبيون والمرسلون والملائكة المقربون (الذي وعده) أي بقوله : (عسى أن يبعثك
ربك مقامًا محمودًا) وما وعده لم يكن إلا موجودًا وإنما عبر عنه بعسى للاشعار بأنه لا يجب
على الله سبحانه شيء للعباد وإن الأمور انما تكون وفق ما قضاه وأراد به وصلى الله عليه
أصالة (وعلى أهله) أي أهل بيته من أزواجه وأقاربه وأحبابه (وآله) أي من يؤل
إليه أمره من أتباعه وأصحابه وأحزابه (وسلم تسليما) أي يقرنه تعظيم وتكريمه
(المقدمة في العلم) وقد ورد العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة ، والمراد بها إجماع الأئمة واتفاق الأئمة رواه أبو داود وابن ماجه
والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ، وفي رواية الديلمي عنه « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا أدري ، وإنما لم يذكر الإجماع لأن مستندها الكتاب والسنة ، والحديث
رواه أبو داود . وابن ماجه عنه مرفوعا ، وقد روى أبو داود . والحاكم وصححه من حديث
أبي هريرة « ما أدري أعزير نبي أم لا ، وروى أحمد . وإسحاق . والبخاري . والحاكم وصححه
أسناده . والطبراني من حديث جبير بن مطعم ، ولا برحبان . والحاكم وصححه نحوه . من
حديث ابن عمر أنه لما سئل عن خير البقاع وشرها ؟ قال : لا أدري حتى نزل جبريل ، وفيه
تنبيه نبيه على أن العجز عن درك الإدراك أدراكه ومنه قول الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمتنا)
وقول الرسل يوم القيامة (لا علم لنا) (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يحيطون به علما

الْعِلْمُ عِلْمَانِ ، عِلْمُ الْمَكْشَفَةِ وَهُوَ نُورٌ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ فَيُشَاهِدُ بِهِ الْغَيْبُ
وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فَوْرَدَ إِذَا دَخَلَ الثُّورُ فِي الْقَلْبِ أَنْشَرَ حَ مِنْ غَيْرِ الرَّيْبِ وَأَنْفَسَحَ
اِحْتَمَلُ الْبَلَاءِ وَحَفِظَ السِّرَّ وَلَا يَصْرَحُ بِهِ لِفَقْدِ الرَّوَايَةِ ۞

وهو بكل شيء عليم : (العلم علان) أى علم الآخرة أو المعتبر في الأحوال العاخرة أو
النافع و المرتبة الذاهرة أو علم التصوف ، والأحوال الذاهرة نوعان ؛ وقد ورد « العلم علان
فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » رواه ابن أبي
شيبه . والحكيم عن الحسن مرسلا . والخطيب عنه عن جابر مرفوعا (علم المكشفة)
وهو ما يطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق
والرضا . والقبض . والبسط . والمحور . والصور . والهيبة . والأنس . والفناء . والانتفاء . واللوامع
والطوابع . واللوايح . والروايح . والاستنار . والاستتار ، ومقابلته المعاملة وهو ما يطلب منه
مع الكشف العمل به (وهو نور يظهر في القلب) أما بالجملة الإلهية أو بالرياضة
الشرعية عند تطهير القلب وتركيبته من الأخلاق الدنية . والصفات الرديئة (فيشاهد
به الغيب) أى ما غاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود
صفاته في مكوناته ومصنوعاته كما يشير إليه قوله عز وجل : (سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) الآية (وهو متحقق) أى ثابت إلى يوم القيامة
لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (إذا دخل
النور في القلب انشرح) أى انفتح أى عاين الغيب من غير الريب (وانفسح) أى
انبسط واتسع وانفتح أى (احتمل البلاء . وحفظ السر) أى في مقام الولاء والابتلاء
وفي المعالم عند قوله تعالى : (فمن ير د الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أى لقبول
ما فيه من الأحكام ، ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عر شرح الصدر ؟ قال :
نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح ، قيل : فهل لذلك أماره ؟ أى علامة
قار : نعم الانابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت ، وعن علي كرم الله وجهه علم الباطن سر من أسرار الله تعالى عز وجل وحكم
من حكم الله تعالى يقذفه في قلب من يشاء من عباده رواه أبو داود والديلمي . وأبو عبد الرحمن
السلي (ولا يصرح به) أى لا يمكن التعبير عن علم المكشفة (لفقد الرواية) أى

وَوَرَدَ « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ » وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ وَعِلْمُ الْمَعَامِلَةِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَمَا يَبْعَدُ عَنْهُ

أصريحا بل روى أحيانا تلويحا لانه من الأمور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الایمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الإشارة والغافل ما يفيدہ الا صريح العبارة ، ولذا قيل : العلم نقطة كثرتها الجاهلون ، ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التي لارخصة في ابداعها في الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين ، وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد الى الحق ، واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والایماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء ؟ (وورد ان من العلم) أي من جملة علم خفي فيه الفنون : (كهية المكنون) من الدر المكنون (لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة بلفظ : ان من العلم كهية المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل ، وفي هذا المقام قيل : من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات تعظم شأنه وتجعل برهانه ، واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة ، وقيل : من عرف الله كل لسانه في بيان الذات وطال بيانه في شأن الصفات ، وقيل : من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه (وهو) أي علم المكاشفة (أفضل) أي من علم المعاملة لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم أشرف ما يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما أخبر به من المغيبات (لانه المقصود) الاكمل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به في سائر الاوقات ، ولذا ينتهي بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكليف فيها (وعلم المعاملة) أي النوع الثاني (وهو العلم بما يقرب اليه تعالى) من المأمورات (وما يبعد عنه) من المنهيات ، وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ، ثم الجارى على الجوارح اما عبادة واما

وهو مقدم لانه الشرط فورد (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أصبت فالزم
حين أخبر حارثة رضي الله عنه بانكشاف الغيب بعد عزوفه عن الدنيا،

عادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت
اما محمود واما مذموم (وهو) أي علم المعاملة (مقدم) أي على العمل أو على علم
المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه الشرط) فتدبر
فانه قد تقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا أن يقال : انه الشرط الغالي كما يدل عليه
استثناؤه الآتي (فورد) أي في كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) أي اجتهدوا
في طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) أي طرق معرفتنا وصلنا أو المعنى والذين جاهدوا
فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله ﷺ : « من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لا يعلم » ويدل عليه قوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) (أصبت)
أي وورد أصبت (فالزم حين أخبر حارثة رضي الله عنه بانكشاف الغيب) أي من
أحوال العقبي (بعد عزوفه) أي بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث
في الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك .
وحارثة بن النعمان الانصاري فقي رواية الطبراني . وأبو نعيم عن الحارث بن مالك
الانصاري قال : « مررت بالنبي ﷺ فقال : كيف أصبحت يا حارث ؟ قلت : أصبحت
مؤمنا حقا فقال : انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة وما حقيقة ايمانك ؟ قلت : قد عزفت
نفسي عن الدنيا واسهرت لذلك ليلي واظلمات نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني
أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون . وفي رواية - يتعاونون
فيها فقال : يا حارث عرفت فالزم ، قالها ثلاثا ، وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام :
« أنت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم » وفي رواية العسكري في الامثال عن أنس « أن
النبي ﷺ قال لحارثة بن النعمان : كيف أصبحت ؟ الى أن قال : أبصرت فالزم ثم
قال : عبد نور الله الايمان في قلبه فقال : يا نبي الله ادع لي بالشهادة فدعا له قال فتودي
يوما يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد » وفي رواية
ابن النجار « فبلغ ذلك أمه فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان يكن
في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال : يا ام الحارث
او حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت

إِلَّا إِنْ جَذَبَتْهُ الْعَنَاءَةُ كَمَا فِي سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ فُورِدُ «التَّجَانِي عَنْ
دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ»

وهي تضحك وتقول : بخ بخ يا حارثة « (الا) استثناء من قوله مقدم أي لكن قد يؤخر علم المعاملة « (ان جذبه العناء كما في سحرة فرعون) فانهم وصلوا الى الحق الحقيقي بدون المجاهدة في الطريق فانه روى انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين» (١) وورد «ان الله في أيام دهر كم تفحات الافتراضوا لها، والحاصل أن السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه : (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) والطريق الثاني سلوك الحكماء وأكثر الأولياء والأول مسلك الأنبياء وبعض الأصفياء كما يدل عليه قوله تعالى : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أي تفصيله في الخطاب ومعرض البيان (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء) أي من أهل العرفان « وابلغ منه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) « (ولا ينفك) أي علم المعاملة « (عنه) أي عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود أحدهما مقدما أو مؤخرا ، والحاصل أن بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة ، وأما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة ، وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء واما الدوام فلا بد منه انتهاء كما أن عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم أيضا لدوام علم المكاشفة ، والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والافصاح علم المعاملة أيضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا أنها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق ، وقد قال تعالى : (ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ومن هنا قيل : الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا أنها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ، ثم اعلم أنه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزيدته ان كل من سعى لم يدرك ما تمنى لكن ما أدرك ما تمنى إلا من سعى فله الآخرة والأولى « (فورد) أي في الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة « (التجاني عن دار الغرور) أي التبعد والتزهد عن الدنيا « (والانابة إلى دار الخلود) أي الرجوع

(١) هذا من الكلام الذي اشتهر على السنة المتصوفة وأصحاب الطرق وامله من كلام كبار الصوفية المتقدمين رضي الله عنهم وكذلك ما بعده أيضا

حِينَ سُئِلَ عَنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ النُّورِ، هَذَا مَاوردَ بِفَضْلِهِ الشَّرْعُ

إلى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى (حين سئل) أي النبي عليه السلام (عن علامة ذلك النور) كما قدمنا (١) (هذا) أي العلم المنقسم إلى قسمين من المكاشفة والمعاملة (ماورد بفضلته) أي فضل تعلمه وتعليمه (الشرع) أي المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة وأخبار الأئمة إمام الكتاب فكقوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وقوله: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) عن ابن عباس «للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» وقوله تعالى: (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله: (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) وقوله: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله: (ولورده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم) وقوله: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) هـ

وأما السنة فكقوله عليه السلام «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» متفق عليه وزاد الطبراني ويلهمه رشده «العلماء ورثة الأنبياء» أبو داود، والترمذي: وابن ماجه. وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء «إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك»، أبو نعيم في الحلية عن أنس فقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى «خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سميت وفقه في الدين» الترمذي عن أبي هريرة «أفضل الناس المؤمن العالم إذا احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه» البيهقي في شعب الإيمان موقفا على أبي الدرداء «الایمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل» الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبي الدرداء «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» أبو نعيم عن ابن عباس «لموت قبيلة أيسر من موت عالم» الطبراني وغيره عن أبي الدرداء «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»

فَالْمُرَادُ الْمُكَاشَفَةُ فِيهَا وَرَدَّ «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي»

متفق عليه عن أبي هريرة «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بمد ماء الشهداء فترجح مداد العلماء» ابن عبد البر عن أبي الدرداء «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيماً وشهيداً يوم القيامة» ابن عبد البر عن ابن عمر «من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيماً عالماً» ابن عبد البر عن أنس «من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب» الخطيب عن ابن جزء «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم وإبراهيم أني عليم أحب كل عليم» ابن عبد البر تعليقا «العالم أمين الله في الأرض» ابن عبد البر عن معاذ «صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء» أبو نعيم عن ابن عباس «إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم» الطبراني في الأوسط «وأبو نعيم في الحلية» وابن عبد البر في العلم عن عائشة «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» ابن ماجه عن عثمان «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة «خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه» ابن عبد البر عن أنس «أصبحت في زمان كثير فقهاء قليل خطباء قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاء كثير خطباء قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل» الطبراني عن حزام بن حكيم عن عمه «والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقنقدي الناس فلا ينافية ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقاً قيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: العلم بالله عز وجل فقيل نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقيل: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير من العمل لا ينفع مع الجهل بالله» ابن عبد البر عن أنس «يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول: يا معشر العلماء اني لم أضع على فيكم إلا لعلى بكم ولم أضع على فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم» الطبراني عن أبي موسى «فالمراد» أي فمراد الاشار ع «المكاشفة فيما ورد» والفاء للتعليل أي ولأن المراد علم المكاشفة «فضل العالم على العابد كفضل على أمتي» ولفظ الترمذي والدارمي عن أبي الدرداء كفضل على أدناكم وفيه مبالغة لا تخفى أي في حديث مشهور ورد رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه «ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» وفي لفظ الترمذي

أَذْغِيرُهُ تَبَعَ لِلْعَمَلِ لثُبُوتِهِ شَرْطًا لَهُ ، وَالْمُعَامَلَةُ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى
كُلِّ مُسْلِمٍ لِامْتِنَاعِ ارَادَةِ غَيْرِهَا *

عن أبي امامة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وقال : حسن صحيح وورد « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » ابن عدي عن أبي هريرة وأبو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف ، وروى الاصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر « بين العالم والعابد سبعون درجة » وكذا في مسند الفردوس عن أبي هريرة وأما ما في الاحياء مائة درجة فلا اصل له (اذغيره) أى غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة (تبع للعمل لثبوته) أى العلم (شرط له) أى للعمل فلا عمل بلا علم وقد وجد علم بلا عمل والمعنى انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والاقلو أريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم أو على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه وبيان مراده ، والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم ، فالمراد بالعالم في الحديث من يعمل ما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية أوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان تقع العلم متعدد وتقع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما أفضل من التوافل كما لا يخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم أيضا عمل أى عمل ، وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل كما يشير اليه قوله عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن عن جابر وعن عمر « من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل » ويؤيده حديث « الدال على الخير كفاعله » رواه الترمذى من حديث أنس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال عطاء : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقالت : ما يبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شئ (والمعاملة) أى والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد (طالب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (لا امتناع ارادة غيرها) أى غير المعاملة القلبية. أقول : بل الحمل على المعنى الاعم هو

أَمَّا التَّوْحِيدُ فَلِلْحُصُولِ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلِجَوَازِ أَنْ يَتَأَهَّلَهَا شَخْصٌ وَقَدْ الضَّحَى
وَمَاتَ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَالظُّهْرُ ۝

الآتم ليشمل المعاملة القلبية الواجبة وإنما يصحح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع
حينئذ يتمتع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان، أحدهما ما يكون
فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار
النفسية وازالة الاخلاق الرديئة. واثبات الشئائيل الرضية، وثانيهما ما هو فرض عليه عند
تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء
وسائر المعاملات، واما العبد اذا أسلم في وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه
أن يعلمها لانه لم يدرك وقتها ومالم يدرك وقتها لا يكون فرضا عليها اذ لو
قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيامة بتعلم علمها وإنما يكون الفرض عليه حينئذ
علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما أن يكون
متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها أولا يكون فيجب عليه تحصيل
علم الباطن أيضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها
الخفية ومعرفة الخواطر الرديئة وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال
الباطنة القلبية، فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشغل لتحصيل علم المعاملة
القلبية كان تار كالفرض مسئولا عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك الفروض
الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها فافهم والله أعلم، وهذا بيان ما أجمل بقوله: ﴿ اما
التوحيد ﴾ أي عليه ﴿ ف ﴾ ليس المراد به ﴿ للحصول ﴾ أي لحصوله لكل مسلم، وفيه
انه لا بد له من بقاءه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه ﴿ وأما الصلاة ﴾ أي امتناع ارادة
الصلاة به ﴿ فلجواز أن يتأهلها شخص ﴾ أي يصير أهل وجوبها رجل أو امرأة
﴿ وقت الضحى ﴾ بالبلوغ أو الاسلام ﴿ ومات قبل الظهر ﴾ يعني فلا يجب على كل
مسلم ويدفع بأن هذا أمر نادر على أنه مشروط بشرائط في تعلقها بالحكم بعد تحققها
﴿ وأما غيرهما ﴾ أي من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة
﴿ فظهر ﴾ أي في امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله أعلم، وبسط الكلام في مرام
هذا المقام ان العلماء اختلفوا في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه أكثر
من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذي هو بصده فقال

وَعِلْمُ الْآخِرَةِ مُطْلَقًا فِيمَا وَرَدَ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) لثَلَاثٍ
يُفَضِّلُ عُلَمَاءَ الزَّمَانِ عَلَى الصَّحَابَةِ فَمَجَادِلَةُ الْكَلَامِ وَالتَّعَمُّقُ فِي فِتَاوَى يَنْدُرُ وَقُوعُهَا
مُحَدَّثٌ، وَمَا وَرَدَ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لِاخْتِصَاصِ الْأَنْذَارِ وَالْحَذَرِ بِهِ، فَالْمُحَدَّثُ مِمَّا
سَبَقَ ذِكْرُهُ يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَأَيْضًا وَصَفَ الشَّارِعُ الْفَقِيهَ بِأَنَّهُ يَمَقَّتُ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ

المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد و به يعلم ذات الله وصفاته ، وقال
المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال
الفقهاء : هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات ، وقال
المتصوفة : المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمساكفة ، والتحقيق
ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية وأما فرض العين على كل أحد فبعضها مما تجب
به الرعاية (وعلم الآخرة) أى والمراد علم ينفع فى الآخرة (مطلقا) أى مع قطع
النظر عن المعاملة والمساكفة (فيما ورد) أى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون) (ثلثا يفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه أن الظاهر فى معنى
الآية عدم استواء العلماء والجهلاء ، وأما مراتب العلماء من الأنبياء والصحابة
والتابعين والفقهاء والمشايخ الأولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة (فمجادلة الكلام)
أى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى يندر وقوعها محدث) أى بدعة إلا أن
الأولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وما ورد) أى والمراد علم الآخرة فيما جاء
من القرآن (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) (لاختصاص الانذار
والحذر) فى قوله سبحانه : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)
(به) أى مختص بعلم الآخرة (فالمحدث مما سبق ذكره يقسى القلب) أى لعدم
مدخلته فى الانذار والحذر وإنما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب
والترهيب ، ففى العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم
والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه أكل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا
الراغب فى العقبى الطالب للمولى وهو الأعلى (وأيضاً) أى مما يؤيد ما قدمناه (وصف
الشارع الفقيه بأنه يمقت الناس) أى يبغضهم بالمعاصى (فى ذات الله) أى لاجل رضاه

وَلَمْ يَقْنَطْهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِهِ وَلَمْ يَرْغَبْ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَى غَيْرِهِ وَيَرَى لَهُ وَجُوهًا كَثِيرَةً ۝

﴿ ولم يقنطهم من رحمته ﴾ لقوله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله) وقوله : (لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ ولم يؤمنهم من مكره ﴾ لقوله سبحانه : (أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الأولياء لقوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والانس ان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ﴿ ولم يرغب عن القرآن ﴾ أى وما هو مقتبس منه ﴿ الى غيره ﴾ أى الى غير القرآن من العلوم المحدثه ﴿ ويرى له ﴾ أى للقرآن ﴿ وجوها كثيرة ﴾ أى من ظاهره وباطنه وحدوده ومطلعه وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال : الا أنبشكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يشبههم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ، أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق . وأبو بكر بن السنى . وابن عبد البر من حديث على ، وقال ابن عبد البر : أكثرهم يوقفونه على على ، وفى حديث آخر : لا يفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ، ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس ، وقال : لا يصح مرفوعا ، وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا قلت : فيه إيماء الى ما قبل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فظهر أن المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السنجى الحسن البصرى عن شئ ؟ فاجابه فقال : ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن : ثكلتك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك ؟ انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة الله . الورع السكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن أحوالهم . الناصح لجماعاتهم ۝

ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة ، منها قوله تعالى : (فاستلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقوله عليه السلام : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقوله : « ان الملائكة لتضع اجنحتها الطالب العلم رضى بما يصنع ، أحمد . وابن حبان .

والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال، وقوله : « لان تغدو فتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة » ابن عبد البر من حديث أبي ذر، والخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر، وقوله : « باب من العلم يتعلمه الرجل خيره من الدنيا » ابن حبان في روضة العفلاء . وابن عبد البر موقوف على الحسن البصري، وجاء مرفوعا بلفظ « خيره من مائة ركعة » رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وقوله : « اطلبوا العلم ولو كان بالصين، ابن عدى . والبيهقي في المدخل . والشعب من حديث أنس وقال : متنه مشهور وأسانيده ضعيفة، وقوله « العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاستلوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحبة لهم » رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف وقوله « لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه » الطبراني في الأوسط . وابن مردويه في التفسير . وابن السني . وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف . وقوله : « ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » الدارمي . وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن اى ابن علي أو البصري فالحديث مرسل، وأما قول الغزالي في حديث أبي ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل : يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم، فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر، وقال الحافظ العراقي : ولم أجده من طريق أبي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند أبي ذر « يا أبا ذر لان تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وان تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعا » رواه ابن ماجه . والحاكم في تاريخه عنه، وأما ما ورد في فضيلة التعليم فنه قوله تعالى : (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وهذا الإيجاب للتعليم، وقوله : (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم، وقوله : (ومن احسن قولا لمن دعا الى الله وعمل صالحا) وقوله : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ومنه قوله عليه السلام : « ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه » أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وقوله لما بعث معاذا الى اليمن : « لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » أحمد من حديث معاذ . وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي رضي الله عنه * وقوله : « من تعلم بابا

ثم حقه العمل

من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا « الديلمى من حديث ابن مسعود * وقوله « اذ كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى: أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا اشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » أبو العباس المروزي من حديث ابن عباس ، وقوله: « ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بمامعه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون » متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ، وقوله « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » أبو داود . والترمذي . وابن ماجه : وابن حبان . والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة ، الطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وقوله « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو معلم أو متعلم ، الترمذي . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ، الترمذي من حديث أبي أمامة ، وقوله : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه » ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسل نحوه . ولأبي نعيم من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « ما أهدى مسلم لآخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى ، ورواه البيهقي في الشعب أيضا ، وقوله « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خيرة من عبادة سنة ، ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يزيد بن أسلم مرسل نحوه ، وقوله : « على خلفائي رحمة الله قليل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله ، ابن عبد البر من حديث الحسن قليل : هو ابن علي وقيل : ابن يسار البصري فيكون مرسل لابن السني . وأبي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه ، « وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال : أما هؤلاء فيستلون الله ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ، ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو « (ثم حقه) أي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها (العمل) والمعنى لا بد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة

فَوَرَدَ (كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) الْآيَةُ « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ
لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » وَالْإِحْتِرَازُ عَنِ الْفُتُوى لِعَدَمِ قِيَامِهِمْ بِهَا إِلَّا بِضْعَةَ عَشَرَ ،
وَوَرَدَ لَا يُفْتَى إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُتَكَلِّفٌ ،

الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الأصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع فكذا
حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والسكال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول
عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيماً ، وقول نبينا عليه الصلاة
والسلام: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » والحاصل أن العالم العامل في منزلة النبيين
وإذا انضم إليه التعليم فهو في مرتبة المرسلين (فورد) في ذم ترك العمل (كبر مقتاً
عند الله الآية) والمقت أشد الغضب ، تمامها (ان تقولوا ما لا تفعلون) وفي معناها
(أنامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تننون الكتاب أفلا تعقلون) ؟ وأنشد:
لاتنه عن خلق وتأت مثله ه عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اعلم أنه كثر في التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد
يكون الباعث على ذلك اختصار ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف
على أواخرها وهو محفوظ ومعروف عند أهلها فيذكر صدرها ويشير إلى آخرها
بقوله الآية . ونحوها أما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع
بتقدير مبتدأ أو خبر كالمورد والمروى والجر على تقدير إلى آخر الآية وأمثالها (أشد
الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) أي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله
نفع غيره ان احتاج إلى علمه ، والحديث رواه الطبراني في الصغير . وابن عدي في الكامل .
والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ، وورد « ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات » (والاحتراز) أي وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن
الفتوى) اذالم يتعين لها (لعدم قيامهم) أي الصحابة (بها إلا بضعة عشر) بكسر
الموحدة ما بين الثلاث إلى التسع ، وكان قبض عليه السلام عن مائة ألف وأربع وعشرين
ألفاً من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من أهل التقوى (وورد لا يفتى إلا أمير
أو مأمور أو متكلف) الطبراني عن عبادة بن الصامت ، وعن عوف بن مالك أيضاً فالأمير
هو الإمام وقد كانوا هم المفتون ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف

وَالِاسْتِبْصَارُ فَوْرَدَ « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ »

تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر ، وعن حذيفة
 « انما يفتى أحد ثلاثة من عرف الناس والمنسوخ أو رجل ولي سلطان فلا يجذبهم
 ذلك أو متكلف » ابن عساكر ، قال الحجة : وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى
 يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
 الآخرة ، وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو
 غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصده الا طلب الجاه والمال ، وعن أبي حصين قال :
 ان أحدهم ليفتى في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر ابن عساكر ،
 وعن ابن سيرين ان عمر قال لأبي موسى : اما بلغني أنك تفتي الناس ولست بأمر قال : بلى
 قال فول حارها من تولى قارها (١) عبد الرزاق ، والدينوري في المجالسة . وابن عبد البر في العلم .
 وابن عساكر ، وعن عبد الله بن بشير أن علي بن أبي طالب سئل عن مسألة ؟ فقال : لا علم
 لي بها ثم قال : وأبردها على الكبد سئلت عما لم أعلم فقلت : لا أعلم رواه سعدان
 ابن نصر ، وسئل مالك عن أربعة من مسألة فقال في ست وثلاثين : لا أدري ، ومن
 يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمع مع نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ، وعن أبي يوسف
 سمعت أبا حنيفة يقول : لو لا الخوف من الله تعالى ما افتيت أحد السكون الهنا لهم والوزر
 علينا ، وسئل عن مسألة فقال : سلوا مولاى الحسن ، وذكر الكردي منه وناهيك
 عن نهى الفتوى قوله عليه السلام : « اجروكم على الفتيا أجروكم على النار » رواه الدارمي
 عن أبي عبد الله بن أبي جعفر مرسلًا « والاستبصار » أى وحق علم المعاملة بعد فتوى
 المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار . وأخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال
 بالنظر من بين اخیار « فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون » أحمد من حديث
 وابصة . ويؤيده حديث « دعه ما يريك الى ما لا يريك » الترمذي وصححه . والنسائي .
 وابن حبان من حديث الحسن بن علي ، وحديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى
 يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » الترمذي وحسنه . وابن ماجه . والحاكم وصححه
 اسناده من حديث عطية السعدي ، وحديث « الاثم حواز القلوب » البيهقي في شعب
 الايمان من حديث ابن مسعود ، وهو بتشديد الزاي جمع حازة وهي الأمور التي تحز فيها أى

(١) القار بالقاف البرد فجعل الحر كناية عن الشر والشدة والبرد كناية عن الخير واللين ،

والمضي ول شرها من تولى خيرها وول شديدها من تولى هيئها

وَلَا نَ الْمُقَلِّدَ وَعَاءُ الْعِلْمِ ، وَالشَّفَقَةَ فِي التَّعْلِيمِ فَوَرَدَانَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَاهُ

تؤثر كما يؤثر الحز والحكم في الشيء وهو ما يخطر فيهما من المعاصي لفقد الطمأنينة اليها، ويروى بتشديد الواو أى يحوزها أو يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزاءين الأولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما أشار إليه بقوله : ((ولان المقلد وعاء العلم)) عطف على فوردلانه في معنى التعليل ، والمعنى ان الذى يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم أى ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية ، ومن هنا قال أبو حنيفة . وغيره : لا يحل لاحد أن يقول بقول لنا ما لم يعلم من أين قلنا ((والشفقة في التعليم)) أى ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم ((فورداننا لكم مثل الوالد لولده)) أبو داود . والنسائي . وابن ماجه : وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وقال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وفي قراءة شاذة (وهو أب لهم) بل هو أفضل وأكمل من الوالدين منهم (١) فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد (٢) سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الآخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم (٣) الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء . وأبناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه ، والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق ، والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والتوافق (٤) في طريقه الأعلى ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذا لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا تنفك عن ضيق التزاحم ، والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) وداخلون في مقتضى قوله سبحانه : (الأخلاء

(١) سقط لفظ منهم من النسخة المطبوعة (١) في النسخة المطبوعة «فان الولد» وهو غلط (٢) في بعض النسخ مقصودهم وما هنا يناسب ما سيأتى بعد (٣) في بعض النسخ والترافق وما هنا أولى ليناسب ما قبله

فَلَا يَضُنُّ فُورِدَ « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » إِلَّا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فُورِدَ
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ » وَالتَّعْرِضُ بِالْمَنْعِ أَبْقَاءَ لِلْهِبَةِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ ،

يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام :
« لَا يَأْثُمُ مِنْ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ ، يَحِبُّ لِنَفْسِهِ » (فلا يَضُنُّ) بفتح الضاد وكسرهما
نقيا أو نهيا أى فلا يبخل على أحد بعلمه لان العلم لا يحل منه (فُورِدَ مِنْ كَتَمَ عِلْمًا أُلْجِمَ
بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة (الا) استثناء من قوله فلا
يَضُنُّ أى فلا يبخل بالعلم الا (عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ) وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه
ونحوه (فُورِدَ لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ) رواه ابن النجار عن أنس ولفظه
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْخَنَازِيرِ » وقال عيسى عليه السلام : لَا تَعْلَقُوا الْجَوَاهِرَ فِي
أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ الْجَوْهَرِ ، وَمَنْ كَرِهَهَا فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ ، وَقَالَ
أَيْضًا : لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتُظْلَمُ وَهِيَ لَا تَمْنَعُهَا أَهْلُهَا فَتُظْلَمُ وَهُمْ وَكُنُوا
كَالطَّبِيبِ الرَّفِيقِ يَضَعُ الدَّوَاءَ فِي مَوْضِعِ الدَّاءِ ، وَفِي لَفْظِ آخِرٍ مِنْ وَضَعِ الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ
أَهْلِهَا فَقَدْ جَهَلَ وَمَنْ مَنَعَهَا أَهْلَهَا فَقَدْ ظَلَمَ إِنَّ لِلْحِكْمَةِ حَقًّا وَإِنْ لَهَا أَهْلًا فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ
حَقَّهُ وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يَجِبْ فَقَالَ السَّائِلُ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجِمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » فَقَالَ : أَتَرَكُ اللَّجَامَ وَآذِهُبُ
فَإِنْ جَاءَ مَنْ يَفْقَهُ فَكُتِمَتْهُ فَلْيَلْجِئْنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) فِيهِ تَنْبِيهُ
نَبِيهِ عَلَى أَنْ حَفِظَ الْعِلْمَ مِنْ يَفْسَدِهِ وَيُضِرُّهُ أَوْلَى وَلَيْسَ الظُّلْمُ فِي إعْطَاءِ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ بِأَقْلٍ مِنَ
الظُّلْمِ فِي مَنَعِ الْمُسْتَحَقِّ :

فَمَنْ مَنَعَ الْجَهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ • وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ
(وَالتَّعْرِضُ) أى لا التصريح (بِالْمَنْعِ أَبْقَاءَ لِلْهِبَةِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ) أى فى المنع
كما ورد فى الحديث المأثور ، والمعنى ان من حقوق المعلم أن يزجر المتعلم بالتعريض
إذا وقع منه تقصير وقلة أدب فى القول أو الفعل حال تقرير ولا يصرح ما أمكن
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث
الجرأة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جرير مرسلًا انه عليه السلام بينما هو
يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه
السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال : يَا فُلَانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْمَعَ الْيَوْمَ مَعَنَا فَقَالَ :

وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى قَدْرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ « أُمِرْنَا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ،
وَقَطَعَ الطَّمَعُ فَوَرَدَ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) وَنِيَّةُ الْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ

يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنِي قَدْ جَمَعْتُ مَعَكُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوَلَمْ أَرْكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ فَعَرَضَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَنْعِ عَنِ التَّخَطُّي بِأَنَّهُ يَحْبِطُ أَجْرَ عَمَلِهِ وَلَمْ يَصْرَحْ لَهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَمَالَةِ
النَّفُوسِ الذَّكِيَّةِ وَالْأَذْهَانِ الْبَهِيَّةِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي الْخَفِيَّةِ فَيَفِيدُ فَرَحَ التَّفْطَنِ رَغْبَةً
فِي الْعَمَلِ بِهِ بِخِلَافِ التَّصْرِيحِ فَأَنَّهُ رُبَّمَا يُوَقِّعُهُ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى الْقَبِيحِ ، فَقَدَرُوا لَوْ مَنَعَ
النَّاسَ عَنْ فَتَنِ الْبَعْرِ لَفَتَوْهُ وَقَالُوا : مَا نَهَيْتَنَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ يُطْلَبُ ، وَقَدْ قِيلَ : الْإِنْسَانُ
حَرِيصٌ عَلَى مَا مَنَعَ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً : (مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) ﴿ وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى قَدْرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ
أَمْرُنَا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ﴾ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِإِظْفَارِ « أَنْزَلُوا
النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ « نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَمْرُنَا أَنْ نَنْزِلَ النَّاسَ
مَنَازِلَهُمْ » وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ « كُلُّوْا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا تَنْسَكِرُونَ » الْبُخَارِيُّ
مَوْقُوفًا عَلَى عَلِيٍّ ، وَرَفَعَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدِّبْلِيُّ فِي مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَعِيمٍ ، وَيَقْوِيهِ
حَدِيثُ « مَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا يَفْهَمُونَهُ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » الْعَقِيلِيُّ فِي
الضَّعْفَاءِ . وَابْنُ السَّنِيِّ . وَابُو نَعِيمٍ فِي الرِّيَاضَةِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ ،
وَالْمُسْلِمُ فِي مَقْدَمَةِ صَحِيحِهِ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ « مَا أَحَدٌ يَحْدُثُ قَوْمًا
بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ » وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
« لَا تَحْدُثُوا أُمَّتِي مِنْ أَحَادِيثِ الْإِسْلَامِ تَحْمِلُهَا عُقُولُهُمْ » وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا
تَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْبُخَارِيُّ ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا النَّاسُ تَحْبُونَ
أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا تَنْسَكِرُونَ الْخَطِيبُ ، وَفِي
رِوَايَةٍ عَنْهُ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ أَنَّ هُنَا لَعْلُوَ مَا جَمَعْتُ لَوْ وَجَدْتُ لَهَا حِمْلَةً ، وَلَقَدْ صَدَّقَ قُلُوبَ
الْأَبْرَارِ قُبُورَ الْإِسْرَارِ ﴿ وَقَطَعَ الطَّمَعُ ﴾ أَيُّ عَنِ الْخَلْقِ خُصُوصًا عَنِ التَّلْمِيزِ وَهُوَ
سَكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَنْفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ ﴿ فَوَرَدَ ﴾ أَيُّ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ تَمَامُهَا (أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَلَئِنْ فَسَادَ الدِّينِ الطَّمَعُ كَمَا أَنَّ
صَلَاحَ الدِّينِ الْوَرَعُ عَلَى مَا رَوَى عَنْ الْحَسَنِ ﴿ وَنِيَّةُ الْعَمَلِ ﴾ بِنَفْسِهِ ﴿ وَالتَّعْلِيمُ ﴾
لِغَيْرِهِ فِي التَّعْلِيمِ أَيُّ لِقَاصِدِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَعْوَاضِ السَّكَاسِدَةِ ،

فورد «من تعلم للمباهاة أو المماراة أو لصرف وجوه الناس فهو في النار»
والانقطاع لشغل العلائق والتعلق فورد «ليس من أخلاق المؤمن
التعلق إلا في طلب العلم» والتسليم لهلاك مريض لا يسلم للطبيب
والحضور للانتفاع فورد (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)

وهذا من حقوق تجنب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) أي للمفاخرة (أو
المماراة) أي المجادلة (أو لصرف وجوه الناس) أي إليه تعظيما وتكريما (فهو
في النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ، ولفظه «لا تعلموا العلم لباهوا
به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار»
وفي رواية لابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ «من تعلم العلم لياهي به العلماء أو يمارى به
السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم» وفي رواية لأبي داود عنه «من
تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» وفي رواية
الترمذي عن كعب بن مالك بلفظ «من تعلم العلم ليمارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء
أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار» وقد كثرت طرقه بحيث كاد أن يكون متواترا
(والانقطاع) عن سائر الأمور التي فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق) أي العوائق
بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ، ويشير إليه قوله تعالى : (وتبتل إليه تبتيلا) أي
انقطع إليه واعتمد عليه واقتصد بالحضور لديه ولقوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه) وقال بعضهم : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك
فانت من أعطائه اياك بعضه على خطر (والتعلق) هو الافراط في التواضع والتذلل
(فورد ليس من أخلاق المؤمن التعلق إلا في طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) أي
تسليم المتعلم للمعلم لأن العالم الرباني يربي المتعلم بصغار العلم قبل كباره ، ولقوله
(لهلاك مريض لا يسلم) أي أمره (للطبيب) أي فيما يحتميه وفيما يعينه (والحضور
للانتفاع) أي ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع في مقام
الكسب (فورد) أي في قوله تعالى : (ان في ذلك) أي فيما سبق من أول سورة ق أو في
القرآن (لذكرى) أي تذكرة أو منفعة وموعظة (لمن كان له قلب) أي حاضر وتمام

وَتَرَكُ الْأَسْتِكْافَ لِأَنَّهُ تَكْبَرٌ. وَالْقِيَاسُ لِاسْتِبْدَالِهِ الْحُضُورَ بِالنَّوَافِلِ
وَإِحَالَةَ الْبَحْرِ النَّجَاسَةِ مَاءِ أَدُونِ الْكُوزِ، وَتَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَيَدَأُ بِفَرْضِ الْعَيْنِ وَهُوَ
عِلْمٌ مَا يَجِبُ مِنْ اعْتِقَادٍ وَفِعْلٍ وَتَرَكِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ثُمَّ عِلْمُ الْآخِرَةِ فَهُوَ الْمُقَرَّبُ
إِلَيْهِ تَعَالَى ۝

الآية (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي بجميع حواسه ((وترك الاستكاف)) أي الأنفة عن
طلب أو المطلوب منه فإن العلم يوثق ولا يأتي ((لأنه تكبر)) أي بغير حق وقد قال تعالى:
(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن
يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) ((والقياس)) أي
ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى في كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة ((لاستبداله))
أي لاختيار المنتهى ((الحضور)) أي مع الله ((بالنوافل)) إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن
وتسكن الجوارح إلا عن روائب الفرائض فيترأى الناظر أنه كسل وبطالة وإهمال وغفلة
وهيئات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور مع الرب ((واحالة البحر))
أي ولتغيره ((النجاسة ماء دون الكوز)) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلا يقاس
الملوك بالحدادين، ومن هنا قال بعض المشايخ: من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني
في النهاية صار زنديقا ((وتقديم الأهم)) أي من العلوم تعلما وتعلما ((فيدأ بفرض
العين)) أي المتعين على كل أحد ((وهو علم ما يجب من اعتقاد)) أي اجمالا أو تفصيلا
تقليدا أو تحقيقا كما بيته في شرح الفقه الأكبر تدقيقا ((وفعل)) أي عمل من صلاة
وصوم ونحوهما ((وترك)) أي من قتل نفس وشرب خمر وأمثالهما ومحلها كتب
الفقه ((ظاهرا)) وهو ظاهر ((وباطنا)) كترك إرادة المعصية ((ثم علم الآخرة)) أي
معرفة تفاصيل أحوالها ومواقفها وأحوالها أو علم لا ينفع إلا في الآخرة وآمالها، والمراد
به علم التصوف وتحسين الأخلاق الباطنية وتزيين الأحوال السرية ((فهو المقرب إليه
تعالى)) أي ظاهرا وباطنا بخلاف غيره إذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من
أنواع التقصير. وأصناف التكدير. من الرياء والسمعة والعجب والغرور في التقرير
والتحريير، ومن هنا قال الإمام مالك: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف
ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقال بعض العارفين: من لم يكن له

فصيب من هذا العلم أخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به والتسليم
لأهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر، وقيل
من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فأقل عقوبة من
ينكره ان لا يرزق منه شيئا وأنشد :

وارض لمن غاب عنك غيبته ۞ فذاك ذنب عقابه فيه

هذا ومجمل ما يجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد في مقام الاستفادة
ان تعلم ان لك إلهًا عالمًا قادرًا حيا مريدا متكلمًا سميعًا بصيرا واحدا أحدا فردا
صمدا لا شريك له ابدًا ولا ضده ولا ند ولا شبه ليس كمثل شيء لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا أحد، متصف بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو
ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام، منزها عن الحدوث متفردا
بالقدم خالقا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم واراادته وعلوه مقدسان عن كل نقص
وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا تتضمنه
الامكنة والجهات ولا تمر عليه الأزمنة والساعات ولا تحمل له الحوادث والعاهات، وان
محمدًا عبده ورسوله وخليله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق
المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من أمر الآخرة وغرائب
شأنه، ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من أن الله سبحانه يرى في الآخرة لأنه
موجود لكنه غير محدود، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة
ولا باصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب
بأيدينا ملحوظ بأعيننا، ونعتقد أيضا أن لا يقع في الملك والملاكوت فاته خاطر ولا لفة
ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق ارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر
والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره
وهو العبادۃ، ثم من أثابه فهو بفضلته ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل وهم
يسألون، ونعتقد جميع ما ثبت بالسنة من أمور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان ۞ فهذه أصول الايمان درج
السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضی الله عنهم أجمعين على اعتقادها والتمسك بها
ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدوا لاهواء ۞ وقال الحجة: علم الآخرة ينقسم
الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى
ولست أعنى بالمعرفة الاعتقاد الذي تلقنه العامي رواية بل ذلك نوع يقين من ذراية

فَإِذَا فَرَغَ عَنِ الْقِيَامِ بِفَرْضِ الْعَيْنِ عِلْمًا وَعَمَلًا سَأَغْ أَنْ يَشْرَعَ فِي فُرُوضِ
الْكَفَايَةِ كَالْتَفْسِيرِ . وَالْأَخْبَارِ . وَالْفَتَاوَى غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ إِلَى النُّوَادِرِ *

هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان أبى بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق ومن أهم المهمات معرفة الواجبات ليستسبها والسيئات ليجنبها اذ كيف تقوم الطاعات ولا تعرف ما هي أو كيف يفعلها مع وجود الملاهي أم كيف يجتنب المعاصي من غير أن يعرف أنها من المناهي فيجب عليك أن تحكم أحكام الشرع من الاصل والفرع فربما أنت مقيم على كفر وبدعة أو على غفلة مما يفسد عليك طهارتك أو صلاتك أو يخرجك عنها عن كونها على وفق السنة، ثم مدار هذا الشأن أيضا على العبادات الباطنة التي هي من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضا والقضاء والتوبة والاناة والصبر والشكر والاخلاص في النية ونحوها مما سيجي ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المماصى الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الأمل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتى بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شأنها ويكون منعوته بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم، فقد قال تعالى: (قُوا كَلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) (واصبروا ان الله مع الصابرين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلاة فما بالك أقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد في كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها، وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) أى فعلا وتركا (سأغ أن يشرع في فروض الكفاية كالتفسير) أى وما يتعاق به من علم القراءة وأسباب النزول ومعرفة النسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو (والاخبار) أى الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر أحوالها (والفتاوى) أى فروع الفقه وأصوله (غيره متجاوز الى النوادر) أى كما نقل عن السلف

وَلَا مُسْتَغْرِقٌ مُشْتَغَلٌ عَنِ الْمَقْصُودِ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْوَاقِعِ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ
فِي الْمُنَاطَرَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ ، وَاخْتِيَارُ الْخُلُوةِ لِقُرْبِهَا إِلَى جَمْعِ الْهَمَّةِ وَصَفَاءِ الْفِكْرَةِ
وَالْبَعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ هـ

الأ كابر فيكفيك من التفسير ووجيز الواحدى أو الجلاين، ووسطه المدارك أو المعالم
ونهايته الدر المشور في التفسير المأثور، ومن الحديث يكفيك ما فى الصحيحين والتوسط
منه نحو المشكاة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ
السيوطى، واما الاستغراق فى علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر
قصير ((ولا مستغرق)) أى بكليته فى فرض الكفاية وهى كما قال الحجة: كل علم لا يستغنى
عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان. و كالحساب فانه
ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال: ولا يتعجب من قولنا:
ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان أصول الصناعات كذلك كالزراعة
والحياكة والسياسة بل الخجامة وهى أخس الصنائع فانه لو خلا بلد عن الخجامين
لسارع الهلاك اليهم ولخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل
الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله،
قلت: «أغرب من هذا ان صنعة السراياتة أيضا من فروض الكفاية ((مشغل عن
المقصود)) أى الذى هو الحضور بين يدي المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود فقد قال
الطحاوى: حدثنا ابن أبى عمر ان قال: حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال: سمعت اسماعيل
ابن حماد بن أبى حنيفة يقول: قال محمد بن الحسن: كنت آتى عند داود الطائى فاستله عن
مسألة: فان وقع فى قلبه انها مما احتاج اليه لا مردنى اجابني عنها وان وقع فى قلبه انها على
خلاف ذلك تبسم فى وجهي وقال: ان لنا شغلا ((والاقتصار)) أى ومن حقوق علم المعاملة
الاقتصار ((على الواقع)) أى من القضايا ((والقريب منه)) أى من الواقع فى البلايا
((والمناظرة)) أى بطريق المشاورة ((فهو المأثور)) أى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا
ولا تشاوروا الا فى مسألة واقعة أو قرية الوقوع غالباً ((واختيار الخلو)) أى للمناظرة
((لقرّبها الى جمع الهمة و صفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب)) لان فى حضور الجمع
ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه، محققا كان أو مبطلا

وَسَبِيلُ التَّشَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ فَيَجِيزُ الْإِتِّقَالَ عَنْ دَلِيلٍ وَإِشْكَالٍ
وَلَا يَدَّعِي عِلْمَ مَجْهُولٍ وَلَا يَسْكُتُ عَنْ مَعْلُومٍ زَائِعًا أَنَّهُ عَالِمٌ بَعْدَ لُزُومِ الذِّكْرِ فَهِيَ
قَوَاعِدُ مُحَدَّثَةٌ جَاذِبَةٌ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ يَحْرُمُ التَّمَسُّكُ بِهَا وَيُشْكُرُ لِلْمَصِيبِ وَيَعْتَرَفُ بِالْخَطَا

(وسبيل التشاور) أي واختياره لقوله عز وجل : (وأمرهم شورى بينهم)
والحديث « ماخاب [من استخار ولا ندم] (١) من استشار » (والتعاون) لقوله
تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (فهو المأثور) لا على سبيل المراء والخصومة
والرياء (فيجوز الانتقال) أي فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن
دليل وإشكال) أي إلى دليل آخر وإشكال أظهر بان اعتقد أولا أنه دليل وإشكال
قبل المشورة والتعاون فلم بعد همانه غير دليل وإشكال فينتقل (ولا يدعي علم
مجهول) كما إذا قال أحد المناظرين هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح فاذكره
فيصر المعتبر ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمني ذكره
ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وأما يدعي تعجيز الخصمه
فهو فاسق كذاب نصي الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول، أو قوله صدق
فقد فسق باخفاء ما عرفه من أمر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما
لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قد وجب عليه وهذا
معنى قوله (ولا يسكت عن معلوم زاعما) أي مدعيا (انه عالم بمد) أي بعد سؤال
المناظرة و (لزوم الذكر) كما هو شأن المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بملة يظنها
فيقال له : ما الدليل على ان الحكم في الاصل (٢) معلل بهذه العلة فيقول : هذا ما ظهر
لي فان ظهر لك ما هو أوضح وأولى فاذكره إلى آخر ما سبق (فهي) أي المذكورات
من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت (قواعد محدثة) أي اصطلاحات مبتدعة
مستقبحة (جاذبة إلى المهلكات) من الحسد والتكبر وكتمان الحق وأذى المسلم وغير
ذلك (يحرم التمسك بها) أي ويجب العمل بخلافها (ويشكر) أي المناظر (للمصيب
ويعترف بالخطأ) فعن محمد بن كعب قال : سأل رجل عليا عن مسألة فقال فيها فقال
الرجل : ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال علي : أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم

(١) الزيادة من الجامع الصغير ، والحديث رواه الطبراني في الاوسط بزيادة في آخره « ولا عال من
اقتصد » وسنده ضعيف (٢) وفي بعض النسخ الخطية في الدليل

وَلَا يَهْتَمُّ بِهِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ لِأَنَّهُ مُنْشَدُ ضَالَّةٍ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهَا مِنْهُ
أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَقْدُمُ أَفْحَامُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لَشِدَّةِ مُعَادَاتِهِمَا،

أخرج ابن جرير . وابن عبد البر ، وقد ثبت أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته
على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال : أصابت امرأة واخطأ رجل ،
واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري فقال أبو موسى الأشعري : لا تسألوني
عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله
فقتل فقال : هو في الجنة وكان اذذاك أمير الكوفة فقال ابن مسعود : أعدده على الأمير
فعله لم يفهم فاعادوا عليه وأعاد الجواب وقال ابن مسعود : وأنا أقول : أن قتل قاصب
الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى : الحق ما قال ودمكذا يكون انصاف طالب الحق
ولو ذكر مثل هذا لقل فقيه لانكره واستبعده وقال : لا يحتاج إلى أن يقال أنه أصاب الحق
فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدكم إذا
اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجادته باقصى قدرته
وكيف يذم من ألحقه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحاب في تعاونهم على
النظر في الحق (ولا يهتم به) أي برأيه الخطأ لأن هذا شأن الاجتهاد ولأنه إذا أصاب
فله أجران وإذا اخطأ فله أجر فلا يخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) أي المنقول عن
الجمهور قبل : ولا يقدر على هذه الثلاثة إلا العالم الرباني أو الولي الصمداني و (لانه) دليل
آخر لعدم الاهتمام أي ولأن المناظر إذا كان طالب حق (منشدة ضالة فلا فرق بين ظهورها
منه أو من غيره) كما يشير إليه قوله عليه السلام : الكلمة الضالة المؤمن فحيث
وجدتها فهاحق بها ، أخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا (ويقدم) أي المناظر
قبل البحث (افحام النفس) أي اسكات نفسه والزامها بأن يحكم عليها بأنها إمارة
بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (لشدة معاداتهما) قال تعالى : (إن الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقال عليه السلام : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » (١)
ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه فلا يزال يدعو إلى هلاكه
ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل (٢) المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر

(١) رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف وذكره الجوزي في كتابه بانظار أعدى أعدائك الخ (٢) في

وَالْتَمَسْكَ فِي الْأُصُولِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ
اعْتِرَاضِ خَاطِرٍ أَوْ نَازِلٍ لَا عِتْصَامَهَا عَنِ الْهَوَى وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَتَأْيِيدُ
الْإِعْتِقَادِ بِالْمُعَامَلَةِ فَهُوَ طَرِيقُ الْمُكَاشَفَةِ وَأَدَلَّةُ الْقُرْآنِ فِيهَا كَانُوا يُحَاجُّونَ
وَيَقَاتِلُونَ مَنْ لَمْ يَقْنَعَهُ فَلَا بَيَانَ بَعْدَ بَيَانِهِ،

فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين في حزب الرحمن والله المستعان ، هذا وقد ورد من
ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة - أى وسطها - ومن ترك المراء وهو محق
بنى الله له بيتا في أعلى الجنة ، الترمذى وحسنه من حديث أنس (والتمسك) عطف
على اختيار الخلوة أى والاعتصام (فى الأصول) أى الاعتقادات (بالكتاب)
إذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) أى المتواترة مبنى أو معنى (والاجماع) أى
اجماع الأمة واتفاق الأئمة (والاعراض عن اعتراض خاطر أو ناظر) أى ومن حق
العلم ان يعرض عما اعترض فى خاطره أو فى قول مناظره إذا كان هذا الاعتراض مخالفا
للادلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى) أى هوى النفس (والوسوسة)
أى وسوسة الشيطان (دون غيرها) أى بخلاف ما عداها من المقاييس العقلية
ونحوها (وتأيد الاعتقاد) أى تقويته وتأييده (بالمعاملة) والمعنى انه إذا علم
واعتقد شيئا واجبا أو سنة أو مندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا
إذا اعتقد شيئا حراما أو مكروها من حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) أى
تأييده بها (طريق المكاشفة) أى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم
بالحدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له أبواب الهداية وما يوصله
الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم
سبلا) وقوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقوله عليه السلام : « من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لا يعلم » (وأدلة القرآن) أى وتأييده بأدلة القرآن خصوصا فانها
قطعية لا محالة ويرجع الاجماع والسنة اليها (فيها) أى بالادلة القرآنية (كانوا) أى السلف
(يحاجون) أى يباحثون من قنعه القرآن (ويقاثلون من لم يقنعه فلا بيان) أى
يوجد (بعد يانه) أى بيان القرآن ، وقد قال تعالى : (هذا بيان للناس) وقال :
(هذا بلاغ للناس) أى كفاية لهم فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وفى الحديث « من

وَصَحْبَةُ الصَّالِحِينَ وَإِصْغَاءُ الْوَعْظِ اللَّيِّنِ وَتَرْكُ مُجَادَلَةِ الْكَلَامِ فَهُوَ صَنَعَةُ جَدَلٍ لِمُعْجِزِ
الْعَامِيِّ الَّذِي يُضَرُّ ضَرْرُهُ لَتَشْوِيشِهِ الْحَقَّ بِيَعَثِ الشُّبْهَةِ وَتَحْرِيكِ الْعَقِيدَةِ
وِإِزَالَةِ الْجَزْمِ وَتَوْكِيدِهِ الْبَاطِلَ بِتَأْيِيدِ الْأَصْرَارِ لِلْعَنْتِ الْجَدَلِيِّ وَحَمْلِ الْأَحْقَامِ
عَلَى قُصُورِ الطَّبَعِ

لم يتغن بالقرآن فلا يس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، و يؤيده قوله تعالى : (اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون)
(وصحبة الصالحين) أى و تأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم نور
الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم ، وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
و كونوا مع الصادقين) (واصغاء الوعظ) أى و تأييده باستماع الوعظ (اللين)
اى المؤثر للقلوب امان الوعاظ أو من كتب الصوفية (و ترك مجادلة الكلام) أى
و تأييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة المنطقيين و الحكماء الخارجيين عن دائرة الاسلام
(فهو صنعة جدل) بفتح فكسر أى مجادل أو بفتححتين فان المجادلة مرأه يتعلق
بإظهار المذاهب وهو يعرف بكرأهه اصابة الخصم و ارادة خطئه و اظهار فضل
النفس وهو موضوع (لتعجيز العامى الذى يضر) بصيغة المجهول (ضرره)
أى يضر الجدل مثل ضرر العامى و ضرر العامى خلال اعتقاده بواسطة المناظرة بأنه
يقع فى خاطره ان العلماء لما يترددون فى المسألة كيف نعتقدها على طريق الجزم و هذا
معنى قوله (لتشويشه الحق ببعث الشبهة و تحريك العقيدة و ازالة الجزم) فهذا
ضرره بالنسبة الى العامى و اما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله (و توكيده) عطف
على تعجيزه أى فهو صنعة جدل لتأكيده (الباطل بتأييد الاصرار) أى بتقوية
الاستمرار على المجادلة فى الآيات و الاخبار (للعنت الجدلى) أى لطلب زلة من يجادل
فى الآيات و الاخبار معه و مشقته (و حمل الاحكام) أى و بحمل الالتزام (على قصور
الطبع) وذلك لأن المماراة تصير عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا و ينبعث من طبعه
داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن و الفاظ الشرع فىصرف
البعض منها بالبعض ، ولذا ذم الجدل فى الكتاب و السنة فقد ورد « ماضل قوم
بعد هدى كانوا عليه الاوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم

وَمَنْ ثَمَّةٌ تَزْعُزُعُ عَقِيدَةَ الْمُتَكَلِّمِ الْمُشْتَغِلِ بِالنَّظَرِ دُونَ الْعَامِيِّ الْمُتَقَيِّ إِلَّا
فِي عَامِيٍّ أَعْتَقَدَ بَدْعَةً مَسْمُوعَةً وَأَلْفَ الْجَدَلِ حَتَّى لَا يُفِيدَهُ سِوَاهُ فَمِنْ ثَمَّةٍ صَارَ مُبَاحًا

خصمون) الترمذى وابن ماجه من حديث أبى امامة قال الترمذى : حديث حسن صحيح وقال عز وجل : (و كان الانسان أ كثر شىء جدلا) وفي الحديث في معنى قوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون) الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى : (فاحذروهم) متفق عليه من حديث عائشة ، وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل و يفتح لهم باب الجدل ، وفى بعض الاخبار انكم فى زمان اهتمم فيه العمل وسيا تى قوم يلهمون الجدل ذ كره الحجة وقال العراقى لم أجده أصلا وفى الخبر المشهور « أبغض الخلق الى الله تعالى الا لد الخصم » متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام) ومن هنا قيل : اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تلقيه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء (ومن ثمة) بكتب بالناء لثلاث شبة بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلا وهاء وقفا وخلاف ذلك عدم غلط العامة كذا فى غاية التحقيق أى ومن أجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك (تززع) أى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) أى بالادلة النظرية العقلية فقط (دون العامى المتقى) أى المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من أدلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان التبيان وبما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) استثناء من قوله لتعجز العامى الذى يضر ضرره أى الا (فى عامى اعتقد بدعة مسموعة) أى من جماعة مبتدعة (وألف الجدل حتى لا يفيد سواه) والغالب انه لا يفيد بل لا يزيد الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى : (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) فان القرآن كائىل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومى اليه قوله تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) (فمن ثمة) أى من أجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة أو لاقامة الحجة (صار) أى علم المناظرة (مباحا) عند بعضهم

بَلْ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ فِي زَمَانِ الْبَدْعِ صَوْنًا لِلْعَقَائِدِ عَلَى الذِّكْرِ
 الْفَصِيحِ الْمَتَدِينِ الْمُتَجَرِّدِ لَهُ لِيَقْدِرَ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّقْرِيرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالِاسْتِكْمَالِ
 لِإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّهُ دَوَاءٌ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ فَهُوَ غِذَاءٌ بِكَلَامٍ وَاضِحٍ
 سَدِيدٍ قَرِيبٍ مِنَ الشَّرْعِ لِيَقْرَبَ مِنَ الْفَهْمِ وَيَبْعَدَ عَنِ وَرُودِ الشُّبْهِ وَالْهَوَى
 وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ التَّعَمُّقِ الْمَشْوَشِ

((بل من فروض الكفاية)) أى عند بعض أرباب الدراية ((فى زمان البدع)) أى أيام ظهور
 أنواع البدعة ((صونا للعقائد)) أى عن تزلزلها فى القواعد وهوانها بما يكون مباحا أو فرض
 كفاية ((على الذكى)) أى الفطن ((الفصيح)) أى القادر على التقرير والتحري ((المتدين))
 المتجرد له ((أى لتحصيله فى هذا الفن)) ليقدر على الفهم ((أى أولا)) (والتقرير) أى التفهيم
 ثانيا ((والثبات على الحق)) أى ثالثا ((والاستكمال لإزالة الشبهة دون العامة)) أى
 لا يباح لعامة الناس أن يخوضوا فى هذا البحر العظيم فإن فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامى
 هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الأمة وسائر الأدلة العقلية والحجج
 النقلية ((لانه)) أى علم النظر ((دواء)) فيحتاج إليه عند الحاجة كالأدوية والعامى ليس
 له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة إليه بل استعماله وبال عليه ((بخلاف
 ما سبق)) أى من الأدلة الثلاثة التى هى الكتاب والسنة واجماع الأمة ((فهو غذاء)) أى
 فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامى منها فقد قال فتح الموصلى : أليس المريض اذا منع
 الطعام والشراب والدواء يموت ؟ فقالوا : بلى فقال : فكذا القلب اذا منع عنه الحكمة
 والعلم ثلاثة أيام يموت ، وأما دقائق المعتقدات وحقائق المختلفات فيستغنى عنه العامى
 حتى لو مات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث الى
 غير ذلك ففقد مات على الاسلام اجماعا ((بكلام واضح)) أى هو من فروض الكفاية
 على الذكى الفصيح بكلام ظاهر ((سديد)) أى مسدد باهر ((قريب من الشرع ليقرب))
 أى ذلك الكلام ((من الفهم)) أى الذى يقتضيه الطبع ((ويبعد عن ورود الشبهة والهوى))
 أى هوى النفس أو هوى البدعة ((والوسوسة)) أى الناشئة من النفس والشيطان ((دون
 التعمق المشوش)) أى ولا يباح لمن ينظر فى علم النظر أن يتعمق فيه بحيث يشوش عليه

والتَّجَاوُزِ إِلَى هَذَيَانَاتٍ اخْتَرَعَهَا الْمُبْتَدِعَةُ

ما يعنيه (والتجاوز) أى دون التعدى (الى هذيانات) أى وترهات تؤذى بها الطبائع وتمجها الاسماع (اختراعها المبتدعة) أى من الخوارج والروافض والمعتزلة، ثم اعلم أن المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاء فى تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على أن علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعلم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين العقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته اللازمة لديه، فمن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خيره من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، وذكر فى غياث المقتى عن أبى يوسف أنه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوزها خلف المبتدع وكان أبو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روى عن أبى يوسف أنه قال: كنا جلوسا عند أبى حنيفة اذ دخل جماعة فى أيديهم رجلان فقالوا: ان أحد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق قال: لا تصلوا خلفهما فقلت: اما الاول فنعم فانه لا يقول بقديم القرآن واما الآخر فباباله لا يصلى خلفه فقال: انهما ينازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة، ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو يسمى بدهليز الكفر فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جعلها علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ومنها علم النجوم فقد ورد «تعلوا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم اتوا» ابن مردويه. والدارقطنى عن ابن عمر «رب معلم حروف أبى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة» الطبرانى عن ابن عباس «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس «مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره» الديلمى عن أبى هريرة، وعن الربيع بن سبرة الجهنى قال لما غزا عمر وأراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما أراد ان يدلج نظرت فاذا القمر

في الدبران فاردت أن أذكر ذلك لعمر فعرفت أنه يكره ذكر النجوم فقلت له: يا أبا حفص انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلة فنظر فإذا هو في الدبران فقال قد عرفت ما تريد ابن - برة تقول: أن القمر في الدبران والله ما يخرج شمس ولا قمر إلا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر، وعن عبد الله بن عوف بن الاحمر أن مسافر بن عوف بن الاحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان يا أمير المؤمنين لا أسر في هذه الساعة وسرفي ثلاث ساعات يمضين من النهار قال علي: ولم؟ قال: لأنك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال علي: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: ان حسبت علمت قال: من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله تعالى: (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ما كان محمد ﷺ يدعى ما ادعيت عليه تزعم أنك تهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليكَ الأمر دون الله وبه لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس يا أيهاكم وكم وكم وتعلم هذه النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لا خلد لك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرم لك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان فقتلهم ثم قال: لو سرنّا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي أمر بها المنجم ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ما سواه الحارث والخطيب، وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يا علي لا تجالس أصحاب النجوم الخرائطي في مساوي الأخلاق والدليلي * ومنها علم الرمل والقال ولو من المصحف فإنه من قبيل الأزام المنصوص في القرآن أنه من الحرام، وعن معاوية بن الحكم مرفوعا «كان نبي من الأنبياء يخط فمز وفاق خطه فذاك، أحمد ومسلم وأبو داود، ومنها علم النسب والتوغل في الصرف والنحو ونحوهما فعن أبي هريرة مرفوعا «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتهموا وتعلموا من العرية

ما تعرفون به كتاب الله ثم اتهموا البيهقي، وعن أبي هريرة مرفوعاً علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ابن عبد البر، وعن ابن عباس مرفوعاً كذب النسابون قال الله تعالى: (وقرونا بين ذلك كثيراً) ابن سعد وابن عساكر، وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس، وأبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا: أعلم الناس بالنساب العرب وبالشعر وبما يختلف فيه العرب فقال النبي ﷺ: هذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر، الديلمي، ومنها علم الطلسمات وعلم الشجيرة والتليسات كالكيمياء والسيمياء وأما المباح فالعلم بالأشعار التي لا سخر فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها، ومنها الشطحيات وهي الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد من العينية والحلول وغيرهما من أنواع الاتحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشاهدة بالخطاب فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الخلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق، وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحان سبحاني: وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا: إن هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله أفضل في دين الله من أحياء عشرة، وأما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول: اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى فانه كان ينبغى أن يفهم ذلك منه انه على سبيل الحكاية كذا في الأحياء، ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على أنواع من كفریات صريحة التي ليس لها تأويلات صحيحة، وقد قال ابن المقرئ في الارشاد: ان طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى، وقد عملت في هذه المسألة رسالة مستقلة، وقد حرم بعض فقهاءنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال، وكذا ينبغى الاحتراز عن

مواضع في البيضاوي تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق الأشياء ومنها الطامات وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان ألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضا من البدعة الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ، ومثل تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى) اشارة الى قلبه ، وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفي قوله : (وان ألق عصاك) الى كل ما يتوكلأ عليه وما يعتمد عليه مما سوى الله فينبغى ان يلقى ، وفي قوله عليه السلام : « تسحروا فان في السحور بركة » أراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى تحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتزويل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كما في جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام في السحركما في البخارى ويقول : « تسحروا واهلموا الى الغذاء المبارك » كما رواه أبو داود وغيره ، فمذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام في الترمذى وسننه « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » معنى الالهذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية أو نقلية أو لغوية ، ولا ينبغى أن يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر

وَفِي الْفُرُوعِ بِالْجَمْعِ عَلَيْهِ ثُمَّ الْأَحْوَطُ ثُمَّ الْأَوْثَقُ دَلِيلًا ثُمَّ قَوْلٍ مَنْ
ظَنَّ أَنَّهُ أَفْضَلُ

القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان
وستة وسبعة وأكثر ونعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها
قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ، ولذا
قال عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» كما رواه أحمد وابن حبان
والجاءكم وقال صحيح الاسناد ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع
علمه بانه غير مراده بالالفاظ و يزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي
من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هو في نفسه حق
ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يرى أنها حق حديثا عن رسول الله
ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام في الصحيحين
«من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» بل الشر في تأويلات هذه الالفاظ
اطم وأعظم لانها مبطله للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن
بالكلية ، وأما اذا أورد الالفاظ والمباني على مراد الشرع من المعاني بحسب
العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك
نور على نور وجمع بين بطون وظهور : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)
(وفي الفروع) عطف على في الأصول أي ومن حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى
بالفقه (بالجمع عليه) أي ان وجد اجماعا أو بالمتفق عليه بين الأربعة مثل تعجل صلاة
المغرب (ثم الاحوط) كسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب
بالاجماع ، وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره أو لمس امرأة يتوضأ ، واذا كان شافعيا
لا يتوضأ من القلتين واذا رعف أو اقتصد أو فعل نحوه يتوضأ ، وهذه الطريقة السنية
طريقة الصوفية حتى قيل : ان هذا مذهب خامس في القواعد الفقهية (ثم الاوثق)
أي اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلا) كالاسفار بالفجر
دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الأدلة بيننا وبين المخالفين معنا في
شرح النقاية والله ولي الهداية في البداية والنهاية (ثم قول من ظن) أي اذا لم
يكن مجتهدا او لم يظهر له دليل ولا بدله أن يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه
(انه أفضل) وفي مقام الفقه أكمل لأن نفسه حيثئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه

كَأَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ نَافُورِدَ «أَبُو حَنِيفَةَ سِرَاجُ أُمَّتِي» وَسَمِعَ

وتبادر الى امثال امره ونبيه ، وزاد ابن حجر في نسخة أصله قوله والعمل به أكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال ، وكل من أبى حنيفة ومالك والشافعي امتاز باقليم لا يعرف فيه غير أتباعه او يكون فيه أتباعه أكثر كاقليم الحجاز واليمن . ومصر . والشام . وحلب . وعراق العرب . والعجم بالنسبة للشافعي ، وكالعرب على سعة بالنسبة الى مالك ، وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى . ولا يخفى ان المغرب يختص بالامام مالك ، واما ما ذكره من اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في نجد وتوابعه ، وكذا في البصرة وبغداد والحصاء ونواحيها ، وأما شمس علم أبي حنيفة فقد أشرق على الشرق وغلب على فرق أكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجم ربما يكون أضعافا مضاعفة على أتباع مالك . والشافعي وأظن أن الحنفية تكون ثلثي اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثي أهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة أصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روى «عليكم بالسواد الاعظم» والله أعلم ﴿ كأبي حنيفة عندنا ﴾ معشر الحنفية وكغيره من الأئمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم ﴿ فورد ﴾ أي من طرق لكنها كلها واهية ﴿ أبو حنيفة سراج أمتي ﴾ حديث موضوع لما قال الصغاني وغيره بل قال السيوطي : وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لا أصل له نعم أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لو كان العلم عند الثريا لتناولوه رجال من أبناء فارس» قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في أنه هل روى عن الصحابة أم لا كما بينته في شرح مستند الامام ، وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وما يصالح للاستدلال به على عظم شأن أبي حنيفة ما روى عنه ﷺ انه قال : «ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة» ومن ثمة قال شمس الأئمة الكردي : ان هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لأنه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان ، وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ﴿ وسمع ﴾ بصيغة المجهول والمعلوم

فِي الْمَنَامِ أَنَا عِنْدَ عِلْمِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَسَلَّمَ الْمُخَالَفُونَ سَبْقَهُ فِي الْفَقْهِ ۞

﴿ في المنام ﴾ انه عليه السلام قال بعدما قيل : أين أطلبك يا رسول الله ؟ ﴿ انا عند علم أبي حنيفة ﴾ وفي شرح ابن حجر وسمع في المنام الباري تعالى يقول انا عند علم أبي حنيفة أى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفي الآخذين به ﴿ وسلم المخالفون ﴾ كمالك. والشافعي وغيرهما ﴿ سبقه في الفقه ﴾ أى غلبته في هذا الفن أصولا وفروعا فقد قال الشافعي قبل مالك : هل رأيت أبا حنيفة قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهابا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة في بلاغة الامام وبيان المرام في جميع المقام، وقال الشافعي : الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه وفي رواية عنه من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، وقال أيضا : من أراد أن يعرف الفقه فليزِم أبا حنيفة وأصحابه ذكره ابن حجر، وذكر أيضا أن الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية أن الركعتين كانتا الصبح وأنه لم يقنت فقيل له في ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد، وقال النصر بن اسمعيل كان الناس ينامون عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة، ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور : هذا عالم الدنيا فقال له المنصور : عن أخذ العلم؟ قال عن أصحاب عمر وعن أصحاب علي وعن أصحاب ابن مسعود فقال له المنصور : لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وعن أصحابه أخذنا بعض أقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائيني باسناده الى علي بن المديني وهو من اساتذة البخاري وهو الذي طعن في حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر : ما أعرف أحدا بعد الحسن أي البصري يتكلم في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة ، ومجمل الكلام في مرام هذا المقام أن تقليد الافضل أفضل باتفاق العلماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم في الاستنباط أولى وأتم فالامام الأعظم والهمام الاقدم هو أبو حنيفة فإنه أفضل زمانا وأكمل شأنًا فإنه من التابعين دون سائر المجتهدين، ثم انه اقدم برهانا وأتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه أصلا وفرعا فإنه صور المسائل وأجاب عنها وأوضح الاسباب والعلل منها وبني ما يتفرع عليها فهو الذي أخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغي أن لا يعتقد

وَكَانَ يَقُومُ كُلَّ اللَّيْلِ وَسَمِعَ هَاتِفًا فِي الْكَعْبَةِ أَنْ يَا أَبَا حَنِيفَةَ أَخْلَصْتَ
خِدْمَتِي وَأَحْسَنْتَ مَعْرِفَتِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلِمَنْ تَبِعَكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ *

ان اصحابنا مصيبون قطعاً وان مخالفينهم يخطئون جزماً فان المجتهد يخطئ ويصيب والحق عند الله واحد على ما ذكر في المصنف وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق قطعاً بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع نجيب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على ما في جواهر الفقه وغيره ، وهذا لا ينافي قولنا الاجمالي ان مذاهب الاربعة حق لاتفاقهم على ما اخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان نجيب بما قدمنا فليس في محله اذ لم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغي ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم في الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من اهل البدعة لما بذتهم ظواهر الكتاب والسنة ﴿ و كان يقوم كل الليل ﴾ بعد ان كان يحيي نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال: هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد يقوم الليل كله وقال انا استحي من ان اوصف بعبادة ليست في معنى احترازا من دخوله في قوله تعالى: ﴿ يحبون أن يحمدا و ابمالم يفعلوا ﴾ وسمع هاتفا ﴿ اى فى المنام كما قاله ابن حجر اوبين النوم واليقظة كالاهاام ﴾ ﴿ فى الكعبة ﴾ اى بعد ان ختم القرآن فى ركعتين ﴿ ان ياأبا حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة ﴾ ذكر فى آخر خزانة المفتين انه حكى ان ابا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال: الهى ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فيه نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة انتهى ، ولا يخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان يتبين له هذه المسألة أو الكراهة مختصة بالقرينة فان أمر النوافل مبنى على التوسعة، وههنا اشكال آخر حيث قال الامام: عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العرام وسائر الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد حق المعرفة قدر ما أوجبه الله تعالى

وَتَلْمِذَّ لَهُ كِبَارُ مِنَ الْمُشَايِخِ *

عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم أرادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وأما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالتقوى حق تقاته المعبر بان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ، فكل أحد عاجز عن ذلك كما أخبر الله به عنه بقوله تعالى : (كلما يقض ما أمره) فالإنسان محل النسيان والمخلوق في مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه : (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولذا قيل من تبع عالما لقي الله سالما ﴿ وتلمذ له كبار من المشايخ ﴾ مثل ابراهيم بن آدم . وفضيل بن عياض . وداود الطائي . وابن المبارك . والليث بن سعد . والامام مالك على ما ذكره ابن حجر ونحوهم لكن لا يخفى ان تلمذة مالك لأبي حنيفة غير ظاهرة نعم قد يكون كل منهما أخذ عن صاحبه والله أعلم بحقيقة منصبهما ، وأما مشايخه فذكر الكردري ان أبا حنيفة أدرك الامام محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره في العلوم وتبحره وكذا أدرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد ابن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الرأي شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذي يقال له أمير المؤمنين في الحديث ، ومنهم الامام الأوزاعي امام أهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثوري أحدهما يقود حماره والآخر يسوقه ، ومنهم عطاء بن أبي رباح المكشي كان جعد الشعر أسود أفطس أشل أعور ثم عمي بعد ذلك ، قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه من حماد ولا أجمع من عطاء ، ومنهم أبو بكر بن عاصم ابن أبي النجود - بفتح النون وضم الجيم - الامام في القراءة تابعي جليل القدر ، ومنهم عامر ابن شرحبيل الشعبي قال : أدركت خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ وكان يعجبه هذا البيت :
ليست الاحلام في حال النهي * انما الاحلام في حال الغضب

قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام : « الصبر عند الصدمة الأولى » وفي الجملة بلغ عدد مشايخ امامنا أربعة آلاف وأما أصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للبني :

غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب

وَتَحْمَلُ لَتَقْلُدِ الْقَضَاءِ مَا تَحْمَلُ وَمَا خَالَطَ الظَّلْمَةَ وَمَا قَبِلَ مِنْهُمْ شَيْئاً

ثلاثة آلاف وألف شيوخه . وأصحابه مثل النجوم الثواقب
 ﴿ وتحمّل لتقلد القضاء ﴾ بأن يكون قاضى قضاة جميع الدنيا وكذا تولية مفاتيح
 خزائن بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ﴿ ما تحمّل ﴾ أى من الضرب والحبس
 والشم ايثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبي من كمال التقوى وعن الامام أحمد أنه ذكر
 أباحيفة فقال: كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فأبى، وعن
 سهل بن مزاحم بذات له الدنيا بجذا فيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها
 ولا كثيرها ﴿ وما خالط الظلمة ﴾ أى باختياره ﴿ وما قبل منهم شيئا ﴾ لكمال
 اقتداره فعن النضر بن محمد الرقي قال: لقيته ببغداد وأنا أريد الكوفة فقال قل لابنى
 حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى و كان فى ذلك اليوم
 حبسه المنصور للقضاء ببغداد ، وروى أن المنصور كان يريد أن يقرب الامام فيقول
 الامام لالانك ان قربتنى افتنتنى وان أبعدتنى اخزيتنى وليس عندك ما أرجوك له
 وليس عندى ما أخافك عليه وأنا غنى بمن أغناك فلن أغشاك فيمن يغشاك ، ومثله ذكر
 عن الامام محمد بن الحسن أنه قال لعيسى بن موسى والى الكوفة وزاد فى آخره مما أنشأ قائلا:

كسرة خبز وقعب ماء * وفرد ثوب مع السلامة

خير من العيش فى نعيم . يكون من بعده ندامة

ثم ما ذكرنا من أفعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والى الكوفة مثله
 أيضا فى زمان المراونة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن أكرم عن أبى داود قال:
 اراد ابن هبيرة أن يولى الامام قضاء الكوفة فأبى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه
 بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على أنه لا يلى منه فليل له انه حلف على أن
 يضربك قال: ضربه فى الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لا أفعل ولو
 قتلنى فليل: إنه حلف لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عد اللين فقال: لو سألتنى أن أعد
 له أبواب المسجد ما فعلت قد ذكر للامير فقال أبلغ قدره أن يعارضنى فى اليمين؟ فدعاه
 فشافه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال: اذكر مقامك بين يدى
 الله تعالى فانه أذل من مقامى هذا ولا تهددنى فانى أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
 والله يسألك عنى حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاوما الى الجلاد أن امسك
 وبات فى السجن وأصبح وقد اتفخ وجهه ورأسه من الضربه وعن ابن المبارك أن

وَمَا أُشْتَغَلَ بِالدَّعْوَةِ إِلَّا بِالْإِشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَا قَصَدَ الْأَنْزَوَاءَ وَمَا
أُسْتَظَلَّ بِحَائِطِ الْمَدْيُونِ حِينَ

الرجال في الاسم سواء حتى يقعوا في البلوى فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه في السجن حتى يدخل في الحكم فصبر على الذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه ، وعن أبي عبد الله بن حفص الكبير البخاري أن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا إلا من تحت أمره فابى فحلف الأمير أنه إن لم يله نضربه في كل جمعة سبعة أسواط فقال الفقهاء لأبي حنيفة: أنا اخوانك نتأشذك على أن لا تهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال: لو أراد منى أن أعد أبواب مسجد واسط لم أعد له فكيف وهو يريد منى أن يكتب في دم رجل واختم له والله لا أدخل في ذلك فقال ابن أبي ليلى: دعوه فإنه مصيب فخبسه الشرطى جمعتين وضربه أربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الأمير فقال: الاناصح لهذا أن يستعملنى فأستعمله وقال: أشار اخوانى فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلاثين الى أن صارت الخلافة للعباسية أقام بها فقدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وأمر له بجائزة عشرة آلاف ألف درهم وجارية فلم يقبلها وروى أنه كان يتمثل كثيرا :

اعطاء ذى العرش خير من عطائكم • وسيبه واسع يرجى وينتظر

أتم يكدر ما تعطون منكم • والله يعطى فلا من ولا كدر

وروى أنه لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماد أنه اذا مات ودفن يردّها للحسن ففعل فقال رحمة الله على أيك لقد كان شحيحا على دينه ﴿ وما اشتغل بالدعوة ﴾ أى بدعوة الناس الى مذهبه ﴿ الا بالإشارة النبوية في المنام ﴾ اليه ليدعوهم الى مذهبه ﴿ بعدما قصد الانزواء ﴾ أى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بأنه ينش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها في موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين من اجله التابعين المنام ان صاحبها رجل يحى به الله سنن الاسلام بما أميتت فيما بين الانام والاظهر ان يقال: مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام ورتبها أصولا وفروعا تلتئم به الاحكام على وجه الاحكام ﴿ وما استظل بحائط المديون حين

أَتَاهُ مُتَقَاضِيًا، وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِ أَتَى بِهِ وَكِيلُهُ لَمَّا خَلَطَ بِهِ ثَمَنَ ثَوْبٍ
مَعِيبٍ مَبِيعٍ مَخْفِيًّا، وَتَرَكَ لَحْمَ الْغَنَمِ لَمَّا فَقِدَتْ شَاةٌ فِي الْكُوفَةِ إِلَى مَنَاقِبَ
يَعْسَرَ تَعْدَادُهَا ۝

أتاه متقاضيا) أى طالبًا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رأيت يومًا بقاء دار غريم له قد قام في الشمس فانكرت فقال: لى على مالكم ما أخاف أن أجلس في ظله، ومثله عن يحيى ابن زائدة إلا أنه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال: أخاف أن يكون قرصًا جر منفعة قال وما أراه على الناس لكن على العالم أن يأخذ بعلمه أكثر مما يدعوا اليه، والمعنى أنه ينبغي له أن يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير إليه قوله عليه السلام: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» وقد أغرب شمس الأئمة حيث ردهذا في كتاب الصرف وقال: إنه من التكلف لا من التزهّد انتهى، وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه، وما يرد عليه ما ذكر في صفات الصالحين أن امرأة سألت الإمام أحمد أن شموع آل طاهر تعبر من محلنا ونغزل في ضوئه ونحن على السطوح طاقة أو طاقتين فهل يحل لنا من ذلك الغزل فقال الإمام أحمد: من أنت قالت: أخت بشر الحافي قال: ما زال هذا الورع الصافي يخرج من آل بشر، فعلم بهذا أن دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا تقاس الملوك بالحدادين) وتصدق بجميع مال أتى به وكيّله لما خلط به ثمن ثوب معيب معيب مخفيا) كان حفص بن عبد الرحمن شريك الإمام فبعثه إلى تجارة وقال له في ثوب كذا عيب فباعه بلا يئانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخه الشركة، قال المرغيناني: وكان الربح خمسة وثلاثين ألف درهم، وعن ابن المييع أنه قال الإمام ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة إلا أخرجتها وإنما أمسكتها لقول على رضي الله عنه أربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا أني أخاف أن ألتجىء إلى هؤلاء ما تركت واحدا منها) وترك لحم الغنم) أى أكله) لما فقدت شاة في الكوفة) فعن ابن المبارك وقعت أغنام من الغارة في الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقبل: سبع سنين فما كل اللحم سبع سنين، وهذه المذكورات بعض مناقبه وندرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة) إلى مناقب) أى كثيرة) يعسر تعدادها) أى قصد استيفاء إيرادها، وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب أصحابه الجليلة وذيلته بطبقات اتباعه الخيفية وسميته بالآثار الجنية في الاسمار الحنفية، واختصرت على مناقب الإمام هنا تبعًا للسنن اختصارًا وقد أوردت مناقب الإمام في شرح المشكاة استكثارًا ۝

البَابُ الْأَوَّلُ فِي الْوَرْدِ

وَرَدَ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وَهِيَ أَنْوَاعُ مِنْهَا الصَّلَاةُ
فَوَرَدَ «مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ» «مَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ» أَيْ قَارِبَ الْكُفْرِ يُقَالُ: دَخَلَ الْبَلَدَ لِمَنْ قَارَبَهَا

البَابُ الْأَوَّلُ فِي الْوَرْدِ

أصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) والماء المرشح المعد المهيأ
للورود ومنه قوله سبحانه: (بئس الورد المورود) ويسمى كل قول وفعل يأتيه الإنسان في
وقت معين على وجه معين وردا وهو المراد هنا، وأما حديث صاحب الورد ملعون وتارك
الورد ملعون فباطل لا أصل له (ورد) أي في قوله تعالى تعالى: (وما خلقت الجن والانس
إلا ليعبدون) أي ليعرفوني فيعبدوني أو ليعبدوني فيعرفوني كما هرشأن المراد والمريد في
مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهي) أي العبادة المأخوذة من يعبدون
(أنواع) أي اصناف ستة (منها الصلاة) وهي أفضلها وأكملها واشملها وأجملها (فورد
ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد) أي الإيمان بالله ورسوله (أحب إليه من الصلاة)
كذا في الأحياء مع زيادة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكم
ومنهم ساجد وقائم وقاعد، وقال العراقي: لم أجده هكذا، وآخر الحديث عند الطبراني
من حديث جابر وعند الخاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر)
البزار من حديث أبي الدرداء باسناد فيه مقال، ذكر العراقي في رواية الطبراني
عن ابن عباس من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان، وفي الأوسط عن أنس من
ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (أي قارب الكفر) لأن المعاصي بريده (يقال
دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج
ومن تبعهم في حمله على الكفر الحقيقي أو معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه أو عمل
عمل الكفرة أو كفر في عاقبة أمره أو محمول على مستحل تاركه أو منكر فرضيته، وفي رواية
أحمد والبيهقي من حديث أم أيمن ورجال اسناده ثقات من ترك الصلاة متعمدا فقد
برئ من ذمة محمد ﷺ، وفي رواية الطبراني في الأوسط من حديث أنس أول ما يحاسب

وَحَقُّهَا أَنْ يُطَهَّرَ الظَّاهِرُ عَنِ الْحَدَثِ . وَالنَّجَسِ . وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْجَرِيْمَةِ
وَالْقَابِ عَنِ الذَّمِّيمَةِ وَالسَّرِّ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى هَذَا نِصْفٌ وَالْآخَرُ

به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله ، والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة
وناهيك في شرفها قوله تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (وحققها)
أى حق الصلاة اللاتق بها (أن يطهر الظاهر) أى ظاهره (عن الحدث) أى
النجس الحكيم من الاصفر والا كبر بدنا (والنجس) أى الحقيقى المسمى بالخبث
بدنا وثوباء ، والنجس بالفتح عين النجاسة والكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة)
أى واعضائه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) أى
الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسر) أى الذى لا يطلع عليه الا الله
(عما سواه تعالى) أى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره في جنب تجلى
نوره والغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته وان تحمل معرفة الله
بالحقيقة في السر مالم يرحل ما سوى الله تعالى عنه ، ولذا قال عز وجل : (قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون) لانهم لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ،
وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية وبالشمالك البهية
الرضية ولم يتصف بها مالم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والاخلاق
الكاسدة ، فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط في الثانى فكان
الطهور شطرا لايمان بهذا المعنى ، وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى أحد الشطرين
وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ، وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف
الايقان وبهما يكمل العرفان ، فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان
ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الاخلاق
المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ من طهارة الظواهر
عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هي ؛ وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال
بالهويناء ، قال تعالى : (ليس بآمانيك ولا أمانى أهل الكتاب) الآية (هذا) أى المذكور
من الطهارة في كل رتبة (نصف) أى نصف حق عمل الصلاة (والآخر) أى النصف

هُوَ الْعِمَارَةُ بِالطَّاعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَوَرَدَ «الطَّهْوَرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» وَالْأَصْلُ
طَهَارَةُ الْبَاطِنِ فَهُمْ كَانُوا يَبَالِغُونَ فِيهَا وَيُسَاهِلُونَ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى كَانُوا يَمْشُونَ
حُفَاةً فِي الطِّينِ وَيَصَلُّونَ مَعَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَلِّلاً فَخَبِرَ

الثاني (هو العماراة بالطاعة ظاهرا وباطنا) أى عماراة الجوارح والجوانح بالعبادة
المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الأحوال المؤتلفة (فورد
الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر أو ما يطهر به (نصف الايمان) أحمد
ومسلم والترمذى عن أبى مالك الأشعرى فى حديث طويل ، والمعنى أن الايمان يطهر
نجاسة الباطن . والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية ، وقيل : المراد بالايمان
الصلاة كما قال تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس
فيراد بنصفها شطرها وبعضها فانه اقوى شرطها (والأصل) أى فى التطهر
الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله
لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأحوالكم (فهم) أى الصحابة
(كانوا يبالغون فيها) أى فى طهارة الباطن (ويساهلون فى الظاهر) أى يتساهلون
فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) أى احيانا (يمشون حفاة) أى بلا نعل (فى الطين)
أى طين الازقة ويجلسون عليها (ويصلون معه) أى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر
وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيول والحمر مع كثرة
تمرغها فى النجاسات ، وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يمعن أحدهم فى طهارة الظاهر
ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقانه فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطالب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة
المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهمم والفكر
فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى أن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ
من ماء فى جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة
بل كانوا يمسحون أصابعهم باخمص أقدامهم ، وعدوا الاثنان ونحوه من الغسول
والصابون من البدع المحدثه وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه
السلام متعللا) أى لا يسأله أى مرة (فخير) أى اخبره جبريل عليه السلام

بِتَلَطُّخٍ فَزَعٍ وَأَتَمٍّ وَلَكِنْ لِلظَّاهِرِ أَثَرٌ فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ كَمَا يُصَادَفُ عِنْدَ
أَسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِرَبْطِ الْمَلِكِ بِالْمَلَكُوتِ

﴿ بتلطخ ﴾ أى باصابة نجاسة ﴿ فزع ﴾ أى نعله بعمل قليل ﴿ وأتم ﴾ أى صلاته من غير استئناف ولا إعادة والحديث رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ، وقد قال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل إذا نزع رسول الله ﷺ نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله ﷺ: لم خلعت نعالكم قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا نعالنا، وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال، وأما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الارض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم ونحوه أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذر واستنكفوا من مؤاكلته واستكروهوا من مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة، فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ووسمه ﴿ ولكن للظاهر ﴾ أى لطهارته أيضا ﴿ أثر في تنوير الباطن ﴾ للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى أن المجامع في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرف أو حمرة قانية الى أن غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غاب عليه وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الأم شاهدة في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة الحسية على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدها أمه، فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر أثرا في عالم الباطن ﴿ كما يصادف ﴾ أى يوجد أثره ﴿ عند اسباغ الوضوء ﴾ بفتح الواو أو ضمها أى ايمانه واسباغها ﴿ وسائر الأعمال الظاهرة ﴾ أى حيث تتأثر بها الاحوال الباطنة ﴿ لارتباط الملك ﴾ أى عالم الظاهر السفلى ﴿ بالملكوت ﴾ وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء. جانب جداره البراني فلا شك ان أثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار من جانب الطرف الداخلي، وقد ورد «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب

وَمِنْ ثَمَّةٍ تَصَدَّقُ رُؤْيَا مَنْ اُعْتَادَ الصَّدَقَ فِتْدَاوَمٌ عَلَى الْوُضُوءِ *

على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس، أحد مسلم عن جابر، وفي الأحياء أن الإنسان إذا أسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره وجد في قلبه صفاء وانسراحاً لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر الإنسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب، فإن كنت لا تصادف بعد الطهارة واسبغ الوضوء شيئاً من الصفاء الذي وصفناه فاعلم أن الجدار الذي استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب نصار لا يحس باللطائف والأشياء الخفية ولم يبق في قوته الإدراك الأمور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فإن ذلك أوجب عليك من كل شيء أنت فيه (ومن ثمة) أي ومن أجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا من اعتاد الصدق) أي وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل: كل إناء يترشح بما فيه (فتداوم) تفريع على قوله لكن للظاهر أثر في تنوير الباطن والمعنى إذا كان كذلك فتواظب به (على الوضوء) فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق، بل ينبغي أن يجدد الطهارة لكل صلاة كما كان يفعله عليه السلام نظراً إلى ظاهر الآية وإنما صلى عليه السلام عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني ليعرف أنه ليس بفرض فتقدير الآية إذا قمتم إلى الصلاة وأتمموا حديثون لأن الأصل في الأمر أن يكون للوجوب، ولحديث «من توضع على طهر كتب الله له عشر حسنات» أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عمر بإسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال اتفاقاً مع أن كثرة الطرق ترقى الضعيف حسناً وفاقاً، وأما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقي: لم أجده أصلاً وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده وهو حديث ضعيف وينبغي أن يستنجد لمقعده بثلاثة أحجار فإن أنقى بها كفى والا استعمل رابعة فإن أنقى بها والاستعمل خامسة لأن الانقاء واجب والابتار مستحب قال عليه السلام «من استجمر فليوتر» متفق عليه من حديث أبي هريرة في أخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرّها بالمسح والادارة إلى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرّها إلى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة إدارة ثم يأخذ حجراً كبيراً يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثاً في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار جازله ذلك

وَيَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغَيْبَةِ وَالْقَهْقَرَةِ وَأَنْ لَمْ تَكُنْ فِي الصَّلَاةِ وَلِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ

الى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه على محل النجس ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له أثر تدر كه الكف بحس المس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك ينفع للوسواس لا كثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر: بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذى اذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني؛ واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن فرجي من الفواحش، والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل قباء: ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم فقالوا: كنا نجتمع بين الماء والحجر كذا في الأحياء، وقال العراقي: الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر. البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه. والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب. وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر، فقول النووي تبعاً لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله أعلم ((ويتوضأ بعد)) نحو ((الغيبه)) وهى بكسر الغين ان تذكر أخاك بما يكرهه في الغيبه، وقد ورد الغيبه تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر، وفي معناها الكذب والنميمة وسائر الأقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ: اذا ذكرت الدنيا تواضاً واذا ذكرت الآخرة اغتسل، يعنى ان الدنيا هى الشهوة الصغرة والعقبى هى الكبرى وكل منهما مانع عن حال الترجه الى حضرة المولى، وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلاة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب أو غيبة أو سيئة بها يأثم قلبه فيذبغى ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوى بتيممه رفع الأثم، وفي العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء ما تيسر والا فمكروه ((والقهقهرة وان لم تكن في الصلاة)) أى فانها اذا كانت في الصلاة تنقض الوضوء عندنا ((ولكل صلاة قبل الوقت)) عملاً بقوله تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) الآية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول أو الغائط ان يتيمم الى أن يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله ﷺ، فعلى الأحياء في بيان طول الأمل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة وقال لعل لا أبلغه، وحكى عن

وَيَمْلَأُ الْإِنَاءَ لِلْآتِيَةِ وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَعِينُ
بِغَيْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ

ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول: اخاف ان يدركنى الموت قبل ان أتوضأ كما فى شرح السنة ((ويملا الإناء للآتية)) أى استعدادا للصلاة الآتية ويكره أن يستخلصها لنفسه كذا فى السراجية ((ويطيل الغرة والتحجيل)) أى عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة يياض الجبهة والحجل يياض قوائم الفرس ونحوه، وقد ورد « ان هذه الأمة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » وقال عليه السلام: « من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » متفق عليه من حديث أبى هريرة، وروى « تباع الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » أخرجه مسلم من حديثه ((ويستقبل القبلة)) أى حين الوضوء فورد « اشرف المجالس ما استقبل به القبلة » الطبرانى عن ابن عباس ((ولا يستعين بغيره)) أى مهما أمكن فإنه افضل اذا لاجر على قدر المشقة ((ولا يتكلم بكلام الدنيا والبشر)) أى فى أثناء الوضوء، وفى فتاوى الحجة التكلم فى أثناء الوضوء مكروه وفى الاغتسال اشد كراهة، وفى العوارف أدب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء، سمعت بعض الصالحين يقول: اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة أو القرية الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذى. وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة، والتسمية فى أول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند أحمد بهذا الحديث، ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول: أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام، ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الإناء لقوله عليه السلام: « اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا فان أحدكم لا يدري أين باتت يده » مالك والشافعى وأحمد والشيخان والاربعة عن أبى هريرة، ويقول عند غسل يده: اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلاك ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا أن يكون صائما كما اورد به الخبر ويقول: اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول: اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح أهل النار، ويستنثر ثلاثا فورد: « اذا استيقظ أحدكم

ويفتح العين

من منامه فتوضاً فليستثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه، الشيخان عن
 أبي هريرة، ويغسل وجهه ثلاثاً ويقول اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك
 ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ((ويفتح العين)) أي عند غسل الوجه هو
 غير معروف بل قيل: انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الاصبع
 في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام
 فعل ذلك أخرج أحمد من حديث أبي امامة كان يتعاهد المأقن، وروى الدارقطني من
 حديث أبي هريرة باسناد ضعيف «أشربوا الماء أعينكم، أي حواليلها لما تقدم والله أعلم،
 ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد: «خللوا لحاكم وقصوا أظفاركم فان
 الشيطان يجري بين اللحم والظفر» الخطيب في الجامع، وابن عساكر عن جابر، ويجب
 ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه، وأما الكثيفة فلا بل يفيض
 الماء على ظاهرها لترسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام: «إذا توضأ خلل لحيته
 بالماء» رواه أحمد والحاكم عن عائشة، وفي رواية أبي داود والحاكم عن أنس «كان إذا توضأ
 أخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي» وفي
 رواية ابن ماجه عن ابن عمر «كان إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك
 لحيته بأصابعه من تحتها، والعرك المعالجة والدلك، ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثاً ثلاثاً
 فوردانه عليه السلام: «إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه» الدارقطني عن جابر، وفي
 رواية ابن ماجه عن أبي رافع «كان إذا توضأ حرك خاتمة ويبدأ باليمن ويقول:
 اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حساباً يسيراً وعند اليسرى اللهم أعوذ بك
 أن تعطيني كتابي بشمال أو من وراء ظهري، ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول: اللهم
 غشني برحمتك وأنزل علي من بر كاتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم
 يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول: اللهم اجعاني من الذين يستمعون القول فيتبعون
 أحسنه اللهم اسمعني منادى الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام: «مسح الرقبة امان
 من الغل يوم القيامة» أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو
 ضعيف، ويقول: اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل
 رجله اليمنى ثلاثاً ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الأقدام ويقول عند
 غسل اليسرى اللهم أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في

وَيَسْمَى فِي كُلِّ عَضْوٍ وَيَتَشَهَّدُ فِيهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ وَيَشْرَبُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ قَائِمًا
مُسْتَقْبِلًا وَيَسْرَحُ اللَّحْيَةَ بَعْدَهُ ۝

الذار ويخلل باليد اليسرى من أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد: «خلل أصابع يديك ورجليك» أحمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن أبي هريرة «خللوا بين أصابعكم لا يخلها الله يوم القيامة بالنار» وفي رواية الطبراني عن واثلة «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة» (ويسمى في كل عضو) وقيل ويسلم أيضا على النبي ﷺ (ويتشهد فيه) أي في كل عضو، ففي المحيط من الأدب أن يقول عند كل عضو أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (وبعد الفراغ) أي ويتشهد بعد فراغ الوضوء أيضا فقد ورد: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفر لك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا» يقال: إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة كذا في الأحياء وقال العراقي حديث: «من توضأ بأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» أبو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (ويشرب بقية الماء) أي فضل الوضوء كله أو بعضه (قائما مستقبلا) لما ورد في أثر على موقوفا ومرفوعا، فعن شمس الأئمة الحلواني وإن شاء قائما وإن شاء قاعدا، وذكر شيخ الإسلام المعروف بخواهر زاده أنه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما إلا في موضعين أحدهما عذا والثاني عند زمزم والله أعلم (ويسرح اللحية بعده) أي بعد فراغ الوضوء الترمذي في الشمائل من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وفي الشمائل أيضا باسناد حسن أنه عليه السلام كان يترجل غبا، وعند أبي داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل النهي عن الترجل الا غبا باسناد صحيح، وفي الخبر المشهور أنه عليه السلام كان لا يفارقه

المشط والمدرى والمرآة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا في الأحياء، والمدرى القرن يقال له: أدرى رأسه حكمة قال العراقي حديث كان لا يفارق المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب عصفه التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه وسواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة: وفي حديث غريب أنه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين، وقال العراقي: تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحاكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط، وكان عليه السلام كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه، وكذلك كان أبو بكر، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره في الأحياء. وقال العراقي: حديث كان كث اللحية الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة. وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند الترمذي قال: وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع قوم إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يتطلع في الجيب يسوي من رأسه ولحيته قلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال نعم: إن الله يحب من عبده أن يتجمل لا خروانه إذا خرج إليهم قال العراقي ابن عدي وقال حديث منكر هذا، وقيل لدار الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: إنني إذا لفارغ، وفي قوت القلوب قال السري: في اللحية شرك إن كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء، وقال: لو دخل على داخل فمسحت لحيتي لأجله لظننت أني مشرك، وتحقيقه ما قال الحجة: إن الجاهل ربما يظن أن فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على أخلاق غيره في الدين وتشبيهها لللائكة بالحدادين وهيئات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا يزدريه نفوسهم وفي تحسين صورته في أعينهم كيلا تستغفره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم، وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق إلى الحق وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها في أنفسها أعمال تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس مخذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب ومشكور، وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبس غير راجح عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره

وَيَجْتَنِبُ اَنَا. اَيَّ اَذَى مِنْ رِيحِ الْمَلَأَتِكُ كَالصُّفْرِ وَالْمَاءِ الْمُشَمَّسِ وَالْاَسْرَافِ

فِي الْمَاءِ وَالضَّرْبَ بِهِ وَنَشْفَهُ عَلَى وَجْهِهُ فَهُوَ يُوزَنُ دُونَ وَجْهِهُ فَهُوَ مَرُوءِي

ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور . فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فتعود بالله من الخزي يوم الفرع الأكبر ﴿ ويجتنب انا. اَيَّ اَذَى مِنْ رِيحِ الْمَلَأَتِكُ كَالصُّفْرِ ﴾ ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد أنه عليه السلام: « كان يعجبه ان يتوضأ من مخضب من صفر » ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد بما في شرح السنة من الادب ان يتوضأ من انا. الخنزف ولا يتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهي عنه، وفيه أيضا روى عن ابن عمر أنه كره الوضوء في انا. صفر، وفي الشريعة لا يتوضأ من انا. نحاس وصفر قالوا الملائكة يفرون من ريحهما ﴿ والماء المشمس ﴾ أي ويحتنبه لأنه يورث البرص اذا كان في انا. نحو الصفر في بلاد حارة وهذا في الآواني دون الحياض، وفي الاحياء ويكره أن يتوضأ في انا. صفر وأن يتوضأ بالشمس وذلك من جهة الطب، وروى عن ابن عمر. وأبي هريرة كراهية الانا. الصفر، وقال بعضهم: أخرجت لشعبة ماء في انا. صفر فأبى أن يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى، وفي الشريعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس، وفي درر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال أبو حنيفة خلافا لمالك وأحمد ولا يمازم وبه قال أبو حنيفة. ومالك خلافا لآحمد ولا بأس بالشمس في البرك والبحار والانهار وفاقا ﴿ والاسراف في الماء ﴾ قال تعالى: (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وتوضأ عليه السلام ثلاثا وقال: « من زاد فقد ظلم وأساء، أبو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده، وقال عليه السلام: « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور » أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل ﴿ والضرب به ﴾ أي ويحتنب لطم وجهه بالماء ﴿ ونشفه على وجهه ﴾ أي قول ﴿ فهو يوزن ﴾ أي في ميزان العمل ﴿ دون وجهه ﴾ أي قول آخر ﴿ فهو مروي ﴾ ففي الاحياء كره قوم التشيف وقالوا: الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة أنه كانت له منشفة

وَنَفَضَ الْيَدَ، وَيُوَاطِبُ عَلَى السَّوَاكِ مِنَ الْأَرَاكِ طُولًا وَعَرْضًا فِي كُلِّ
صَلَاةٍ وَوُضُوءٍ وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَغْيِيرِ الْقَمَمِ بِنَحْوِ الْجُوعِ وَالنَّوْمِ

ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة قال العراقي: حديث معاذ الترمذي وقال غريب
واسناده ضعيف، وحديث عائشة الترمذي وقال ليس بالقائم قال: ولا يصح عن النبي
ﷺ في هذا الباب شيء. (ونفض اليد) أي ويحتبها فقي الأحياء ويكره أن ينفض
اليدين في فرش الماء. (ويواطب على السواك) أي استعماله أو على الاستياك (من
الأراك) أي خصوصا فهو الأفضل الوارد والا فيجوز من كل شجرة مرة لأنه
أطيب لنسكه القم وأكثر إزالة للبغم وأنقى للصدر وأقوى للمعدة وأهضم للطعام
وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الأصبع مقام
الخشبة عند وجودها (طولا وعرضا) وإن أقصر فمرضا (في كل صلاة) حتى عند
بعض أئمتنا أيضا (ووضوء) أي في كل وضوء اتفاقا ومحل ابتداء الوضوء كما في الأحياء.
أو حال المضضفة لأنه من تكميلها وقد قال عليه السلام: «صلاة على أثر سواك أفضل
من خمس وسبعين صلاة بغير سواك» أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر
بإسناد ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة
بلفظ من سبعين صلاة وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق
عليه من حديث أبي هريرة، وفي رواية لا أمرتهم بالسواك مع كل وضوء، مالك والشافعي
والبيهقي عن أبي هريرة، وفي رواية أحمد والنسائي عن أبي هريرة لا أمرتهم عند كل
صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك، وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم
السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء، وفي رواية الحاكم والبيهقي عن
أبي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء، وفي رواية أبي يعلى عن مكحول مرسل
لا أمرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وفي رواية أبي نعيم عن ابن عمر لا أمرتهم
أن يستاكوا بالأسحار (وعند قراءة القرآن) فقد ورد «أن أفواهم طرق القرآن
فطيوها بالسواك» أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه ابن ماجه موثقا على
وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد (وتغيير القم بنحو الجوع والنوم)
ونحوهما من طول الصمت أو أكل ما يكره رائحته، فورد «مالي أراكم تدخلون على
قلحا استاكوا» والقلح محركة صفرة الأسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد

وَيُحَافِظُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي أَقْرَبِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَبْعَدِيَّةِ سَاعِيًا

المطلب أحمد والبغوي من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب، وهو كان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على أن السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلاة، وعن ابن عباس أنه قال: لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء. ورواه أحمد وقال عليه السلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا، وقال على السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك، وعند أبي داود والترمذي وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من اذن الكاتب، وفي شرح السنة أما كيفية الاستياك فينبغي أن يبدأ بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم باليسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك بالوتر لأن الله وتر يحب الوتر، وفي الخلاصة كيفيته أن يعالج السواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها، وفي شرح السنة وأما المنهى فيه فينبغي أن لا يستاك قائما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكرهه عند الشافعية بالعشى للصائم وتحقيقه في غير هذا المقام، وفي الخاتمة عن ابن المبارك لو أنكر أهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين ((ويحافظ على الجماعة)) عطف على مداوم على الوضوء أي ويراعى صلاة الجماعة فورد: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» متفق عليه من حديث ابن عمر ((في اقرب المساجد إلا أن يكون في الأبعدية)) أي صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم أو شيخ واعظ وكونه أقدم المساجد أو عمر بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففي الكبرى مسجدان يصلي الرجل في أقدمهما بناء لان له زيادة حرمة فإن كانا سواء ففي أقربهما وإن استويا فهو مخير لانه لا ترجيح لاحدهما وإن كان قوم أحدهما أكثر فإن كان هو فقيها يذهب الى الذي قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وإن لم يكن يذهب حيث أحب رجل في محله مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلاة في مسجده افضل قل أهل مسجده أو أكثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع، وفي الخاتمة اذا كان امام الحى مرايا يا كل الربا له أن يتحول الى مسجد آخر ((ساعيا

إليه بنية إجابة النداء خاشعاً غير متخطّ رقبة ولا مارّ بين يدي مصلّ ولا يتكلّم فيه بكلام الدنيا ويؤدّي في الصّفّ الأول بأزاء الإمام أو عن يمينه ويتمّ الأركان ويراعى السنن والآداب فورد

(إليه) أي حال كونه ماشياً إلى المسجد مطلقاً لقوله تعالى: (فاسمعوا لي ذكر الله) (بنية إجابة النداء) أي نداء الداعي إلى عبادة رب السماء قال تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) الآية فتمدّ قال ابن عباس: من سمع النداء ثم لم يحبب لم يرد خير أو لم يرد به، وقال أبو هريرة: لأن يملأ أذن ابن آدم رصاصاً مذاً بخير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيبه (خاشعاً) خاضعاً متواضعاً متذللاً في طريقه (غير متخطّ رقبة) أي عند دخوله (ولا مارّ بين يدي مصلّ) فقد ورد: «لويعلم المارّ بين يدي المصلّي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمرّ بين يديه» مالك وأصحاب الكتب الستة عن أبي جهم، وفي رواية ابن أبي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسل «لويعلم المارّ بين يدي المصلّي لأحب أن ينكسر تخذه ولا يمرّ بين يديه، والمختار أن المرور حرام إذا وقع بين المصلّي ومسجده سواء كان له سترة أو لا، ويحمل عليه ما روى الطحاوي من أن المرور بين يدي المصلّي بحضرة الكعبة يجوز أو يحمل على أنه في وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصلّي في طريق الطائفين فإنه لأحرمة له حيثنذ وأما إذا كان بينهما فرجة فلا بأس لما روى أبو داود والنسائي. وابن ماجه عن المطلب بن أبي وداعة قال: رأيت النبي ﷺ يصلّي في المسجد الحرام ممّالي باب بنى سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة ممّالي بين يديه ليس بينه وبينه سترة (ولا يتكلّم فيه بكلام الدنيا) فروى في الأثر أو في الخبر والحديث في المسجد كلّ الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش، كذا في الأحياء وقال العراقي: لم أقف له على أصل قلت: ومعناه صحيح إذ قد ورد: «يأتي في آخر الزمان ناس من أمّتي يأتون المساجد فيقعّدون فيها حلّفاً ذكرهم الدنيا وخبر الدنيا لا تجالسهم فليس لله بهم حاجة» ابن حبان من حديث ابن مسعود. والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد (ويؤدّي في الصّفّ الأول) فإنه الأفضل (بأزاء الإمام) أي بجذائه فهو الأفضل لا خذه الحظ من الجانبين (أو عن يمينه) وقد يكون يساره أفضل إذا كان الناس هناك أقل (ويتمّ الأركان) أي حد الامكان (ويراعى السنن) أي الرواتب أو سنن الصلاة (والآداب) أي المستحبات في جميع الأبواب (فورد

في الكلِّ فضائل ولا يُدافع الامامة وكان مدافعهم لا يثار الأولى أو خوف السهو أو التشويش وهي أفضل من الاذان، فهو عليه السلام وخلفاؤه اختاروها، وما ورد كُنْ مُؤَدِّنًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَكُنْ إِمَامًا مَحْمُولًا عَلَى أَنْ الْقَوْمَ كَانُوا لَا يَرْضُونَ إِمَامَتَهُ

في الكل) أى فى كل ما ذكر (فضائل) أى فى الصف الأول لقوله عليه السلام: «لو تعلمون ما فى الصف الأول ما كانت الاقرعة» مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة، وأما فى اتمام الاركان فقولہ «أتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لاراكم من وراء ظهري اذار كعتم واذا سجدتم» أحمد والشيخان عن أنس، وأما فى السنن فقولہ: «من صلى فى اليوم والليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة» مسلم وغيره عن أم حبيبة وتفصيله ما ورد فى حديث آخر: ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء وأربع قبل الظهر، (ولا يدافع الامامة) فانه من اماراة القيامة فقد ورد: عن سلامة بنت الحرث قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان من اشراط الساعة ان يتدافع أهل المسجد لا يجدون اماما يصلى بهم، أحمد وأبو داود وابن ماجه، وروى عبد الرزاق فى مسنده حديثا بلفظ «تنازع ثلاثة فى الامامة فخسف بهم» وعلمه اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه أحدهم أفضل منه (وكان مدافعهم) أى مانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لا يثار الأولى) أى بذلك المقام الأعلى (أو خوف السهو) أى فى المبني (أو التشويش) أى تشويش الخاطر فى حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه فى تطويل الصلاة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحيا فى تلك الاقامة (وهى) أى الامامة (أفضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) أى أصحابه الكرام (اختاروها) أى من بين الانام (وما ورد) أى كما رواه البخارى فى التاريخ والعقيلي فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال له رجل: «يا رسول الله دنى على عمل أدخل به الجنة فقال (كُنْ مُؤَدِّنًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَكُنْ إِمَامًا) وفى رواية فقال «لا أستطيع فقال كُنْ إِمَامًا فقال لا أستطيع فقال صل بازاء الامام فاعمله (محمول على أن القوم كانوا لا يرضون إمامته) اذا الاذان اليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك

فوردفيه « أن لا تجاوز الصلاة الرأس » ويراعى الأعمال الباطنة وهى
الحضور وهو استغراق القلب بما هو فيه والافراغ عن غيره وهو بصرف
الهمة اليه فهى تستبغ القلب وهو بذكر منافعها كقربه تعالى ورضاه والمكاشفة
عاجلاً والفوز بالسعادة الأبدية والنظر الى وجهه الكريم آجلاً وخساسة الدنيا
ومهماتها، والفهم وهو اشتماله على المعنى وهو بتوجيه الذهن الى الفكر
ومداومة الفكر

توهم أنه ربما يقدر عليها (فورد فيه أن لا تجاوز الصلاة الرأس) أصل الحديث هذا
من أم قوما وهم له كارهون فان صلاته لا تجاوز ترقوته أى حلقه ورأسه، رواه الطبرانى
عن جنادة وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من أم قوما وفيهم من هو اقرا منه لكتاب
الله وأعلم لم يزل فى سفل إلى يوم القيامة (ويراعى الاعمال الباطنة) فانها أهم وتقعها
أتم (وهى) ستة (الحضور) أى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هو فيه)
أى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) أى تفريغ القلب وتخليصه (عن غيره)
أى غير ما هو بصدده بما يوافق أو ينافيه (وهو) أى الافراغ انما يكون (بصرف
الهمة) أى الاهتمام (اليه) أى إلى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) أى الهمة
(تستبغ القلب) فى صرفه إلى ذكر الرب (وهو) أى صرف الهمة (بذكر
منافعها) أى فوائد الصلاة ومراقبتها (كقربه تعالى ورضاه) أى بالمقام الاعلى
(والمكاشفة) أى القرينة بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى (عاجلاً) أى فى
الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) أى والسيادة السرمدية (والنظر إلى وجهه
الكريم) الذى هو أعلى مراتب النعيم (آجلاً) أى فى العقبى (وخساسة الدنيا
ومهماتها) أى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشر كاء
سريعة الفناء عديمة البقاء (والفهم) أى الادراك لمعنى الكلام وهو أمر وراء
حضور القلب فر بما يكون القلب حاضراً مع اللفظ والمبنى فاشتمال القلب على العلم
ببعض اللفظ هو الذى أريد بالتفهم، وهذا معنى قوله (وهو اشتماله) أى القلب
(على المعنى وهو) أى اشتماله (بتوجيه الذهن إلى الذكر) من الثناء والحمد
والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها (ومداومة الفكر) أى فى لفظ الذكر ومبناه

وَدَفَعَ الْخَوَاطِرَ، وَالتَّعْظِيمُ وَهُوَ بِذِكْرِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى وَحَقَارَةِ النَّفْسِ، وَالْهِيبَةُ
وَهِيَ خَوْفٌ يَنْشَأُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَهُوَ بِذِكْرِ نَفَازِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَقَهْرِهِ مَعَ عَدَمِ
الْمُبَالَاةِ، وَالرَّجَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ عُمُومِ رَحْمَتِهِ وَسَبْقِهَا غَضَبِهِ وَصِدْقِ مَوَاعِيدِهِ *

ليفهم معناه (ودفع الخواطر) أى الممانعة عن فهم مقتضاه، وهذا مقام يتفاوت
الناس في أدناه وأقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يقيم المصلى في أثناء صلاته
وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية
عن الفحشاء وممانعة عن المنكر فان تفهم تلك الأمور يمنع من الفحشاء لاحتالة فقد
ورد : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداء » الطبراني
وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عمران بن الحصين . وابن جرير في تفسيره من
حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن . وأحمد في الزهد عن ابن مسعود مرفوعا
(والتعظيم) أى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة (وهو بذكر
عظمته تعالى) مع رفعة الجلالة (وحقارة النفس) أى نعر داءتها وكما لها في الرذالة
والسفالة والجهالة وهو أمر وراء الحضور والفهم إذا الرجل يخاطب غيره بكلام هو
حاضر القلب في مبناه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم أمر زائد عليهما
(والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم) كما روى أنه عليه السلام من رآه فجأة هابه
ومن خالطه أحبه (وهو) أى الخوف المسمى بالهيبة (بذكر نفاذ قدرته تعالى) وفق
مشيئته وحكمته (وقهره مع عدم المبالاة) بجميع من في يده قبضته كما ورد وخلق
هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلق هؤلاء للنار ولا أبالي » وتحقيقه أن من لا يخاف لا يسمى
هابيا والخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الحسية لا يسمى
مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، فالهيبة خوف مصدره الا جلال
(والرجاء) أى الأمل (وهو) الوثوق (بذكر عموم رحمته) أى شمول رفقته ورأفته
(وسبقها غضبه) كما ورد وسبقت رحمتي غضبي، وفي لفظ غلبت (وصدق مواعيده)
أى عدم تخلف أخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله سبحانه : (ان الله لا يخلف
الميعاد) ولا شك انه أمر زائد فكم من معظم ملوك يهابه إذ يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما أنه يخاف
بتقصيره عقاب الله، ومنه قوله تعالى : (يدعونا رغبا ورهبا) * (وادعوه خوفا وطمعا)

وَالْحَيَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ الْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ شُكْرِهِ تَعَالَى فَإِنْ تَعَسَّرَتْ الْمُرَاعَاةُ
يَجْتَهِدُ فِي قَطْعِ الْعَلَّاقِ فَظَاهِرًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْإِدَاءِ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ قَرِيبِ الْجِدَارِ
وَالْإِحْتِرَازِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُنْقَشِ وَالْفَرَاشِ الْمَصْبُوغِ وَكَوْنِهِ حَاقِنًا وَحَاقِبًا

﴿ والحياء ﴾ وهو انكسار النفس من الخجل وظهور التقصير ، وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير ﴿ وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى ﴾ فإن العجز عن درك الادراك ادراك لما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام : « سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير ﴿ فان تعسرت المرعاة ﴾ بان لم تتيسر مراعاة الأعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقائق ﴿ يجتهد في قطع العلائق ﴾ أى العلاقات ودفع العوائق الشاغلات المتعلقة بالخلائق ليتخلص له حضور القلب مع الخالق ﴿ فظاهرا ﴾ بتسعة أشياء ﴿ بضم العين ﴾ أى فى النوافل دون الفرائض وانما كره فى الفرائض دون النوافل مع أن التغميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز أداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها ﴿ والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار ﴾ ومنه الخلاوى الصوفية الا برار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار ﴿ والاحتراز عن البيت المنقش ﴾ أى بانواع الزينة والكتابة والآنية ﴿ والفراش المصبوغ ﴾ أى بالالوان والاشكال ، وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه ، وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا يحاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن أبى شبة : انى نسيت أن اقول لك : تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغي أن يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان الحديث رواه أبو داود من حديث عثمان الحجى وهو عثمان بن طلحة كفى مسند أحمد فقوله لعثمان بن أبى شبة وهم ﴿ و كونه حاقنا ﴾ أى محبوس البول الحديث ابن ماجه من حديث أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن ، ولابى داود من حديث أبى هريرة « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن » ولابى داود والترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ﴿ وحاقبا ﴾

وَحَازِقًا وَجَائِعًا وَغَضُوبًا وَنَحْوَهَا * وَبَاطِنًا يَذْكُرُ الْآخِرَةَ وَمَوْقِفَ الْمُنَاجَاةِ
وخطرَ المقامِ ودفعَ الخواطرِ وصرفَ النفسِ الى الفهمِ ويبلغُ فيه فكانوا
يبالغون حتى لو كان يشغلهم ذكرُ مالٍ يتصدقون به تكفيرا وإن كان خطيرا

بالموحدة محبوس الغائط أو الريح لحديث مسلم عن عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان» وأما حديث النهي عن صلاة الحاقب ففى الاحياء ، وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ (وحازقا) ضيق الخف وفى معناه السروال ، وقد ورد النهي عن صلاة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقي : لم أجده عنده والذي ذكره صاحب الغريب حديث لا أرى لحازق وهو صاحب الخف الضيق (وجائعا) لحديث « اذا وضع العشاء والعشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء » متفق عليه ، وفى معناه اذا كان عطشان وأنحس منهما ان يكون شعبان (وغضوبا) أى ممتلا بالغضب بحديث « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مغضب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » كذا فى الاحياء وقال العراقي : لم أجده (ونحوها) أى من كل فعل خطر البصلى ان يفعله بعد الصلاة فيفعله قبلها ان أمكن (وباطنا) بخمسة أشياء (بذكر الآخرة) وتصور موافقها وأحوالها وشدائد أحوالها وتفاوت ما لها فى آمالها (وموقف المناجاة) أى مع قاضى الحاجات فورد : « المصلى يناجى ربه » (وخطر المقام) أى بين يدي الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين (ودفع الخواطر) أى الشاغلة للسرائر والضمائر (وصرف النفس الى الفهم) أى ودفعها عن خطرات الوهم (ويبلغ فيه) أى فى دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته (فكانوا) أى السلف (يبالغون) أى فى تحسين حالاته وتزيين مقاماته (حتى لو كان يشغلهم ذكر مال) عن فكر حال (يتصدقون به تكفيرا وإن كان) أى المال (خطيرا) أى عظيما كثيرا فروى أن أباطلحة الانصارى صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى قد ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابه من الفتنة ثم قال : يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن أبى بكر وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بشمرها فنظر اليه فأعجبه فلم يدر كم صلى قد ذكر ذلك لعثمان وقال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه عثمان بخمسين ألفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة لما جرى

فَالْأَصْلُ عَمَلُ الْبَاطِنِ فَوَرَدَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي . وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) أَيُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا أَوْ مِنْ كَثْرَةِ الْهَمُومِ ، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَأَنْمَا يَكْتُبُ لَهُ مَا عَقَلَ مِنْهَا

من نقصان الصلاة بسببه فاذا أردت الخلاص من الآفات فاقطع شجرة الشهوات فانها إذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العاصف الى الاشجار فلا تطمعن أن تصفوك لذة المناجاة في الصلاة مع تلك الشهوات (فالأصل) أي في مراتب العبادة (عمل الباطن) لأنه النافع في مقام الزيادة للسعادة (فورد أقم الصلاة لذكرى) أي لأجل ذكر كم اياى أو لأجل ذكرى اياكم ولذكر الله أكبر فاذا كرونى اذ كركم أو وقت ذكر كم صلاتى وفكر كم صلاتى ، وفى الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذ كرفز غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره ، وقوله سبحانه : (ولا تكن من الغافلين) نهى و ظاهره التحريم (لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى أي من حب الدنيا) أو حيارى فى غير ذكر المولى (أو من كثرة الهموم) فى الامر المقسوم ، وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله : (حتى تعلموا ما تقولون) تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق للهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس (لا ينظر الله إلى صلاة) أي نظر قبول ورجة أو نظر رعاية وعناية (لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) أي عند عبادة ربه لم أجده أصلا بهذا اللفظ قاله العراقي (ان العبد ليصلى الصلاة وانما يكتب له ما عقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقي : لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزي فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلا « لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلى فى مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ، وابن المبارك فى الزهد مرفوعا على عمار « لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه » والتحقيق فيه أن المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فتى يكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعيا وسائلا إذا كان قلبه ساهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل كذا فى الاحياء ، وقال العراقي : رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبي هريرة « رب قائم ليس له من قيامه الا السهر » ولا حمد « رب قائم حظه من صلاته

هَذَا وَأَمَّا يَكُونُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ عِبَادَةً لِلْمَعْنَى وَالتَّعْظِيمُ دُونَ اللَّفْظِ وَالْحَرَكَةُ
فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى هَذَا تَبْطُلُ دُونَ الْحُضُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْأَجْمَاعِ قُلْتَ: إِنَّهُ مَمْنُوعٌ
لِبُطْلَانِهَا عِنْدَ سُفْيَانَ فِي رِوَايَةٍ مِنْ لَمْ يَخْشَعِ قَلْبُهُ

السهر ، واسناده حسن (هذا) أى خذ هذا أو الأمر هذا (وانما يكون القول)
كالقراءة ونحوها (والفعل) كالركوع والسجود (عبادة للمعنى) فى القول
(والتعظيم) فى الفعل (دون اللفظ) أى غير تلفظ الانسان باللسان (والحركة)
أى التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض أهل الشأن فى معرض هذا البيان:
ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

قيل لما سمع الجنيد هذا أعاد صلاة ثلاثين سنة صلاها بلا حضور الجنان
وفى الاحياء لو حلف انسان وقال والله لا شكرن فلانا ولاثنين عليه ولا سأله حاجة ثم
جرت هذه الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ؛ وكذا
لو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه
لا يصير باراً فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطاقاً معه مالم يكن حاضراً فى قلبه ولو كانت
تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى ياض النهار الا أنه غافل لكونه
مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصير
باراً فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء
والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو
غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى
شرعت لصقل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به اه فذا ما يدل
من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب (فان قلت فعلى هذا) الذى ذكرته
من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم (تبطل) الصلاة (دون الحضور) أى عند عدم
حضور القلب حيث جعلته شرطاً فى صحتها (وهو خلاف الاجماع) أى اتفاق الفقهاء
لماسياتى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب
فى صحتها إلا عند التكبير الأولى المقرونة بالنية الأعلى (قلت انه) أى ادعاء الاجماع
(ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفیان) أى الثورى (فى رواية) أى كما نقل
بشر بن الحارث فيما روى عنه أبو طالب المكي عن الثورى انه قال (من لم يخشع قلبه)

فَسَدَّتْ صَلَاتُهُ، وَعَنْ الْحَسَنِ إِنَّهَا بِلَا حُضُورِ الْقَلْبِ تُوجِبُ الْعُقُوبَةَ وَأَنَّ
كَلَامَنَا فِي الْمَنْفَعَةِ الْآخِرِيَّةِ، وَعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَقُوعُ الْأَجْمَاعِ عَلَى
عَدَمِ النَّفْعِ وَأَنَّ اشْتِرَاطَ الشَّرْعِ إِيَّاهُ ظَاهِرٌ غَيْرُ أَنَّ مَقَامَ الْفَتْوَى فِي تَكْلِيفِ
الظَّاهِرِ عَلَى حَسَبِ قُصُورِ الْخَلْقِ فَلَوْ اشْتَرَطَ لِلْجَوَازِ لَوَقَعُوا

في صلاته (فسدت صلاته) قلت، ويؤيده قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون) (وعن الحسن) أي البصري (أنها) أي الصلاة (بلا حضور
القلب توجب العقوبة) قلت وأي عقوبة أقوى من الغفلة وقد قيل : الحجاب أشد العذاب
قال تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وفي الاحياء روى عن الحسن إنه قال :
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع ، وفيه ان الصلاة يشترط
فيها النية ولا تحصل النية الا بحضور الطوية وأما استيعاب الحضور فغير مفهوم
من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين قول الجمهور ، وعن
معاذ بن جبل أنه قال : من عرف من على يمينه وشماله متممدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
أي كاملة ، وروى أيضا مسندا كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقال عليه السلام :
« ان العبد ليصل الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من
صلاته ما عقل منها » أبو داود ، والنسائي . وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه
(وان كلامنا في المنفعة الآخروية) هذا جواب آخر وبيان ان الفقهاء لا يتصرفون
في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الآخرة بل يتبعون
ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح فظاهر الأعمال كاف بسقوط تعزير
السلطان فاما انه هل ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه (وعن عبد
الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع) أي النفع الكامل قال الحجة : فجعله
اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من
أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والآيات والأخبار والآثار ظاهرة في هذا
الشرط ، وهذا معنى قوله : (وان اشتراط الشرع إياه) أي الحضور (ظاهر غير ان
مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق) بفتح الحاء والسين أي بتقيد
بقدره (فلو اشترط أي الحضور) (للجواز) أي لصحة الصلاة (لو وقعوا) أي

فِي حَرْجٍ وَأَدَّى إِلَى تَرْكِهَا رَأْسًا وَهُوَ التَّحْقِيقُ ثُمَّ مِنْ أَمْعَنَ فِيمَا وَرَدَ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَأَمَّا الصَّلَاةُ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرَعُ عِلْمُ أَنَّهَا هِيَ الْحُضُورُ

الجمهور (في حرج) أي عظيم يؤدي إلى المحذور لعجزهم عن كمال الحضور (وأدى)
أي ولا فني اشتراطه (إلى تركها رأساً) وهو المحذور (وهو التحقيق) أي في مقام
التدقيق فانه لا يمكن أن يشترط على الناس كلهم احضار القلب في جميع الصلاة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة
فلا مرد له الا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان في لحظة واحدة وأولى اللحظات
به أول الصلاة فاقصر على التكليف لذلك، ومع ذلك نرجوان لا يكون حال الغافل
في جميع صلاته مثل حال تارك الصلاة بالكلية فانه بالجملة أقدم على الفعل ظاهره فاحضر
القلب لحظة وكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسياً فصلاته باطلة عند الله تعالى
ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، وعلى هذا الرجاء قد يخشى
ان يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون
بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالاً من الذي يعرض عن الخدمة
ويتهاون بالحضرة، فاذا تعارض أسباب الخوف والرجاء صار الأمر مخطراً في نفسه
قاليك الخيرة بعده في ترك الاحتياط أو التساهل ومع هذا فلا مطمع لأحد في مخالفة
الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم
البلوى، هذا وروى «من أحب غير الله فلا تصفوله صلاة عن الخواطر المذمومة» فان
من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما ورد في الخبر، فذكر المحبوب يهجم على القلب
بالضرورة فتدبر فخذ ما صاردع ما كدر (ثم من أمتع) أي أشبع النظر واسبغ
الفكر (فيما ورد أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأما الصلاة تمسك وتواضع
وتضرع) حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذي والنسائي من حديث الفضل
ابن العباس باسناد مضطرب (علم انها) أي الصلاة (هو الحضور) أي بكمال
الشعور والافضلة الغافل لا تمنعه عن الفحشاء، وقد انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته
ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتمها ولم يغيب قلبه في لحظة عنها بل ربما كان مستوعب
الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه، ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار بسقوط
اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبمضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من

هَذَا وَالْأَوْلِيَاءُ أَنْمَا يُكَاشِفُونَ فِيهَا لَاسِيًّا فِي السُّجُودِ عَلَى حَسَبِ الصَّفَاءِ

على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم ((هذا)) أى مضى هذا أوخذ هذا ((والأولياء انما يكشفون فيها)) أى فى الصلاة مع حضورها ودوام نورها ((لاسيما فى السجود)) فانه أقرب مقام إلى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود ((على حسب الصفاء)) أى على تفاوت درجات أرباب الوفاء، ومن هنا قال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثل هياتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه، وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون، ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخيصة (١) التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال: اذهبوا بها إلى أبى جهم فابها الهتنى عن صلاتى واتقوا بانجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة، وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر إليه فى الصلاة إذ كان جديدا فأمر أن ينزع عنها ويرد الشرك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النصر مرسلا باسناد صحيح، وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسجد فقال: تواضعت لربى كيلا يمقتى ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا أن يشتري له نعلين سبئيتين جرداوين فلبسهما أبو عبد الله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف، وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: شغلتنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا فى الاحياء، وقال العراقى أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح، وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهباً ولا فضة انما هو مطلق.

والحاصل ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين ولا يتحدثون أنفسهم فيها بشيء من أمور الدنيا فجزوا عن ذلك فاذا لامطمع لأمثالنا خلاف ما هنالك وليته سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس والخواطر المنقلبة بالرأس فيكون فيمن خلطوا أعمالا صالحا وآخر سيئا، وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح ملؤه فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لا محالة فلا يجتمعان والله

(١) هى ثوب غزير صوف معلوم، وقيل لانه خيصة الا ان تكون سوداء معلومة، وأبو جهم هذا كان من عظماء قريش ومن العالمين بالنسب ومن المعمرين

وَمِنْهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فَوَرَدَ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ» وَحَقُّهَا أَنْ يَنْوِي
إِيْنَسَ وَحُشَّةَ الدُّنْيَا وَقِضَاءَ حَقِّ الشَّوْقِ إِلَى الْمَوْلَى وَضَبْطَ أَحْكَامِ الْعِبَادَةِ، وَيَتَوَضَّأَ
وَيَتَطَيَّبُ وَيَتَأَدَّبُ، وَيَجُوزُ الْأَضْطِجَاعُ فَوَرَدَ (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) وَالْأَفْضَلُ فِي اللَّيْلِ فَالْقَلْبُ فِيهِ أَفْرَغُ

المستعان ﴿ ومنها ﴾ أى من أنواع الورد ﴿ قراءة القرآن فورد خيركم من تعلم
القرآن وعلمه ﴾ البخارى من حديث عثمان، «ومن قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أفضل
بما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله، الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف
ولعله مقتبس من قوله سبحانه: ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ ومن هنا قال الفضيل: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون
له إلى أحد حاجة ولا الى الخلق، فمن دونهم، ويؤيده حديث «من لم يتغن بالقرآن
فليس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، وورد «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي
أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» الترمذى من حديث أبى سعيد وقال: حسن غريب
«أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن» أبو نعيم من حديث النعمان بن بشير، أهل القرآن أهل
الله وخاصته، النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن ﴿ وحققا ﴾ أى
القراءة ﴿ أن ينوى إيناس وحشة الدنيا ﴾ أى يذكر العقبي والدرجات الحسنى ﴿ وقضاء
حق الشوق الى المولى ﴾ لأن المناجاة والمكالمة معه تعالى تنتهى به الى الشوق
وزيادة الذوق الى قربه الأعلى ﴿ وضبط أحكام العبودية ﴾ بحفظ حقوق مقام
الربوبية ﴿ ويتوضأ ﴾ أى يتطهر ﴿ ويتطيب ﴾ بأى طيب كان أو يتنظف فى جميع
الأركان ﴿ ويتأدب ﴾ بقدر الامكان ﴿ ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله
قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾ قال على رضى الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة
كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة
ومن قرأه فى غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء
فعشر حسنات، وعن على أقرأ القرآن على كل حال الا وأنت جنب أبو الحسن بن صخر
فى فوائده ﴿ والأفضل فى الليل ﴾ لانه اقرب الى النيل ﴿ فالقلب فيه افرغ ﴾ قال تعالى: (ان
ناشئة الليل هي اشد وطنا واقوم قبيلا ان لك فى النهار سبعا طويلا) أى شغلا كثيرا

وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح ويستظهره فورده فيه «تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين» ولا ينسأه فورده بذنب

(وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح) أي من اللسان والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس وإفادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشهوده بكلام الرب، وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرءون القرآن من المصحف ويكرهون أن يخرجوا ما ولم ينظروا في المصحف، ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن أني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فلا أطبقه حتى أصبح، وقد ورد أعطوا أعينكم حظها من العبادة النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه الحكيم الترمذي، والبيهقي عن أبي سعيد (ويستظهره) أي وحققها أي ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر أصحابه رعاية لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقد قيل: كن حافظا تقيا لا مصحفا تقيا: (فورده فيه) أي في الاستظهار (تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين) لم أجده، وقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاج يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فاطنكم بالذي عمل بما فيه» وفي رواية «ألبس والداه حلة لا تقوم بها الدنيا وما فيها» وورد: «اقرأ القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعي القرآن» تمام في رواية عن أبي امامة مرفوعا «لو كان القرآن في آهاب مامته النار» أحمد والدارمي والطبراني (ولا ينسأه فورده أنه بذنب) أي ذنب كبير فهو خير من وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة ألبس نسيان القرآن بذنب، ونظيره قوله تعالى: (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعش بخلقه من بقادر) وقد يقال: أنه أطلق المصدر وأراد به الفاعل على طريقة رجل عدل أي فورده أنه مذنب وفي نسخة يذنب أي يصير ذا ذنب عظيم وروى من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينسأها قيل: ونزل قوله تعالى في حقه: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فتسيتها وكذلك اليوم تنسى) مع أن العبرة

وَلَا يَخْتَمُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَوَرَدَ أَنَّهُ يَمْنَعُ التَّفَقُّهَ، وَجَاءَ فِي أَرْبَعِينَ
وَفِي أَسْبُوعٍ، وَالْأَحْزَابُ الْمَرْوِيَّةُ سَبْعَةَ ثَلَاثِ سُوَرٍ ثُمَّ خَمْسٌ ثُمَّ سَبْعٌ ثُمَّ تِسْعٌ ثُمَّ
إِحْدَى عَشْرَةَ

بعموم اللفظ لا يخصص السبب ونسيانه عندنا محمول على أنه لم يقدر أن يقرأ نظراً، وعند
الشافعي ومن تبعه أن ينسى غالبه حفظاً وهو كبيرة اتفاقاً ﴿ ولا يَخْتَمُ فِي أَقَلِّ
مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَوَرَدَ أَنَّهُ يَمْنَعُ التَّفَقُّهَ ﴾ ولفظ الحديث «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث
لم يفقهه» رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمرو وصححه الترمذي وذلك لأن
الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما في التنزيل، وقد قالت عائشة لما سمعت رجلاً
يقرأ القرآن هذا: إن هذا ما قرأ ولا سكت ﴿ وجاء في أربعين ﴾ وهو يناسب الأربعينات
الصوفية الصفية وقد ورد «اقرأ القرآن في أربعين» الترمذي عن ابن عمر، ومنهم من يَخْتَمُ
في الشهر مرة يقرأ كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وورد «اقرأ القرآن في كل شهر اقرأه
في عشرين ليلة اقرأه في عشر اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك» رواه الشيخان وأبو داود
عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني عنه «اقرأ القرآن في خمس» وبعضهم قرأه في اليوم والليلة
مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى الثلاث ﴿ وفي أسبوع ﴾ وقد أمر النبي ﷺ
عبدالله بن عمرو أن يَخْتَمُ القرآن في كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من
الصحابة يَخْتَمُونَ القرآن في كل جمعة كعثمان . وزيد بن ثابت . وابن مسعود
وأبي بن كعب ففى الختم أربع درجات الختم في كل شهر والختم في كل يوم وليلة وقد كرهه
جماعة وكانه مبالغة في الاختصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان
معتدلتان اختارهما الأبرار أحدهما في الأسبوع مرة وهي الأولى والأخرى والثانية
في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث وهو الرخصة في الكثرة ﴿ والأحزاب المروية
سبعة ﴾ أي الأوراد المروية الماثورة سبعة أقسام ﴿ ثلاث سور ﴾ وهي بعد الفاتحة البقرة
وآل عمران . والنساء ﴿ ثم خمس ﴾ وهي المائدة . والأنعام . والأعراف . والأنفال .
والتوبة ﴿ ثم سبع ﴾ وهي يونس . وهود . ويوسف . والرعد . وإبراهيم . والحجر .
والنحل ﴿ ثم تسع ﴾ وهي سورة بني إسرائيل . والكهف . ومريم . وطه . والأنبياء .
والحج . والمؤمنون . والنور . والفرقان ﴿ ثم إحدى عشرة ﴾ وهي الشعراء .
والنمل . والقصاص . والعنكبوت . والروم . ولقمان . والسجدة . والأحزاب .

ثُمَّ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ ثُمَّ الْبَاقِي ، وَكَانَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْتَدِئُ
 لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَتِمُّ الْمَائِدَةَ ثُمَّ هُودٌ ثُمَّ مَرْيَمٌ ثُمَّ طُسٌ ثُمَّ صٌ ثُمَّ الرَّحْمَنُ ثُمَّ الْبَاقِي وَهَذَا
 لِلْعَامِلِ ظَاهِرًا وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ فَعَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَيُرْتَلُّ لِتَوْقِفِ التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ

وسبأ . و فاطر . و يس (ثم ثلاث عشرة) وهي والصفات . و ص . و الزمر .
 و حواميم السبع . و القتال . و الفتح . و الحجرات ، ففي كل مرتبة زيادة سورتين
 (ثم الباقي) وهي ق الى الناس وينسب الى علي كرم الله وجهه انه أشار الى هذا
 الترتيب بطريق الرمز والایما . حيث قال : فمى بشوقه فالقاء فاتحة والميم مائدة والياء
 يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقافق ، وقد قال
 العراقي : تحزيب القرآن على سبعة أحزاب رواه أبو داود . وابن ماجه من حديث
 أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟
 قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى
 رواية الطبرانى فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا
 باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدىء ليلة الجمعة) فانها فى الليالى أفضل
 والقراءة بالليل امثل (ويتم المائدة) أى فى ليلته وبقية يوم جمعة (ثم هود) أى
 يبتدئه فى ايلة السبت أو نهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقي) وهو
 يحتمل أن يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ماسبق مرفوعا أو هو رواية أخرى عنه عليه السلام
 وان كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) أى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا)
 فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (وأما صاحب الباطن)
 أى المراعى لأحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) أى ما يقتضيه
 من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر أفعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق
 العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع وان كان من السالكين بأعمال
 القلب وضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة
 وان كان فاقدر الفكر فى معانى القرآن ومباني الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته
 لكثرة التريد والتأمل فى الوعد والوعيد (ويرتل) أى يترسل ويتمهل (لتوقف
 التدبر عليه) وقد قال عز وجل : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

وَكُونَهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّأْثِيرِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ، وَيَكُنِي فُورِدَ «اتْلُوا
الْقُرْآنَ وَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا قَبَا كُوا» فَذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازِنُوا، وَهُوَ بِالتَّأْمَلِ
فِي مَوَاعِيدِهِ وَمَوَاقِفِهِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهَا

(الالباب) (و كونه أقرب الى التعظيم والتأثير) أى تعظيم الرب وتأثير القلب قال
تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) وهو المستحب فى قراءته وقال عز وعلا : (الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته) (وهو المروى) فقد نعت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ
قراءة مفسرة حرقا حرقا أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ، وقال ابن عباس :
لان اقرأ البقرة و آل عمران أرتلها واتدبرها أحب الى من اقرأ القرآن كله
هذرة ، وقال أيضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرها أحب الى من اقرأ البقرة
و آل عمران مهذما (ويكى) فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء
(اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقال : (ان الذين أوتوا العلم من قبله
اذا تلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله - يكون ويزيدهم خشوعا) ومن هنا قال ابن عباس
اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم
فليك قلبه ، قلت : وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولا بد من البكاء والتبائى أو الحزن على
فقدما (فورد اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا قبا كوا) ابن ماجه من حديث سعد
ابن أبى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث وان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا . أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر . بسند ضعيف ويقويه حديث
ان الله يحب كل حزين . الطبرانى والقضاعى بسندهما الى أبى الدرداء مرفوعا ويؤيده
قوله سبحانه : (ان الله لا يحب الفرحين) وبعضه حديث « اقرءوا القرآن بالحزن فانه
نزل بالحزن » رواه أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية . والطبرانى فى الأوسط عن بريدة وعن
الحسن « والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه . وقل فرحه وكثر
بكاؤه وقل ضحكته وكثر نصبه ومشغلكه وقلت راحته وبطالته » وقال عليه السلام لابن
مسعود : اقرأ على قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة
بشيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى : حسبك
الآن (وهو) أى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتأمل فى مواعيده) من التهديد
والوعيد (ومواقفه) من العهد الا كيد (والتقصير فيها) أى فى لوازمها من الاوامر

وَالَا فَيْكِي عَلَى فَقْدَانِ بُكَائِهِ فَمَوْ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ، وَيَتَعَوَّذُ فِي الْإِفْتِاحِ
فَقَدْ وَرَدَ (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) وَيَفْتَحُ عِنْدَ الْخَتْمِ رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ
فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَسْأَلُ أَمْرًا مَرْجُوءًا عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّذُ عَنْ مَخُوفٍ وَيُؤَافِقُ ذِكْرًا أَوْ دَعَاءًا

والزواج فيحزن له لا محالة ويكي ((والا)) أي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر
أرباب القلوب الصافية والصدور الوافية ((فيكي على فقدان بكائه)) أي فليك على
فقد حزنه وبكائه ((فهو أعظم المصائب)) في مقام بلاته ((ويتعوذ في الافتتاح))
أي في ابتداء القراءة مطلقا ، فقد ورد : (فإذا قرأت القرآن) أي أردت قراءته وقيل بعد
فراغه ولا منع من الجمع (فاستعذ بالله) أي من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب
عند الجمهور وقيل للإيجاب ((ويفتح)) أي يبتدىء ختمه أخرى ((عند الختم أي
الختم الأول رغما للشيطان)) أي ورضاء الرحمن ولقوله تعالى : (فإذا فرغت) أي
عن عبادة (فانصب) أي فالتعب في أخرى والآخر خير لك من الأولى ((فهو مأثور))
بل مروي مشهور ، فعن زرارة بن أبي أوفى عن النبي ﷺ « انه سئل أي الأعمال أفضل ؟
فقال عليه السلام : الحال المرتحل أي عمله فقيل : ما الحال المرتحل ؟ فقال الخاتم المفتوح ،
وفي رواية « فتح القرآن » وختمه صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره ومن آخره إلى
أوله كلما حل ارتحل ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسند مرفوعا ولفظه « عليكم
بالحال المرتحل » ووافقه الطبراني في مسنده فينبغي انه اذا قرأ سورة الناس ان يقرأ
سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة إلى المفلحون ويدعو بما كان يقوله عليه السلام
عند ختم القرآن : « اللهم ارحمني بالقراءة واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم
ذكرني منه مانسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله
حجة لي يا رب العالمين » أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن
وأبو بكر بن الضحاك في الشئائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود
ابن قيس معضلا ((ويسأل أمرا مرجوا مر عليه ويتعوذ عن مخوف)) أي اذا وصل
إليه أو قرىء لديه ((ويوافق ذكرًا)) أي فيذكر نبذة ، وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا
كما اذا قرأ : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)
فيذكر ثلاث مرات أو أكثر ويسبح كذلك ((أو دعاء)) أي دعاء كما اذا قرأ : (ادعوني
استجب لكم) وأجيب دعوة الداع اذا دعان) وكذا استغفر في مقام يليق به كقوله

فَالْكَلِّ مَأْثُورٌ، وَيُسِرُّ إِنْ خَافَ الرِّبَاءَ، أَوْ تَشْوِيشَ مَصْلٍ فُورِدَ «يُفَضِّلُ عَمَلَ
السِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وَالْأَفْجَهُرُ فَهُوَ يَنْبَهُ الْقَلْبُ وَيَجْمَعُ الْهَمَّةَ
وَيَصْرِفُ السَّمْعَ إِلَيْهِ وَيَنْفِي النَّوْمَ وَالْكَسَلَ وَيَزِيدُ فِي النَّشَاطِ وَيُوقِظُ الرَّاقِدَ

تعالى : (استغفروا ربكم انه كان غفارا) (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال
حذيفة: صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب
الا استعاذوا بآية رحمة الاسأل ولا بآية تسبيح الا سبج رواه مسلم باختلاف لفظ
(ويسر) أى ويخفى القراءة (ان خاف الرباء) أى على نفسه (أو تشويش مصل)
فى محضره والا فيجوز الجهر به لتلذذ الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره (فورد
يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا) البيهقى فى الشعب من حديث عائشة،
وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية ، وفى لفظ
آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أبو داود.
والنسائى. والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر ، وخير الرزق ما يكفى وخير
الذكر الخفى. أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص وفى الخبر « لا يجهر بعضكم
على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » كذا فى الاحياء وقال العراقى : رواه أبو داود
من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث
على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الا عوروه وضعيف ، وسمع سميد بن المسيب
ذات ليلة فى مسجد النبى ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال : لعلامه اذهب الى هذا المصلى فقل له : يخفض من صوته فقال
الغلام : ان المسجد ليس لنا والرجل فيه نصيب فرفع سميد صوته فقال : يا أيها المصلى
ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن
يغفوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ
أمير المدينة (والا) أى وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل (فيجهر)
أى جوازا أو استحبابا (فهو ينبه القلب) أى يوقظ قلب القارىء (ويجمع الهمة)
فى ذكر الرب البارى (ويصرف السمع اليه وينفى النوم والكسل) أى فيتلذذ
باستماعه لديه (ويزيد فى النشاط) أى نشاط النفس اليه (ويوقظ الراقد) أى

و يُرَغَّبُ فِي الْعِبَادَةِ فَوَرَدَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعُمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ
وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ » وَالْمُتَعَدِّي أَفْضَلُ، وَتَضَاعَفَ النِّيَّةُ يَضَاعَفُ الْأَجْرُ وَالْأَحَبُّ
النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ فَصَوَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ فِي الْأَسْرَارِ وَعُمَرَ فِي
الْجَهْرِ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ النِّيَّةِ

فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ فَيَكُونُ هُوَ سَبَبُ أَحْيَائِهِ وَبَاعْثُ ذِكْرِهِ وَدَعَاةُ ﴿ وَيُرَغَّبُ فِي
الْعِبَادَةِ ﴾ أَيِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالسَّعَادَةِ ﴿ فَوَرَدَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ ﴾ صَدْرُ
الْحَدِيثِ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ يَصَلِّي فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَيِ الْحَفَظَةَ
﴿ وَعُمَّارَ الدَّارِ ﴾ بَضْمُ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ جَمْعُ عَامِرٍ - أَيِ سَاكِنِيهَا - أَيِ مَنْ مَسَلَى
الْجَنِّ ﴿ يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ﴾ رَوَاهُ بَنُحْوَرَةُ بِزِيَادَةٍ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ
وَنَصْرُ الْمُقَدِّسِيِّ فِي الْمَوَاعِظِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَمَنْقُطٌ،
﴿ وَالْمُتَعَدِّي ﴾ أَيِ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَعَدَّى ثَوَابَهُ إِلَى الْغَيْرِ ﴿ أَفْضَلُ ﴾ مِنَ الْعَمَلِ اللَّازِمِ
الْقَاصِرِ عَلَى صَاحِبِهِ ﴿ وَتَضَاعَفَ النِّيَّةُ يَضَاعَفُ الْأَجْرُ ﴾ فَمَهْمَا حَضَرَهُ شَيْءٌ مِنْ
النِّيَّاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَالْجَهْرُ أَفْضَلُ وَإِنْ اجْتَمَعَتِ النِّيَّاتُ الْمُتَعَدِّدَةُ يَتَضَاعَفُ الْأَجْرُ وَالْمَثُوبَةُ
وَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ فِي الْعِبَادَاتِ يَزِيدُ الْعَمَلُ الْإِبْرَارَ وَيَزِيدُ فِي الدَّرَجَاتِ ﴿ وَالْأَحَبُّ ﴾
فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ﴿ النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ ﴾ أَيِ فِي حَضُورِهِ مَعَ الرَّبِّ ﴿ فَصَوَّبَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ فِي الْأَسْرَارِ وَعُمَرَ فِي الْجَهْرِ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ النِّيَّةِ ﴾ رَوَى أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَرَّ عَلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مُخْتَلَفِي الْأَحْوَالِ فَمَرَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَخَافُ
فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَنَا جِيهِ هُوَ يَسْمَعُنِي وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ يَجْهَرُ فَسَأَلَهُ عَنْ
ذَلِكَ فَقَالَ: أَوْقَظَ الْوَسْطَانُ وَأَزْجَرَ الشَّيْطَانُ وَمَرَّ عَلَى بِلَالٍ وَهُوَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ
وَآيَةٌ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: اخْلُطْ الطَّيِّبَ بِالطَّيِّبِ فَقَالَ كُلُّكُمْ قَدْ أَحْسَنَ » أَبُو دَاوُدَ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ نَحْوَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ:
لَمْ خَفَضْتَ صَوْتَكَ فَقَالَ: أَسَمِعْتَ مِنْ نَاجِيَةٍ وَقَالَ لِعُمَرَ: لَمْ رَفَعْتَ صَوْتَكَ فَقَالَ: أَوْقَظَ
الْوَسْطَانُ وَاطْرَدَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: ارْفَعْ قَلِيلًا وَقَالَ لِعُمَرَ: اخْفِضْ قَلِيلًا وَهُوَ
مُنَاسِبٌ دَلِيلًا لِقَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)
وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاهُمَا لِمَقَامِ جَمْعِ الْجَمْعِ فَإِنَّ الصَّدِيقَ كَانَ فِي جَمْعِ الصَّرْفِ

وَيَحْسِنُ الصَّوْتَ بِهِ فُورِدَ « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ أَذَنُهُ لشيءٍ حَسَنِ الصَّوْتِ

بِالْقُرْآنِ » مُكْتَفِيًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّأْثِيرِ

والفاروق في منع التفرقة، وقيل: لئلا يكون كل منهما عاملا الابتاعته في جميع حالته
 ((ويحسن الصوت)) أى بترديد الصوت من غير تمطيط مفراط بغير النظم ((به)) أى
 بالقرآن ((فورد ما أذن الله لشيء)) أى ما سمع وقبل وأقبل ((أذنه)) بفتحين منصوبا ((لشيء))
 أى من المسموعات أى مثل سماعه وقبوله وإقباله ((حسن الصوت بالقرآن)) متفق عليه
 من حديث أبى هريرة بلفظ « ما أذن الله لشيء ما أذن لى يتغنى بالقرآن » زاد مسلم لى
 حسن الصوت وفى رواية « كاذنه لى يتغنى بالقرآن » وقال عليه السلام: « زينوا القرآن
 بأصواتكم » أبوداود والنسائى . وابن ماجه . والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب
 وقال: « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى من لم يترنم وهو أقرب لغة من معنى الاستغناء،
 وروى « أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال: ما حبسك؟ قالت:
 يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى
 استمع إليه طويلا ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمى مثله »
 ابن ماجه من حديث عائشة، ورجال اسناده ثقات، واستمع عليه السلام أيضا ذات ليلة
 الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن
 غضا - أى طريا - كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد، أحمد والنسائى فى الكبرى من حديث
 عمر، وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود « أن أبابكر وعمر بشر أن رسول الله ﷺ
 قال: من أحب أن يقرأ القرآن، الحديث قال الترمذى حسن صحيح، وقال عليه السلام لابن
 مسعود: اقرأ على فقال: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال: « انى أحب أن اسمعه من
 غيرى فكان يقرأ ورسول الله ﷺ عناءه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود،
 واستمع رسول الله ﷺ الى قراءة أبى موسى فقال: لقد أوتى هذا زمارا من
 زمير آل داود متفق عليه من حديث أبى موسى، وفى الخبر كان أصحاب رسول الله
 ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقال عليه السلام من
 استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نور يوم
 القيامة، احمد من حديث أبى هريرة ((مكثفيا على الترغيب)) أى على قدر الرغبة ((والتأثير))
 أى وتأثير التسمية: فورد « اقرءوا القرآن ما أثقلت عليه قلوبكم ولانتم له جلودكم

غَيْرِ مُغَيِّرِ نَظْمِهِ وَلَا مُرَاعٍ قَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى فِي نَغَمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ الْمُنْسُوبَةِ
إِلَى الْمُبْتَدِعَةِ وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَيَعْظُمُهُ فُورِدَ (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ
عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ
أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ لِمَا سَبَقَ أَنَّهُ
الْأَصْلُ وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ (يَا بَحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ» وَفِي بَعْضِهَا «فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقَوْمُوا عَنْهُ» كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ. وَقَالَ
الْعِرَاقِيُّ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ بِاللَّفْظِ الثَّانِي دُونَ قَوْلِهِ «وَلَا نَتَجَلُودُكُمْ» قُلْتُ: وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)،
وَوَرَدَ «أَنْ مِنْ أَحْسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهُ تَعَالَى»
ابْنُ مَاجَةٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ «وَلَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ مِنْ أَحَدٍ أَشْبَهَ مِنْهُ مَنْ يَخْشَى اللَّهُ
تَعَالَى» الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (غَيْرِ مُغَيِّرِ نَظْمِهِ) أَيُّ مَبْنَاهُ بِتَغْيِيرِ مَخْرَجِ حُرُوفِهِ وَصِفَاتِهَا
وَتَبْدِيلِ حَرَكَاتِهَا وَسُكُونَاتِهَا وَزِيَادَةِ فِي مَدَّائِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا (وَلَا مُرَاعٍ قَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى فِي
نَغَمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ) فِي الشَّرِيعَةِ (الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْمُبْتَدِعَةِ) بَلْ إِلَى الْكُفْرَةِ الْفَجْرَةِ كَمَا يُشِيرُ
إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أَيُّ
مَغْنُونٍ أَوْ هَامِدُونَ أَوْ خَامِدُونَ (وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ) فِي آيَةٍ وَآلَائِهِ وَقِصَصِ رُسُلِهِ
وَأَنْبِيَائِهِ وَأَنْوَاعِ بَلَائِهِ لِأَهْلِ وَلَائِهِ ثُمَّ أَهْلَاكَ أَعْدَائِهِ وَانْجَاءَ أَحِبَائِهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي أَحْكَامِهِ
مِنْ أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ وَمُنْتَهَى عَمْرِهِ وَمَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِهَا
وَدَرَجَاتِ الْجَنَّةِ وَحَسَنِ آمَالِهَا وَمَنَاهِلِهَا وَدَرَكَاتِ النَّارِ وَاخْتِلَافِ أَهْوَالِهَا (وَيَعْظُمُهُ)
أَيُّ كَمَا كَانَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ إِذَا نَشَرَ الْمُصْحَفَ غَشِيَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: هُوَ كَلَامُ رَبِّي هُوَ
كَلَامُ رَبِّي. فُورِدَ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (وَتَمَامُ الْآيَةِ) (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا
أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ) أَيُّ وَاسْتَصْغَرَ مَا صَغَّرَهُ اللَّهُ، وَقَدْ سَبَقَ
الْكَلَامُ عَلَى مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ (وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ) فِي التَّلَاوَةِ (لِمَا سَبَقَ) فِي حَقِّ الصَّلَاةِ (أَنَّهُ
الْأَصْلُ) فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ (وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (يَا بَحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

وَيَتَدَبَّرُ فُورِدَ (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتَهُ) وَكَانَ أَهْتَامُهُمْ بِالتَّفْقُّهِ دُونَ اللَّفْلَقَةِ حَتَّى لَمْ يَسْتَظْهَرِ

الْأَبْضَعَةُ عَشْرَ بَلِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ لَمْ يَحْفَظْ إِلَّا سُورَةَ أَوْ سَوْرَتَيْنِ

أى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب ((ويتدبر فوردا)) فى التنزيل ((ليدبروا آياته)) تمامه (وليتذكروا أولو الألباب) والتدبر سبب التذكر ((وكان اهتمامهم بالتفقه)) أى الدراية ((دون اللفظة)) أى كثرة القراءة والرواية قال على: لا خير فى عبادة لافقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها، وكان بعضهم يقول: كل آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها إلا أعدتوا بها لها، وقد روى عن عامر بن قيس أنه قال الوسواس يعترينى فى الصلاة فقيل له أفى أمر الدنيا؟ فقال لأن تختلف فى الأسته أحب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدي ربى واين أذهب وكيف أنصرف؟ قال الحجة: فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لأنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا أن يشغله بمهم دينى ولكنه يمنع عن الأفضل، ولما ذكر ذلك للحسن فقال: ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا، هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون تحفظ مبناه ((حتى لم يستظهره)) أى لم يحفظ جميعه ((الأبطعة عشر)) صحابيا من أكابر الصحابة وأجلاتهم فى القراءة كالخلفاء الأربعة. وأبى بن كعب. وأبى مسعود. وزيد ابن ثابت. وسالم مولى أبى حذيفة، وفى الأحياء مات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم فى اثنين، قال العراقى: قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والافقد رويتا عن أبى زرعة الرازى أنه قال: قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى، وأما من حفظ القرآن فى عهده فى الصحيحين من حديث أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب. ومعاذ بن جبل. وزيد. وأبو زيد قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الشعبي مرسلأ وأبى الدرداء. وسعيد بن عبيد، وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرءوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود. وسالم مولى أبى حذيفة. ومعاذ بن جبل. وأبى ابن كعب ((بل الكثير منهم لم يحفظ إلا سورة)) كالبقرة ((أو سورتين)) كالزهرأوين، وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، وروى ابن الأنبارى بسنده الى عمر قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة

ويردده مرارا فقد قام عليه السلام ليلة بآية ويتفهم وهو يتفاوت بحسب صفاء
الباطن وظهور المكشفة فورد «ان للقرآن ظهرا وبطنا» * «لا يفقه العبد

من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها الحديث وسنده ضعيف . والترمذي وحسنه من
حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ بعثنا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل
منهم مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال : مائة يا فلان ؟ قال : معي
كذا وكذا وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : اذهب فأت أميرهم
الحديث (ويردده مرارا) أى من حق القرآن أن يكرر المقروء مرة بعد مرة (فقد
قام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) النسائي . وابن ماجه بسند صحيح عن أبي ذر ،
وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة أبو ذر الهروى فى
معجمه عن أبي هريرة بسند ضعيف ، وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب
الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ، وقام
سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) (ويتفهم)
بأن يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر أحوال أنبيائه وأوليائه
وبيان حال أعدائه ، وذكر أوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودرجات ناره
(وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وأنواره (وظهور المكشفة) للقلب
واسراره (فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا) تمامه «وحدا ومطلعا» ابن حبان فى صحيحه
من حديث ابن مسعود ؛ وروى عن ابن مسعود مرفوعا أيضا «ان القرآن أنزل على
سبعة أحرف لكل آية منها ظر وبطن ولكل حرف حد ومطلع ، فالظاهر تلاوة المبنى
والباطن تفهم المعنى والحد إحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا
المقام ، وأخرج النسائي من رواية أبى جحيفة قال : سألنا عليا رضى الله عنه فقلنا : هل
عندكم من رسول الله ﷺ شئ سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرىء
النسمة الا أن يعطى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى
بلفظ «هل عندكم شئ ، ما ليس فى القرآن» وقال مرة : ما ليس عند الناس (لا يفقه العبد)

حَتَّى يَرَى الْقُرْآنَ وَجُوهًا كَثِيرَةً * « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاتَّقُوا عَرَائِبَهُ »

أى كل الفقه (حتى يرى للقرءان وجوها كثيرة) قال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها ، وعن الإمام جعفر الصادق أن كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والاشارة . واللطائف . والحقائق فالعبارة للعوام . والاشارة للخووص . واللطائف للاولياء . والحقائق للانبياء ، أقول : وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتمامه لأن كلامه الازلى من نعته العلى وكما لانهاية لذاته ولا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحر من بحار الاسرار ونهرا من أنهار الأنوار ، وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه: (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، وقد قيل: لا يكون المريد حتى يجد فى القرءان كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ، وفي الخبر لولا أن الشياطين يحدقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ، ومباني القرءان من جملة الملكوت رواه أحمد عن أبى هريرة (اقرأوا القرءان واتمسوا غرائبه) ابن أبى شيبة فى مصنفه . وأبو يعلى الموصلى . والبيهقى فى شعبه من حديث أبى هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف ، وعن ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور (١) القرءان ، هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال: (تبصرة وذكري لكل عبد منيب) وقال: (وما يتذكر الا من ينيب) وقال (انما يتذكر اولوا الالباب) والذى آثر غرور الدنيا على سرور العقى فليس من ذوى الالباب فلذا لا ينكشف له أسرار الكتاب وأنوار الخطاب ، وقد ورد اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع من هبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى ، قال الفضيل : يعنى ، حرموا فهم القرءان كذا فى الاحياء وقال العراقى: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض ، قال : ذكر عن نبي الله ﷺ وقد قال تعالى : (وأوحى الى هذا القرءان لا نذكركم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرءان فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض أهل الفضائل : هذا القرءان رسائل اتقنا من قبل ربنا بهود لتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات وتعجبها فى الطاعات بالسنن المتبعات ، وكان

(١) هو بالناء المثلثة أى لينقر عنه ويبحث عن علمه ويخوض فى معانيه

«أما ما ورد « من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار »

مالك بن دينار يقول: ما ذرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقال قتادة : لم يجالس هذا القرآن أحد الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى: (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) ولذا قيل : من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وأنت معرض عنى ؟ دع عنك كلامى اذلم تنبألى ، وما يدل على أن مدار القرآن على فهمه والعمل بأمره ونهيه مارواه أبو داود . والنسائي في الكبرى . وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو قال : « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : اقرئنى يا رسول الله فاقرأه اذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام: افلح الروي جل افلح الروي جل ولا حمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال : حسبي لا أبالى ان لا أسمع غير هذه ، وعن جعفر الصادق والله لقد يحكى الله سبحانه خلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون ، وقال أيضا وقد سأله عن حاله الخفية في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال : ما زلت أردد الآية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدره ، وكان رضى الله عنه تصور أن الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وأنه نودى في شأنه ما صدر من الكلام في ذلك المقام وفق المرام ، ومن هنا قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن فلم أجد له حلاوة حتى تلوته كما نى اسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كما نى اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعما لا أصبر عنه ، فقال عثمان . وحذيفة: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وعن ثابت البناني كما بدأت القرآن عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممثلا لقوله سبحانه : (فقرأوا إلى الله) قيل ليوسف بن اسباط : اذا قرأت القرآن بما تدعو ؟ قال : بما اذا ادعوا استغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فنستغفر الله مما سواه ولا نعبد الاياه ولا نقصد فى الدارين ما عداه (اماما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار) أى فليهب مكانه من

فمحمول على القطع على مراده تعالى والاحتجاج لاثبات الهوى دون الاستنباط
لفقد السماع إلا في بعض آيات واختلافهم على أقوال يمتنع التوفيق بينهما،
وورد (لعله الذين يستنبطونه منهم) اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

نارجهنم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود فى رواية
ابن العبد، وعند النسائى فى الكبرى (فمحمول) أى وعنده (على القطع على مراده
تعالى) أى إذا لم يعلم أنه مراده كما فى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات
والافن المعلوم أن قوله تعالى : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أراد الله بهما العبادتين
أحدهما بدنية والأخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا : المراد
بالصلاة وصل الصلوات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات
الهوى) بأن يكون له فى الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على مقتضاه
ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له
من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) أى لا يحمل على استنباط المعانى من مدارك
المباني فى الآيات المحتملات (لفقد السماع) أى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله
ﷺ فى تفسير السبع المثانى (الا فى بعض آيات) تعد نادرات فى واقعات (واختلافهم)
أى ولاختلاف الصحابة والمفسرين (على أقوال) أى مختلفة (يمتنع التوفيق بينهما)
أى لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فتعلم على القطع أن كل
مفسر قال فى المعنى ما ظهر له باستنباطه فى المبني حتى قالوا فى الحروف التى هى أوائل السور
سبعة أقاويل مختلفة بل سبعين قولاً غير مؤتلفة (وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم)
الآية ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فثبت لأهل العلم استنباطها ، ومعلوم
أنه وراء السماع فجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط
تذكر فى محله الإليق به ، ومن ذلك استخراج أبى بكر رضى الله عنه موت النبى ﷺ
من قوله سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فان الكمال يشير
إلى الزوال كوصول الشمس إلى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر
المبنى (اللهم فقهه فى الدين) أى ابن عباس (وعلمه التأويل) البخارى من حديث ابن
عباس فلو كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فامعنى تخصيصه بذلك ثم إذا كان الاستنباط
ممنوعاً فينبغى أن لا يقبل ما يقوله ابن عباس : وابن مسعود . وغيرهما من قبل أنفسهم على

وَيَتَخَلَّى عَنِ الْمَوَاقِعِ كَتَحْقِيقِ الْمَخَارِجِ وَأَدَاءِ اللَّفْظِ وَقَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى وَالْإَصْرَارِ
عَلَى الذَّنْبِ وَالْإِتِّصَافِ بِالذَّمِيمَةِ فُورِدَ (تَبَصُّرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) وَيَقْدَرُ
فِي كُلِّ خُطَابٍ فُورِدَ (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ»

قَدَرُ فَهْمِهِمْ ، وَيُقَالُ : هُوَ تَفْسِيرُ بِالرَّأْيِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ
كَذَلِكَ فَافْهَمُوا أَنَّهُ كَثُرَ الْقُرْءَانُ مَا تَبَيَّنَ إِلَّا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ مَا تَبَيَّنَ بِأَقْوَالِ أَصْحَابِهِ
الْكَرَامِ وَاتِّبَاعِهِ الْعِظَامِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ (وَيَتَخَلَّى عَنِ الْمَوَاقِعِ) أَيْ وَيَجْتَنِبُ عَنْ
مَوَاقِعِ الْفَهْمِ (كَتَحْقِيقِ الْمَخَارِجِ) أَيْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَتَدْقِيقِ صِفَاتِهَا (وَأَدَاءِ
الْلَفْظِ) مِنْ تَرْقِيقٍ وَتَغْلِيزٍ وَرُومٍ وَاشْتِمَامٍ وَمَدَوْقَصٍ وَفَقِّ مِرَاعَاتِهَا بِالْمُبَالَغَةِ فِي تَحْسِينِ
حَالَاتِهَا وَالْإِفْهَامِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقِرَاءَةِ (وَقَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى) أَيْ وَيَتَخَلَّى
عَنْهَا بِأَنَّهُ لَا يَلْحَنُ فِي الْقِرَاءَةِ لِحْنًا جَلِيلًا كَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ لَا يَلْحَنَ فِيهَا لِحْنًا خَفِيفًا فِي الْمَقْدَمَةِ الْجُزْئِيَّةِ
وَالْإِخْذِ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّى لَا يَزِمَ هـ مِنْ لَمْ يَجُودُ الْقُرْءَانُ أَتَمُّ
فَإِنَّ بِهِ الْإِلَهَ أَنْزَلَهُ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

(وَالْإَصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ) أَيْ وَيَتَخَلَّى عَنِ الْإَصْرَارِ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ
فَإِنَّهُ لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإَصْرَارِ كَمَا لَا كَبِيرَةَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (وَالْإِتِّصَافُ بِالذَّمِيمَةِ) أَيْ مِنَ الْإِخْلَاقِ
الرَّدِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الدُّنْيَا (فُورِدَ) أَيْ فِي نَعْتِ الْقُرْآنِ (تَبَصُّرَةً وَذِكْرًا) أَيْ تَذَكُّرًا
(لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) وَالْإِنَابَةُ هِيَ الرُّجُوعُ مِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْيَقَظَةِ بِمَا أَنَّ التَّوْبَةَ الرُّجُوعُ
مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ فَهِيَ وَالْأَوْبَةُ أَخْصَرُ مِنَ التَّوْبَةِ وَلِذَا جَاءَ فِي وَصْفِ الْإِنْيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ
(أَنَّهُ أَوَابٌ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (وَيَقْدَرُ) أَيْ يَفْرَضُ الْقَارِءُ وَيَقْرُرُ
أَنَّهُ الْمُرَادُ (فِي كُلِّ خُطَابٍ) مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَغَيْرِهِمَا كَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فِي كَلَامِ
الْبَارِي (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ
عَلَيْهِ وَمَا يَنْبَغِيهِ الْمَرَامُ لَدَيْهِ (اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ) أَيْ مَا دَامَ يَنْهَاكَ عَنِ الْكُسْلِ وَالْغَفْلَةِ
وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَذْمَةِ وَتَمَامُ الْحَدِيثِ «وَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرؤه» الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ

وقصة فهي للتنبيه فورد (و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ويتأثر باختلاف حال القلب بحسب المعنى فيفرح فيشتاق ويخاف عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها ويترقى فيه فالادنى تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى، ثم انه تعالى يخاطبه ثم رؤية المتكلم وصفاته وأفعاله والأولان لأصحاب اليمين وغيرهما للغافلين، ويرى دخوله فيما ورد في العاصين

عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (وقصة) أى ويقدر انه المراد فى كل قصة مشتملة على منحة ونعمة أو محنة وغصة (فهي للتنبيه فورد) فى التنزيل (و كلا) أى وكل ما يحتاج اليه ويصفه بقوله (نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) بدل كل من كل واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره أولى ، وورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (ويتأثر) أى القارىء (باختلاف حال القلب) أى تعلقه (بحسب المعنى) أى بتفاوت معنى كلام ربه (فيفرح فيشتاق ويخاف) كلها لف ونشرها المرتب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التويع والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (ويترقى فيه) أى فى مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى (فالادنى) أى فى مقام الترقى (تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى) أى كما يقرأ بين يدي معلمه قال تعالى : (الرحمن علم القراءن) فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجزى عليه فيفيد هذا الحال التلق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) أى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) أى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلماً بكتابه أو مستمعاً لخطابه أو واقفاً بجانبه ومتعلقاً به فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم الحى والعليم والسميع والبصير والقدير (وأفعاله) أى كاسماء أفعاله مما أثره محسوس فى مخلوقاته كالمحيى والمخلوق والرازق والمصور والوهاب (والأولان) أى من الاحوال (لأصحاب اليمين) أى المطيعين من المسلمين (وغيرهما) أى من المراتب المذكورة من أنواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين (ويرى) أى وينبغى ان يرى السالك ولو كان فى أعلى المسالك (دخوله فيما ورد فى العاصين

وَالْمُقَصِّرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ، وَمِنْهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ فَبِهِ وَعَدَّ صَحْبَتَهُ
وَشَفَاعَتَهُ، وَوَرَدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ بِالسَّلَامِ فَوُرِدَ (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا
تَسْلِيمًا) وَالصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

وَالْمُقَصِّرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ) أَيِ الْمُعْتَبَرِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ ((وَمِنْهَا)) أَيِ مَنْ
أَنْوَاعِ الْوُرُودِ ((الصَّلَاةُ عَلَيْهِ)) أَيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ((فَبِهِ وَعَدَّ صَحْبَتَهُ)) أَيِ رَفَقَتِهِ فِي مَنْزِلَتِهِ
((وَشَفَاعَتِهِ)) لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ أَمَّا دَلِيلُ الْأَوَّلِ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوَّلَى النَّاسِ بِي أَيُّ بَقَرٍ بِي فِي
الْعَقْبِ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ» أَيِ فِي الدُّنْيَا التِّرْمِذِيُّ. وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُؤَيِّدُهُ
رَوَايَةُ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى صَلَاةٍ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً
وَأَمَّا الثَّانِي، فَوُرِدَ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ثُمَّ سَلُّوا
اللَّهُ لِي الْوَسِيلَةَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ، وَوُرِدَ «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَارَةِ
مِنْ أُمَّتِي» التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ ((وَوُرِدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ)) رَوَاهُ أَبُو بَعْلَى مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلَفْظًا مَا كَثُرُوا الصَّلَاةَ عَلَى فَانْهَازَ كَاةَ لَكُمْ، أَيِ بِمَنْزِلَةِ زَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ
لِفُقَرَائِكُمْ وَأَغْنِيَاءِكُمْ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ تَزَلُ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي
فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ. وَالْمُسْتَغْفِرُ فِي الدَّعَوَاتِ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا صَلُّوا عَلَيَّ
فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ كَفَّارَةٌ لَكُمْ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَشْرَاءُ وَفِي رَوَايَةٍ أَيْضًا عَنْ أَبِي
كَاهِلٍ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَكُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَبَّ لِي وَشَوْقًا إِلَيَّ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَلِكَ الْيَوْمِ، ((وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ))
أَيِ الصَّلَاةِ ((بِالسَّلَامِ فَوُرِدَ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا تَسْلِيمًا)) وَظَاهَرَهُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ
مَوْضِعٍ لَكِنْ لَا يَجِبُ كَمَا تَوْهَمُ النَّوَوِيُّ إِذَا لَوَاوُا لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ فَإِذَا صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمُ فِي
آخِرِ قَدْ خَرَجَ عَنْ عَهْدِ الْأَمْرَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَدْ
جَعَلَتْ فِي الْمَسْأَلَةِ رِسَالَةً مُسْتَقْلَةً ((وَالصَّلَاةُ)) بِالْخَفْضِ أَيِ وَيُقَرَّنُ بِالصَّلَاةِ ((عَلَى سَائِرِ
الْأَنْبِيَاءِ)) أَوْ بِالرَّفْعِ أَيِ مِنْ حَقِّ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَذَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبِينَ أَصَالَةً ((وَأَهْلَ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ)) أَيِ تَبَعًا ((فَهُوَ الْمَأْثُورُ)) وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ،
وَقِيلَ: يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ لِنَبِيِّنَا، وَيَقْتَصِرُ عَلَى السَّلَامِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ الْعَطْسَةِ وَالذَّبْحِ وَالتَّعَجُّبِ «وَمِنْهَا الْأَذْكَارُ الْمَرْوِيَّةُ الْوَارِدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ»

(ولا يذ كر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط : لان فيه ايها الما لهلال له (والتعجب) أي رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوى قاضي خان رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الناطق انه لا يجب عليه الصلاة لان قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلاة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة إن صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأتهم والله سبحانه اعلم ، والظاهر أنه يستثنى ما إذا قرأ أو سمع آية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فانه يجب عليه الصلاة والسلام حيثذ ولو في الصلاة كما صرحوا بذلك في حال الخطبة، وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على ، النسائي . والطبراني في الأوسط وأبو يعلى . وابن السني ورواه أحمد . وابن حبان . والحاكم وصححه ومن ذكرني فليصل على ، أبو يعلى عن أنس والظاهر ان الأمر للرجوب لكن قال الطحاوي انه يتداخل في المجلس كسجدة التلاوة ، وما يدل على الإيجاب حديث «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» أي ذل في الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذي . وابن حبان : والبزار . والطبراني من حديث أبي هريرة وحسنه الترمذي «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على» الترمذي . والنسائي عن علي . وابن حبان . والحاكم عن حسين بن علي رضي الله عنهما ، والاختار في هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة في شرح الصلاة المحمدية والصلوات الاحمدية (ومنها) أي من جملة الأوراد بل أجل ورد للعباد والعباد في جميع البلاد (الاذكار) بكلمة التوحيد والتمجيد وأسماء الله والتسبيح والتحميد (المروية) في الاخبار المرضية (الوارد فيها الفضائل) أي الكثيرة الشهيرة في الكتاب والسنة المصطفوية ، أما الكتاب فقوله تعالى : (فاذكروني أذكركم) قال ثابت البناني : إني أعلم متى يذكركني ربى سبحانه وتعالى ففرغوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك؟ قال إذا ذكرته ذكركني وقوله : (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله بحكاية : (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وقوله : (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقوله (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس : أي بالليل . والنهار . والبر . والبحر . والسفر . والحضر : والغنى . والفقر . والمرض . والصحة : والسرو . والعلاية ، وقوله في ذم المنافقين (ولا يذكرون

وَمِنْهَا الدُّعَاءُ فُورِدَ «الدُّعَاءُ مُخِ الْعِبَادَةِ»

الله (إلا قليلا) وقوله: (واذ كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله: (ولذ كر الله أكبر) قال ابن عباس: له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكر كم إياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه (وأما السنة) فقوله عليه السلام: ذا كر الله في الغافلين بمنزلة الصابر الغازي رواه البزار والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، وقوله تعالى: «انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» ابن ماجه . وابن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد، وقوله «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى» ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني من حديث معاذ وقوله لما سئل أي الأعمال أفضل قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» ابن حبان والطبراني في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ، وقوله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإذا تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هروا إلى» يعني بالهرولة سرعة الإجابة لديه، والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله عز وعلا «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين» البخاري في التاريخ والبزار في المسند والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام: «لو أزر رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكرك الله كان الذاكرك الله أفضل» الطبراني في الكبير عن أبي موسى، وقوله «مثل الذي يذكرك ربه والذي لا يذكرك ربه مثل الحى والميت» رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري وقوله «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال: حلق الذكر» رواه أحمد والترمذي والبيهقي عن أنس وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة؟ قال: المساجد قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وقوله ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ وقوله «كثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن السني: والحاكم، والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري (ومنها) أي من أصناف الورد (الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة) الترمذي من حديث أنس، والدعاء هو العبادة أصحاب السنن الأربعة

وَحَقُّهُ أَنْ يَتَرَصَّدَ شَرَائِفَ الْأَوْقَاتِ لِمَا وَرَدَ فِيهِ « فَضِيلَةٌ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وَسَحَرٍ وَجَوْفِ اللَّيْلِ وَعِنْدَ الزَّوَالِ

والحاكم وقال: صحيح الاسناد وقال الترمذى: حسن صحيح وليس شىء أكرم عند الله من الدعاء، الترمذى وقال غريب وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وقال صحيح الاسناد « ما من مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة الا أعطاه اياه إيمان يعجلها واما أن يدخرها له » أحمد عن أبي هريرة « الدعاء سلاح المؤمن » أبو يعلى . والحاكم عن علي « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء » الترمذى . والحاكم عن أبي هريرة وقال: صحيح الاسناد « من لم يدع الله غضب عليه » ابن أبي شيبة فى مصنفه من حديث أبي هريرة ونعم ما قيل :

الله يغضب ان تترك سؤاله . . . وبني آدم حين يسأل يغضب

واختلف هل الافضل هو الدعاء أو السكوت تحت جريان القضاء مع أن الدعاء لا ينافى الرضاء ؟ فقيل: الأول أفضل لحديث الدعاء من العباداة وقيل الثانى أكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائئين، و يؤيده قول الخليل عليه السلام عليه بحالى يغنى عن سؤالى ، وقيل يختلف باختلاف الأوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات، وقيل ما كان لنفسه فالسكوت أولى وما كان لغيره فالدعاء أحرى (وحقه) أى الدعاء (أن يترصد) أى ينتظر (شرائف الأوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم) كيوم عرفة ويوم الجمعة (وليلة) كليلة الجمعة وليلة القدر (وسحر) وهو قيل الصبح على ما ذكره الجوهري والسدس الأخير على ما قاله الزمخشري والثالث الأخير على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له، وقيل إن يعقوب عليه السلام إنما قال لبنه سوف أستغفر لكم ربى ليدعوني وقت السحر فقيل إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء، وعن عائشة ما ألقى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى الا قائما متفق عليه ولم يقل البخارى الأعلى (وجوف الليل) أى وسطه وأثنائه كله أو نصفه (وعند الزوال) أى الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولأنهما غالباً وقت الغفلة أو

وَصُعودِ أَلِإمامِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. وَفِي جَلْسَةِ الْخُطيبِ. وَغُرُوبِ الشَّمْسِ فِيهَا.
وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ. وَالْأَحْوالِ. وَنَزُولِ
الْمَطَرِ. وَأَدَاءِ الْفَرَضِ. وَخَتْمِ الْقُرْآنِ

بعد الزوال الأخير لما ورد فيه من فتح أبواب السماء ﴿ وصعود الامام يوم الجمعة
وفي جلسة الخطيب ﴾ أي على المنبر ﴿ وغروب الشمس فيها ﴾ أي وعنده في الجمعة أقوال
في ساعة الجمعة وقد بينها مع غيرها من الأقوال وما ورد فيما سبق من أوقات الدعاء
في شرح الحصن الحصين ﴿ وبين الأذان والإقامة ﴾ يوم الجمعة أو مطلقا فورد
الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد وقد جعله صاحب الحصن في الأحوال والحديث
رواه أبو داود . والترمذي . والنسائي . وابن حبان عن أنس وزاد الترمذي قالوا:
فما نقول يا رسول الله؟ قال: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة ﴿ وبين الظهر والعصر
يوم الأربعاء ﴾ لم أجده، وكان حقه أن يذكر رمضان في أوقات الإجابة فروى البزار
والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال يوما - وحضر رمضان -
أنا كم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء
الحديث ﴿ والأحوال ﴾ أي وإن يترصد شرائف الأحوال كالغزو ﴿ ونزول المطر ﴾
رواه الشافعي في الام مرسلا، وقال: قد حفظت عن غير واحد جرب الإجابة عنده
﴿ وأداء الفرض ﴾ ظاهره بعد أدائه ويحتمل وقوعه في اثنتائه قال أبو هريرة إن أبواب السماء
تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة المكتوبة،
وروى أبو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله
ﷺ «ثنتان لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم
بعضاً» وفي رواية عنه أيضا مرفوعا قال «ووقت المطر أو تحت المطر» ﴿ وختم القرآن ﴾
خصوصا من القاري، فعن العرياض مرفوعا «من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة
ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة، الطبراني في الكبير وعن الحكم بن عتيبة قال مجاهد:
وعنده ابن أبي ليابة وأناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا
ارسلوا إلى والي سلبة بن كميل فقالوا: انا كنا نعرض المصاحف فاردنا أن نختم اليوم
فأجبنا أن تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه رواه ابن أبي

وَالْمَشْيَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالصَّوْمِ. وَالْإِفْطَارِ. وَالسَّجْدَةِ وَالرَّقَّةِ وَالتَّيَقُّظِ لِجَلَالِهِ
تَعَالَى. وَالْمَرَضِ. وَالْغُرْبَةِ وَقِرَاءَةِ الْإِخْلَاصِ. وَالْكَوْنِ فِي الْجَمَاعَةِ تَبْلُغُ مِائَةً
وَالْوُقُوفَ بِعَرَافَاتٍ. وَالْمُلْتَزِمَ. وَعِنْدَ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْكُلَّ مَأْثُورًا
وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ

شبهة في مصنفه. وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف بسند صحيح ﴿ والمشي الى
المسجد ﴾ ، فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلاة قال: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وخلقى نورا رواه الشيخان
وغيرهما عن ابن عباس، وفي رواية « كان يقول اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق
عمشاي اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء واني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء
سخطك ان تنقذني من النار وان تدخلني في الجنة مع الابرار، ﴾ (والصوم) أى حاله
فورد « الصائم لا ترد دعوته » الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة
﴿ (والإفطار) أى وقته فورد « أن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » ابن ماجه والحاكم عن
ابن عمر ﴿ (والسجدة) أى حال السجود، فورد « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجدا كثيرا من الدعاء، رواه مسلم ﴾ (والرقعة) أى رقة القلب. ودمعة العين بذكر
الرب ﴿ (والتيقظ لجلاله تعالى) فانهما من علامات الاجابة ﴾ (والمرض) فقد ورد
اذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أبو الشيخ عن أنس
وعن عمر مرفوعا « اذا دخلت على مريض فمره يدعوك فان دعاءه كدعاء الملائكة،
كذا في المشكاة ﴾ (والغربة) فقد روى البزار عن أبى هريرة « ثلاث حق على الله ان
لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع » ﴿ (وقراءة
الإخلاص) لم أجده ﴾ (والكون في الجماعة تبلغ مائة) ذكر في الحصن الحصين في احوال
الاجابة اجتماع المسلمين وقال: رواه الجماعة عن أم عطية الأنصارية ﴿ (والوقوف
بعرافات) فورد « خير الدعاء دعاء يوم عرفة » الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده ﴿ (والملتزم) و كذا رؤية الكعبة وعند زمزم ﴾ (وعند قبره ﷺ) وكذا
ومساجده ومشاهده ﴿ (والكل مأثور) والبعض مشهور، وفي الحصن زيادات عليه
وقد شرحنا لديه من بيان أما كن الاجابة والذين يرجي لهم الاجابة وقد خلط المصنف
بين الأحوال والرجال والامكنة والازمنة ﴾ (ويستقبل القبلة ويرفع يديه) لما

حَتَّى يَرَى مَا تَحْتَ أَبْطِيهِ ضَامًا كَفِيَّهَ جَاعِلًا بَطْنَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَهُوَ مَرُورِي
وَوَرَدَ « أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَحْيِ أَنْ يَرُدَّ هُمَا صَفْرًا » دُونَ الْعَيْنِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ
وَيَفْتَحُ بِالتَّحْمِيدِ

روى مسلم عن جابر « أنه عليه السلام أتى الموقف بعرقه واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس » وللنسائي من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات ﴿ حتى يرى ما تحت أبطيه ضامًا كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروي ﴾ أي عن أنس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض أبطيه في الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء، وعن ابن عباس كان عليه السلام إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مائلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف، وعن عمر كان عليه السلام إذا مدي يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرک وسكت عليه ﴿ وورد أنه تعالى يستحي أن يردهما صفرا ﴾ بكسر الصاد أي خاليا، فعن سليمان ابن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما ﴿ دون العين ﴾ أي لا يرفعهما إلى السماء حال الدعاء ﴿ فهو منهي عنه ﴾ فعن أبي هريرة مرفوعا « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » رواه مسلم ولا يبالغ في رفع صوته لما روى أبو موسى الأشعري قال قدمنا مع النبي ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم « فقال أيها الناس إن الذي تدعون ليس باصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم، كذا في الأحياء وقال العراقي حديث أبي موسى بإيها الناس إن الذي تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود، وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وفي رواية والطهور أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) وورد « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه، وفي لفظ صوته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسن فالأخفاء في الدعاء أفضل لتلك الآية ولقوله تعالى ثناء على زكرياء: (اذنادي ربه ندا خفيا) ﴿ ويفتح ﴾ أي يبتدى الدعاء ﴿ بالتحميد ﴾ كما في سورة الفاتحة وقم الثناء قبل الدعاء، وقال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله

وَالصَّلَاةُ وَيَخْتَمُ بِهِمَا لَكُونَهُمَا مَقْبُولَيْنِ فَلَا تَرُدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ، وَيَقْدُمُ رَبَّنَا خَمْسًا فُورَدَ فِيهِ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) وَحَاجَةُ الْآخِرَةِ لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ، وَيَجْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْمُخَافَةَ فُورَدَ (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا)

ﷺ يستفتح الدعاء الا استفتحته وقال: سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد ((والصلاة)) أى على النبى ﷺ فورد من حديث فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجده الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى أحدكم فليبدأ بتهجد ربه والثناء ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألت الله حاجة فابدؤا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى أحدهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكي كذا فى الاحياء، وقال العراقى لم أجده مرفوعا وانما هو وقوف على أبى الدرداء ((ويختتم)) أى الدعاء ((بهما)) أى بالحمد لقوله تعالى: (وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين) وبالصلاة ((لكونهما)) يكونان ((مقبولين فلا ترد حاجته فى البين)) قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأل الله حاجته ثم يختتم بالصلاة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ((ويقدم)) على دعائه ((ربنا)) أى ياربنا ((خمسا فورد فيه)) أى فى حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى: (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) الى قوله: (فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة) أى ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام: اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ((لتسارع النجاح)) أى الفوز والفلاح ((ويجتنب الجهر والمخافة)) أى بل يجعل دعاءه وسط الحالة ((فورد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها)) أى بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الآية: (وابتغ بين ذلك سبيلا) لكن الظاهر أن المراد بصلاتك بقرائك فيها كما تقدم وهو اما فى التهجد، أو المعنى لا تجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها فى تمام الأيام وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح والعشاءين والجمعة والتراويح، وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل، وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا أبو نصر عن أبى هريرة،

وَلَا يَتَكَلَّفُ بِالسَّجْعِ فَوْرَدَ «إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ» وَالْأَوَّلَى أَنْ
يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَأْثُورِ لِثَلَاثِ سَأَلٍ مَا لَا صَلَاحَ فِيهِ وَيَتَضَرَّعُ وَيَخْفَى فَوْرَدَ (أَدْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخَفِيَّةً) وَيَحَقِّقُ الرَّجَاءَ

(ولا يتكلف بالسجع) في الدعاء فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتمتع
لا يناسبه (فورد اياكم والسجع في الدعاء) وتمامه «بحسب أحدكم أن يقول اللهم
انني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل» وهو غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه
فاني عهديت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون الا ذلك أي عدم تكلف السجع ثم المنع
اتما هو التكلف في السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والافق الادعية المأثورة
على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤلفة الا أنها غير متكلفة كقوله
عليه السلام: «اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الا من يوم الوعيد والجنة
يوم الخلود مع المقربين الشهود والر كع السجود والموفون بالعهود انك رحيم ودود
وأنت تفعل ما تريد» الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة
حين فرغ من صلاته قد ذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب، وكقوله «اللهم
انني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع» أحمد.
وابن حبان. والحاكم عن أنس وزيد في رواية «ومن هؤلاء الأربعة» وكقوله «اللهم استر
عوراتنا وآمن روعاتنا» أحمد في مسنده عن أنس سعيد مرفوعا (والاولى أن يقتصر على
المأثور لثلاث سأل ما لا صلاح فيه) فانه إذا جاوزه قد يعتدى فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته
فما كل أحد يحسن في دعوته ولذا روى عن معاذ أن العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لأهل
الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء، ولأنه عليه السلام تعلما
لأمته الكرام ما ترك شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سأل الله وتعوذه،
وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الانخم والورد
الاعظم (ويتضرع) أي بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفى) أي الدعاء عن غيره
(فورد ادعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذ كر أولى لانه أحد أنواعه، وقد ورد
(واذ كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) وفي الحديث «وخير الذ كر
الخنفي» (ويحقق الرجاء) أي في اجابة الدعاء لحديث «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت

فورد «ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة» ويلح فورد «ان الله يحب الملحين في الدعاء» وأقله التلث، ولا يستعجل فورد «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» ولا يذكر الطاعة فهو يورث العجب

اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة والحديث «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء» رواه مسلم من حديث أبي هريرة «فورد ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة» تمامه «واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» الترمذى من حديث أبي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة «لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء أشرف الخلق ابليس إذ قال رب انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين» وما أحسن من قال من أهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر إلى مكان انظرني «ويلح» أى يكرر الدعاء «فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء» الحكيم وابن عدى والبيهقى عن عائشة أما ما روى من حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق فى مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا «وأقله التلث» فعن ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه «ولا يستعجل» بأن يستبطل الاجابة «فورد يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» تمامه فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة «وقال بعضهم: انى أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني، وقد ورد «إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال» البيهقى فى الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف والبيهقى فى كتاب الصفات من حديث حبيب بن أبي ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله ﷺ كان اذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات، «ولا يذكر الطاعة» أى طاعته السابقة عند الدعوة «فهو يورث العجب» أى والمقام يقتضى المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما فى حديث أبي بكر رضى الله عنه فى صلاة التوبة رواه الأربعة، وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه

وَلَا الْمَعْصِيَةَ فَهُوَ يَنْفِي الْإِيقَانَ وَقَدْ جَاءَ النَّذْرُ بِقِصَّةِ مَرْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
وَالْإِضْطِرَّارَ فُورَدَ (أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا) وَالْأَصْلُ التَّوْبَةُ. وَرَدَ الْمَظَالِمُ
وَتَوَجِيهِهِ أَلْهَمَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى

حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار
في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض:
انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم، الحديث
الطويل ﴿وَلَا الْمَعْصِيَةَ﴾ أي ولا يذكرها ﴿فهو ينفي الإيقان﴾ أي بالاجابة وان كان
في حين الامكان والأولى أن يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى
الاجابة كما ستأتي اليه الاشارة وقد تقدم أيضا في طي العبارة ﴿وقد جاء النذر﴾ أي في
الكتاب والسنة فجازان يقول مثلاً ان استجاب الله دعائي فله على أن أصلي كذا أو أصوم
كذا ونحو هذا ﴿بقصة مريم رضي الله عنها﴾ حيث قالت أمها حنة امرأة عمران : (رب
انني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم) الآيات، وحيث
قالت مريم انني نذرت للرحمن صوما ولقوله تعالى في وصف الابرار : (يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيموا وأسيرا)
الآيات ﴿والاضطرار﴾ عطف على الرجاء أي ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال
الاحتياج والافتقار ﴿فورداً من يجيب المضطر اذا دعاه﴾ وهو يعم الكفار ﴿والأصل﴾
أي في قبول الاجابة ﴿التوبة﴾ أي حصولها بان يجتنب الحرام في ما كله ومشربه وملبسه
ومكسبه لما رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة يرفعه «انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فاني
استجاب لذلك» ﴿ورد المظالم﴾ فانه من أركان التوبة وقال سفيان الثوري : بلغني ان
بنی اسرائیل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابيل وأكلوا الأطفال وكانوا
كذلك يخرجون إلى الجبال فيكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو
مشيتم إلى بأقدامكم حتى تحفر ركبكم وتباغ أيديكم عنان السماء وتكل الستكم عن
الدعاء فاني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم با كيا حتى ترد المظالم إلى أهلها ففعلوا
فطروا من يومهم ﴿وتوجيه الهمة إليه تعالى﴾ أي تخلص قصد القلب إلى جانب
الرب وعدم الالتفات إلى ما سواه في المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من

فَالنَّافِعُ هُوَ الْحُضُورُ إِذَا الْمَقْصُودُ الْإِنْسُ بِهِ تَعَالَى وَبِهِ يُرْجَى خَيْرُ الْخَاتِمَةِ
وَيَلَازِمُهُ فِي الرَّخَاءِ لِيَتَدَفَعَ الْبَلَاءَ، وَيَرْغَبُ فِي دُعَاءِ ذِي فَضِيلَةٍ دِينِيَّةٍ فُورِدَ «ثَلَاثَةٌ
لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ» وَيَتَقَى دُعَاءَ الْمَظْلُومِ

أركان الدعاء قال تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال : (فاذا ركبوا في الفلك
ادعوا الله مخلصين له الدين) (فالنافع) أي من الدعاء ولو من المأثور (هو الحضور)
أي مع الله في مجلس الانس والسرور (إذا المقصود الانس به تعالى) الموجب للنور
في الصدور وأما الحور والقصور وسائر أنواع الجور فالالتفات إليها نوع من
التقصير والقصور (وبه) أي بالانس في حضرة القدس (يرجى خير الخاتمة)
اللاحقة التي مدارها على العناية السابقة كما يشير إليه قوله تعالى : (ان الذين سبقتم
منا الحسنى) (ويلازمه) أي يلزم مطلق الدعاء (في الرخاء) أي في حال النعماء
والآلاء (ليندفع البلاء) أي في السراء والضراء فورد من سره أن يستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء، الترمذي عن أبي هريرة . والحاكم عن
سليمان وقال : صحيح الاسناد، وروى البيهقي والخطيب عن جابر مرفوعا « لقد بارك الله
في حاجة أكثر الدعاء فيها أعطيها أو منعها » (ويرغب في دعاء ذي فضيلة دينية) أي
من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد ثلاثة لا ترد دعوتهم)
وتمامه « الامام العادل . والصائم حتى يفطر . ودعوة المظلوم »، والبيهقي عن أبي هريرة
« ثلاثة لا يرد الله دعوتهم إذا ذكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط » وقد ثبت أنه عليه
السلام « قال لعمر حين اعتمر : شاركني في دعائك يا أخي » وروى مسلم من حديث عمر
« أنه قال لا ويس القرنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتي عليكم أويس بن عامر
مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الاموضع درهم له
والدة فهو لها برلو أقسم على الله لا يبره فلو استطعت أن يستغفرك فافعل فاستغفر لي
فاستغفر له » (ويتقى دعاء المظلوم) فورد « اتقوا دعوة المظلوم فأنها تحمل على الغمام
يقول الله وعزتي وجلالي لا نصرك ولو بعد حين » الطبراني في الكبير والضياء عن
خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه « اتقوا دعوة المظلوم فأنها تصعد الى السماء
كانها شرارة » وأحمد والطيايلى من حديث أبي هريرة « دعوة المظلوم مستجابة وإن
كان فاجرا فنجوره على نفسه » واسناده حسن والظاهر أن المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل

وَلَا يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ﴿ وَمِنْهَا ﴾ التَّفَكُّرُ فُورِدَ «وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» تَفَكَّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً « وَهُوَ
طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ أَوَّلُهُ التَّذَكُّرُ وَهُوَ إِحْضَارُ الْقَلْبِ الْمَعَارِفَ

أن يكون المراد به الكافر لما في رواية دولو كان كافرا، رواه أحمد وأبو يعلى والضياء
عن أنس «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب» ولا بن حبان من
حديث أبي ذر الغفاري قلت يا رسول الله « ما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا
كلها يا أيها الملك المسلط المبلى المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض
ولكن بعثتك لتردعني دعوة المظلوم فاني لا أردّها وإن كانت من كافر » (ولا يدعو
على أحد) لئلا يهلك بسبب دعائه أحد ولو كان ظالما لقوله تعالى: (فمن عفا وأصلح
فأجره على الله) (فالكل مأثور) أي وعامله في كله مأثور (ومنها) أي من جملة
الأوراد (التفكير فورد ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي في مخلوقاتها
أو في كيفية إيجادها أو إبقائها بامدادها وعنه عليه السلام « ويل لمن قرأ هذه الآية
ولم يتفكر » (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهاني من كلام السري
السكري وقال: قال ابن عباس وأبو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة، انتهى وأخرجه
الديلمي عن أنس وفي الجامع الصغير للسيوطي « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة »
أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة فقيل: هو الذي ينقل من المسكاره الى المحاب ومن
الرحب والرغبة الى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة
(وهو) أي التفكير (طلب المعرفة) بنظر الفكرة (أوله التذكّر) أي أول
التفكير تذكر ما نسي من جهة الغفلة (وهو) أي التذكّر (إحضار القلب) من
إضافة المصدر الى فاعله (المعارف) أي معرفة نعمته الظاهرة والباطنة، واعلم أن
المواظبة على الأوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لأن
الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وأنه لا سبيل الى اللقاء الا بان
يموت العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب
والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفي صفاته
وأفعاله وليس في الوجود سوى ذاته وصفاته وأفعاله في مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر
المحبوب والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضرورتها

وَجَدَوَاهُ الْعِلْمُ وَهُوَ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ الْمُثْمَرُ لِلْحَالِ وَهُوَ تَأَثُّرُ الْقَلْبِ الْمُثْمَرُ
لِلْعَمَلِ وَهُوَ خِدْمَةُ الْجَوَارِحِ

وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل وساعات النهار في وظائف الاذكار ووظائف
الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب
المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال أظهرت
الملال والاستئقال، وقد ورد « ان الله تعالى لا يمل حتى تملاوا » فمن ضرورة اللطف بها ان
تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع
لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها، والله در
القائل من ذوى الفضائل :

لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة . الا التنقل هذا الطبع للبشر
فاصله أصلا لا يتغير ، واما الملائكة فهم لا يسأمون فكل جمع منهم على طاعة
مستمرون ، ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغي
أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا
والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تديرات الدنيا وشهواتها والشطر
الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجع جانب الميل الى الدنيا لموافقتها في الطبع
والهوى اذ الوقتان متساويان فاني يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لاحالة اذ الظاهر
والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبي، فمن اراد أن يدخل
الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته في الطاعة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وورد « حاسبوا
أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال عز وعلا : (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) ومن
أراد ان ترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر اوقاته
فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامر به خطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع
والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه ولطفه
وحلمه (وجدواه العلم) أي ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهي العلم والحال
والعمل هذا معنى قوله (وهو) أي العلم (حصول المعرفة المثمر للحال وهو) أي
الحال (تآثر القلب المثمر للعمل وهو) أي العمل (خدمة الجوارح) أي الأعضاء

وَمَجْرَاهُ إِمَّا الْمَعَامِلَةَ وَحَقُّهُ أَنْ يَبْدَأَ فِي مَعَاصِيهِ الظَّاهِرَةِ هَلْ هَذَا مُحْظُورٌ ثُمَّ
 هَلْ يُوجَدُ فِيهِ، ثُمَّ مَا التَّدْبِيرُ فِي دَفْعِهِ، ثُمَّ فِي طَاعَتِهِ هَلْ هَذَا مَنْدُوبٌ؟ ثُمَّ هَلْ هَذَا
 مَقْدُورٌ ثُمَّ فِي الْبَاطِنِ كَذَلِكَ، وَإِمَّا الْمُكَاشَفَةَ فَهُوَ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا
 وَمَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَّا الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالذِّكْرِ

في الطاعة ، و توضيحه ان ثمرة الفكر ثلاثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرة الخاصة هي
 العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح
 فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح
 للخيرات ، وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان في الفكر ذكر
 وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الاركان ((ومجراه)) أى مجرى التفكير ومسراه
 شيان ((اما المعاملة)) وهو مبدأ السلوك في طريق المجاملة ((وحقه)) أى حق التفكير
 في المعاملة الظاهرة ((أن يبدأ)) أى يبتدىء بالنظر والتأمل ((في معاصيه الظاهرة))
 واحدا بعد واحد ويتفكر في كل ((هل هذا محظور)) أى حرام او مكروه ((ثم هل
 يوجد فيه)) أى المحظور المذكور ((ثم ما التدبير في دفعه)) بالسعى المشكور ((ثم في
 طاعته)) أى وبعد ذلك يتفكر في أنواع طاعته الظاهرة ويتأمل في كل فرد منها ((هل
 هذا مندوب)) أى مستحب أو سنة مؤكدة او واجب أو فرض محتم ((ثم هل هذا
 مقدور)) أى مصور له بانه مستطيع في تحصيله من الزكاة والحج ونحوهما المستغنى عن
 تفصيله ((ثم في الباطن كذلك)) أى بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنية من الاخلاق
 الرديئة والاحوال الدنية هل شيء منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع
 المقصود وينافيه؟ وكذا في الطاعات الباطنية من الشرائع المرضية والفضائل البهية نفيا
 واثباتا ((وأما المكاشفة)) عطف على المعاملة أى ومجراه الأعلى الامور المكاشفة
 المتعلقة بالمولى ((فهو)) أى التفكير الموجب للمكاشفة انما هو ((في اسمائه الحسنى وصفاته
 العليا)) الواردة في الكتاب والسنة ((وملكوَت السموات والارض)) أى وبواطنها
 المملوءة من العجائب والغرائب في الطول والعرض ((أما الذات المقدسة فلا سبيل اليه
 الا بالذكر)) لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال على : كل ما خطر ببالك فאלله
 وراء ذلك، وقال عز وجل : (ليس كمثل شيء) وقال بعضهم : كل اسم للتخلق الا اسم الله

فَوَرَدَ . لَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالْعَقْلُ يَعْجُزُ عَنْهُ عَجْزَ الْخَفَاشِ عَنْ ضَوْءِ
النَّهَارِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ كَذَلِكَ فَلَا يُطِيقُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ أَحْيَانًا وَلَا يَذْكُرُونَ
لِلْعَوَامِّ إِلَّا عَلَى قَدْرِ أَفْهَامِهِمْ، فَعَلَى الْعِبْدَانِ يَدِيمِ الْعِبَادَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِحَصْلِ
مَحَبَّتِهِ تَعَالَى إِذْ هِيَ أَهَمُّ *

فانه لمجرد التعلق (فورد لا تفكروا في ذات الله) ابن أبي شيبة في كتاب العرش عن ابن عباس
موقوفاً وأبو نعيم في الحلية عنه مرفوعاً بلفظ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله »
ذكره الزركشي، وفي رواية « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله » وهو موقوف
على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع
الصغير للسيوطي « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فان بين السماء
السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك » أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس،
وفي رواية له عن أبي ذر بلفظ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » وله
أيضاً عن ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره »
إيماء الى قوله تعالى : (وما قدر الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق
عظمته ، وفي رواية « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » أبو الشيخ والطبراني في
الأوسط وابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه « تفكروا في
خلق الله ولا تفكروا في الله » (والعقل يعجز عنه) أي عن ادراك ذاته سبحانه (عجز
الخفاش عن ضوء النهار) أي لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من
غاية نوره مخفي عن ظهوره، ومن هنا قيل : العجز عن درك الادراك ادراك (وحقائق
الصفات كذلك) أي لا يدرك كنهها هنالك (فلا يطيقه الا الخواص) من الانبياء وكل
الاولياء (أحياناً) في أعلى مراتب مقامهم (ولا يذكرون للعوام الا على قدر أفهامهم)
لتقديمهم بتصورات أشكالهم وأمثالهم في عقولهم وأوهامهم (فعلى العبد) السالك
طريق الإرادة (أن يدوم العبادة) بالصلاة والتلاوة (ظاهراً وباطناً) بالذكر
والفكر ويترك المألوف والعادة (لتحصل محبته تعالى اذ هي أهم) من المطلوبات
وأنتم من المقصودات وقد قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
الآيات، وعن عائشة « من عوده الله عبادة فتر كما ملأ مقتته الله » رواه ابن السني في

فَفِي النَّهَارِ يَشْتَغِلُ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْإِشْرَاقِ لَازِمًا مَكَانَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ الرِّيَاءَ
أَوَ التَّشْوِيشَ فَيَرْجِعُ وَيَلْزِمُ زَاوِيَةً فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِي رِعَايَتِهِ وَيَعْيُونَ الْمُتَكَلِّمَ
فِيهِ، وَوَرَدَ أَنَّهُ أَحَبُّ مَنْ عَتَقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى
الْمَغْرِبِ كَذَلِكَ، وَكَانَ تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ أَكْثَرَ

رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقي: وتحقيق هذا الخبر أنه مقتضى الله فتر كدملالة
فلولا المقت والابعاد ماسطت عليه الملالة ﴿ففي النهار يشتغل﴾ بالاذكار والافكار
﴿بعد الفجر﴾ أي ظهور الصبح والاسفار ﴿إلى الاشراق﴾ أي طلوع الشمس
وضوء النهار لقوله تعالى: ﴿يسبحن بالعمى والاشراق﴾ ﴿لازما مكانه﴾ وملازما
شأنه ﴿الأن يخاف الرياء﴾ في عبادة ربه سبحانه ﴿أو التشويش﴾ أي تشويش
الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك ﴿فيرجع ويلزم زاوية﴾ أي
معدة لذلك ﴿فكانوا﴾ أي السلف ﴿يبالغون في رعايته﴾ أي مراعاة هذا الوقت
﴿ويعيرون المتكلم فيه﴾ أي بكلام الدنيا ويخوفونه بالملت ﴿وورد أنه﴾ أي احياءه
﴿أحب من عتق أربع رقاب من ولد اسماعيل﴾ بفتح الواو واللام وبضم فسكون
أي أولاده واحفاده من العرب ﴿وبعد العصر إلى المغرب كذلك﴾ أي يشتغل بعد
أداء العصر إلى غروب الشمس كما ذكر هنالك، وأصل الحديث «لأن أقعد مع قوم يذكرون
الله من صلاة الغدوة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة من ولد اسماعيل
ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن
أعتق أربعة من ولد اسماعيل» أبو داود بسند حسن عن أنس وفي رواية له «لأن أقعد في
مجلس ذكر الله من صلاة الغدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة رقاب»
وروى أحمد . ومسلم . والترمذي . والنسائي . وابن ماجه عن جابر بن سمرة أنه عليه
السلام «كان إذا صلى الغدوة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس» وفي رواية الترمذي
عن أنس «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى
ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» ﴿وكان تعظيمهم﴾ أي
السلف ﴿إياه﴾ أي ما بعد العصر ﴿أكثر﴾ من تعظيم ما بعد الفجر اذ هو وقت
الغفلة وبعد وجود المعصية، ولحديث الأعمال بالخراتيم، فيذبح قيامه بالاستغفار ودوامه

وورد (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) « يَا بَنِي آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ
الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مِثْوَنَهُمَا » وَيَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ الْعَشْرَ
فِي الْوَقْتَيْنِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْإِشْرَاقِ

بِالْإِذْكَارِ وَالْإِفْكَارِ وَمَحَاسِبُهُ مَا جَرَى لَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْفَجَارِ ، فَمَنْ الْحَسَنُ كَانُوا أَشَدَّ
تَعْظِيمًا لِلْعِشِيِّ مِنْهُمْ لِأَوَّلِ النَّهَارِ ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : كَانُوا يَجْعَلُونَ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلدُّنْيَا
وَأَخْرَهُ لِلْعَقْبِ فَلْيَشْكُرِ اللَّهُ عَلَى صِحَّةِ جَسْمِهِ وَبَقَاءِ بَقِيَّةِ مِنْ عَمَلِهِ فَلْيَشْتَغَلْ بِتَدَارُكِ تَقْصِيرِهِ
فِي أَمْرِهِ وَلْيَحْضُرْ فِي قَلْبِهِ أَنْ نَهَارَ الْعَمْرِ لَهُ انْتِهَاءٌ تَغْرِبُ فِيهِ شَمْسُ الْحَيَاةِ وَلَا يَكُونُ لَهُ
بَعْدُهَا طُلُوعٌ وَابْتِدَاءٌ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَغْلُقُ بَابَ التَّدَارُكِ وَالْإِعْتِدَارِ فَلَيْسَ الْعَمْرُ إِلَّا بِمَا
مَعْدُودَةٌ تَنْقُضِي لِأَحْوَالِهَا بِمُجْلَمَاتِهَا بِاتِّقِضِ آحَادِهَا الْمَحْدُودَةِ (وَوَرَدَ) فِي تَخْصِصِ فَضْلِ
هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أَيُ صَبْحًا وَعِشْيَا (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) وَقَالَ تَعَالَى : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا) (وَسَبِّحْ
بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) أَيُ اطْرَافِ النَّهَارِ (يَا بَنِي آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ) صَلَاةِ (الْفَجْرِ
سَاعَةً وَبَعْدَ) صَلَاةِ (الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مِثْوَنَهُمَا) ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ
هَكَذَا مَرَسَلًا عَنْ الْحَسَنِ (وَيَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ الْعَشْرَ) فَانْهَ الْمُسْتَعْتَاثُ لِلْعَصْرِ (فِي
الْوَقْتَيْنِ) الْمَذْكُورَيْنِ (فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ) كَمَا ذَكَرَهُ فِي الْأَحْيَاءِ لَكِنْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ :
حَدِيثُ كَرْزَبِنِ وَبُرَّةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ أَنَّ الْخَضِرَ عَلَيْهِ الْمُسَبِّحَاتِ
الْعَشْرَ وَقَالَ فِي آخِرِهَا أَعْطَانِيهَا مُحَمَّدٌ ﷺ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ وَلَمْ يَصْغُ فِي حَدِيثٍ قَطُّ اجْتِمَاعِ
الْخَضِرِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَدَمِ اجْتِمَاعِهِ وَلَا حَيَاتِهِ وَلَا مَمَاتِهِ انْتَهَى ، وَالْعَشْرَةُ هِيَ فَاتِحَةُ
الْكِتَابِ وَالْكَافُرُونَ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَعُودَتَانِ وَآيَةُ الْكَرْسِيِّ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَسَبِّحَانَ اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ
أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَاللَّهُمَّ افْعَلْ بِي وَبِهِمْ عَاجِلًا وَآجِلًا
فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ وَلَا تَفْعَلْ بِنَا يَا مَوْلَانَا مَا نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ إِنَّكَ
غَفُورٌ حَلِيمٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَشْرِ يَقْرُؤُهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ
(وَكَذَلِكَ) أَيُ يَشْتَغَلُ بِالْعِبَادَةِ (مَا بَيْنَ الْإِشْرَاقِ) وَهُوَ أَوَّلُ طُلُوعِ الشَّمْسِ

وَالضُّحَىٰ إِنْ كَانَ مُتَجَرِّدًا لَهَا يَشْتَغِلُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْعِبَادَاتِ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ
عِبَادَةٍ إِلَى أُخْرَى عَلَى حَسَبِ صَلَاحِ قَلْبِهِ قَطْعًا لِلَّيْلَةِ، وَالْأَفْضَلُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
فِي قِيَامِ الصَّلَاةِ مُتَدَبِّرًا فِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّلَاوَةُ وَالتَّعْلَمُ وَالْحَضُورُ وَالذِّكْرُ وَبِغَيْرِهِ
كَعِبَادَةِ الْمَرِيضِ وَتَشْيِيعِ الْجَنَازَةِ وَإِعَانَةِ الْمُسْلِمِ.

(والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الأخرى ثم فيه تفصيل
بالنسبة إلى أهل الإرادة (إن كان متجردا لها) أي للعبادة (يشتغل بما
سبق من العبادات) يعني التلاوة والذكر والفكر والصلاة ونحوها من الطاعات
(ينتقل) حال أو بدل اشتغال أو بيان انتقال (من نوع عبادة إلى أخرى على
حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ أولى وأخرى في الدنيا والأخرى وإنما ينتقل
في تلك الحالة (قطعا لليلة) ودفعاً للكسالة ورفعاً للبطالة فورد عليكم من
الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين
فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده
ثلاثون ألفاً وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة إلى ألف ركعة
وأقل ما نقل في أورادهم في الصلاة مائة ركعة في اليوم واللييلة، وكان بعضهم أكثر
ورده القرآن فيختم في اليوم مرتين أو مرة وكان بعضهم يقضي اليوم واللييلة في التفكير
وفي آية واحدة، وكان كرز بن وبرة مقبلاً بمكة يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل
لييلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واللييلة مرتين فحسب ذلك
مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة
وختمتان (والأفضل قراءة القرآن في قيام الصلاة متدبراً) أي ليلاً ونهاراً (ففيه) أي
في جميع ما يحصل (الصلاة والتلاوة والتعلم) أي تفهم المبنى وتصور المعنى
(والحضور) أي مع المولى (والذكر) أي وأنواع الذكروا أصناف الفكر في الهيئات
المختلفة والحالات المؤتلفة، وهذا في حق المنتهى وأما المبتدى فحقه دوام الذكر
المجرد أفضل والقراءة بالنسبة إلى المتوسط أمثل على ما قاله العارف السهروردي في
المعارف (وبغيره) أي ويشغل بغير ما سبق أيضاً من الحسنات (كعبادة المريض)
لأسيما الفقير والغريب (وتشييع الجنابة) خصوصاً للعلماء والأولياء (واعانة المسلم)

وَحُضُورَ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَجَرِّدًا فَالْعَالَمِ أَوْ الْمُتَعَلِّمِ يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ فُورِدَ «إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ
رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ
بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ لِمَا سَبَقَ فَيَتَفَكَّرُ فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ فَالْقَلْبُ فِيهِ
أَصْنَى لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ قَبْلَ عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي أَوْ أُمُورِهِ كَالْكَاسِبِ يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا

وَإِغَائِثُهُ فِي الْأَمْرِ الْمَهْمِ (وَحُضُورَ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ) أَيُ عَظِيمَةٍ وَفِيهَا مَثُوبَاتُ
جَسِيمَةٍ (وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى) هـ أَيُ فِي غَالِبِ أَحْيَانِهِمْ وَعَرَفَ
أَهْلُ زَمَانِهِمْ (وَازِلْمُ يَكُنْ) هـ أَيُ السَّالِكِ (مُتَجَرِّدًا) هـ لِلْعِبَادَةِ (فَالْعَالَمِ أَوْ الْمُتَعَلِّمِ
يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ) هـ أَيُ يَشْتَغِلَانِ بِتَعْلِيمِهِ وَتَعْلَمِهِ (فُورِدَ أَنَّهُ) * أَيُ الْإِشْتَغَالُ بِالْعِلْمِ
* (أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ) هـ وَتَقْدِمُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحُّ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَسْتَدِلَّ بِنَحْوِ «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ
كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَعْدُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِذَا كَانَتْ بِمَجْرَدِ تِلَاوَةٍ، أَمَّا
تَعْلَمُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلُومِ فَإِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ
(غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ) أَيُ الْمَقْصُودُ هُنَا (بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ) أَيُ عِلْمُ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ
كَالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الْفَاخِرَةِ (لِمَا سَبَقَ) هـ فِي الْمَقْدِمَةِ مِنْ تَقْسِيمِ عِلْمَاءِ الدُّنْيَا وَعِلْمَاءِ
الْآخِرَةِ وَأَنَّ غَيْرَ عِلْمِ الْآخِرَةِ يَقْسِي الْقَلْبَ فَضْلًا عَنْ حَصُولِ الثَّوَابِ وَوُصُولِ الْقُرْبِ
(فَيَتَفَكَّرُ) هـ أَيُ كُلِّ مِنَ الْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ (فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ) أَوْ قَبْلَهُ بَعْدَ
إِدَاءِ الْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ بِالِاتِّفَاقِ (فَالْقَلْبُ فِيهِ) أَيُ فِي صَدُورِ النَّهَارِ * (أَصْنَى) أَيُ
أَبْعَدُ مِنَ الْإِكْدَارِ (لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ) أَيُ بَعْدَ وَقُوعِ الصَّلَاةِ وَالِاذْكَارِ (قَبْلَ
عَمَلِ الدُّنْيَا) هـ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ هَذِهِ الدَّارُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَقَدْ وَرَدَ «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَامَتِي فِي بَكُورِهَا» (وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ) * أَيُ عَمُومُ الْمُسْلِمِينَ (كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي) هـ وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْمُتَوَلَّى وَكَذَا الْمُدْرِسُ وَالْمُفْتَى (أَوْ أُمُورِهِ) هـ أَيُ أُمُورِ
نَفْسِهِ (كَالْكَاسِبِ) هـ وَنَحْوِهِ (يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا) هـ كَمَا هُوَ
الْمَشْهُورُ، وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَوْجِدَ الْمُؤْمِنُ الْإِنْفِ ثَلَاثَةَ مَوَاطِنَ مَسْجِدٍ يَعْمُرُهُ أَوْ بَيْتِ

ذَا كَرَأَفَى أَثْنَانَهَا مُحْضَرًا قَلْبَهُ قَاصِرًا كَسْبَهُ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَّا لِلصَّدَقَةِ فَقِيلَ هُوَ أَحَبُّ مِنَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ وَقِيلَ الذِّكْرُ وَالْأَوَّلَى النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ وَيَدِيمُ الْوَرْدُ فُورِدَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» بَلْ يَزِيدُ فُورِدَ «لَا بُورُكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْرًا» وَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ فُورِدَ مِنْ جَمْعِهَا فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ أَوْ ادْخَلَ الْجَنَّةَ *

يُسْتَرَى أَوْ كَسْبَ لَا بَدَمَنَهُ فَيَحْضَرُهُ (ذَا كَرَأَفَى أَثْنَانَهَا) لقوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية (محضرا قلبه) مراعيًا ربه (قاصرا كسبه على الحاجة) أي قدر الضرورة له في أمر المعيشة من النفقة (الإ) أي لكنه يجوز له الزيادة (للاصدقة) أي لا جل أن يتصدق على ذي الحاجة (فقيل هو) أي الكسب للتصدق (أحب من الذكر لأنه) أي نفقة التصديق (متعد) للغير، والذكر قاصر ثوابه على الذكر (وقيل الذكر) هو الأفضل من التصديق وهذا هو الظاهر فقد ورد «لو أن رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذي كره الله أفضل» ولقول عيسى عليه السلام «يا طالب الدنيا تبره تركك الدنيا أبره» وقد اتفق المشايخ على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (والأولى النظر إلى صلاح القلب) أي والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون أولى في حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون أولى من الكسب للتصدق، ويشير إليه قوله تعالى : (إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر أنه كان لعباده خيرا بغيرا) وحديث «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله» ومن هنا قال عمر: الفقر والغنى طيتان لا أبالي أيهما أركب لكن الفقر أسلم والله أعلم (ويديم الورد فورد أحب الأعمال أدومها وإن قل) متفق عليه من حديث عائشة (بل يزيد) أي المرید في الورد أن كان من أهل المزيد كمية أو كيفية (فورد لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا) أي علما وعملا والحديث كذا في الأحياء وقال العراقي: ورد «علما بديل خيرا» قلت وأصل الحديث على ما في الجامع الصغير «إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم» الطبراني في الأوسط. وابن عدي. وأبو نعيم في الحلية عن عائشة (ويجمع) في يوم واحد (بين الصوم والصدقة والعبادة والتشييع فورد من جمعها في يوم غفر له أو ادخل الجنة)

أَمَّا فِي اللَّيْلِ فَالْأَحْوَطُ أَنْ يُوتَرَ قَبْلَ النَّوْمِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ أَوْ يَكْرَهُ
الْقِيَامَ وَلَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ لَذَهَبَ بِهِ، وَفِيهِ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَالْأَقْوَى أَنْ يُؤَخَّرَ الْوُتْرُ
لِمَنْ يَأْلَفُ الْقِيَامَ وَيَقْرَأُ يَسَّ وَسُجْدَةً وَلَقَمَانًا وَالدُّخَانَ وَالْمَلِكَ

شك من الراوى قال العراقى : حديث « من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض
وشهود جنازة غفر له » وفي رواية « دخل الجنة » مسلم من حديث أبى هريرة
« ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة » انتهى، وفى الجامع الكبير للسيوطى عن أنس قال :
قال رسول الله ﷺ : « ذات يوم من أصبح اليوم منكم صائما قال أبو بكر اننا قال : من
عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر اننا قال من شيع اليوم منكم جنازة قال أبو بكر اننا قال وجبت
لك الجنة » رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة ولعله فى رواية أخرى اوسقط من
الكتاب ، وفى الجامع الصغير « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة
وتصدق بصدقة فقد أوجب » البيهقى عن أبى هريرة وفى رواية له ولا بن عدى والبخارى
فى تاريخه عن جابر « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع
جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة » (أما فى الليل) أى فى ورده (فالأحوط أن يوتر)
أى يصلى الوتر (قبل النوم فىحتمل أن لا يستيقظ) اذ النوم أخو الموت (أو) يستيقظ
(يكره القيام) لاستثقال المنام فيتركه (ولو أدركه الموت لذهب به) أى بالوتر
فيكون آثما فى الفوت (وفيه) أى وفى تقديم العمل (قصر الأمل) وفى التأخير آفات
لا احتمال قرب الاجل قال أبو هريرة : « أوصانى خليلي أن أوتر قبل أن انام » متفق عليه
(والأقوى) أى الافضل والأولى (أن يؤخر الوتر لمن يألف) أى يعتاد ويثق
(القيام) بعد المنام وقد قالت عائشة « أوتر عليه السلام أول الليل وأوسطه وآخره
وانتهى فى وتره الى السحر » متفق عليه (ويقرأ يس) فى كل ليلة والافضل فى التهجد،
فلا بن حبان من حديث جندب « من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له » ولا بن منصور
الغزنوى من حديث على « يا على أكثر من قراءة يس » الحديث (وسجدة) الأولى والسجدة
فللترمذى من حديث جابر « كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة . وتبارك الذى
بيده الملك » (ولقمان) لم أجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فللترمذى
من حديث أبى هريرة « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك »
(والملك) وقد سبق ، ولا بن الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « من قرأ فى ليلة الم

وَالزُّمَرِ وَالْوَاقِعَةِ وَالْمُسَبِّحَاتِ السُّتِّ، وَيَنَامُ عِنْدَ الْغَلَبَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ، وَوَرَدَ
(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) وَلَا يُصَلِّي بَعْدَهَا فُورِدَ .

تنزيل . ويس . وتبارك الذي بيده الملك . واقتربت كن له نورا الحديث (والزمر) فللترمذي من حديث عائشة « كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر » وقال : حسن غريب (والواقعة) فللحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » (والمسبحات الست) أي السور المصدرة بالتسبيح وهي الحديد . والحشر . والصف . والجمعة . والتغابن . والأعلى ، فللترمذي وقال حسن . وأبي داود . والنسائي في الكبرى من حديث غريباض بن سارية « كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن أنها أفضل من ألف آية » (وينام) أي بعد القيام (عند الغلبة) أي غلبة النوم (فهو المأثور) فقد روى أبو داود . والنسائي من حديث عائشة « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر صلاته » وكان نومه صدقة عليه ، وفي رواية النسائي . وابن ماجه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله » (وورد كانوا قليلا من الليل) أي من زمانه (ما يهجعون) أي الذي يرقدون فيه أو كانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل أو كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل أي بعضه أو كله ، وقيل : ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويقومون أكثره ، والآيات والخبار والآثار في أحياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآيات وفي الحديث « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » الترمذي من حديث بلال . والطبراني : واليهي من حديث أبي امامة بسند حسن ، وعن المغيرة بن شعبه « قام النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له : يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا » الترمذي في الشمائل وأصله في الصحيحين و ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه ، متفق عليه من حديث ابن مسعود (ولا يصلي بعدها) أي بعد غلبة النوم (فورد) « حين قيل إن فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت

« لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَّرَ فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ » لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ
وَفِيهِ التَّعَبُ عَلَى مَلَالٍ، وَجَاءَ أَثْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَتَحْمِلُ مَا لَا يُطَاقُ وَوَرَدَ :
« تَكْلَفُوا مِنَ الدِّينِ مَا تُطِيقُونَ » وَتَبْغِضُ الْعِبَادَةَ إِلَى النَّفْسِ، وَوَرَدَ « لَا تَبْغِضْ
إِلَيْكَ عِبَادَةَ اللَّهِ » *

بجبل هـ (ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فإذا غلبه النوم فليرقد) هـ وقد ورد « قيامه عليه
السلام أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا أتته قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون
له في الليل نومتان » كذا في الأحياء قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وصححه
وابن ماجه من حديث أم سلمة « كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم
ينام قدر ما صلى حتى يصبح » وللبخاري من حديث ابن عباس « صلى العشاء ثم جاء فصلى
أربع ركعات ثم نام ثم قام » انتهى وفي الشمايل عن عائشة « كان إذا لم يصل بالليل منعه من
ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ، وفي مسلم عنها أنه عليه السلام
« كان إذا نام من الليل من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى اثنتي عشرة ركعة ، أي
تدار كما لما فاتته من التهجد بقوله تعالى : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن
أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر
وصلاة الظهر كان كمن قرأ من الليل » هـ (لا تكابدوا الليل) هـ أي لا تغالبوه فورد « ان
الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشيء من الدلجة » البخاري والنسائي عن أبي هريرة « عليكم هديا قاصدا عليكم هديا
قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه » أحمد والحاكم . والبيهقي هـ (وفيه) هـ
أي في التهجد بعد غلبة النوم هـ (التعب على ملال وجاء) هـ أي في ذممه هـ (أثمه أكبر من نفعه) هـ
اذر بما يجري على لسانه موجب ذمه واثمه هـ (وتحمل ما لا يطلق) هـ أي وفيه تكليف
ما لا يستطيع وقد قال تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هـ (ولا يكلف الله نفسا الا
وسعها) (وورد تكافوا من الدين) أي الأعمال (ما تطيقون) فعن عمران
ابن حصين « عليكم من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا » الطبراني (وتبغض
العبادة) أي وفيه ابغاضها (إلى النفس) وفي نسخة بالنون والصاد المهملة أي
تمريرها اليها في شدة تكريرها (وورد لا تبغض) بالوجهين (إليك عبادة الله)

وَيَجْتَهِدُ فِي الْقِيَامِ فَوَرَدَ (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) «صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرُ حَلَبِ شَاةٍ» فَالْأَوَّلَى أَنْ يَقُومَ كُلُّ اللَّيْلِ وَهُوَ لِمَنْ تَجَرَّدَ لَهُ وَقْوَى يَقِينُهُ
فَيَتَلَذَّذُ بِهِ وَيَتَغَدَّى

لم أجده مبنى ويوافقه ما سبق معنى (و يجتهد في القيام) أى بعد المنام (فورد) في نعت عباد الرحمن (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) عمل من الليل ولو قدر حلب شاة (رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه رבעه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبي الوليد بن المغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة، (فالأولى أن يقوم كل الليل) أى أن قدر عليه وفيه أنه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما تقتضيه الحكمة في القرآن: (قم الليل الا قليلا) (ومن الليل فتهجد) وفي السنة أنى أنام وأقوم وأفطروا صوم ولم يحفظ عنه عليه السلام أنه سهر ليلة كاملة في جميع الأيام وأما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا أى راحة للأبدان ومن فيه على الإنسان حيث قال: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (وهو) أى أحياء الليل كله (لمن تجرد له) أى لقيامه ومنع النفس عن منامه أو جعل المنام في نهاره بدلا عن قيامه في مرامه (وقوى يقينه) أى وصلب دينه (فيتلذذ به ويتغذى) أى روحه بسببه فهوون عليه شدة أمره ويحلو عليه مرارة صبره ومن الأسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر أمله يحثه على تكثير عمله أو رجاء يحمله على تكلفه وتجمله كما قال طاوس: أن ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله أن ذكر الجنة طير نوم الراقدين، وكما قال بعضهم إذا ذكرت النار اشتد خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقى، ولذى النون المصرى:

منع القرآن بوعدده ووعيده • مقل العيون بليها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه • فرقا بهم ذلت إليه تخضعا

ومن أشرف البواعث الحب لله فإنه في قيامه لا يتكلم في حرف من كلامه الا وهو مناجاة به حضرة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل في محبة ربه أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ له المناجاة بسببه فتحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام، وقال بعض الاعلام: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل

وَهُوَ مُحْكَى عَنْ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ، ثُمَّ النِّصْفُ وَوَاضِبٌ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَحْصَى، ثُمَّ الثَّلَاثُ
ثُمَّ السُّدُسُ، وَالْأَحَبُّ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْجَوْفِ فُورِدٌ رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ
مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ

التَّمَلُّقُ فِي قُلُوبِهِمْ بِاللَّيْلِ مِنْ حَلَاوَةِ الْمَنَاجَاةِ، وَقَالَ آخَرُ: لَذَّةُ الْمَنَاجَاةِ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا
هِيَ مِنَ الْجَنَّةِ أَظْهَرُهَا اللَّهُ لَا وَلِيَّائَهُ لَا يَجِدُهَا سِوَاهُمْ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ: مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مَا أَحْزَنْتَنِي شَيْءٌ سِوَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَقَالَ الْفَضِيلُ: إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَرَحْتُ بِالظَّلَامِ
لِخُلُوقِي بِرَبِّي وَإِذَا طَلَعَتْ حَزَنْتُ لِدُخُولِ النَّاسِ عَلَيَّ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَانَ: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ
الَّذِينَ أَهْلُ اللَّهِ فِي لَهْوِهِمْ وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ طَرِيقَ
جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَصَلُّونَ الصُّبْحَ بِوَضُوءِ الْعِشَاءِ وَمِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ إِمَامُ الْفُقَهَاءِ
(وَهُوَ) أَيُّ قِيَامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ (مُحْكَى عَنْ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ) أَيُّ مِنَ التَّابِعِينَ قَالَ أَبُو طَالِبٍ
الْمَدَنِيُّ: إِنَّ ذَلِكَ حَكِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاتُرِ وَالِاشْتِهَارِ عَنْ أَرْبَعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَكَانَ
فِيهِمْ مِنْ وَاضِبٍ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَفَضِيلُ بْنُ طَاوُسٍ، وَوَهْبُ
ابْنُ مِنْهَ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ، وَأَبُو سَلَمَانَ الدَّارَانِيُّ، وَالْخَوَاصُّ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، وَسَلَمَانَ
النِّسَمِيُّ، وَيَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، وَيَحْيَى الْبَكَّاءُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُسْكَدِ، وَكَهْمَسُ بْنُ الْمُنْهَالِ وَكَانَ يُخْتَمُ
الْقُرْآنُ فِي الشَّهْرِ تِسْعِينَ خَتْمَةً وَمَا لَمْ يَفْهَمْ رَجَمَ، وَهَذَا كَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ خَرَقِ
الْعَادَةِ مِنْ طَلَى اللِّسَانِ أَوْ بَسَطِ الزَّمَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ (ثُمَّ النِّصْفُ) أَيُّ يَقُومُ
نِصْفَ اللَّيْلِ (وَوَاضِبٌ عَلَيْهِ) أَيُّ قِيَامِ النِّصْفِ (مِنْ لَا يَحْصَى) مِنَ السَّلَفِ (ثُمَّ الثَّلَاثُ
ثُمَّ السُّدُسُ) فَعَنْ عَائِشَةَ «كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ، يَعْنِي الدَّيْلَكَ وَهَذَا يَكُونُ السُّدُسُ
فَمَا دُونَهُ وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي الْجُمْلَةِ رَجَاءُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُومُ نِصْفَ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثَهُ
أَوْ سُدُسَهُ فَقِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلَ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقِظَ، الْحَدِيثُ وَهُوَ الْمُطَابِقُ لِقَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) وَالْمُوَافِقُ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ) فَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ قَامَ الثَّلَاثِينَ،
وَلَا ابْنَ دَاوُدَ «نَامَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُهُ اسْتَيْقِظَ» الْحَدِيثُ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ حَدِيثِ
عَائِشَةَ «فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ» (وَالْأَحَبُّ أَنْ يُجْعَلَ) أَيُّ سَهْرِهِ (فِي الْجَوْفِ)
أَيُّ أَوْسَاطِ اللَّيْلِ (فُورِدَ رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ

عَلَى أُمَّتِي لِفَرْضَتَهُمَا ثُمَّ رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ ثُمَّ أَحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْقِيَامِ
 قَبْلَ الصُّبْحِ، وَرَوَى الْمَنَامُ كُلَّمَا غَلَبَ وَالْقِيَامُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَشَقُّ
 وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَكْثُرَ الْأَكْلُ فَهُوَ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الشُّرْبِ الْقَائِدِ إِلَى كَثْرَةِ النَّوْمِ

على أمتي لفرضتهما) آدم بن أبي إياس في الثواب: ومحمد بن نصر المروزي في كتاب
 قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند
 الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقي: ولا يصح قلت: والضعيف يعمل به في
 الفضائل اتفاقاً (ثم) أي بعد السدس (رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ) وكان الأولى أن
 يقول أربع ركعات أو رَكَعَتَانِ ولو قعوداً فقد ثبت أنه عليه السلام «مامات حتى كان
 أكثر صلاته من النوافل جلوساً» (ثم أحياء ما بين العشاءين) فقيل نزل: فيه قوله
 تعالى: (تجافي جنوبهم عن المضاجع) وعن محمد بن المنكدر «من صلى ما بين المغرب
 والعشاء فأنها صلاة الأوابين» وعن أبي هريرة «من صلى بعد المغرب ستر ركعات لم يتكلم
 فيما بينهم بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة» الترمذي وابن ماجه وفي مسند الفردوس
 من حديث ابن عباس «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت
 له في عليين و كان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى، ولعل الجمع بين الروايتين
 أن الأربع يراد به المستحب بعدالر كعتين من المئو كدة، وورد «من ركع عشر ركعات
 ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر في الجنة فقال عمر: اذا تكثر قصورنا يا رسول الله
 فقال عليه السلام أكثر» رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث
 مرسلًا، وقال الأسود: ما أتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيت يصلي فسألته فقال:
 نعم هي صلاة الغفلة وقال أحمد بن أبي الجوارى قلت لابي سليمان الداراني: أصوم
 النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك او أفطر بالنهار واحي ما بينهما؟ فقال
 اجمع ما بينهما فقلت: لم يتيسر فقال: افطر وصل ما بينهما (والقيام قبل الصبح) أي
 ليذكر احياء بعض الليل من أوله وآخره فقد ورد «من صلى العشاء في جماعة فكأنما
 قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» أحمد. ومسلم عن عثمان
 (وروى) أي في الحديث (المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل) بما
 ذكر من التقديرات (لانه أشق) والحديث فيه قد سبق (والمعين عليه) أي على القيام
 تسعة أشياء (ان لا يكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) هـ

وَلَا يَتَكَلَّفُ فِي أُمُورٍ تَعْنِي الْأَعْضَاءَ وَتُضَعِّفُ الْأَعْصَابَ، وَيَقِيلُ وَلَا
يَذْنِبُ فَهُوَ سَبَبُ الْحَرَمَانِ، وَيُفْرِغُ الْقَلْبَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَيُلَازِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ تَعَالَى
وَمِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَذْكُرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ

وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة في أمر الدين ويقول: يا معشر
المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا
﴿ولا يتكلف﴾ بالنهار ﴿في أمور تعني﴾ بالنون من العناء أو بالياء من الاعياء أى
يتعب ﴿الأعضاء وتضعف الأعصاب﴾ الاجزاء ﴿ويقيل﴾ بفتح أوله من القيلولة
فانها من السنن المنقولة، والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم
فورد « قيلوا فان الشياطين لا تقيل » الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب عن
أنس، وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن
ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ﴿ولا يذنب﴾ أى في النهار ﴿فهو﴾ أى الذنب
والعصيان ﴿سبب الحرمان﴾ فينبغي أن يحتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل
مع الابرار قال رجل للحسن: يا أبا سعيد انى آيت معافى واحب قيام الليل واعد طهورى
فما بالى لا أقوم؟ قال: ذنوبك قيدتك وقال الثورى: حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنوب
أذنبته قبل وما هو ذلك الذنب؟ قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مرء، وقال أبو سليمان
الدارانى لا يفوت أحد صلاة جماعة الا بذنوب قال بعضهم كم منا كلة منعت قيام ليلة وكم
من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر
والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الأمور المذكورة
من الأسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل، وأما الأسباب الباطنة فقوله ﴿ويفرغ
القلب من هموم الدنيا﴾ فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام بأمر العقبي
وان قام فى بعض أوقاته فلا يتفكر فى صلاته الا فى تفريق مهماته، وفى مثل ذلك يقال:
• وانت اذا استيقظت أيضا فتأثم • بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظته افادة
وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ﴿ويلازم الخوف منه تعالى﴾ أى من مناقشة
حسابه ﴿ومن أليم عقابه﴾ وحجابه من بابه ﴿ويقصّر الأمل﴾ بان ينتظر الاجل
ليكثر العمل ﴿ويذكر ما روى فى فضله﴾ أى فضيلة القيام من الآيات والاخبار

وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ، وَالْأَصْلُ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى وَاسْتِحْكَامُ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ مُتَغَذِّيًا بِهِ
وَيُرَاعَى فَوَاضِلُ اللَّيَالِي كَالْأَوْتَارِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. وَالسَّابِعَةُ
عَشْرٌ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنَ الْمُحَرَّمِ وَالْعَاشِرَةُ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنْ رَجَبٍ

عنه عليه السلام ﴿ وما وعد عليه ﴾ أى الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه
﴿ والأصل ﴾ أى الذى عليه مدار الاسباب ﴿ محبته تعالى ﴾ والاقبال على المولى
والزهد فى الدنيا والاستعداد للعقبى ﴿ واستحكام الإيمان ﴾ أى بالعرفان والاتقان
﴿ ليكون متغذيا به ﴾ فى جميع الأزمان و كما أن للشباح غداء وعشاء فكذلك الأرواح
غذاء ودواء فمن أيقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لا يفوته
قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائى عن حميد بن عبد الرحمن أن رجلا من أصحاب
النبي ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ : والله لأرغب فى رسول الله ﷺ
فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : (ربنا ما خلقت هذا باطلا)
حتى بلغ أنك لا تخلف الميعاد، وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا
وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام، الحديث وفى رواية «أخذ سواكا من مؤخرة
الرحل» وهذا صريح فى أنه كان فى سفر ﴿ ويراعى فواضل الليالى كالأوتار من العشر
الأواخر من رمضان ﴾ اذ فيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار
الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فان عليه أكثر الصحابة والتابعين ﴿ والسابعة عشر
منه ﴾ فعن ابن الزبير أنها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
فيه كانت وقعة بدر ﴿ والأولى من المحرم ﴾ فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم
فاسرار البداية تدل على أنوار النهاية ﴿ والعاشرة منه ﴾ أى من المحرم وهى ليلة
عاشوراء ﴿ والأولى من رجب ﴾ وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال :
اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى أنه شهر الغفران ويقال فيه
سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ، ثم رأيت
المنوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى أشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ
الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا «من قال فى شهر رجب وشعبان
استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات أوحى الله تعالى الى الملكين

وَالْخَامِسَةَ عَشَرَ وَالسَّابِعَةَ عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ. وَالْخَامِسَةَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ
عَرَقَةَ وَالْعِيدَيْنِ وَالْأَيَّامَ كَالْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ وَمَا يَجِيءُ

المركبين ان احرقا صحيفة ذنوبه ويكفيها في ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميري بنقله
بخطه ما كتبه عنه ولو كان موضوعا لبيته فانه امام في هذا الفن واقل مراتبه ان يكون
ضعيفا والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا ﴿ والخامسة عشر ﴾ وهي ليلة
النصف منه ﴿ والسابعة عشر والعشرين منه ﴾ وفي الاحياء وليلة سبع وعشرين منه
قال : وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للمعامل في هذه الليلة حسنة مائة سنة
فمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن
ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي مائة مرة ويدعو لنفسه
بما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح ضائما فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله الا
ان يدعو في معصية قال العراقي : ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والايام
ان أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن
أبان عن أنس مرفوعا. ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر من جعلتها
حديث أبي هريرة ومن صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا
وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد ﷺ ، أبو موسى المديني من رواية شهر بن
حوشب عنه ﴿ والخامسة عشر من شعبان ﴾ وفي الاحياء وأما ليلة النصف من شعبان
فيصلي فيها مائة ركعة ويقرأ في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب
كانوا لا يتركونها فقال العراقي : حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث علي اذا كانت
ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، وفي الاثر عن عمر أنه كان
يقول في ليلة النصف من شعبان : اللهم ان كنت كتبتني من السعداء فاثبتني وان
كنت كتبتني من الاشقياء فامحوا كتبتني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك
أم الكتاب ﴿ وليلة عرفة ﴾ لم أجده أصلا ﴿ والعيدين ﴾ أي وليتي العيدين
فقد روى « من أحيا ليلتي العيدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب » ابن ماجه باسناد
ضعيف من حديث أبي امامة ﴿ والايام ﴾ أي ويراعي فضائل الايام ﴿ كالعيد ﴾
أي يومي العيدين ﴿ والتشريق ﴾ أي ايامها ولو لم يكن في مني ﴿ وما يجيء ﴾ أي

ان شاء الله تعالى، والافضل يوم الجمعة وليته فلا يعطل عصر الخميس فهو

متبرك، ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب والاعتسال

في آخر الباب الثالث من الصوم ﴿ ان شاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة وليته ﴾ وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيدي في الآخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لأهل الولاء، وورد «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة» مسلم عن أبي هريرة «ان الله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار» ابن عدي. وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقيل يوم عرفة أفضل، وقيل يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع ويوم عرفة أفضل أيام السنة، وقد ورد «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر» أبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن عمرو. والحكيم في النوادر، وعن عائشة مرفوعا «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم وهو ضعيف ﴿ فلا يعطل ﴾ أي من الطاعة ﴿ عصر الخميس فهو متبرك ﴾ أي بقربه ليلة الجمعة وكذا أوله متبرك فلا ينماجه عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعا «اللهم بارك لأمتي في بكورها» يوم الخميس وفي رواية قال عليه السلام: «اغدوا في طلب العلم فاني سألت ربي ان يبارك لأمتي في بكورها يوم الخميس» وأما ما اشتر في هذا «اللهم بارك لأمتي في سبتها وخميسها» فباطل لا اصل له ﴿ ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب ﴾ أي في أول النهار أو في يوم الخميس وهو الأول ليقدر على التبكير الأعلى ﴿ والاعتسال ﴾ وهو سنة مؤكدة للصلاة على الاصح ويشهد له ماورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا، ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عمر، وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم، متفق عليه من حديث أبي سعيد، وعن نافع عن ابن عمر «من أتى الجمعة فليغتسل» الشيخان. وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب ما هذه الساعة؟ منكر اعليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال: والوضوء وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل «متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد علم جواز ترك الغسل بماورد من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل» أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة «وكان عليه السلام

والتَّطِيبُ. وَتَقْرِيعُ الْقَلْبِ عَنِ الشَّوَاعِلِ، وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ أَنَّ يَأْتِي أَهْلَهُ
وَيَقْلُمُ الْأَظْفَارَ،

ربما اغتسل يوم الجمعة وبما ترك أحيانا الطبراني عن ابن عباس، وورد «رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر» أصحاب السنن وحسنه الترمذي. وابن حبان. والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس ((والتطيب)) أى استعمال الطيب المناسب له فورد « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه » أبو داود. والترمذي وحسنه. والنسائي من حديث أبي هريرة، وقال الشافعي رحمه الله: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله، وورد «حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليس أحدهم من طيب أهله فان لم يجد فالماء له طيب» الترمذي عن البراء ((وتقريع القلب عن الشواغل)) كما يشير إليه قوله تعالى: (اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا ((ومن ثم جاء)) أى من اجل تقريع القلب ورد ((ان يأتى أهله)) أى يجامع قاصدا الجمعة امرأته أو امته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد أى حمل أهله على الغسل وقال العراقي: ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى الجنابة انتهى، ولا يخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينويهما، وفي الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توشأ ولم يطل غسله والاحب أن يحترز عن ذلك انتهى، ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم لا للصلاة ((ويقلم الاظفار)) أى فى اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود « من قلم اظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء » وعن أبي هريرة انه عليه السلام « كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلاة ، اليهقى فى الشعب وله أيضا من مرسل أبى جعفر الباقر قال « كان رسول الله ﷺ يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة أو يوم الخميس اذا أراد التكبير » وسئل أحمد عنه؟ فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال المسقلاني: وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج اليه وورد « قصوا أظفاركم فان الشيطان يحرق ما بين اللحم والظفر » الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر، وقد جاء الأمر بتنظيف ما تحت الاظفار فى

وَيَتَعَمَّمُ وَلَا يَرْكَبُ، وَيُبَالِغُ فِي التَّبَكُّيرِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

رواية الطبراني من حديث وابصة بن معبد «سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار؟ فقال: دع ما يريك إلى ما لا يريك، وسنده ضعيف وورد أنه عليه السلام «استبطأ الوحي فقبل له: يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقال: ولم لا يبطئ عني وأتم لا تستنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تغسلون براجمكم، أحمد من حديث ابن عباس «والرواجب رؤس الأنامل وما تجت الأظفار من الوسخ» والبراجم معاطف ظهور الأنامل، قال الغزالي: ولم أر في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام أنه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وأبدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام وتعبه العراقي: بقوله لم أجده أصلاً وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت: لا تشنع عليه حيث أنه يبنى على ما ثبت لديه مع أنه نفي رؤية رواية خبر مسند إليه، والحاصل أن التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه ويتف الأبط وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فمن أبي الدرداء «ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة»، الطبراني، وابن عدي، وعن ابن عمر مرفوعاً «صلاة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة» وعن أنس مرفوعاً «الصلاة في العمامة بعشرة آلاف حسنة، الديلمي، وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه أن لا يورده، وموضوعاً عن ابن عمر برواية ابن عساكر «صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة» (ولا يركب) لأنه أقرب إلى حسن الأدب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى: (فاسعوا إلى ذكر الله) ولأنه أشق والأجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (ويبالغ في التبكير) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور) أي صح فضل البكور فقد ورد «من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة

ليس له من الفضل شيء ، متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن قوله : « ورفعت
الاقلام » عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وذكّر ابن مردويه
في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف ، إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه
بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي تجتمع فيها يوم الجمعة وأقلاما
من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » وورد « أن الملائكة
يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان
وما الذي أخره عن وقته فيقولون : اللهم ان كان أخره فقرفاغنه وان كان أخره
مرض فاشفه وان كان أخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه
إلى طاعتك » البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند حسن ؛ ومن
فوائد البكور عدم تخطي رقاب أهل الحضور فقد ورد « من تخطى رقاب الناس
يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم » الترمذي . وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ،
وروى ابن جريج مرسلا « أن النبي ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا
يتخطى رقاب الناس حتى تقدم بجلوس فلما قضى النبي ﷺ عارض الرجل حتى لقيه
فقال : يا فلان ما منعك أن تجمع معنا اليوم ؟ فقال : يا نبي الله قد جمعت قال أو لم أرك
تخطى رقاب الناس » ابن المبارك في الرقائق ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أحبط عمله ونقص
أمله ، وفي حديث مسند أنه قال « ما منعك أن تصلي معنا ؟ قال : أو لم ترني ؟ قال : رأيتك
أتيت وآذيت » أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه أبو داود .
والنسائي . وابن حبان . والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا ، وقيل لبشر بن
الحارث نراك تبكر وتصل في آخر الصفوف فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب
الأجساد فأشار به إلى أن ذلك أسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري : أليس في الخبر أن فاستمع
فقال : ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان
أقرب إلى الله تعالى ، وروى عن علي وعثمان رضي الله عنهما « من استمع وانصت فله
أجران ومن لم يستمع وانصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع
ولغا فعليه وزران » وورد حديث أبي هريرة « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت
والإمام يخطب فقد لغوت » متفق عليه ولأبي داود من حديث علي « من قال صه
فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » ، ولاحمد من حديث ابن عباس « والذي يقول له أنصت
ليس له جمعة » وحديث أبي ذر « لما سأل أبا النبي ﷺ يخطب وقال : متى أنزلت هذه
السورة فلو ما إليه ان أسكت فلما نزل النبي ﷺ قال له أبي : اذهب فلا جمعة لك فشكاه

وَيُصَلِّي قَبْلَ الْجُلُوسِ فِي الْجَامِعِ أَرْبَعًا بِالْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فِي الْكُلِّ فَضَائِلُ

أبوذر إلى النبي عليه السلام فقال : صدق أبي واطع أياها البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ، ولا بن ماجه من حديث جابر « ان السائل له أبو الدرداء وأبوذر » ولا احمد من حديث أبي الدرداء « انه سأل اياها » ولا بن حبان من حديث جابر « ان السائل عبد الله ابن مسعود » ولا بن يعلى من حديث جابر « قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل : لا جمعة لك فقال له النبي ﷺ لم يا سعد ؟ قال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال : صدق سعد » (ويصلي قبل الجلوس في الجامع أربعة بالاخلاص) أي منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (في كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله ﷺ « ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » كذا في الاحياء ، وقال العراقي : حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة ، الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمرو قال : غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال : لا يصح (في الكل) أي في جميع ما سبق من الغسل إلى هنا (فضائل) لأرباب الشرائع ، وإذا فرغ من الجمعة قرأ الفاتحة سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ، وروى عن بعض السلف « ان من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغني بحلالك عن حرامك و بفضلك عن سواك » كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد رأيت الحديث في الجامع الصغير مسندا إلى ابن السني عن عائشة بلفظ « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله بها من سوء إلى الجمعة الأخرى » فقال : من داوم هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ستر ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما « انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين » متفق عليه ، وروى أبو هريرة « أربعة » رواه مسلم ، وروى علي وعبد الله « ستا » البيهقي موقرفا على وله موقرفا على ابن مسعود « أربعة » ولا بن داود من حديث ابن عمر « قال اذا كان بمسكة صلى بعد الجمعة ستا » والكل صحيح في أحوال مختلفة والاكثر افضل

وَيَسْتَعْلُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ لَصَلَاةٍ جَنَازَةٍ أَوْ تَعْلَمُ أَوْ زِيَارَةٍ أَخٍ فِيهِ تَعَالَى، فِيهَا فُسْرٌ
مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) لَا بِاسْتِمَاعِ الْقَصَصِ فَهُوَ بَدْعٌ فَكَانُوا يُخْرِجُونَ
الْقَصَاصَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيَر_اقِبُ السَّاعَةَ الْمَرْجُوءَةَ الْمَوْعُودَ فِيهَا بِالْإِجَابَةِ وَاخْتَلَفَ
فِيهَا عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالزَّوَالِ وَصُعُودِ الْإِمَامِ وَالْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ وَمُنْتَهَى
الْإِسْتِحْبَابِ فِي الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ

(وَيَسْتَعْلُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ) أَي بَعْدَ فَرَغِ إِقَامَةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ (لَصَلَاةٍ جَنَازَةٍ أَوْ تَعْلَمُ) لَعُلَّوْمٍ شَرْعِيَّةٍ (أَوْ زِيَارَةٍ أَخٍ فِيهِ) أَي فِي حَبِّهِ (تَعَالَى) شَأْنُهُ (فِيهَا) أَي بِمِثْلِهَا (فُسْرٌ) مَا وَرَدَ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ (فَقَدْ قَالَ أَنَسٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ ابْتِغَاءُ الْمَعَاشِ لَطَلْبِ الدُّنْيَا لَكِنْ عِيَادَةُ مَرِيضٍ أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ أَوْ تَعْلَمُ عِلْمَ أَوْ زِيَارَةِ أَخٍ فِي اللَّهِ (لَا بِاسْتِمَاعِ الْقَصَصِ) أَي مِنْ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَنْتِ فِي التَّوَارِيخِ (فَهُوَ بَدْعٌ فَكَانُوا) أَي الصَّحَابَةُ (يُخْرِجُونَ الْقَصَاصَ مِنَ الْمَسْجِدِ) فَقَدْ حَضَرَ ابْنُ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى مَجْلِسِهِ فَإِذَا قَاصٍ يَقْصُ فِي مَوْضِعِهِ فَقَالَ لَهُ قُمْ عَنْ مَجْلِسِي فَقَالَ: لَا أَقُومُ فَقَدْ جَلَسْتُ وَسَبَقَتْكَ فَارْسَلِ ابْنَ عُمَرَ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ فَأَقَامَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ السَّنَةِ لَمْ يَسْتَحِلَّ إِقَامَتَهُ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: « لَا يَقِيمَنَّ أَخَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ فِيهِ وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ يَعُودُ إِلَيْهِ، وَرَوَى « أَنِ قَاصًا كَانَ يَجْلِسُ بِفَنَاءِ حَجَرَةٍ عَائِشَةَ فَارْسَلَتْ إِلَى ابْنِ عُمَرَ أَنْ هَذَا قَدْ آذَانٌ بِقَصَصِهِ وَشَغَلَنِي عَنْ سَبْحَتِي فَضْرِبْهُ ابْنُ عُمَرَ حَتَّى كَسَرَ عَصَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ طَرَدَهُ » (وَيَر_اقِبُ السَّاعَةَ الْمَرْجُوءَةَ الْمَوْعُودَ فِيهَا) أَي فِي تِلْكَ السَّاعَةِ (بِالْإِجَابَةِ) أَي غَالِبًا فِي الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ « أَنِ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ. وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيِّ وَفِي خَبَرٍ آخَرَ لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ يَصَلِّي، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَاخْتَلَفَ فِيهَا) أَي فِي تَعْيِينِ تِلْكَ السَّاعَةِ (عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ) أَي عَلَى أَقْوَالٍ قَبْلَ عِنْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ (وَالزَّوَالِ) أَي عِنْدَهُ أَوْ بَعْدَهُ، وَقِيلَ بَعْدَ الْإِذَانِ الْأَوَّلِ (وَصُعُودِ الْإِمَامِ) أَي عَلَى الْمَنْبَرِ وَقَعُودِهِ (وَالْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ) أَي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ كَمَا بَيَّنَّا ادِّلتُهَا فِي شَرْحِ الْحَصَنِ (وَمُنْتَهَى الْإِسْتِحْبَابِ فِي الْعَصْرِ) أَي أَوَّلُهُ أَوْ آخِرُهُ (وَالْغُرُوبِ) أَي وَقْتُهُ فَقِيلَ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ

وَرَوَى فِيهِ رَعَايَةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَوَايَتُهَا تُؤَيِّدُ مَا رَوَى لَا يُوَافِقُهَا عَبْدُ
يُصَلِّي إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ وَالْمُبَهْمَةُ كَلِيلَةُ الْقَدْرِ فَيَسْتَغْرِقُ الْيَوْمَ لِرَعَايَتِهِ، وَهُوَ أَصَوْبٌ

من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الى الغروب (وروى فيه) أى فى حين الغروب
أوفىما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله (رعاية فاطمة رضى الله
عنها) وكانت ترويه عن أبيها عليه السلام ، وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت
لتقوم فى طلب المرام، وفى رواية « تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها
الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى
غروبها » قال العراقى: حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة » رواه الدارقطنى فى العلل واليهقى
فى الشعب وعليه الاختلاف (وروايتها) أى رواية رعايتها (تؤيد ما روى
لا يوافقها) أى الساعة، وفى رواية « لا يصادفها » (عبد) أى مسلم (يصلى) أى
يدعو بقرينة قوله (الا استجيب له) وقد قال كعب الأحبار: « انها فى آخر ساعة
فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة: كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت
رسول الله ﷺ يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولا تحين صلاة قال كعب : ألم يقل
رسول الله ﷺ : من قعد منتظرا للصلاة فهو فى الصلاة ؟ قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
أبو هريرة ، وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم
وان ارسلها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو
القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة
ثم رجع ، والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة
ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقى فى الشعب عن فاطمة
مرفوعا « ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه اذا
تدلى نصف الشمس للغروب » هكذا رأيت فى هامش نسخة والله أعلم (والمبهمة كليلة
القدر) وكالصلاة الوسطى والاسم الاعظم (فيستغرق اليوم لرعايته) أى مراعاة
ادراكها (وهو) أى الابهام (اصوب) وفى الاحياء قيل انها تنتقل فى ساعات الجمعة
كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان يصدق
بما قال عليه السلام « ان لربكم فى ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » ويوم الجمعة من
جملة تلك الايام فينبغى للعبد فى جميع نهاره ان يتعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر

وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الرب والنزوع من وساوس الدنيا وهو اجس النفس والهوى ففساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى، والحديث رواه الترمذي والحكيم في النوادر والطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة، وابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة ((ويكثر الصلاة عليه عليه السلام)) أي في يوم الجمعة وليلتها فقد ورد: أكثروا الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على، البيهقي عن أبي هريرة، وابن عدي عن أنس، وفي رواية البيهقي عن أنس: أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة، وفي رواية ابن ماجه عن أبي الدرداء: أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة وان أحدا لن يصلي على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها، وفي رواية للبيهقي عن أبي امامة: أكثروا من الصلاة على في كل جمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة، وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة، وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: تقول اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتصدق واحدة، الدارقطني من رواية ابن المسيب قال: اظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب، وقال ابن النعمان: حديث حسن وفي الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبياء امة وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل: من قالها سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد أتي بالصلاة الماثورة فيقول: اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائع زكواتك ورافقتك ورحمتك وتحياتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه فيغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشاخصة المنيعة اللهم اعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله

وَقَرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ التَّسْبِيحِ، وَفِي الْكُلِّ

أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأباج حجته وارفع في أعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته واحنا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين » ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود ((وقراءة القرآن)) أي يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن أبي سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له من الجمعة إلى الجمعة وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ويمسي وعوفي من الداء والديلة [أي الداهية] وذات الجنب والجذام والبرص وقتنه الدجال، رواه البيهقي ((ويتصدق)) أي يوم الجمعة في غير الجامع أو لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود: إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى ((بشيئين مختلفين)) كدرهم ودينار أو ثوب وقرص أو خبز وإدام أو فاكهتين مختلفتين، فعن كعب الأحبار « من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع ور كمر كعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم اني أسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئاً الا أعطاه » وفي رواية ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً « من انفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة هذا خير وللجنة أبواب » الحديث، ورواه الخطيب عن أنس بلفظه ما من مسلم ينفق زوجين في سبيل الله عز وجل الادعته الجنة هلم هلم، ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لاختلاف كدرهمين ودينارين وثوبين، وعن بعض السلف من اطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدائهم يقول حين يسلم الامام : بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك ان تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدأه استجيب له ((ويصلي)) أي يوم الجمعة ((صلاة التسبيح)) وقد بسطت الكلام عليها في شرح الحصن رواية ودراية وعلماء وعملا وقد علمها عليه السلام لعنه العباس وقال له : صلها في كل جمعة الحديث أبو داود. وابن ماجه. وابن خزيمة. والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ((وفي الكل)) أي

فضائل وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك والمسبحات الست والأكثر
بالإخلاص فقراءتها ألف مرة في عشر ركعات أو عشرين أفضل من الختم ولا
يخصه بالصوم وقيام الليل فهو منهي عنه، ويحافظ على الرواتب وسائر السنن

في جميع ما تقدم (فضائل) أي واردة عن أصحاب الشماثل (وجاء قراءة يس والسجدة
والدخان والملك) أي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها (والمسبحات الست)
أي المتقدم شأنها (والأكثر بالإخلاص) أي بقراءة سورة الإخلاص (فقراءتها
ألف مرة في عشر ركعات أو عشرين أفضل من الختم) أي ختم القرآن بدونها أو في
غير الصلاة، وهذا لم أجده مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد
اشتري نفسه من الله، الخرائطي في فوائده عن حذيفة، وأما حديث قل هو الله أحد تعدل
ثلاث القرآن، فرواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والنسائي عن أنس سعيد
وجماعة عن جماعة كاد أن يكون متواترا، وفي الأحياء الأحسن أن يجعل وقته للصلاة
إلى الزوال وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح
والاستغفار وسائر الأذكار وينبغي أن يلزم المسجد حتى يصلي العصر فإن وقف
إلى المغرب فهو أفضل، ويقال: من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى
المغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق
إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكر الله تعالى
مفسكرا في آلائه شاكر الله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره
مراقبا لقلبه وإنسانه إلى غروب الشمس حتى لا تقوته الساعة الشريفة فلا ينبغي في الجامع
وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام «قال يأتي على الناس زمان يكون
حديثهم في مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسهم، اليهقي
في الشعب من حديث الحسن مرسل واستنده الحاكم من حديث أنس وصححه، ولا بن
حبان من حديث ابن مسعود ونحوه (ولا يخصه بالصوم وقيام الليل فهو) أي
التخصيص (منهي عنه) روى مسلم عن أبي هريرة «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه
أحدكم» وفي رواية أحمد عن أبي هريرة «لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم،
(ويحافظ على الرواتب) أي السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن)

كَالتَّهَجُّدِ وَالضُّحَىٰ وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَالْعِيدِ وَيُسْتَعْدَلُهُ كَالْجُمُعَةِ وَيَرْجِعُ
 مِنَ الْمَصَلَّى فِي غَيْرِ طَرِيقِ الذَّهَابِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ، وَالتَّرَاوِيحُ وَيَخْتِمُ فِيهِ فَهُوَ مَأْثُورٌ
 وَيَخْتَارُ الْإِنْفِرَادَ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ، وَالْجَمَاعَةَ إِنْ خَافَ الْكَسَلَ

أي المستحبة ﴿كالتَّهَجُّدِ﴾ في الليل ﴿والضُّحَى﴾ في النهار ركعتين أو أربعاً أو ستاً أو
 ثمانية أو اثني عشر، فورد أنه عليه السلام «كان إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى
 ركعتين وإذا انبسطت وكانت في ربيع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً» الترمذي
 والنسائي. وابن ماجه من حديث علي ﴿واحياء ما بين العشاءين﴾ أي بالعبادة أو بعشرين
 ركعة أو ست ركعات مطلقاً في الكل فضائل وبعضها تقدم ﴿والعيد﴾ أي ويراعى
 عيد فطر أو أضحى بالتكبير ونحوه ﴿ويستعدله كالجمعة﴾ من الغسل والتزين والتطيب
 ﴿ويرجع من المصلي﴾ أي مصلي العيد حالة الإياب ﴿في غير طريق الذهاب فهو
 مروي﴾ أي من فعله عليه السلام رواه مسلم ﴿والتراويح﴾ أي ويراعىها وهي
 عشرون ركعة وأداؤها سنة مؤكدة ﴿ويختم فيه فهو مأثور﴾ أي عن الصحابة
 ﴿ويختار الانفراد﴾ عن الجماعة ﴿ان خاف الرياء والجماعة﴾ أي ويختارها ﴿ان
 خاف الكسل﴾ وقيل الانفراد أفضل لقوله عليه السلام: «فضل صلاة التطوع في
 بيته على صلاته في المسجد كفضل الصلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت»،
 آدم بن إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل، ورواه ابن أبي
 شيبة في المصنف لجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفاً.
 وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت «صلاة المرء في بيته أفضل
 من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة» وعن أنس «صلاة في مسجدي تعدل بعشرة
 آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط
 تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل
 لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل، أبو الشيخ في الثواب، وذكر أبو الوليد الصغار
 في كتاب الصلاة تعليقاً من حديث الأوزاعي قال: دخلت على يحيى فاستدلى حديثاً
 وهو «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام
 أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في
 زاوية بيته لا يعلمه إلا الله، وقيل: إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه فإنه عليه

وَيُخَيَّرُ أَنْ أَمْنُهُمَا تَضُمَّنِ الْجَمَاعَةُ الْبَرَكَةَ وَالْإِنْفِرَادُ قُوَّةَ الْحُضُورِ، وَالْكُسُوفُ
وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِيهِ فَضِيلَةٌ كَصَلَاةِ الرَّغَائِبِ وَلَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَهِيَ مِائَةٌ
رَكْعَةً بِالْإِخْلَاصِ مِائَةً مَرَّةً، وَكَانُوا يُوَاطِبُونَ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِخَارَةُ

السلام قد خرج فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت أن تفرض عليكم،
متفق عليه من حديث عائشة، وجمع عمر الناس عليها في الجماعة حيث أمن الوجوب
بانقطاع الوحي (ويخير) أي في صلاة التراويح منفردا أو مع جماعة (ان أمنهما)
أي الرياء والكسل وإنما يخير (لتضمن الجماعة البركة) المشتعلة على السرور
(والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور، والحاصل ان هذه السنة ليست
من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم يشرع فيهما جماعة
نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية أن تكتب على الأمة ثم كان
الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واخذ وقال نعمت البدعة
أي الحسنة وهي الجماعة المجتمعة المشيرة إلى ألفه الأمة (والكسوف) أي ويراعى صلاة
الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما في كتب الفقه، وقد ورد ان الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيت ذلك فافزعوا إلى ذكر
الله تعالى وإلى الصلاة، قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام وخسفت الشمس وقال
الناس: إنما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبه (وكل ما ورد) أي
ويراعى جميع ما ورد من السنة (فيه فضيلة كصلاة الرغائب) وهي في أول ليلة جمعة من
رجب يصلي ثنتي عشرة ركعة بستم تسليمات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة
القدر ثلاثا والاخلاص اثنتي عشرة وبعد الفراغ يصلي على النبي عليه السلام سبعين
مرة ويدعو بما يشاء وهي بدعة منكورة كما صرح به النووي وغيره وكذا حديث «ما من أحد
يصوم أول خميس من رجب» الحديث في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو
موضوع كما قاله العراقي (وليلة النصف من شعبان وهي) أي صلاتها (مائة ركعة
بالاخلاص مائة مرة وكانوا) أي بعض السلف (يواطبون عليها) قال العراقي:
حديث باطل، ولا ينبغي ما جبه من حديث علي «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا
ليلموا صوموا نهارها» واسناده ضعيف (والاستخارة) أي ويراعى صلاة الاستخارة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلِّمُ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ، وَتَحِيَّتِي الْوُضُوءِ وَالْمَسْجِدِ، وَلَا يَتَعَيَّنُ
لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ
التَّعْطَلِ بَلِ الْفَرَضُ أَفْضَلُ، وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ بَلِ يُطْلَقُ

أَوْ دَعَاءُهَا بَعْدَهَا ﴿ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلِّمُ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ البخاري من
حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح الحصن ﴿ وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ ﴾ أي ورَكَعَتَيْهِ ﴿ مِنْهُ ﴾ من المنزل فعن أبي هريرة قال عليه السلام: « إذا أخرجت
من منزلك فصل رَكَعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ وإذا دخلت منزلك فصل رَكَعَتَيْنِ
يَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ » البيهقي في الشعب. والخرائطي في مكارم الاخلاق. وابن عدي
في الكامل، وفي الحديث إيماناً إلى قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مَخْرَجَ صِدْقٍ) الآية ﴿ وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ ﴾ أي بالخفية بأن يصلي رَكَعَتَيْنِ
يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد ثم يقول
اللهم اني أعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم أجده مروياً ﴿ وَتَحِيَّتِي
الْوُضُوءِ ﴾ أي المسمى بشكر الوضوء وهي قبل جفاف أعضائه ﴿ وَالْمَسْجِدِ ﴾ أي أول
دخوله قبل جلوسه فتحة الوضوء مستحبة لأن الوضوء قرينة مقصودها الصلاة
ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرأ الحدث قبل الصلاة فالمبادرة إلى
رَكَعَتَيْنِ استبقاء لمقصود الوضوء قبل الفوت ولئلا يضيع السعي قبل الموت وعرف ذلك
بحديث بلال إذا قال عليه السلام: « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها فقلت يا بلال بم سبقتني
إلى الجنة؟ فقال بلال: لا أعرف شيئاً إلا أني لأحدث وضوءاً الاصليت عقبه رَكَعَتَيْنِ،
أو كما قال متفق عليه من حديث أبي هريرة، وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى أنها لا تسقط
في مذهب الشافعي وإن كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء
إلى الخطيب، وقد ورد إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي رَكَعَتَيْنِ، ابن
عدي. والبيهقي عن أبي هريرة ﴿ وَلَا يَتَعَيَّنُ لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ ﴾
أي غير التطوع ﴿ وَهُوَ ﴾ أي المقصود ﴿ صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ التَّعْطَلِ ﴾ أي البطالة
عن الطاعة ﴿ بَلِ الْفَرَضُ أَفْضَلُ ﴾ من النافلة فإن ثوابه أكمل ﴿ وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ ﴾
أي لا يقول: نويت أن أصلي رَكَعَتَيْنِ للوضوء ﴿ بَلِ يُطْلَقُ ﴾ أي ينوي صلاة مطلقة

لأنَّ الوُضوءَ للصَّلاةِ دُونَ العَكْسِ، ويَحْتَزُّ في الأَوَاقَاتِ المَكْرُوهَةِ فَفِيهَا
تَعْبِدُ الأَوْثَانَ وَيَنْتَشِرُ الشَّيْطَانُ وَفِي الكَفِّ يَتَجَدَّدُ الشَّوْقُ إِلَى العِبَادَةِ أَمَّا العَارِفُ
المُسْتَغْرَقُ هَمِّهِ فِيهِ تَعَالَى فَوْرَدُهُ الحُضُورَ بَعْدَ الفَرَاثِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَيَغْرُقُ بِأَنَّ
لَا يَهْمُ بِمَعْصِيَةٍ وَلَا يَفْتَرُ بِطَاعَةٍ وَلَا يَنْزَعِجُ بِمُصِيبَةٍ

﴿ لان الوضوء للصلاة دون العكس ﴾ اذ ليست الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكرا
لتوفيق الوضوء لا يبعد ﴿ ويحتز ﴾ عن النافلة ﴿ في الاوقات المكروهة ﴾ أى مطلقا
عندنا خلافا للشافعى حيث يجوز اداء صلاة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكرو وضوء
واستثنى الحرم أيضا ﴿ فقيها تعبد الاوثان ﴾ أى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر
الذيران ﴿ وينتشر الشيطان ﴾ أى ويكثر الوسواس للانسان ، وقد ورد ان الشمس
لتطلع ومعاقرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقتها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت فارقتها فاذا تضيقت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ، النسائي من حديث
عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحي وهم
فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وفي الكف ﴾ أى
الامتناع عن الصلاة في الاوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وبعد صلاة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب ، وكذا الاوقات
المحرمة ﴿ يتجدد الشوق الى العباداة ﴾ ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول
المسجد على غير وضوء أو يتمم وان دخل لعبور ضرورة أو جلس في اوقات مكروهة
فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يقولها أربع مرات فيقال : انها
عدل ركعتين في الفضل ولعله مأخوذ مما ورد ، اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، وفسر
الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه أعلم ، ثم هذه
الأوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد في استعداد زاد المعاد ﴿ أما العارف
المستغرق همه فيه تعالى ﴾ أى في ورد محبته وورد الحضور في حضرته ﴿ فورده
الحضور ﴾ أى حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب ﴿ بعد الفرائض والرواتب
ويغرق ﴾ أى هذا العارف في علو المناقب ﴿ بان لا يهتم بمعصية ﴾ أى لا يقصدها
﴿ ولا يفتربطاعة ﴾ أى لا يكسلها ﴿ ولا ينزعج بمصيبة ﴾ أى لا يتزلزل ولا يجزع
ولا يفزع بموت الأولاد والاحفاد وسائر الأقارب من الاخوان والخلان وذهاب

وَلَا يَنْقَلِبُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ ۝

الباب الثاني في الانفاق والقناعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَرَدَّ (وَمَنْ يُوَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ) . (الْآيَةُ .) وَالَّذِينَ
يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفُضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (الْآيَةُ .) « السَّخِيُّ قَرِيبٌ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى »

الأموال وتغير الأحوال من الأمراض وسائر شدائد الأحوال (ولا ينقلب) عن
حاله ومقامه (بأمر عظيم) كالقحط . وقتة البلاد . وسائر البلايا العامة للعباد وهو
الكريم الرحيم السميع العليم ۝

(الباب الثاني في الانفاق والقناعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم) أتفق في الطاعة واعتق بالقناعة فيما قسم لي إلى قيام
الساعة (ورد) أي في التنزيل (ومن يوق شح نفسه) أي يحفظ ويصان بخلافها فيما
يجب عليها (الآية) وهي (فاولئك هم المفلحون) أي الناجون من النار والفائزون
بالجنة اذ مانعون الزكاة هم الظالمون أي الواضعون الأشياء في غير موضعها (والذين
يكنزون الذهب والفضة) أي يجمعونها (ولا ينفقونها في سبيل الله) أي وزكاتها
لا يخرجونها (الآية) أي (فبشرهم بعذاب أليم) وفيه تهكم عظيم (يوم يحصى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم) لتعيسهم على الفقراء (وجنوبهم) لتكبرهم على
الضعفاء (وظهورهم) لاعراضهم عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان المقال اوبيان
الحال (هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) قال الاحنف بن قيس :
كنت في نفر من قریش فربنا أبو ذر فقال : بشر السكاذين بكى في ظهورهم يخرج من
جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم ، وعن أبي ذر انتهيت إلى رسول الله
ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال : هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت :
من هم ؟ فقال : الاكثر من أموال الايمان قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين
يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه (السخي قريب من الله تعالى
والبخيل بعيد من الله تعالى) رواه الترمذي عن أبي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني
في الأوسط عن عائشة بلفظ (السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة

«تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ» وَالْفَقْهُ الْإِبْتِلَاءُ فِي دَعْوَى حُبِّهِ تَعَالَى
وَتَرَكُ الدُّنْيَا وَظُهُورُ الْمَرَاتِبِ فِيهَا، فَالسَّابِقُ كَالصَّدِيقِ حَيْثُ مَا أَبْقَى شَيْئًا.
وَالْمُقْتَصِدُ كَالْفَارُوقِ حَيْثُ أَبْقَى النِّصْفَ. وَالْقَاصِرُ هُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى الْوَاجِبِ

بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
(تعيين عبد الدينار وعبد الدرهم) أي ذلك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية
الترمذي عن أبي هريرة بلفظ «لعن» (والفقه) أي الحكمة والسرف في تشريع الاتفاق
هـ (الابتلاء في دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) أي محبتها فإنها لا تجتمع مع حبه المولى
فإن المحبة لا تقبل الشركة ولا بقدر الحبة وإنما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات
والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسيئها يأنسون
بهذا العالم الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وسائر لذاتها
فامتحنوا بتصدق دعواهم واستزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم، ولذا قال
تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وذلك
بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء المولى والمسامحة بالمسال أهون فبذله أولى
(وظهور المراتب فيها) أي دعوى المحبة فقد قيل ما أيسر الدعوى وما أعسر
المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما أبقى شيئاً) أي لا درهما ولا ديناراً وتبعه جماعة
من أهل التوفيق في إلبائهم أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع مالههم
لثلاث ينسب حب غيره سبحانه إليهم حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم
فقال: أما على العوام في حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا
بذل الجميع (والمقتصد كالفاروق حيث أبقى النصف) أي وأعطى النصف، وأصل
الحديث «جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر: ماذا بقيت
لاهلك؟ فقال مثله وقال لابي بكر: ماذا بقيت لاهلك؟ فقال: الله ورسوله» رواه أبو داود
والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن أنه قال لهما
ما بين صدقتكما كما بين كلامكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) أي على إعطاء
قدره من غير زيادة في أجره، وفي كلام المصنف تلويح إلى قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فيحتمل أن يقال: القاصر المقصر أنه الظالم

وَتَنْقِيَةُ الْبَاطِنِ عَنِ الْبَخْلِ وَتَحْلِيَّتِهِ بِالشُّكْرِ وَهُوَ بَقْلُ اسْبَابِ الْحَرْصِ كَحَبِّ
عَيْنِ الْمَالِ وَهُوَ مَرَضٌ مَزْمِنٌ وَالشَّهَوَاتِ

لنفسه وغيره اذا الظالم هو مانع الزكاة ونحوه ، والعوام اقتصروا على قدر
الواجب ليخلطهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف جهم بالمولى وشدة ميلهم الى
الدنيا قال تعالى : (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) ومعنى يحفكم
يستقصي عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي
عليه لاجل بخله وهناك درجة أخرى دون الدرجتين الأولين وهم الممسكون أموالهم بعد
إخراج الواجبات المراقبون لأوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في
الادخار الاتفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التعم والرفاهة وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه البرقة وطريق المسرة ، وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا
سوى الزكاة كالنخمي ، والشعبي ، وعطاء ، ومجاهد ، قال الشعبي : بعد ان قيل له هل في المال
حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى : (وآتى المال على حبه) الآية
تمامها (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة
وآتى الزكاة) حيث عطف آتى الزكاة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل : (وما
رزقناهم ينفقون) وبقوله : (وأنفقوا مما رزقناكم) وزعموا ان ذلك غير منسوخ
بآية الزكاة بل داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا
ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة
ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم ﴿ وتنقية الباطن ﴾ أى ومن جملة الحكمة فى الاتفاق
تنظيف القلب وتخليته ﴿ عن البخل ﴾ فورد ثلاث مملكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه ، الطبرانى فى الأوسط عن أنس ﴿ وتخليته ﴾ أى تزيين الباطن
وتحسينه ﴿ بالشكر ﴾ أى بشكر النعمة وقد قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . (وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه) ﴿ وهو ﴾ أى ما ذكر من التقية والتولية ، والاتفاق انما يحصل
﴿ بقلع أسباب الحرص كحب عين المال ﴾ لا لغرض يحصل منه ﴿ وهو ﴾ أى حب عين
المال ﴿ مرض مزمن ﴾ أى لا دواء له فى الزمن حيث لا ينفعه لفوات أغراضه واعراضه
من المال ﴿ والشهوات ﴾ و كحب سائر الشهوات كما أشار اليه قوله تعالى : (زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

وَطُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْفَقْرِ وَقَلَّةُ الْوُثُوقِ بِمَجِيءِ الرِّزْقِ وَهُمْ الْوَلَدُفُورِدُ «الْوَلَدُ
مَبْخَلَةٌ» وَطَرِيقُهُ التَّوَسُّطُ فِي النِّفَقَاتِ فَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى عَدٌّ مِنَ الْمُنْجِيَّاتِ
وَتَقْلِيلِ الشَّهَوَاتِ وَالْوُثُوقِ بِإِصَابَةِ الرِّزْقِ الْمَقْدَرِ وَمَعْرِقَةِ عِزِّ الْقَنَاعَةِ

المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الأمل) عطف على حب أي وكطول الأمل بتوهم طول الأجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وبأههم الأمل فسوف يعلمون) (وخوف الفقر) قال عز وعلا (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (وقلة الوثوق بمجىء الرزق) وقد قال سبحانه (و كآين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد ورد له لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم بما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا « أحمد والترمذي وابن ماجه . والحاكم عن عمر (وهم الولدفوردا الولد مبخلة) « تمامه مجبنة » أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد . وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ، ومعنى مبخلة انه مظنة أن يحمل أبويه على البخل فيدعوها اليه فيخلان لأجله ، ومعنى مجبنة أي يحمل أباه على أن يجنب عن الحروب استبقاء لنفسه من أجله (وطريقه) أي الطريق المحمود في الاتفاق أحد عشر أو طريق قلع أسباب الحرص (التوسط في النفقات) قال تعالى : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (فالقصد) أي الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات (في الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد « ما عال من اقتصد » الديلمي عن أبي امامة مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا ، الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، (وتقليل الشهوات) أي الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات (والوثوق بإصابة الرزق المقدر) فقد قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وورد في حديث مشهور « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك » (ومعركة عز القناعة) فورد « القناعة كنز لا يفد » وفي رواية « مال لا يفد » وفي أخرى « كنز لا يفنى » القضاعي عن أنس والطبراني في الأوسط من حديث جابر ولفظه « القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى » وفي القناعة أحاديث لا تحصى ، وقد قيل : من قنع شبع ، منها قوله عليه السلام « ابن آدم عندك

وَذُلُّ الطَّمَعِ . وَالتَّأَمُّلُ فِي الْبَخِيلِ . وَمَدْحُ السَّخِيِّ وَمَا وَرَدَ فِيهِمَا

ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى في سربك آمنافى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . أى التراب ابن عدى . والبيهقى عن ابن عمر ، وفي رواية لهما عن أبي هريرة « إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار » وروى ابن المبارك عن الأوزاعي معضلاً ما أبالى ما رددت به عنى الجوع وما أحسن مقال بعض أهل الحال : وما هى إلا جوعة قد سدتها . وكل طعام بين جنبي واحد وعن سمرة مرفوعاً رضى من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثير ، العسكرى والله الناظم :

عزيز النفس من لزم القناعة * ولم يكشف لمخلوق قناعة
وفي الحديث اللهم قنعنى بمارزقتى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى : (فلنجينه حياة طيبة) بالقناعة والقيام بالطاعة ، وقوله « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه » أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وقوله « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، أبو يعلى والضياء عن أبي سعيد ، وقوله « خيار امتى القانع وشرارهم الطامع » القضاعى « وذل الطمع » أى ومعرفة وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة ، وقد ورد « لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه » قال تعالى : (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه « ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا أيس عن شئ استغنى عنه » أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى القناعة والعسكرى فى المواعظ وروى « أن رجلاً من الأنصار قال يا رسول الله أوصنى وأوجزلى قال : عليك باليأس بما فى ايدى الناس وإياك والطمع فانه فقر حاضر ، أبو نعيم « والتأمل فى ذم البخيل ومدح السخى » اذهما فى جيلة كل احد من العالى والدنى « وما ورد فيهما » أى من احاديث النبى كقوله عليه السلام « السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات فى الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن الى النار ، الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن أبي هريرة ، وكقوله « خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل » البيهقى عن ابن عمرو ، وكقوله تعالى : « ما من العباد يصبح الا وملكاً كان ينزلان فيه

وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَاخْتِيَارِ التَّشْبِهِ بِهِمْ لَا بِالْمُتَنَعِّمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ
وَالْحَقِّقِيِّ وَالتَّسَخُّيِّ وَخِدَاعِ النَّفْسِ بِالصِّيتِ وَالْمُكَافَاةِ ثُمَّ اِزَالَةِ الرِّيَاءِ بَعْدَ الْإِعْتِيَادِ

فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً (واحوال
الأنبياء والأولياء) أي وفي أحوالهم واخلق سائر البخلاء والاسخياء (واختيار
التشبه بهم) أي بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم (لا بالمتنعمين من الكفار
والحققي) أي من الجهلة والفجار وقد قال تعالى: (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) (اذهبت
طياتكم في حياتكم الدنيا) وورد «اشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى» (والتسخي)
أي تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخي (وخداع النفس بالصيت) أي بحسن
الثناء عند الناس. والجاه والوجاهة في مقام اليناس (والمكافاة) أي ويتصور
المكافاة فورد «تهادوا تحابوا» (ثم ازالة الرياء بعد الاعتقاد) أي بعد تعوده
بالسخاء فان الرياء في الابتداء قطرة الاخلاص في الانتهاء كما ان المجاز قطرة
الحقيقة، حكى ان ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يتمتع به الناس
من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعبدوا تلك القبور وكنسوها من القبور
فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما رعى البهاثم وقد قبض لهم في ذلك معاش من
نبات الأرض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له: اجب الملك ذا القرنين فقال
مالي حاجة اليه فأقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتيني فأبيت فيها أنا جئت فقال:
لو كان لي اليك حاجة لا أتيتك فقال ذو القرنين: مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من
الأمم عليها قالوا: وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء من البناء ولا اتخذتم الذهب
والفضة فاستمتعتم بهما قالوا: انما كرهناها لأن أحدا لم يعط شيئا منهما الا تافت
نفسه فودعته الى ما هو أفضل منه فقال: ما لكم احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعبدتموها
فكنستموها وصليتم عندها قالوا: أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الى الدنيا منعنا قبورنا من
الاهمل قال: وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الأرض أفلا اتخذتم اليها ثم من الانعام
فاحتلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها وراينا في نبات الأرض
بلاغا وانما يكنى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك لم نجد له طعاما
كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده فتناول جمجمة فقال: يا ذا
القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو؟ قال فذلك ملك من ملوك الأرض أعطاه الله

وَكثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْإِعْتِبَارُ بِالسَّالِفِينَ وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ . وَالْأَصْلُ فِيهِ .

الصَّبْرُ ، وَقِصْرُ الْأَمَلِ ، وَالْعِلْمُ بِآفَاتِ الْمَالِ

سلطانا على أهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في الآخرة ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال : يا ذا القرنين هل تدري من هذا ؟ قال : لا ومن هو ؟ قال : هذا الملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى وقد أحصى الله عمله في دنياه حتى يجزيه في أخراه ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال : هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذوا القرنين : هل لك في صحبتي ما نبجك أخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال : ما أصلح أنا وانت في مكان قال ولم ؟ قال : من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال : ولم يعادوني ؟ قال يعادونك على ما في يدك من الملك والمال ولا أحد يعاديني لما عندي من الحاجة وقلة الشيء . والفاقة فانصرف عنه ذوا القرنين متعجبا ومتعظا)) وكثرة ذكر الموت)) فانه يهون السخاوة قبل الموت)) (والاعتبار بالسالفين)) أى الاتعاظ بالسابقين من أهل الاموال في تر كهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى : (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) ومن هنا قالوا : طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله)) (وزيارة القبور)) فانها تذكر العقبي وتزهد في الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور ، وروى « اذا تحيرت في الامور فاستعينوا بأهل القبور »)) (والاصل فيه)) أى في طريق الاتفاق من توسطه المحمود بالاتفاق)) (الصبر)) أى عن المستلذات الفانية)) (وقصر الامل)) أى باستعداد زاد الدار الباقية ، وورد عن علي قال : « انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » ابن المبارك . وأحمد في الزهد)) (والعلم بآفات المال)) أى وتغيراته في المال وانقلاباته في أسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث وقال : صحب رجل عيسى عليه السلام فقال أكون معك واصحبك فانطلقا فأتيا إلى شاطئ نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة فا كلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى إلى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف

وَهِيَ الْإِفْضَاءُ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ كَالْكِبَرِ وَالْكَذِبِ وَالْعَدَاوَةِ وَحُبِّ
الدُّنْيَا وَاقْتِحَامِ الشَّهْوَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ وَالشُّغْلِ عَنِ الطَّاعَةِ
بِالْكَسْبِ وَالْحِفْظِ

فقال للرجل : لم أجد الرغبة فقال لا ادري قال فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية
معهما خشفان لها فدعا أحدهما فاتاه فذبجه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال أسألك بالذي أراك هذه الآية من اخذ الرغبة؟
قال : ما ادري ثم انتهى الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فشيا على الماء
ثم جاوزا قال : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغبة؟ قال : لا ادري فانتهيا الى
مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال : كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه
ثلاثة اثلث فقال لثلاثي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغبة قال الرجل : فانا أخذت الرغبة
قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا
أن يأخذه منه و يقتلاه فقال : هو بيننا أثلاثا قال : فابعثوا أحداكم الى القرية حتى
يشترى طعاما فبعثوا أحدهم فقال : الذي بعث لاي شيء أقاسم هؤلاء في هذا المال؟
لكن اصنع في هذا الطعام سما فاقتلها قال : ففعل ذلك وقال هؤلاء لاي شيء نجعل
لهذا ثلث المال ولكن اذارجع اليها قتلناه واقتسمناه بيننا قال : فلما رجع اليهما قتلاه
وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلوا عنده فمر بهم عيسى
عليه السلام في تلك الحال فقال لأصحابه : هذه الدنيا وهذا المال فاحذروها ولا تقتلكم
في المال « (وهي) أي آفات المال من البليات « (الافضاء الى المهلكات) أي
ايصاله الى مهلكات الاخلاق « (الكبر) فانه يغلب على أرباب الاموال « (والكذب) أي
أي في معاملتهم وسائر الاحوال « (والعداوة) أي الناشئة من كثرة القيل والقال
« (وحب الدنيا) « وهو رأس كل خطيئة » كما رواه البيهقي في الشعب باسناد حسن
الى الحسن البصري رفعه مرسل « (واقترام الشهوة) وفي نسخة الشبهة أي ودخوله
من غير ملاحظة لحصوله في الأمور المضرة من غير وصول المسرة « (والحاجة الى
الناس) لضرورة الغنى من معاشرة الخلق في مباشرة أمره بخلاف الفقير فانه غنى بربه
عن غيره « (والشغل عن الطاعة بالكسب) أي والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب
كما هو العادة بخلاف المتوكلين من أرباب الارادة « (والحفظ) أي وبسبب حفظ

وَدَفَعَ الْحَسَادَ مَعَ أُحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ ، وَفَوَائِدِهِ وَهُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى النَّفْسِ لِلْقِيَامِ
بِالطَّاعَةِ ، كَالْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ وَعَلَى الْغَيْرِ وَهُوَ
صَدَقَةٌ لِلْفَقِيرِ وَمَرْوَةٌ لِلْغَنِيِّ فِي الضِّيَافَةِ . وَالْهَدِيَّةُ . وَالْإِعَانَةُ فَهِيَ تَحْصُلُ الْإِخْوَةَ

الأموال فانه يضيع به ضبط الأحوال ((ودفع الحساد)) أى ويدفعهم لما فيهم من أنواع
الفساد ((مع احتمال المشاق)) فى جمعه ومنعه بالاتفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها
فيه العقاب بل الحجاب الذى هو أشد العذاب ((وفوائده)) أى والعلم بفوائد المال
((وهو الاتفاق على النفس للقيام بالطاعة)) فيما لا بد له منه على طريق القناعة ((كالمطعم))
وكذا المشرب ((والملبس)) وكذا المسكن ((وما يحتاج اليه)) أى الى الاتفاق الزائد عليه
((كالحج)) وكذا العمرة ((والغزو)) وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة ((وعلى الغير))
من الزوجة والخادم ومحوهما من الجانب والمحارم فورد « أفضل الدينار دينار ينفقه على
عيله ، رواه مسلم » وكفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت ، أبو داود ، وعند مسلم معناه
((وهو)) أى الاتفاق « (صدقة للفقير) » أى بأى طريقة مع حصول النية « (ومروءة) »
أى فتوة « (للغنى) » فى بعض الأحوال الرضية كما بينه بقوله « (فى الضيافة) » فانها من
الشئائل السنية فورد « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة » أحمد . وأبو يعلى عن أنى سعيد الضيف يأتى
برزقه ويرتحل بذنوب القوم « الطبرانى عن طارق بن اشيم » ضاف ضيف رجلا من
بنى اسرائيل وفى داره كلبه مجح . بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم أى قريبة الولادة . فقالت
الكلبة والله لا أنبج ضيف أهلى فعوى جراوها فى بطنها قيل : ما هذا فأوحى الله الى رجل
منهم هذا مثل أمة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها ، « (والهدية) » فانها من
الفضائل البهية ، وقد ورد « الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر » الطبرانى عن عصمة
ابن مالك « الهدية تعور عين الحكيم » الديلمى عن ابن عباس « هدية الله الى المؤمن السائل
على بابه » الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر « (والاعانة) » وكذا الاغاثة قال تعالى :
(وتعاونوا على البر والتقوى) وفى الخبر المشهور « من كان فى عون أخيه المؤمن كان الله
فى عونه ، وورده من أغاث ملهوقا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح
أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة » البخارى فى تاريخه والبيهقى عن أنس
« (فهى) » أى المروءة « (تحصل الاخوة) » أى فى الدين والدنيا وورده المرء كثير بأخيه ،

وَالسَّخَاءَ وَالْفُتُوَّةَ ، وَوَرَدَ فِيهَا الْأَخْبَارُ ، وَوَقَايَةُ لِدَفْعِ الشَّرِّ فَهُوَ يَنْفِي الْغِيْبَةَ
وَالْعَدَاوَةَ فَوَرَدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ وَاسْتِخْدَامٌ لِتُدِيرَ الْمَعَاشَ فَهُوَ يَفْرَغُ لِلْعِبَادَةِ ، وَفِي
نَحْوِ الْمَسْجِدِ . وَالْجَسْرِ . وَالرِّبَاطِ . وَالْحَوْضِ . وَالْبَثْرِ فَهُوَ يَبْقَى الذِّكْرُ ،
وَيَحْصُلُ بَرَكَةُ الدُّعَاءِ وَكُلُّ مِنْهَا عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ

ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من أحب وله ما اكتسب ، الترمذي عن أنس
« والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالعه » (والسخاء) * لأرباب الصفاء وأصحاب الوفاء
« (والفتوة) » وهي مال الرجولية وجمال الانسانية « (وورد فيها) » أي في المروءة وما يتعلق
بها « (الاخبار) » ، فانها من أعمال الأبرار ، فورد « من المروءة » ان ينصت الاخ لآخيه اذا
حدثه ومن حسن الماشاة أن يقف الاخ لآخيه اذا انقطع شمع نعله ، الخطيب عن أنس
« المروءة اصلاح المال ، الديلي عن ابن ابان عن أنس « ليس من المروءة الربح على الاخوان »
ابن عساكر عن ابن عمر « عطف على صدقة أي محافظة » (لدفع الشر) « أي من
أهل الضر » (فهو) « أي الاتفاق على الغير لدفع الشر » (ينفي الغيبة) « باللسان
« (والعداوة) » في الجنان « (فوردانها) » أي وقايتها « (صدقة) » قال عليه السلام « ما وقى
به المرء عرضه فهو له صدقة » العسكري والقضاعي من حديث جابر * (واستخدام) *
أي أخذ خادم بالشراء أو الكراه (لتدير المعاش فهو) * أي الخادم « (يفرغ للعبادة) »
التي هي زاد المعاد « (وفي نحو المسجد) » أي الاتفاق في نحو عمارة المسجد وترميمه وتنويره
« (والجسر) » أي معبر العامة أو الخاصة فوق البحر أو النهر « (والرباط) » أي الخانات
في البعد عن العمارات أو القلاع دفعا للكفرة وأرباب الغارات « (والحوض والبئر) »
في البلدان والعلوات والكل من الخيرات والمبرات « (فهو) » أي الاتفاق في نحو المسجد
« (يبقى الذكر) » أي الثناء الحسن بعد فناء العمر « (ويحصل بركة الدعاء) » أي
دعوة العامة « (وكل منها) » أي من فوائد المال « (عبادة مستقلة) » لاسيما عمارة
المساجد فقد قال تعالى : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية ، وورد
« من بني الله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة » ابن ماجه عن علي زاد الطبراني عن أبي امامة
« أوسع منه » وفي رواية أحمد عن ابن عباس « من بنى لله مسجدا ولو كفح حص قطة
ليضيها بنى الله له بيتا في الجنة » وفي معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء ، فمن
أبي هريرة « من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا في الجنة من در وياقوت ،

ثُمَّ السَّخَى مِنْ لَا يَمْنَعُ مَا يَجِبُ شَرْعًا وَمَرْوَةً وَمَانِعُ الشَّرْعِ الْبَخْلُ وَالسَّخَاوَةُ
تُفَارِقُ الْإِثَارَ بِأَنَّهُ بَذْلٌ مَعَ الْإِحْتِيَاجِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ
يُسْتَكْمَلُ بِهِ الْإِيمَانُ ، وَوَرَدَ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) *

الطَّبْرَانِيُّ فِي الْاَوْسَطِ (ثُمَّ السَّخَى) فِي عَرَفِ الْعُلَمَاءِ (مِنْ لَا يَمْنَعُ مَا يَجِبُ شَرْعًا وَمَرْوَةً)
أَيُّ طَبْعًا وَضَدَّهُ الْبَخْلُ وَهُوَ مَا يَمْنَعُهُمَا (وَمَانِعُ الشَّرْعِ) أَيُّ مُوجِبُهُ (الْبَخْلُ) مِنْ مَانِعِ
الْمَرْوَةِ (وَالسَّخَاوَةُ تَفَارِقُ الْإِثَارَ) وَهُوَ اخْتِيَارُ الْغَيْرِ بِالْبَرِّ (بِأَنَّهُ أَيُّ) الْإِثَارِ
(بَذْلٌ مَعَ الْإِحْتِيَاجِ) أَيُّ مَعَ غَايَةِ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالسَّخَاوَةُ مَعَ عَدَمِهِ فَافْتَرَقَا (وَهُوَ)
أَيُّ الْإِثَارِ (الْاَفْضَلُ) هـ أَيُّ اَفْضَلُ مِنَ السَّخَاءِ هـ (فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ يُسْتَكْمَلُ بِهِ
الْإِيمَانُ) هـ وَالْخِصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنْ يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ وَالثَّلَاثَةُ أَنْ يَأْمَنَ جَارَهُ بِوَأَثْقِهِ
هـ (وَوَرَدَ) هـ فِي مَدْحِ الْاِنْصَارِ هـ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) ، تَمَامُهُ (وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)
أَيُّ شِدَّةِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ أَوْ مَجَاعَةٍ وَضَرُورَةٍ إِلَى مَا يُؤْثِرُونَ ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « أَنَّ
رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَضَافَهُ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ : مَا مَعَنَا الْاَلَمَاءُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
مَنْ يَضِيفُ هَذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْاِنْصَارِ : أَنَا فَإِنْ طَلَّقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ : اكْرَمِي ضَيْفَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : مَا عِنْدُنَا إِلَّا قُوتٌ لِلصِّيَّانِ فَقَالَ : هِيَءِ طَعَامَكَ وَاصْبِحِي
سَرَايَكَ وَنَوْمِي صَيَّانَكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً فَيَأْتِ طَعَامُهَا وَاصْبَحْتَ سَرَايَ جِهَارٍ وَنَوْمُ
صَيَّانِهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهُ تَصْلُحُ السَّرَاجَ فَاطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يَرِيَانَهُ انْهَمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا
طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : ضُحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكَمَا هـ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ
عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ : أَهْدَى لِرَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَأْسَ شَاةٍ فَقَالَ : إِنْ أَخِي فَلَانَا وَعِيَالُهُ أَحْوَجُ
إِلَى هَذَا مِنْ نَافِعَتِكَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدًا إِلَى آخِرِ حَتَّى تَنَاقَلَ سَبْعَةُ آيَاتٍ حَتَّى رَجَعَ
إِلَى الْاَوَّلِ هـ فَتَنَزَلَتِ الْآيَةُ ، وَعَنْ بَعْضِ الْمُتَعَبِّدَاتِ أَنَّهَا وَقَفَتْ عَلَى حَبَانَ بْنِ بِلَالٍ وَهُوَ جَالِسٌ
مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَتْ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَأَشَارُوا إِلَى حَبَانَ فَقَالَتْ : مَا السَّخَاءُ
عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الْعَطَاءُ وَالبَذْلُ وَالْإِثَارُ قَالَتْ : هُوَ السَّخَاءُ فِي الدُّنْيَا فَمَا السَّخَاءُ فِي الدِّينِ ؟ قَالَ
أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَتَبَرِّعَةً سَخِيَّةً بِهَا أَنْفُسُنَا غَيْرَ مَكْرَهَةٍ قَالَتْ : أَفَتُرِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ
أَجْرًا قَالَ : نَعَمْ قَالَتْ لَمْ ؟ قَالَ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَنَا بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا قَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ
إِذَا أُعْطِيتُمْ وَاحِدَةً وَآخِذْتُمْ عَشْرَةَ فَبَايَ شَيْءٌ تَسَخِيئْتُمْ عَلَيْهِ قَالَ : فَمَا ، عَنِ السَّخَاءِ عِنْدَكَ

والتبذير بأنه حيث يجب الإمساك وهو حرام، فورد (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) لكن البخل الخش، والتسخي بأنه مع الكراهة والمروءة بترك المضايقة بالمحقرات فتختلف باختلاف الأشخاص كالغني والفقر والقريب والأجنبي

يرحمك الله قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم في أولاكم واخراكم ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا القبيح، وقال المحاسبي: السخاوة في الدين أن تسخو نفسك في محبة ربك ويسخو قلبك يذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مرید بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك ما لا يحسن ان تختار لنفسك في دنياك وآخرتك وفيه تليح الى قوله سبحانه: اي (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الآية ((والتبذير)) أي السخاوة تفارق التبذير ((بأنه حيث يجب الإمساك)) أي المنع من بذله لكونه اسرافا أو في غير محله اللائق به ((وهو حرام)) لقوله تعالى: (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) ((فورد ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين)) أي اوليائهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أي جحودا نفورا، والمعنى لا تنفق مالك في المعصية قال مجاهد: لو انفق انسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدائق في الباطل كان تبذيرا ولذا قيل: لا سرف في خير ولا خير في سرف، وقال: شعبة كنت امشي مع أناس في طريق الكوفة فأتى على جدار بني بخص وأجر فقال: هذا التبذير ((لكن البخل الخش)) من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم ((والتسخي)) أي ويفارق السخاوة التسخي ((بأنه مع الكراهة)) أي بالطبع والجنة بخلاف السخاوة فانها لا تكون الا مع طيبة النفس والمحبة ((والمروءة)) أي تفارقها السخاوة ((بترك المضايقة)) و كان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفي نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة ((بالمحقرات فتختلف)) المضايقة ((باختلاف الأشخاص)) أي الذوات الذين يصدر منهم المضايقة أو معهم المضايقة وأيضا يختلف باختلاف ما به المضايقة وتفاوت الأزمنة والحالات ((كالغني والفقر)) فان ترك المروءة في الغنى أقبح من تركها في الفقر ((والقريب والأجنبي)) فان ترك المروءة

وَالْجَارَ وَالْأَهْلَ وَالضَّيْفَ وَالْمَيْتَ فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمْ لَا يُسْتَقْبَحُ فِي الْآخَرِ
وَالْأَوَّلَى التَّوَسُّطُ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطَهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) وَحَقُّ الْعَطَاءِ أَنْ يَعَجَلَ قَبْلَ الْوُجُوبِ مَبَادِرَةً إِلَى
الْإِثْمَارِ وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ

فِي حَقِّ الْأَقَارِبِ أَقْبَحُ مِنْ تَرْكِهِ فِي حَقِّ الْأَجَانِبِ (وَالْجَارُ وَالْأَهْلُ) مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ
(وَالضَّيْفُ وَالْمَيْتُ) فِي أَمْرِ تَكْفِينِهِ وَتَجْهِيْزِهِ وَدَفْنِهِ ، وَكَذَا فِي حَالِ الْغَلَاءِ وَالرَّخَاءِ
وَالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَكَذَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْخِ وَالصَّبِيِّ وَالشَّابِّ وَالْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ
وَالْعَاقِلِ وَالْجَاهِلِ (فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمَا) أَيِ الشَّخْصَيْنِ أَوِ الْحَالَيْنِ (لَا يُسْتَقْبَحُ فِي
الْآخَرِ) لِتَفَاوُتِ الْأَمْرَيْنِ (وَالْأَوَّلَى) فِي الْإِتِّفَاقِ (التَّوَسُّطُ) الْمَحْبُودُ فِي جَمِيعِ
الْإِخْلَاقِ بَأَنَ يَكُونَ مَتَوَسِّطًا بَيْنَ الْبَذْلِ وَالْبَخْلِ فَيُمْسِكُ حَيْثُ يَجِبُ الْحِفْظُ وَيَبْذُلُ حَيْثُ
يَجِبُ الْعَطَاءُ وَأَمَّا كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى لِأَنِ التَّفْرِيطَ الَّذِي هُوَ الْبَخْلُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ الَّذِي
هُوَ التَّبْذِيرُ وَالْإِثَارُ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا لَكِنْ الْمُدَاوِمَةُ عَلَيْهِ رُبَّمَا تَوْدِي إِلَى الْحَبْرِ فَيَكُنُ
الْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ (فَوَرَدَ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) أَيِ لَا تُمْسِكْ يَدَكَ
عَنِ النَّفَقَةِ فِي الْحَقِّ كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَدِّهَا (وَلَا تَبْسُطَهَا) أَيِ بِالْعَطَاءِ
(كُلِّ الْبَسْطِ) فَتُعْطَى جَمِيعُ مَا عِنْدَكَ (فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) وَالْمَلُومُ الَّذِي أَتَى مَا يُلُومُ
نَفْسَهُ وَمَا يُلُومُ غَيْرَهُ ، وَمَحْسُورٌ أَيِ مُنْقَطِعًا بِكَ لَأَمْرِ عِنْدَكَ ، وَفِي الْمَعَالِمِ قَالَ : جَابِرٌ رَأَى
صَبِيًّا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي تَسْتَكْسِيكَ دِرْعًا وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْإِقْبِصَةَ
فَقَالَ لِلصَّبِيِّ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ فَعَدَوْقًا آخِرَ فَعَادَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهُ : قُلْ لَهُ إِنْ أُمِّي
تَسْتَكْسِيكَ الدِّرْعَ الَّذِي عَلَيْكَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَهُ وَنَزَعَ قَبِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَقَعَدَ
عَرِيَانًا فَاذْنُ بِلَالٍ بِالصَّلَاةِ وَاتَّظَرُوهُ فَلَمْ يَخْرُجْ فَشَغَلَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ
فَرَأَاهُ عَرِيَانًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ (وَحَقُّ الْعَطَاءِ) لِأَسْمَاءَ إِذَا كَانَ فَرَضًا (أَنْ يَعَجَلَ قَبْلَ
الْوُجُوبِ) وَهُوَ حَوْلَانِ الْحَوْلِ فِي الزَّكَاةِ وَدُخُولِ عِيدِ رَمَضَانَ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ
(مَبَادِرَةً إِلَى الْإِثْمَارِ) أَيِ قَبُولِ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)
(وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ) فَقَدْ قِيلَ « ادْخَالِ السَّرُورَ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ
الثَّقَلَيْنِ » وَعَنْ جَابِرٍ « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سُرُورٌ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ » ابْنُ عَدِيٍّ ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ
« مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ادْخَالِكَ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ » ابْنُ النُّجَّارِ

وَتَحَامِيَا عَنْ طُرُوقِ الْآفَاتِ وَيَعِينُ لَهُ وَقْتًا فَاضِلًا كَشَهْرِ رَمَضَانَ. وَذِي الْحِجَّةِ وَيُسْرُ أَنْ خَافَ الرِّيَاءَ، فَوَرَدَ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ سِرًّا فَيَكْتُبُ سِرًّا وَأَنْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ إِلَى الْعَلَانِيَةِ فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ إِلَى الرِّيَاءِ»، وَكَانُوا يَبَالِغُونَ فِيهِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُهُمُ الْقَابِضُ، وَيُظْهِرُ إِنْ سُئِلَ فِي مَلَأٍ مَعْتَصِمًا عَنْهُ أَوْ أَمَنَهُ

﴿وتحاميا﴾ أي تحافظا ﴿عن طروق الآفات﴾ أي حدوث طرق الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية ﴿ويعين له وقتا فاضلا﴾ أي زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته ﴿كشهر رمضان﴾ فعن أنس «أفضل الصدقة في رمضان» الدارمي في جزئه، وقد كان ﷺ أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان قال ربيع المرسلة لا يمسك فيه شيئا، كما في الصحيحين عن ابن عباس ﴿وذى الحجة﴾ فإنه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والأيام المعلومات وهي العشر الأول. والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد قالوا: أفضل أيام شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول ﴿وبسر﴾ أي يخفي العطاء ﴿ان خاف الرياء فورد أن العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان أظهره﴾ لغيره بعد سره ﴿نقل الى العلانية﴾ أي ديوانها ﴿فان تحدث به﴾ أي ثالثا ﴿نقل الى الرياء﴾ الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف والديلمي عن أبي الدرداء ولفظه «ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحي من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محي من السر والعلانية وكتب رياء» وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة «أبو نعيم من حديث ابن عباس «وصدقة السر تطفى غضب الرب» الطبراني من حديث أبي امامة «وسبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أنفقت يمينه» متفق عليه من حديث أبي هريرة ﴿وكانوا﴾ أي السلف ﴿يبالغون فيه﴾ أي في اخفاء الاعطاء ﴿بحيث لا يعرفهم القابض﴾ تحاميا عن السمعة والرياء وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يلقبه في يد الأعمى وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير وهو ناعم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى، وكان يستكم المتوسط بشأنه ويوصيه بأن لا يفشي به في زمانه ﴿ويظهر﴾ أي الاعطاء ﴿ان سئل في ملاء معتصما عنه﴾ أي محفوظا عن الرياء ﴿أو أمانة﴾ أي أو ان أمن من

وَقَصَدَ التَّرْغِيبَ ؛ فَوَرَدَ (إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تَخْفُوهَا وَتُوتُوهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) * (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وَلَمْ يَسْتِرِ الْقَابِضُ
تَحَامِيًّا عَنِ الْهَتِّكِ ، فَوَرَدَ « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » ، وَيَجْتَنِبُ الْمَنَ
وَالْأَذَى فَوَرَدَ (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) وَهُمَا الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ

السَّيِّئَةِ وَالرِّيَاءَ لِاخْتِصَاصِهِ بِمَقَامِ الْخَوَاصِّ فِي الْإِخْلَاصِ ((وَقَصَدَ التَّرْغِيبَ)) لِغَيْرِهِ فِي
بَابِ الْإِعْطَاءِ مِنَ الْإِقْتِدَاءِ ((فَوَرَدَ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ)) أَيْ إِنْ أَظْهَرُوهَا ((فَنِعْمًا هِيَ))
أَيْ فَنِعْمَتِ الْخِصْلَةِ أَبَدَاؤُهَا أَيْ أَظْهَارِ اعْطَائِهَا ((وَإِنْ تَخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ)) أَيْ مِنَ الْإِبْدَاءِ بِالْإِعْطَاءِ ((وَأَنْفَقُوا)) بِصِيغَةِ الْمَاضِي ((مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً)) أَيْ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ مِنَ التَّرْهِيْبِ وَالتَّرْغِيبِ وَتَفَاوُتِ النِّيَّةِ وَاخْتِلَافِ
الطُّوبَى وَالسَّرِّ مَخْتَصِّ بِالزُّوْافِلِ وَالْإِعْلَانِ بِالْفُرَائِضِ أَوْ تَارَةً وَتَارَةً بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِالْأَشْخَاصِ
وَالْأَوْقَاتِ وَالْحَالَاتِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) رَوَى مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عِنْدَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ
لَا يَمْلِكُ غَيْرَهَا فَتَصَدَّقَ بِدَرَاهِمٍ لَيْلًا وَبَدَرَاهِمٍ نَهَارًا وَبَدَرَاهِمٍ سِرًّا وَبَدَرَاهِمٍ عَلَانِيَةً ((وَلَمْ
يَسْتِرِ الْقَابِضُ)) أَيْ لَمْ يَكْتُمْ مَا أَخَذَهُ بَلْ يَظْهَرُهُ وَيَتَحَدَّثُ بِهِ وَيَدْعُو لِصَاحِبِهِ ، فَقَدْ وَرَدَ
« مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّاهُمْ »
أَبُو دَاوُدَ . وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ « وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا فَقَالَ
لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ » التِّرْمِذِيُّ . وَابْنُ حِبَانَ . وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أُسَامَةَ
« وَمَنْ صَنَعَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَدًا كَافَتْهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ عَلِيٍّ
« (تَحَامِيًّا عَنِ الْهَتِّكِ) » أَيْ احْتِرَازًا عَنْ اتِّهَافِ حُرْمَةِ شُكْرِ النِّعْمَةِ ((فَوَرَدَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ
النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)) التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ ، وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ
« مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ
شُكْرًا وَتَرْكُهَا كُفْرًا ، ((وَيَجْتَنِبُ الْمَنَ)) أَيْ الْإِمْتِنَانَ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْإِحْسَانِ ((وَالْأَذَى))
بِالْيَدِ أَوْ بِاللِّسَانِ ((فَوَرَدَ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى)) أَيْ بِكُلِّ مَنِهَا ((وَهُمَا)) أَيْ
الْمَنُّ وَالْأَذَى عَلَى طَرِيقِ الْفَوِّ وَالنَّشْرِ الْمُرْتَبِ ((الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ)) أَيْ ذِكْرُ الصَّدَقَةِ بِقَلْبِهِ

وَالْأَظْهَارُ بِاللِّسَانِ. وَالْإِسْتِخْدَامُ وَالتَّقْرِيعُ بِالْفَقْرِ وَالتَّكْبَرُ بِالْعَطَاءِ وَالتَّشْدِيدُ
بِالْقَوْلِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنَ أَنْ يَرَاهُ مُحْسِنًا إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِقُوَّةِ اسْتِبْعَادِ جَنَايَةِ الْقَابِضِ
بَعْدَ الْعَطَاءِ، وَالْمُحْسِنُ هُوَ الْقَابِضُ لَا يَصَالُهُ إِلَى الثَّوَابِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الْعِقَابِ
وَ كَوْنُهُ نَائِبًا عَنْهُ تَعَالَى فِيهِ، فَوَرَدَ «أَنَّهَا تَقَعُ أَوَّلًا يَدُهُ تَعَالَى» وَ كَوْنُهَا حَقًّا لَهُ تَعَالَى
أَحَالَ عَلَيْهِ الْفَقِيرَ إِنْجَازًا لِمَا وَعَدَهُ مِنَ الرِّزْقِ *.

(والأظهار) لها (باللسان) في غيبته أو وجهه (والاستخدام) الفقير بالعطاء (والتقريع
بالفقر) أي وتعييره بأنه من الفقراء (والتكبر بالعطاء) أي لانه من الأغنياء (والتشديد
بالقول) أي بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء (والاقرب) أي الى الصواب من بين
الاقوال ان يقال (المن) أي حد المن (ان يراه) أي المعطى (محسنا اليه) ومنعما عليه
وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته وبه عن النار نجاته
وانه لو لم يقبله لبقى مرتبنا به فحقه ان يتقلد منه من الفقير في قبضه واخذه بيد لطفه ، ولذا
كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون
هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه
ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هي العليا (ويعرف) أي المن (بقوة استبعاد جناية
القابض بعد العطاء) أي بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة
في المجالس والمناهل ، فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل
عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك مالم يكن توقعه قبل ذلك (والمحسن) أي في
الحقيقة (هو القابض) أي للصدقة (لا يصاله) أي المحسن (الى الثواب والانجاء)
أي اخلاصه (عن العقاب وكونه) أي ولسكونه (نائباً عنه تعالى فيه) أي في القبض
(فورد أنها تقع أولاً يده تعالى) ولفظ الحديث «ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع
في يد السائل» الدار قطنى في الافراد من حديث ابن عباس والبيهقى في الشعب (وكونها)
أي ولكون الصدقة (حقاً له تعالى) أي خاصة اذ ليس له شريك في ملكه (احال عليه الفقير)
على سبيل الرفق (انجازاً لما وعده من الرزق) أي وقدره ان يكون على يد الخلق
فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد

وَالَّذِي التَّعْيِيرُ . وَالتَّوْبِيخُ : وَالْقَوْلُ السَّيِّئُ . وَالْقَطُوبُ . وَهَتَكَ السُّتْرَ .
وَالِاسْتِخْفَافُ . وَالِاسْتِحْقَارُ ، وَالسَّبَبُ اسْتِكْثَارُ الْعَطَاءِ وَالتَّكْبَرُ عَلَى الْقَابِضِ
النَّاشِئَانِ مِنَ الْجَهْلِ ، وَنَسْيَانُ فَضْلِ الْفَقِيرِ ، وَالْمُرَادُ عَدَمُ كَوْنِ ذَلِكَ الْإِعْطَاءِ
صَدَقَةً لَا الْإِبْطَالَ فَهُوَ مَمْتَنِعٌ ، وَيَسْتَصْغِرُ الْإِعْطَاءُ لِعَظَمِهِ عِنْدَهُ تَعَالَى

صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده
او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت مته
سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقامم بقضاء الدين الذي لزمه
بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ((والاذى)) أى والأقرب
ان حد الاذى ((التعير والتوبيخ)) عطف تفسير أو احدهما مختص بالغيبة والآخر
بالمشاهدة ((والقول السيئ)) كالذم والشم وتخشين الكلام ((والقطوب)) وهو عبوسة
الوجه ((وهتك الستر)) أى ببيان اعطائه له فى الملاحولة ((والاستخفاف)) أى بقوله
((والاستحقار)) بفعله ((والسبب)) أى الباعث على المن والاذى ((استكثار
العطاء)) واستثقاله وهو حق لان من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد
الجهل ، ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا المولى وللثواب فى دار العقبي فلا وجه لكرهيته
أصلا ((والتكبر على القابض الناشئان من الجهل)) الحاصلان الحادثان من جهله
((باستثقال رضائه تعالى على خسيس فان)) أى فى اصل بنائه كما تقدم ((ونسيان فضل
الفقير)) أى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء
وحظ الفقراء لما استحققر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته ، فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد « فقراء المهاجرين يدخلون
الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » الترمذى عن أنس سعيد ((والمراد)) أى بالبطلان
فى قول الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) ((عدم كون ذلك الاعطاء صدقة)) أى مقبولة
نافعة كل المنفعة أو صدقة مضاعفة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبل
مائة حبة ((لا الابطال)) أى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله
المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان
((فهو)) أى الابطال من جميع الاحوال ((ممتنع)) فى صحيح الاقوال ((ويستصغر)) أى
من حق العطاء ان يستحققر ((الاعطاء ليعظم عنده تعالى)) فيصير حبة مثل جبل

وَهُوَ بِذِكْرِ التَّوْفِيقِ وَالثَّوَابِ ، وَ يُؤَدِّي مُسْتَحِيًّا مِنْهُ تَعَالَى لِلْبَخْلِ
الْحَامِلِ عَلَى الْحِفْظِ أَجُودَ الْمَالِ وَأَبْعَدَهُ مِنَ الشُّبْهِةِ فُورِدَ . (أَنْفَقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) *

احدو يقال : ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكما استعظمت صغرت ((وهو)) أى
استصغاره انما يحصل ((بذكر التوفيق)) بأن يتأمل بعين التحقيق انه من أين له المال
والى ماذا يصرفه فى المال فالمال لله وله المنه اذا عطاها اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن
بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة
العليا بان يكون بذله فى محبة المولى ((والثواب)) أى وبالأجر والمثوبة ان كان مقامه
يقتضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبي فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه
بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار ما له، وهذا
معنى قوله ((ويؤدى مستحيا منه تعالى)) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق
فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحيا منه سبحانه فى مقام التحقيق ((للبخل
الحامل على الحفظ)) أى على امساك بقية ماله عن مرضاة ماله ((اجود المال))
مفعول يؤدى أى يعطى احسن المال ((وابعد من الشبهة)) أى واقربه الى الحلال
((فورد أنفقوا من طيبات ما كسبتم)) تمامه (وما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبث منه تنفقون ولستم باآخذيها الا أن تغمضوا فيه) أى لا تأخذونه الا مع كراهة
وحياء ، وفى الخبر «سبق درهم مائة ألف درهم» النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث أبى هريرة وذلك بان يخرج منه من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح
ببذله وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز
وجل بشئ مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاجد درهمين فاخرج
درهما وللاخر سبعمائة ألف درهم فاخرج مائة ألف درهم فيصدق عليه انه غلب
درهم مائة ألف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه وتعالى اعلم، ثم رأيت فى رواية
النسائي عن أبى ذر ، سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان اخذ أحدهما
فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف درهم فتصدق بها ، وفى
رواية الطبرانى عن أبى مالك الاشجعي ، ثلاثة نفر كان لاجدهم عشرة دنانير فتصدق
بدينار و كان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية و كان لآخر مائة أوقية فتصدق

(حَتَّى تَنْفَقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) . وَلَإِنَّهُ تَعَالَى يَأْخُذُهَا فَوْرَدَ (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) فَلَا
يَدْخُلُ فِيهَا وَرَدَ (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لِمَنْ يَكْثُرُ بِاعْطَائِهِ الْأَجْرُ بِكَوْنِهِ مُتَّقِيًا
وَعَالِمًا فَوْرَدَ (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وَصَادِقًا

منها بعشر اوراق هم في الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله، (حتى تنفقوا مما تحبون) في قوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فينبغي ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله واطيبه فورد وان الله طيب لا يقبل الا طيبا، أخرجه مسلم عن أبي هريرة وطوي لبعده انفق من مال اكتسبه من غير معصية، ابن عدي والبخاري (ولانه تعالى يأخذها فورد يأخذ الصدقات) أي في قوله تعالى : (هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) (فلا يدخل) تفريع لقوله يؤدي اجود المال أي حتى لا يدخل في المال (فيما ورد) من ذم الكفار (ويجعلون لله ما يكرهون) أي من البنات حيث قالوا : الملائكة بنات الله وتماه : (وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسن) وهي الصبيان (لمن يكثر) متعلق يؤدي أي يخص اعطائه لمن يكثر (باعطائه الاجر بكونه متقيا) والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجرون تجارة العقى فقد قال تعالى : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وورد «لانا كل الاطعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى» أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد «واطعموا طعامكم الاتقياء» ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكه في طاعة المولى (وعالما) فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات (فورد وتعاونوا على البر والتقوى) وورد «أحب بطعامك من يحبه الله» وفي لفظ «من تحبه في الله» ابن المبارك. وأبو جوير عن الضحاك مرسلا، وكان ابن المبارك يخصص بمعرفة أهل العلم فقليل له لو عمت فقال : اني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم فتفرغهم للعلم أفضل، وكان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالاعطاء دون غيرهم فقل : لو عمت بمعرفة فك جميع الفقراء كان أفضل فقال : هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم أو هم أحدهم فلان أردم واحد منهم الى الله أحب الى من اعطاء ألف من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه وقال : هذا ولي من أولياء الله ما سمعت مذممان كلاما أحسن من هذا وهذا معنى قول المصنف (وصادقا)

يرى النعمة منه تعالى ،

أى فى تقواه وعليه بتوحيد مولاه حال كونه ﴿ يرى النعمة منه تعالى ﴾ أى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ماسواه ، فى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعاً واعدد نعمة غيره عليك مغرماً ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه بأن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى أكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحدا لا تضيع ولا تقع فى مقام نقصان ، وأما الذى يمدح بالعتاء ويدعو بالخير فيسبى بالمنع ويدعو بالشر عند الالباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء ، وفى هذا المقام قال عليه السلام « لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ : عرف الحق لاهله » أحمد والطبرانى من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف ، ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال : أبو بكر رضى الله عنه : قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أفعل ولا أحمد الا الله عز وجل فقال عليه السلام : ودعها يا أبا بكر ، وفى لفظ آخر انها قالت : لآبى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، فلم ينكر رسول الله ﷺ مع أن الوحي وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ كذا فى الاحياء ، وقال العراقى : رواه أبو داود ، ومن حديث عائشة بلفظ « فقال أبو اى : قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت : أحمد الله لا اياك ، وللبخارى تعليقا فقال أبو اى : قومى فقلت : لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدك ولا بكن له ، ولمسلم « فقالت لى أمى : قومى اليه فقلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله » والطبرانى « فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عباس فقالت « لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر : « قومى فاحتضنى رسول الله فقالت : لا والله لا أدنونه » الحديث ، وفيه « انها قالت للنبى ﷺ بحمد الله لا بحمدك ، ثم اعلم أن رؤية الأشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى : (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذام يستبشرون) ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن

وَسَاتِرَ الْحَاجَةِ فُورِدَ (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) . وَمَعِيلاً وَمَرِيضاً فُورِدَ
(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَذَا رَحِمَ فَجَاءَ أَنَّ الصَّلَةَ بِدَرَاهِمَ

الشرك الخفى سره فليتنق الله سبحانه في تصفية توحيديه في مراتبه عن كدورات الشرك الخفى وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة أصلاً، وهذا مرتبة جمع الجمع في التحقيق والله ولي التوفيق ((وساتر الحاجة)) أى ومخفياً لفاقته لا يكثرا لثابت والشكوى في مضرة حالته ((فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف)) تمامه : (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الخافاً) أى الخافاً وتصريحاً بل تعريضاً وتلويحاً أو لا يسألون أصلاً فالنقى منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه : (مال للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) حيث لا شفيع لهم أصلاً وقطعاً، وذلك لأنهم أغنياء يققينهم وأعزة بصبرهم وتمكينهم فورد : ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس « متفق عليه من حديث أبى هريرة ((ومعيلاً)) بضم الميم أى عاجزاً عن نفقة أهله ((ومريضاً)) أى مريضاً بالمرض مانعاً له من كسبه ((فورد للفقراء)) أى خصوا صدقاتكم للفقراء ((الذين احصروا في سبيل الله)) أى حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب في علم وعبادة تمامه (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها، فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها، وكان عليه السلام يعطى العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء ، قال العراقى : لم أجد له أصلاً لكن لآبى داود من حديث عوف بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان اذا أتى النىء قسمه في يومه و يعطى الأهل حظين ويعطى العزب حظاً ، وقال أحمد : حديث حسن ، أقول فكان الغزالي نقله بمعناه لعدم استحضار مبناه أو اطلع على مالم يحده غيره بعده ، وورده ان المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة « الحكيم والحاكم والبزار والبيهقي عن ابن عمر ، وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال قلت : وضعف الحال والافار باب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بجباله ما يبالون فان خالفهم رازقهم وواعدهم فصادقهم ((وذا رحم فجاء ان الصلة)) أى صلة الرحم ((بدرهم

أَحَبُّ مِنَ التَّصَدُّقِ بِعَشْرِينَ إِلَى الْأَجْنَبِيِّ، وَالْأَوَّلَى طَلَبُ الْجَامِعِ أَيَّاهَا
أَوْ أَكْثَرَهَا، وَتَصَدَّقْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا يَرُدَّ سَائِلًا فَيَسْكُتَ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ وَهُوَ الْمَأْثُورُ
الْأَبْلُطُ فُورِدَ (قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى).

أحب من التصدق بعشرين إلى الأجنبي (فمن على لأن أصل أخا من أخواني بدرهم أحب
إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن
أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة، وأما الأصدقاء
وأخوان الخير فيقدمون على المعارف ثم تقدم الأقارب على الأجانب، وقد
ذكر السيوطي في خماسيته أن ثواب الصدقة خمسة أنواع واحدة بعشرة وهي على صحيح
الجسم واحدة بسبعين وهي على الإعمى والمبتلى واحدة بتسعمائة ألف وهي على ذي قرابة
محتاج واحدة بمائة ألف وهي على الأبوين واحدة بتسعمائة ألف على عالم أو فقيه
(والأولى طلب الجامع أيها) أي طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات
المستورة (أو أكثرها) فإن ما لا يترك كله ولا يترك كله ويقدر ما يتعنى يحصل له
ما يتمنى فإن وجد من جمع هذه المراتب في أعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى
والغنيمة العظمى (وتصدق كل يوم) أي ليكتب في المتصدقين وقد ورد «باكروا
بالصدقة فإن البلاء لا يخطي الصدقة» الطبراني في الأوسط عن علي والبيهقي عن أنس
(ولا يرد سائلا) فورد «ردوا السائل ولو بظلف محرق» مالك وأحمد، والبخاري
في تاريخه، والنسائي عن جوامع بنات السكن، وفي رواية العقيلي عن عائشة «ردوا هذه
السائل أي بغيته وشهوته - ولو بمثل رأس الذباب» العقيلي عن عائشة ولعله مقتبس
من قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (فيسكت إن لم يقدر) على
الغطاء (وهو المأثور) فعن محمد بن الحنفية مرسل أنه عليه السلام «كان لا يكاد يقول
شيء إلا إذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم وإن لم يرد أن يفعل سكت» رواه ابن سعد
ورواه الحاكم عن أنس كان عليه السلام «لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت» (الأبلفظ)
وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) أي كلام حسن ورد على السائل
مستحسن، وقيل عدة حسنة، وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) أي ستر خلة أو سد فاقة
ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها إليه حال كونه (يتبعها أذى) أي يعقبها به
لديه أو من عليه، والأولى أن يستدل بقوله تعالى: (وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك

وَلَا يَنْهَرُ فَأَوْعَدَ فِيهِ الْعَذَابَ فِي النَّارِ أَلْفَ عَامٍ وَيَغْتَنِمُ السُّؤَالَ وَيُسِيءُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ
عِنْدَ فَقْدِهِ، وَلَا يَتَوَقَّعُ جَزَاءً أَوْ دَعَاءً أَوْ شُكْرًا أَوْ ثَنَاءً أَوْ يَكْفَى بِمِثْلِهِ أَنْ دَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ أَوْ
أَثْنَى وَيَجْعَلُهَا لَوَالِدِيهِ الْمَاضِيَيْنِ قَالَ كُلُّ مَا ثَوَّرَ وَيَقْدُمُ نَفَقَةَ النَّفْسِ وَالْعِيَالِ فَهُوَ فَرَضٌ

ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً (أي ذا يسر ولين وهي العدة أي فعدم وعدا جميلا
وقيل ادع لهم دعاء جزيلاً نحو يرزقنا الله وإياك واعطانا الله وأعطاك) (ولا ينهر)
أي ومن حق العطاء أنه لا يزجره ولا يقهره و به فسر قوله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر)
أي إذا سألك فاما أن تطعمه طعاماً لنا واما أن ترده رداً هيناً) فأوعده في العذاب في
النار ألف عام) لم أعرف له أصلاً (ويغتني السؤل) بالمصدر أي سؤل
الفقير على بابه فانه هدية من الله الى جنابه كما ورد فيها تقدم ويحتمل أن يكون السؤل
على وزن الجهال جمع سائل فعن ابراهيم بن آدم نعم القوم السؤل يحملون زادنا الى الآخرة،
وعن ابن عمر مرفوعاً هدية الله الى المؤمن السائل على بابه، رواه الخطيب (ويسىء
الظن بنفسه عند فقده) أي عند عدم وجدان السائل في باب أنسه (ولا يتوقع)
أي لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء أن يجازيه (جزاء أو دعاء أو شكر أو ثناء)
قال تعالى حكاية عن الابرار : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً لما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) (ويكافي) بالهمز أي يجازي
المعطي (بمثله) بنظير دعاء الفقير (أن دعا له بالخير) ونحوه من الجزاء
(أو اثني) عليه بأن مدح في مقابلة العطاء وكانت عائشة أم المؤمنين كثيرة الخيرات
والمبرات قال عروة بن الزبير : « لقد تصدقت بخمسين ألفاً وان درعها المرقع، وكانت
هي وأم سلمة اذا أرسلتا معروفاً الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعوه ثم كانتا تردان
عليه مثل قوله وتقولان : هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء
لأنه يشبه المكافأة وهكذا فعل عمرو وابنه رضي الله عنهما) (ويجعلها) أي ثواب
صدقة (لوالديه الماضيين) أي المتوفين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما أو صدقة
تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ما على أحدكم إذا اراد أن يتصدق أن
يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجرهما من غير
أن ينقص من أجرهما شيء » ابن النجار (فالكل مأثور) وفي كتب الحديث مسطور
(ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) أي تقديمهما (فرض) وقد ورد ابدأ

وَيَاكُرُ لِيَادِرَ بِهَا الْبَلَاءُ، وَيَغْتَمُّ عَلَى مَنْ رَقَّ لَهُ الْقَلْبُ فَهُوَ عَلَامَةٌ صِدْقِ
السَّائِلِ وَلَا يَحْقُرُ مَا عِنْدَهُ

بمن تعول «متفق عليه» ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان فضل
عن أهلك شيء فلذى قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شيء فهكذا النساء، وفي
الطبراني من حديث جابر بن سمرة «إذا أنعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته»
«وقدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم» أبو داود
من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه، ورواه النسائي وابن حبان
أيضا بتقديم الزوجة على الولد، ويجمع بين الحديثين بأن الولد صغير في الأول وكبير
في الثاني، وقال ﷺ «ما لأصحابه» تصدقوا فقال رجل : عندي دينار فقال : أنفقه
على نفسك قال : ان عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال : ان عندي آخر قال أنفقه على
والديك قال : ان عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال أنت أبصر به
أبو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة (ويا كرم)
أي يخرج الصدقة أول النهار ليدخل في قوله تعالى : (ويسارعون في الخيرات) (ليبادر
بها) أي بالصدقة (البلاء) أي دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات،
الدليل عن أنس؛ وفي رواية البيهقي عنه والطبراني في الأوسط عن علي بن بكر وبالصدقة
فإن البلاء لا يتخطى الصدقة، وورد «الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهونها الجذام
والبرص» الخطيب عن أنس «الصدقة تمنع مئة سوء» القضاة عن أبي هريرة
(ويغتنم) الصدقة (على من رقق له القلب) لأنه من علامة أنه رحمه الرب (فهو)
أي رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد «لو صدق السائل ما أفلح من رده»
العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة، والطبراني نحوه من حديث
أبي امامة. والبيهقي عن عائشة «لولا أن السوال يكذبون ما قدس من ردهم لا تردوا
السائل ولو بشق تمر» (ولا يحقر ما عنده) لقوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولقوله تعالى حكاية عن لقمان (يا بني إنها إن تك مثقال
حبة من خردل) الآية قال يحيى بن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة
من الصدقة، ولقوله سبحانه : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فربما يكون خيره عنده
حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا، فورد «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة

وَيَحْصُلُ أَنْوَاعُهَا كَارِشَادُ الضَّالِّ وَقَرِيبَانِ الْمَرَأَةِ لِلتَّعَفُّفِ ،

من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذها يمينه فيريها كما يربى أحدكم فضيله او فله حتى تبلغ الثمرة مثل احد» البخارى تعليقا ومسلم. والترمذى . والنسائى فى الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث أبى هريرة « واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم « وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا . ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن « اشتر نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » وللبخارى . وأبى يعلى من حديث أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » وقال عليه السلام لا تذر ذرا « اذا طبخت مرقه فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرائك فاصبهم منه بمعروف » رواه مسلم ، وفى رواية العقيلي « ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب » ويقال ان الحسن مربه نخاس ومعه جارية فقال: اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين، وعن على « كم من حور ما كان مهره الاقبضة من حنطة او مثلبا من تمر » العقيلي عن ابن عمر، وكان عليه السلام: « لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع ظهوره بالليل ويخمر يده وكان يناول المسكين يده ، الدارقطنى من حديث أنس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البر مرسلا « (ويحصل أنواعها) » أى يجتهد فى تحصيل أنواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما « (كارشاد الضال) » أى دلالة على صاحبه اوردته الى يابه فروى الترمذى وغيره عن أبى ذر مرفوعا « تبسمك فى وجه أخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الأرض الضالة صدقة » الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء « من منح منحة ورق او منحة لبن » او هدى زقاقا فمرو كعتاق نسمة أو دلالة عن جملة وضلالته فورد « لان يهدى الله بك رجلا خيرا لك من حمر النعم » أى من صدقتها « (وقربان المرأة) » أى جماعها « (للتعفف) » أى من اجله أو من اجلها فروى أبوداود عن أبى ذر « يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الأذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا: يا رسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال: أرايت لو وضعها فى غير حلها

وَالْعَدْلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْحَمْلُ عَلَى الدَّابَّةِ وَطِيبُ الْكَلَامِ . وَالْخُطْوَةُ إِلَى الصَّلَاةِ .
وَالِاتِّفَاقُ عَلَى الْعِيَالِ . وَالتَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ أَخِيهِ . وَاطِّرَاقُ الْفَحْلِ . وَاعَارَةُ الدَّلْوِ .

الم يكن يأثم؟» وفي رواية النسائي. وابن حبان. وغيرهما عن أبي ذر أيضا « ولك في
جماع زوجتك أجر أرايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت أجره فمات ا كنت تحتسب
به؟ قال نعم قال: أفانت خلقتك وأنت هديته وانت رزقته؟ قال لا قال فضعه في حلاله وجنبه
حرامه فان شاء الله أحياه وان شاء أماته ولك أجر» (والعدل بين الاثنين) من الزوجين
وغيرهما فعن أبي هريرة « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس
تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة»
الحديث. احمد والشيخان (والحمل على الدابة) ه لما سبق من الحديث، والمعنى حمل الغير
أو متاعه على دابته أو دابة نفسه (وطيب الكلام) فعن ابن عباس «الكلمة الطيبة تكلم
بها الرجل صدقة» الطبراني، وفي رواية لمسلم والنسائي عن أبي ذر « فكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة و كل تهليلة صدقة و كل تكبيرة صدقة» الحديث، وتقدم حديث
« اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (والخطوة الى الصلاة) فعن
أبي هريرة برواية احمد والشيخان « وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة» ه (والاتفاق
على العيال) ه فعن جابر « ما اتفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله الا كتب له بها صدقة»
الحديث ابن عساكر، وللحاكم في مستدركه عن أنس «ان نفقتك على اهلك وخادمك
صدقة» وفي رواية الخطيب عنه « كل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة»
وفي رواية احمد وغيره عن أبي امامة « ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت
ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو
لك صدقة» (والتبسم في وجه أخيه) وقد تقدم حديث « وتبسمك في وجه أخيك
صدقة» وفي رواية احمد وغيره عن جابر « كل معروف صدقة وان من المعروف ان
تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط» وفي رواية له عن أبي ذر « لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (واطراق الفحل) أي من الابل والخيل - يعني
اعارته للضراب وهو نزوه على الأثني - في مسند احمد. والترمذي عن أبي امامة «أفضل
الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل أو منيحة خادم في سبيل الله عز وجل»
(واعارة الدلو) أي ونحوها الداخلة في ذم منعها حيث قال تعالى: (ويمنعون الماعون)

وَالنَّفْعُ بَعْلَمٌ . وَغَرْسٌ . وَزَرْعٌ . وَنَهْرٌ . وَبَثْرٌ . وَمَصْحَفٌ . وَمَسْجِدٌ . وَتَخْلِيفٌ . وَلَدٌ
يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَأَفْضَلُهَا فِي الصَّحَّةِ وَلِلْمَحْتَاجِ فَدَرَاهِمُ مِنْهُ مِثْلُ سَبْعِينَ ، وَالْقَرْضُ أَفْضَلُ مِنْهَا
فَهُوَ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ لَوْ قَوَّعَهُ فِي كَفِّ الْمَحْتَاجِ ، وَلَا يَنْذِرُ فَلَعَلَّهُ لَا يَفِي وَنَهَى عَنْهُ *

وقد روى البخاري في تاريخه عن أبي ذرٍّ ، وأفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ، وفي رواية
« ولوان تفرغ من دلوك في إناء المستسقى » (والنفع بعلم) أي شرعى فعن أبي هريرة
« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم » ابن ماجه (وغرس)
فعن أبي الدرداء « من غرس غرسا لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له
صدقة » أحمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب « من زرع زرعاً فأكل منه طير
أو عافية كان له صدقة » أحمد ، والعافية السبع (ونهر . وبثر . ومصحف . ومسجد . وتخلف
ولد يستغفر له) فعن أبي هريرة « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » مسلم وغيره (وأفضلها) أي
أفضل الصدقات أن يكون (في الصحة) أي حال العافية ، فقى الصحيحين عن
أبي هريرة « أفضل الصدقة وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل
حتى إذا بلغت الحلقة قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلا وقد كان لفلان كذا » (وللمحتاج
فدراهم منه) أي من أجله (مثل سبعين) أي درهما من أجل غير المحتاج ويتفرع
عليه قوله (والقرض أفضل منها) أي من الصدقة (فهو) أي القرض (بثمانية
عشر) أي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة (لو قوَّعَهُ فِي كَفِّ الْمَحْتَاجِ)
كما ورد « دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت:
يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لأن الصدقة تقع في يد
الغنى والفقر والقرض لا يقع إلا في يد من يحتاج إليه ، الطبراني عن أبي امامة
(ولا يندر) أي الأولى أن لا يندر فيجب عليه (فلعله لا يفي) بنذره أو يفي
ولكن مع كرهه (ونهى عنه) فقى الصحيحين عن ابن عمر أنه عليه السلام نهى
عن النذر ، وعمله على أنه من فعل البخلاء إذ السخى إذا أراد أن يتقرب إلى الله تعالى
استعجل فيه وأتى به في الحال ولم يتركه إلى الاستقبال ، وفي مسلم والترمذي والنسائي
عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تنذروا فإن النذر لا يغني عن القدر شيئاً وإنما يستخرج به
من البخيل » وورد قال الله تعالى : « لا يأتى ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته

ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هو شيء استخرج به من البخيل فيوسى عليه ما لم يكن يوسى عليه من قبل ، أحمد والبخاري والنسائي عن أبي هريرة وأما ما مر في آداب الدعاء من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا كان في الاعمال الصالحة ، والنهي عن النذر ههنا محمول على النذر في المال لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الأعمال فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال ، ثم اعلم أنه ينبغي للقابض أمور ، منها ان يفهم ان الله سبحانه أوجب صرف الزكاة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه ، وقد أكثر الله عز وجل الأموال ووضعها في أيدي عباد من العمال والبطال لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فانفق في متن الخطر ومنهم من أحبه فخماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمي الشفيق مريضه ما في أكله من الضرر فيزوي عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منسبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجددوا لعبادة المولى والاستعداد لزداد المعاد الى العقب ، فلا يصرف عنهم فضول الدنيا ، فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواها أكثر مما أعطاه فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرده واللعة ، ومنها أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من جل تورع عنه لقوله سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فلا يأخذ من أموال من أكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، ومنها أن يتوقع مواقع الريبة والشبهة في مقدار ما يأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ ما يتم به كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن رسول الله ﷺ : « ادخر لعياله قوت سنة ، متفق عليه من حديث عمر » كان يعزل نفقة أهله سنة ، وللطبراني في الأوسط من حديث أنس « كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي ، فاذا اقتصر على حاجة شهر أو يوم فهو أقرب للتقوى في حق الأقوياء ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ في التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحنظلية انه عليه السلام « نهى عن السؤال مع الغنى فقال « غذاؤه وعشاؤه » ، أبوداود . وابن حبان ، وهو محمول عند الجمهور على السؤال لافي جميع

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ»

الأحوال لأن أفظ الحديث «من سأل وله ما يغنيه فأنما يستكثر من جمر جهنم» وقال آخرون: يأخذ على قدر حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة أذ لم يوجب الله عز وجل الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا: له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وبالع آخرون في التوسع فقالوا: له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره أو يبيع بضاعة ليتجر فيها ويستغني لأن هذا هو الغنى حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال والله أعلم بالأحوال، وقد ورد «ما المعطى من سعة بأفضل أجر من الذي يقبل من حاجة» ابن حبان والطبراني من حديث أنس، ومنها أنه يأخذ ما يعطى له حال الخلا، ولا يأخذ في المالا فقد دفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فردده إليه ودفع إليه آخر شيئا سرا فقبله فقبل له في ذلك فقال: إن هذا عمل بالأدب فقبلته وذلك آساء أدبه في عمله فرددته وأعطى رجل بعض الصوفية شيئا في المالا فردده فقال له: لم ترد على الله تعالى ما أعطاك؟ فقال: إنك أشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك، وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقبل له في ذلك قال: عصيت الله في الجهر فلم أكن لك عوناً على المعصية وأطعته بالاخفاء فاعتكك على برك، فقال الثوري: لو علمت أن أحدهم لا يذکر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها، وأيضا في اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن أن يذل نفسه، وأيضا للاحتراز عن شبهة الشر كذا فورد من اهتدى إليه هدية وعنده قوم فهم شر كآؤه فيها، العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الاوسط والبيهقي من حديث ابن عساكر قال الفضيلي: لا يصح في هذا المتن حديثه، وأما العارفين فلا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد.

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

أي الذي هو مراد القوم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ الصَّوْمُ﴾ أي فرضه ونفله ﴿لِي﴾ أي مختص لا جلي لا يتصور كونه لغيري ﴿وَأَنَا أَجْزَى بِهِ﴾ بصيغة الفاعل وقيل

أَيَّ جَزَاؤُهُ لِقَائِي أَوْ مَعْرِفَتِي ، وَأَنَّمَا خَصَّ الصَّوْمُ بِالْإِضَافَةِ لِأَنَّهُ خَلَقَ صَمْدِي
أَوْ عَمِلَ سَرِي أَوْ قَهَرَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمَعَامَلَةِ *

بالمفعول ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وفي رواية لهما عنه « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وانما قال : وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة ما يؤتى اليه قوله تعالى : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقد ورد « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذي وحسنه « والصبر نصف الايمان » أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اي جزاؤه لقائي) يعني رؤيتي في العقبى (او معرفتي) اي في الدنيا ولا منع من الجمع (وانما خص الصوم بالاضافة) اي اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه (لانه) من بين العبادات (خلق صمدي) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية ، وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله ، وروى « تخلقوا باخلاق الله » وقد قالوا : كل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعليق فالاضافة تشريفية كناية الله وبيت الله وانما قال : انا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته ، وكأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة ما ونفاسه كما يشير اليه قوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) من اخفاء الاعمال ، وحديث « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (او عمل سري) فانه قصد قلبي مع ترك المفطر الصوري والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربّه بحيث لا يطلع عليه غيره (أو قهر النفس والشيطان الذي هو) اي قهرهما (اصل المعاملة) فان مدار المعاملة على مخالفتها وموافقة الله ورسوله في حكمهما ، وايضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين أيضا في قبضة الصائم فصار الصائم حينئذ متخلقا بخلق الحق في الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ، ومن هنا ورد « نوم الصائم عبادة »

وَأَدْنَى رُتَبِهِ الْكَفُّ عَنِ الشَّهَوَتَيْنِ وَهُوَ مَنَاطُ الْجَوَازِ عَنِ الْأَثْمِ وَهُوَ
مَنَاطُ الْقَبُولِ فُورِدَ « خَمْسٌ يَفْطُرْنَ الصَّائِمَ الْكَذِبُ وَالْغِيبةُ وَالنِّيمَةُ وَالْيَمِينُ
الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » *

أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ، « ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
يقول الله تعالى : إنما يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصيام لي وأنا اجزى به ،
متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو موعود بلفظه سبحانه في جزاء صومه إذ ورد
« للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، متفق عليه أيضا ، وفي الأحياء
أن الصوم قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وإنما
تقوى الشهوات بالأكل والشرب وسائر اللذات ، ولذا قال عليه السلام : « إن الشيطان
ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » (وادنى رتبة) أي مراتب
الصيام وهو الجواز اعم من أن يكون مقبولا أم لا ناقصا أو كاملا وهو مقام العوام
(الكف عن الشهوتين) أي الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقرونا
بالنية المعتبرة المنذورة في محله (وهو مناط الجواز) أي متعلق جواز الفتوى في
ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح) أي منع الأعضاء من العين
والأذن واللسان وسائر الأعضاء والأركان (عن الأثم) أي مطلق العصيان (وهو
مناط القبول) لقوله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) وهو صوم الخصوص
(فورد خمس) أي خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء أي يجعلنه مفطرا حكما
لاحقيقة (الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة) الأزدي في
الضعفاء من رواية جابر عن أنس وقول الحجة في الأحياء جابر تصحيف ، وقال أبو حاتم
الرازي : هذا كذب أقول : لكن يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس ، ثم
اعلم أن حفظ اللسان عن الهذيان والزأمة السكوت أو شغله بالذكر وتلاوة القرآن
هو كالصوم الإنسان عند الأعيان ، وقد روى ليث عن مجاهد « خصلتان تفسدان الصوم
الغيبة والكذب ، وقال سفيان : الغيبة تفسد الصوم ، وورد « إنما الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل أني صائم » متفق عليه
من حديث أبي هريرة ، وجاء في الخبر « إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ
فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتقا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ

« كَمَ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَهُوَ الْمَقْطَرُ بِالْحَرَامِ،
ثُمَّ كَفَّ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَحَقُّهُ أَنْ يَخَافَ
الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ؛

في الإفطار فإرسل إليهما قدحا وقال عليه السلام: قل لهما: قيثافيه ما اكلتا فقامت
أحدهما نصفه ^{مَا} دما عبيطاً ولما عريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأ تاه ففجبت
الناس من ذلك فقال عليه السلام: هاتان صامتا عما أحل الله سبحانه لهما وأفطرتا على
ما حرم الله عليهما فعدت أحدهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من
لحوم الناس» أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول وكذا حكم
غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يعرف وينكر وإلى كل ما يشغل
القلب ويلهى عن ذكر الرب فورد: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها
خوفاً من الله عز وجل آتاه الله سبحانه إيماناً يمدح حلاله في قلبه، الحاكم وصحح أسناده من
حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الأصغاء إلى كل ما يكره من لغو ولهو، وقد ورد
(والذين هم عن اللغو معرضون) والمغتتاب والمستمع شريكان في الإثم كذا في الأحياء
وهو غريب نعم للطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف «نهى رسول الله ﷺ عن
الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة» (كم من صائم ليس له إلا الجوع والعطش) النسائي
وابن ماجه من حديث أبي هريرة (وهو المقطر بالحرام) وقيل: المرتكب للإثم
كالكذب والغيبة وسائر الآثام (ثم كفف القلب عما سواه تعالى) أي عما عدا ذكر
الرب وما يتعاق به (وهو) أي هذا النوع من الصوم (للأنبياء والأولياء) وهم
خصوص الخصوص وخصوص الفصوص، وتوضيحه أن يصوم قلبه ولبه عن الهمم
الدنية والأفكار الدنيوية ويكفه عن ما سوى الله بالكيفية ويحصل الفطر في هذا الصوم
بالفكر في غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر ومقاماته وبالفكر في أمر
الدنيا وشهواته ولهواته لإلادنيا تراد للدين وضرورياته فان ذلك زاد الآخرة ومقدماته
حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهارة بتدبير ما يستعمله في إفطاره
كتبت عليه خطيئة من أوزارها فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين
برزقه ووعدبه فينبغي أن يكون بحال يصدق أن يقال في حقه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون) (وحقه) أي الصوم على الصائم (أن يخاف الرد ويرجو القبول)

وَيَقُولُ لِمَنْ قَاتَلَ أَوْ شَاتَمَ أَنِّي صَائِمٌ فَهُوَ مَأْثُورٌ *

فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقر بين أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ، وروى عن الحسن بن أبي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال: ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا ، فالحجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمنسى باساءته وعصيانته اى لكان سرور المقبول بشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك ، وعن الاحنف بن قيس انه قيل له : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال : انى اعد له سير طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفي يابه اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه ، فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ، ومن هنا قال أبو الدوداء : يا حبذا نوم الاكياس وفطرم كيف يعيرون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ، ولذا قال العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم . فالمفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام (ويقول) أى فى جنانه او بلسانه (لمن قاتل) اى جادل أو ضارب أو خاصم (أوشاتم انى صائم) أى فانا ممسك عما لا يليق به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على أن الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام أن لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى : (فاما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (فهو مأثور) كما تقدم ، وقد ورد « انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الأمانة فى الصوم واسناده حسن ، ولما تلا عليه السلام قوله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة ، كذا فى الاحياء قال العراقى : أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة ، ثم لولا أن الصوم أمانة لما قال عليه السلام : « فليقل انى صائم » أى انى أودعت لسانى لاحفظه عن

وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ لَأَنَّ الْمَسْئُولَ إِنِ أَقْرَأَ أَظْهَرَ وَإِنْ أَنْكَرَ كَذَبَ وَإِنْ سَكَتَ اسْتَحْقَرَ. وَإِنْ أُحْتَالَ لِلدَّفَاعَةِ تَعَبٌ، وَلَا يُكْثَرُ الْأَكْلُ تَحَامِيًّا عَنِ الْكَسَلِ فِي التَّهَجُّدِ وَبُطْلَانِ سِرِّهِ وَهُوَ قَهْرُ النَّفْسِ، وَطَرِيقُهُ مَعْرِفَةُ فَوَائِدِ الْجُوعِ

الاشتغال بك فكيف أطلقه بجوابك ﴿ ولا يسأل ﴾ بصيغة المجهول ﴿ عنه ﴾ أى عن صومه أو عن حاله بأن يقال انك صائم أم لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا ﴿ لان المسؤل ان أقر أظهر ﴾ وربما يتفرع عليه الرياء ﴿ وان أنكر كذب ﴾ وهو أعظم البلاء ﴿ وان سكت استحققر ﴾ أى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضرو وترتب عليه الجفاء ﴿ وان احتال للدفاعه تعب ﴾ أى فيما تفكر وتدبر ووقع في العناء، وورد لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه ، الدبلى عن أبى هريرة مرفوعا ﴿ ولا يكثر الأكل ﴾ أى حال الافطار بحيث يمتلىء فما وعاء أبغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد « ماملا آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة قتلك لطعامه وثلك لشرا به وثلك لنفسه » أحمد. والترمذى . وابن ماجه والحاكم عن المقدم بن معدى كرب، وأكلات بضمين لقبات ثا فى رواية ﴿ تحاميا عن الكسل ﴾ أى فى الطاعة ، وقد ورد « أعوذ بك من الكسل ، لاسما ﴾ فى التهجد ﴿ لما تقدم من أنه اذا أكثر الاكل أكثر الشرب واذا أكثر الشرب أكثر النوم واذا أكثر النوم ضيع عمره وفسد أمره وينبغى أن لا يكثر النوم فى النهار أيضا ليحس أثر الجوع والعطش والا فتقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته، وعن بعض الحكماء خمسة من الأشياء ابتلى الناس بها و كان هلا كهم فيها أولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثانى حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل فى المال وهو الخامس حب المنام وفيه ذهاب الثواب وابطال الأعمال ﴾ وبطلان سره ﴾ أى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة أمره ﴾ وهو قهر النفس ﴾ أى اذلالها للاتقياد فيما خلقت لأجله والافكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاتته فى نهاره ، ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام ﴾ وطريقه ﴾ أى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم ﴾ معرفة فوائد الجوع ﴾ فقد قيل : الجوع عز ظهه والشبع ذل كله ، وورد

وَهِيَ صَفَاءُ الْقَلْبِ فَوْرَدَ « مِنْ أَجَاعِ بَطْنِهِ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفُطِنَ قَلْبُهُ » ،
 وَرِقَّتْهُ فَوْرَدَ « مِنْ شَبَعٍ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ » وَالْإِسْتِلْذَازُ بِالطَّاعَةِ . وَالْإِنْكَسَارُ .
 فَالْبَطَرُ سَبَبُ الْمَعْصِيَةِ . وَالْغَفْلَةُ .

« صمت الصائم تسريح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » الديلني
 عن ابن عمر ؛ وقال بعضهم : « اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة أشياء
 فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن أشفى الأدوية فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت الحكماء عن أعون الأشياء على طلب الحكمة ؟ فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت العباد عن أنفع الأشياء في العبادة قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الزهاد
 عن أقوى الأشياء على الزهادة ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت العلماء عن أفضل
 الأشياء على حفظ العلم وفهمه ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الملوك عن أطيب
 الأدام والذ الطعام قالوا : الجوع وقلة الأكل (وهي) أي فوائده ثلاثة عشر
 (صفاء القلب) أي ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب (فورد من أجاع
 بطنه عظمته فكرته وفطن قلبه) أي وكبرت همته وقلت شهوته وهدمت نهيمته ،
 والحديث لم أجده مرفوعا وإنما قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت
 الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة ، وقد ورد « ان من السرف
 أن تأكل كل ما اشتيت » ابن ماجه عن أنس ، وفي رواية البيهقي عن عائشة « أكثر
 من أكلة كل يوم سرف » وعن سلمان « أن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً
 يوم القيامة » ابن ماجه . والحاكم ، ومن حديث ابن عباس « أن أهل الشبع في الدنيا هم
 أهل الجوع في الآخرة » الطبراني ، وعن يحيى بن معاذ يامعشر الصديقين جوعوا
 أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر الجوع (ورقته) أي ورقة القلب
 وتأثره بذكر الرب (فورد من شبع ونام قسا قلبه) لم أعرفه بهذا اللفظ نعم ورد
 « أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسو قلوبكم » أبو نعيم وغيره ،
 ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد أن من جاع وسهر رق قلبه (والاستلذاذ بالطاعة) أي التلذذ
 بالعبادة كما يعرفه أهل الإرادة (والانكسار) أي الذل الحاصل من مقام الافتقار
 (فالبطر سبب المعصية والغفلة) والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة ، وقد
 ورد « عليكم بالصوم فإنه محسمة للعروق ومذهبة للآشر » أبو نعيم في الطب عن

وَذِكْرُ عَطَشِ الْعَرَصَاتِ . وَجُوعِ الْجَحِيمِ . وَكَسْرِ شَهْوَةِ الْفَرَجِ فَاسْتِيلَاؤُهَا
بِالشَّبَعِ وَدَفْعِ النَّوْمِ فَهُوَ يَكُلُّ الطَّبْعَ وَيَضِيعُ الْعُمُرَ وَيَفُوتُ الْقِيَامُ وَالتَّهَجُّدُ .
وَيَسِرُّ الْمُواظَبَةَ عَلَى الطَّاعَةِ لِحَفَّةِ الْبَدَنِ . وَالْفَرَاغَ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّحْصِيلِ .
وَالْأَعْدَادَ . وَالْأَكْلَ . وَالْفَرَاغَ . وَدَفْعَ الْأَمْرَاضِ الشَّاعِلَةِ عَنْهَا فَوَرَدَ « الْمَعْدَةُ
يَبْتَ كُلُّ دَاءٍ » وَخَفَةُ الْمُؤَنَةِ .

شداد بن أوس (وذ كر عطش العرصات) أي موقف القيامة بحيث تكون الشمس
قريبة من رأسه قدر القامة، وفي الخبر « يوضع للصائم مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون
منها والناس ينظرون » أبو الشيخ . والديلمي عن ابن عباس (وجوع الجحيم) كما
قال تعالى : (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع) وقد ورد
« الصوم يبعد من جر السعير » الطبراني عن أنس (و كسر شهوة الفرج فاستيلاؤها
بالشبع) ولذا ورد « من استطاع منكم أن يتزوج فلينزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء » متفق عليه من حديث ابن مسعود (ودفع النوم) أي في الجملة (فهو)
أي النوم الكثير (يكل الطبع) أي يجعله كلا في فهم الكلام (ويضيع العمر)
بقدر المتام (ويفوت القيام) بمقاصد المرام ومراصد المقام (والتهجّد) وهو
القيام والناس نيام (ويسر المواظبة على الطاعة لحفة البدن) المستلزمة للمواظبة
على العبادة كما يعرفه أرباب السعادة (والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل) أي تحصيل
الكثير فان أمر القليل يسير (والاعداد) أي تهية ما يحتاج للاكل من نحو الطبخ
والنفخ (والاكل) أي نفسه من الفعل (والفراغ) بالجر أي والفراغ عن
الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية (ودفع الامراض الشاغلة عنها) أي عن
العبادة الكاملة (فورد المعدة) بفتح فكسر وبكسر فسكون (بيت كل داء) أخرج
الخلاد من حديث عائشة مرفوعا بلفظ « والازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا
بدنا ما اعتاد » ذكره السيوطي ، والازم الحمية . وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت عن
وهب بن منبه قال : اجتمع الاطباء على أن رأس الطب الحمية قلت : واجتمعت
الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت (وخفة المؤنة) فانها مطلوبة في مقام

وَالْاِكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ . فَطَلَبُ الزِّيَادَةِ يُورِثُ الْمَذَلَّةَ . وَتَحْصِيلُ الْحَرَامِ
وَالشُّبْهَةِ ، وَإِمْكَانُ الْإِثَارِ بِالْفَاضِلِ لِيَكُونَ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ التَّقْلِيلُ
بِالتَّجْرِيدِ إِلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْقَوَامُ وَأَنْ لَمْ يُطَقْ فَالْأَكْلُ بَعْدَ صَدَقِ الشَّهْوَةِ ، وَيَعْرِفُ
بِأَنْ لَا يَنْتَظِرَ الْإِدَامَ . أَوَّلًا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى الْبِزَاقِ . وَالتَّرْكُ مَعَ بَقَائِهِ ، وَالْأَصُوبُ
الْإِكْتِفَاءُ بِمَا يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ ، أَمَّا
الْوَقْتُ فَكَانُوا يَطْوُونَ

المعونة ﴿ والاكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ ﴾ فإن الكثير قل ان يكون حلالا ولحديث وقيل
يكفيك خير من كثير يطغيك، ﴿ فطلب الزيادة يورث المذلة ﴾ أى فى كسبها ﴿ وتحصيل
الحرام ﴾ بسببها ﴿ والشبهة ﴾ أى بلا شبهة فى حبها ﴿ وامكان الايثار بالفاضل ﴾
أى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته ﴿ لىكون فى ظله ﴾ أى ظل ما ينفقه فى سبيل
الله ﴿ يوم القيامة ﴾ فروى « ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » القضاغى
عن عقبه بن عامر « ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته ، ابن زنجويه عن بعض
الصحابه ﴾ ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام ﴾ وهو طريق رياضة المشايخ
الكرام ، وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع يا صمد من غير شبيه ولا شئ . كشه
ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب ﴾ وان لم يطق ﴾ أى التقليل وهو الانسب
أوما يحصل به القوام وهو الاقرب ﴾ فالأكل بعد صدق الشهوة ﴾ أى تحقيق الرغبة
﴿ ويعرف ﴾ الصدق ﴿ بان لا ينتظر الادام ﴾ بعد حضور الخبز فى المقام ﴾ ولا يقع
الذباب على البزاق ﴾ فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان
يشتهى خبزا مخصوصا أو مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط ففسد
للفكرة ومعدل للخيالات المنكرة ﴾ والترك ﴾ بالرفع أى بترك الأكل ﴾ مع بقاءه ﴾ أى
بقاء الميل فى اثباته ﴾ والاصوب ﴾ أى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب ﴾ الا كتفاء بما
يقوى على العبادة ﴾ فانها هى المقصودة من اولى الالباب ﴿ فهو المأثور ﴾ عن الجمهور
﴿ وهو ﴾ أى ما يقوى ﴾ يختلف بحسب الاحوال ﴾ وكذا تفاوت امرجة الرجال
﴿ اما الوقت ﴾ أى قدر زمن الجوع والتقليل ﴿ فكانوا ﴾ أى بعض السلف ﴿ يطوون

يَوْمَيْنِ فَصَاعِدًا إِلَى خَمْسِينَ، وَالْاِقْتِصَادُ هُوَ الْأَكْلَةُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَهُوَ
الْوَسْطُ الْمَرْوِيُّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُورِدَ « أَنْ أَكَلْتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ »
وَالْأَحَبُّ التَّسْحَرُ بِهَاتِيهِجْدٍ عَلَى فَرَاغِ الْمَعْدَةِ . وَيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْمِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ
وَأَنْ مَنَعَ الْحَضُورَ يَفْطُرُ بِنِصْفٍ وَيَتَسَحَّرُ بِآخِرِ اسْتِعَانَةٍ عَلَى الطَّاعَتَيْنِ

يومين فصاعداً أي ثلاثة (إلى خمسين) يوما وهذا درجة أرباب كمال الاجتهاد
(والاقتصاد) في الأكل بحسب الوقت المناسب لأكثر العباد من الزهاد والعباد (هو
الأكلة في اليوم) أن لم يكن صائما (والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروي عنه
عليه السلام) أي في بعض المقام، وفي الخبر « إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد » أبو نعيم
في الحلية عن أبي سعيد (فورد أن أكلتين في يوم من السرف) وقد تقدم ما أخرجه
البيهقي وضعفه عن عائشة قالت : « رأيت النبي عليه السلام وقد أكلت في اليوم مرتين فقال
يا عائشة أما تحبين أن يكون لك شغل إلا في جوفك إلا أكل في اليوم مرتين من الأسراف والله
لا يحب المرففين » وفي رواية له أيضا « يا عائشة اتخاذك الدنيا يطنك أكثر من أكلة كل يوم
سرف والله لا يحب المرففين » إلا أن المعروف في شمالك أنه عليه السلام كان غالبا يأكل مرتين
المعبر عنه بالفداء والعشاء، وفي الصوم الفطور والسحور المسمى بالفداء المبارك في
الحديث المشهور وهو المذكور في قوله سبحانه في حق أهل الجنة (ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا) وهو الطريقة الحنيفة السهلة فالحديث محمول على أكلتين مشبعتين أو على
أكلتين في نهار وأكلة في ليلة (والأحب التسحر بها) أي بتلك الأكلة أن كان يكتفي
بها فهو أولى من أول الليلة (ليتجدد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروي)
أي مع انضمام الأكلة أول الليلة، وفي الخبر « تسحروا فإن في السحور بركة » متفق
عليه « واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيولة على قيام الليل » ابن ماجه.
والحاكم عن ابن عباس، وقيل المروي هو ما ورد في حديث عائشة « كان عليه السلام يواصل
إلى السحر » وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة « وقال : ما واصل عليه
السلام وصالكم هذا قط غير أنه أخر الأكل إلى السحر » (وأن منع) أي الجوع
(الحضور) بالطاعة من التهجد وغيره (يفطر بنصف) أي من قرصه أو من
قدر عادته في حال شبعه (ويتسحر بآخر استعانة على الطاعتين) أي طاعة الباطن
وهو الحضور في مقام السرور وطاعة الظاهر وهي الطاعة بالجوارح فيبقى نور على

فَالْجُوعُ الشَّاعِلُ عَنْهُ تَعَالَى مَذْمُومٌ ، وَأَمَّا الْجِنْسُ فَلَا عَلَى مِنَ الْخَبْزِ الْبَرِّ
الْمَنْخُولِ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْمَنْخُولُ . وَالْبَرُّ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ
وَمِنَ الْإِدَامِ اللَّحْمُ

نور ﴿ فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم ﴾ كما أن الشبع الشاغل عنه سبحانه مشوم وقد ورد اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه يشي الضجيع وقد أشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله ه قرب مخمصة شر من التخم ه ﴿ وأما الجنس ﴾ أى جنس المأكول ﴿ فالأعلى من الخبز البر المنخول ﴾ وفيه سعة ﴿ ثم الشعير المنخول ﴾ وفيه رخصة ﴿ والبر الغير المنخول ﴾ فهو توسط ﴿ ثم الشعير الغير المنخول ﴾ وهو سنة ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام « كان يبيت الليالي المتتابعة طلويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أحمد بن الترمذى ، وابن ماجه ، وفي الشبانل عن عائشة انها قالت « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متابعين حتى قبض رسول الله ﷺ » وفي شبانل الترمذى عز سهل بن سعد انه قيل له : أكل عليه السلام النقي؟ - يعنى الحواري - فقال سهل : ما رأى عليه السلام النقي حتى لقي الله عز وجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهد عليه السلام ؟ قال : ما كانت لنا مناخل فقبل كيف تصنعون بالشعير ؟ قال : تنفخه فيطير ما طار ثم نعبثه ، لا يقال المنخل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ فانا نقول : ليس كل ما ابتدع منياعنه بل المنهى عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد تكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ، ومنها المنخل فان المقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) أى المستلذات للخلق ﴿ ومن الإدام ﴾ أى والأعلى من الإدام ﴿ اللحم ﴾ وقد ورد « سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم » رواه ابن ماجه . وابن أبى الدنيا من حديث أبى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ « سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز » أخرجه أبو نعيم في الطب النبوى ، وعن صهيب بلفظ « سيد الطعام فى الدنيا والآخرة اللحم ثم الارز » أخرجه الديلمى من جهة الحاكم ، وعن بريدة أيضا مرفوعا سيد الإدام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية ، رواه الطبرانى وكذا أبو نعيم لكن بلفظ آخر ، وما يقويه حديث

وَالْحُلُوءُ ثُمَّ الدَّهْنُ . ثُمَّ الْمِلْحُ وَالْخَلُّ ، وَالْمَحْمُودُ الْوَسْطُ فَالطَّرْفَانِ شَاغِلَانِ
فُورِدَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) « خَيْرُ
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا »

« فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخرجه الترمذي وغيره ، وفي الشرائع أنه عليه السلام « أكل الدجاج ولحم جباري وجنبا مشوية وكان يحب الذراع ويقول : إن أطيب اللحم لحم الظير » وفي الأحياء عن علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه (والحلواء) من التمر وغيره فعن عائشة « كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل » رواه أصحاب الكتب الستة « وكان يعجبه الحلو البارد » كما في الشرائع وأما حديث « المؤمن حلوى والكافر خمرى » فقال ابن حجر العسقلاني : باطل لا أصل له « وكان يحب الدباء » كما في الشرائع وغيره عن أنس « وكان يحب القشاة » كما رواه الطبراني عن الربيع بنت معوذ (ثم الدهن) وفي معناه السمن فقد ورد « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة » وفي لفظ « فإنه مبارك » أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر و صححه الحاكم على شرطهما (ثم الملح) فعن أنس مرفوعا « سيد أدامكم الملح » ابن ماجه وأبو يعلى والطبراني (والخل) فعن عائشة أنه عليه السلام قال : « نعم الإدام الخل » الترمذي ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ « سأل أهله الإدام فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الإدام الخل » وعن أم سعد مرفوعا « نعم الإدام الخل اللهم بارك في الخل » وفي رواية « أنه كان إدام الأنبياء من قبلي وفي حديث « لم يفقر بيت فيه خل » رواه ابن ماجه ، وأما حديث « خير خلكم خل خمركم » فرواه البيهقي في المعرفة عن جابر مرفوعا وقال أنه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان) أى الأعلى والأدنى (شاغلان) عن العبادة للمتجرد الزاهد وأما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) (فورد والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) أى لم يبدروا (ولم يقتروا) أى لم يبخلوا (وكان بين ذلك قواما) ولا شك أن قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم (خير الأمور أوسطها) رواه البيهقي عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله

وَالْأَوَّلَى أَنْ لَا يُؤَاطِبَ عَلَيْهِ وَيَتْرَكَ الْمَشْتَهَى قَطْعًا لِلنَّاسِ بِالْدُنْيَا، وَوَرَدَ
 (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) «شَرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَذُوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ
 أَجْسَامُهُمْ» وَأَمَّا هِمَّتُهُمْ أَنْوَاعُ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّهْوَتَيْنِ قِضَاءً وَلَا بَيْنَ
 الشَّبَعِ وَالنَّوْمِ فَهُمَا غَفْلَتَانِ «فَوَرَدَ» أَذْيُوا طَعَامَكُمْ بِالصَّلَاةِ

تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) وقوله : (كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ) (وَالْأَوَّلَى أَنْ
 لَا يُؤَاطِبَ عَلَيْهِ) أى على الإدام فى جميع الليالى والأيام (وَيَتْرَكَ الْمَشْتَهَى) أى
 وأن يترك ما تشتهى النفس (قَطْعًا لِلنَّاسِ بِالْدُنْيَا) وطمعاً لمجلس القدس فى العقبى
 وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذذ الأعين، وورد : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فإن عيشها
 عيشة راضية فاخرة ، (وَوَرَدَ) أى فى توبيخ الكفار (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ)
 أى مستلذاتكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) والظاهر أنها محمولة على المحرمة إذ لا تبعة
 فى المباحات أو مختصة بالكفار لكن قد يقال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون الإبرار فانهم
 استعانوا بنعمه على الطاعة (شَرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَذُوا) بصيغة المجهول من الغذاء
 بالمعجمتين أى تربوا (بِالنَّعِيمِ) من غير فرق بين الحلال والحرام (وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ
 أَجْسَامُهُمْ) وكل جسد نبت من أكل الحرام فالنار أولى به كما فى رواية (وَأَمَّا هِمَّتُهُمْ أَنْوَاعُ
 الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ) أى من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فإن محط نظرهم ما يرون من فعل عامة
 الناس والحديث رواه ابن عدى فى الكامل، ومن طريقة البيهقى فى شعب الإيمان من
 حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها ، وروى من حديث فاطمة بنت
 الحسين مرسلًا قال الدار قطنى فى العلل : هو أشبه بالصواب ، ورواه أبو نعيم فى الحلية
 من حديث عائشة بأسناد لا بأس به (وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّهْوَتَيْنِ) أى المشتاتين
 كاللحم والفاكهة أو الفاكتين (قِضَاءً) أى أداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز أن
 يجمع بنية إدراك خاطر المضيف وغيره، وقد ثبت فى الشئائل أنها كل اللحم مرتين وجمع
 بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب، وفى رواية بين الخزير والرطب وفى أخرى
 بين القثاء والرطب وقال برد هذا بحر هذا (وَلَا بَيْنَ الشَّبَعِ وَالنَّوْمِ فَهُمَا غَفْلَتَانِ)
 وفى كثرتهم حسرتان وخسارتان (فَوَرَدَ أَذْيُوا طَعَامَكُمْ) أى اهضموه (بِالصَّلَاةِ

وَالذِّكْرَ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ « وَيَكْتَنِي بِالتَّمْرِ تَحْرُزًا عَنِ التَّفَكُّهِ ،
وَيُؤْلِمُ النَّفْسَ فِي ابْتِدَاءِ الرِّيَاضَةِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَعَمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَحْتَنِيهِ وَيَأْمُرُ ابْنَهُ بِأَكْلِ الْخَبْزِ يَوْمًا مَعَ اللَّحْمِ ثُمَّ اللَّبَنِ ثُمَّ الدَّهْنِ ثُمَّ
الزَّيْتِ ثُمَّ الْمَلْحَ ثُمَّ وَحْدَهُ وَلَا يَأْكُلُ فِي الْخَلَاءِ مَا يَتْرُكُهُ فِي الْمَلَأِ فَهُوَ شَرُّ شَيْءٍ »

والذكر) واعلاه التلاوة (ولا تناموا عليه) أى على الشبع من غير طاعة ربكم
هـ (فتقسو قلوبكم) أبو نعيم وغيره عن أنس هـ (ويكتني بالتمر تحرزا عن التفكه) هـ أى
التنعم فعن النعمان بن بشير « رأيت رسول الله ﷺ وما يجد من الدقل ما يملا بطنه » الترمذى
في شمائله وقيل : معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا
يكتني بكل فاكهة اشتهت نفسه من الطعام فأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون
تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم أكل الفاكهة اما اذا اكتنى بالفاكهة
بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة ويناسبه ما حكى عن
بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابدى بالتمر فان قامت به كفايتك والا
أخذت من الخبز بقدر حاجتك (ويؤلم النفس) أى يؤدبها ويهذبها هـ (فى ابتداء
الرياضة) هـ قال تعالى : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا) هـ (فكان عليه السلام
يحب العسل) هـ أى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وأيضا
اراد أن يقتدى به جميع افراد الانسان هـ (وعمر رضى الله عنه يحتنيه) هـ أى العسل او
الادام تر كاللذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل هـ (ويأمر
ابنه) * أى عبد الله على ما هو الظاهر هـ (بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) هـ أى يوما
هـ (ثم الدهن) هـ أى دهن الزيت ونحوه أو السمن ويؤيده قوله هـ (ثم الزيت) هـ اللهم
الأن يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة
هـ (ثم الملح ثم وحده) هـ أى الخبز من غير ادم معه هـ (ولا يأكل فى الخلاء ما يترك) هـ أى
شيئا أو قدرا يتركه هـ (فى الملا) هـ فانه من باب السمعة والرياء ، وكذا لا يعبد فى الملا
ما يتركه فى الخلاء فانه من اخلاق أهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى :
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفى الحديث
القدسى « انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »

وَلَا يُرِيدَانِ يَعْرِفَ بِالتَّقْلِيلِ فَهُوَ الْفَحْشُ مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَيُؤَخِّرُ السَّحُورَ ،
وَيَعْجَلُ الْإِفْطَارَ ، وَيَبْتَدِيءُ بِالتَّمْرِ أَوِ الْمَاءِ ، وَيَفْطُرُ صَائِمًا فَالْكَلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَسْتَعِدُّ
فِي شَعْبَانَ بِالتَّوْبَةِ ، وَرَدَّ الْمَظْلَمِ ، وَتَرَكَ الشَّوَاعِلَ ، وَيَخْصُ رَمَضَانَ بِالصَّدَقَةِ .
وَالْتَّلَاوَةِ . وَالْإِعْتِكَافِ لِأَسْمَاءِ الْعَشْرِ الْآخِرِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاطْبَعَتْ عَلَيْهِ

مسلم وابن ماجه عن أنى هريرة ((ولا يريد)) أى وينبغي ان لا يريد ((ان يعرف)) بين
الناس ((بالتقليل)) أى بتقليل الا كل و كذا بتكثير العلم والعمل ((فهو)) أى التقليل
رياء ((الفحش)) أى أقبح ((من الاكثار)) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار
شهوة الحرام ((ويؤخر السحور)) وهو يفتح السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو
الأكل فى السحر وهو السدس الاخير من الليل ((ويعجل الافطار)) فى كل منهما
وردت الآثار عن ام حكيم « عجّلوا الافطار واخروا السحور » الطبراني، وعن أنس
« بكرّوا بالافطار واخروا السحور » ابن عدى، وعن ابن عباس « انا معاشر الانبياء
امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايما تاعلى شمائلنا فى الصلاة » الطيالسى،
وعن أبى ذر « لاتزال أمتى بخير ما عجّلوا الافطار واخروا السحور » رواه أحمد
« ويتبدى » بالتمر » والرطب أفضل ((أو الماء)) عند عدمهما وزمزم أفضل ولا منع
من الجمع، وعن أنس « كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات
فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء » ((ويفطر صائما)) واقله واحد
وورد « من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيء » أحمد
والترمذى. وابن حبان عن زيد بن خالد « قال كل مأثور » وفى ضمن الشرح مسطور
« (ويستعد فى شعبان) » لاستقبال رمضان ((بالتوبة)) أى الاستغفار والندامة
((ورد المظالم)) أى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله ((وترك الشواغل)) أى المواع
عن الصيام والقيام من العبادة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة ((ويخص
رمضان بالصدقة)) أى بزيادتها فانها أقرب الى القبول والغفران ((والتلاوة)) أى
قراءتها أو مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن ((والاعتكاف)) أى فى المسجد قال تعالى:
(وأتموا كفون فى المساجد) ((لاسمى العشر الاواخر)) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة
وفى غيرها مستحبة ((فهو عليه السلام واطب عليه)) أى على الاعتكاف فى العشر الاخير

وَأَمْرًا بِالْتِمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِيهَا، وَيُرَاعَى سَائِرُ الْأَعْمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ كَالْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
لَا سِيمَا عَرَفَةَ . وَعَاشُورَاءَ . وَالْعَشْرِينَ .

ففي الصحيحين عن عائشة ؓ كان إذا دخل العشر الاواخر أحيى الليل وايقظ أهله وجدو شد
المتزرو كان لا يخرج الا لحاجته ، وفي رواية أبي داود بزيادة ولا يسأل عن المريض الا
مارا ، (وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها) أي في العشر الاواخر وأوتارها شبه ، والجمهور
على أنها ليلة السابع والعشرين (ويراعى سائر الاعمال في الايام الفاضلة) أي بالصوم فيها
قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته (كالأشهر الحرم) وهي رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ، أما المحرم فورد فيه ، ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه
شهر الله ، الحديث رواه النسائي عن علي ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وأرجى
لدوام البركة ، وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس ؓ « من صام يوما من المحرم فله بكل
يوم ثلاثون حسنة » وعن أنس ؓ « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة
والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة » ، الأزدي في الضعفاء ، وفي رواية ابن
شاهين في ترغيبه . وابن عساكر عن أنس ؓ « كتب له عبادة مئبئة سنة » وفي رواية
الطبراني في الأوسط عن أنس « عبادة سنتين » ، واما رجب فورد فيه « صوم اول يوم من
رجب كفارة ثلاث سنين . والثاني كفارة سنتين . والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر »
رواه أبو محمد الخلال عن ابن عباس (لا سيما عرفة) أي يوم عرفة فورد « من صام
يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه » ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان
واذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا
فالافطار ، وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكأنه تهوين على الأمة
منشؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » أحمد .
وأبو داود . وابن ماجه . والحاكم عن أبي هريرة (وعاشوراء) والافضل صوم تاسوعاء
(والعشرين) بالفتحتين أي العشر الأول من ذي الحجة ومن المحرم فورد « ما من
أيام العمل فيها افضل واحب الى الله من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل
صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر » الترمذي . وابن ماجه من حديث
أبي هريرة ، وعند البخاري من حديث ابن عباس « ما العمل في ايام افضل من العمل في هذا
العشر قالوا ولا الجماد قال ولا الجهاد الا رجل خرج بخاطر ينفسه وماله فلم يرجع بشيء »

وَشَعْبَانَ وَالْأَيَّامَ الْبَيْضَ . وَالْجُمُعَةَ وَالْخَمِيسَ . وَالْاِثْنَيْنِ ، وَيُفْطَرُ فِي آخِرِ
شَعْبَانَ اسْتِعَانَةً عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ ، ثُمَّ السَّرُّ فِيمَا وَرَدَ «أَفْضَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ»
شِدَّةُ انْكَسَارِ النَّفْسِ بِنَقْضِ الْعَادَةِ

﴿وشعبان﴾ كله أو أكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان ، متفق عليه من حديث عائشة ﴿والايام البيض﴾ أى التى لياليها البيض وهى الثالث عشر. والرابع عشر. والخامس عشر على الأشهر من الأقوال، والايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة، وعن ابن عباس «كان عليه السلام لا يدع صوم أيام البيض فى سفر ولا حضر» الطبرانى ﴿والجمعة﴾ والافضل ان لا يصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الأزدي «لا تصوموا يوم الجمعة مفردا» أحمد. والنسائي. والحاكم وفى رواية لأحمد عن أبى هريرة «لا تصوموا يوم الجمعة الا قبله يوم أو بعده يوم» ﴿والخمس والاثنين﴾ لانهما يومان متبركان، وورد «كان يصوم الاثنين والخميس فقليل له فقال الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول أخروهما» أحمد عن أبى هريرة ﴿ويفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان﴾ واستبعادا عن التقدم فى الزمان، وورد «إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان» الأربعة من حديث أبى هريرة وصححه الترمذى، وفى رواية «إذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان» أحمد. والدارمى. والأربعة وصححه. وابن حبان. وأبو عروانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان لجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة كما رواه الأربعة من حديث أم سلمة «لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان» ولأبى داود. والنسائي نحوه من حديث عائشة، وفصل مرارا كثيرة كما رواه أبو داود من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام» واخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى ﴿ثم السرف فيما ورد﴾ من حديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين ﴿أفضل الصيام صيام أخى داود﴾ وتماه كان يصوم يوما ويفطر يوما ﴿شدة انكسار النفس﴾ وما لها من الارادة ﴿بنقض العادة﴾ فانه لب العادة، ومن ذلك ما ورد فى الصحيحين أيضا من

بِخِلَافِ صَوْمِ الدَّهْرِ قِيلَ يَجْتَهِدُ أَنْ يَصُومَ نِصْفَ السَّنَةِ أَوْ ثُلُثَهَا مَعَ رِعَايَةِ
الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَقِيلَ لَا يَفْطُرُ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ أَعْتَبَارًا بِأَيَّامِ النَّحْرِ وَالتَّشْرِيقِ

منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول: أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام له: صم يوما وأفطر يوما فقال أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضل من ذلك لأنه أشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها أقوى ولأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام: «عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض وقلت اجو ع يوما واشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت» الترمذي من حديث أبي امامة وحسنه، وفيه تنبيه على أن الكمال هو الترية بين تجلى صفى الجمال والجلال، وقد ورد أيضا «الايمن نصفان نصفه صبر ونصفه شكر» وقال عز و علا: (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ﴿ بخلاف صوم الدهر ﴾ فانه يصير العبادة له كالعادة على أنه شامل لكل مع الزيادة، وللسالكين طرق هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه أخبار كثيرة تدل على كراهيته، منها من صام الابد - أى الدهر فلا صام ولا أفطر، أحمد والنسائي والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن الشيخير، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو ولا صام من صام الابد، ولمسلم من حديث أبي قتادة « قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال لا صام ولا أفطر » وللنسائي من حديث عبد الله بن عمر وعمران ابن الحصين، وفي الاحياء الصحيح انه انما يكره لشئئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما أن يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن توثى رخصه كما يحب ان توثى عزائمه واذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين، وقال عليه السلام فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين » معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه أحمد والنسائي في الكبرى وابن حبان وحسنه أبو على الطوسي ﴿ قيل يجتهد أن يصوم نصف السنة ﴾ وهو صيام داود ويمكن أن يكون غيره ﴿ أو ثلثها ﴾ فاذا صام ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده وأما ﴿ مع رعاية الأيام الفاضلة ﴾ بأن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف ﴿ وقيل لا يفطر الا أربعة أيام متواليات اعتبارا بأيام النحر والتشريق ﴾

وَالْأَصْلُ الْعَمَلُ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْبَاطِنِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَفْطُرُ وَكَذَا يَفْطُرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ» *

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي السَّفَرِ وَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * السَّفَرُ إِمَادِينِي وَهُوَ عَلَى قَصْدِ التَّعْلَمِ فُورِدَ

وفي الأحياء كره بعض العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرًا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات قال: ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم مرتين ﴿والأصل العمل بحسب صلاح الباطن﴾ أى إذا صلح باطنه بالصوم صام وإذا صلح بالفطر أفطر لأن المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة تقتضى دوام الصوم وأخرى دوام الفطر وأخرى مزجه وهو الأنسب ﴿فكان عليه السلام يصوم﴾ أى النفل متتابعًا ﴿حتى يقال﴾ وفي رواية: حتى نقول، بالنون والغيبة والخطاب ﴿لا يفطر﴾ أى أبداً ﴿و كذا يفطر﴾ أى مواظبا ﴿حتى يقال لا يصوم﴾ بعد هذا أصلاً ﴿ويقوم﴾ أى في الليل متواليا ﴿حتى يقال لا ينام وينام﴾ أى كثيرا ﴿حتى يقال لا يقوم﴾ كذا في الأحياء، قال العراقي: حديث «كان يصوم حتى يقال لا يفطر» الحديث أخرجاه من حديث عائشة. وابن عباس دون ذكر القيام والنوم، وللبخاري من حديث أنس «كان يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئاً وكان لا تشأ تراه من الليل مصليا إلا رأته ولا نائما إلا رأته» قلت: والحديث أيضا في شمائل الترمذي وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات واختلاف الحالات.

﴿الباب الرابع في السفر والحج والغزو﴾

تخصيص بعد التعميم للتعميم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المعين للمسافر والمقيم ﴿السفر﴾ أعم من الشرعى واللغوى ﴿إماديني وهو على قصد التعلم﴾ من علماء الشريعة أو من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة ﴿فورد﴾ أى من رواية

«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ» وَالتَّجَارِبِ

لِإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَهُوَ مُهِمٌّ؛

الترمذى والضياء عن أنس ((من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله)) أى الجهاد مع أعداء مولاه أو في طريق رضاه ((حتى يرجع)) أى من سفره الى حضره قال المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة في سبيل الله انه احياؤه الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان، وعن أنس «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله، الديلى، وعن جابر بن عبد الله أنه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن أنيس يحدث به عن رسول الله ﷺ، وقيل في تفسير قوله تعالى: (السائقون) انهم طلاب العلم المسافرين، وعن أبي هارون قال: «كنا نأتى أباسعيد: فيقول مرحبا بوصيته عليه السلام كان يقول: ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض يتفقون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» وعن كثير بن قيس قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث باغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة- اى غير أن أسمع منك الحديث- قال: فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا الطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر» رواه احمد والترمذى. وأبو داود وابن ماجه والدارمى والحديث في المشكاة وشرحه في المرقاة ((والتجارب)) أى وقصد التجربة فى اما كن الشدة ((لاصلاح الاخلاق)) أى المستحسنة فى حكم الخلاق ((فهو مهم)) والسالك بسيره متم ومنه قوله عليه السلام «أخبر تقيه» ابن عدى من حديث أبى الدرداء مرفوعا، وفى رواية له «وجدت الناس اخبر تقيه» أخرجه الطبرانى. وأبو يعلى وأبو نعيم، وفى النهاية أى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه أمر ومعناه خبر، أى من جربهم واختبرهم أبغضهم والهاء فى تقيه للسكت، ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول، قيل: ويضرب هذا مثلا فى قلة توقع

وَالسَّفَرُ يُسْفَرُ عَنْهَا لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَالُوفَاتِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي لَطَائِفِ أَعْمَالِهِ
تَعَالَى ۝ وَالْحَجُّ فُورِدَ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) الْآيَةُ « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ
يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وَالْجِهَادُ فُورِدَ « لَغْدُوَةٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » وَزِيَارَةُ الْمَدِينَةِ

الخير عند الناس (والسفر) وسمى به لأنه (يسفر عنها) أى يكشف عن الاخلاق
الرضية والدينية في اختلاف الحالات (للبعد عن المألوفات) وعدم وجود المعروفات
(والتفكر في لطائف أفعاله تعالى) في مصنوعاته (وعظيم صفاته) أى الدالة على
عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلكم) فهو إما بسير الباطن أو بانضمام سير الظاهر ، وقوله عز وعلا :
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) وقوله (أو لم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض وما خلق الله من شيء) واختلف أحوال الصوفية في سلوك سير الظاهر ،
فمنهم من سافر في بدايته وأقام في نهايته وهو الأظهر ، ومنهم من أقام ولم يسافر وهو
الأكثر ، ومنهم من استدام على السفر (والحج فُورِدَ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
الآيَةُ) أى (من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) (من حج
البيت ولم يرفث) أى لم يجامع في الاحرام ولم يذكر النساء في مجامعهن (ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) أحمد . والبخارى والنسائي . وابن ماجه عن أنى هريرة
بلفظ « من حج لله فلم يرفث » الحديث « ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا ، ابن عدى من حديث أنى هريرة والترمذى من حديث على وقال :
غريب وفي اسناده مقال » ومن خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأتى الله له أجر
الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيامة ، البيهقى في الشعب (والجهاد) مع الكفار
(فُورِدَ لَغْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) أحمد . والشيخان .
والترمذى . وابن ماجه عن أنس (وزيارة المدينة) فى الخبر « من زار قبرى وجبت
له شفاعتى ، ابن عدى . والبيهقى . وابن أبى الدنيا . والطبرانى . والدارقطنى عن
ابن عمر وهو فى صحيح ابن خزيمة ، وللطيا السى عن عمر مرفوعا « من زار قبرى كنت
له شفيعا أو شهيدا ، قال الذهبي : طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا لأن من
الرواة من هو منهم بالكذب قال : ومن أجودها اسنادا حديث حاطب « من زارنى

وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَوَرَدَ « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »، وَمُلَاقَاةُ الْكِبَرَاءِ لِلْإِسْتِفَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَحْوَالِ

بعد موتي فكن زارني في حياتي » أخرجه ابن عساكر وغيره قلت: حديث « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » رواه ابن عدي . والطبراني . والدارقطني . والبيهقي من حديث ابن عمرو « من جاءني زائرا لايهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا ، الطبراني من حديث ابن عمرو صححه ابن السكن « ومن وجد سعة ولم يفر الى فقد جفاني ، ابن عدي . والدارقطني . وابن حبان . والخطيب من حديث ابن عمر ، وفي رواية « من حج ولم يزرني فقد جفاني » ، وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر » (وبيت المقدس) فعن ابن عمران سليمان بن داود عليهما السلام « لما بني بيت المقدس سأل الله عز وجل خلا لا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فآوته وسأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فآوته وسأل الله حين فرغ من المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه أن يخرج من خطبته كيوم ولدته أمه اما اثنان فقد اعطيها وأرجو أن يكون قد أعطى الثلاثة ، أحمد . والنسائي . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم ، وقد صح أنه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل فيه وصلى ركعتين ثم رجع ، وعن ميمونة مرفوعا « من لم يأت بيت المقدس يصلي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه » البيهقي (فورد) أي في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة . وأبي سعيد (لا تشد الرحال) أي لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها (الا الى مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبياء والأولياء لأن الحضر في حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قباء ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل في جنس مسجده عليه السلام ، ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند المحدثين الاعلام « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في فضيلة مضاعفة الصلاة فيها ، فعن جابر « صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة في مسجدى ألف صلاة وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة » البيهقي (وملاقاة الكبراء) من المشايخ والعلماء وهم احياء (للاستفادة من مشاهدة الأحوال) ومعاينة الأقوال

فَلِسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ ، وَزِيَارَةُ قُبُورِهِمْ ،

﴿ فلسان الحال أفصح ﴾ من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة ؛ وقد ورد أولياء الله الذين اذاروا ذكرا الله الحكيم ، عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال ما لا ينفعه لفظ الرجال ، ومن هنا قيل لمن لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه وهذا القول له معنيان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن أفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة في طاعة الرب المعبر عنها بالشرعية في الأعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباهرة وبالحقيقة في الأحوال الداخلة المستمرة حتى في الدار الآخرة والثاني ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهالة المواهب لله تعالى الخاصة للموافق فتقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة الله تعالى عن بصيرة فيكتسب بنظره أحوالاً سنية ويرى آثاراً رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه أن يجعل هذه الخاصة في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاعية انه اذا نظر الى انسان يهلكه ، وما يدل على تأثير الصحبة واكبر نظر الأثير ما حصل لاجللاف العرب حيث كان أحدهم ممن يبول على عقبيه فينظره صلى الله عليه وآله وسلم وقد آمن به فصار في لحظة واحدة من كمل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه أحد من المشايخ والعلماء ، وأبلغ من هذا قضية كلب أصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى أن ذكره الله في كتابه القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم ، وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول الفقراء ، وذكر صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف في مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقل له في ذلك فقال: ان الله عبادا اذا نظروا الى شخصاً كسبوه السيادة فانا اطلب تلك السعادة ، وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة ﴿ وزيارة قبورهم ﴾ أي الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء ، وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها ترضي

وَالْفِرَارُ عَمَّا يُشَوِّشُ الْعِبَادَةَ . كَالْجَاهُ . وَالْمَالُ * وَإِمَّا دُنْيَوِيٌّ كَالْفِرَارِ مِنْ

الْفِتْنَةِ . وَالْقَحْطُ إِلَّا عَنِ الطَّاعُونَ فَهُوَ مِنْهُيٌّ عَنْهُ

الدنيا وتذكر الآخرة ، ابن ماجه عن ابن مسعود ، وفي رواية الحاكم عن أنس ، كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ، الحديث (والفرار عما يشوش العبادة) أو ينقصها أو يمنعها (كالجاه) أى الوضيع (والمال) أى الكثير ، وعن سفيان هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ، ومن أفضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففى الصحيح ، من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الأعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى رفعة الدرجات الآخروية (وإما دنيوي كالفرار من الفتنة) أى الدنيوية (والقحط) ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولا حرج فيه) أى فى هذا النوع بل هو مباح أو مستحب فقد قال أبو نعيم : رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت : الى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : الى بلد أملأ فيها جرابي بدرهم ، وفى حكاية أخرى بلغنى خبر قرية فيها رخص أقيم فيها فقلت تفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : نعم اذا سمعت برخص فى بلدة فاقصدها فانه أسلم لدينك واقل لعمرك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شأنه عما شأنه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فايأى فاعبدون) وروى « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رأيت فيه رقا فاقم واحمد الله ، أحمد . والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف ، وفى الخبر « من رزق من شىء قليلزمه ، ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن « واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتسكر له « ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن (الا عن الطاعون فهو) أى الفرار منه (منهى عنه) بلفظ « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بارض فلا تخرجوا

أَوْطَلَبَ الْمَالَ وَنَحَوَهُ فَيَنْوِي فِيهِ نَحْوَ التَّعَطُّفِ عَنِ السُّؤَالِ . وَالتَّعَطُّفِ
عَلَى الْعِيَالِ لِيَصِيرَ عِبَادَةً ، ثُمَّ إِنْ كَانَ وَاجِبًا كَالْحَجِّ . وَطَلَبَ الْعِلْمَ فَيَتَعَيَّنُ وَإِلَّا
فَالْأُسْتَفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْحَالِ ، فَالْفَوَائِدُ وَالْآفَاتُ مُتَعَارِضَةٌ ،
وَالْمَقْصُودُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، وَالْأَنْسُ بِهِ تَعَالَى ، وَالْمُعَيَّنُ فِي الْبَدَايَةِ السَّفَرُ لِلتَّعَلُّمِ ، وَفِي
النَّهَايَةِ الْإِقَامَةُ فَقِيهِ شَوَاغِلُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْمَالُوفَاتِ ، وَحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَتَاعِ ،
وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَالْهَمُومِ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَتُوبَ ، وَيُرَدَّ

منها فرار منه أحمد . والشيخان . والنسائي عن أسامة بن زيد (أطلب المال) أي
و كطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوي فيه) أي الخيرات
والمبرات (نحو التعطف عن السؤال) في طلب المال (والتعطف على العيال) في النكاح
(ليصير عبادة) لأن تصحيح النيات تجعل العادات عبادات كما حقق في شرح حديث
« إنما الأعمال بالنيات » ومن هنا ورد « نية المؤمن خير من عمله » (ثم إن كان) أي
السفر (واجبا) أي فرض عين (كالحج وطلب العلم فيتعين) أي فعله (والا) أي
وإن لم يكن واجبا (فالأستفتاء من القلب) متعين في فعله وتركه (بحسب صلاح
الحال) وفساده في الحضور مع الرب (فالفوائد) أي المنافع (والآفات) أي
المضار (متعارضة) في أمر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) أي الأعلى
(هو المعرفة والأنس به تعالى) في جميع المقامات (والمعين في البداية السفر للتعلم)
إن لم توجد العلماء في بلده أو لم يقدر على تحصيله لشغله بأهله (وفي النهاية الإقامة) لاسيما
مع الكبرفاته لا يتحمل الضرر (فقيه) أي في السفر (شواغل) عن الذكر والفكر
(من النظر إلى المألوفات وحفظ النفس والمتاع) من الآفات (واحتمال الشدائد
والهموم) باختلاف الحالات . وتفاوت . الأوقات وتباين المقامات ، ومن هنا ورد
« السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من
وجهه أي حاجته من جهة فليعجل الرجوع إلى أهله ، مالك . وأحمد . والشيخان . وابن ماجه
عن أبي هريرة (وحقه) أي المسافر (أن يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر
في الظواهر والضمائر ويؤدي حقوق الله من فوات صوم وصلاة ونحوهما (ويرد

الْمَظَالِمَ وَيُودِي النَّفَقَاتِ وَيَأْخُذَ الزَّادَ ، وَيَطْلُبُ الرَّفِيقَ الصَّالِحَ الْمُعِينَ عَلَى الْخَيْرِ

المظالم) أى حقوق العباد أو يتحلل من أصحابها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى أربابها ، فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم أحواله ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد ، وفيه أيضا رجل عليه ديون لأناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنایات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر ، وفي فتاوى قاضى خان رجل له خصم فوات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصماته يوم القيامة (ويؤدى النفقات) أى كل من تلزمه نفقته الى حين رجوعه (وبأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وإيابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء ، قيل : وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة ، قال ابن عمر : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول : افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة وأحسنهم يقينا ، وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل : يا رسول الله وما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام واطعام الطعام ، وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه أمور عديدة ، منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعب فى ذلك ، ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ، ومنها يكلف الناس أن يقوموا بقوته وسقيه وربما آل أمره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين أو طرحى ميتين بعد ان خالفوا أمر الله فى حق أنفسهم وأوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من أهل الركب فى أثمهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لا يكفيهم فى أول أمرهم أو يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا أن يعلم ان غيره يغنيهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم ، وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله (ويطلب الرفيق الصالح المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل : « الرفيق ثم الطريق واللهولى التوفيق » ووصف الرفيق بانه ان نسي الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجمه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلا مو كونه

وَيَتَصَدَّقُ قَبْلَ الْخُرُوجِ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيَسْتَخِيرُ فِي غَيْرِ الْوَاجِبِ
وَيُودِعُ الْأَخْوَانَ . وَيَرْغَبُ فِي دُعَائِهِمْ . وَيَعْرِضُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمَكْرِيِّ ،
وَيَرْضِيهِ ، وَيُخْرِجُ فِي بُكُورِ الْخَمِيسِ وَالسَّبْتِ ، فَوَرَدَ «دَعَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا»

من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض الصالحين بعد اعن ساحة الوقعة الموجبة
للقطعة ويحتجب صحة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشيء
قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلي ركعتين) للবাদعة اول الاستخارة (ويستخير
في غير الواجب) من السفر وغيره ، والنحقيق ان يستخير في الواجب ايضا الا انه لافي
فعله وتركه بل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروج في هذا الوقت او غيره اوفى
شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم : استودع الله دينكم
واما تتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابو داود . والترمذي وصححه والنسائي من حديث ابن عمر
(ويرغب في دعائهم) يستحب لهم ان يقولوا له في حضرته : زدك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير اينما توجهت كما رواه ابو داود والترمذي والطبراني في الدعاء من حديث انس
وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته : اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر ، وفي الخبر
« اذا اراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا »
الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة (ويعرض الاشياء) أي جميعها (على المكري)
بضم الميم أي المكاري ولو كان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك : احمل لي
هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى استأمر الجبال فاني قد اكرت منه قال الحجة :
فالظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه
اذا افتتح باب يسير انجر الى الكثير ، اقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فيشند
يجب التوقف على الاذن (ويرضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج في
بكور الخميس) فوردانه عليه السلام « كان يستحب ان يسافر يوم الخميس ، الطبراني
عن أم سلمة (والسبت فورد دعاؤه عليه السلام فيهما) أي في الخميس والسبت اما في
مطلق البكور بقوله عليه السلام : « اللهم بارك لامتى في بكورها » اخرجه الاربعة
وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا به واما
في خصوص الخميس فلا بن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا
« اللهم بارك لامتى في بكورها يوم الخميس » وفي رواية « قال : اغدوا في طلب العلم فاني

وَالْأَثْنَيْنِ، فَهُوَ أَيْضًا مَأْثُورٌ، وَيَكْثُرُ السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ، فَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْجَلَّةِ»
فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ مَالًا تُطَوَّى بِالنَّهَارِ» وَلَا يَنْزِلُ مَا لَمْ يَصِرَ الْيَوْمَ
حَارًّا وَيُصَلِّي عِنْدَ الرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ فِيهِ، وَيَكْبِرُ فِي كُلِّ صُعُودٍ وَيُسَبِّحُ
فِي كُلِّ هُبُوطٍ.

سألت ربي أن يبارك لامتى في بكورها يوم الخميس، وعن أم سلمة، كان يحب أن يسافر يوم
الخميس، الطبراني، وأما ما اشترى في هذا «اللهم بارك لامتى في سببها وخميسها واللهم
بارك لامتى في بكورها واجعل ذلك في سببها وخميسها فباطل لا أصل له كما أفاده الحافظ
ابن الملقن في أدلة التنبيه (والاثنتين) أي ويخرج في الاثنتين (وهو أيضا مأثور) فقد ثبت
أنه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد
يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين (ويكثر السير في الليل) أي ينبغي
أن يكون أكثر سيره بالليل (فورد عليكم بالجلّة) بضم فسكون وهي السير في أول الليل
وقيل في آخره وهو الأظهر لما في جميع المناسك ويستحب السير في آخر الليل وذكر
بعضهم سيره أول الليل انتهى، ولا يخفى أن ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد (فإن
الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار) أبو داود والحاكم والبيهقي عن أنس وبدون
مالا تطوى بالنهار، وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسل (ولا
ينزل) أي في المنزل (مالم يصير اليوم حارا) فإن السير في البرد أيسر
(ويصلي) استحبابا (عند الركوب) من المنزل (والنزول فيه) قياسا على
الركعتين عند دخوله بيته وخروجه منه؛ فقد أخرج الطبراني عن فضالة بن
عييد أنه عليه السلام كان إذا نزل منزلا في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع
ركعتين، والبيهقي عن أنس «كان عليه السلام إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه
ركعتين ويقول عند نزوله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) وعند سيره
بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله، كما رواه ابن ماجه والحاكم وابن السني
عن أبي هريرة، وفي رواية للطبراني عن أبي سعيد «بسم الله توكلت على الله، الحديث
(ويكبر في كل صعود) يصعد عليه من شرف اظهار الكبريائه وعلو مكانته وارتفاع
شأنه (ويسبح في كل هبوط) أي حدر يهبط اليه بأن نزل من علو إلى سفلى تنزيها له
سبحانه عن الزوال والنزول، فقد ورد «إذا علا ثنية كبر وإذا هبط سبح» البخاري

وَحَدُوثٌ وَحْشَةٌ، وَيُؤْمَرُ أَحَدًا لانتظام الرأي، وليكن الأمير أحسنهم خلقًا
وَمُوْاسَاةً، وَوَرَدَ « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ » وَيَعِينُ الرُّفْقَةَ
وَيُوَاسِي عَلَيْهِمْ، وَيَرْفُقُ بِالرَّاحِلَةِ *

والنسائي عن جابر . وأبو داود عن ابن عمر ، وفي رواية لأصحاب الكتب الستة عن أبي
موسى إذا أشرف على وادهال وكبرأى قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وفي رواية لأحمد
وأبي يعلى . وابن السني عن أنس « إذا أشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على
كل شرف ولك الحمد على كل حال ، أي لك العلو على كل عال كما قال تعالى : (وهو القاهر
فوق عباده) » (وله الكبرياء في السموات والأرض) » (وحديث وحشة) أي ويسبح
عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم أره ماثورا وإنما ورد إذا خاف قوما قال :
اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » أبو داود . والنسائي . وابن حبان
والحاكم عن أبي موسى الأشعري ، وفي الفردوس للدبلي عن شداد بن أوس مرفوعا
« حسبي الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » (ويؤمر أحدا) أي يجعل أميرا إذا كان
المسافر متعددا (لانتظام الرأي) وعدم التنازع في الأمر (وليكن الأمير أحسنهم
خلقاً) بضمين أي أكثرهم علما وأظهرهم حلما (ومواساة) أي أوسعهم موافقة
ومداراة وهو بأن يكون أزهدهم في الدنيا وأشهرهم في التقوى وأصبرهم على البلوى
وأشكرهم في النعمى وأتمهم مروءة وأعمهم شفقة وأقوامهم خدمة ، فقد نقل عبد الله
المروزي أن أبا علي الرباطي صحبه فقال عبد الله لابن علي : على أن تكون أنت الأمير أو أنا
فقال أبو علي بل أنت فيحمل الزاد لنفسه ولابن علي على ظهره وأمطرت السماء ذات
ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكذا قال : لا تفعل
يقول : أأنت الأمير عليك الاتقياء والطاعة (وورد إذا كنتم ثلاثة في السفر
فأمروا أحداكم) عن أبي سعيد إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم واحقهم بالامامة
أقرؤهم ، أحمد . ومسلم . والنسائي ، ولعل قيد الثلاثة للاشعار بأنه أقل الكمال في الجماعة
والرفقة (ويعين) أي الأمير (الرفقة) بضم فسكون أي رفقاه بما يقدر عليه من
اللطف والرفق (ويواسي عليهم) بزيادة الاحسان وسعة الرزق (ويرفق بالراحلة)
أي الدابة بأن لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضى بأن صاحبها أيضا يحملها فوق طاقتها
في عرفها أو عاداتها قال أبو الدرداء بغير له عند الموت : يا أيها البير لا تنحاصني إلى ربك

وَيَنْزِلُ أَحْيَانًا فْقِيهِ إِقَامَةُ لِلْسَّنَةِ وَتَرْفِيهِ لِلدَّابَّةِ وَإِسْرَارُ لِلْمَكَارِي وَرِيَاضَةُ
لِلنَّفْسِ، وَتَحْرِيزٌ عَنْ ضَعْفِ الْأَعْصَابِ وَلَا يَنَامُ عَلَيْهَا إِلَّا نَوْمَةً خَفِيفَةً وَلَا يَتَوَقَّفُ،
فَرَدَّ « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كِرَاسِيٍّ » وَلَا يَنْفَرِدُ عَنِ الرَّفْقَةِ وَيَحْرُسُ بِالنُّوبَةِ

فإني لم أكن أحملك، وعلى الجملة في كل كبد حراجر فيراعي حق الدابة وحق المكارى
جميعا (وينزل أحيانا فقيه إقامة للسنة) اذ كان عليه السلام « ينزل أحيانا عن
الدابة » ففي الأوسط للطبراني من حديث أنس باسناد جيد أنه عليه السلام « كان
إذا صلى الفجر في السفر مشى ، ورواه البيهقي في الأدب وقال: مشى قليلا وناقته تقاد
وقال علياؤنا: ويستحب أن يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة إذا أطاق
وقال الطرابلسي يجب إذا كانت الدابة مستأجرة في المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول
فيها إلا أن يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ، ولا يحل له أن يستلقي على ظهر الدابة
ولا يتكىء عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة في مثلها ذكره صاحب السراج
الوهاب (وترفيه للدابة) أي تهوين لها عن دوام المشقة (وإسرار للمكارى)
حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) أي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحرز
عن ضعف الأعصاب) وما يترتب على دوام الركوب من اليوسة (ولا ينام عليها
إلا نومة خفيفة) إذا حصلت ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها لو كان
أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكبا عليها
زمانا طويلا (فورد لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي) والحديث رواه أحمد من حديث
سهل بن معاذ، ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه مثل
كراسي في دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة التي
هي غير مزمنة ، وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة في الوقفة فإنه يستحب الوقوف على
الدابة (ولا ينفرد عن الرفقة) أي لا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال
أو ينقطع طعمه وكذا لا ينفرد عنهم في المنزل (ويحرس) أي متاعه وامتعة أصحابه (بالنوبة)
فإذا نام أحدهم حرس الآخر فهو السنة أخرج البيهقي من طريق ابن اسحق من حديث
جابر في حديث فيه « فقال الانصاري للهاجرين أي الليل احب اليك ان ا كفيكه أوله
أو آخره » فقال: لا بل ا كفني أوله فاضطجع المهاجري » والحديث عند أبي داود أيضا

وَيَنَامُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ جَاعِلًا رَأْسَهُ عَلَى الْعَضُدِ وَفِي آخِرِهِ عَلَى الْكَفِّ
وَيُقِيمُ الْعَضُدَ لثَلَاثَتَيَّ النَّوْمِ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَلَا يَصْحَبُ جَرَسًا وَلَا شَاعِرًا وَلَا سَاحِرًا
وَلَا كَاهِنًا وَلَا جَلَّالَةً

لكن ليس فيه قول الأنصارى للهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فإذا نام
أحدهما حرس الآخر ﴿ وبنام فى أول الليل جاعلا رأسه على العضد ﴾ بان يفتش
ذراعه ﴿ وفى آخره ﴾ أى الليل ﴿ على الكف ويقيم العضد ﴾ بان ينصب ذراعه
نصبا ويجعل رأسه فى كفّه ﴿ لثلاثي النوم ﴾ فتفوت صلاة الصبح ﴿ فهو مأثور ﴾
رواه أحمد. والترمذى فى الشمائل من حديث أبي قتادة بأسناد صحيح، وكذا ابن حبان.
والحاكم عنه بلفظ « كان إذا عرس وغلبه ليل توسد يمينه وإذا عرس قبيل الصبح وضع
رأسه على كفّه اليمنى وأقام ساعده » والتعريس النزول فى الليل، قال العراقى وعزاه أبو مسعود
الدمشقى والحيدى الى مسلم ولم يره فيه ﴿ ولا يصحب جرسا ﴾ لقوله عليه السلام :
« لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » أحمد . ومسلم . وأبو داود . والترمذى
عن أبي هريرة لقوله عليه السلام : « الجرس مزامير الشيطان » أحمد . ومسلم .
وأبو داود عن أبي هريرة، وفى رواية لابی داود عنه « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس »
﴿ ولا شاعرا ﴾ أى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم : (والشعراء يتبعهم الغاؤون
ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) والحاصل ان الشعر كلام
لحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر ﴿ ولا ساحرا ﴾ فانه اما ان يكون
فاجرا أو كافرا ﴿ ولا كاهنا ﴾ وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن أو غيره فقد ورد
« من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فيه برى، بما أنزل على محمد، أحمد . والأربعة عن أبي هريرة،
وفى رواية الطبرانى عن واثلة « من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجب عنه التوبة أربعين
ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة
أربعين يوما » رواه مسلم عن بعض أمهات المؤمنين، وللحاكم . وأحمد عن أبي هريرة
« من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ »
وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن، وفى
معناه المنجم والرمال وسائر أصحاب الفأل ﴿ ولا جلاله ﴾ وهى دابة تأكل النجاسة

وَلَا كَلْبًا وَيُؤْذَنُ أَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَوَرَدَ « إِذَا اُخْتَلَفَ عَلَيْكُمُ الطَّرِيقُ
فَعَلَيْكُمْ بِذَاتِ الْيَمِينِ فَإِنَّ عَلَيْهَا مَلَكًا يُسَمَّى هَادِيًا » وَلَا يَدْخُلُ بَلَدٌ لَيْسَ فِيهَا
سُلْطَانٌ وَلَا سَائِسٌ وَمَا فِيهَا طَاعُونَ ، وَيَصَاحِبُ الْمَرْأَةَ

فإن الملائكة ينفرون من رائحتها، وأخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساكر عن أبي رابطة بن كرامة المذحجي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم سفر لا يصحبكم جلالة من هذه النعم ولا يضمن أحدكم ضالة ولا يردن سائلا إن كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبكم من الناس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث (ولا كلبا) لما تقدم (ويؤذن أن ضل الطريق) أو غاب عن الرفيق ورأى أشياء منكرة. أو تخيلت له خيالات مستنكرة. أو تلونت له أجسام مكروهة مزورة، فقد ورد « إذا تغولت الغيلان نادى بالاذنان » رواه مسلم عن أبي هريرة « فإن الجن والشيطان يفرون من الاذان وتحضره الملائكة والابdal من الاعيان وإذا انقلبت دابته فليناد اعينوا يا عباد الله » رواه ابن أبي شيبة من قول ابن عباس موقوفا « وإن أراد عوننا فليقل: يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني » رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ضل أحدكم شيئا أو أراد عوننا وهو بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني فإن الله عابدا لا إله إلا هو (وورد إذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين) أي تيمنا وتحاميا (فإن عليها ملكا يسمى هاديا) لم أعرف له راويا (ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان) أي خليفة أو نائبه من أمير أو قاض (ولا سائس) أي شحنة وحاكم سياسة لأنه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة « وفي الخبر إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها إنما السلطان ظل الله ورحمه في الأرض، البيهقي عن أنس (وما فيها) أي ولا يدخل بلدة فيها (طاعون) لما تقدم وروى بعض الصحابة « إن رسول الله ﷺ نزل منزلا في بعض أسفاره فقام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: إن الناقة تقحمت بي أي رمت بي أو هزت بي، والحديث رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف، (ويصاحب المرأة) بكسر الهمزة وفتح الهمزة آلة الرؤية، وكان عليه السلام إذا نظر

وَالْمُكْحَلَةَ . وَالسَّوَاكَ . وَالْمَشْطَ . وَالْمَقْلَمَ . وَالْمُوسَى . وَالرَّكُوءَةَ . وَالْحَبْلَ .
وَالْأَبْرَةَ . وَخِطْطَهَا ، وَيَحْتَنِبُ الْغُرَّةَ فَهُوَ يَذْهَبُ الْبَرَكَةَ وَيَتَبَرَّكُ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَعْجَلُ الْأُوبَةَ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَوَرَدَ « مَنْ كَانَ مُسَافِرًا إِذَا
قَضَى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَأْتِ بِالتَّحْفَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَقَارِبِ وَلَا يَقْدُمُ بَغْتَةً

إلى وجهه في المرأة قال : اللهم كما حسنت خلقي لحسن خلقى وحرم وجهى على النار
البزار عن عائشة (والمكحلة) محل السكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل
كل ليلة ثلاثا في كل عين ، كما في شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء
والصلاة وقد تقدم (والمشط) أى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم)
وهو المقص أو السكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب (والموسى) لحلق العانة
(والركوة) أى الدلو ونحوها من المظهرة (والحبل) فانهما من ضرورة الشرب
والطهارة (والأبرة وخطها) لترقيع ثوب يستتر العورة (ويحتنب الغرة)
بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء أى يحترس من أن يغرا حدا أو يغره أحد بالمكرو والحيلة
(فهو يذهب البركة) أو المعنى لا يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا
لا يعرفه ولا يترك السلاح مواضع المخافة اغترارا بشجاعته ولا يأكل من ثمار
البرارى التى ما عهدا كله في عاداته (ويتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء
(والاموات) من الانبياء والاصفياء (ويعجل الأوبة) أى الرجعة (بعد قضاء
الحاجة) اسراراً لقلب أهله واظهاراً لطيب محله ، وفي نسخة زيادة (وورد من
كان مسافرا اذا قضى نَحْبَهُ فليرجع الى أهله) لم أجده لكن تقدم ما يدل على أصله
وورد « اذا قضى أحدكم حجه فليجعل الرجوع الى أهله فانه أعظم لاجره ، الحاكم .
والبيهقى عن عائشة (ويأتى بالتحفة) أى بالهدية (لأهل البيت والأقارب)
حقيقة وحكما فقد ورد « اذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه أى بهدية ولو يلقي
في مخلاته حجرا » ابن عساكر عن أبى الدرداء ، قيل أراد حجرا الزناد ، وفي رواية البيهقى
عن عائشة « اذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهد لأهله فليطرقهم ولو كان حجرا ،
(ولا يقدم) من سفره على أهله (بغتة) أى لجأة فى الصحيحين من حديث
جابر « كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال :

وَلَا لَيْلًا، وَالْأَحَبُّ وَقْتُ الضَّحَى، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ أَوَّلًا وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَالْكَلِّ
مَأْثُورٌ وَيَقْدَمُ لَهُ الضَّحَى فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ نَحَرَ جُزُورًا أَوْ بَقْرَةً وَحَقَّ
الْحَجُّ أَنْ يُخْلِصَ فِي النِّيَّةِ

أَمَلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَيْ عِشَاءً - كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمَغِيْبَةُ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَبْلَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ : لَا تَطْرُقُوا أَهْلَكُمْ
لَيْلًا تَخَالِفُهُ رِجْلَانِ فَسَعِيا إِلَى مَنَازِلِهِمَا فَرَأَى كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَيْتِهِ مَا يَكْرَهُ ، (وَلَا لَيْلًا)
لأنَّهُ وَقْتُ الْوَحْشَةِ فَقَدْ وَرَدَ « إِذَا طَالَ أَحَدُكُمْ النِّعْيَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا ، أَحَدٌ وَالشَّيْخَانِ
(وَالْأَحَبُّ وَقْتُ الضَّحَى) هـ لِكَمَالِ الظُّهُورِ وَجَمَالِ النُّورِ وَجَمَالِ السُّرُورِ » (وَيَدْخُلُ
الْمَسْجِدَ) هـ أَيْ مَسْجِدَ بَلَدِهِ هـ (أَوَّلًا وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) هـ تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ شَكَرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
فَمَنْ أَرَى ثَعْلَبَةً كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ
يُثْنِي بِفَاطِمَةَ ثُمَّ يَأْتِي أَزْوَاجَهُ ، (فَالْكَلِّ مَأْثُورٌ) هـ وَفِي كُتُبِ الْحَدِيثِ مَسْطُورٌ
هـ (وَيَقْدَمُ) هـ أَيْ مِنْ سَائِرِ الْأَفْعَالِ هـ (لَهُ) هـ أَيْ لِقُدُومِهِ هـ (الضَّحَى) هـ بِفَتْحٍ فَكُسِرَ
فَتَشْدِيدُ أَيْ طَعَامُ الضَّحَى وَلَوْ شَاءَ أَوْ طَبِخَ لَحْمٍ وَمَرْقَةٍ هـ (فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ نَحَرَ
جُزُورًا) هـ أَيْ بَعِيرًا هـ (أَوْ بَقْرَةً) هـ لَمْ يَحْضُرْ فِي الْآنَ مَخْرَجُهُ هـ (وَحَقَّ الْحَجُّ) هـ أَيْ
أَدَاءُ كَمَالِهِ هـ (أَنْ يُخْلِصَ فِي النِّيَّةِ) هـ وَيَحْسُنُ الطَّوِيلُ أَنْ يُتَبَرَّأَ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ وَلَا
يَقْصِدَ التَّجَارَةَ وَالنَّزْهَةَ فَقَدْ رَوَى فِي خَبَرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ « إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ خَرَجَ
لِلْحَجِّ أَصْنَافٌ أَرْبَعَةٌ سَلَاطِينُهُمْ لِلنَّزْهَةِ وَاعْتِيَاؤُهُمْ لِلتَّجَارَةِ وَقَرَاؤُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ وَقَرَاؤُهُمْ
لِلسَّمْعَةِ » الْخَطِيبُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ أَتَى بِعِبَادَةٍ لِمَرْضٍ دُنْيَوِيٍّ بِحَيْثُ
لَوْ فَقَدَ تَرَكَهَا فَلَيْسَتْ بِعِبَادَةٍ بَلْ مَعْصِيَةٌ وَإِنْ وَجَدَ عَلَيْهَا بَاعَثَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا فَإِنْ كَانَ
بَاعَثَ الدُّنْيَا أَقْوَى أَوْ هُمَا مُتَسَاوِيَانِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ وَإِنْ كَانَ بَاعَثَ الدِّينَ أَقْوَى فَذَهَبَ
بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا بَاطِلَةٌ وَجَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهَا صَحِيحَةٌ وَهُوَ الْأَظْهَرُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) أَيْ تَبْتَغُوا عَطَاءَ وَرِزْقًا مِنْهُ يَرِيدُ الرِّبْحَ بِالتَّجَارَةِ
عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْبَيْضاوِيُّ وَغَيْرُهُ ، ثُمَّ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَعْبُجَ بَعْدَ الْإِسْطَاعَةِ فِي التَّأْخِيرِ آفَاتُ
مَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ عَلَى أَنَّ الْمَسْأَلَةَ خِلَافِيَّةٌ فِي أَنَّ الْفَرْضِيَّةَ عَلَى التَّرَاخِي أَوْ فُورِيَّةٍ فِي
الْفُورِيَّةِ إِذَا أُخْرِيَ عَنْ أَوَّلِ سَنَى الْإِمْكَانِ سَقَطَتْ عِدَالَتُهُ وَعَدُّهُ مِنَ الْفَسَاقِ إِلَى أَنْ يَحْجَّ
ثُمَّ لَوْ حَجَّ فِي آخِرِ عَمْرِهِ سَقَطَ عَنْهُ أَجْمَاعًا وَارْتَفَعَ أَثْمُهُ اتِّفَاقًا وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْحَجِّ لَقِيَ

وَيَحْتَالَ فِي دَفْعِ تَسْلِيمِ الضَّرِيَّةِ لِقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَيَرْجِعُ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ فِي النَّفْلِ
فَالْإِعَانَةُ عَلَى الْعُدْوَانِ أَفْحَشُ

الله عاصيا بترك حجه و كان الحج في ذمته عندنا فيجب عليه وصيته، وعند الشافعي في تركه فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامر به شديد وفي حقه ورد وعيدا كيد منه قوله تعالى: (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج وأدائه لأن منفعة راجعة الى عباده وامائه، وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرا نيا، رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة مرفوعا، وقيل في تفسير قوله تعالى: (لا تعدن لهم صراطك المستقيم) انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينع الناس من الوصول اليها، وقال عمر رضي الله عنه - وهو يومئذ أمير المؤمنين -: لقد هممت ان أكتب الى الولاة في الامصار أن تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سيلا، وعن سعيد بن جبير . و ابراهيم النخعي . وطاوس . ونجاشد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه، وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه، وكان ابن عباس يقول: من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى: (رب ارجعون لعلی اعمل صالحا فَمَا تَرَكَتْ) وكذا ورد عنه أيضا في قوله تعالى: (وأنفقوا بما زرعناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت) الآية (ويحتال في دفع تسليم الضريبة) أي الاموال المعينة (لقطاع الطريق) أي من الاعراب وغيرهم (ويرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (في النفل) أي لافي الفرض (فالاعانة على العدوان) أي الظلم والعصيان (أفحش) من الرجوع عن طريق الحج اذالم يكن من فروض الاعيان واما في الفرض فلا يرجع اذا لاثم في مثله على الآخذ لا المعطى على ما عرف من تقسيم الرشوة في كتاب القضاء ولـكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص، وهذا التفصيل حسن خلافا لمن أطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن أسقط الحج ووجوبه اذا كان في الطريق يؤخذ من ماله ظلما، وفي الاحياء ولا تعاونوا اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادقون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق والابواب فان في تسليم المال اليهم تيسيرا لاسباب

وَيَمْشِي رَاجِلًا إِنْ قَدَرَ وَالْأَفْضَلُ كُوبُ أَفْضَلُ، وَقِيلَ هُوَ الْأَفْضَلُ فِيهِ مَوْنَةُ
الْإِنْفَاقِ وَالْبُعْدُ عَنْ تَشْوِيشِ الْهَمُومِ وَالْقُرْبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْإِتِمَامُ، وَيَمْشِي
أَشْعَثَ أَغْبَرُ غَيْرَ مَتَزِينٍ وَلَا مَائِلٍ لِلتَّكَاثُرِ،

الظالم عليهم (و يمشي راجلا) أى ويذهب فى طريق الحج ماشيا (ان قدر) على
المشى فانه افضل قال تعالى : (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا) أى مشاة فقدمهم
سبحانه على قوله (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على بعير مهزول ، وقال مجاهد وغيره
من العلماء : ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبائى الابل
وصالحوا على ركبائى الخمر واعتقوا المشاة اعتقا ، وأوصى عبدالله عباس بنه عند موته
فقال : يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من
حسنات الحرم قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف (والا) أى وان
لم يقدر على المشى أو يسىء خلقه به أو لم يبق له حضور الذكر بسببه (فالركوب)
فى حقه (افضل) بل هو متعين فتأمل (وقيل : هو الافضل) أى مطلقا لفعله
عليه السلام واصحابه الكرام ، ويحجب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الامة
فذهبوا مذهب أضعف القوم فى الهمة كما هو شأن الائمة (فبه مؤنة الانفاق)
أى زيادته وفيه انه ممكن للماشى أن ينفقه فى سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء
عن العمرة المشى فيها افضل أو يكثر على حمار ؟ فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكرام
افضل من المشى وان كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى افضل ، و كأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه أولى فى مقام الجمع كما لا يخفى (والبعد
عن تشويش الهموم) أى غموم الخواطر الرديئة الناشئة من آتاعب الاعضاء البدنية
(والقرب من السلامة) من غير الملامة (والاتمام) لخطر الماشى أى يمنعه مانع
عن تحصيل المرام الحرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدام
(ويمشى أشعث أغبر) أى ويذهب حال كونه أشعث الشعر أغبر البدن لكنهما
مختصان بحال الاحرام لا ورد أنه عليه السلام « سئل أى الحج افضل ؟ فقال : الشعث
التفل » مع ان المسافر لا يخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء
فورد « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره » (غير متزين)
فى نفسه ولا فى دابته (ولا مائل للتكاثر) أى فى نعمته والتفاخر فى حششته لخدمته

فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَ كَذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْ مُبَاهَاتِهِ تَعَالَى بِهِ، وَيَتَقَرَّبُ رَاقَةً
دَمَ وَإِنْ لَمْ يَجِبْ فَوَرَدَ (وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ) . الْآيَةُ وَلَا يَمَّا كُسُ فِي شِرَاءِ الْهَدْيِ
وَالْأَضْحِيَةِ .

(فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَ كَذَلِكَ) أَي تَرَكَ الزَّيْنَةَ وَفَانَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَجَّ عَلَى رَاحِلَتِهِ
وَكَانَ تَحْتَهُ رَحْلُ رِثٍ وَقَطِيفَةٌ خَلَقَتْ قِيمَتَهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ
أَصْحَابُهُ مِنْزَلًا فَسَرَحَتْ الْأَبْلُ فَظَفَرُوا إِلَى كَسِيَّةٍ حَمْرٍ عَلَى الْأَقْتَابِ فَقَالَ: أَرَى هَذِهِ الْحِمْرَ
قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا: فَقَمْنَا إِلَيْهَا فَتَزَعْنَاهَا عَنْ ظَهْرِهَا حَتَّى شَرَدَ بَعْضُ الْأَبْلِ، أَبُو دَاوُدَ
مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ «وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يَسْمَعْ» (وَأَخْبَرَ) أَي النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (عَنْ
مُبَاهَاتِهِ تَعَالَى بِهِ) أَي بِالْحَاجِجِ الشَّعْثِ الْأَغْبَرِ فِي الْحَدِيثِ «أَمَّا الْحَاجِجُ الشَّعْثُ الْتَفَلُّ
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: انْظُرُوا إِلَى زُورٍ يَتَّقِي قَدْ جَاؤُنِي شَعْنًا غَيْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» التِّرْمِذِيُّ.
وَإِبْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ (وَيَتَقَرَّبُ بِرَاقَةٍ دَمَ وَإِنْ لَمْ يَجِبْ) أَي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
وَاجِبًا عَلَيْهِ (فَوَرَدَ وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ) أَي الْهَدَايَا الَّتِي تَذْبَحُ فِي الْحَرَمِ وَهِيَ جَمْعُ
شَعِيرَةٍ وَهِيَ مَا يَشْعُرُ بِهِ تَعْظِيمُ بَيْتِ اللَّهِ وَيَعْلَمُ بِهِ تَكْرِيمُ حَرَمِ اللَّهِ (الْآيَةُ) أَي (فَانَهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ) وَفَسَّرَ تَعْظِيمَهَا بِتَحْسِينِ الْبَدَنَةِ وَتَسْمِينِهَا، وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا بَرَّ الْحَجَّ؟
فَقَالَ: الْعَجْجُ وَالثَّجْجُ، وَالْعَجْجُ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْمُتْلِيَةِ وَالثَّجْجُ هُوَ نَحْرُ الْبَدَنِ. التِّرْمِذِيُّ وَاسْتَفْرَغَ بِهِ
وَإِبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ الْبَاقُونَ أَي
الْحَجَّ أَفْضَلَ، وَعَنْ مَائِشَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ
سَبْحَانَهُ مِنْ أَهْرَاقِهِ دَمًا وَأَنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَآظِلَافِهَا فَإِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنْ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِي الْأَرْضِ فَطَيَّبُوا بِهَا نَفْسًا» التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ. وَابْنُ مَاجَةَ
وَإِبْنُ حِبَانَ. وَابْنُ خَزِيمَةَ، وَفِي الْخَبَرِ: لَكُمْ بِكُلِّ صَوْفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا حَسَنَةٌ وَكُلُّ قَطْرَةٍ مِنْ
دَمِهَا حَسَنَةٌ وَأَنَّهُ لَتَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَأَبْشَرُوا، ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ
حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، وَرَوَى أَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ الضَّحَايَا عَنْ عَلِيٍّ «أَمَّا أَنَّهُ يَجَاءُ
بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَحُومِهَا وَدِمَائِهَا حَتَّى تَوْضَعَ فِي مِيزَانِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِفَاطِمَةَ، وَفِي
رِوَايَةٍ لَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «لَكَ بِأُولِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا أَنْ يَغْفَرَ لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ
ذُنُوبِكَ» يَقُولُهُ لِفَاطِمَةَ (وَلَا يَمَّا كُسُ) أَي لَا يَضَاقِقُ بِلَ يَسَامِحُ (فِي شِرَاءِ الْهَدْيِ
وَالْأَضْحِيَةِ) وَنَحْوُهُمَا مِمَّا يَكُونُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ صَحَّةُ النِّيَّةِ فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ لَا يَغَالُونَ فِي

فَالْمَقْصُودُ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْلِيَّتُهَا وَتَحْلِيَّتُهَا بِتَعْظِيمِهِ تَعَالَى، فَوَرَدَ (لَنْ يَنَالَ
اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا) . الْآيَةُ، وَيَنْوِي فِي الذَّبْحِ فِدَاءَ نَفْسِهِ اقْتِدَاءً بِالذَّبْحِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. وَيُنْفِقُ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ مَا اسْتَطَاعَ فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَبُولِ طِيبُ الْكَلَامِ
وَعَدَمُ الْاِغْتِمَامِ بِهِ وَمَا أَصِيبَ فِي الْمَالِ، فَدَرَاهِمُ مِنْهُ يَعْدُلُ سَبْعِمِائَةَ تَنَفَّقَ فِي سَبِيلِهِ
وَتَرَكَ مَعَاصٍ كَانَ يَرْتَكِبُهَا وَتَبَدَّلَ إِخَاءَ الْفُسَّاقِ بِالصَّالِحَاءِ.

ثلاث و يكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاها ثمنا وانفسه
عند الله يمتا، و روى ابن عمر ان عمر اهدى نجية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل
رسول الله ﷺ ان يبيعها و يشتري بثمنها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال: بل اهدها ۝
اخرجه أبو داود وأبو قال: انحرها، وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون، وفي
ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد (فالمقصود) الاصل
من الذبح (هو تزكية النفس) أي تطهيرها (وتحليتها) عن رذيلة البخل (وتحليتها)
بالحما المهمة ويحتمل الجيم أي تصفيتها وتزيينها (بتعظيمه تعالى) فانه الفضل في
مقام الفصل (فوردلن ينال الله لحومها ولادماؤها الآية) أي (ولكن يناله التقوى
منكم) وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أم قل فتأمل (وينوي في الذبح)
أي اذا كان تطوعا (فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام) وهو اسماعيل أو اسحق
على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى: (وفديناه بذبح عظيم) (وينفق في الطريق)
أي طريق الحج (ومكة) أي وفي مكة مدة الإقامة (ما استطاع) ويكون طيب
النفس بما اتقاه من نفقة وبما أصابه من خسارة ومصيبة ان أصابه ذلك فانه من باب
الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فمن
علامات القبول) أي قبول الحج وبره (طيب الكلام) أي واطعام الطعام وكتمان
طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به) أي بالاتفاق في ذلك المرام (وبما أصيب) من
ضياع وسرقة (في المال) وكذا المصيبة في البدن وباقي الحلال (فدراهم منه) أي
من مال المصاب أو من الاتفاق في الحج للاحتساب (يعدل سبعمائة تنفق في سبيله)
أي غير الحج والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك معاص كان يرتكبها) قبل
حجه (وتبدل إخاء الفساق) أي مؤاخاة السفهاء والجهلاء (بالصلحاء) من العلماء

وَمَجَالِسُ اللَّهِ بِالذِّكْرِ وَيُلَازِمُ الْخُشُوعَ فِي أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ فَهُوَ الْأَصْلُ لِأَسْمَاءٍ
فِي الطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ فَهَمَّا رُكْنَاهُ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ مُسْتَشْفِيًا بِهِ، وَيَصْبُهُ
عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ وَمُسْتَنْجِحًا أَوْطَارَهُ، وَيَغْتَمُّ الْمَوْتَ فِي طَرِيقِهِ
فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيُتَلَقَّى الْحَاجُّ بِالترَّحِيبِ *

والأولياء (ومجالس الله) أي وتبديلها (بالذكر) أي بمجالس الذكر ومحافل
أهل اليقظة والفكر (ويلازم الخشوع) وهو غاية الخضوع (في أداء المناسك)
فانه من أدب السالك (فهو الأصل) أي المدار عليه في جميع المسالك (لأسماء في
الطواف) فانه بمنزلة الصلاة هنالك (والوقوف) بعرفات فانه بمنزلة الوقوف
بين يدي رب العالمين يوم اجتماع خلق الأولين والآخرين (فهما ركناه) أي الحج
باتفاق المجتهدين (ويشرب من ماء زمزم) فقد ورد «ماء زمزم لما شرب له» ابن
ماجه بإسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه
في فضائل المشاعر الحرام وكذا في الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مستشفيا به)
أي طالبا بشفاء ظاهره وباطنه قائلا: اللهم أني أسألك رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من
كل داء» ويتضلع منه فورد «آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم»
البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقي يده ويشرب من مائه
فقد قال عليه السلام: «لولا ان تغلبوا لنزعت معكم» (ويصبه على رأسه وجسده متبركا
به) وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام (ومستنجحا أوطاره) أي قاضيا حاجاته
(ويغتتم الموت في طريقه فيكتب له أجره) أي ثواب الحج على تلك الطاعة (إلى
قيام الساعة) قال تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع أجره على الله) وورد «من خرج من بيته حاجا أو معتمرا أجرى له أجر
الحاج المعتمر إلى يوم القيامة» البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة «ومن مات
محرمًا حشر مليا، الخطيب عن ابن عباس «ومن مات في أحد الحرمين استوجب
شفاعتي و كان يوم القيامة من الأمنين» الطبراني. والبيهقي عن سليمان، وفي رواية
لهما من حديث عائشة «من مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل: له
أدخل الجنة» (ويتلقى الحاج بالترحيب) أي بالتهظيم والتكريم مع التسليم

وَيُصَاحِفُهُمْ مُتَبَرِّكًا، وَيُرْوَحُ إِلَى الْمَدِينَةِ مُكْثَرًا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيَزُورُ قَبْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُبُورَ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَسَائِرَ مُشَاهِدِهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ *

المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونيبه الكريم (وَيُصَاحِفُهُمْ مُتَبَرِّكًا) أى بأ كفهم التى أصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الأسود الذى ورد فى حقه « انه يمين الله فى أرضه يضاف بها عبادته، فهذه المصاحفة الثابتة واما المصاحفة التى يذكرها بعضهم عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله عليه وسلم فلا أصل له ولا فى الكيفية التى ذكرها بعض الصوفية نعم ورد فى فضل المصاحفة عند الملاقاة أخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام (وَيُرْوَحُ إِلَى الْمَدِينَةِ) أى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة أو بعد وصولها و يقال حصولها (مكثرا) أى فى طريقه (الصلاة عليه عليه السلام) فانه كلما كان أقرب اليه كان بالاجابة أنسب لديه (ويزور قبره عليه السلام) فانه من شعائر الاسلام. بل هو من واجبات الاحكام. وقد تقدم فى فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام « ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته، هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق أهله ووطنه وقطع البوادرى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهدته السكرية اذا فاته مشاهدة طلعتة العظيمة، وقد قال تعالى: (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وروى « ان من توشا واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف وقال: اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربي فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فىّ وسأل حاجته قضيت باذن الله، كذا فى الحصن (وقبور الصحابة) لاسيما الشيخين الضجيعين (وأهل البيت) كفاطمة وعائشة وسائر أزواجه أمهات المؤمنين وصفية عمته وأولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس. والحسن بن على. وعلى بن الحسين. ومحمد بن على الباقر. وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزلة المنيفة (وسائر مشاهدها) من سائر أهل البقيع وأجلهم عثمان بن عفان (رضى الله عنهم أجمعين) ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه، وورد « أحد جبل يحبنا ونحبه » البخارى عن أنس وغيره عن جماعة، وفى رواية زيادة « فاذا جثتموه فكلوا

وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا *

من شجره ولو من عضاهه، ﴿ وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا ﴾ وأجلها المسجد النبوي مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطواناتها ثم، فورد « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » متفق عليه من حديث أبي هريرة . وعبد الله بن زيد ، ثم مسجد قباء . ومسجد الجمعة . وذى القبلتين . والمساجد الأربع ونحوها ، وقد ورد أنه عليه السلام « كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وقال : من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصلّى فيه كان كعدل عمرة ، النسائي . وابن ماجه في حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح ، وقد ذكرنا آداب الزيارة في رسالة مستقلة وسائر ما فيها من أسباب الفضيلة ﴿ وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا ﴾ أي التي كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار مشهورة : بئر أريس . وبئرحاء . وبئر رومة . وبئر غرس . وبئر بضاعة . وبئر البصة . وبئر السقياء أو العهن أو بئر جمل ، والله در ناظمها في قوله :

إذا رمت آبار النبي بطيبة • فعدتها سبع مقالا بلاوهم
أريس وغرس ورومة وبضاعة • كذا بصة قل يبرحاء مع العهن
وهو اضعا معروفة وعند أهل المدينة مكشوفة ، فحديث بئر أريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديثه منه حتى دخل بئر أريس قال جلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ منها ، وحديث يبرحاء متفق عليه من حديث أنس قال أبو طلحة : أ كثر الانصار بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه يبرحاء . وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث ، وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذي . والنسائي من حديث عثمان انه قال : أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذي : حديث حسن ، وفي رواية « من يشترها لشرب رواه في الجنة » وفي رواية لها ، هل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها أحد الا ثمن فابتعتها فجعلتها للفقير وابن السبيل ، الحديث وقال حسن صحيح ، وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان

يبيع منها القربة بمد الحديث، قيل: انه اشترأها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه أيضا من عثمان بثمان يمين يسير لانه كان يبيع ماءها فاستكنى الناس بوقف عثمان وهي قديمة قيل شرب منها تبع وحدثت سنة سبع مائة وخمسين، وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس انه قال: «اتتوني بماء من بئر غرس فأتى رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ، ولا ين ماجه باسناد جيد من حديث علي مرفوعا «إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس»، وفي تاريخ المدينة لابن النجار «انه عليه السلام توضأ منها وبرزق فيها وغسل منها حين توفي، وفي رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له غسل فصبه فيها وقال: اني رأيت الليلة اني أصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال: يا علي اذا أنا مت فاغسلني من بئر غرس بسبع قرب لم تحال او كيتهن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبع مائة، وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري «انه قيل لرسول الله ﷺ: انتوضأ من بئر بضاعة؟» وفي رواية «انه نستقى لك من بئر بضاعة فقال: خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غير طعمه اولونه او ريحه، الحديث، قال يحيى بن معين: اسناده جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث أبي اسيد «بصق النبي ﷺ في بئر بضاعة، وفي رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكا» نما نشط من عقال، وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال: هل عندكم من سدر اغسل به رأسي؟ فان اليوم الجمعة قال: نعم فاخرج له سدرًا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة، وحديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة «أن النبي ﷺ كان يستعذب له من يوت السقيا» زاد البزار في مسنده «أو من بئر السقيا»، وأحمد من حديث علي «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: اتتوني بوضوء فلما توضأ قام، الحديث وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم «أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر الجمل، الحديث وصلبه البخاري وعلقه مسلم» قيل وهي بئر العهن بالعالية، وروى «أنها اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها»، والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون، وقد روى الدارمي من حديث عائشة «أن النبي ﷺ قال في مرضه: صبوا علي من سبع قرب

وَيَتَصَدَّقُ وَيَسْتَحِبُّ لَهُ الْإِقَامَةُ بِمَكَّةَ مُرَاعِيًا حَقُوقَهَا ، فَوَرَدَ « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ * وَإِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ بِلَادِهِ إِلَى وَلَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ لَمَّا خَرَجْتُ » ، وَبِالْمَدِينَةِ فَوَرَدَ فِي الصَّبْرِ عَلَى لَأَوَائِهَا وَفِي الْمَوْتِ بِهَا شَفَاعَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشَهَادَتُهُ

من آبار شتى، الحديث ((ويتصدق)) بالمدينة على سكانها ويعظم جيرانها)) ويستحب له الإقامة بمكة)) حال كونه)) مراعيًا حقوقها)) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسامة مع السلامة من كل الحرام والشبهة والا فالإقامة بها حرام أو مكروه)) فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة)) أى من رحمته الخاصة)) ستون للطائفين)) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين)) وأربعون للمصلين)) لاشتغال صلاتهم على حال الناظرين)) وعشرون للناظرين)) أى المكتفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين في مقام الشهود وقد قال تعالى : (أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَنا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ففى تقديم الطائفين إيماء إلى ما تقدم وأشعار إلى أن الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه أعلم، والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسناد حسن وله شواهد ((وإنك)) يامكة)) لخير أرض الله)) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبله خلقه قريبه وبعيده)) وأحب بلاد الله)) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله، وأما حديث « حب الوطن من الإيمان » فلا أصل له)) ولولا أنى أخرجت منك)) أى أمرت بالخروج والهجرة عنك)) لما خرجت)) باختيارى فإن الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها النفس الشهوة والارادة، والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء بلفظ « إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت » وقد ورد « من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة » أخرجه العقيلي فى الضعفاء عن ابن عباس)) وبالمدينة)) أى ويستحب أيضا الإقامة بها مع القيام بآدابها)) فورد فى الصبر على لآوائها)) أى شدة عنايتها ومشقة بلائها)) وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام)) الخاصة بأهل الاسلام)) وشهادته

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نُقِلَ عَنْ أَرْجَاعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَجَّجِ بَعْدَ الْفَرَاغِ
إِلَى الْمَسَا كُنْ تَحَامِيًّا عَنِ الطَّاعَةِ وَأَرْتَكَابِ الذَّنْبِ فَالْإِثْمُ فِيهِ مُتَضَاعِفٌ تَضَاعُفُ
الثَّوَابِ حَيْثُ عَلِقَ الْعَذَابُ بِمَجَرَّدِ الْقَصْدِ فَيَأْوِرِدُ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ)
الآيَةُ حَتَّى قَبْلَ مِنْهُ الْإِحْتِكَارُ . وَقَبْلَ الْكَذِبِ . وَقَبْلَ شَتْمِ الْخَادِمِ . وَتَجْدِيدًا
لِلْإِسْتِثْنَاءِ ، وَالْأَوَّلَى

يوم القيامة) أى بانه من أهل الأكرام فورد ه لا يصبر على لأوائها وشدتها احدا الا
كنت له شفيعا يوم القيامة ، مسلم من حديث أبي هريرة . وابن عمر . وأبى سعيد ومن
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنه لا يموت بها احدا الا كنت له شفيعا أو شهيدا
يوم القيامة ، الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ، وقال الترمذى : حسن صحيح (وما
نقل من أرجاع عمر رضى الله عنه) أى رده أو امره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ)
من الحج والزيارة (إلى المسا كن) أى مسا كنهم الأصلية حيث كان يقول لهم : يا أهل
اليمن بمنسكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم (تحاميا) أى للاحتراز
والاحتراس (عن السائمة) أى الملالة فى الإقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن
من أهل الاستقامة (فالإثم فيه) أى فى حرم مكة (متضاعف) أى فى العقاب
كيفية لا كمية لثلاثين اقض اطلاق قوله تعالى : (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها)
(تضاعف الثواب) أى كتنضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب
والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب أو العقاب (حيث علق العذاب
بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجنب (فيما ورد) فى نص الكتاب (ومن
يرد فيه بالحاد) أى يميل عن الجادة فى العصيان والباء صلة فى مقام البيان
(الآية) تمامها (بظلم) أى عدوان بدل تفسيره وبيان (نذقه من عذاب أليم)
أى مؤلم فى مقام الهجران (حتى قبل منه الاحتكار) أى قصد حبس الطعام
ليقل فيبيع غالبا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) أى قصده الحاد أيضا (وقيل شتم
الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور
وجرمه وعدم العمل بعلمه (وتجديدا للإشتياق) عطف على تحاميا أى ولتحصيل
حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والأولى

الاستفتاء من القلب . والتوطن في موضع أقرب من الخول . وسلامة الدين . وفراغ القلب . ويسر العبادة ، فورد « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقا فاقم به واحمد الله تعالى » وحق الجهاد أن ينوي نصرته الدين . وبذل النفس في رضائه تعالى ، فورد « أفضل الجهاد أن يعقر جوادك ويهراق دمك » ويخرج له يوم الخميس . ولا يغتم بما يصيب

الاستفتاء من القلب) في اقامته ورحلته (والتوطن في موضع أقرب من الخول) فانه أنسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة أهل الفضول وأبعد من الشبهة فان فيها الآفات بكثرة (وسلامة الدين) لانها لم توجد مع مسالة أهل الدنيا فقيل : كن وسطا واهش جانبنا (وفراغ القلب) أي للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) أي سهولته لأهل الارادة قال تعالى : (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضوا واسعة فإياي فاعبدون) (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقا) أي مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فاقم به) أي فاختر الإقامة فيها (واحمد الله تعالى) على ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبراني من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) أي القتال مع الكفار (أن ينوي نصرته الدين) ومعاونة الابرار قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وبذل النفس في رضائه تعالى) قال عز وعلا : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية (فورد أفضل الجهاد أن يعقر جوادك) أي يقتل فرسك أو يهلك (ويهراق دمك) أي يصب وتخرج روحك الطبراني . واحمد وجماعة عن جابر . والطبراني عن أبي امامة أفضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده وهو فرض عين أن هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلاذن وفرض كفاية بدأ (ويخرج له) أي للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام « كان يحب أن يخرج اذا غزا يوم الخميس » احمد . والبخاري (ولا يغتم بما يصيب) أي في طريق الجهاد من نقص في ماله أو جرح في جسده أو فزع في قلبه وتشويش في

فَفِي الْكُلِّ أَجْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى يَكُونَ عَلفٌ دَابَّةً . وَرَوْثًا . وَبَوْلًا .
وَنَوْمًا . وَيَقْظَةً فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَيَجْتَنِبُ فَرَسًا تَخَالَفُ إِحْدَى قَوَائِمِهِ
الثَّلَاثَةَ . وَلَا يَتَمَنَّاهُ

حاله ﴿ في الكل أجر عظيم ﴾ وثواب جسيم، وقد قال تعالى: (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال) الآية، وورد «إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت خطاياهم كما تحاتت عذق النخلة» الطبراني. وأبو نعيم في الحلية عن سلمان «ومن راح راحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة» ابن ماجه. والضياء عن أنس «وما من مجروح يجرح في سبيل الله - والله أعلم بمن يجرح في سبيل الله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه كميئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك» ابن ماجه عن أبي هريرة ﴿حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته في ميزان حسناته﴾ في مسند أحمد. وصحيح البخاري. وسنن النسائي عن أبي هريرة مرفوعا «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه» وفي رواية لابن ماجه. وابن حبان عن تميم الداري «من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه يده كان له بكل حبة حسنة» ﴿ويجتنب فرسا يخالف إحدى قوائمه الثلاثة﴾ من القوائم الأربعة فقد روى أحمد. ومسلم: والأربعة عن أبي هريرة انه عليه السلام «كان يكره الشكال» قال أبو داود. والترمذي أي محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، وقال النسائي: محجل ثلاثة قوائم مطلق واحدة أو العكس وليس الشكال إلا في الرجل، ويؤيده ما رواه الحاكم. والطبراني. والبيهقي عن عقبة بن عامر «إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليد اليمنى فأنك تسلم وتغنم» وفي رواية أحمد. والترمذي. وابن ماجه. والحاكم عن أبي قتادة «خير الخيل الأدهم الأقرح الأرمم المحجل الثلاث مطلق اليمنى فإن لم يكن أدهم فكسيت على هذه الشية، وفي النهاية إن الأدهم الأسود الأقرح - بالقاف - الذي في جبهته يبيض يسير دون الغرة، والأرثم الذي أنفه أبيض وشفته العليا والمحجل الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الاحجال وهي الخلاخيل. والقيود، والكسيت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد والحمرة يستوى فيه الذكر والأنثى ﴿ولا يتمناه﴾ أي

وَيَسْأَلُهُ الثَّابِتُ عِنْدَهُ فَوَرَدَ «لَا تَتَمَنَّا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِنْ لَقِيتُمُوهُ فَاقْتُلُوا» وَيَكْثُرُ ذِكْرُهُ تَعَالَى . وَيَكْفَى عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ . وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ . وَالْأَوْطَانِ . فَهُوَ يَفْتَرُهُ : وَيَغْتَنِمُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا) الْآيَةُ « إِنْ أَرْوَاهُ الشَّهْدَاءُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ وَتَأْكُلُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ مِنَ الْعَرْشِ »

الجهاد فالعافية أوسع لاكثر العباد (ويسأله الثبات عنده) أى عند وجوبه أو وجوده (فورد لا تمنوا لقاء العدو) وفي رواية زيادة « وسلوا الله العافية ، وفي أخرى فانكم لا تدرون ما تبتلون به ، وقال عز وعلا في مقام التوبيخ : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (فان لقيتموه فاقبضوا) وفي رواية زيادة « واكثروا ذكر الله » وفي أخرى زيادة « فان أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت ، النسائي . والحاكم . والطبراني عن ابن عمر وفي رواية للحاكم عن جابر « فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغشاهم أنت ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا » (ويكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذلقستم فئة فاقبضوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال تعالى في الحديث القدسي : « ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ، » (ويكف عن ذكر النساء) أى ويمتنع عن تذكرهن (والأولاد والأموال والأوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يفتريه) أى يحبسه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد « الولد مجبنة » (ويغتنم الشهادة في سبيل الله) فانه من أكبر السعادة عند مولاه (فورد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية) أى (بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) (ان أرواح الشهداء في حواصل طير) أى أجواف طيور (خضر تسرح) أى تسير (وتأكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها تعلق بجسدها في القبر وأمور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي أن يستغربها أهل الارادة ، والحديث رواه مسلم . والترمذي عن ابن مسعود بن زيادة « فاطلع اليهم

وَيُودُونَ الرَّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ وَيَتَمَنَّاها فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ
وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَلَا يَخْرُجُ الْمَشْتَغِلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ . وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ
مَقْدَمٌ ، وَيَخْدُمُ الْغَزَاةَ وَلَوْ كَلْبَهُمْ .

رَبِّهِمْ اِطْلَاعُهُ فَقَالَ: هَلْ تَشْتَمُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
حَيْثُ شَتْنَا فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا:
رَبِّ نَرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوهَا وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (وَيُودُونَ الرَّجُوعَ) أَيْ يَتَمَنُّونَ الْعُودَ
إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ (أَيْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَوَرَدَ مَا مِنْ أَحَدٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ
(إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدَ فَانْهَ يَحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى، إِبْنُ حَبَّانٍ عَنْ أَنَسٍ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ
عَنْهُ فَانْهَ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ، (وَيَتَمَنَّاها)
أَيْ يَتَمَنَّى السَّالِكُ الشَّهَادَةَ وَلَوْ كَانَ فِي مَوْطِنِ الْعِبَادَةِ (فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ) أَيْ
حَصُولِ مَرْتَبَتِهِمْ (وَإِنْ مَاتَ) أَيْ الْمَتَمَنَّى (عَلَى الْفِرَاشِ) لِأَنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ
فَعَنْ مَعَاذٍ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مَخْلَصًا اعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ (وَلَا
يَخْرُجُ الْمَشْتَغِلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ) أَيْ الْعِيَالِ لِإِشْتَغَالِ الْبَالِ فَلَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْكَمَالُ فِي
الْحَالِ وَلِضَرُورَةِ مَعِيشَةِ الْأَهْلِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ، وَقَدْ وَرَدَ إِذَا حَرَّمَ أَحَدٌ كَمَ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ
فَعَلَيْهِ بِالْجِهَادِ، الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي الْغَزْوِ -
تَعْلَمُونَ عَمَلًا أَفْضَلَ بِمَانَحْنُ فِيهِ؟ قَالُوا: لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ رَجُلٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عَائِلَةٍ
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَظَرَ إِلَى صَدْيَاقِهِ نِيَامًا مُتَكَشِّفِينَ فُسْتَرَهُمْ وَغَطَّاهُمْ فَعَمَلُهُ أَفْضَلُ بِمَانَحْنُ فِيهِ
(وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ مَقْدَمٌ) أَيْ عَلَى الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَرَضٌ عَيْنٍ فَمِنْ ابْنِ عُمَرَ إِذَا
كَانَ الْجِهَادُ عَلَى بَابِ أَحَدٍ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِإِذْنِ أَبِيهِ، رَوَاهُ ابْنُ عَدَى (وَيَخْدُمُ
الْغَزَاةَ) أَيْ يَطْبِخُ طَعَامَهُمْ وَغَسَلَ ثِيَابَهُمْ وَخِدْمَةُ دَوَابِهِمْ (وَلَوْ كَلْبَهُمْ) وَهَذَا صَادِقٌ
عَلَى مَنْ يَخْدُمُهُمْ وَهُوَ مَعَهُمْ كَمَا وَرَدَ «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ» ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ.
وَالْخَطِيبُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِهِ. وَالْيَهُودِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَلَفْظُهُ
«سَيِّدُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ خَادِمُهُمْ» فَمَنْ سَبَقَهُمْ بِخِدْمَةِ لَمْ يَسْبِقُوهُ بِعَمَلِ الْإِسْتِشْهَادِ، وَفِي رِوَايَةٍ
الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَفْضَلُ الْغَزَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَادِمُهُمُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ بِالْأَخْبَارِ وَإِخْصَمُهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ مِنْزِلَةُ الصَّائِمِ أَوْ يَخْلِفُهُمْ وَيَخْدُمُ أَهْلَهُمْ» فَنِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

ويجهزهم . ويعظم أفراسهم ويعيدها ليوم اللقاء ، ففي الكل فضائل .
ويتعلم الفروسية . والمسابقة لامتحان الكرم . والرمي فهو سنة . ولا يترك ،
فورد « من ترك الرمي بعدما عليه فأنما هي نعمة كفرها »

« أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج » (ويجهزهم)
أي يهيئ أسباب سفرهم فورد « من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى
يموت أو يرجع » ابن ماجه عن عمر (ويعظم أفراسهم) جمع فرس فقد ورد الخيل
معقود بنواصي الخير الى يوم القيامة الاجرو المغمم ، احمد والشيخان وغيرهما كما
ان يكون متواترا ، وفي رواية لاحد عن جابر زيادة « واهلها معانون عليها فامسحوا
بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار » (ويعيدها) بضم
فكسر فشداى يربطها (ليوم اللقاء) أي لوقت ملاقاته الأعداء قال تعالى : (وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية (ففي
الكل فضائل) لأرباب الشئان (ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم)
أي الطبع المكرم في المجاهدة والملاحقة فقد ورد « أحب الله إلى الله تعالى أجرا الخيل
والرمي ، ابن عدي عن ابن عمر ، وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم
الطرفين اركبوا وانتصروا وان تنصلوا أحب الى الحديث الطبراني في الأوسط عن
أبي هريرة « لاسبق الا في خف أو حافر أو نصل ، أحمد والاربعة عن أبي هريرة ، فالمراد
بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار والنصل الرمي وفي رواية « كانت المسابقة
بين الصحابة في الخيل والابل والرجل ، (والرمي) أي ويتعلمه (فهو سنة) فمن
عقبة بن عامر مرفوعا « الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ، أحمد .
ومسلم . وأبو داود : وابن ماجه « ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
يحتسب به في صنعة الخير . والرامي به . ومنبله ، أحمد والثلاثة عن عقبة بن عامر « من رمى
بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق رقبة » ابن حبان عن كعب بن مرة ، وفي رواية النسائي
عنه « من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن ما بين
الدرجتين مائة عام » (ولا يترك) أي الرمي لثلاث ينسى (فورد من ترك الرمي بعدما عليه)
أي رغبة عنه كما في رواية (فأنما هي نعمة كفرها) الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر ،
وفي رواية ابن ماجه عنه « فقد عصاني » وفي رواية مسلم عنه « فليس منا » وفي رواية أحمد

﴿الباب الخامس في التزوج والتخلي﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فِي النِّكَاحِ فَوَائِدٌ، حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الشَّيْطَانِ ،
فُورِدَ « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ »

والترمذى والبيهقى عنه ، فقد كفر الذى علمه ، وعن أبى هريرة « من تعلم الرمى ثم نسيه فهي نعمة جعدها » ابن النجار .

﴿الباب الخامس في التزوج والتخلي﴾

أى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلي واستيثارا للتجلى ، اعلم ان العلماء اختلفوا فى فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه أفضل من التخلي لعبادة الله تعالى ؛ وعكس جماعة وقال آخرون : الأفضل تركه فى زماننا وقال بعضهم : أفضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان للنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال فى الاستقبال ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم ﴿ فى النكاح فوائد ﴾ كثيرة ومنافع شهيرة ذكر منها احدى عشرة ﴿ حفظ النفس من الشيطان ﴾ أى صيانتها عن وسوسته واغوائه ﴿ فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه ﴾ تمامه « فليتق الله فى الشطر الثانى » وفى رواية « فى الشطر الآخر » ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ « استكمل نصف الايمان ، وفى المستدرک وصحح اسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه » وهذا لان حفظ أصل الدين غالبا يتعلق بنصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج ، وقال ابن عباس : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ، وكان ابن مسعود يقول : لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ، وماتت امرأتان لما ذبن جبل فى الطاعون وكان هو أيضا متهما فقال : زوجنى فانى أكره ان ألقى الله عزبا ، وعن أبى هريرة مرفوعا « شراركم عزابكم ور كعتان من متأهل خير من سبعين ر كعة من غير متأهل » ابن عدى ، ورواه أحمد عن أبى ذر « شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم » وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة ، وقيل : لغرض البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الأرض ويولد له كذا

وَيَزِيدُ إِلَى الْأَرْبَعِ أَنْ لَمْ يَعْتَصِمَ بِوَاحِدَةٍ ،

في الأحياء ، والحاصل أن غلبة الشهوة محنة عامة قل أن يتخلص منها أحد ، قال قتادة : في قوله تعالى : (ولا تحملن ما لا طاقة لنا به) أن ذلك هو الغلبة وهي غلبة الشهوة ، وعن عكرمة . ومجاهد أنهما قالاً في معنى قوله : (وخلق الإنسان ضعيفاً) : أنه لا يصبر عن النساء ، وقيل في قوله تعالى : (وإن تصبروا خير لكم) أن الصبر عن النساء أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ، وقال ابن نجيم : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه ، وفي نوادر التفسير عن ابن عباس في قوله : (ومن شر غاسق إذا وقب) قال : قيام الذكر ، وفي دعائه عليه السلام « اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيتي » أبو داود والنسائي . والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال : « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي » البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله لأن ذلك يدفع الوسواس عنه » ، رواه أحمد من حديث أبي كبشة الأنصاري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال : وكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أعمالكم أتيان الحلال وإسناده جيد ، فروى جابر أنه عليه السلام « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال : ان المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان وإذا أدبرت أدبرت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها » ، رواه مسلم . والترمذي واللفظ له وقال : حسن صحيح ، وروى أنه أنصرف الناس يوماً عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم أردت أن أسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهالك واجلك فقال ابن عباس : إن العالم بمنزلة الأب فما أفضيت به إلى أيك فافض به إلى فقال : اني شاب لازوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي وربما استمنيت يدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال : أف وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا » (ويزيد) النساء » إلى الأربع أن لم يعتصم بواحدة » و كان الأولى أن يقول أن لم يعتصم بالآقل وهذا لقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو بمعنى أو أي اثنتين اثنتين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعا أربعا ، وعن ابن عباس « خير هذه الأمة أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري . وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا

وَيُبدَلُ بِأُخْرَى إِنْ تَنَفَّرَ الطَّبَعُ ، وَزِيَادَةُ الرَّغْبَةِ فِي لَذَاتِ الْجَنَّةِ فَلَذَةُ الدُّنْيَا
أَمْوُذَجٌ وَقَطْعُ الْمَلَالَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ دَوَامِ الْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « لِكُلِّ شَرِّةٍ فِتْرَةٌ فَمَنْ
كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَهْتَدَى »

لأن علياً رضي الله عنه كان ازهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له أربع
نسوة وسبع عشرة سرية، وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليالٍ، ويحكى عن ابن عمر - وكان من زهاد
الصحابه وعلمائهم - أنه يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلي
المغرب ثم يغتسل ويصلي، وروى أنه جامع ثلاثاً من جواريه قبل العشاء في رمضان قبل
العشاء الأخيرة (ويبدل بأخرى إن تنفر الطبع) فإن المقصود هو الاعتصام بالشرع
ويقال: إن الحسن بن علي كان منكاحاً نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على
أربع في عقد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن (وزيادة الرغبة في لذات
الجنة فلذة الدنيا أموذج) بضم الهذرة والميم معرب نمونه أي عينة تدل على صفة
بينة، وقد أكثر الله سبحانه في كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك
المكان الأمين (وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة) وذلك بترويح النفس
وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والمؤانسة ولذا قال تعالى: (ليسكن إليها) فالنفس
إذا كلفت المداومة بالأكراه على المخالفة جمحت وتأبت وإذا روحت باللذات في بعض
الأوقات قويت ونشطت ومنه كليني يا حميراء، وعن علي روحوا القلوب عن الذكر
فإنها إذا كرهت عميت ففي الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن
الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغي أن يكون
لنفوس أرباب العبادات استراحات إلى المباحات وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث
ساعات ساعة يناجي فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه. وساعة يخلو فيها لمطعمه
ومشربه» أي وما يقتضي أنسه والحديث رواه ابن حبان من حديث أبي ذر في حديث
طويل «أن ذلك في صحف إبراهيم» وفي لفظ آخر «لا يكون العاقل العامل طاعناً إلا في
ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم، رواه ابن حبان من حديث أبي ذر الطويل
أن ذلك في صحف إبراهيم» (فورد لكل شره) بكسر المعجمة وتشديد الراء أي كد وجد
في طاعة ونشاط ورغبة في حاجة (فترة) أي كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة
للاستراحة (فمن كانت فترته) من الفرض (إلى سنتي فقد اهتدى) أحمد والطبراني

وَهُوَ لَا يَعْمُ لَا نَقَطَاءَهَا لِبَعْضِ بِالمَاءِ وَالْبُسْتَانِ وَفَرَاغُ الْقَلْبِ مِنْ تَدِيرِ الْبَيْتِ
لِلْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « زَوْجَاتِي أَعْوَانِي عَلَى الطَّاعَةِ » وَهُوَ يَخْصُ لِمَنْ لَا يَدْبُرُ فِيهِ . وَلَا

من حديث عبد الله بن عمر رواه البيهقي « ومن كانت الى خير ذلك فقد هلك » والترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح، ولفظه « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة ، الحديث ، والترمذي عن أبي هريرة « لكل شىء شرة ولكل شرة فترة فان كان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير اليه بالأصابع فلا تعدوه » والحاصل ان لكل نشاط في العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء أو أثناء فينبغي للسالك أن يصرف تلك الفترة الى عبادة أخرى أو شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ؛ ولذا قال (وهو) أى قطع الملالة بمصاحبة النساء (لا يعم) جميع السالكين (لا نقطاءها) أى الملالة (للبعض) أى بعض العاملين (بالماء) أى الجارى (والبستان) أى المشتغل على الخضرة ، فعن ابن عمر مرفوعا « ثلاث يحلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن » أخرجه الديلمي ، وعن علي أيضا بمعناه . وعن ابن عباس أنه عليه السلام « كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى » أبو نعيم . وابن السني وفي روايتهما عن علي « كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر ، والترمذي عن معاذ انه عليه السلام « كان يستحب الصلاة فى الحيطان أى البساتين المشيرة الى الجنان » (وفراغ القلب) أى لذكر الرب (من تدبير البيت للعبادة) كما هو جار فى العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للبانى وتنظيف الاوانى وتهئية أسباب المعيشة المعينة للعانى ، وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » وقد فسر قوله تعالى : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) بالمرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) بالخور العين (وقنا عذاب النار) بالمرأة السليطة ، وقيل : فى تفسير قوله تعالى (فلنجينه) حياة طيبة) أى نزوجه صالحة ، وعنه عليه السلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكر اولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » الترمذي . وابن ماجه من حديث ثوبان (نورد زوجاتى أعوانى على الطاعة) الخطيب فى التار يخ من حديث ابن عمر ولفظه « فضلت على آدم بنخصلتين كانت زوجته عوناله على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة و كان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير » (وهو) أى الفراغ المذكور (يخص لمن لا يدبر فيه) أى فى البيت بنفسه لعجزه (ولا

يَشُوْشُهُ حَقُّ الزَّوْجِيَّةِ فِي أَمْرِهِ . وَكَثْرَةُ الْعَشِيرَةِ لِيَدْفَعَ بِهِمُ الشَّرَّ فَيَسْلَمَ .
وَالرِّيَاضَةُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ . وَاحْتِمَالُ جَفَائِهِمْ ، فَوَرَدَ فِيْمَنْ أُحْتَمِلَهَا « كَانَ
مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ » وَهُوَ يُخَصُّ بِالْمُبْتَدَى لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى الرِّيَاضَةِ وَبِظَاهِرِ الْعَمَلِ
فَالْإِنْفَاقِ أَوَّلَى لِأَنَّهُ مُتَعَدِّ بِخِلَافِ صَاحِبِ الْبَاطِنِ فَعَمَلُهُ أَشْرَفُ ،

يشوشه حق الزوجية في أمره و كثرة العشيرة ليدفع بهم الشر أي ضرر أهل الفساد
ومنازعة أهل العناد (فيسلم) أي فارغ القلب في طلب الخير ، ولذا قيل : ذل من
لأنصر له (والريضة) أي تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهم) من نفقتهم وكسوتهم
(واحتمال جفائهم) من إيذائهم وبلائهم والصبر على سوء أخلاقهم والسعي في إصلاح
أحوالهم وإرشادهم إلى طريق الدين وإيمانهم والقيام بتربية الأولاد وصيانتهم عن
الفساد ، وفي كل هذه الأحوال فضائل عظيمة وشبائل وسيمة فإنها رعاية وولاية وحماية
وقد ورد : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، متفق عليه من حديث ابن عمر ،
« ويوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » الطبراني . والبيهقي من حديث
ابن عباس (فورد فيمن احتملها كان معي في الجنة) لم أر مخرجه ، وفي بعض الحواشي
« من تحمل كلمات جفاء أهله فله ثواب سبعين شهيداً » ، وفي رواية « من تحمل من امرأته
كلمة واحدة أعطاها الله ثواب ألف شهيد ودفع عنه ظالة قبره وضيقه » ، وذكر في الأحياء
أن في أخبار الأنبياء أن قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج
فتؤذيه امرأته فـ تـ طـ يـ ل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال : لا تعجبوا فاني سألت
الله فقلت : ما أنت معاقب لي في الآخرة فعجله في الدنيا فقل : ان عقوبتك بنت فلان
فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها (وهو) أي الارتياض (يخص بالمبتدئ .
لاحتياجه إلى الريضة) أي تهذيب النفس عن الأخلاق الذميمة (وبظاهر العمل)
أي ويخص أيضا بالذي من أهل العمل الظاهر (فالإنفاق أولى) أي في حق
(لأنه متعد) أي نفقه والعمل الظاهر نفقه قاصر ، ومن هنا قال عليه السلام :
« ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة » الشيخان عن ابن مسعود ، وإن الرجل ليؤجر
في رفع اللقمة إلى امرأته ، الشيخان عن سعد بن أبي وقاص (بخلاف صاحب
الباطن فعمله أشرف) لأنه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال

وَالْوَلَدُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ فِيهِ مَحَبَّةُ تَعَالَى بِتَحْصِيلِ حِكْمَتِهِ تَعَالَى . وَهِيَ
بَقَاءُ جِنْسِ الْإِنْسِ . وَالتَّحَرُّزُ عَنْ تَعْطِيلِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَقَاصِدِ ،

ولكنه نادر بين الرجال، ولذا ورد أكثر الأحاديث في مدح الأعمال، منها قوله عليه السلام «ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال» ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقوله: «اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها» أحمد من حديث عائشة، وقوله «من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الله بطلب المعيشة» الطبراني في الأوسط. وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، وقال بعض العلماء: عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال ((والولد وهو المقصود الاصل)) من هذا الحكم الفرعي ((ففيه)) أى فى تحصيل الولد بالنكاح أربعة أمور ((محبة تعالى)) أى اثر محبة ((بتحصيل حكمته تعالى)) وهى بقاء جنس الانس ((فى ملكته)) وفق ارادته ((والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد)) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صالح لطاعته فاللسان للذكر . والقلب للفكر . والاذن للاستماع . والعين للنظر . واليد للبش والرجل للسعى، وفى الاحياء هذا أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجاهل وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته، ويانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهبأله أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكامل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للعتق والعقاب من سيده ، فانه سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة فى الفقار وهبأله فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الالباب بتعريف ما أعدت له هذه الاسباب هذا ان لو لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطى لما خلق الله من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلق المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ، ولا يخفى ما ورد من أمر الشارع حيث قال تعالى :

وَمَحَبَّتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِسْتِثْنَانِ ، فَوَرَدَ «النِّكَاحُ سُنَّتِي» وَتَكَثِيرُ
الْأُمَّةِ ، فَوَرَدَ «تَنَاحُوا تَكَثُرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْإِمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(وَأَنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم) (وورد «من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا يلصم فإن الصوم له وجاء »
متفق عليه من حديث ابن مسعود « من كان ذا طول فليتزوج ، ابن ماجه من حديث
عائشة ، ومن ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا » الديلمي من حديث أبي سعيد . والدارمي
في مسنده . والبغوي في معجمه وأمله مقتبس من قوله تعالى : (إن يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله والله واسع عليم) وقد ورد « التمسوا الرزق بالنكاح » الديلمي وغيره عن
ابن عباس مرفوعاً ، وللثعلبي عن ابن عجلان « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فشكى إليه
الحاجة والفقر فقال له : عليك بالباءة ، أي النكاح والله تعالى يقول في كتابه : (إن
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ، وأما الذي يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء
يغنكم الله ، فإما هو معناه ، وروى الديلمي . والبزار . والدارقطني في العلل ، والحاكم .
وابن مردويه من حديث عائشة « تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال ، وعن الحسن
ابن علي رأيت الغنى في النكاح والطلاق أما النكاح فقول سبحانه : (إن يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله) وأما الطلاق فقول تعالى : (وإن يفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد قيل في
حق بشر : انه تارك للسنة فقال : أنا مشغول بالفرض عن السنة فموتب مرة أخرى فقال :
ما يمنعني من الزوج الا قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (ومحبه عليه
الصلاة والسلام بالاستثنان) أي بالعمل للسنة (فورد النكاح سنتي) تمامه فمن أحب
فطرتي فليستن بسنتي » أبو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن ، وفي رواية الشيخين
عن أنس « فمن رغب عن سنتي فليس مني » (وتكثير الأمة) أي التي بكثرت فيهم الأمة
(فورد تناحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم) أي في الكثرة (يوم القيامة)
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر . وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن أبي بلال
مرسلاً ، وفي رواية « تناحوا تكثروا فاني أباهي بكم يوم القيامة » ، وفي رواية أبي داود . والنسائي .
والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً « تزوجوا الودود الود فاني
مكاثركم الامم ، ولاحمد . والبيهقي وصححه ابن حبان . والحاكم عن أنس « كان
رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبطل نهياً شديداً ويقول : تزوجوا الودود الودود

وَلَوْ بِالسَّقَطِ، وَبِرَكَّةِ الدُّعَاءِ أَنْ بَقِيَ بَعْدَهُ، فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مِنْ الْعَمَلِ
الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ » وَالشَّفَاعَةُ أَنْ مَاتَ قَبْلَهُ، فَوَرَدَ « إِنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى
الْجَنَّةِ » وَأَفَاتٌ وَهِيَ كَسْبُ الْحَرَامِ فَالْمُعِيلُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ لِلتَّوَسُّعِ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنَّهُ
هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ، وَفَوَاتُ الْحَقُوقِ،

فَأَنَّى مَكَاتِرُ بَكْمِ الْأَمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، « وَلَوْ بِالسَّقَطِ » وَهُوَ الْوَلَدُ الَّذِي خُلِقَ بَعْضُهُ، وَقَدْ ذَكَرَ
الْبَيْهَقِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ فِي الْمَعْرِفَةِ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ « وَبِرَكَّةِ الدُّعَاءِ أَنْ بَقِيَ » أَيُّ الْوَلَدِ « بَعْدَهُ »
أَيُّ بَعْدِ وَالِدِهِ « فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعَمَلِ الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ » هِيَ أَيُّ حَيْثُ قَالَ: « كُلُّ عَمَلٍ
ابْنِ آدَمَ يَنْقُطُ مِنَ الْإِثْلَاقَةِ قَدْ كَرِهَ فِيهِ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
« (وَالشَّفَاعَةُ) » أَيُّ وَبِرَكَّةِ الشَّفَاعَةِ « (أَنْ مَاتَ) » الْوَلَدُ « (قَبْلَهُ) » أَيُّ قَبْلَ وَالِدِهِ فَقَدْ قِيلَ نَعَمْ
الْوَلَدُ أَنْ عَاشَ نَفَعَ وَأَنْ مَاتَ شَفَعَ « (فَوَرَدَ أَنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ) » ابْنُ مَاجَةَ مِنْ
حَدِيثِ عَلِيٍّ وَقَالَ: السَّقَطُ بَدَلُ الطِّفْلِ وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ أَنَّ الطِّفْلَ لِيَجْرَاهُ بِهِ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ،
وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ « يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الْآنَ أَخْذُ بِثَوْبِكَ، وَوَرَدَ أَيْضًا
« أَنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيُظَلُّ مُحْبَضًا - أَيُّ مَمْتَلَأًا غِيظًا
وَعُضْبًا - وَيَقُولُ: لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَأَبَوَايَ مَعِيَ فَيُقَالُ: ادْخُلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ » ابْنُ حَبَّانَ
فِي الضَّعْفَاءِ مِنْ رِوَايَةِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يُقَالُ لَهُمْ:
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُهَا فَيُقَالُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، وَاسْنَادُهُ
جَيِّدٌ وَقَدْ قِيلَ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (نَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِي شَتَّمْتُ وَقَدْ مَوَا
لَا نَفْسَكُمْ) تَقْدِيمُ الْأَطْفَالِ لِلْآخِرَةِ « (وَأَفَاتٌ) » أَيُّ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ مِنْهَا ثَلَاثٌ « (وَهِيَ كَسْبُ
الْحَرَامِ فَالْمُعِيلُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ) » أَيُّ إِلَى كَسْبِهِ أَوْ أَكَلِهِ « (لِلتَّوَسُّعِ) » فِي الطَّعَامِ « (وَوَرَدَ فِيهِ) »
أَيُّ فِي حَقِّ مَنْ كَسَبَ الْحَرَامَ لِعِيَالِهِ « (أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ) » قَالَ فِي الْأَحْيَاءِ
فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْعَبْدَ لِيُوقِفَ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيَسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ
عِيَالِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ إِيْنَا كَتَسَبَهُ وَفِيمَا انْفَقَهُ حَتَّى يَسْتَفْرِغَ بِتِلْكَ الْمَطَالِبَاتِ
كُلِّ أَعْمَالِهِ فَلَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ فَتَنَادَى الْمَلَائِكَةُ هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَارْتَهَنَ
الْيَوْمَ بِعَمَلِهِ، قَالَ الْعِرَاقِيُّ: لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا
سَلَطَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا نِيَابَاتِنَهْشَهُ - يَعْنِي الْعِيَالَ - « (وَفَوَاتُ الْحَقُوقِ) » أَيُّ الزَّوْجِيَّةُ بِالْقُصُورِ

فورد « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول » والشغل عنه تعالى بتدبير
المعيشة ، وجمع المال . والأدخار . والتفاخر . والاستغراق بالتمتع والموانسة
فإن تحققت الفائدة . وانتفت الآفة يتعين النكاح وإن انعكس يتعين التجرد .
وإن تقابلاً

عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن ﴿ فورد
كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ﴾ أبو داود . والنسائي بلفظه من يقوت وهو عند
مسلم بلفظ آخر وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلاة
ولا صياماً حتى يرجع اليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقوقهن وإن كان حاضراً فهو هارب
عنهن ؛ وقال تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ أمرنا أن نقيم النار كما نقي أنفسنا
والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف
إليه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء وإذا كثرت كثرة السوء غالباً وبذلك اعتذر
بعضهم عن الزوج وقال : أنا مبتلى بنفسى فكيف اضيف إليها نفساً أخرى لم تسع الفأرة
في جحرها علقت المكسر في دبرها ، وكان سفيان يقول : يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن
تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صباح ﴿ والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ﴾ ومنه
قوله تعالى : ﴿ شغلتنا أموالنا واهلونا فاستغفر لنا ﴾ ﴿ وجمع المال ﴾ في الحال ﴿ والأدخار ﴾
للاستقبال ﴿ والتفاخر ﴾ بالتكاثر بالأموال والأولاد بين الرجال وكل ما شغل عن
الله فهو مذموم في الحال والمآل ، ومن هنا قال بعض الفضلاء : ضاع العلم في اتخاذ النساء ،
وقال ابن آدم : من تعود اتخاذ النساء لم يحىء منه شيء . أي من مقامات الأولياء ، وقال
أبو سليمان من تزوج ركن إلى الدنيا أي واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى ﴿ والاستغراق
بالتمتع ﴾ أي الانتفاع بالنساء ﴿ والموانسة ﴾ أي بالاجتماع معهن في المسكامة والمجالسة
إذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك ﴿ فإن تحققت الفائدة ﴾ بجميع
أفرادها ﴿ وانتفت الآفة ﴾ بتمام موادها ﴿ يتعين النكاح ﴾ لمن قدر عليه بأن كان له مال
حلال وخلق حسن وجد في الدين بأن لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب
محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير المنزل والمعيشة ﴿ وإن انعكس ﴾
بأن انتفت الفائدة وتحققت الآفة ﴿ يتعين التجرد ﴾ فلا يميل إليه ﴿ وإن تقابلاً ﴾ أي

يَأْخُذُ بِالرَّاجِحِ . فَفَوَاتُ الشُّغْلِ بِهِ تَعَالَى وَطِيبَ اللَّقْمَةِ الْفَحْشُ مِنْ فَوَاتِ
 الْوَلَدِ لِأَنَّهُ لَا يُجْبِرُهُمَا وَلَآئِهِ مَوْهُومٌ وَهُمَا نَاجِزَانِ ، وَكَذَا الزَّانَا الْفَحْشُ مِنْ
 كَسْبِ الْحَرَامِ لِأَنَّهُ قَتْلٌ حَكْمِيٌّ بِتَحْصِيلِ وَلَدٍ لَيْسَ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهِ . وَلَآئِهِ
 حَرَامٌ لَعَيْنِهِ . وَالْكَسْبُ لغيرِهِ بِخِلَافِ النَّظَرِ . وَالْهَمُّ لِدَوَامِ الْكَسْبِ وَسِرَايَةِ
 شَرِّهِ إِلَى الْغَيْرِ

الجنسان من الفوائد والآفات ((يأخذ بالراجح)) من الحالات ((ففوات الشغل به
 تعالى وطيب اللقمة الفحش من فوات الولد)) بترك النكاح ، وصورته ان شخصا اذا
 تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع في لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل
 الولد له فينفعه في العقب فالراجح عدم التزوج ((لانه)) أى وجود الولد على الفرض
 والتقدير ((لا يجبرهما)) أى لا ينفى بمقابلته فوات الشغل وطيب اللقمة ((ولانه)) أى الولد
 ((موهوم)) وجوده ((وهما)) أى فوتهما ((ناجزان)) أى نافذ كل واحد في مرتبة
 شهوده ((وكذا الزنا)) أى وقوعه ((فافحش من كسب الحرام)) وصورته ان شخصا
 اذا تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في الزنا فالراجح التزوج ((لانه))
 أى الزنا ((قتل حكى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه)) لان ولد الزنا كل احد
 يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ((ولانه)) أى الزنا ((حرام لعينه)) أى لذاته مع عدم
 ملاحظة سائر جهاته ((والكسب)) أى لان كسب مال الحرام حرام ((لغيره))
 أى لالذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره ، والحاصل ان كسب الحرام اهلون الشرين
 في هذا المقام ((بخلاف النظر والههم)) أى القصد بفعل الزنا ، وصورته ان شخصا اذا
 تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في النظر والههم فالراجح عدم التزوج
 فهما ليسا بالفحش من كسب الحرام بل هو الفحش منهما ((لدوام الكسب)) أى وندور
 النظر والههم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والههم صغيرة ((وسراية شره))
 أى شر كسب الحرام ((الى الغير)) من الزوجة والولد ونحوهما ، وأيضا النظر زنا
 العين ولكن اذا لم يصدق الفرع فهو اقرب الى العفو من أكل الحرام الا أن يخاف من
 افشاء النظر إلى معصية الفرع فيرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والههم من
 حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض

وَعِنْدَ الْأَمْنِ؛ فَالْأَوَّلَى الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ عِنْدَ عَظَمِ الْقُوَّةِ كَمَا كَانَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالنِّكَاحُ لِصَاحِبِ الظَّاهِرِ وَالْعَزُوبَةِ
لِصَاحِبِ الْبَاطِنِ كَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثُمَّ الْأَصْلُ تَرْكُ الشَّاعِلِ عَنْهُ تَعَالَى فَيَنْظُرُ

البصر لكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فالأولى ترك النكاح لأن عمل
القلب إلى العفو أقرب فأنما يراى أدفراغ القلب لعبادة الرب ولا يتم العبادة مع كسب الحرام
وأكله وإطعامه في العادة ﴿وعند الأمن﴾ من الآفات ﴿فالأولى الجمع بينه﴾ أى
بين الزوج ﴿وبين العبادة﴾ فإنه أكمل الحالات وأفضل المقامات ﴿وهو﴾ أى
الجمع ﴿عند عظم القوة﴾ فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت
صولة نهمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه إلى حضرته ﴿لما كان لرسول الله
ﷺ﴾ وصحابته ﴿وان لم يقدر﴾ أى على الجمع بينهما ﴿فالنكاح لصاحب الظاهر﴾
أى لمن يشتغل بالعمل الظاهر أولى ومنهم أرباب العبادة ﴿والعزوبة لصاحب الباطن﴾
أى عمله ومنهم أصحاب المعرفة أقرى ﴿كالمسيح عليه السلام﴾ وتحققه ما قاله حجة
الاسلام ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتحليا
لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له من المرام
بلا يكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم
من تدبيرهم حتى أنهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم
غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلومه من الدرجات فى المقام لا يمنعه أمر
هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحي وهو فى فراش امرأته ومتى
يسلم مثل هذا المنصب لغيره فى حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه وأما
عيسى عليه السلام فإنه أخذ بالحزم فى طاعته لا بالقوة فى حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر
فيها الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر معهم طلب الحلال أو لا يتيسر له الجمع بين النكاح
والتخلي للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلي للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم
باسرار احوالهم وأحكام اعصارهم فى مطالب انوارهم، وسبحان من اقام العباد فيما
اراد ﴿ثم الاصل﴾ أى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما ﴿ترك
الشاعل عنه تعالى﴾ فقد قال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ ﴿فينظر﴾ أى يتفكر ويتأمل

وَيَخْتَارُ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ . وَصَلَحِ الْقَلْبُ وَيَجْتَهِدُ الْمُتَخَلِّي فِي تَرْكِ أَغْذِيَةِ تَحْرُكِ
الشَّهْوَةِ وَقَطْعِهَا بِالصَّوْمِ الدَّائِمِ وَالْإِقْتِصَارِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ وَغَضِّ الْبَصَرِ وَهُوَ
بِالْإِعْتِزَالِ ، وَوَرَدَ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ) وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِكُلِّ عَضْوَةٍ زَنَا ، هَذَا وَالنَّظْرُ يَهِيْجُ الْوَسَاوِسَ . وَرُبَّمَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ وَيَتَعَذَّرُ
الْوُصُولُ فَيُفْضَى إِلَى التَّعَبِ الشَّدِيدِ مَا يَسْتَوْفِي الْقَلْبَ . وَأَيْضًا كُلُّ عَضْوٍ يَصْلَحُ
لِنِعْمَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ

((ويختار)) ما هو الأول من النكاح وتركه ((بحسب الباطن)) أى صفاته ((وصلاح
القلب)) أى وضيائه ((ويجتهد المتخلى)) أى المتجرد للعبادة باختيار العزوبة ((فى
ترك اغذية)) جمع غذاء وهو ما يتغذى به من غذاء وعشاء ((تحرك الشهوة)) أى
تقويها من هريسة ونحوها ((وقطعها بالصوم الدائم)) فانه لها وجاء أى دواء كما تقدم
واصل الوجاء رض الخصيتين ((والاقتصار)) أى بالاختصار ((عند الإفطار)) على
التوسط فى الاكل ((وغض البصر)) عن المحرمات ((وهو بالاعتزال)) يحصل على
وجه الكمال والافتعس فى جميع الأحوال ((وورد قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم))
تمامه ((ويحفظوا فروجهم)) وفى عطف الجملة الثانية إشارة الى ان مدارها على الأولى فى
المحافظة ((وجعل عليه السلام لكل عضوة زنا)) فعن ابن مسعود « العينان تزنيان واليدان
تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى » أحمد والطبرانى ((هذا)) أى خذ هذا أو هذا
مضى ((والنظر يهيج الوسوس)) أى يبعثها ويحرك الهواجس ((وربما يتعلق
القلب)) بالمنظور اليه ((ويتعذر الوصول)) بما لديه ((فيفضى)) ذلك التعلق ((الى
التعب الشديد بما يستوفى القلب)) من التعلق بالمطلب ويمتنعه بالكفاية عن ذكر الرب فعن
عيسى عليه السلام انه قال : اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها صاحبها فتنة
ولقد احسن القائل من أهل الفضائل حيث قال :

وانت اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

((وأيضاً كل عضو يصلح لنعمة اخروية)) فالرجل للبشى فى رياض الجنة وقصورها

فَالْعَيْنُ لِلْقَائِنِ تَعَالَى فَحَقِيقٌ أَنْ تُصَانَ، ثُمَّ الصَّوَابُ فِي الْكَفِّ أَنْ قَدَرَ وَالْأَلَا
فَالنَّجَاءُ وَلَا إِثْمٌ إِنْ فَقَدَ الْقَصْدَ، فَوَرَدَ «لَكَ الْأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ» وَالضَّرَرُ فِي
الْأَمْرِ أَشَدُّ لِمَتَنَاعِ الْوُصُولِ فِي الشَّرْعِ، وَيُرَاعَى الْمُتَزَوِّجُ الْإِعْتِدَالَ فِي الْوَقَاعِ
فَالْأَفْرَاطُ فِي الْجَمَاعِ يَقْهَرُ الْعَقْلَ بِصَرْفِ الْهَمَّةِ إِلَى التَّمَتُّعِ. وَيَحْرَمُ عَنِ الْمَقْصُودِ.
وَيَفْضُ إِلَى تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمَقْوِيَةِ لِلشَّهْوَةِ. وَهُوَ كَتْنِيهِ السَّبْعِ الضَّارِي وَالْعَشَقِ
وَهُوَ يَجْعَلُهُ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ.

واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها (فالعين للقائنه تعالى
فحقيق ان تصان) أي تحفظ عما ليس في رضائه، والله در القائل :

وكيف ترى لبلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع
وتظفر منها بالكلام وقد جرى حديث سواها في خروج المسامع

(ثم الصواب) أي الطريق العدل للتخلي (في الكف) أي كف النظر وامتناع
البصر (ان قدر) على ذلك (والا فالنجاء) أي الفرار عما هنالك (ولا اثم ان فقد
القصد) في النظره (فورد) أي انه عليه السلام قال لعل : (لك الأولى وعليك الثانية) هـ
أي لك النظرة الأولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد
(والضرر) أي ضرر النظر (في الأمر أشد) أي أقوى من المرأة (لامتناع
الوصول في الشرع) وزيادة القبح في العرف والفرع (ويراعي المتزوج الاعتدال
في الوقاع) أي الجماع وهو في كل اربع من الايام والليالي كما سيأتي هـ (فالافراط
في الجماع يقهر العقل) أي يغلبه هـ (بصرف الهمة) أي تمامها (إلى التمتع) بالشهوة
ونظامها هـ (ويحرم عن المقصود) الذي هو القيام بالعبادة هـ (ويفضى إلى تناول
الاشياء المقوية للشهوة) من المعاجين والأدوية والمركبة والمفردة هـ (وهو) أي
تناولها هـ (كتنبيه السبع الضاري) أي الصائل على من يقربه والراحة في البعد
عنه أو القرب اليه مع نومه هـ (والعشق) أي ويفضى اليه هـ (وهو) أي العشق المعبر
عنه بفرط المحبة هـ (يجعله اضل من الانعام) حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما
يصير مجنوناً فيما بين الانام، وانما قال: اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها في أي

وَيَبْلُغُ الْخُطْبَةَ . وَإِنْ كَانَ تَزْوِيجُهَا لِلْوَلِيِّ وَيَنْظُرُهَا قَبْلَهُ تَقْرِيْبًا لِلْأَلْفَةِ .
وَيُعْقَدُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَوَرَدَ «اجْعَلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وَفِي شَوَالٍ فَفِيهِ كَانَ نِكَاحُ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

محل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لا يرضى الا في غير محله ويحصر موضع قصده
ولا يميل أبدا الى غيره هـ (ويبلغ) هـ عطف على يراعى أى ويوصل ((الخطبة))
بالكسراى الرسالة باظهار الرغبة لكن لافى حالة عدة المرأة ولا فى حال سبق غيره
بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ، فى الصحيحين من حديث ابن عمر هـ ولا يخطب
على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذنه هـ ((وان كان تزويجها للولى)) بان
كانت صغيرة هـ (وينظرها) هـ أى ويرى وجه المخطوبة ((قبله)) أى قبل العقد ((تقرىبا
للألفة)) فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ، فى الخبر « اذا وقع الله فى نفس
احدكم من امرأة فلينظر اليها » ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة ،
وللترمذى . وحسنه . والنسائى . وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة « انه خطب
امراة فقال له النبى ﷺ : انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما » وفى صحيح مسلم من
حديث أبى هريرة « ان فى أعين الأنصار شيئا فاذا أراد أحدكم ان يتزوج منهن فلينظر
اليهن » قيل كان فى أعينهن عشم وقيل صغر أو صفر ، و كان من الورعين من لا ينكح
كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر ، وقال الأعمش : كل تزويج يقع
على غير نظر فآخره هم وغم ، ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لان الغالب اجتماع حسن
الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن هـ وللنسائى من حديث أبى هريرة بسند صحيح
« خير نساءكم التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها
حفظته فى نفسه وماله » وفى رواية « لا تخالفها فى نفسها ولا مالها » ((ويعقد فى المسجد))
مع احضار جمع من أهل الصلاح فى المشهد ((فورد اجعلوه)) أى عقد النكاح
((فى المساجد)) رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا بسند حسن . وابن حبان من حديث
عمرو بن أمية الضمرى بلفظ « أعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه
بالدف » ((وفى شوال)) قد يتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون
الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد أى ويعقد فى شوال ردا
على من كره العقد بين العبدین ((فقيه)) أى فى شوال ((كان نكاح عائشة رضى الله عنها))

وَزَفَافُهَا . وَيَقْدُمُ الْخُطْبَةُ . وَالتَّحْمِيدُ وَالصَّلَاةُ فِي كُلِّ مِنَ الْإِيجَابِ
وَالْقَبُولِ . وَلَا يَتَزَوَّجُ لِعَزِّهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فِيهِ وَعَيْدُ ، وَيَخْتَارُ الْمُتَدِينَةَ لِثَلَا
تُفْسِدَ الدِّينَ ، فَوَرَدَ « عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ » وَالْحَسَنَةُ الْخَلْقِ

أى عقدها (و زفافها) أى وصولها فقى صحيح مسلم عن عائشة « تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بنى فى شوال » (و يقدم الخطبة) بالضم - يعنى المعروفة فى السنة - وهى الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأتم مسلمون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) رواه الأربعة . والحال . وأبو عوانة عن ابن مسعود (والتحميد والصلاة) أى على النبى عليه السلام (فى كل من الإيجاب والقبول) فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلاة على صداق كذا فيقول الزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولا يتزوج) أى امرأة (لعزها) أى جاهها (ومالها وجمالها) فورد « وتنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين » متفق عليه من حديث أبى هريرة (فقيه وعيد) وهو « من نكح المرأة لما لها وجمالها حرم ما لها وجمالها ومن نكحها الدينها رزقه الله ما لها وجمالها » كذا فى الأحياء . ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا ومن تزوجها لما لها لم يزد الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يردبها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن حبان فى الضعفاء « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها » ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (ويختار المتدينة لثلاث : تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كما تقدم (والحسنة الخلق) بالضم أى السيرة فانها أحسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو

لِيَحْصَلَ الْفَرَاغُ ، وَالْجَمِيلَةُ فَالْصَّيَانَةُ فِيهِ أَكْثَرُ . وَالْمَمْنُوعُ هُوَ الْأَكْتَفَاءُ بِالْجَمَالِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَاهِدًا فَيَعْرِضُ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَقَلِيلَةُ الْمَهْرِ ، فَوَرَدَ « خَيْرُ
النِّسَاءِ أَرْخَصُهُنَّ مَهْرًا » يَمْنُ الْمَرْأَةُ خَفَةَ مَهْرَهَا وَيُسِرُّ نِكَاحَهَا وَحَسَنَ خَلْقِهَا .

الصورة هـ (ليحصل الفراغ) هـ أى فراغ الخاطر ، وهذا أصل مهم في الدين والدنيا بحسب
الباطن والظاهر هـ (والجميلة) هـ أى الحسنة الصورة هـ (فالصيانة فيه) هـ أى في هذا
النوع هـ (أكثر) هـ والقناعة فيه أظهر ، وقد أخرج الحكيم الترمذى في نوادره أن
زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رائعة قد أشرق لها البيت حسنا فقيل له في ذلك
فقال : أكف بها بصرى واحفظ بها فرجى هـ (والممنوع) هـ على ما تقدم هـ (هو الاكتفاء
بالجمال) هـ مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال هـ (إلا أن يكون) هـ استثناء من
قوله ويختار الجميلة هـ (زاهدا) هـ أى غير راغب في لذات الدنيا هـ (فيعرض عنه لأنه
من الدنيا) هـ بل أكبر لهواتها وأعظم شهواتها ولأنه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتنا
وكان مالك بن دينار يقول : يترك أحدكم أن يتزوج بقيمة فقيرة فيؤجر فيها أن اطعمها
وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان - يعنى أبناء
الدنيا - فتشهى عليه الشهوات فتقول : اكسنى كذا وكذا هـ وقال أبو سليمان الداراني :
الزهد في كل شيء حتى في المرأة تزوج الرجل بعجوز إثارا للزهد في الدنيا ، واختار
أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل عن عقلها فقيل العوراء
فقال : زوجوني أياها هـ (وقليلة المهر فورد خير النساء أرخصهن مهرا) هـ ابن حبان
من حديث ابن عباس ولفظه « خيرهن أيسرهن صداقا » هـ (يمن المرأة خفة مهرها
ويسر نكاحها) هـ ابن حبان من حديث عائشة هـ من يمن المرأة تسهيل أمرها
وقلة صداقها أى مهرها ، وقد جعل صداق فاطمة أربع مائة درهم وهى أفضل النساء
من جهة النسب والحسب إجماعا هـ (وحسن خلقها) هـ يحتمل الضم والفتح وهو
أظهر لما روى أبو عمر التوفاني هـ أن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن
مهورا هـ ولفظ الأحياء « أرخصهن مهورا وأحسنهن وجوها » ولأحمد . واليهقى « أن
أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » واسناده جيد ، وفي لفظ لهما من حديث عائشة
« من يمن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقها وأن تيسر رحمتها قال عروة يعنى
الولادة واسناده جيد ، وورد أنه عليه السلام تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم

وَالْوَلُودَ لِأَنَّ الْوَلَدَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ» وَالْبَكْرَ،
فَوَرَدَ «هَلَّا بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ» وَفِيهَا شِدَّةُ الْحُبِّ وَالْأَلْفَةِ وَالثِّيبُ تَبْغُضُ
صِفَاتٍ تُخَالِفُ مَا لَوْ فَاتَهَا. وَيَمِيلُ طَبْعُهَا إِلَى الْأَوَّلِ. وَيَنْفِرُ الزَّوْجُ الثَّانِي
لَوْ ذَكَرَتْهُ. وَالنِّسْيَةُ مِنْ

وأثاث بيت و كان رحي يدوجرة ووسادة من آدم حشوها ليف، كذا في الاحياء وقال
العراقي : رواه أبو داود الطيالسي . والبخاري من حديث أنس : تزوج رسول الله
ﷺ على متاع قيمته عشرة دراهم، قال البخاري : روايته في موضع آخر : تزوجها على
متاع بيت و رحي قيمتها أربعون درهما، ورواه الطبراني في الأوسط، ولاحمد من حديث
علي : لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاين : وسقاء
وجرتين ، ورواه ابن حبان . والحاكم وصححه اسناده . وابن حبان مختصرا . و كان عمر
ينهى عن المغالات ويقول : ما تزوج ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم،
رواه أصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذي ، وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن
نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم ، وأصل الحديث متفق عليه من حديث أنس
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا
فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها (و الولود لأن الولد
هو المقصود) أي الأعظم من النكاح وهو التنازل كما تقدم (وورد عليكم بالولود)
أبو داود . والنسائي من حديث معقل بن يسار : تزوجوا الولود والودود، واسناده صحيح .
وللبهقي بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسل : خير نسائكم الولود والودود، وابن
حبان من حديث بهز بن حكيم : سوداء ولود خير من حسناء لا تلد، وعن عمر الحضير
في ناحية البيت خير من امرأة لم تلد (والبكر فورد هلا بكراتلعبها وتلاعبك) متفق
عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا (وفيها شدة المحبة والألفة) لما فيها من عدم
الخلطة والكلفة (والتيب تبغض صفات) في الزوج الثاني (تخالف ما لو فاتها) وتباين
ما كانت تلقى في أزواجها من معروقاتها (ويميل طبعها إلى الأول) كما قيل :
ما الحب إلا للحبيب الأول . ولذا قيل : المرأة التي تزوجت بمتعدد تكون في الجنة مع
الأول، وقيل مع الثاني، وقيل مع أحسنهم خلقا وهو الأظهر (وينفر الزوج الثاني لو
ذكرته) أي الزوج الأول يعرض محاسنه كما في العكس (والنسبة) بالكائنة (من

أَهْلُ الدِّينِ لِيَسْرِيَ الصَّلَاحُ إِلَى الْوَلَدِ ، فَوَرَدَ « أَيَاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ »
 أَيْ الْحَسَنَاءَ مِنْ مَنَبَتِ السُّوءِ . وَغَيْرَ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ فَهِيَ تَنْقُصُ الشَّهْوَةَ ، وَنَهَى
 عَنْهُ مَعْلَلًا بِأَنَّ الْوَلَدَ خُلِقَ مَهْزُولًا ، وَجَاءَ الْاجْتِنَابُ عَنِ الطَّوِيلَةِ الْمَهْزُولَةِ .
 وَالْقَصِيرَةِ الدَّمِيمَةِ . وَالْمُسْنَةِ . وَالْمِكْثَارَةِ وَذَاتِ وَلَدٍ

أهل الدين) كنبات العلماء والاشراف والصالحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء
 (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سرأيه (فورد اياكم وخضراء الدمن) تمامه
 « فقل وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، الدار قطنى فى الافراد من
 حديث أبى سعيد الخدرى قوله : (اى الحسناء من منبت السوء) من اصل الحديث
 لا من تفسير المصنف ، وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه « اياكم
 وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل أبيها وعمها
 وأخيلها ، والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر ، شبهت المرأة الحسناء الفاسدة
 بالنبات ينبت على البعر فى الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد ، والاعراق
 جمع عرق والمراد به الأصل ، وقد ورد « تخيروا لنطفكم » ابن ماجه من حديث
 عائشة مختصرا والديلى فى مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر
 الصالح فان العرق دساس » (وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة) لأن ميل
 النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية
 الجديدة فتضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد ، وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللا
 بأن الولد خلق مهزولا) فعن عمر انه قال لآل السائب « قد اضويتم فانكحوا فى
 التراب » رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال : معناه تزوجوا الغرائب
 ويقال : اغتربوا لا تضورا ، وللطبرانى عن طلحة بن عبيد الله « النا كح فى قومه كالعشب
 فى داره » وفى اسناده سليمان بن أيوب بن سليمان الطلحى ، قال ابن عدى : « عامة احاديثه
 لا يتابع عليه أحد » ورواه يعقوب بن شيبه فى مسنده وقال : احاديثه عندى صحاح
 ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة
 الدميمة) بالمهملة أى القبيحة وبالمعجمة أى المذمومة (والمسنة) أى العجوز الكبيرة
 (والمكثارة) أى الكثيرة الكلام (وذات ولد) أى من غيره ، وفى مسند الامام

ثُمَّ رِعَايَةُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِي الزَّوْجِ أَوَّلَى

أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: أخبرني شيخ من أهل المدينة عن زيد بن ثابت أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له هل تزوجت يا زيد؟ قال: لا قال: تزوج تستعف مع عفتك ولا تزوجن خمساً قال: ما هن؟ قال: لا تزوجن شهيرة ولا نهيرة ولا هيرة ولا هيدرة ولا لغوتا قال زيد: يا رسول الله لا أعرف شيئاً مما قلت قال: بلى أما الشهيرة فالزرقاء البدنية وأما النهيرة فالطويلة المهزولة، وأما اللهيرة فالعجوز المديرة، وأما الهيدرة فالقصيرة الدميعة وأما اللغوت فذات الولد من غيرك، قال الشيباني: ضحك أبو حنيفة من هذا الحديث طويلاً قلت والحديث رواه الديلمي عن أبي هريرة، وقال بعض العرب: لا تنكح من النساء ستاً أناة . ولا منانة . ولا حنانة . ولا براءة . ولا حداقة . ولا شداقة فالأناة التي تكثر الأنين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها أو مالها والحنانة التي تمن إلى زوج آخر أولها ولد من زوج آخر والحداقة التي ترمى كل شيء لحدقتها فتشبهه وتكلف الزوج بشرائه بما لا طاقة له فيه، والبراقة التي تكون طول نهاره في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدة الكثيرة الكلام، ويحكى أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال: لا تنكح أربعاً المختلعة والمبارية والعاهرة والناشرة فالمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة، والمبارية المباهية لعزها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشرة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في أمرها ونهيها ((ثم رعاية تلك الأوصاف في الزوج أولى)) فإن الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه أقوى كما لا يخفى، وعن عائشة واسماء بنتي الصديق «النكاح رقيق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته»، قال البيهقي: روى ذلك مرفوعاً والموقوف أصبح وورد «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»، ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح وروى أن بلالاً وصبيها أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما: من اتما؟ فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا عملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن رددتمونا فسيبحان الله فقالوا: بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال: اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق، وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل أيضاً عن مالها، قال الثوري: إذا تزوج الرجل وقال أي شيء للبرأة فاعلم أنه لص، وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي

ويهادى ، فورد « تهادوا تحابوا » ويوم فهو مروي عنه عليه السلام
 قولاً وفعلًا ، ويعجل بها فهي في اليوم الأول سنة . وفي الثاني متعارف ، وفي
 الثالث رياء ،

جماعة فمن أزواجهما قال: بمن يتقى الله فانه ان احبها أكرمها وان ابغضها لم يظلمها ، وعن
 علي شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت
 بخيلة حفظت مالها وهال زوجهما واذا كانت مزهوة استكفت ان تكلم كل احد بكلام
 لين مريب في حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها قبل واذا كانت
 المرأة حسنة خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها
 قاصرة الطرف عليه . فهي على صورة الجور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة
 بهذه الصفات في قوله: (خيرات حسان) أراد بالخيرات حسن الاخلاق وفي قوله: (قاصرات
 الطرف) وفي قوله (عربا ترايا) فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتية للوقاع وبذلك
 تم اللذة، والخور البيض والخوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر
 والعيناء الواسعة العين هذا، وفي الحديث « لاتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر
 بكم الائم » الطبراني . والحاكم عن عياض بن غنم، وللشيرازي «عليكم بشواب النساء
 فانهن اطيب افواها وانتقبطونا أي ارحاما واسخن اقبالا» (ويهادى) أي كل منهما
 صاحبه قبل التزوج أو الرجل لانه أولى ان يكون في هذا الفعل هو البادي (فورد تهادوا
 تحابوا) البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد
 « واذا أهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة بأكثر منه » وكذا
 اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر)
 أي لاتعط لتطلب أكثر (ويوم) أي يصنع الوليمة وهي طعام العرس للمرأة النكيسة
 (فهو مروي عنه عليه السلام قولاً) وهو قوله عليه السلام لابن عوف « أولم ولو
 بشاة » مالك والجماعة عن أنس والبخاري عن ابن عوف (وفعلًا) في البخاري من
 حديث عائشة « أولم على بعض نساءه بمدين من شعير » وفي السنن الأربعة من حديث
 أنس « أولم على صفية بسويق وتمر » ولمسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق
 وفي الصحيحين « التمر والاقط والسمن » (يعجل بها فهي في اليوم الأول سنة) أي
 مؤكدة قربة الى الواجب (وفي الثاني، متعارف) أي استحبابه (وفي الثالث رياء.)

وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ فَهُوَ إِذَا، وَيُعْلَنُ فَوْرَدَ «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ»
وَيَنْثُرُ السَّكْرَ وَاللُّوزَ عَلَى رَأْسِهَا. وَيَنْتَهَبُ الْقَوْمَ فَهُوَ سَنَةٌ

أى وسمعة فى بابه فعن ابن مسعود مرفوعاً : طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة . الترمذى والمعنى : اذا أحدث الله تعالى نعمة لعبده ان يحدث شكراً . واستحب ذلك فى الثانى جبراً لما يقع من نقصان فى اليوم الاول فان السنة مكمله لا واجب واما اليوم الثالث فليس الارياء وسمعة ، ومن هنا قالوا : تحب الاجابة على المدعو فى الاول وتستحب فى الثانى وتحرم فى الثالث ثم يستحب التهنئة له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير كما رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه عن أبى هريرة ((ولا يخطب على خطبة أخيه)) وقد تقدم ماورد من نهي عليه السلام ((فهو إيداء)) أى للئو من وهو حرام قال تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وورد « من آذى مسلماً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » الطبرانى فى الأوسط عن أنس ((ويعلن)) أى خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها ((فورد أعلنوا النكاح)) تمامه واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف ، الترمذى من حديث عائشة وحسنه ، وفى صحيح البخارى عن الربيع بنت معوذ « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة ليلة نبي فجلس على فراشى وجويريات لنا يضررن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبائى الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما فى غد فقال لها : اسكتى عن هذا وقل ما كنت تقولين قبلها ، وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت أى فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالباً يكون فى السرائر مع الخاصة ، وقال الفقهاء : المراد بالدف مالا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على موده اذ لم يكن فى دف زمانه عليه السلام جلاجل وأيضاً فهى زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها ((وينثر السكر واللوز على رأسها وينتهب القوم فهو سنة)) فقد أخرج أبو جعفر الطحاوى بسنده ، وكذا البيهقى عن معاذ بن جبل « أن رسول الله ﷺ حضر ملاك رجل من الأنصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم أيديهم فقال عليه السلام : لم لا تنتهبون ؟ قالوا : انك نهيت عن النهبة قال : أما العرسان فلا قال : فرأيت رسول الله ﷺ يجاذبهم ويجاذبونه واحتج

وَيَغْسِلُ الزَّوْجَ رَجُلِيهَا . وَيَرْمِي الْمَاءَ فِي زَوَايَا الْبَيْتِ لَتَدْخُلَهُ الْبَرَكَةُ وَيُنَوِّي
فِي الْمُبَاشَرَةِ تَحْصِينَ الْفَرْجِ . وَتَفْرِيقَ الْقَلْبِ . وَيُسَمِّي فِي ابْتِدَاءِ الْوَقَاعِ . وَيَقْرَأُ
الْفَاتِحَةَ . وَيَسْأَلُهُ تَعَالَى الذَّرِيَّةَ الطَّيِّبَةَ . وَمُجَانِبَةَ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ .

به الطحاوي على أن النثار غير مكروه كما ذهب إليه أبو حنيفة وخص به على الأحاديث
التي فيها النهي عن النية ﴿ ويغسل الزوج رجلها ويرمي الماء في زوايا البيت
ليدخله البركة ﴾ لم أجده أصلا وإنما أخرج أحمد في المناقب من حديث أبي يزيد
المدني وقال : فأرسل النبي إلى علي أي بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى آتيك فجاء النبي
ﷺ فدعا بماء فقال ما شاء الله أن يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت
إليه تعثر في ثوبها وربما قال في مرطها من الحياء فنضح عليها أيضا وفي رواية ابن حبان
عن أنس أنه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة : آتيني بماء
فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ووج فيه ثم قال لها : تقدمي فتقدمت
فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال : (اللهم اني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم) ثم قال لها : أدبري فادبرت فصب بين كتفيها وقال : ما قال أولا ثم قال لعلي :
آتيني بماء فأتى به فنضح بين ثدييه ثم قال : اللهم اني أعيدته بك وذريته من الشيطان
الرجيم ، ثم قال أدبر فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل بأهلك
بسم الله والبركة ﴿ وينوي في المباشرة ﴾ أي المجامعة ﴿ تحصين الفرج ﴾ وكذا
العين لقوله سبحانه : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)
﴿ وتفريق القلب ﴾ أي عما يشغله عن ذكر الرب ﴿ ويسمى في ابتداء الوقاع ﴾
أي قبيل الجماع ﴿ ويقرا الفاتحة ﴾ لم أجده إلا في الأحياء من غير بيان الأبناء ﴿ ويسأله
تعالى الذرية الطيبة ﴾ اقتداء بذكرها عليه السلام حيث قال : (قال رب هب لي من
لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) ﴿ ومجانبة الشيطان فهو مأمر به ﴾ فروى الجماعة
عن ابن عباس « أنه إذا أراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
مارزقتنا فإنه لو قضى بينهما ولد لم يضره » وفي رواية للبخاري « لم يضره شيطان أبدا »
ولابن أبي شيبة عن ابن مسعود « وقوا وقالوا إذا أنزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما
رزقتني سبيلا » ومن آدابه أن ينحرف عن القبلة أكراما لها ويغطي نفسه وأهله بثوب
فقد قال عليه السلام : « إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردا تجرد البعيرين » ابن ماجه

وَيَحْتَنَبُ اللَّيْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ . وَالْآخِرَ . وَالْوَسْطَ فَهُوَ أَوْقَاتُ حَضُورِ
الشَّيْطَانِ . وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ . وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ لِتَفْرِغَ ،
وَيُبَاشِرَ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيَالٍ فَهُوَ الْإِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِإِبَاحَةِ الْأَرْبَعِ .

من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف، ويقدم الحكامة والملاعبة والقبلة، فللدليل في
مسند الفردوس من حديث أنس « لا يقعن أحدكم على امرأته كداتقع البهيمة وليكن
بينهما رسول قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام » (ويحْتَنَبُ اللَّيْلَ
الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ وَالْآخِرَ وَالْوَسْطَ فَهُوَ) وفي نسخة فهي (أَوْقَاتُ حَضُورِ الشَّيْطَانِ)
ويقال: ان الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي ويقال: ان الشياطين يجامعون فيها،
وروى كراهية ذلك عن علي . ومعاوية . وأبي هريرة كذا في الاحياء (وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ)
أي ويحْتَنَبُ أَوَّلَ كُلِّ لَيْلَةٍ (لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ) فانه أولى من أن يكون
نومه على جنابة وان جاع فيها فيستحب أن يغتسل أو يتوضأ أو يتيمم ثم يرقد، ففي
حديث عمر قات للنبي ﷺ: « أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: نعم اذا توضأ » متفق عليه،
وعن عائشة « كانت ينام جنباً لم يمسه ماء » أبو داود . والترمذي . وابن ماجه
(وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ) أي ويمكث الرجل بعد فراغ منه (لِتَفْرِغَ) أي المرأة
من انزال منيها فان انزالها ربما تأخر فتتبع شهوتها ثم القعود عنها يكون اذى لها
(وَيُبَاشِرُ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيَالٍ فَهُوَ الْإِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِإِبَاحَةِ الْأَرْبَعِ) فقد روى أن
امراًة جاءت الى عمر رضي الله عنه وعنده كعب بن سور فقالت: يا أمير المؤمنين ان
زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا أكره أن أشكوه فقال عمر: نعم الرجل زوجك
فرددت كلامها وعمر لا يزيد لها على ذلك فقال كعب يا أمير المؤمنين انها تشكو زوجها
في هجرة فراشها فقال له عمر: فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فأرسل الى زوجها ليجاء
فقال لها كعب: ماتقولين؟ فقالت :

يا أيها القاضي الحكيم أرشده هـ ألهي خليلي عن فراشي مسجده

زهده في مضجعي تعبده هـ نهاره وليله ما يرقده

ولست في أمر النساء أحده

فقال لزوجها: ماتقول؟ فقال :

وَيَزِيدُ لِحَاجَتِهَا فَتَحْصِيْنَهَا وَاجِبٌ، وَيَتَّخِذُ كُلُّ مِّنْهَا خَرْقَةً لِإِزَالَةِ الْإِذَى،
وَيُضَاجِعُ الْحَائِضَ. وَيُؤَاكِلُهَا. وَيُشَارِبُهَا مَخَالَفَةً لِلْمَجُوسِ. وَلَا يَأْتِيهَا جَانِبَ الدَّبْرِ
فَهُوَ اللَّوَاطَةُ الصَّغْرَى.

زهد في فراشها وفي الكلل • انى امرؤ أذهلنى ماقد نزل
فى سورة النجم وفى السبع الطول

فقال له كعب :

ان لها عليك حقا يارجل • نصيبها فى أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل

فقال له عمر من أين لك هذا؟ قال: لأن الله تعالى أباح للحر أربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فأعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية (ويزيد لحاجتها) وكذا لحاجته (فتحصينها واجب) وكذا تحصينه بل أوجب فى مقام دينه وحال يقينه (ويتخذ كل منهما خرقه) أى نظيفة (لازالة الإذى) وهو المنى لأنه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع أن الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة (ويضاجع الحائض) أى ويرقد معها ولا يحتب عن أن يعانقها (ويؤاكلها ويشاربها مخالفة للمجوس) واخوانهم من الروافض النحوس (ولا يأتيا جانب الدبر فهو) وفى نسخة فهى (اللواطة الصغرى) ولو جانب لفظ الجانب كان أحسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات، وللترمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح: ان عمر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت قال: وما الذى اهلكك؟ قال: حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شىء وأوحى اليه (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحیضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله (نساؤكم حرث لكم) الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذی یأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احوّل، ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد، واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال: اللواطة الصغرى

وَلَا يَدُومُ عَلَى تَرْكِ الْوَطْءِ فَهُوَ يَضْعِفُ الْقُوَّةَ . وَلَا يَبَاشِرُ بَعْدَ مَبَاشَرَةٍ أَوْ
اِحْتِلَامٍ إِلَّا أَنْ يَغْسِلَ نَفْسَهُ أَوْ يَبُولَ . وَلَا يَعْزِلُ فَهُوَ كَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ بِلاَ
عِبَادَةٍ . وَالْإِقَامَةُ بِمَكَّةَ بِلاَ حِجٍّ . وَلَا يَأْتُمُّ بِهِ إِنْ نَوَى اسْتِيقَاءَ الْمَلِكِ فِي الْجَارِيَةِ .
وَالْحَسَنُ . وَالسَّيِّئَةُ لِلتَّمَتُّعِ . وَالْحَيَاةُ بِالتَّحْرِزِ عَنِ الْمَخَاضِ .

فان الكبرى انما هي مع الرجال ، ولا خلاف بين السلف والخلف في ان غشيان المرأة
والجارية في دبرها ملعون فاعله وانص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه
امتراء، كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى ، وقد
ورد عن أحمد في المسند وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « للملعون من أتى امرأة
في دبرها » وفي رواية لاحد وأصحاب السنن الأربعة عنه أيضا « من أتى كاهنا فصدقه
بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد برىء » بما أنزل على محمد ﷺ ،
﴿ ولا يدوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة ﴾ أي على قواعد أهل الحكمة
ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة ﴿ ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل
نفسه ﴾ أي ذكره ﴿ او يبول ﴾ فانهما يقطعان المنى فاذا خرج بعد هماشيء يكون مذيا
﴿ ولا يعزل ﴾ والمعتمد ان يستأمر الحرة في العزل دون الأمة وكره جماعة العزل مطلقا
لما ورد من قوله عليه السلام : هو الوأد الخفي كافي مسلم من حديث جذامة بنت وهب
فانه القتل الحكمي ﴿ فهو ﴾ أي العزل ﴿ كالجلوس في المسجد بلا عبادة ﴾ لانه طاعة
في موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة ﴿ والاقامة بمكة بلا حج ﴾ أي في كل سنة و كذا بلا
طواف في كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الوأد
الجلي بان الثاني جنائية على موجود أو مشهود ولذا قال علي كرم الله وجهه لا تكون مؤودة
الا بعد سبع أي سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى :
(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى قوله
(ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح ﴿ ولا يأتُمُّ به ﴾ أي بالعزل ﴿ ان نوى
استيقاء الملك في الجارية ﴾ بترك الاعتاق ثم اذ قطع اسبابه ليس بمنهي عنه ﴿ والحسن
والسيئة للتمتع ﴾ أي واستيقاء جمال المرأة وسميها لدوام التمتع بها ﴿ والحياة ﴾
أي واستيقاء الحياة ﴿ بالتحرز عن المخاض ﴾ وهو وجع النفاس حال الطلق، وهذا أيضا

وَالْخَوْفُ مِنَ الْإِفْضَاءِ إِلَى كَسْبِ الْحَرَامِ فَكَانُوا يَعْزِلُونَ وَمَا نُهُوا عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَرْكُ الْفَضِيلَةِ . وَهُوَ التَّوَكُّلُ ، فَوَرَدَ « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » ، وَيَأْتِيهِمْ أَنْ خَافَ وَلَادَةَ الْبَنَاتِ فَهُوَ عَادَةُ الْجَاهِلِيَّةِ . أَوْ أَرَادَ بِهِ الْمُبَالَغَةَ فِي النَّظَاقَةِ فَهُوَ بَدْعَةٌ .

ليس منها عنه (والخوف) أي وان نوى المخافة (من الإفضاء الى كسب الحرام) بسبب كثرة الأولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج في البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة أهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا أيضا ليس بمنهى عنه (فكانوا) أي الصحابة (يعزلون وما نهوا عنه) في الصحيحين عن جابر (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل) زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا ، وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال : لا عليكم ان لا تفعلوا ، ورواه النسائي من حديث أبي صرمة ، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه أنزل النبي ﷺ فقال ان لي جارية وهي خادمتنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال : اعزل عنها ان شئت فانه سيأتينا ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال : ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتك انه سيأتينا ما قدر لها ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد « ما من نسمة قدر كونها الا وهى كائنة » (وان كان فيه) أي ولو في العزل خوفا من الإفضاء الى كسب الحرام (ترك الفضيلة وهو التوكل) والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال : (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) (فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا) أي من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه (ويأتهم ان خاف ولادة البنات) لما في تزويجهن من المعرة (فهو) أي خوفها (عادة الجاهلية) في قتلهم البنات ووأدهن في حال الحياة كما أخبر الله سبحانه عنهم في الكتاب (واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) (أواراد به المبالغة في النظافة) بتعزها وكمال تميزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذ انواها (فهو) أي العزل بهذا القصد (بدعة) لانها عادة الخوارج لمبالغتهم في استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة وقد استأذنت

وَيَفْرَحُ بِالمُولُودِ، فَوَرَدَ « أَنَّهُ نُورٌ فِي الدُّنْيَا وَسُرُورٌ فِي الآخِرَةِ » وَلَا يَغْتَمُّ
بِالبِنْتِ لِأَنَّ الصَّلَاحَ مُسْتَوْرٍ. وَيَزْدَادُ فَرَحًا مَخَالَفَةً لِلْجَاهِلِيَّةِ، وَوَرَدَ « بَرَكَةُ الْمَرْأَةِ
تَبْكِيرُهَا بِالبَنَاتِ مِنْ ابْتَلَى مِنْهُنَّ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ »

واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها (ويفرح بالمولود) فانه
المقصود في ميدان الوجود وايوان الشهود (فوردانه نور) أي للعين (في الدنيا
وسرور) أي للقلب (في الآخرة) أي عند شفاعته في العقبى ولم أجده أصلاً، وقد
قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع، وقد ورد في الولد ثمرة القلب وانه مجبنة محزنة
مبغلة، أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد، وفي رواية الجسيم عن خولة بنت حكيم، الولد
من ريحان الجنة، وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه (يهب لمن يشاء آناً
ويهب لمن يشاء الذكور) (ولا يغتم بالبنات لان الصلاح مستور) اذ قد يكون
الابن صالحاً والبنات بخلافه وقد يكون الأمر بالعكس أو يراد بالصلاح النفع والنجاح
وهو أيضاً مبهم كما يشير اليه قوله تعالى : (آباءكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم
نفعاً) (ويزداد فرحاً) أي لولادة البنت بالتكليف فيه باظهاره (مخالفة للجاهلية)
حيث قال تعالى : (واذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)
وورد من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً لحمله الى بيته فخلص به
الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف
وفي رواية له « فيبدأ بالاناث قبل الذكور » (وورد بركة المرأة تبكيرها) أي اول
ولادتها (بالبنات) الدليلي عن عائشة ووائلة كلاهما مرفوعاً بلفظ « من بركة
المرأة تبكيرها بالاناث، وحكاة ابن عطية عن الثعلبي موقوفاً على وائلة بلفظ « من
يمن المرأة تبكيرها بالاناث قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني قوله تعالى
(يهب لمن يشاء آناً)، وعن ابن عباس « ان رجلاً دعا على بناته بالموت فقال النبي
ﷺ : لا تدع فان البركة في البنات » ذكره السخاوي (من ابتلى منهن) أي بالبنات
(بشيء) أي قليلاً أو كثيراً (فأحسن اليهن) بالتربية (كن له سترًا من النار)
أي حجاباً بأحمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ « من ابتلى من هذه البنات،
الحديث، وعن ابن عباس « ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتهما الا
أدخلتهما الجنة » ابن ماجه. والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وعن أنس « من كان له ابنتان

وَيُؤْذَنُ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى . وَيُقِيمُ فِي الْيَسْرَى ، فَوَرَدَ فِيهِ «دَفَعَتْ عَنْهُ أُمُّ
الصَّيَّانِ» وَيَقْطَعُ سِرْتَهُ . وَيَمِيطُ الْأَذَى . وَتَرْضِعُهُ الْأُمُّ فَهُوَ سَنَةٌ . وَلَا تَسَامُ .
وَلَا يَتَبَرَّمُ . وَلَا يَتَضَجَّرُ

أَوْ اخْتَانُ فَاحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحَبْتَاهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَمَاتَيْنِ ، الْخَرَائِطُ فِي مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظٍ « مِنْ عَالٍ جَارِيَتَيْنِ » وَقَالَ : حَدِيثُ
حَسَنٍ غَرِيبٍ ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ « مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا وَغَذَاهَا فَاحْسَنَ
غَذَاهَا وَاسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مِيعَنَةٌ وَمِيسِرَةٌ مِنَ النَّارِ إِلَى
الْجَنَّةِ » الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْخَرَائِطُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « مَنْ
كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَّرَ عَلَى لَوَائِهِنَّ وَضَرَائِهِنَّ ادْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ
رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ فَقَالَ رَجُلٌ وَاثْنَتَانِ يَارَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَاثْنَتَانِ فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ وَاحِدَةٌ فَقَالَ
أَوْ وَاحِدَةٌ ، الْخَرَائِطُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالْحَاكِمُ وَلَمْ يَقُلْ أَوْ أَخَوَاتٍ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ
« وَيُؤْذَنُ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى » أَيُّ فِي أَوَّلِ مَا يَلِدُ لِيَكُونَ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ « وَيُقِيمُ فِي الْيَسْرَى » فَيَكُونُ سَبِيحًا لِحُضُورِهِ فِي
الْمَسْجِدِ وَادَاءِ الصَّلَاةِ بِجَمَاعَةٍ ، وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُذِنَ فِي أُذُنِ الْحُسَيْنِ
حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ » أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْإِسْنَادُ قَالَا الْحَسَنُ
مَكْبَرًا « فَوَرَدَ فِيهِ » أَيُّ فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ أَوْ فِي جَمْعِهِمَا « دَفَعَتْ عَنْهُ أُمُّ
الصَّيَّانِ » فَانْهَاهَا مِنْ جَنْسِ الشَّيْطَانِ وَهُمْ يَبْعُدُونَ عَنِ الْأَذَانِ لِجَلِّ الْعَدْوَانِ ، وَعَنْ
الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ « مَنْ وَلَدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَادْنَى فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيَسْرَى دَفَعَتْ
عَنْهُ أُمُّ الصَّيَّانِ ، أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ وَابْنُ السَّنِيِّ « فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ
الْإِيمَانِ « وَيَقْطَعُ سِرْتَهُ وَيَمِيطُ الْأَذَى » أَيُّ يَزِيلُهُ وَهُوَ الدَّمُ وَنَحْوُهُ عَزَبْدَنَهُ لَمَّا سَيَّأَتْ
« وَتَرْضِعُهُ الْأُمُّ » أَيُّ وَلَوْ مَرَّةً فَانْهَاهَا أَوَّلَ تَرْبِيَةٍ فَيَخْتَصُّ بِأَشْفَقِ النَّاسِ وَارْحَمِهِمْ وَلِيَصْدُقَ
عَلَى أُمِّهِ مَا قَالَ تَعَالَى : (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ لِرْهًا وَحَمَلَهُ وَفَصَّالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)
وَلِتُخْرِجَ عَنْ عَهْدَةِ ظَاهِرِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ)
الْآيَةُ ، وَقَوْلُهُ « فَهُوَ سَنَةٌ » لَمْ أَجِدْ لَهَا أَصْلًا « وَلَا تَسَامُ » أَيُّ لَا تَمَلُّ الْأُمُّ ، وَفِي
نَسْخَةٍ وَلَا تَسَامُ بِصِغَةِ الْمَعْلُومِ لِلتَّوْنِثِ أَوِ الْجَهْلِ لِلْمَذْكَرِ « وَلَا يَتَبَرَّمُ وَلَا يَتَضَجَّرُ »

أَحَدُ بَيْكَاثِهِ فَهُوَ ذَكَرٌ كَمَا وَرَدَ ، وَجَاءَ الْاِخْتَتَانُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ ،
وَقِيلَ : يُؤَخَّرُ عَنْهُ مَخَالَفَةُ لِلْيَهُودِ . وَتَحَامِيًّا عَنِ الْخَطَرِ ، وَوَقْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ
وَتُخَنُّنُ الْاِثْنِي فَوَرَدَ « أَنَّهُ مَكْرَمَةٌ » وَهُوَ يَنْضُرُ الْوَجْهَ وَيَفْتَرُ الشَّهْوَةَ . وَيُلْذِ
الْوَقَاعَ . وَيُحِبُّ إِلَى الزَّوْجِ . وَلَا يَبَالُغُ فِيهِ . وَيَحْسُنُ الْأَسْمَ ، فَوَرَدَ « حَسَنُوا
أَسْمَاءَ أَوْلَادِكُمْ »

أَحَدُ بَيْكَاثِهِ فَهُوَ ذَكَرٌ كَمَا وَرَدَ) عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا « بَكَاءُ الصَّبِيِّ إِلَى شَهْرَيْنِ شَهَادَةً أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَالْإِثْمَانِيَّةُ أَشْهُرُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَلِسْتَيْنِ اسْتِغْفَارَ لَوَالِدَيْهِ » أَخْرَجَهُ الدَّيْلِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ ، وَفِي لَفْظٍ لغيره « بَكَاءُ الصَّبِيِّ
فِي الْمَهْدِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَوْحِيدًا وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرَ صَلَاةٍ عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرَ اسْتِغْفَارٍ لَوَالِدَيْهِ »
ذَكَرَهُ السَّخَاوِيُّ فِي الْقَوْلِ الْبَدِيعِ (وَجَاءَ الْاِخْتَتَانُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ) فَانَّهُ مَهْمَا
كَانَ صَغِيرًا يَبْقَى الْقَطْعُ يَسِيرًا ، وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسَنَدٍ
ضَعِيفٍ « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَخَتَمَهُمَا لِسَبْعَةِ
أَيَّامٍ » وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ وَابْتَهَقَى مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ (وَقِيلَ يُؤَخَّرُ
عَنْهُ) أَيُّ حَتَّى يَصِيرَ كَبِيرًا (مَخَالَفَةُ لِلْيَهُودِ) فَانَّهُمْ يَعْمَلُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ (وَتَحَامِيًّا
عَنِ الْخَطَرِ) أَيُّ خَطَرِ الْمَوْلُودِ عَنِ الْمَوْتِ فَانَّ الْخَطَرَ فِي حَالِ الصَّغِيرِ أَكْثَرُ مِنْ زَمَانِ الْكَبَرِ
(وَوَقْتُهُ) أَيُّ وَقْتُ غَايَةِ تَأْخِيرِهِ (سَبْعَ سِنِينَ) أَوْ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ مَا يُطَاقُ الْمَهْلُ فِيهِ
وَقَدْ اخْتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ حَيْثُذُ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ
اخْتَنَ وَيَتْرَكَ لَوُلْدٍ شَبِيهَا بِالْمُخْتُونِ (وَتُخَنُّنُ الْاِثْنِي) أَيُّ الْبَنَتِ (فَوَرَدَ أَنَّهُ
مَكْرَمَةٌ) أَيُّ سَبَبِ كَرَامَةٍ عِنْدَ زَوَاجِهِنَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ « الْخَتَانُ سَنَةٌ لِلرِّجَالِ وَمَكْرَمَةٌ
لِلنِّسَاءِ ، الطَّبْرَانِيُّ (وَهُوَ) أَيُّ اخْتَتَانِ الْاِثْنِي (يَنْضُرُ الْوَجْهَ) أَيُّ يَحْسِنُهُ (وَيَفْتَرُ
الشَّهْوَةَ) أَيُّ يَسْكُنُهَا (وَيُلْذِ الْوَقَاعَ) أَيُّ الْجَمَاعِ (وَيُحِبُّ إِلَى الزَّوْجِ) وَهُوَ سَبَبُ
مَحَبَّةِ الزَّوْجَةِ (وَلَا يَبَالُغُ) بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ (فِيهِ) أَيُّ فِي الْخَتَانِ أَوْ فِي خَتَانِهَا بِالْخُصُوصِ
(وَيَحْسُنُ الْأَسْمَ) أَيُّ اسْمَ وَلَدِهِ فَانَّهُ مِنْ جُمْلَةِ حَقُوقِهِ عَلَى وَالِدِهِ (فَوَرَدَ حَسَنُوا الْأَسْمَاءَ
أَوْلَادَكُمْ) أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ النَّوَوِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ :
أَنَّهُ مَرْسَلٌ وَلَفْظُهُ « أَنْكُمْ تَدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِكُمْ فَاحْسَنُوا أَسْمَاءَكُمْ

والتعبيد أحب، فورد « إذا سميتم فعبدوا » وأحب الأسماء إلى الله عبد الله
وعبد الرحمن . ولا يجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته، فهو منهي عنه،
وقيل: كان ذلك في عهده عليه السلام، ويبدل الاسم السيء فبدل عليه السلام
اسم العاصي بعبد الله . وبرة بزینب، وقال: تزكى نفسها . ونهى عن افلح،
ونافع . وبركة تحاميا عما قيل ليس في الدار بركة، ويسمى السقط وإن
جهل صفته فيما

وردد حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويروجه اذا أدرك ويعلمه الكتابة، أبو
نعم والد يلى عن أبي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرماية، (والتعبيد) إضافة
العبد إلى اسماء الرب (أحب) أى افضل (فورد إذا سميتم) أى اردتم أن تسموا
أولادكم (فعبدوا) الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه (وأحب الأسماء
إلى الله عبد الله وعبد الرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولا يجمع بين اسمه عليه السلام
وكنيته فهو) أى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث وسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى،
متفق عليه من حديث جابر، وفي لفظ وسموا، فقيل النهى عن التكنية وحدها، وكان
هذا المنع في عصره اذا كان ينادى يا أبا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته
لما رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة، ولابن داود والترمذى وحسنه وابن
حبان من حديث جابر من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكتنى بكنيتى فلا يتسمى
باسمى، (وقيل كان ذلك) أى النهى عن الجمع بينهما (في عهده عليه السلام) أى في زمانه
لعله الالتباس وأما اليوم فلا (ويبدل الاسم السيء) أى يغيره بغيره من الاسم الحسن
(فبدل عليه السلام اسم العاص بعبد الله وبرة) بفتح الواو وحده (بزینب وقال) باستفهام
مقدار انكارها (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه
الشيخان عن أبي هريرة نحوه (ونهى) أى عليه السلام (عن افلح) أى عن التسمية
بافلح (ونافع وبركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة
رباحا (تحاميا عما قيل) أى يقال (ليس في الدار بركة) يعنى أو نافع أو افلح وأمثال
ذلك (ويسمى السقط وإن جهل صفته) أى من الذكورة والأنوثة (فما) أى فيسمى

يَصْلُحُ لِلذَّكَرِ . وَالْإُنْثَى . كَحَمْزَةٍ . وَطَلْحَةٍ . وَلَا يُكْنَى بِأَبِي عَيْسَى إِذَا لَابَّ لَهُ . وَنَهَى عَنْهُ . وَيَعْقُ عَنْ الْإِبْنِ بِشَاتَيْنِ . وَعَنْ الْبِنْتِ بِشَاةٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ . فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَعَقٌّ عَنِ الْحَسَنِ بِشَاةٍ . وَيَحْلُقُ رَأْسَهُ . وَيَتَصَدَّقُ عَلَى وَزَنِ شَعْرِهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً . فَأَمَرَتْ بِهِ فَاطِمَةُ فِي الْحُسَيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .

باسم ((يصلح للذكور والإناث)) بأن يكون في آخره تاء ((كحمزة وطلحة)) فمن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال: بلغني أن السقط يوم القيامة وراء والديه يقول: أنت ضيعتني أنت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعبسة وعنبسة ((ولا يكنى بأبي عيسى إذا أب له)) أي لعيسى عليه السلام ((ونهى عنه)) أي عن التكنى المذکور لما يؤهم من خلاف المرام في سماع العوام في الأحياء سمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام إن عيسى عليه السلام لا أب له ففكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه ((ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة)) ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو أنثى ((في اليوم السابع)) من الولادة ((فهو مأمور به)) روت عائشة أنه عليه السلام أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة، الترمذي وصححه ((وعق عن الحسن بشاة)) واحدة وهذا رخصة في الاختصار على شاة واحدة، والحديث رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس بأسناده بم متصل ووصله الحاكم وصححه إلا أنه قال حسين، ورواه أبو داود، من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشاة، والبخاري من حديث سليمان بن عامر الضبي مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماء وأميطوا عنه الأذى وعن عائشة لا يكسر للعقيقة عظم، كذا في الأحياء وأمل وجهه تفاؤلا بصحة الأعضاء، وقال قتادة إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستبل بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده، كذا في الأحياء ((ويحلق رأسه)) أي في السابع لما سيأتى أوفى الأربعين كما عليه عمل أهل الحرمين ((ويتصدق على وزن شعره ذهبا أو فضة)) وهي المعروف كما سيأتى ((فأمرت به فاطمة في الحسين في اليوم السابع)) قال العراقي: حديث أمر فاطمة بيوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند

وَيُطْلَى السُّكَّرُ . أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَاتِهِ فَقَعْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزبير حين جاءت به أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا تَعَفُّفًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ

وَسُعْيًا عَلَى عِيَالِهِ . وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ، وَمَنْ

طَلَبَ الدُّنْيَا مُفَاخِرًا

الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه أحمد من حديث أبي رافع ﴿ وَيُطْلَى السُّكَّرُ ﴾ أى يُلَطِّخُهُ أَنْ تَيْسَرَ أَوْ الْعَسَلُ ﴿ أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَاتِهِ ﴾ بفتح اللام أى أَقْصَى خَلْقِهِ مِنْ حَنْكَةٍ ﴿ فَقَعْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ حِينَ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فَنِ الصَّحَابَةِ عَنْ أَسْمَاءَ رَأَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ بِقَبَاءِ ثُمَّ أَنْتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حَجَرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَغَلَّ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَنْكَةً بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ دُودِلَ فِي الْإِسْلَامِ فَفَرَحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: إِنْ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرْتُمْ فَلَا يُولِدُ لَكُمْ، وَبَقِيَّةُ حَقِّ الْوَلَدِ ذَكَرْتُ فِي بَابِ الصَّحْبَةِ ۝

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

أى المترتب عليه قطع الطمع، ولبعض الأكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال: ابتغى الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع في الجهل والطمع كذا في بيع الأبرار للزخشرى ۝ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وبه أستعين في كل أمر كريم، قال تعالى: (وجعلنا النهار معاشا) (وابتغوا من فضل الله) أى رزقه (وانفقوا من طيبات ما كسبتم) الآية ﴿ورد من طلب الدنيا حلالا﴾ أى حال كون المطلوب حلالا ﴿تعففا عن المسألة﴾ أى لأجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله ﴿وسعيا على عياله﴾ من زوجته وأطفاله ﴿وتعطفا﴾ أى ترحما وتلطفا ﴿على جاره﴾ من الفقراء في تحسين حاله وتزيين باله ﴿لقى الله﴾ أى يوم القيامة فى مآله ﴿ووجهه كالقمر ليلة البدر﴾ من حسن جماله وكمال مثاله ﴿ومن طلب الدنيا مفاخرًا﴾ أى حال كونه

مُكَاتِّرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ « فَالْكَسْبُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ . وَالْأَوْلِيَاءِ . وَفِيهِ سِتْرُ الْحَالِ . وَهُوَ أَوَّلِي إِظْهَارِ الْعَمَلِ مِنَ الْأَخْذِ بِالسُّؤَالِ وَبِغَيْرِهِ فَالْفَارِغُ سَائِلٌ بِلِسَانِ الْحَالِ ،

متفاخرا بتحصيل ماله ﴿ مكاترا ﴾ على أقرانه وأمثاله ﴿ لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ والله المستعان، والحديث رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب . وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة « ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المميشة » الطبراني في الأوسط . وأبو نعيم في الحلية ، وعن لقمان الحكيم قال : « لا بد من استغفار بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب لمروءته وأعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به » وكان عمر يقول « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وكان زيد بن سلمة يفرس في أرضه فقال عمر أصبت استغفرت عن الناس تكن أصوت لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك أحبته :

فلن أزال على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال ﴿ فالكسب سنة الأنبياء ﴾ منهم داود عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ وعلينا صنعة لبوس لكم ﴾ وأول من زرع آدم عليه السلام وأول من نجر نوح عليه السلام ، ويقال أول من خط أدريس عليه السلام ﴿ والأولياء ﴾ ومنهم أكثر الصالحاء ﴿ وفيه ﴾ أى في الكسب ﴿ ستر الحال ﴾ أى بما فيه من العلم والأعمال فيكون من الاتقياء الأصفياء ، ومن قال عز وجل فيهم : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ الآية ﴿ وهو ﴾ أى الكسب ﴿ أولى لظاهر العمل ﴾ أى للشتغل بالأعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه أجرى ﴿ من الأخذ بالسؤال وبغيره ﴾ كالطمع في أموال الرجال ﴿ فالفارغ ﴾ من الكسب لتحصيل الحلال ﴿ سائل بلسان الحال ﴾ ان لم يكن سائلا ببيان المقال ، وربما لسان الحال اكشف في تحصيل المال ، ومن هنا ورد « ان الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال » الديلمي عن علي ، وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر « ان الله يحب المؤمن المحترف » وورد « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري

وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ . وَالْعَالَمُ النَّافِعُ لِلنَّاسِ . وَالْمُشْتَغَلُ بِمَصَالِحِهِمْ كَالْقَاضِي
فَإِنْ أُعْطُوا الْكَفَايَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَإِلَّا يُقَابِلُ فُضَائِلَ الْكَسْبِ بِمَا فِيهِ مَعْنَا
وَيَعْمَلُ بِحَسَبِ الصَّلَاحِ * وَحَقُّهُ أَنْ يَنْوِيَ التَّعَفُّفَ . وَالتَّعَطُّفَ .

وقال: حسن صحيح، وعن ابن مسعود داني لا كره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر دنياه وجاءت ربيع عاصف في البحر فقال أهل السفينة لابراهيم ابن آدم: أما ترى هذه الشدة؟ فقال: ما هذه شدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس، وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم أما سمع قوله عليه السلام: إن الله جعل رزقي تحت رمحي، وفي مسند أحمد من حديث ابن عمر: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، واسناده صحيح، أو ما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير: «فقال تغدو وخماصا وتروح بطانا، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق» وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم ثم قال: أحمد والقدوة بهم، والحديث الثاني رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي: حسن صحيح (وأما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء. وتصنيفا. وتدريسا (والمشتغل بمصالحهم كالقاضي) وفي معناه الخليفة والمؤذن. والامام. وفقه الأنام (فإن أعطوا الكفاية من بيت المال) أي من وجه الحلال أو من أيدي الناس من الصدقات أخذوها واشتغلوا بما هو أفضل في حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) أي وإن لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) أي الأحاديث التي وردت في فضائله (بما فيه) أي من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (بمعنا) أي حال كونه مبالغافي تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فإن فيه النجاح، وقد أشار الصحابة على أبي بكر بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى، نعم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال، والحاصل أنه إن كان الصلاح في الكسب اختاره وترك ما هو فيه لغيره وإن كان الصلاح فيما هو فيه من الأمر المهم اشتغل به وتوكل على الله في أمر رزقه (وحقه) أي حق الكسب على ما ذكره ثلاثون (أن ينوي التعفف) أي عفة نفسه عن المسألة (والتعطف)

وَإِقَامَةُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ فِي صِنَاعَاتٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعِيشُ ، وَيَبَاكَرُ فُورِدُ
« أَنْ فِي الْغُدُوبِ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ » ، وَيَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّ النَّاسَ كَالْإِحْتِكَارِ ،

أَيُّ التَّرَحُّمِ عَلَى غَيْرِهِ بِزِيَادَةِ النِّفْقَةِ لِمَا تَقْدُمُ وَلِمَا رَوَى أَنَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
رَأَى رَجُلًا فَقَالَ مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ : أَتَعْبُدُ قَالَ : مَنْ يَعُولُكَ؟ قَالَ أَخِي قَالَ أَخُوكَ أَعْبَدُ مِنْكَ
(وَإِقَامَةُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ) أَيُّ نَوِيهَا (فِي صِنَاعَاتٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعِيشُ) أَيُّ
الْمُعِيشَةِ كَالزَّرَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالْحَيَاظَةِ وَالتَّجَارَةِ ، فِي الْخَبْرِ « تِسْعَةُ عَشَرَ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ ،
الْحَرْبِ فِي الْغَرِيبِ مِنْ حَدِيثِ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَقْدُمُ نَفْعِ الزَّرَاعَةِ ، وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ « خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ » وَاسْنَادُهُ حَسَنٌ (وَيَبَاكَرُ)
أَيُّ وَيَسْعَى فِي أَوَّلِ النَّهَارِ (فُورِدَانِ فِي الْغُدُوبِ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ) أَيُّ فُوزًا وَفَلَاحًا وَظَفَرًا
بِالْمُرَادِ وَصَلَاحًا ، وَالحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَابْنُ عَدَى عَنْ عَائِشَةَ « بَاكَرُوا
فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْحَوَائِجِ فَإِنَّ الْغُدُوبَ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ ، وَقَدْ وَرَدَ اللَّهُ بِأَرْكَ لَامَتِي فِي بَكُورِهَا
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عَجْرَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ
جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَظَرَ إِلَى شَابِذِي جِلْدٍ وَقُرَّةٍ وَقَدْ بَكَرِيَ سَعَى فَقَالُوا : وَيْحَ
هَذَا لَوْ كَانَ جِلْدُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَقُولُوا هَذَا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى
نَفْسِهِ لِيَكْفِيهَا عَنْ الْمَسْأَلَةِ وَيَغْنِيهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنَ
ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذَرِيَّةٍ ضِعَافٍ لِيَغْنِيَهُمْ وَيُلْغِيَهُمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يَسْعَى تَفَاحُورًا
وَتَكَاثُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ ، (وَيَجْتَنِبُ) أَيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ (مَا يَضُرُّ النَّاسَ
كَالْإِحْتِكَارِ) فَبَائِعِ الطَّعَامِ يَدْخُرُهُ مَنَظَرُ أَغْلَاءِ السَّعْرِ وَهُوَ ظَلَمٌ عَامٌ وَصَاحِبُهُ مَذْمُومٌ
شَرْعًا وَعَرَفَاءُ فُورِدُ « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمَحْتَكِرُ مَلْعُونٌ » الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ مَاجَةَ
فِي سُنَنِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ « مَنْ أَحْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ صَدَقَتُهُ كَفَّارَةٌ
لِإِحْتِكَارِهِ ، أَبُو مَنْصُورٍ الدِّبْلِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَالْخَطِيبُ فِي التَّارِيخِ
مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ « مَنْ أَحْتَكَرَ الطَّعَامَ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدِ بَرَى مِنْ اللَّهِ وَبَرَى اللَّهُ مِنْهُ » وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ أَحْرَقَ طَعَامًا مُحْتَكِرًا بِالنَّارِ وَكَذًا
فِي الْأَحْيَاءِ ، وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ « لَا مُحْتَكِرَ إِلَّا خَاطِي » ، وَلِابْنِ مَاجَةَ « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمَحْتَكِرُ
مَلْعُونٌ » قِيلَ وَمُدَّتُهُ أَرْبَعُونَ لِمَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ مَعَاذٍ « مَنْ أَحْتَكَرَ طَعَامًا عَلَى أُمَّتِي
أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَتَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ » ، وَفِي رِوَايَةِ لِأَحْمَدَ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ عُمَرَ « مَنْ أَحْتَكَرَ

وَيُلَوِّثُ الْبَاطِنَ كَالْجَزْرِ فَهُوَ يَقْسِي الْقَلْبَ وَالصِّيَاغَةَ فَهُوَ يَزِينُ الدُّنْيَا وَالظَّاهِرَ
كَالْحِجَامَةِ . وَالِدَّبَاغَةِ .

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس ، وفي رواية له وللحاكم عن أبي هريرة
« من احتكر حكرة يريد أن يغلب بها على المسلمين فهو خاطيء » وقد برئت منه ذمة
الله ورسوله ، وقوله خاطيء بالهمز وفي رواية فهو ملعون ، واستدل به مالك بعموم
الحديث على أن الاحتكار حرام في المطعوم وغيره ، وهو رواية عن أبي يوسف
والجمهور على أن الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله أعلم ، وروى
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن مسعود « ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من
بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة
في الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك في بيعتين
ولا في صنعتين بيع الطعام . وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلام وموت الناس واما الصنعتان
فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب اوصوا غا فانه يزخرف الدنيا بالذهب .
والفضة ، وهذا معنى قوله « ويلوث الباطن » أي ويحتجب بما يلوث باطنه ولو لم يلوث
ظاهره « كالجزر » وهو صنعة الجزار ويقال القصاب « فهو يقسى القلب والصياغة
فهي زين الدنيا » وهي مبعوضة الرب ، وأيضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار
الا عند شك في جودته أو حال ضرورته فقد قال أحمد بن حنبل : وردني عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الصياغة وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدينار دراهم
ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه أي يخرجها عن الربا ، وحديث النهي عن كسر
الدينار والدرهم رواه أبو داود . والترمذي . وابن ماجه . والحاكم من رواية علقمة
ابن عبد الله عن أبيه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يكسر سكة المسلمين الجائزة
بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل
ذهبا وضعفه ابن حبان « والظاهر » أي ويحتجب بما يلوث ظاهره ولو لم يلوث
باطنه « كالحجامة والدباغة » وفي معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدي الى
تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن وقد نهى عليه السلام عن
كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود « يحمل على نهى التنزيه
لانه عليه السلام احتجم وأعطى الحجام أجرته ولو كان حراما لما أعطاه وكيف لا

وَمَا يَعْسُرُ فِيهِ رِعَايَةُ الْاِحْتِيَاظِ كَالْصَّرْفِ . وَالِدَّلَالَةُ، وَمَا يُكْرَهُ فِيهِ قَضَاؤُهُ
تَعَالَى كَشْرَاءِ الْحَيَوَانَ . وَسَلَامَةُ النَّاسِ :

والحجامة من الصنائع التي عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض بهذه الصناعة لئلا يقع الناس في ضياعة اذلو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش وضاعت الحالات فانتظام أمر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمله يليق ولو أقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقي بمرءة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام «اختلاف أمتي رحمة، أي اختلاف همهم في الصناعات وسبحان من أقام العباد فيما أراد وكل حزب بما لديهم فرحون قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) والله در القائل :

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللإعداء مال

فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال

((وما يعسر)) أي ويحتمل ما يصعب ((فيه رعاية الاحتياط كالصرف)) لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير على عملاؤا ولأنه طالب لدقائق الصفات فيما لا يقصد من أعيانها وإنما يقصد رواجها وقل ما يتم للصير في ربح الا باعتبار جهالة معامليه بدقائق النقد فقل ما يسلم الصير في من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفي الجملة يجب على الصير في ان يحتنب من الفضل في المتجانسين ومن النسبة مطلقا ، وورد « لو اتجر أهل الجنة لا تجروا في البرزوا تجر أهل النار لا تجروا في الصرف ، الديلى من حديث أبي سعيد . وأبو يعلى الشطر الأول من حديث أبي بكر ((والدلالة)) بالفتح ويكره وقد كره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فقد قيل : رأس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل لا يتقدر فقد يقل ويكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر الى قدر التعب فان الأجر على قدر المشقة كذا في الأحياء ((وما يكره)) أي ويحتمل ما يكره ((فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان)) أي العبيد ونحوه لأجل التجارة فان المشتري يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذي بصدده ولا محالة خلق لأجله ((وسلامة الناس))

كَيْعِ الْكَفَنِ ، وَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْإِبْرِيسِمِ . وَآنِيَةِ الذَّهَبِ .
وَالْفُضَّةِ . وَالْمِزْمَارِ . وَرَفْعِ الْبِنَاءِ . وَتَزْيِينِهِ بِالْجُصِّ ، وَيَعَامَلُ مَتَدِينًا لَا يَسْتَرِ
حَالَهُ إِعَانَةً عَلَى الْبِرِّ لَا فَاسِقًا لِّثَلَايِعِينَ عَلَى الْإِثْمِ ، وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمُبِيعِ . وَذَمِّ
الْمُشْرَى . وَإِنْ صَدَّقَ ،

أى ويحتنب ما يكره فيه عاقبة الناس ﴿ كييع الكفن ﴾ على ما تقدم وفي معناه حفر
القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشجيع الفقراء وأعلامهم وأذكارهم من غير
اذكارهم ﴿ وما يحرم ﴾ أى ويحتنب ما يحرم ﴿ استعماله كقباء الإبريسم ﴾ أى
الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء، وفي الخبر « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة » رواه الشيخان وغيرهما عن أنس، وفي رواية أحمد عن جويرية « من لبس
الحرير في الدنيا البسه الله يوم القيامة ثوبا من النار » ﴿ وآنية الذهب والفضة ﴾
فانهما يحرمان مطلقا وفي الخبر « ان الذى يأكل أو يشرب في آنية الفضة انما يجر جر في
بطنه نار جهنم » رواه مسلم عن أم سلمة زاد الطبرانى الآن يتوب ﴿ والمزمار ﴾
فانه حرام باتفاق الأئمة الأربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية في القضب
﴿ ورفع البناء ﴾ أى زيادة على قدر الحاجة فانه يقال له : الى اين يا أفسق الفاسقين؟
وذلك لأنه عمل شداد في بناء قصره وعمل فرعون في بناء صرحه ﴿ وتزيينه بالجص ﴾
وكذا بالنورة والطين فانهما مكروهان أو حرامان لاسراف المال وتضييع الحال،
وروى الدارقطنى عن أبى الدرداء أنه عليه السلام « سئل أن يكحل المسجد - أى
بالنورة وغيرها - فقال : لأعرش كعرش موسى ، ﴾ ويعامل ﴾ عطف على يحتنب ﴿ متدينا
لا يستر حاله ﴾ أى فى الدين فيكون ظاهر الديانة ﴿ اعانة على البر لا فاسقا ﴾ وكذا
لا ظالما ولا أحدا من أعوانه ﴿ لثلايعين على الإثم ﴾ فقد قال تعالى : (وتعاونوا على
البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقد دخل سفيان الثورى على المهدي
ويده درج أبيض فقال : يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني أى شئ تكتب
فان حقا أعطيتك ﴿ ولا يبالغ في مدح المبيع ﴾ أى ان كان بائعا ﴿ وذم المشتري ﴾
أى المشتري ان كان مشتريا ﴿ وان صدق ﴾ أى ولو كان صادقا في مدحه وذمه فالمبالغة
فيهما مذمومة لأنه مما لا يعنيه فهو به ملوم ومذموم، وقد قال تعالى : (ما يلفظ من قول

وَلَا يَخْلِفُ، فَهُوَ جَعَلَهُ تَعَالَى عَرْضَةً لِلْإِيمَانِ لِتَرْوِيجِ الدُّنْيَا الْخَسِيسَةِ، وَوَرَدَ
« لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْفَقٍ سَلَعَتَهُ يَمِينُهُ، وَيُظَاهِرُ عَيْبَ الْمُبِيعِ » وَقَدَرَهُ. وَسِعِرَ
الْوَقْتُ، وَمَا سُوحَ بِهِ فِي الصَّفَقَةِ الْأُولَى فَالْإِخْفَاءُ خِيَانَةٌ،

الالديه رقيب عتيد (وقال عز وعلا : (والذين هم عن اللغو معرضون) وورده من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه، (ولا يخلف) ولو كان صادقا في يمينه من غير ضرورة في أمر دينه (فهو جعله تعالى) أي جعل الخالف اسمه سبحانه في هذا الخلف (عرضة للإيمان) أي كالعرضة التي أعدها القصاب لازالة ما يتلوث به يده أو كالمهدف الذي يرمى الرامي في كل ساعة سهمه اليه (لترويج الدنيا الخسيسة) باسمه الذي هو من الأشياء النفيسة وأما قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فمعناه لا تجعلوا الخلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى أحدكم الى بر فيقول حلفت أن لا أفعله بل ينبغي أن يفعله ويكفر عن يمينه (وورد) كما في صحيح مسلم (لا ينظر الله الى منافق) بتشديد الفاء المكسورة (سلعته) أي مروجها (يمينه) أي بخلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تترك الديار بلاقع وان كان صادقا فقد أساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفي الخبر « ويل للتاجر من يلى والله ولا والله وويل للصانع من يعدو غد ، كذا في الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير اسناده نحوه ، وفي الخبر « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة بمحققة للكسب ، متفق عليه (و يظهر عيب المبيع) أي في نفسه خفية وجلية (وقدره) أي ويظهر مقداره من الطول والعرض (وسعر الوقت) أي قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة ، وفي رواية عن تلقى البيوع كما في الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود، وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو أن يستقبل الرقعة ويتلقى الامتعة ويكذب في سعر الأزمنة ، وقد ورد « لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق، (وما سوح به) أي ويظهر ما سأمح بائعه الأول مع الثاني (في الصفقة الأولى) وهي تكون في بيع التولية، وصورته ان يبيع شيئا بمقام عليه فيظهر ما سوهل به الشيء معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان في قدره ووصفه (فالإخفاء خيانة) فإن الابداء ديانة، فمن واثلة « لا يحل

وورد « دَنَ غَشْنًا فَلَيْسَ مِنَّا » ، (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) الْآيَةُ ، وَلَا يَرْوِجُ

الزَّيْفَ بَلْ يُلْقِيهِ فِي الْبُئْرِ .

لاحدان يبيع يباعا لا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه « البيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد » (وورد من غشنا فليس منا) الترمذي عن أبي هريرة بسند صحيح ، وزاد الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود « والمكر والخداع في النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب في موضع الظلمة » وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة انه عليه السلام « مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال : ما هذا ؟ فقال أصابته السماء قال فملا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا » (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) أي الهلاك لاهل التطفيف في الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف في الميزان والمكيال فكيف الحال في أخذ الاحمال من أموال النساء والرجال (الْآيَةُ) وهي (الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وفيه وعيد في غاية التهديد ولقد كان بعضهم يقول لا تشتري الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد حبة ويقول : ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والأرض ، ويؤيده انه عليه السلام « اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح » كما رواه أصحاب السنن الأربعة وقال الترمذي : حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطرات أحواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة في مقام الفصل (وَلَا يَرْوِجُ الزَّيْفَ) وهو مالا نقرة فيه أصلا بل هو عملا أو مالا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه قال الغزالي : وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يجوز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معاملة وان لا يعامل به الا من لا يستحل التزويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور ، وفيه اعانة على الشر (بل يلقيه في البئر) فقد قال : بعضهم انفاق درهم زائف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين

وَلَا يَخْلُطُ التُّرَابَ بِالطَّعَامِ . وَمَا لَا يُعْتَادُ بِاللَّحْمِ فَهُوَ وَأَمْثَالُهُ حَرَامٌ ، وَلَا
يَقْدُمُ عَلَى شَيْءٍ لَا يُرِيدُ بِمَا فَوْقَ ثَمَنِهِ تَرْغِيًّا لِلشِّرَى . وَالْأَصْلُ أَنْ لَا يُرِيدَ لغيره مَا لَا يُرِيدُ
لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْخِيَانَةَ لَا تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ . وَالْذِّيَانَةُ لَا تَنْقُصُ . وَأَنَّ الْآخِرَةَ

وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى
أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد ونقص من أموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا
مات ماتت معه ذنوبه والويل لكل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ، ففي صحيح مسلم عن جرير
ابن عبد الله مرفوعا « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من
عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء » وبالجلة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم
في الأحوال وقد قال بعضهم : لا يغرنك من المرء قيص رقعته او ازار فوق كذب
الساق منه رفعه أو جبين لا يح فيه اثر قد قلعه فلذى الدرهم فانظر غبه أو ورعه (ولا يخلط
التراب) أي ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) أي الحبوب (وما لا
يعتاد) أي خلطه (باللحم) كالدم والغدة والجلد الرقيق و كذا اللحم المكسح بالضأن
والضعيف بالسمين (فهو) أي ما ذكر (وأمثاله) كحلط الماء باللبن والدهن بالسمن
والدبس بالعسل (حرام) لانه ظلم في حق الانام (ولا يقدم على شيء) أي سوم
شيء (لا يريد) أي لا يقصد شراؤه (بما فوق ثمنه ترغيبا للشترى) فانه النجش
المنهى عنه في المتفق عليه عن ابن عمر (والأصل أن لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه)
كما ورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » أخرجه الشيخان وغيرهما
وفي رواية « وحتى يكره لآخيه ما يكره لنفسه » (وهو) أي حصول هذا المقام انما
يكون (باعتقاد ان الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة) أي الموجهة للامانة (لا تنقص)
أي في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة
ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو في غاية
من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك
مالكها في الدنيا والآخرة صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص
منه في المال وقد قال تعالى : (يمحى الله الربا ويربى الصدقات) وورد « الامانة
تجر الرزق والخيانة تجر الفقر » القضاعي عن علي (وان الآخرة) أي وباعتقاد ان

أَوَّلَى مِنَ الدُّنْيَا ، فَوَرَدَ « لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سَخَطَ اللَّهِ
مَالْمُ يُؤْثِرُوا صَفْقَةً دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ » وَيَحْسِنُ بَانَ لَا يَغْنِي غَيْرَ مُعْتَادٍ ، وَإِنْ
أَعْطَى الْمُشْتَرَى لِرَغْبَةٍ أَوْ حَاجَةٍ ، وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَعِيفٍ أَوْ فَقِيرٍ ،

العقبى ﴿ أولى من الدنيا ﴾ كما قال تعالى : (والآخرة خير وأبقى) فيختار نفع العقبى
على نفع الدنيا لئلا يبق على ما يفنى ﴿ فورد لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق
سخط الله ﴾ أى آثار غضبه ﴿ مالم يؤثروا ﴾ أى مدقم يختاروا ﴿ صفقة دنياهم على
آخرتهم ﴾ أى عقد أيوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى ، والحديث رواه أبو
يعلى والبيهقى فى الشعب عن أنس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر وحتى نزلوا بالمنزل
الذى لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلبت لهم دنياهم ، والطبرانى فى الأوسط نحوه
من حديث عائشة والكل ضعيف إلا أنه يقوى بعضها ببعض ، ويؤيده حديث « من قال
لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما خلاصها ؟ قال تحجزه عما حرم الله » الطبرانى
من حديث زيد بن أرقم بإسناد حسن ﴿ ويحسن ﴾ أى البائع فى المعاملة ويعنى بالاحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل
فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى : (ان الله بأمر بالعدل والاحسان) فالعدل
سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات ، ويدرك الاحسان الكامل بستة أمور
﴿ بان لا يغبن ﴾ أى المشتري غبنا « (غير معتاد) » سواء كان فاحشا أم لا ﴿ وان
اعطى المشتري ﴾ أى ولو دفع ثمنه مع زيادة ﴿ لرغبة ﴾ أى زائدة « (أو حاجة) »
أى ملجئة لقوله تعالى : (واحسن كما أحسن الله إليك) وفى الاحياء قد ذهب بعض
العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولستأثرى ذلك ولكن من الاحسان
أن يحط ذلك الغبن ، وفى الخبر « غبن المسترسل حرام » الطبرانى من حديث أبى أمامة
بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال « ربابدل حرام » ، وقال الزبير بن
عدى : أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من أحديحسن يشترى لحما بدرهم فغبن
هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان
﴿ ويحتمله ﴾ أى وبان يحتمل الغبن « (من ضعيف) » بائع أو مشتري بان يكون مريضا
أو عن الكسب عاجزا « (أو فقيرا) » أى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون
به محسنا وأما ما ورد من ان الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال

فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ » لَا مِنْ غِنٍ لِأَنَّهُ تَضْيِيعٌ
لِلْمَالِ إِذَا لَا أَجْرَ وَلَا أَحَدَ . وَيَسَاحُحُ فِي قَبْضِ الثَّمَنِ . وَالْدِّينِ - بِنَقْصِ بَعْضِهِ .
وَتَرْكِ طَلَبِ فَقْدِ أَحْسَنَ : وَأَمْهَالٍ : وَقَبُولِ حَوَالَةٍ ، فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا
سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْتِضَاءِ مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسِبَهُ اللَّهُ حَسَابًا يَسِيرًا »

وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان أكرم من أن يخدع وعقل من أن يخدع، وكان
أياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب والخب
لا يغبنني ولا يغبن « ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبو يعلى يعنى معاوية
ابن قرة قلت : ومقام الحسن أيضا حسن لقوله عليه السلام « المؤمن غر كريم والفاجر
خب لثيم » أبو داود . والترمذى . والحاكم عن أبي هريرة ، وكان الحسن والحسين
وغيرهما من الصحابة يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال قليل
لبعضهم تستقصى في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال : ان الواهب يهب فضله
وان المغبون يغبن عقله ، وقال بعضهم انما أغبن عقلى وبصيرتى فلا أمكن الغابن منه
واذا وهبت فأعطى لله ولا استكثر له شيئا ، (فورد) في البخارى عن جابر مرفوعا
(رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشِّرَاءِ) تمامه سهل القضاء سهل الاقتضاء (لا من
غبن) أى لا يحتمل الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارتها فاحتمال
الغبن منه ليس فى محله (لأنه تضييع للمال) وتأسف فى المسأل (اذا لاجر) فى العقبى
(ولا احمد) فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت « ان المغبون لا محمود
ولا مأجور » الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن أبيه عن
جده . وأبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه (ويسامح فى قبض الثمن والدين)
أى وفى قبضه (بنقص بعضه) من الثمن والدين (وترك طلب فقد أحسن وأمهال
وقبول حوالة) فورد رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْتِضَاءِ (وهو تمة الحديث
المتقدم فليغتنم دعاؤه عليه السلام ، وقد ورد أيضا فى هذا المقام ، اسمح بسمحك لك «
الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (من أنظر معسرا) أى أمهله (أو
ترك له) أى أسقط عنه كله أو بعضه ولو حقيرا (حاسبه الله) يوم القيامة
(حسابا يسيرا) وفى لفظ آخر ، أظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ، أحمد

وَيَادِرُ فِي اعْطَاءِ الْأَجْرَةِ وَقَضَاءِ الدِّينِ قَبْلَ الْأَجْلِ بِأَحْسَنِ مَاشَرَطٍ .
وَيَنْوِي الْقَضَاءَ كَذَلِكَ أَنْ عَجَزَ فَوَرَدَ « أَنْ الْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ »

ومسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر وهو كعب بن عمرو، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس « انظره الله بدينه الى توبته، وفي رواية لأحمد . وابن ماجه . والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن بريدة ومن أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثله صدقة » وأصله قوله تعالى : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا) أى بكله أو بعضه : (خير لكم ان كنتم تعلمون) والتصدق سنة وهنا أفضل من الانظار الذى هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة ف قيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس وأقول لفتيانى ساعحوا الموسر وانظروا المعسر ، وفي لفظ آخر « تجاوزوا عن المعسر » فقال الله تعالى (نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له) رواه مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (ويبادر فى اعطاء الأجرة) وفى الخبر اعطوا الاجير أجره قبل أن يحف عرقه ، ابن ماجه عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الأجل) أى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الأمل (باحسن ماشرط) أى فى العقد الاول بأن يؤدى الجيدو كان الشرط مزيوفا فانه يوجب معروفاو يقتضى كون صاحبه مألوفافورد « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة (وينوى القضاء كذلك) أى باحسن ماشرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) أى لمن ينوى القضاء بأن يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث فى الاحياء بلفظ « من ادا دينه وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » ورواه أحمد عن عائشة « ما من عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ » وفى رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفى رواية للطبراني فى الأوسط « الامعه عون من الله عليه حتى يقضيه » وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت : وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم الا أن يحمل على شراء شىء الى الاجل المقرر

وَيَسْتَدِينُ فِي ضَعْفِ قُوَّةٍ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى . وَتَكْفِينِ مَيِّتٍ مُقَلٍّ وَنِكَاحٍ
يَتَعَفَّفُ بِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ يَقْضِيهَا وَيُقِيلُ أَنْ نَدِمَ الْبَائِعُ فَوَعَدَ عَلَيْهِ أَقَالَتهُ تَعَالَى
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَثْرَتُهُ « وَيُعَامِلُ الْفَقِيرَ نَسِئَةً عَلَى عِزِّمِ التَّرْكِ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ غِنَاهُ .
وَيَكِيلُ الطَّعَامَ أَخْذًا وَإِعْطَاءً ،

فتدبر ﴿ ويستدين ﴾ أى يستقرض ويتدين ﴿ فى ضعف قوة فى سبيله تعالى ﴾ بأن
يكون فى حج أو غزوة وفى زاده أو مات مر كوبه ﴿ وتكفين ميت مقل ﴾ أى
فقير قريبا كان أو بعيدا ﴿ ونكاح يتعفف به ﴾ أى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه
﴿ عليه تعالى ﴾ أى متوكلا عليه ومستندا اليه تحسينا للظن لديه أن يرزقه ما يقضيه
﴿ فهو يقضيها ﴾ أى جميع ما عليه من الديون الثلاثة بكرمه اما فى الدنيا واما يرضى
صاحبه فى العقبى ﴿ ويقل ﴾ من الاقالة أى يرد البيعة ﴿ ان ندم البائع ﴾ على شرائها
وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما فى الاحياء ويقل من يستقبله
فانه لا يستقبل الامتدح يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون
سبب استضرار غيره ﴿ فوعد عليه ﴾ أى على اقالته النادم ﴿ اقالته تعالى ﴾ أى
عفوه ﴿ يوم القيامة عثرته ﴾ أى ذنوبه وزلته ، وكان الاولى ان يقول فورد ﴿ من اقال
نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة ، أبو داود . والحاكم من حديث أبي هريرة
وقال : صحيح على شرط مسلم ﴾ ويعامل الفقير نسيئة ﴾ أى صبرا عليه ﴿ على عزم
الترك ﴾ أى ترك المطالبة أو الأخذ ﴿ ان لم يظهر غناه ﴾ بأن يحقق فقره اليه فيكون
فى هذا محسنا اليه فانه لا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره
ضائعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح فى العقبى لا يفى به ما يناله فى الدنيا فيكون
من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه وغيره وصفقته
على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شأنه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه
صدق يقينه . قال بعض السلف : أولى الاشياء بالعاقل أحوجه اليه فى العاجل وأحوج
شيء اليه فى العاجل أحده عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا)
أى لا تنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة
مخزنة الذخيرة الفاخرة ﴿ ويكيل الطعام ﴾ أى الحبوب ﴿ أخذوا إعطاء ﴾ أى حال

ففيه البركة . وَيَخْتَارُ حَرْفَ السَّلَفِ كَالْحَرْثِ . وَالْحَمَلِ . وَالنَّجْرِ . وَالْخِيَاطَةِ
وَالْقَصْرِ . وَالْخَصْفِ . وَالرَّعْيِ . وَالْكِتَابَةِ ،

أخذ وحال اعطاء ﴿ ففيه البركة ﴾ وفي الخبر « كيلوا طعامكم بيسارك لكم فيه ، أحمد
والبخاري عن المقدام ، وفي رواية ابن النجار عن علي « كيلوا طعامكم فان البركة
في الطعام المكيل » وروى البزار عن أبي هريرة أنه عليه السلام نهى عن بيع الطعام
حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه
النقصان ، وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية
والله ولي الهداية ﴿ ويختار حرف السلف ﴾ فكان غالب أعمال الاخيار من السلف
عشر صنائع ، الخرز . والتجارة . والحمل : والخياطة . والقصارة . وعمل الخفاف .
وعمل الحديد . وعمل المغازل . ومعالجة صيد البر والبحر . والوراقة ﴿ كالحرث ﴾
وهي الزراعة وهي صنعة آدم أولا ، وقد قال عليه السلام : « التمسوا الرزق في خبايا الارض ،
والمراد الزرع وانشدوا :

تتبع خبايا الارض وادع مليكها • لعلك يوما أن تجاب وترزقا
ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى : (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور) ولا يبعد ان يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل
للزراعة والتجارة والله سبحانه أعلم ﴿ والحمل ﴾ أى حمل الامتعة من محل الى محل
بأجرة معينة وبنان الحمل كان من أهل الكمال ﴿ والنجر ﴾ أى التجارة ، وفي مسند أحمد
وصحيح مسلم عن أبي هريرة كان زكريا نجارا ﴿ والخياطة ﴾ قيل انه من صنعة ادريس
﴿ والقصر ﴾ وهو غسل الثياب ومنه الحواريون ﴿ والخصف ﴾ أى خرز النعل والقربة
ونحوهما وصح أنه عليه السلام كان يخصف نعله ﴿ والرعى ﴾ أى رعى الغنم والابل
ونحوهما ، وهو من صنعة الانبياء والاولياء ﴿ والكتابة ﴾ فهي حرفة العلماء والمشايخ
الاصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقاء الدين القويم
والمنهج المستقيم ، قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل : ما صنعتك ؟ قلت :
الوراقة قال : كسب طيب لو كنت صانعا يدي لصنعت صنعتك وهو يحتمل أن يكون
معناها الكتابة أو صنعة الورق بمعنى الكاغد الذي تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل
المداد فانه آلة الكتابة ، وقد ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد

فورد « خير تجارتكم البر وخير صناعاتكم الخرز » ويلزم ما رزق فيه. ويترك ما اتجر فيه ثلاثا فلم يرزق. ويتخذ الغنم. والدجاج ونحوها للدر والنسل ففيها عشر الرزق،

العلماء (فورد خير تجارتكم البر وخير صناعاتكم الخرز) الديلمي عن علي تعليقاً ويقال: أربعة من الصناعات موسومة عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول بضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء يزيد في العقل فان الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فليُنظر بمن يخال، وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكمة فطلبت الطريق فارشدها غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها، وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الأموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الأذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وإن حكم المتأخرون بجواز ذلك اذلم يروا من يقوم بهذه الأمور احتساباً هنالك (ويلزم ما رزق فيه) أي من أنواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها إلى غيرها، ففي الخبر « من رزق في شيء فليزمه » البيهقي عن أنس، وفي رواية ابن ماجه من حديث أنس وعائشة « من بورك له في شيء فليزمه » وفي رواية له عن أنس بلفظ « من أصاب من شيء فليزمه » (ويترك ما اتجر فيه ثلاثا) أي ثلاث مرات (فلم يرزق) أي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الأمور وتيسيرها، وفي الخبر « اليسر يمن والعسر شؤم » الديلمي عن رجل، وينتقل إلى غيره (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) وفي الخبر « ان يغلب عسر يسرين » وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محل الذي ذكره يليق (ويتخذ الغنم) ففي مسند الفردوس للديلمي عن أبي هريرة « الغنم أموال الأنبياء » وفي رواية الخطيب عن أبي هريرة « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرائبها » وفي رواية أبي يعلى عن البراء « الغنم بركة » (والدجاج ونحوها) كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام (للدرا) أي اللبن (والنسل) أي التاج (ففيها عشر الرزق) أي ويسر الرفق، وروى في التجارة تسعة عشر الرزق، وفي سنن ابن ماجه « أن النبي ﷺ أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج، وقال عند

فَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْرَانُ . وَغَنَمٌ مِنْ لِبْنِهَا قُوتُ أَهْلِهِ وَيَخْتَارُ صَنْفٌ .
السُّودُ وَالْبَيْضُ . وَلَا يَحْرِصُ ، فَوَرَدَ «شَرُّ الْبَقَاعِ السُّوقُ وَشَرُّ أَهْلِهَا أَوْلَهُمْ دُخُولًا
وَأَخْرَجَهُمْ خُرُوجًا» *

اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه في بهجة الانسان في مهجة
الحيوان ﴿ فكان له عليه السلام بعيران ﴾ بضم أوله جمع بعير ﴿ وغنم من لبنها قوت
أهله ﴾ وفي المواهب اللدنية كانت له خمسة وأربعون لفحة أرسل بها إليه سعد بن عبادة
وكانت له مائة شاقو كانت له سبعة أعنز منايح ترعاها أم ايمن ، ورورد خذ الحبة من
الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ، أبو داود ، وابن ماجه .
والحاكم عن معاذ ﴿ ويختار ﴾ أى من الغنم ﴿ صنفا ﴾ أى نوعا مجتمعاً فيه ﴿ السود
والبيض ﴾ كما حكى في غنم شعيب عليه السلام ورعى الكليم فى ذلك المقام ﴿ ولا
يحرص ﴾ على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها ﴿ فورد شر
البقاع السوق ﴾ لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والذسيان وموضع راية الشيطان
وجنوده أعداء الانسان ﴿ وشر أهلها أولهم دخولا وأخرهم خروجاً ﴾ رواه أبو نعيم
من حديث ابن عباس بلفظ « أبغض البقاع الى الله الأسواق وأبغض أهلها الى الله
أولهم دخولا وأخرهم خروجاً » وقد تقدم حديث « شر البقاع الأسواق وخير
البقاع المساجد » فينبغى أن لا يمتنع سوق الدنيا عن سوق العقبى وأسواق الآخرة
المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد ، وكان عمر يقول للتجار اجملوا أول
نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره
للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصديان وأهل الذمة
لانهم كانوا فى المساجد بعد ، وفي الخبر « أن الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى أول
النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيىء الأعمال » أبو يعلى من حديث
أنس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى : (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ويؤيده
حديث « تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله
وهو أعلم : كيف تركتم عبادى فيقولون : تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول
الله : أشهدكم انى قد غفرت لهم » متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد جاء فى تفسير قوله
تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أنهم كانوا حدادين وخرازين

وَلَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا لِحَاجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ غَزْوَةٍ، وَيَتَوَرَّعُ، فُورِدَ «أَمَّا الْوَرَعُونَ
فَأَنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَحَاسِبَهُمْ»

فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغرور
ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة، وقد قيل: من أحب الآخرة عاش ومن أحب
الدنيا طاش واللاحق يغدو ويروح في لاش والعاقل في دينه فتاش ﴿ ولا يركب
البحر الا لحج أو عمرة أو غزوة ﴾ رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو فكان حقه
أن يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق، والمعنى أنه يدل
على كمال حرصه وعدم القناعة في أمره فكان من السلف من إذا ربح دانقا أنصرف قناعة
به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل في الاسبوع
الا يوما أو يومين ﴿ ويتورع ﴾ أي عن الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات
وقد حمل الى رسول الله ﷺ بن فقال: من أين لكم هذا؟ فقيل من هذه الشاة فقال: ومن
أين لكم هذه الشاة؟ فقيل: من موضع كذا فشرب منه ثم قال: انا معاشر الانبياء امرنا
أن لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد
ابن أوس بسند ضعيف، ويقويه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا) ويؤيده قوله عليه السلام: ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:
(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) وعن أبي هريرة ؓ كان إذا
أتى بطعام من غير أهله سأل عنه، الحديث رواه أحمد من حديث أبي هريرة ؓ باسناد
جيد، وله من حديث جابر ؓ أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم
شاة، الحديث، وفيه فاخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيفها فقال: هذه شاة
ذبحت بغير إذن أهلها، الحديث واسناده جيد، والحاصل انه عليه السلام كان لا يسأل
عن كل ما يحمل اليه الا اذا ظهر له ما يدل على ريبه لديه، وفي البخاري من حديث عائشة
ؓ كان لا يبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل أبو بكر من خراجها يوما بشيء
فأكل منه أبو بكر فقال الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكنت لانا في
الجاهلية فاعطوني فادخل اصبعه فيه وجعل يقي، وفي بعض الاخبار انه عليه السلام لما
أخبر بذلك قال: او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا، فعنى قوله ويتورع أي
يطلب الورع من نفسه ويبالغ في ترك حظه فان الورع أصل الدين كما أن الطمع
فساده في مقام المجتهدين ﴿ فورد اما الورعون فاني استحي ان احاسبهم ﴾ أي

وَأَدْنَى رُتْبِهِ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْوَرَعُ . ثُمَّ عَنِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ التَّقْوَى ،
 فَوَرَدَ « دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » وَهُوَ كُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ وَالْأَخْذُ مِنْ
 عِلْمٍ أَنَّ فِي مَالِهِ حَرَامًا . أَوْ عَلَيْهِ عَلَامَةٌ عَدَمُ الْمُبَالَاةِ ، وَصَلَةُ السُّلْطَانِ إِنْ اشْتَبَهَ
 بَيْتُ الْمَالِ . وَاسْتِحْقَاقُ الْأَخْذِ أَوْ قَدْرُهُ . وَالْأَوَّلَى فِي مِثْلِهِ السُّؤَالُ عَنِ الْغَيْرِ .
 وَالتَّعْلِيلُ كَيْ لَا يَتَأَذَى فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ أَهْمٌ مِنَ الْوَرَعِ

فَانْهَمَ حَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَحَاسِبُوا الْحَدِيثَ لَمْ أَعْرِفْهُ (وَأَدْنَى رُتْبِهِ) أَيْ
 مَرَاتِبُ التَّوَرَعِ (الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْوَرَعُ) الْمَخْصُوصُ بِهِ فِي عَرَفِ الْأَعْلَامِ
 * (ثُمَّ عَنِ الشَّهْوَةِ) هِيَ أَيْ شَهْوَةُ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَكَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ عَنِ الشَّبْهَةِ
 وَلَعَلَّهُ سَهْوٌ فِي النُّسخَةِ (وَهُوَ التَّقْوَى) * أَيْ كَامِلُهَا وَجَمَالُهَا (فَوَرَدَ دَعِ مَا يَرِيْبُكَ) أَيْ
 مَا يَوْقِعُكَ فِي الرِّيْبَةِ وَالشَّبْهَةِ (إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ) هِيَ النَّسَائِي وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّاحُهُ مِنْ
 حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (وَهُوَ) * أَيْ الْمَرِيْبُ (كُلُّ مَا) هُوَ فِي نُسْخَةٍ كَمَا * (اخْتَلَفَ فِيهِ) عِنْدَ
 الْعُلَمَاءِ بِالْحُلِّ وَالْحَرْمَةِ وَالْكِرَاهَةِ وَالْخُلُوعِ عَنْهَا كَأَنَّ كُلَّ الضُّبِّ وَنَحْوِهَا (وَالْأَخْذُ) هُوَ بِالرَّفْعِ
 أَوْ الْخَفْضِ أَيْ ثُمَّ الْوَرَعُ عَنِ الْأَخْذِ وَالْمَرِيْبُ كَالْأَخْذِ (مَنْ عِلْمٌ) هِيَ أَيْ ظَنُّ ظَنَّا غَالِبًا (أَنْ فِي
 مَالِهِ حَرَامًا) ، بَلَّغَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهُ حَرَامًا (أَوْ عَلَيْهِ) هِيَ أَيْ أَوْ أَنَّ عَلَى نَفْسِهِ (عَلَامَةٌ عَدَمُ
 الْمُبَالَاةِ) فِي الْمَعَامَلَاتِ فَكُلُّ مَنْسُوبٍ إِلَى ظُلْمٍ أَوْ خِيَانَةٍ أَوْ سَرَقَةٍ أَوْ رِبَا فَلَا يَمَامِلُهُ وَكَذَافِي
 الْأَجْنَادِ وَالظَّالِمَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَأَصْحَابِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَفِي الْخَبَرِ « مَنْ لَمْ يَبَالِ
 مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمَالُ لَمْ يَبَالِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ ، الدِّيلِيُّ عَنْ أَنَسٍ
 (وَصَلَةُ السُّلْطَانِ) هِيَ أَيْ ثُمَّ الْوَرَعُ عَنِ أَخْذِهَا أَوْ كَسْبِهَا وَاعْطَائِهَا (أَنْ اشْتَبَهَ
 بَيْتُ الْمَالِ) هِيَ أَيْ التَّبَسُّعُ مَالِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ (وَاسْتِحْقَاقُ الْأَخْذِ) * أَيْ أَخْذُهُ
 فِي تِلْكَ الْجُمْلَةِ وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْمَصْدَرَ وَاسْمَ الْفَاعِلِ وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ * (أَوْ قَدْرُهُ) هِيَ
 أَيْ مِنْ جُمْلَةِ الْمَالِ (وَالْأَوَّلَى فِي مِثْلِهِ) * أَيْ فِي مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَوَاضِعِ الْإِشْتِبَاهِ (السُّؤَالُ
 عَنِ الْغَيْرِ) هِيَ أَيْ مِنْ أَهْلِ الْإِتْبَاهِ فَإِنْ رَأَى الْعَلِيلَ عَلِيلًا وَالنَّفْسَ بِالطَّبْعِ إِلَى هَوَاهَا
 وَهَوَاهَا تَمِيلُ (وَالتَّعْلِيلُ) هِيَ أَيْ وَالْأَوَّلَى فِي مِثْلِهِ حَالُ الْإِمْتِنَاعِ أَظْهَرَ الْإِعْتِذَارِ
 (كَيْ لَا يَتَأَذَى) هِيَ أَيْ صَاحِبُهُ فِي الْأَسْرَارِ (فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ) هِيَ أَيْ ادْخَالُ السَّرُورِ فِي
 قَلْبِهِ بِقَبُولِ مَالِهِ وَلَوْ بِشَبْهَةٍ فِي حَالِهِ (أَهْمٌ مِنَ الْوَرَعِ) هِيَ فِي أَظْهَارِ فِعَالِهِ فَعَنْ ابْنِ عَمْرٍ

أَمَّا الْوَهْمُ الْغَيْرُ النَّاشِ عَنْ دَلِيلٍ كَالْاحْتِرَازِ عَنِ الصَّيْدِ لِاحْتِمَالِ كَوْنِهِ
مَلَكًا لِلْغَيْرِ وَلَا أَثَرَ عَلَيْهِ. فَوْسُوسَةٌ وَيَبْنَى فِيهِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ . فَوَرَدَ
(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) ثُمَّ عَمَّا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةً مَابَهُ بِأَسْ . وَهُوَ الصَّدَقُ فِي التَّقْوَى
كَتَرَكَ . الْعَزَبُ الشَّبَعُ وَالْعَطْرُ لَتَحْرِيكُهُمَا الشَّهْوَةَ . ثُمَّ عَمَّا لَيْسَ لَهُ تَعَالَى وَهُوَ
الصَّدَقُ الْمَطْلُوقُ كَتَرَكَ خَطْوَةً أَوْ لَقْمَةً لَيْسَ فِيهِمَا نِيَّةٌ

وما من شيء أحب إلى الله من ادخال السرور على أخيك المسلم ه ابن النجار ه (اما
الوهم الغير الناش عن دليل) ه أى عما يشعر بعلّة شبهة وريبة ه (كالاحتراز عن
الصيد) ه أى مطلقا ه (لاحتمال كونه ملكا للغير) ه أى سببا ه (ولا أثر عليه) ه
أى على الصيد من علامة دالة على أنه للغير ه (فوسوسة) ه ويسمى شبهة الشبهة
ه (ويبنى) ه أى أمر الورع ه (فيه على ظاهر الحال) ه أى حال المسلم لما ورد ونحن
نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو أعلم بالضمان ه (تحسينا للظن) ه أى بأخيه
المؤمن ه (فورد ان بعض الظن اثم) ه وهو الذى لا علامة فيه عما يوافقه أو ينافيه ،
واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفي الآية أيضا
الى هذا المفهوم اشارة ، وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل أو تاجر تعارف
الربا فدعك الى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فان الهناء لك وعليه الوزر فاذا ثبت
هذا فى المرابى فالظالم فى معناه ه (ثم) ه أى ثم الورع ه (عما لا بأس به مخافة مابه
بأس) ه فى سنن ابن ماجه ه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة
مابه بأس ه (وهو الصدق فى التقوى) ه أى المسمى به ، ومنه أنه عليه السلام ه أرق ليلة
فقال له بعض نسائه ارقى يا رسول الله ؟ فقال : أجل وجدت ثمرة فأكلتها فخشيت ان
تكون من الصدقة ، احمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن
ه (كترك العزب الشبع) ه أى المفرط ه (والعطر) ه أى الطيب الكثير وهما مما لا بأس
بهما ه (لتحريكهما الشهوة) ه التى بها بأس فتكون باعثة له على الريبة والشبهة ه (ثم) ه
أى ثم الورع ه (عما ليس له تعالى) ه أى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى أصل
أمره ه (وهو الصدق المطلق) ه وصاحبه الصديق المحقق ه (كترك خطوة أو لقمة) ه
وكذا ترك نظرة . وخطرة . وسكون . وحركة ه (ليس فيهما) ه وفى أمثالهما ه (نية

عِبَادَةٌ فَهُمْ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَى لَقِيَمَاتٍ يَقْوِينَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالتَّحْقِيقِ أَنَّهُ كَلِمًا
يَشْدُدُ فِي الْأَحْتِيَاظِ يَكُونُ سَبِيلًا لِلتَّخْفِيفِ، وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ * »

عبادة) وقصد سعادة) فهم) أى أهل هذا المقام وهم الصديقون) كانوا يقتصرون
على لقيمات يقوين على العبادة) أبدانهم، وروى عن عمر « أنه كان يأكل سبع لقم
أو تسعا، وقد أشير إليه بقوله لقيمات فإنه أقل جمع القلة وهو مادون العشرة وفي هذا
بيان الكمية وفي تصغيرها إيماء إلى تقليلها في الكيفية) والتحقيق أنه كلما يشدد
في الاحتياط يكون سبيلًا للتخفيف) أى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب) والأصل
الاستفتاء من القلب) والاستخارة في كل أمر من الرب فورد « استفت قلبك وإن
افتاك المفتون وماخاب من استخار » ثم اعلم أن أغلب أموال السلاطين حرام
في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز في الديار ، وقد اختلف الناس في
هذا فقال : قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أن يأخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
ما لا يتيقن أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا ، والاعدل أن الحكم للأغلب فإذا كان
حراما حرم وإذا كان حلالا يفتى بحله وحكم الورع بتركه إلا أن هذا الزمان لم يوجد
إلا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ، ولقد احتج من جوز أخذ أموال
السلاطين إذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى
عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم
كأبي هريرة . وأبي سعيد الخدري . وزيد بن ثابت . وأبي أيوب الأنصاري . وجابر
ابن عبد الله . وجابر . وأنس . والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد . وأبو هريرة من
مروان . ويزيد بن عبد الملك ، وأخذ ابن عمر . وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير
من التابعين منهم كالشعبي . وإبراهيم . والحسن . وابن أبي ليلى ، وأخذ الشافعي من
هارون الرشيد ألف دينار في دفعة ، وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمعة وقال على كرم
الله وجهه : خذ ما أعطاك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال
أكثر وإنما ترك من ترك منهم العطاء تورعا لا ترى إلى قول أبي ذر للاحنف بن قيس
خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه ، وقال أبو هريرة إذا أعطينا قبلنا
وإذا منعنا لم نسأل ، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان إذا أعطاه معاوية
سكت وإن منعه وقع فيه ؛ وروى نافع عن ابن عمر أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله

ثم يقول: لا أسأل أحدا ولا أأرد ما رزقني الله ، وعن نافع أنه بعث ابن معمر إلى ابن عمر
سبعين ألفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض من أعطاه وأعطى
السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: ألا أجيزك بجائزة لم أجزها أحدا من
العرب قبلك ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمئة ألف فأخذها ،
وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية ، وقال حكيم
ابن جبير : مررت على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من أسفل الفرات فأرسل إلى
العشارين اطعمونا بما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل منه وأكلنا معه وزعمت هذه الفرقة
أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع
كالخلفاء الراشدين . وأبي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا
ومن الحلال الذي يخاف انضاؤه إلى محذور ورعاً ، وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه
ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين ألفا وما نقل عن الحسن أنه قال :
لا أتوضأ من ماء صيرفي وإن ضاق وقت الصلاة لأنني لأدري أصل ماله كله ذلك ورع
لا ينكر ، ومن هذا القبيل أن أبا بكر حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة
آلاف درهم ففرقها لبيت المال وإن عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له وأخذت
درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية
إلى بيت أهلها تبكي وجمعت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبعه فيها فأخرجها وطرحه
على الخراج وقال أيها الناس : ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما لله سله من قريبهم وبعيدهم ؛
وكشع أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر فأعطاه إياه فرآه
عمر في يد الغلام فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت
أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمظلمة
ورد الدرهم إلى بيت المال ، وقال عمر : أني لم أجد نفسي في مال بيت المال إلا كوالى
مال اليتيم أن استغنيت استغففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وعن ابن عمر أنه قال
في أيام الحجاج ما شبت من الطعام منذ انتهت الدار إلى يومى هذا ، وروى عن علي
كرم الله وجهه أنه كان له سويق في إناء محتوم يشرب منه فقيل له : اتفعل هذا بالعراق مع
كثرة طعامه ؟ فقال : أما أني لا اختمه بخلافه ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره
أن يدخل بطني غير طيب ، وعن ابن المبارك أن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون
بأبن عمر . وعائشة ما يقتدون بهما لأن كلا منهما كان يفرق ما يأخذه في مجلسه وكذا جابر
ابن زيد وقيل يتصدق بهو كان يقول رأيت أن آخذ منهم وأتصدق أحب إلى من أن ادعها في

أيديهم وهكذا فعل الشافعي بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن استجراً على أموالهم وشبه نفسه بالصحابه والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين (ثم اعلم) ان الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقاً في بيت المال لكونه مسلماً مكثراً جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كماقة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امراً يقوم به ويتعدى صاحبه الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين ترتبط بمصالح الدنيا بأعمالهم وهم الاجناد والمرتزة الذين يحرسون الممالك بالسيوف والسهام من أعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال ، وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر أيضاً بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فى الاختيار، فله ان يوسع بالعناية ويقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضى الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثنى عشر ألف نقرة فى السنة واثبت لعائشة وجماعة فى هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة فى جريدة اخرى اثنى عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابوبكر رضى الله عنه فى زمانه فراجع عمر فقال: انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق كما فى زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فقلاً بعضهم وقال: كل ما يأخذ المسلمون فيه شركاء ولا يدرى ان حصته منه درهم او دنانير او حبة فليترك الكل وقيل: له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل: له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل: انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقيون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم تنفق قسمة حتى مات هؤلاء لم

﴿الباب السابع في الاتباع والمعيشة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَّ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) * (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) فَلَا ضِلَّ أَتْبَاعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ يُصِيرُ الْعَادَةَ عِبَادَةً وَيُنَوِّرُ الْبَاطِنَ وَيَذَكِّرُ الْعَبُودِيَّةَ وَيَقْرُبُ إِلَى الْإِرْتِيَاضِ ، فَالْمُسْتَرَسِلُ فِي أَتْبَاعِ الْهَوَى يُشَبِّهُ الْبَهَائِمَ ، هَذَا

يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يتمتع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم، وقد وقع الاطئاب في هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب في معرفة الخطأ والصواب •

﴿الباب السابع في الاتباع في المعيشة﴾

أى لاجل المعاش فى أمر الدنيا وأخذ زاد المعاد فى العقبى، وهذا الباب مشتمل على أنواع من الآداب كالأكل . والشرب . واللبس . والنام . والسلام وما لا يستغنى عنه الأنام ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ مفتاح كل كتاب كريم ﴿ ورد قل ان كنتم تحبون الله ﴾ أى وتبتغون رضاه ﴿ فاتبعونى ﴾ فى كل ما قدره وقضاه وأمره ونهاه تماماً (يحبكم الله) أى يثبكم فيما خلقه من دنياه وأخراه (ويغفر لكم ذنوبكم) فى عقباه (والله غفور رحيم) لمن عصاه ثم اتقاه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ أى من أوامره تماماً (وما نهاكم عنه فانتهوا) من زواجره ﴿ فلا ضل ﴾ أى الذى عليه نظام الاحكام ﴿ اتباعه عليه السلام فى جميع الأمور ﴾ من أحوال الأنام ﴿ لانه ﴾ أى اتباعه ﴿ يصير العادة عبادة وينور الباطن ﴾ ونوره يوجب سعادة ﴿ ويذكر العبودية ﴾ أى التى هى القيام بحقوق الربوبية ﴿ ويقرّب الى الارتياض ﴾ أى تهذيب الأخلاق عن الأوصاف الذمائم ﴿ فالمرسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم ﴾ كما أشار اليه قوله تعالى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل) لأنها ليس لها استعداد الأنام ويأكلون كل تأكل الأنعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام ﴿ هذا ﴾ أى خذ هذا

وَإِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَبَاحٍ إِلَى آخِرٍ لَا طَّلَاعَهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ فِيهِ
فَتَرَكُهُ لِلتَّكْذِيبِ كُفْرًا . وَدُونَهُ حَقٌّ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ
تَنْظِيفًا وَتَعْظِيمًا ، وَوَرَدَ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْبِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْبِي اللَّمَمَ »

الكلام () وإنما عدل عليه السلام من مباح إلى آخر لا طلاعه بنور النبوة على فائدة
فيه () دون الآخر انتقالا وفق انتفاع الهدى لاسترسالا في اتباع الهوى () فتركه ()
أي ترك الاتباع () للتكذيب كفر () بالاجماع () ودونه () أي وتركه بدون التكذيب
() حق () أي جهالة وضلالة من غير النزاع () وحقه () أي وحق اتباعه عليه السلام
في انتفاعه بالطعام الذي هو أصل معاش الانام () أن يغسل اليدين () إلى الرسغين
فغسل اليد الواحدة أو الأصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح به في العوارف .
والغنية () قبل الأكل وبعده () فهما ستان كما في السراجية ولو غسل يديه للطعام أو
عنه يصير الماء مستعملا لأقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما في الجامع
الصغير الخاني () تنظيفا () أي تطهيرا عن التلوث نظرا إلى الثاني () وتعظيما () للنعمة
نظرا إلى الأول ففي الكلام لف ونشر مشوش () وورد الوضوء () المراد به اللغوى
وقيل الشرعى () قبل الطعام ينبي الفقر () لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة () وبعده
ينبي اللمم () أي إصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم أو إصابة الحس ذوات
السم وقيل صفائر الذنوب ومنه قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انذروا أنفسكم لا يحبسكم
الله فإفراجه) وفي نسخة من الأحياء ينبي الهم قال ، وفي رواية
« ينبي الفقر قبل الطعام وبعده » قال مخرجه : رواه القضاعي في مسند الشهاب من
رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول ، وللطبراني في الأوسط من حديث
ابن عباس « الوضوء قبل الطعام وبعده » ما ينبي الفقر « وهو من سنن المرسلين . ولأبي
داود . والترمذي من حديث سليمان « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده »
اتهم ورواه أحمد . والخام في مستدركه ، وفي رواية الحاكم في تاريخه عن عائشة
« الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنة » واغرب سفيان الثوري في قوله : يكره
غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على أنها إذا كانت نظيفة بلارية ولذا قيل : يد
المصل طاهرة فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد أن يكون مأخذه ما رواه الترمذي في الشمائل

وَيَفْتَحُ بِالْمَلْحِ وَيَخْتَمُّ بِهِ ، فَقِيهِ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ . وَدَفَعَ سَبْعِينَ بَلَاءً .
وَيَأْكُلُ عَلَى السَّفَرَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَالْخَوَانُ . وَالْمَنْخَلُ . وَالْأَشْنَانُ .
وَالشَّبْعُ مِنَ الْبِدْعِ . وَأَنْ لَمْ تَكُنْ مَذْمُومَاتٍ غَيْرَ الشَّبْعِ

عن ابن عباس أنه عليه السلام «خرج من الخلاء فقرب إليه الطعام فقالوا: الا تأتيك بوضوء؟ فقال: انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة ، وروى أيضا فيهما أنه عليه السلام «خرج من الغائط فأتى بطعام فقيل له الاتوضأ؟ فقال عليه السلام: أصلي فأتوضأ ، فاخذ بظاهره مالك . وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعي استحبه تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعي فلا ينافي الوضوء اللغوي العرفي من غسل اليدين مع أنه عليه السلام أراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما في الترمذي عن سليمان قال: قرأت في التوراة ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام وأخبرته بما قرأته في التوراة فقال عليه السلام: « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده ، انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم أخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون أثر الغسل قائما عند الأكل كذا في الخانية (ويفتح) أي يبتدىء بعد التسمية (بالملح) أي الخالص (ويختتم به فقيه) أي فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به (مغفرة الذنوب) أي الصغائر (ودفع سبعين بلاء) أي عن الظواهر أو الضمائر وهذا لم أجده أصلا (ويأكل على السفرة) أي من الجلد أو الخرق (الموضوعة على الأرض) فهو أقرب الى أدبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد «كان اذا أتى بطعام وضعه على الأرض» أحمد في كتاب الزهد عن الحسن مرسلا. والبزار من حديث أبي هريرة نحوه، وفي البخاري عن أنس ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ فقال: على السفروهي جمع السفرة الدالة على السفر المذكور لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة (فالخوان) أي استعمال الموائد (والمنخل والأشنان والشبع من البدع وان لم تكن) أي ولولم تكن هذه البدع الأربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء: ثلاثة يبغيضهم الناس البخيل . والمتكبر . والاكول، وقال أبو سليمان الداراني: من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة . وقصور حفظ الحكمة .

متأدبا فوردا « لا آكل متكثا »

وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع . ويقل الطاعة : وأن يدور المؤمنون حول المساجد . والمحافل وهو يدور حول المظاهر . والمزابل ويقال إن في قلة الأكل منافع كثيرة منها أن يكون أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما . وأقل نوما . وأطيب نفسا . وأخف بدنا . وألطف حسنا، وفي كثرة الأكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم ويتولد منها الأمراض المختلفة ويقال : إذا كانت العلة من قلة الأكل صلحت بمؤنة قليلة وإذا كانت من كثرة الأكل تحتاج إلى مؤنة كثيرة تدفعها، ثم ليس كل ما ابتدع منياعه بل المنهى عنه ابتداء بدعة تضاد سنة، قال الحجة : وإيس في المائدة الرفع الطعام عن الأرض ليتيسر الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، أقول : وإنما الكراهة من حيث أنه يخالف للسنة وشعار أهل النعمة وطريق أهل الكبر والنخوة قال والأربعة التي ذكرناها أنها مبتدعة ليست متساوية بل الاثنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب والاثنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر وكانوا مشغولين بأمورهم أهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الأيدي أيضا وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت : ثبت الغسل بالآخبار فلا ينافي ما فعلوه أحيانا في حال الاضطرار، وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف الاختيار، وفي الخاتمة عن أبي حنيفة . وأبي يوسف لا بأس بغسل اليد بعد الأكل بالعجين والدقيق فهما بمنزلة الاثنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما أولى فإن النظافة بهما تنقئ، وفي الإزهار شرح المصاييح قال العلماء : ورد عنه عليه السلام أنه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل في الحالين، وورد مسح اليدين بالمنديل والحصباء إلا أن يريد أكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره، ومن هنا قيل يد المصلي طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الأطعمة والحالات وأكثر أحواله الغسل قبل الطعام وبعده أو الاكتفاء بالغسل في آخره والله أعلم قال : وأما المنخل فالمقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التعيم المفرط، وأما الشبع فهو أشد هذه الأربع فانه يدعو إلى تهيج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء في الأعضاء (متأدبا) أي يأكل حال كونه متأدبا في هيئة جلوسه (فوردا لا آكل متكثا) أي متمكنا في مقعده سواء يكون مستندا أو متكثا على أحد شقيه أو متربعا أو مضطجعا، والحديث رواه

أَنَا عَبْدُ آكُلَ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ « إِلَّا الْفَاكَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَكُّهِ فَيَجُوزُ
مُتَّكِنًا . وَمُضْطَجِعًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى الرَّجْلِ الْيَسْرَى وَيَنْصِبُ الْيَمْنَى ، فَهُوَ
مَسْنُونٌ . وَيَنْوِي بِهِ الْقُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ دُونَ التَّلَذُّذِ ، وَيَقْدُمُهُ عَلَى الصَّلَاةِ
إِنْ أَمِنَ فَوْتَهَا

البخارى من حديث أبى جحيفة ، وفى السراجية . لا بأس بالآكل متكئا إذا لم يكن عن
تكبر ، وكذا فى الاختيار مثله (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد) البزار من حديث
ابن عمر وزاد أحمد فى الزهد من حديث عطاء بن أبى رباح ومن حديث الحسن مرسل
« واجلس كما يجلس العبد » ، وورد بسند ضعيف أنه عليه السلام « زجر أن يعتمد
الرجل بيده اليسرى عند الأكل » (إلا الفاكهه) استثناء من قوله لا آكل متكئا
(على سبيل التفكه) أى التقليل من الحبوب (فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس
على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون) وروى أبو الحسن المقرئ فى الشئائل
من حديث أنس « كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم
قال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وفيه تنبيه نبيه على أن الآكل
على المائدة كربه وربما جثا للآكل على ركبته وجلس على ظهر قدميه ، فقد روى
أبوداود من حديث عبد الله بن بسر فى أثناء حديث « أتوا بثلث القصعة فالتفوا عليها
فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ ، الحديث وله وللنسائى من حديث أنس « رأيت
يأكل وهو وقع من الجوع » وفى القساموس أقمى فى جلوسه تساند إلى ماوراءه ،
وروى عن على « أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال : منبطح على بطنه
والعرب قد تفعل ذلك إذا لم يكن مانع هنالك ، وأما ماورد من نهي عليه السلام عن
أكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه أبوداود وابن ماجه . والحاكم فهو محمول
على التنزيه وكذا يكره الآكل قائما (وينوى به) أى بالآكل (القوة على الطاعة
دون التلذذ) وقصد الشهوة ، ومن دعاء السلف بعد الأكل اللهم اجعله عونا على طاعتك
ولا تجعله عونا على معصيتك ، ومن ضرورة هذه النية تقليل الآكل فى القضية وفى الخبر
« ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات تقعن صلبه فأن لم يفعل فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » الترمذى وقال حسن . وابن ماجه من
حديث المقدام بن معدى كرب (ويقدمه) أى الآكل (على الصلاة أن أمن فوتها)

لثَلَا يَبْرُدُ وَلَا يَلْتَفِتُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ ، وَوَرَدَ « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعِشَاءُ
فَابْدُءُوا بِالْعِشَاءِ » ، وَيُكْثَرُ الْإِيْدَى ، فَوَرَدَ « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يَبَارِكُ لَكُمْ
فِيهِ » وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَفِيهِ تَقْلِيلُ الْأَكْلِ وَالْإِتْفَاقُ وَالْجَمْعُ
فِي الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

أى بخروج وقتها وإنما يقدمه (لثلا يبرد) إذا قعد لديه (ولا يلتفت القلب إليه)
فالأكل المخلوط بالصلاة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام (ووردا إذا حضر العشاء)
بفتح العين أى طعام الليل (والعشاء) بكسره أى صلاته (فابدءوا بالعشاء) وهو
يشمل العشائين وكذا إذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا إلى العلة
وهى الشاغلة والحديث كذا فى الاحياء قال العراقى فى شرح الترمذى : لا أصل له فى كتب
الحديث بهذا اللفظ وأصل الحديث فى المتفق عليه بلفظ « إذا وضع العشاء وأقيمت
الصلاة فابدءوا بالعشاء » والجمهور على أن الأمر للنذب فقيل : إنه مقيد بمن كان محتاجا
إلى الأكل وهو المشهور وقيل على إطلاقه وإليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة
الامام فلا يقوم عن عشائه ، وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابددوا به قبل أن
تصلوا المغرب ولرواية إذا وضع العشاء وأحدكم صائم وقيل وهو لا ظهر ينبغى حملها
على العموم نظرا إلى العلة وهى التشوق المفضى إلى ترك الخشوع وذكر المغرب
لا يقتضى الحصر فيها لأن الجائع غير الصائم قد يكون أشوق إلى الأكل من الصائم ،
ثم الحمل على العموم إنما هو بالنظر إلى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر إلى اللفظ
الوارد كذا فى فتح البارى شرح البخارى (ويكثر الإيدى) أى على الطعام ولو
من أهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) بصيغة
المجهول أبو داود . وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب بإسناد حسن قيل : الأكل
مع العيال أفضل من الأكل وحده والأكل مع الغير أفضل من الأكل مع العيال
(وكان عليه السلام لا يأكل وحده) الخرائط فى مكارم الأخلاق عن أنس (وفيه
تقليل الأكل) أى غالبا (والاتفاق) أى الإيثار المحمود بالاتفاق (والجمع فى
القصة الواحدة أحب إلى الله تعالى) فعنه عليه السلام « خير الطعام ما كثرت عليه
الأيدي » كذا فى الاحياء رسكت عنه مخرجه ، وعن عمر مرفوعا « كلوا جميعا ولا تفرقوا

وَيَحْتَنَبُ الْقِصْعَةَ الصَّغِيرَةَ فَلَا بَرَكَهَ فِيهَا . وَنَحْوُ الصُّفْرِ . وَالنُّحَاسِ .
وَالْخَزَفِ وَيُسَمَّى فِي الْإِبْتِدَاءِ : وَالْأَحَبُّ فِي كُلِّ لُقْمَةٍ . وَيَجْهَرُ تَذْكِراً لِلغَيْرِ ، وَلَا
يَعِيبُ مَا كُولاَ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَلَا يَتَجَاوَزُ عَمَّا يَلِيهِ ، فَرَدَّ « كُلُّ مَا يَلِيكَ إِلَّا
فِي الثَّمَارِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ مُعَلَّلٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ نَوْعاً وَاحِداً ،

فإن البركة مع الجماعة » ابن ماجه (ويحتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم اتساع الأيدي (ونحو الصفرة والنحاس) أي ويحتنب الأكل فيما (فالمسنون الخشب والخزف) وأما الصيني فهو غاية التنعيم ولم يكن يستعمله السلف (ويسمى في الابتداء) فهو سنة مؤكدة فعن عائشة إذا أكل أحدكم طعاما فليذكرا اسم الله فإن نسي أن يذكرا اسم الله في أوله فليقل بسم الله على أوله وآخره ، أبو داود . والنسائي : والخالم وقيل : التسمية واجبة ويحمد في الانتهاء فانه مستحب (والاحب في كل لقمة) أن يسمى في أولها ويحمد في آخرها وفي الأحياء يقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ، فعلى هذا يقول مع الأولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهز) أي بالتسمية (تذكرا للغير) وتحريرا لغيره على الخير (ولا يعيب ما كولا) من المباح (فهو المأثور) أي المتفق عليه من حديث أبي هريرة انه عليه السلام « كان لا يعيب ما كولا ان أعجبه أكله والا تركه فذهب بعضهم الى أن العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره ، وقال العسقلاني : والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت : لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ، ومن الأدب أن يأكل يمينه (ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له اذن وسم الله وكل يمينك بما يليك (الا في الثمار) أي الفواكه (فهو) أي استثناءؤه (مروى معلل بأنه ليس نوعا واحدا) اذ يوجد فيه ماهونى ومنضوج وبين ذلك ، وأيضا اذا كان في الطبق أنواع من الثمار ففي كل نوع له حق فلا يكره أن يأكل من غير ما يليه والحديث رواه الترمذى . وابن ماجه . وابن حبان من حديث عكراش بن ذئب وفيه « جالت يد رسول الله ﷺ في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت » فانه غير لون واحد

وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذُرْوَةِ الْقِصْعَةِ . وَلَا مِنْ وَسْطِهَا وَوَسْطِ الْخُبْزِ وَلَا بِأَصْبَعَيْنِ
فَهُوَ تَكْبِيرٌ . وَلَا بِأَرْبَعٍ فَهُوَ شَرٌّ وَالسَّنَةُ ثَلَاثٌ وَلَا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ
بِهِ وَلَا يَقْطَعُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ بِالسَّكِينِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْعَجَمِ فِي التَّرْفَعِ .

﴿ وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذُرْوَةِ الْقِصْعَةِ ﴾ أى أعلاها ﴿ وَلَا مِنْ وَسْطِهَا ﴾ أى ولولم يكن مرتفعاً
بل من جانبها فعن ابن عباس « كلوا فى القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن
البركة تنزل فى وسطها » أحمد . والبيهقى ، وفى رواية أبى داود . وابن ماجه عن
عبد الله بن بسر « كلوا من حواشيها وذرّوا ذرّوتها يبارك فيها » وفى رواية لابن ماجه
عن وائلة « كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فإن البركة تأثبها من فوقها »
﴿ وَوَسْطِ الْخُبْزِ ﴾ أى ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياساً على
القصعة إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ﴿ وَلَا بِأَصْبَعَيْنِ ﴾ أى إلا إذا كان لا يحتاج إلى
ثالثة ﴿ فَهُوَ تَكْبِيرٌ ﴾ وكذا بأصبع فإن الآكل بها مع أنه فعل المتكبرين لا يستلذه
إلا كل ولا يستدري به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كن أخذ حقه حبة حبة
﴿ وَلَا بِأَرْبَعٍ فَهُوَ شَرٌّ ﴾ أى حرص على الطعام إلا إذا احتاج به فقد قيل أنه عليه السلام
ربما كان يستعين فى الآكل بأربع أصابع وكان لا يأكل بأصبعين وقال الشيطان
يأكل بهما ﴿ وَالسَّنَةُ ﴾ أى المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام ﴿ ثَلَاثٌ ﴾
فقى الشمالك للترمذى عن كعب بن مالك أنه عليه السلام يأكل بأصابعه الثلاث فقد
قال العلماء : يستحب الآكل ثلاث أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة للضرورة
وإماماً أخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب أن النبى ﷺ كان إذا أكل
أكل بخمس فحمل على القليل النادر لبيان الجواز أو على المائع ﴿ وَلَا بِالشِّمَالِ ﴾
أى ولا يأكل بها ﴿ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِهِ ﴾ أى بهذا العضو فعن جابر « لا تأكلوا
بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال » ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات
﴿ وَلَا يَقْطَعُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ بِالسَّكِينِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْعَجَمِ فِي التَّرْفَعِ ﴾ أى التكبر
والتعنى فى أزمته جاهليتهم أما النهى عن قطع الخبز بالسكين فرواد ابن حبان فى الضعفاء
من حديث أبى هريرة . وابن حبان من حديث أم سلمة وهو أيضاً مناف لا كرامه كما
سيأتى بيانه فى مقامه ، وأما حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين فرواه أبوداود .
والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث عائشة مرفوعاً « لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من

وَيَحْضُرُ الْبَقْلَ فَهُوَ يَحْضُرُ الْمَلَائِكَةَ . وَيَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَالْخُلَّ فَهُوَ يَنْفَى

الْفَقْرَ وَيُغْطِي الْحَارَّ حَتَّى يَبْرُدَ فَهُوَ أَعْظَمُ

صنيع الأعاجم وانهشوه فانه أهنا وامراً ۝ وللترمذى . وأحمد . والحاكم من حديث صفوان بن أمية وقال انهشوا اللحم نهشاً فانه أشهى وأهنا وامراً وفيه إيماء الى جواز القطع ففي الشماثل عن المغيرة بن شعبة قال: ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فأتى بجانب مشوى ثم أخذ الشفرة فحزلى بهامنه ۝ وفي الصحيحين أنه عليه السلام ۝ احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فلقى السكين التي يحتز بها ثم قام يصلى ولم يتوضأ ۝ وفي البيهقي أن النهي عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد ۝ اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة ۝ رواه الحاكم عن أنس وفي رواية له ولغيره ۝ فانه أروح لاقدامكم ۝ (ويحضر البقل) أى يجعله حاضراً في السفرة ۝ (فهو يحضر الملائكة) أى اذا لم يكن له رائحة خبيثة ۝ (ويطرد الشياطين) لأنهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل واحد لكن لم أعرف له أصلاً وفي الأحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل ۝ وفي الخبر ان المائدة التي أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل . وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان، وعن علي رضي الله عنه من ابتداء غذاءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبينة حمراء لم يرفى جسده شيئاً يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب، والسفارجات أى السكريات أو المهضومات من المعجونات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفى النفساء بشيء افضل من الرطب، والسماك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالغداء وليقل من العشاء . وليلبس الخذاء أى النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين أى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء ۝ (والخل) أى ويحضره ۝ (فهو ينفي الفقر) فقد ورد ما افتقر من آدم بيت فيه خل ۝ الطبرانى . وأبو نعيم عن عائشة ۝ (ويغطي الحار) أى يستره لئلا يقع فيه شيء ولا يلتفت اليه ۝ (حتى يبرد) أى يسهل أكله ۝ (فهو أعظم

بركة وهو السنة . وَيُكْرِمُ الْخَبْزَ ، فَوْرَدَ «أَكْرِمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لَهُ مِنْ
بَرَكَاتِ السَّمَاءِ» فَلَا يَمْسَحُ بِهِ الْيَدُ وَلَا يَضَعُ عَلَيْهِ الْقُصْعَةَ . وَلَا يَنْظُرُ الْإِدَامَ .
وَيَكْسِرُ بِالْيَدَيْنِ وَيَقْدُمُ الْمَكْسُورَ عَلَى الصَّحِيحِ . وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا .
وَيَصْغُرُ اللَّقْمَةُ وَيَجُودُ الْمَضْغُ . وَيَسْتَعِينُ

بركة وهو السنة) أى ثابت بها لقوله عليه السلام « ابردوا بالطعام فان الحار
لا بركة فيه ، رواه الحاكم وغيره ، ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر
الى أن يسهل أكله ، والحديث عند أحمد عن ابن عباس وهو عند أبي داود . والترمذي
وصححه . وابن ماجه الا أنهم قالوا في الاناء والترمذي وصححه من حديث أبي سعيد
نهي عن النفخ في الشراب أى لئلا ينفصل من ريقه شيء و يقع فيه فينفر الطبع منه ،
(ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) أخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة ، وفي
رواية « فان الله أكرمه ومن أكرم الخبز فقد أكرم الله » وفي رواية (فان الله أنزله
من بركات السماء) أخرجه البغوي في معجم الصحابة بكامله من حديث عبد الله
ابن زيد مرفوعا والطبراني من حديث أبي سكينه وفي رواية زيادة « واخرجه من بركات
الأرض » رواه الحكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لأنه نوع اهانة (ولا
يضع عليه القصعة) ولا المملحة لأنه قلب الموضوع (ولا ينظر الادام) لأن
العيش به تمام في مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللثام ، والله در القائل
من الكرام :

وما هي الا جوعة قد سددها . و كل طعام بين جنبي واحد

(ويكسر باليدين) لا بيد واحدة كالمكبزين (ويقدم المكسور على الصحيح)
أى في أكله (ولا يلتفت يمينا وشمالا) لأنه يوجب اختيالا (ويصغر اللقمة)
إيماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يذفي ابن آدم لقيمات بصيغة التصغير (ويجود
المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يتلها فلا يمد يده الى غيرها اشعارا بعدم
الشراه وطول الامل واحتمال قرب الاجل وأما حديث الأمر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة
فقال النووي : لا يصح ذكره الزركشي ، وكذا حديث « صغروا الخبزوا كثروا عدده
يأزك لكم فيه » ضعفه ابن حبان رواه الديلمي بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين

بِالْيُسْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدَامِينَ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَلْعَقُ
الْأَصَابِعَ فَلَا يَدْرِي فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْهُ الْبَرَكَةُ . وَالْقَصْعَةُ فَهُوَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ . وَيَأْكُلُ
السَّوَاقِطَ فَهُوَ مَأْثُورٌ ، وَوَرَدَ « فَهُوَ مَهْورُ الْحُورِ » وَسَبَبُ سَعَةِ الْعَيْشِ
وَالْعَافِيَةِ فِي الْوَلَدِ وَيُخْلَلُ الْأَسْنَانُ

باليسرى) أي من الدين (عند الحاجة) أي الملجئة اليها فقي الطبراني عن عبد الله بن جعفر
قال رأيت في يمين النبي ﷺ قثاء وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة
(ولا يجمع بين الأدامين) فإنه نوع من الترفه فالنهي للتزهد وكذا ما في تحفة الملوك من
أن الجمع بين الأطعمة حرام أي ممنوع تنزيهه عند السلف الكرام والافتد قال تعالى: (قل
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقد ورد «أنه جمع التمر والقثاء»
كما رواه النسائي، وأخرج أبو داود . وابن ماجه «قدم علينا رسول الله ﷺ فقدمنا له
زبدًا وتمرًا وكان يحب الزبد والتمر» (فالكل مأثور) وعند أهل الآثار مشهور والعامل به
ما جور (ويلعق الأصابع) أي الثلاث، يبتدىء بالوسطى (فلا يدري في أي جزء منه
البركة) ففي صحيح مسلم من حديث أنس . وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه
فإنه لا يدري في أي طعامه البركة (والقصعة) أي يولجسها (فهو كعتق رقبة) ففي
الأحياء يقال: من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة، ففي الطبراني
عن العرياض من لعق الصحيفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة (ويأكل
السواقط) جمع الساقطة، ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة (فهو مأثور) ففي صحيح مسلم
«إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليعط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان»
وورد «أكرموا الخبز فإنه من بركات السماء والأرض ومن أكل ما سقط في السفرة
غفر له» الطبراني (وورد فهو مهور الحور) ففي الأحياء يقال التقاط الفتات مهور
الحور العين (وسبب سعة العيش) أي الرزق في الدنيا حيث عظم نعمة المولى
(والعافية في الولد) أي ذريته من الفقر والبلاء، ففي الأحياء من أكل ما يسقط
من المائدة عاش في سعة وعرف في ولده، قال المخرج رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب
من حديث جابر بلفظ «آمن من الفقر . والبرص . والجذام وصرف عن ولده الحق،
وفي رواية «أعطى سعة من الرزق ووفى الحق في ولده وولد ولده» (ويخلل الأسنان)

وَيُخْرِجُ مَا بَقِيَ مِنْهُ . وَيَمْضِضُ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ . وَيُحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ
عَرَى عَنِ الشُّبْهِ وَالْأَيْسْتِغْفَرُ وَيَغْتَمُ وَيَبْكِي . وَيَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
وَيَقْرَأُ الْإِخْلَاصَ . وَالْقُرَيْشَ . وَلَا يَقُومُ قَبْلَ الرَّفْعِ . وَيَدْعُو لِصَاحِبِهِ أَنْ أَكُلَ
طَعَامَ الْغَيْرِ . وَيُقَدِّمُ الْأَفْضَلَ فِي الْغَسْلِ . وَالْأَكْلِ . وَالشُّرْبِ .

أى تنظيفاً (ويخرج) أى بالخلال (مابقى منه) أى ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه
(ويمضض) أى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة (فالكل مأثور) وبعضه
فيما قدمنا مذكور، وفى الاحياء فقيه أثر من أهل البيت (ويحمد الله تعالى) بان يقول
« الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى أطعمنا
وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقني من غير حول
منى ولا قوة وأمثال هذا » بما قد ورد فى السنة (ان عرى) أى خلا الطعام (عن
الشبهة) أى القوية (والا يستغفر) ويندم (ويغتم) حزنا على ما أكل منه
فورد « كل لحم نيت من سحت فالنار أولى به ، اليهقى فى شعب الايمان من حديث
كعب بن عجرة (ويبكى) فليس من ياكل ويبكى كمن ياكل ويلهى (ويقول الحمد
لله على كل حال ويقرأ الاخلاص) أى سورة قل هو الله أحد (والقريش)
صوابه قريش أى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء، ولعل الأولى للإيماء الى توحيد
الذات وتفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار
الى تذكار أوصافه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال : (فليعبدوا رب هذا
البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وأقول : وقراءة سورة الفاتحة
المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا
لمن منعه (ولا يقوم) أى عن السفرة (قبل الرفع) أى للطعام الا اذا كان عاد ذلك
المقام (ويدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير) فيقول . اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له
وارحمه وان افطر عند قوم قال : افطر عند لم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت
عليكم الملائكة (ويقدم الافضل) أى فى السن والرتبة كالعالم والسيد (فى الغسل)
أى فى غسل اليد آخر او يؤخره او لامراعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة
ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس (والاكل والشرب)

و يَقْبَلُ إِلَّا كَرَامَ كَتَقْدِيمِ الطَّسْتِ فَالْكِرَامَةُ لَا تَرُدُّ ، وَلَا يُطِيلُ انْتِظَارَ
الْجَمْعِ ، فَوَرَدَ (فَمَالَبْتُ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٌ) وَلَا يَسْكُتُ فَهُوَ سِيرَةُ الْعَجْمِ .
وَيُرَافِقُ الرَّفِيقَ . وَيَتَعَهَّدُهُ غَيْرَ مُلْعٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَهُوَ مَرُورِي . وَلَا يَحْلِفُ
بِجَاءِ : الطَّعَامِ أَهْوَنَ مِنْ

أى ويقدمه فيه . ما مطلقا لقوله عليه السلام : « إذا وضع الطعام فليبدأ أمير القوم أو صاحب
الطعام أو خير القوم » ابن عساكر عن أنى إدريس الخولاني مرسل (ويقبل) أى
الضيف (إلا كرام كتقديم الطست) من المضيف أو غيره أصله الطس أبدل من
أحدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة كذا فى القاموس ، والظاهر أنه أعجمي (فالكرامة
لا ترد) بل تقبل ، وقد اجتمع أنس بن مالك . وثابت البناني وهو تلميذه التابعي فقدم
أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال له أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا
تردها فانما يكرم الله عز وجل ، وروى أن هارون الرشيد دعا بأبى معاوية الضير فصب
الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال : بأبى معاوية أتدرى من صب على يدك الماء ؟
فقال : لا فقال : صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله (ولا يطيل انتظار الجمع) أى إذا كان
هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى له أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اجتمعوا إلا كل
وتهيئوا له (فورد لما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى وفيه أنه لم يكن هناك
من ينتظر فلا استدلال به فيه نظر (ولا يسكت) أى حين الأكل (فهو سيرة
العجم) من المجوس لكن لا يتكلم كثيرا أيضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البعجم
بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها بما يناسب المقام
(ويرافق الرفيق) أى بان يؤثره أحسن الأطعمة ولا يقصد أن يأكل زيادة على
ما يأكله فان ذلك حرام أن لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كانت الطعام مشتركا
(ويتعهده) أى يتفقده فى الجملة (غير ملع) أى فى عزمه على الأكل فيقول
له كل (ولا يزيد على ثلاث) أى ثلاث مرات (فهو مروي) فقد كان عليه
السلام إذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث رواه أحمد من حديث جابر
واسناده حسن ، وفى البخارى من حديث أنس « كان يعيد الكلمة ثلاثا » (ولا يحلف)
بتشديد اللام معلوما أو مجهولا (لجاء) أى عن الحسن بن علي (الطعام أهون من

أَنْ يَحْلِفَ عَلَيْهِ . وَلَا يَحْجُوجُهُ إِلَى التَّعْهِدِ ، وَيَجْمَعُ مَاءَ الْكُلِّ فِي طَسْتٍ مَا أَمَكَنَ

فَوَرَدَ « أَجْمَعُوا وَضُوءَكُمْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ »

ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه (ولا يحجوجه)
اي رفيقه او مضيفه (الى التعهد) قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من الرفقاء من
لا يحجج صاحبه الى تفقده في اكله وحمل بفعله عن أخيه مؤنة، قوله وكان ابن المبارك
يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من أكل أكثر اعطيته بكل نواة درهم او كان
يعد النبوى فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط في بساط
الانبساط، وقال جعفر بن محمد: أحب اخواني الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم
على من يحججني الى تعاوده في الاكل * (و يجمع ماء الكل في طست ما أمكن) هـ
أي مهما وسع * (فورد اجمعوا وضوءكم) هـ بالفتح أي ماء الوضوء وهو يشمل اللغوى
والشرعى هـ (جمع الله شملكم) هـ أي تفرقكم ، والحديث رواه القضاة عن حديث
أبي هريرة باسناد لا بأس به ، وكان حق المصنف أن يأتى بهذه الجملة قريبا عما سبق
ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق، والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدي
في الطست الكبير لا بأس به اذا كانت في حالة واحدة بل هو أقرب الى التواضع
والانكسار وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد
لما يفعل ببعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود : اجتمعوا على غسل
الايدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم ، وكتب عمر بن عبدالعزيز الى الامصار
ولا يرفع طست من بين أيدي القوم الاملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما أخرجه
البيهقي . والخطيب . والديلمي عن ابن عمر مرفوعا ترعوا الطسوس وخالفوا المجوس
وهو بالتاء قبل الراء أي امثوها، والخادم الذي يصب الماء على الايدي كره بعضهم
أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا أي باركا ليكون أقرب الى التواضع وكره
بعضهم جلوسه وأحب قيامه هـ وفي الطست آداب وهي أن لا يصبق فيه . وأن يقدم فيه
المتبرع . وأن يقبل الاكرام بالتقديم وأن يدارى يمينه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجتمع
الماء فيه وأن يكون الخادم قائما مائلا . وأن يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق حتى
لا يرش على الفراش وعلى أصحابه ويصب صاحب المنزل يده الماء على يده مائلا كما فعل
مالك بالشافعي في أول نزوله عليه وقال : لا يركع مني ما رأيته مني بخدمة الضيف فرض.

وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يَكْرَهُ الرِّفِيقُ قَوْلًا وَفِعْلًا كَالنَّفَخِ . وَالنَّظَرِ إِلَى أَكْلِهِ وَنَقْضِ
الْيَدِ . وَتَقْرِيبِ الرَّأْسِ . وَاخْرَاجِ شَيْءٍ مِنَ الْفَمِ مُتَوَجِّهًا . وَأَخْذِهِ بِالْيَمِينِ
وَجَعْلِ اللَّقْمَةِ الْمَمْضُوعَةِ فِي الْقَصْعَةِ . وَالدهْنِ فِي الْخَلِّ وَالْعَكْسِ وَالتَّكَلُّمِ
بِالْقَاذُورَاتِ وَالْأَهْوَالِ وَالْإِسْتِثْنَانِ وَالْإِمْتِنَاعِ قَبْلَ امْتِنَاعِهِ .

قلت: ولعله مأخوذ من قوله تعالى: (وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين)
وقوله عليه السلام: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقوله إذا جاءكم
الزائر فاكرموه، الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس د (ويحترز عما يكره
الرفيق قولاً) أي بما لا يعجبه ويكون سبباً للدورة خاطره (وفلاً كالنفخ)
أي في الطعام أو الشراب لما تقدم، وكذا لا يشم الطعام فإنه من عمل الأنعام ولا يأكل
في الظلمة فهو منهى عنه ولا قائماً أو ماشياً لأن فيه دناءة إذا جعله عادة (والنظر إلى
أكله) أي فيستحي من عمله بل يشتغل بنفسه إلا إذا أكل مع أهله (ونقض
اليَدِ) أي في القصعة (وتقريب الرأس) أي وتقديمه عند وضع اللقمة في فيه
(وخراج شيء من الفم متوجهاً) أي إلى رفيقه أو طعامه (وأخذه باليمين) فينبغي
أن يخرج الشيء من الفم صارفاً وجهه وأخذاً ييسره (وجعل اللقمة الممضوعة)
في القصعة) فانه سبب ينفر الطبيعة (والدهن في الخل) أي ولا يغمس اللقمة
بالدهن وغيره في الخل (والعكس) أي ولا الخل في الدسم فقد يكره غيره
وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرققة والخل ونحوهما (والتكلم
بالقاذورات) أي الحسية والمعنوية (والأهوال) أي الأحوال من المخزقات
كذكر الموت وتذكر الأموات (والإستثنان) أي طلب الإذن في التقديم أي
تقديم الطعام بل يقدمه من غير الإعلام كما يشير إليه قوله تعالى: (فراغ إلى أهله
فجاء بعجل سمين) أي ذهب إليهم بخفية، قال الثوري: إذا زارك أخوك فلا تقل أنا أكل
أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل والا فارفع (والامتناع) أي امتناع المضيف
والرفيق عن الأكل (قبل امتناعه) أي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل أخوانه إذا
كانوا يحتشمون إلا أكل بعده بل ينبغي أن يمد يده ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى
أن يستوفوا فإن كان قليل إلا كل توقف في الابتداء وقلل إلا كل حتى إذا توسعوا

وَالرَّفْعُ قَبْلَ اسْتِيفَائِهِ . وَالتَّكْلُفُ كَالِاسْتِقْرَاضِ .

في الطعام أكل منهم آخرًا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وإن امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم ﴿والرفع﴾ أي رفع الطعام ﴿قبل استيفائه﴾ أي استيفاء الضيف غرضه في ذلك المقام بل يغتنم إطالة المجلس مع الأصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد: إذا قدمت مع الإخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم ، وقال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الانفقة الرجل على اخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الأزد في الضعفاء «ثلاثة لا يسألون عن النعيم الصائم . والمتسحر . والرجل يأكل مع ضيفه» وروى الديلمي نحوه من حديث أبي هريرة وقد ورد «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع» الطبراني في الأوسط من حديث عائشة، وفي الأحياء روى عن بعض علماء خراسان «انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرון على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ انه قال «ان الإخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فاما أحب ان أستكثره مما أقدمه اليكم لناخذ فضل ذلك قال العراقي: لم أقف للحديث على أصل وعن علي لأن أجمع اخواني على ضاع من طعام أحب الى من ان اعتقر رقبة، وقيل: اجتماع الإخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد «ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام» الترمذي من حديث علي، وعنه عليه السلام «من أطعم أخاه حتى يشبعه ومساها حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» الطبراني من حديث ابن عمر ﴿والتكلف﴾ أي تكلف المضيف للضيف ﴿كالاستقراض﴾ فقي البخاري عن عمر «نهينا عن التكلف» وفي رواية البيهقي عن سلمان مرفوعا «لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه» والمعنى انه يقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجله فيشق على نفسه، وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه، وقال بعضهم: ما أبالي من أتاني من اخواني فاني لا أتكلف

وتقديم شيء يحتاج اليه العيال اولاً تسامح النفس به ، فهو يورث الانقطاع .
و يقدم ما يشتهى ، فورد « من صادف من اخيه شهوة فقضاها غفر له »

له وانما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت صحبته والله وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكاف فقلت له انك لاتا كل وحدك هذا ولا أنا فبالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكاف أو اقطع المجيء فقطع التكاف ودام اجتماعهما بسبب ذلك « وتقديم شيء يحتاج اليه العيال » أى بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم فى ما له ، وروى « ان رجلاً دعا علياً رضى الله عنه فقال : أجيبك على ثلاث شرائط لاتدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما فى البيت ولا تجحف بالعيال » « اولاً تسامح النفس به » فانه من جملة التكاف « فهو يورث الانقطاع » أى انقطاع الصحبة . والافاة . والاطعام . والضيافة قال الثورى : اذا أردت أن لاتطعم عيالك عما تا كله فلا تحدثهم به ولا يروونه منك ، وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزاً وخلاً وقال : لولا اننا ههنا عن التكلف لتكلفت لكم ، رواه أحمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبقى ولا تذر . وعن سلمان أمرنا رسول الله ﷺ ان لاتتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا ، وروى أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث سلمان « لاتتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه ، وعن أنس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون : لاندري أيهما أعظم وزراً الذى يحقر ما يقدم اليه أو الذى يحقر ما عنده أن يقدم « ويقدم » أى المضيف « ما يشتهى » أى ما يحبه لنفسه لقوله تعالى : (ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أو ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ، ففى الشئائل انه عليه السلام « زار بعض أصحابه فذبح له شاة فقال اعدوا انا نحب اللحم ويستحسن أن يشهى المزور اخاه الزائر ويلمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح ، قال أبو بكر الكنانى : دخلت على السدى فجاء بفتيت واحد لحمل نصفه فى القدح فقلت : أى شيء تعمل أنا أشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك فقال : هذا أفضل من حجة « فورد من صادف » أى وافق كما فى رواية « من اخيه شهوة » أى عليها وقدر عليها « فقضاها » أى فاطعمها اياه « غفر له » البزار . والطبرانى من حديث أبى الدرداء ، وما ينبغى للزائر ان لا يقترح بشيء بعينه فربما يشق على المزور .

فروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في الملح سعترا لكان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة، هذا وإن خيره أخوه بين طعامين فليخير أيسرهما عليه ففى الخبر «ما خير عليه السلام بين شيئين إلا اختار أيسرهما» متفق عليه من حديث عائشة، ثم إذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني إذ كان نازلاً عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكره وقال: ما أمرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقاً في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وذلك لأنه يدل على صداقته كما يشير إليه قوله تعالى: (أوصديقكم) وقد قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان كما في الشئان للترمذي وقال حسن صحيح، ومنزل أبي أيوب الأنصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لأجل طمام يأكلونه وكانوا جوعاً، والدخول على مثل هذه الحالة إغانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف، وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة ثم إن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه من حسن حاله إذا أكل من ماله فله أن يأكل بغير إذنه إذ مدار الأذن على الرضا لا سيما في الأطعمة فأمره على السعة قرب رجل يصرح بالأذن ويخلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب، وقد دخل عليه السلام دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال: بلغت الصدقة محلها، وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسرو يقول: هكذا كنا وروى عن الحسن أنه كان قائماً يأكل من متاع يقال يأخذ من هذه الخرقعة تينة ومن هذه عنبه فقال له هشام: ما بالك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا الكع اتل على آية الاكل فتلا إلى قوله (أوصديقكم) فقال فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس وأطمأن إليه القلب، وجاء قوم إلى منزل

وَيُضِيفُ ، فَوَرَدَ «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» وَيَقْصِدُ بِهِ الْإِتْقِيَاءَ أَعَانَةً عَلَى الْبِرِّ

سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يا كلون قد دخل الثوري فجعل يقول: ذكر تمنوني أخلاق السلف هكذا كانوا، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزوه وغير ذلك فحملة كله وقدمه الى أصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل: قد أخذه فلان فقال: قد أحسن فلما التقيا قال: يا أخى ان عادوا فعدي هذا ومن الخصال الذميمة أن تقصد قوما تر بصا لوقت طعامهم فتدخل وقت أكلهم لم رامهم فان ذلك من الفجعة حال الفجأة فقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين حينه ومتربصين فضجه، وفي الخبر: من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما، البيهقي من حديث عائشة. ولأبي داود من حديث ابن عمر «من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا» (ويضيف) أى بما قدر عليه وحضر لديه (فورد لا خير فيمن لا يضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال أنس: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة، ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم يصفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام: انظروا اليها انما هذه الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل، رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية أبي المنهال مرسل، وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ «نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي: والله لا أسلفه الا برهان فأخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته اذهب بدرعى فارهنها عنده، رواه ابن مردويه في تفسيره. واسحق بن راهويه في مسنده، فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع؟ قلت محله اذا لم يكن له ما يستفكه ويستخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا أراد أن يأكل خرج ميلا يلتبس من يتغذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا في بلده فلا تنقضى ليلة الا ويا كل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة (ويقصده) أى باطعامه (الاتقياء) من الفقراء (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد في دعائه عليه السلام «أكل طامعكم الا برار» وفي قوله

دُونَ الْأَغْنِيَاءِ ، فَوَرَدَ أَنَّهُ « شَرُّ الطَّعَامِ » ، وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ وَالْأَخْوَانَ :
وَلَا يَخْصُ بَعْضَهُمْ تَحَامِيًّا عَنِ الْوَحْشَةِ وَقَطْعِ الرَّحِمِ . وَيَنْوِي اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ .
وَأَقَامَةَ السَّنَةِ دُونَ الْمَبَاهَاةِ . وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِيلُ الْحُضُورَ وَلَا مَنْ يَتَأَذَى بِهِ
الْحَاضِرُونَ . وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ ، وَيُجِيبُ نَاوِيًا أَكْرَامَ
الْمُؤْمِنِ ، فَوَرَدَ « مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَنَّمَا يَكْرُمُ اللَّهُ »

وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ الْإِتْقَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ « دُونَ الْأَغْنِيَاءِ » وَلَوْ كَانُوا مِنَ الصُّلَحَاءِ
« فَوَرَدَ أَنَّهُ » أَيْ عَكْسُهُ « شَرُّ الطَّعَامِ » يَعْنِي بِهِ حَدِيثُ « شَرُّ الطَّعَامِ الْوَلِيْمَةُ يَدْعُو إِلَيْهِ
الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ « وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ » أَيْ
لَا يَتْرَكُهُمْ فِي الطَّلَبِ لِضِيَاةِ الْغُرَبَاءِ « وَالْأَخْوَانَ » أَيْ الْأَحْبَابَ مِنَ الصُّلَحَاءِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ الْأُمْتَقِينَ) « وَلَا يَخْصُ بَعْضُهُمْ » بَلْ
يَعْمَهُمْ « تَحَامِيًّا عَنِ الْوَحْشَةِ » أَيْ النَّفَرَةِ عَنِ الصَّحْبَةِ « وَقَطْعِ الرَّحِمِ » لَا سِيَّمَا
إِذَا كَانَ الْمَدْعُو أَبْعَدَ فِي النَّسَبَةِ « وَيَنْوِي » أَيْ بِالضِّيَاةِ « اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ » أَيْ
مِيلَ قُلُوبِ الْأَخْوَانِ وَالْأَقْرَابِ إِلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لَدَيْهِ وَهُوَ يَنْوِي أَكْرَامَ
أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا يَكْرُمُ اللَّهُ وَيَنْوِي
إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ أَمَثَالًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ » ابْنُ حَبَانَ . وَالْعَقِيلُ فِي الضَّعْفَاءِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ « وَأَقَامَةَ السَّنَةِ »
أَيْ الطَّرِيقَةَ الْحَسَنَةَ « دُونَ الْمَبَاهَاةِ » أَيْ لَا الْمَفَاخِرَةَ بِكَثْرَةِ النِّعَةِ وَلَا قَصْدَ الرِّيَاءِ
وَالسَّمْعَةِ وَلَا إِرَادَةَ الْعَوَاضِ وَحَمْلَ الْمَنَةِ « وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِيلُ الْحُضُورَ » أَيْ
حُضُورَ مَجْلِسِ الضِّيَاةِ أَوْ مَحْفَلِ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ الثَّقِيلَ مَلِيلٌ كَالْعَلِيلِ « وَلَا مَنْ يَتَأَذَى
بِهِ الْحَاضِرُونَ » كَالْمَبْرُوصِ وَصَاحِبِ الْجَذَامِ أَوْ مَنْ يَكْثُرُ الضَّحْكُ وَالْكَلَامُ
وَيَبْحَثُ بِالشَّدَّةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ « وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ » بَلْ عَلَى
الْآثَامِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)
« وَيُجِيبُ » أَيْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِلَى الْوَلِيْمَةِ وَنَحْوَهَا إِنْ قَدَّرَ « نَاوِيًا أَكْرَامَ الْمُؤْمِنِ » فَوَرَدَ
مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَنَّمَا يَكْرُمُ اللَّهُ « لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ
الْأَصْفَهَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَالْعَقِيلُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ

وَأَسْرَارُهُ ، فَوَرَدَ « مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ » وَالْحَذَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ،
فَوَرَدَ « مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ » وَأَقَامَةُ السُّنَّةِ فِيهِ مُؤَكَّدَةٌ ،
وَيَتَعَلَّلُ لَا سِتِّقَالَ الدَّاعِيَ الْأَطْعَامَ : وَقَصْدُهُ الْمُبَاهَاةُ . وَالتَّحَامِي عَنْ ارْتِكَابِ
مَعْصِيَةٍ كَكُونِ الشُّبْهَةِ فِي الطَّعَامِ وَالْمُنْكَرِ فِي الْمَجْلِسِ ، فَالْنِيَّةُ إِنَّمَا تُؤَثِّرُ

﴿ واسرارہ ﴾ ای تفریحہ ﴿ فورد من سر مؤمنا فقد سر الله ﴾ وقد تقدم ﴿ والحذر
عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصي الله ﴾ ای الله ورسوله كما في المنفق
عليه من حديث أبي هريرة ﴿ واقامة السنة فهي مؤكدة ﴾ ای قرينة للوجوب والاول
دليل قولي والآخر دليل فعلي فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر
المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة ، وقال بعضهم : انتظار المرقعة مذلة
وقال : آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتی فقل هذا خلاف السنة
ودفع بان محله اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض
الصوفية لا تجب الادعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى
لك في قبولها الفضل والمنة ، وقال السري السقطي ألح على لقمة ليس على الله فيها تبعة
ولا مخلوق فيها منة ﴿ ويتعلل ﴾ أي ويتعذر ويأتي بنوع من العلة اذالم يرد الاجابة
وذلك ﴿ لاستثقال الداعي الاطعام ﴾ وانما هو حياء من بعض الانام ﴿ وقصده
المباهاة ﴾ أي ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا
فروي أبو داود من حديث ابن عباس أنه عليه السلام « نهى عن طعام المتباريين » أي
المتباهين كما في رواية العقيلي ، والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله
أبو موسى المديني ﴿ والتحامي ﴾ أي ويتعلل أيضا للاحتراز والاحتباس ﴿ عن
ارتكاب معصية ﴾ أي بما يوجد عند الداعي ﴿ ككون الشبهة ﴾ أي القوية ﴿ في
الطعام والمنكر في المجلس ﴾ أي مناكر الآثام من فرش دياج أو آنية فضة أو تصوير
حيوان على حائط أو سماع شيء من المزامير أو الملاحى أو تشاغل بنوع من اللهو
والهزؤ والادب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهتها
وكذلك اذا كان الداعي ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة
والرياء والسمعة فلا تجاب له الدعوة ﴿ فالنية ﴾ أي تصحيحها أو تحسينها ﴿ انما تؤثر

فِي الْمُبَاحِ لَا لِنُقْصَانِ الْجَاهِ وَلَا لِفَقْرِ الدَّاعِي فَهُوَ تَكْبَرٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالْفَقِيرِ، وَلَا لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ إِنْ اعْتَدَتْ، فَوَرَدَ
«لَوْ دُعِيَ إِلَى كُرَاعِ الْغَنِيمِ لَأَجَبْتُ» لَا لِصَوْمٍ فَيُفْطَرُ إِنْ أَلْحَ فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ
يَعْدِلُ الصَّوْمَ،

فِي الْمُبَاحِ)) فَجَعَلَهُ عِبَادَةً وَتَخَرَّجَهُ عَنْ كَوْنِهِ عَادَةً بِخِلَافِ الْمَعْصِيَةِ فَانْهَى عَنْ تَأْثِيرِهَا فِي
تَغْيِيرِهَا النِّيَّةَ فَلَا يَصِحُّ لَهُ أَنْ يَنْوِيَ سُرُورَ إِخْوَانِهِ بِمُسَاعَدَتِهِمْ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ أَوْ سَمَاعِ
الْمَزَامِيرِ وَنَحْوِهَا)) لَا)) أَيْ لَا يَتَعَلَّلُ)) لِنُقْصَانِ الْجَاهِ)) أَيْ فِي الْمَدْعُو)) وَلَا لِفَقْرِ
الدَّاعِي فَهُوَ)) أَيْ كُلُّ مَنِهَا)) تَكْبَرٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)) مَعَ كَمَالِ عِزِّهِ
وَجَمَالِ جَاهِهِ)) بِجُوبِ دَعْوَةِ الْعَبْدِ وَالْفَقِيرِ)) وَفِي الْأَحْيَاءِ « الْمُسْكِينِ بِدَلِّ الْفَقِيرِ »
وَكِلَاهُمَا لَيْسَ فِي أَصْلِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ
وَضَعَفَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ، وَفِي ذِكْرِ الْعَبْدِ غَنِيَّةٌ عَنْهُ وَلَقَدْ أَجَابَ دَعْوَةَ خِيَاطٍ
كَأَنَّ فِي الشَّمَائِلِ وَمَرَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِقَوْمٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ
النَّاسَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَقَدْ نَثَرُوا كِسْرًا عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى
بَغْلَتِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاةِ يَا ابْنَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : نَعَمْ إِنْ لَمْ يَلِجِبِ
الْمُتَكَبِّرِينَ فَنَزَلَ وَقَعَدَ مَعَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَأَكَلَ مِنْ طَعَامِهِمْ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَرَكِبَ
وَقَالَ : قَدْ أَجَبْتُمْ فَاجِيبُونِي فَقَالُوا : نَعَمْ فَوَعَدْتُمْ وَقَامَعَلُومَا فَخَضَرُوا عَنْهُ فَقَدِمَ إِلَيْهِمْ فَأَخْرَجَ
الطَّعَامَ وَجَلَسَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ)) وَلَا)) أَيْ لَا يَتَعَلَّلُ)) لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ إِنْ اعْتَدَتْ)) أَيْ
الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَالْإِجَابَةُ لَدَيْهِ)) (فَوَرَدَ))) أَيْ فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ)) (لَوْ دُعِيَ
إِلَى كُرَاعِ الْغَنِيمِ لَأَجَبْتُ))) وَتِمَامُهُ)) وَلَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ كُرَاعَ
الشَّاةِ لَكِنَّ فِي الْمَتْنِ مَقِيدَ بَكْرَاعِ الْغَنِيمِ تَبَعًا لِمَا فِي الْأَحْيَاءِ وَهُوَ بِفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَكُسْرِ
الْمِيمِ وَادِّينِ الْحَرَمَيْنِ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ وَقِيلَ اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ بِالْمَدِينَةِ وَانَّهُ مِمَّا يَعْتَادُ
مَسَافَتَهَا بِالْحَضُورِ إِلَيْهَا فِي الْإِجَابَةِ أَوْ أَرِيدَ بِذِكْرِهِ غَايَةُ الْمُبَالَغَةِ إِلَّا أَنَّ الْعِرَاقِيَّ قَالَ ذَكَرَ
الْغَنِيمَ لَا يَعْرِفُ وَيُرَدُّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَوْ أَهْدَى إِلَى كُرَاعٍ
لَقَبِلْتُ)) (لَا صَوْمَ))) وَلَا يَتَعَلَّلُ لِأَجْلِ صَوْمِهِ)) (فَيُفْطَرُ))) إِنْ كَانَ تَقْلًا)) (إِنْ أَلْحَ)))
أَيْ قَبْلَ الزَّوَالِ)) (فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ))) أَيْ فَرَحُهُ بِفِطْرِهِ)) (يَعْدِلُ الصَّوْمَ))) مَعَ أَنَّ الصَّوْمَ

وَوَرَدَ تَكْلَفُكَ أَخُوكَ وَقَوْلُ أُنَى صَائِمٍ «وَالْأَفْضَايَةُ بِالْعَطْرِ وَطِيبِ الْكَلَامِ
وَالْأَكْتِحَالِ . وَالْأَدَهَانِ . وَنَحْوَهَا ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ يَجْلِسُ فَهُوَ تَوَاضَعٌ . وَلَا يَنْظُرُ
إِلَى جَانِبٍ يَأْتِي مِنْهُ الطَّعَامُ فَهُوَ شَرٌّ . وَلَا يُطِيلُ أَنْتِظَارَ الْمُضَيْفِ : وَلَا يُعَجِّلُ
قَبْلَ الْأَسْتَعْدَادِ ، وَيَغْيِرُ مِنْكَرًا رَأَى أَنْ قَدَرَ . وَالْأَيْنُكَرُ بِاللِّسَانِ . وَيَرْجِعُ
وَيَبْتَدِيءُ الْمُضَيْفُ بِالغَسْلِ قَبْلَ الْأَكْلِ لِأَنَّهُ دَاعٍ ،

له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاة فانه جفاء ﴿ وورد تكلف لك أخوك ﴾
أى بطبخ الطعام ﴿ وتقول أنى صائم ﴾ قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار
للضيف عند الاحاح ، والحديث رواه البيهقي من حديث أبى سعيد الخدرى صنعت
لرسول الله ﷺ طعاما فاتى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : أنى
صائم فقال عليه السلام : دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من
حديث جابر ﴿ والا ﴾ أى وان لم يفطر ﴿ فضايفته بالعطر ﴾ أى طيب المشام
﴿ وطيب الكلام والا كتحال والادهان ونحوها ﴾ من أصناف الاكرام
﴿ ويجلس حيث يجلس ﴾ فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته
لديه تشويش عليه وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع
﴿ فهو تواضع ﴾ فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس ، الخرائطى
فى مكارم الأخلاق . رابونعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيدالله بسند
جيد ، ثم يخص من يجنبه بالسلام والكلام ﴿ ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو
شره ﴾ أى دال على حرص فى الاكل ﴿ ولا يطيل ﴾ أى الضيف ﴿ انتظار المضيف ﴾
اذا دعاه فان الانتظار أشد من الموت خصوصا عند توهم القوت ﴿ ولا يعجل ﴾ أى
الضيف فى المجيء ﴿ قبل الاستعداد ﴾ أى استعداد المضيف للطعام وتهيته المقام
﴿ ويغير منكرا رأى ان قدر ﴾ أى على تغييره بيده ﴿ والا ﴾ أى وان لم يقدر على تغييره
باليد ﴿ ينكر باللسان ويرجع ﴾ أى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من أضعف
الايان حتى قال أحمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض فينبغى ان يخرج وكذا
اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج لما استر المكبة ﴿ ويبتدىء المضيف
بالغسل ﴾ أى بغسل الأيدي تحاميا عن تنفر السامة ﴿ قبل الأكل لانه داع ﴾ فيكون

وَيَتَأَخَّرُ بَعْدَهُ انْتِظَارًا لِلدَّخْلِ وَتَعْظِيمًا لِلضَّيْفِ، وَيَقْدُمُ مَا يَكْفِي، فَالنَّقْصُ
تَرْكُ الْمُرُوءَةِ، وَالزِّيَادَةُ رِيَاءٌ إِلَّا أَنْ يُجِيزَ الذَّهَابَ بِهِ، وَيُمَيِّزُ أَوَّلًا نَصِيبَ
الْعِيَالِ تَحَامِيًّا عَنْ اهْتِمَامِهِمْ، وَلَا يَرْفَعُهُ الضَّيْفَ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ

كَالْمُؤَذَّنِ يَتَوَضَّأُ قَبْلَ إِذَانِهِ فَقَدْ غَسَلَ مَالِكٌ يَدَيْهِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَقَبْلَ الْقَوْمِ وَقَالَ : الْغَسْلُ
قَبْلَ الطَّعَامِ لِرَبِّ الْبَيْتِ أَوَّلَى لَأَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِرَامَتِهِ انْتَهَى ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا
عَيْبٌ فِي عَرَفِ زَمَانِنَا إِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ قَالُوا أَوْلَى أَنْ يَغْسَلَ قَبْلَ انْعِقَادِ الْمَجْلِسِ لَهُ أَوْ فِي
آخِرِهِ تَوَاضَعًا (وَيَتَأَخَّرُ) أَيْ فِي غَسْلِ الْيَدِ (بَعْدَهُ) أَيْ بَعْدَ فِرَاقِ الْأَكْلِ (انْتِظَارًا
لِلدَّخْلِ) أَيْ مِمَّنْ يَأْكُلُ مَعَهُ (وَتَعْظِيمًا لِلضَّيْفِ) أَيْ بِالتَّأَخُّرِ لَأَنَّهُ تَوَاضَعَ مَعَهُ فِي
مَحَلِّهِ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آخِرُهُمْ أَكْلًا فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْكِرَامِ يَقْدُمُ الطَّعَامَ فَإِذَا
قَارَبَ الْقَوْمَ مِنَ التَّجَامِ جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَمَدِيدَهُ إِلَى طَعَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاتَّلَّ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ
مُسَاعِدَنِي بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَكَانَ السَّلَفُ يَسْتَحْسِنُونَ ذَلِكَ مِنْهُ (وَيَقْدُمُ مَا يَكْفِي) أَيْ
مِنَ الطَّعَامِ (فَالنَّقْصُ) عَنْ قَدْرِ الْكِفَايَةِ (تَرْكُ الْمُرُوءَةِ) أَيْ مَعَ وَجُودِ الْقُدْرَةِ
(وَالزِّيَادَةُ) عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ (رِيَاءٌ) إِلَّا أَنْ يُجِيزَ الذَّهَابَ بِهِ (أَيْ بِطَيْبِ نَفْسِهِ
بِأَخْذِ مَا قُضِيَ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ نَوَى أَنْ يَتَبَرَّكَ بِفَضْلَتِهِمْ ، وَقَدْ أَحْضَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَمَ
طَعَامًا كَثِيرًا عَلَى مَائِدَةٍ فَقَالَ لَهُ سَفِيَانُ : يَا أَبَا اسْحَاقَ أَمَا تَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا سَرَفًا
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَيْسَ فِي الطَّعَامِ اسْرَافٌ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي تَضْيِيعِ وَأَتْلَافِ وَيُؤَيِّدُهُ
قَوْلُهُمْ لِأَخِيرِ فِي سَرْفٍ وَلَا سَرْفٍ فِي خَيْرٍ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْمُبَاحَاةِ وَالْمَذْمُومِ نِيَّةُ الْمُبَاحَاةِ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةً صَحِيحَةً فَالتَّكْثِيرُ تَكْلُفٌ وَتَصْنَعٌ ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : نَهَيْنَا أَنْ نَجِيبَ دَعْوَةَ
مَنْ يَبَاهِي بِطَعَامِهِ وَكَرِهَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْلَ طَعَامِ الْمُبَاحَاةِ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ
لَا يَرْفَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَضْلَةَ طَعَامٍ قَطُّ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَقْدُمُونَ إِلَّا قَدْرَ الْحَاجَةِ وَلَا يَأْكُلُونَ تَمَامَ الشَّبْعِ بَلْ حُدَّ الْكِفَايَةُ وَالْقَنَاعَةُ
(وَيُمَيِّزُ أَوَّلًا) أَيْ يَفْرِزُ مِنَ الطَّعَامِ ابْتِدَاءً (نَصِيبَ الْعِيَالِ تَحَامِيًّا عَنْ اهْتِمَامِهِمْ) أَيْ
أَنْ لَا تَكُونَ أَعْيُنُهُمْ طَامِحَةً إِلَى رَجُوعِ شَيْءٍ مِنْهُ فَلَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ فَتَضْيِيقُ صَدُورِهِمْ
وَتَنْطَلِقُ فِي الضَّيْفَانِ السَّنَتُهُمْ وَتَقُومُ شُرُورُهُمْ فَيَكُونُ قَدْ اطْعَمَ الضَّيْفَانِ مِمَّا يَتَّبِعُهُ كِرَاهَةُ
قَوْمٍ وَتِلْكَ خِيَاةٌ فِي حَقِّهِمْ (وَلَا يَرْفَعُهُ الضَّيْفُ) أَيْ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَطْعَمَةِ فَلَيْسَ
لِلضَّيْفَانِ أَخْذُهُ وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الصُّوفِيَّةُ الزَّلْمًا فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمَازِلَةِ (إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ)

بُسْرُورِهِ • وَإِذَا بَاتَ يُرِيهِ الْقِبْلَةَ : وَالْمُتَوَضَّأُ وَيَكْرُمُهُ ، فَوَرَدَ « مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » وَهُوَ بَازْطَارُ الْإِنْبِسَاطِ وَالسَّرُورِ .

أى الضيف بقرينة الحال (بسروره) أى بفرح المضيف إذا أخذه فرفعه حيثئذ
وإن كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغي أن يؤخذ شيء هناك إلا إذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع
الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ كل واحد إلا ما يخصه أو يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء
لا عن كراهة وحياء ، ويختار أيسر الطعامين إذا خير الضيف بينهما لأنه عليه السلام كان
إذا خير بين امرين اختار أيسرهما ولا يترحم الضيف على المضيف إلا إذا علم فرحه بذلك
كما فعله الشافعي في بيت الزعفراني (وإذا بات) أى أقام الضيف عنده في الليل
(يريه القبلة) أى يعلمه المضيف جهة الكعبة (والمتوضأ) أى محل الطهارة هكذا
فعل مالك بالشافعي ، وفيه إشارة إلى قيام الليل بالتهجد ونحوه ، وكناية عن قضاء الحاجة
في وقته (ويكرمه) أى المضيف الضيف بما أمكن من أنواع الأكرام (فورد)
أى عنه عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى بجميع ما يجب الإيمان
به واكتفى بطرفي المؤمن به (فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث أبي شريح
(وهو) أى أكرامه أولاً (باظهار الانبساط والسرور) أى الفرح في مقام النشاط
عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر أوقات الصجبة ، قيل للأوزاعي ما كرامة
الضيف؟ قال : طلاقة الوجه وطيب الحديث ، وقال زيد بن أبي زياد : ما دخلنا على
عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثاً حسناً واطعمنا طعاماً حسناً وثانياً بتعجيل
الطعام فإنه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو أحد المعنيين في قوله
تعالى (هل أتيتك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم
ودل عليه قوله سبحانه (فمالبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى وقوله (فراغ إلى أهله
فجاء بعجل سمين) أى ذهب بسرعة أو بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وإنما سمي بعجل لأنه
عجله كذا في الأحياء ، والظاهر أن العجل على حقيقة عبارة ويؤخذ منه العجلة إشارة ،
وقد ورد ، الأناة من الله والعجلة من الشيطان ، لما رواه الترمذي من حديث سهل بن
سعد إلا أن أبا داود روى من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في

وَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى الْيَدِ . وَالتَّشْيِيعَ إِلَى الْبَابِ . وَأَخَذَ الرَّكَابَ فَالْكَلَّ مَأْثُورًا .
وَيَرْجِعُ فَرِحًا وَإِنْ قَصَرَ فِي حَقِّهِ بِرِضَا الْمَضِيفِ ، فَهُوَ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ . وَلَا يَكُونُ أَكْثَرَ
مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَحْرُزًا عَنِ السَّامَةِ . وَوَرَدَ الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ .
إِلَّا أَنْ يُلْحَقَ : وَيُعَدُّ فِرَاشُ الضَّيْفِ . وَيَسْتَأْذِنُ كُلُّ صَاحِبِهِ فِي صَوْمِ النَّفْلِ ، فَهُوَ
مَأْثُورٌ . وَيُرْسَلُ الطَّعَامُ لِأَصْحَابِ الْمَصَائِبِ ، فَأَمْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ

عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه (وصب الماء) أي ويكبه المضيفه (على اليد) أي يد المضيف وهو أحد المعنيين في الآية السابقة وقد وفد وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله فقال : انهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافأهم (والتشييع إلى الباب) أي باب الدار قال عليه السلام : من السنة للمضيف أن يشيع إلى باب الدار ، كذا في الإحياء وسكت عنه مخرجه (وأخذ الركاب) أي ركاب المضيف للركوب (فالكل مأثور) والآخر مروي عن فعل ابن عباس يزيد بن ثابت (ويرجع) أي المضيف (فرحاً) أي في نفسه (وان قصر في حقه) أي ولو قصر المضيف في حق المضيف (برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) في عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن (ولا يكون) أي لا يثبت المضيف ولا يقيم (أكثر من ثلاثة أيام تحرزا عن السامة) الموجبة للبلامة (وورد) في الصحيحين من حديث أبي شريح الخزاعي (الضيافة ثلاثة أيام وما زاد فصدقة) يعني إن شاء فعل وإن شاء ترك (إلا أن يلح) أي يبالغ المضيف على المضيف بالعود عنده زيادة على الثلاثة ويعرف أنه من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش المضيف) أي يهيئه فان رسول الله ﷺ قال : فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للمضيف والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (ويستأذن كل) أي من المضيف والمضيف (صاحبه في صوم النفل فهو مأثور) ويعتذر إذا كان فرضاً من قضاء أو نذر، وعن عائشة في رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بأذنهم ، (ويرسل الطعام لأصحاب المصائب) أي يموت بعض الأقارب (فأمر عليه السلام به)

لَا حَزَّةَ وَجَعَفَرٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُنْكَرًا تَحَرُّزًا عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْأَثْمِ .
وَيَحْتَنَبُ طَعَامَ السُّلْطَانِ وَيَقْبَلُ لَوْ أَكْرَهَ : وَلَا يَقْصِدُ الْأَجُودَ ، وَنَحْوَ الثُّومِ .
وَالْبَصَلِ : وَالْكُرَّاثِ لَا سِيَّامَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهُوَ مَنِّهِ عَنْهُ لَتَنْفِرَ الْمَلَائِكَةُ
وَالنَّاسُ عَنْ رِيحِهِ

أى بارسال الطعام المسمى بالعرق في لسان العام (لأن حمزة) أى عمه (وجعفر) أى ابن عمه وهو أخو على بن أبى طالب من أبيه وأمه فى وقت شهادتهما (الأن يكون) أى هناك (منكرا) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (تحززا عن الإعانة على الأثم) أى المعصية ، وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) والحديث معروف فى جعفر دون حمزة فروى أبو داود . والترمذى . وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن وأنه لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال ﷺ : أن آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فأحملوا اليهم ما يأكون ، (ويحتنب طعام السلطان) أى أكله فإنه لا بد فيه نصيب من الشيطان (ويقبل) أى طعامه (لواكره) على قبوله وأكله فقد ورد رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، ابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وصححه عن ابن عباس « وإذا ابتلى به فليقلل من أكله » (ولا يقصد الأجود) أى الاطيب من الأطعمة هضمها للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزيكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال: كنت مكرها فقال: رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك وأجبر السلطان هذا المزيكى على الأكل فقال: أما آكل وأخلى التزكية أو أزي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه ، وحكى أن ذا النون المصرى حبس فلم يأكل أياما فى السجن وكانت له أخت فى الله فبعثت اليه من غزها طعاما على يدى السجن فامتنع من أكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال: كان حلالا ولكنه جاءنى على طبق ظالم وأشار به الى يد السجن ، وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) أى ويحتنبه (والبصل والكراث) أى وسائر البقول التى لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة (فهو منهى عنه لتنفير الملائكة والناس عن ريحه) ولذا يستحب التطيب فى حضوره .

وَالْأَكْلُ فِي السُّوقِ فَهُوَ دَنَاءَةٌ إِلَّا بِنِيَّةِ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ : وَالْإِحْتِمَاءُ فِي
الصَّحَّةِ ، فَهُوَ يَضُرُّ كَثْرَتَهُ فِي الْمَرَضِ . وَيَمْقِلُ الذُّبَابَ الْوَاقِعَ ، ثُمَّ يَنْقُلُ الذُّبَابَ
فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْآخَرَ دَوَاءً ، وَيَذْكُرُ الْجَائِعَ . وَحِسَابَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ .

هـ (والأكل) هـ أى ويحتنبه هـ (في السوق) هـ وفي معناه محضر جماعة من المسجد وغيره
هـ (فهو دناءة) هـ أى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن إبراهيم النخعي
أنه قال: ألا كل في السوق دناءة وفي الأحياء واسند إلى رسول الله ﷺ وهو غريب لكن
قال مخرجه : رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى في
الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة انتهى ، وتعدد طرقه بما يرتقيه إلى حسنه كما
لا يخفى ، وأما قوله في الأحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر أنه قال : كنا نأكل على عهد
رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ، رواه الترمذي وصححه فلا يظهر
وجه التضاد إذ يمكن المشي والقيام أن يكونا في غير السوق ، وأما قوله تعالى : (ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) فأنكار منهم عليه بكل واحد منهما لا
بالجمع بينهما فعنى قولهم يأكل الطعام أنه ليس من الملائكة وقولهم يمشي في الأسواق
لاحتياجه إلى المبايعة هـ (الابنية التواضع وهضم النفس) هـ وفيه أن الكراهة لما فيه
من الدلالة على الدناءة بأكله في نظر الجماعة فكيف ترتفع كراهة القضية بهذه النية
وقد صرح الأئمة بقدح ذلك في الشهادة هـ (والإحتماء) هـ أى ويحتنبه هـ (في الصحة
فهو يضر) هـ أى في الصحة هـ (كثره في المرض) هـ فإن وجده فيه الدواء من كل
الأدواء ، وقيل : من احتسب فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوائق ، ومن اللطائف
أنه رأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمرًا واحد عيني رمدة فقال : أتأكل التمر
وأنت أرمد فقال : يا رسول الله إنما أمضغ بالشق الآخر - يعنى الجانب السليم - فضحك
رسول الله ﷺ ، ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد هـ (ويمقل) هـ بضم القاف
أى يغمس هـ (الذباب الواقع) هـ في الشراب هـ (ثم ينقل) هـ أى يخرج هـ (الذباب
ففي أحد جناحيه داء والآخر دواء) هـ رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا
هـ إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم ينزعه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر
شفاء هـ (ويذكر الجائع) هـ حال أكله ووقت شبعه ويقول : اللهم لا تؤاخذني
بحق الجائعين هـ (وحساب يوم القيامة) هـ فإن حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب

وَلَا يُوَاكِلُ الْأَشْرَارَ . وَلَا يُشَارِبُهُمْ بَلِ الْإِتْقِيَاءُ وَالْعِلْمَاءُ . فَهُوَ يُوْرِثُ الْحِكْمَةَ .
وَلَا يُوَاطِبُ عَلَى الْبَرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَهُوَ الْمَرْوِيُّ ، وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ فَهُوَ أَكْثَرُ
طَعَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَيَخْلُطُ الْبَرِّ بِهِ فَهُوَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ . وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ
الْأَوْتَارَ ، فُورِدَ « مِنْ تَصَبُّحِ سَبْعِ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ وَلَا
سِحْرٌ » وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى فِي طَبَقٍ وَكَفٍّ بَلْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْفَمِّ فِي ظَهْرِ الْيَدِ
فِيَلْقَى ، وَكَذَلِكَ نَحْوَهُ . وَيَقْدُمُ الثَّمَارَ فُورِدَ (وَفَاكِهِةٌ مَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمٌ طَيْرٌ مَّا
يَشْتَهُونَ) *

يوجب الملامة والندامة (ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم) بل ولا يصاحبهم
ولا يقاربهم (بل الاتقياء) من الابرار (والعلماء) من الاخيار (فهو يورث
الحكمة) أي وأنواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجملة (ولا يواطب على
البر) أي اكل عيش الخنطة (ثلاثة أيام فهو المروى) أي في الصحيحين عن
أبي هريرة ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض (ويأكل الشعير
فهو أكثر طعام الأنبياء عليهم السلام) وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ
يبست الليالي المتتابعة وأهله طاوياً لا يجدون عشاءً وكان خبزهم الشعير رواه الترمذي
وصححه (ويخلط البر به) أي بالشعير في أكله (فهو سبب البركة) يأكل من التمر
الاولتار (اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا) فورد من تصبح بسبع تمرات عجوة (هو
جنس من تمر المدينة أو غيرها) لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (أحمد والشيخان
وأبو داود عن سعد) ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق (أي مشترك بينه وبين
رفيقه) وكف (أي ولا في كف لتقدر صاحبه) بل يجعله (أي النوى) من
الفم في ظهر اليد (أي لافي بطن الكف وأصابه) فيلقى (أي في مكان يليق به
(وكذلك نحوه) أي نحو التمر أو نواته من الخوخ . والعنب وكذا فضلات
التين والرطب ، وفي رواية عبدان عن أبي موسى انه عليه السلام نهى عن فتح التمر
وقشر الرطب ، (ويقدم الثمار) أي أكل الفاكهة الرطبة (فورد) أي في وصف
مافي الجنة (وفاكهة مما يتخيرون) أي يختارون (ولحم طير مما يشتهون)

فَهُوَ الْمَرْوِيُّ، وَيَجُوعُ النَّفْسَ لَوْلِيَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْقِدُ

الْحَجَرَ عَلَى الْبَطْنِ مِنَ الْجُوعِ،

والاستدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو أيضا أقرب الى قواعد الطب فانها أسرع استحالة فينبغي أن يقع في أسفل المعدة، وفيه أيضا إشارة الى تقديم اللفظ الالوان من الطعام حتى يستوفي منه من يريده ولا يكسر الأكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الأطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك خلاف السنة لأنه حيلة في استكثار الأكل والوسعة، ثم الأفضل بعد ما تقدم الفاكهة اللحم والثريد، وقد ورد «سيد الأدام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف الطيبات (وانزلنا عليكم المن والسلوى) فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام ولا يقوم غيره مقامه في مقام المرام، قال أبو سليمان الداراني أكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل من جميع الجهات، وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات، ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل حبك أحب الى من الماء البارد، وقال بعضهم: اذا كان خبزك جيدا وخلتك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية، وقال آخر: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان ((وياكل ما أصاب)) أي من الثمار في مواسمها ((فهو المروى)) لأنه سبحانه ما خلقها في تلك الأزمنة والامكنة الا لحكمة بالغية في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكير بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها، وفي الاحياء وياكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمر ادون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر أو شعير اكله وان وجد حلوا أو عسلا اكله وان وجد لبن ادون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله ((ويجوع النفس)) أي يرتاضها ويهذبها بتقليل الأكل ((لولىمة الفردوس)) وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين في الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم من هارضا للمولى، والله در القائل:

ويليك عن دار الخلود مطاعم • ولذة نفس غيبها غير نافع

فقد ورد «اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى»، ((فكان عليه السلام يعقد الحجر))

أي يربطه ((على البطن)) أي بطنه ((من الجوع)) أي من شدة ما به من الجوع وقد اشبع

وَيَحْتَنَبُ الشُّرْبَ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ إِلَّا لَتَعْلُقَ لُقْمَةً أَوْ صَدَقَ عَطَشٌ .
وَلَا يُكْثَرُ فَهُوَ يَقْلِلُ الْهَضْمُ . وَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِالْيَمِينِ . وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثِ أَنْفَاسٍ
مُفْتَتِحًا بِالتَّسْمِيَةِ وَمُخْتَمًا بِالتَّحْمِيدِ فِي كُلِّ وَهُوَ السَّنَةُ ، وَوَرَدَ «مَصُوا الْمَاءَ مَصًّا
وَلَا تَعْبُوهُ عِبًا فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ»

الكلام عليه في جمع الوسائل شرح الشماثل ((ويحتنب الشرب في أثناء الاكل)) أي
لمنع أرباب الحكمة ((الا لتعلق لقمة أو صدق عطش)) أي لكثرة حرارة ففقد يقال:
ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش
ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى: (كلوا واشربوا)
وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذي قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى:
(ان الصفا والمروة) وقوله عليه السلام «ابدءوا بما بدأ الله سبحانه» ((ولا يكثر)) أي من
الشرب بعده ((فهو يقلل الهضم)) لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة
ونحوها ((ويأخذ الكوز باليمين)) لما ورد من أن الشيطان يشرب بشماله كما في مسلم وغيره
((ويشرب في ثلاث أنفاس)) لما في الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام «كان
إذا شرب تنفس ثلاثا - ويقول - هو انا وامرا و ابرا» وفي رواية الترمذي وابن ماجه
عن ابن عباس «كان اذا شرب تنفس مرتين» فتحمل القضية على مرتين والاولى أكثر
وأظهر وأشهر ((مفتتحا بالتسمية)) وهو القياس على الاكل ، وعن ابن مسعود أنه
عليه السلام «كان اذا شرب يتنفس في الاناء ثلاثا يسمى عند كل نفس ويشكر في آخره»
ابن السني . والطبراني ويقول: «الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا
أجاجا بذنوبنا» الطبراني في الدعاء مرسلا من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين
((ومختما بالتحميد في كل)) أي في كل نفس ((وهو السنة)) أي كما لها والافالسنة
المعروفة هو التسمية في أول الشرب والتحميد في آخره ((وورد)) عن انس برواية
الدبلي مرفوعا ((مصوا الماء مصا)) أي اشربوه قليلا قليلا يشبه المص وفي رواية
أبي داود عن عطاء بن أبي رباح «اذا شربتم فاشربوا مصا» ((ولا تعبوه عبا)) أي ولا
تشرّبوه كثيرا يشبه الصب ((فان الكباد)) بالضم وهو وجع الكبد ((من العب))
أي من هذا النوع في الشرب، وفي رواية البيهقي عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام

مِنْ آيَةِ الْخَزَفِ . وَمِنْ الْخَشَبِ ، ثُمَّ يَدُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرْعِ وَغَيْرِهِ
لِقَائِمًا وَلَا مُضْطَجِعًا . وَيَنْظُرُ فِيهِ قَبْلَ الشُّرْبِ . وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيهِ . وَيَحْفَظُ
أَسْفَلَهُ عَنِ التَّرْشِيحِ عَلَيْهِ فَالْكَلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَتَبَرَّكُ بِسُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَوْرِدُ
« سُورِ الْمُؤْمِنِينَ شِفَاءٌ » وَلَا يَرُدُّ الْمَاءَ . وَلَا يَعْرِضُ . وَيَدَارُ الْكَوْزُ . وَالطُّسْتُ

« نَهَى عَنِ الْعَبِّ نَفْسًا وَاحِدًا وَقَالَ : ذَلِكَ شَرِبَ الشَّيْطَانُ ، » (مِنْ آيَةِ الْخَزَفِ) متعلق
بیشرب أى من الكوز الفخار (ومن الخشب) وهو القدح وهو الأنسب وإلى مشرب
العرب أقرب (ثم يده) أى ثم الأفضل أن يشرب بيده (فهو أفضل من الكرع)
أى من الشرب بقمه (وغيره) أى وغير ما ذكر كما يشرب من آية النحاس والصفير
وأما من آية الفضة . والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء (لِقَائِمًا)
كما فى حديث مسلم عن أنس وغيره وروى عنه « أنه شرب قائمًا » كما فى الصحيحين
عن ابن عباس وحمل على عذرا أو يان جواز أو اختصاص بما زعم (ولا مضطجعا) لأنه
خلاف السنة والحكمة الا لضرورة (وينظر فيه) أى فى الماء والكوز (قبل الشرب)
أى قبل أن يشرب منه حتى اذا كان فيه أذى دفعه عنه (ولا يتنفس فيه) أى فى داخل الاناء
بل يتنفس خارجه فى الاثناء كما سبق به الايمان ، وورد فى الشمائل وغيره (ويحفظ
أسفله) أى أسفل الكوز (عن الترشح عليه) أى على بدنه وثوبه وغيره مما يكون
مكروها لديه (فالكل مأثور ويتبرك) أى يطلب البركة (بسور المسلمين فورد « سور
المؤمن شفاء » هكذا اشتهر على الالسنه ويستأنس له بقوله عليه السلام « من التواضع
أن يشرب الرجل من سور أخيه » رواه الدارقطنى فى الافراد عن ابن عباس ، وقال
القاضى عياض فى شرح حديث أم زرع و يروى : عن جرير بن عبدالله أنه قال لبنيه : اذا
شربتم فإلأروا أى اتركوا فى الاناء سوراً وهو بقية الشراب ، وفى حديث آخر فانه أجمل
ويروى عن النبى ﷺ « أنه قال : لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سور » وفى الحلية
عن ابن عمر أنه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر - أى السقايات - فيؤتى بالماء فيشربه
يرجو بركة أيدي المسلمين ، ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله أعلم (ولا
يرد الماء) أى ماء زمزم أو مطلقا تعظيما للنعمة (ولا يعرض) أى الماء على غيره
تسكيرا للنة (ويدار الكوز) وكذا القدح والمعلقة فى الأكل والشرب (والطست)

بِالْأَيْمَنِ . وَيَخْتَارُ الثَّوبَ الْبَيْضَ . فَهُوَ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَخْضَرَ وَالصُّوفَ . وَيَنْوِي فِيهِ سِتْرَ الْعَوْرَةِ . وَالتَّزِينَ لَتَوَدُّدِ الْمُسْلِمِينَ . وَيَبْدَأُ بِالْأَيْمَنِ فِي لِبْسِ كُلِّ شَيْءٍ . وَبِالْأَيْسَرِ فِي النَّزْعِ . وَيَفْتَحُ بِالتَّسْمِيَةِ وَيَخْتِمُ بِالتَّحْمِيدِ .

في وقت غسل اليد ((بالأيمن)) فقد شرب عليه السلام لبنا وأبو بكر عن شماله . وأعرابي عن يمينه . وعمرنا حيته فقال عمر: أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن مالك . وأحمد والجماعة عن أنس ((ويختار الثوب الأبيض)) أي للبدن لاسميا يوم الجمعة وأما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة أكثر والزينة أظهر ((فهو)) أي البياض ((أحب الألوان إليه ﷺ)) كما في شمائل الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا « لبسوا الأبيض فانها أطهر وأطيب و كفنوا فيها موتاكم » وعن ابن عباس رفعه « عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياءكم و كفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » ((و كان يلبس)) الثوب ((الأخضر)) أي أحيانا كما في الشمائل والمراد به البحث لأنه من ثياب أهل الجنة أو البرد الذي فيه خطوط خضر، وأما ما ورد « انه لبس الأحمر » فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن أنس « كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ ليلبسها الحبرة » وهو بوزن العنب نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر أو خضر أو زرق ((والصوف)) أي في بعض الأحيان بأي لون كان من الألوان ((وينوي فيه)) أي في اللبس ((ستر العورة)) أي بالازار ((والتزين لتودد المسلمين)) أي يلبس الرداء ونحوه من العمامة . والقباء . والعباء : وقد قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ((ويبدأ بالأيمن في لبس كل شيء)) من نحو القميص والخف والنعل وغيرها ((وبالأيسر في النزع)) أي نزع كل شيء كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام « يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتعمله وترجله وفي شأنه كله » رواه أحمد والجماعة عن عائشة، وفي الترمذي عن أبي هريرة « كان إذا لبس قميصا بدأ بيمينه » ((ويفتح)) اللبس ((بالتسمية ويختتم)) اللبس ((بالتحميد)) كما هو معروف من شمائله عليه السلام في الشمائل عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ثم يقول أي بعد التسمية والبسملة

وَيَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ قَاعِدًا كَيْلًا تُصِيبُهُ آفَةٌ . وَلَا يَسْبِلُهُ إِلَى مَا تَحْتَ الْكَعْبِ ،
فَقِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّارِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ : وَيَبْدَأُ بِلِبْسِ الْقَمِيصِ : وَيَلْبَسُ الْحَشَنَ ،
فَوَرَدَ « مِنْ رَقِّ ثَوْبِهِ رَقِّ دِينِهِ » وَلَا يَنْزِعُ حَتَّى يَرْقَعَهُ فَهُوَ السَّنَةُ »

اللهم لك الحمد كما كسوته به أسالك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع
له، وفي رواية أبي داود وغيره « من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير
حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (ويلبس السراويل قاعدا) أي
كالخف (كيلا تصيبه آفة) أي من جهة وقوعه على جانب أودابة (ولا يسبله)
أي لا يسدل ثوبه من القميص والسروال والازار ونحوها (إلى ماتحت الكعب
فقيه) أي فقي أسباله إليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الأسبال في الازار والقميص
والعباءة « من جرم منها شيئا خيلا لم ينظر الله إليه يوم القيامة » أبو داود . والنسائي .
وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع (إلى نصف الساق) فهو أفضل بالاتفاق، وفي رواية أحمد
عن أنس « الازار إلى نصف الساق أو إلى الكعبين لا خير في أسفل من ذلك » وفي رواية
ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب مرسل « كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورائه،
وفي رواية الترمذي في الشمائل ويقول: دانه اتقى وأنتى وأبقى، » (ويبدأ بلبس القميص)
قبل كل شيء لأنه استرحيث يقوم مقام الازار والرداء فعن أم سلمة « كان أحب الثياب
الرسول الله ﷺ القميص، رواه الترمذي في الشمائل ، وفيه أيضا أن كنه عليه السلام
كان إلى الرسغ (ويلبس الحشن) أي الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة
أي فعلا وقولا ، وفي رواية الترمذي . والحاكم عن معاذ بن أنس « من ترك اللباس تواضعا
لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حل
الايمن شاء يلبسها » (فورد) أي عن بعض السلف (من رقق ثوبه) أي لطف
(رقق دينه) أي ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير إليه حديث من أحب آخرته
أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب
شهرة ألبسه الله ثوب مذكاة يوم القيامة رواه أحمد . وأبو داود . وابن ماجه بسند حسن
عن ابن عمر مرفوعا، وفي رواية البيهقي عن أبي هريرة . وزيد بن ثابت أنه عليه السلام
نهى عن الشترتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وخشوتها وطولها وقصرها ولكن
سدا دفيما بين ذلك واقتصاد (ولا ينزع) أي ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة) لأنه

وَيَكْسُو الْمَنْزُوعَ فَقِيرًا لِيَكُونَ فِي حَرْزِهِ تَعَالَى . وَلَا يَتَّخِذُ ثَوْبَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ
بِأَحَدِهِمَا إِنْ اجْتَمَعَا . وَيَتَعَمَّمُ فَالْعِمَامُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ . وَفِيهِ الْوَقَارُ : وَيُرْسِلُ
الذَّيْلَ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ إِلَى قَدْرِ الشَّيْبِ أَوْ مَوْضِعِ الْقَعُودِ أَوْ نِصْفِ الظَّهْرِ وَهُوَ وَسْطُ مَرْضَى
وَالْكُلُّ مَرْوِي وَيَسْتَجِدُّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَهَا . وَيَلْبَسُ مَا أَصَابَ .

عليه السلام كان يركب الحمار ويخفف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف
ويقول « من رغب عن سنتي فليس مني » رواه ابن عساكر عن أبي أيوب (ويكسو المنزوع
فقيرا ليكون في حزره تعالى) في رواية أحمد عن عمر « من استجد قميصا فلبسه فقال
حين بلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى واتجمل به في حياتي ثم
عمد إلى الثوب الذي اخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا
وميتا » (ولا يتخذ ثوبين) أي من جنس واحد كما زار بن ورداء بن قيصين زهدا في
الدنيا (ويتصدق بأحدهما إن اجتمعا) ميلا إلى ثواب العقي ، وأما حديث صاحب
القميصين لا يجد حلاوة الإيمان فلا أصل له (ويتعمم فالعمام تيجان العرب) أي أنها
بمنزلة التيجان للبلوك لقلة العمام فيهم (وفيه) أي في لبس العمام (الوقار) أي ظهور العظمة
منهم ، ففي مسند الفردوس للدبلي عن ابن عباس العمام تيجان العرب فاذا وضعوا العمام
وضعوا عزهم وفي رواية الماوردي عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما يتناوب بين المشركين
يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (ويرسل الذيل) أي ذيل العمامة
المسمى بالعذبة (بين الكتفين) وجوز في أحد الشقين مما يلي الأذنين (إلى قدر الشبر
أو موضع القعود أو نصف الظهر وهو وسط مريض) أي عند المصنف والأقوال
أشهر وأكثر واظهر (والكل مروى) وقد جمعت في رسالة مستقلة (ويستجد)
أي يلبس الجديد (ليلة الجمعة أو يومها) وهو المعروف من حديث أنس « كان إذا استجد
ثوباللبسه يوم الجمعة » رواه ابن حبان (ويلبس ما أصاب) أي وجده من جديد أو
غيره من غير تعلق بنوع منه أو تقيد بصنف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الأحمر
والأصفر مالم يكن من أحد الشهرتين فقد ورد « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة ، متفق عليه ، وفي رواية لأحمد عن جويرية « ألبسه الله يوم القيمة ثوبا من نار »
وفي رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسل « الحرمة من زينة الشيطان » وفي رواية ابن

وَيَنْفُضُ الْخُفَّ قَبْلَ اللِّبْسِ . وَيَقْعُدُ فِي لُبْسِهِ . وَنَزَعَهُ . وَيَحْتَنِي أَحْيَانًا تَوَاضِعًا .
 فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَلْبِسُ النِّعْلَ الْأَصْفَرَ ، فَهُوَ يُوجِبُ السَّرُورَ وَيَتَطَيَّبُ وَلَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ
 فَهُوَ الْمَرْوِيُّ وَالْأَحَبُّ لِلرَّجُلِ مَا خَفِيَ لَوْنُهُ . وَظَهَرَ رِيحُهُ وَلِلْمَرْأَةِ مَا يَنْعَكِسُ .

ماجه عن ابى ذر « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه » وفي
 رواية أبى داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر « من لبس ثوب شهرة البسه الله
 يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار » ونهى عليه السلام « عن لبستين المشهورة في
 حسنها والمشهورة في قبحها الطبراني عن ابن عمر « (وينفض الخف قبل اللبس) أى
 مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من دابة أو غيرها » (و يقعد فى لبسه ونزعه) خوفا من
 وقوعه « (ويحتنى أحيانا تواضعا) أى لله سبحانه لقوله تعالى: (والله جعل لكم الأرض
 بساطا) وقوله تعالى: (الم نجعل الأرض مهادا) «(فهو) الاحتفاء «(مأثور) أى عن
 الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الخافى ، ومن كراماته ان الدواب فى سكك
 بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على عماته «(ويلبس النعل
 الأصفر فهو يوجب السرور) كأنه أخذ من قوله تعالى: (صفراء فاقع لونها تسر
 الناظرين) وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشف عن على، ويروى عن
 ابن عباس مرفوعا بلفظ «لم يزل فى سرور مادام لا بسها» بدل قل همه «(ويتطيب) أى
 ويستعمل الطيب وفضله المسك وماء الورد والعود «(ولا يرد الطيب) كذا رواه
 احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن أنس، وفى صحيح مسلم وأبى داود وغيرهم
 «من عرض عليه طيب فلا يردده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة» والترمذى عن ابن
 عمر مرفوعا «ثلاثة لا ترد اللابن والوسادة والطيب» (فهو) أى كل من التطيب وعدم
 رد الطيب «(المروى) أى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه
 السلام كان يعرف بريح الطيب اذا قبل يعنى سواء تطيب او لم يتطيب كما قرر فى محله وانما
 كان يتطيب لزيادة محبته فى الطيب كما يدل عليه حديث «حبب الى من دنيا كم الطيب والنساء»
 الحديث «(والاحب) من الطيب «(للرجل ما خفى لونه وظهر ريحه) كماء الورد والمسك
 «(وللمرأة ما ينعكس) أى ما ظهر لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل: وهذا اذا ارادا
 الخروج والا فلا حرج عليهما فى داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة
 والطبراني والضياء عن أنس مرفوعا بلفظ «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب

النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه، (ويجتنب الحناء) أى الخضاب به فى يده ورجله (فهو تشبه بالنساء لانه ستهن) أى عادتتهن اولانه سنة فى حقهن فقد ورد كان يكره أن يرى المرأة ليس فى يدها اثر حناء او خضاب، البيهقى عن عائشة، وفى رواية احمد . وابن داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس دلعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، (والنمص) وهو قلم الشعر بالخط من وجه الغير (والانمص) قلعه من وجه نفسه أو طلبه من غيره ، وفى النهاية النامصة التى تنشف الشعر من الجبين والتممصاة التى تأمر من يفعل بهاذلك (فهو) أى ما ذكر من الفعلين (منهى عنهما) فورد دلعن الله الواشيات والمستوشيات والتممصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، احمد والبيهقى عن ابن مسعود (ولا يبنى أكثر من سبعة أذرع) فى الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة، وفى الخبر دمن بنى بناء فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله على عاتقه من سبع أرضين ، رواه البيهقى فى الشعب : وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فورد فيه) أى فى حق مخالفه (نودى الى أين يا قاسق) وفى رواية يافسق الفاسقين لأن بناء القصر والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذى الاوتاد ، وفى رواية أبى داود عن أنس مرفوعا «من بنى فوق عشرة أذرع نادى مناد من السماء يا عدو الله الى أين تريد» وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت يدي الى السقف (وينوى فيه) أى فى بنائه (التعبد) أى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (ودفع الحر والبرد) فى الخبر دثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خضر يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته، احمد فى الزهد . والبيهقى عن الحسن مرسلا (ولا يبالغ فيه) أى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاؤل من بنى بالآجر فرعون وهامان، وقد قال تعالى : (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) أى محكمة ومرفعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون فى هذه الأمة من يبنى ببناء هامان لفرعون يعنى به قول فرعون

فَلَمْ يَضَعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ» وَيَبْدَأُ يَوْمَ الْاِحْدِ .
وَيَتَّخِذُ مَوْضِعًا لِلْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ . وَمَوْضِعًا لِلْبَوْلِ وَالْغَائِطِ . وَمَوْضِعًا لِلضِّيَافَةِ ،
فَوَرَدَ «أَنَّهُ زَكَاةُ الْبَيْتِ» وَلَا يَتَوَطَّنُ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، فَوَرَدَ «أَنَّا بَرِيٌّ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
مُقِيمٍ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكَيْنِ تَرَامِي نَارَاهُمَا»

فاوقدلى ياها مان على الطين أراد به الآجر وورد «لدو اللوت وابنو اللخراب» البيهقي
في الشعب عن أبي هريرة والزيير مرفوعا وأبو نعيم في الحلية عن أبي ذر موقوفا . وأحمد
في الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام قد كره ﴿ فلم يضع عليه السلام لبنة ﴾
بكسر لام فسكون موحدة ﴿ على لبنة ولا قصبة على قصبة ﴾ أي وإنما بنى الحجرات
من الحجارة ولكن في السير ذكر أنه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج
الطاهرات ﴿ ويبدأ يوم الأحد ﴾ لأنه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والأرض كما حقق في
تفسير قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) ﴿ ويتخذ موقعا
للوضوء والغسل ﴾ أي على حدة ﴿ وموقعا للبول والغائط ﴾ أي منفردا وكان مقتضى
الترتيب أن يعكس الموضعين لأن القصد بهما قضاء الحاجة وأداء النظافة ﴿ وموقعا
للضيافة فورد أنه ﴾ أي بناء . موضع الضيافة ﴿ زكاة البيت ﴾ أي صدقته أي زكاته
ونماؤه . وبهاؤه . وضيأؤه ، وقد سبق لآخر فيمن لا يضيف وصح فراش للضيف
﴿ ولا يتوطن ﴾ أي لا يتخذ وطنا ﴿ في دار الحرب ﴾ أي بلاد الكفر ﴿ فورد أنا
بري من كل مسلم . مقيم بين ظهراي المشركين ﴾ أي في دار الكافرين بفتح النون
ولا يجوز كسرهما وأصله بينهم ثم أدخل الظهر مقحما أو اشعارا بأنه مظاهرهم ثم
زيدت ألف ونون في لفظ الظهر تأكيداً وكان القياس كسر النون كما في الرباني واللاحيانى
الأنه أريد هنا به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراه فهو مكفوف من
جانبيه وجواليه وإذا بولغ قيل بين أظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم
مطلقا ﴿ ترامي ناراهما ﴾ أي يترامى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه
تنبيه على عذر من سكن فيه لبعدهما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من أبعدهما الى
أسعدهما فقد قال تعالى : (الذين توفيه الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا
كننا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الآية

وَيَنْظِفُ . وَلَا يَكْسُو . وَلَا يَزُخْرَفُ . وَيَقْرَأُ عِنْدَ الدُّخُولِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ
وَالْإِخْلَاصَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْغَنَى . وَيَغْلِقُ الْبَابَ لَيْلاً مُسَمِّياً مِيَامناً . وَيُرْخِي السِّتْرَ .
وَيُطْفِئُ النَّارَ .

والحديث رواه أبو داود . والترمذي من حديث جرير «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين
أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله ولم؟ قال لا ترامي ناراهما» والمعنى لا ينبغي أن يتقارب
نارهما بل ينبغي أن يتباعدا راحهما، وأما قوله عليه السلام «لا هجرة بعد الفتح» فمعناه لا هجرة
واجبة من مكة وغيرها إلى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الإسلام ﴿ وينظف ﴾ أي
البيت وما حوله من الملوّثات والقاذورات ﴿ ولا يكسو ﴾ أي جدران البيت بالستارات
﴿ ولا يزخرف ﴾ أي بأنواع الزينات فإنها من الأمور الفانية الشاغلة عن الأحوال
الباقية وقد نهى عليه السلام «أن تسترا الجدر» رواه البيهقي عن علي بن حسين مرسل
وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم
سقفا من فضة ومعازج عليها يظهرون وليوئهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للبتقين) وقد ورد «لو كانت
الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء» الترمذي وغيره عن سهل
ابن سعد ﴿ ويقرأ عند الدخول آية الكرسي ﴾ لأنها آية الحفظ ﴿ والإخلاص
فإنه ﴾ أي فقراتهما وقراءة كل منهما ﴿ يورث الغنى ﴾ أي عن السوى لاشتغالها على
توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة أنسب فإن فيها راحة الابتداء والحمد والشكر
والثناء فاتحة ﴿ ويغلق الباب ليلا ﴾ أي بعد المغرب أو العشاء ﴿ مسميا ﴾ لأن
الشیطان لا يفتح بابا أغلق عليه ويسمى لديه ﴿ ميامنا ﴾ أي مبتدأ برد المصراع الأول
إذا كان الباب ذامصراعين ويوافق هذا الغلق من غير الفلق ﴿ ويرخي الستر ﴾ أي
فيما لم يكن له باب يغلق ﴿ ويطفئ النار ﴾ ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا
« إذا كان جنح الليل بكسر الجيم أي أوله فكفوا صيانتكم فان الشياطين تنتشر
حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل نخلوهم واغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فان
الشیطان لا يفتح بابا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنتكم واذكروا
اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم، وفي رواية الطبراني . والحال
« إذا نمت فاطفئ المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت » الحديث ، وفي

وَيَتَوَضَّأُ لِلنَّوْمِ لَتَكُونَ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَيَسْتَاكُ وَيَعْدُ الطَّهْوَرُ وَالسَّوَاكُ
وَيَنْوِي الْقِيَامَ فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوَى ، وَيَسْتَاكُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ فَكَانُوا يَفْعَلُونَهُ
وَيَضَعُ وَصِيَّتَهُ مَكْتُوبَةً تَحْتَ الرَّأْسِ تَحَامِيًّا عَنْ هُجُومِ الْمَوْتِ دُونَهَا، وَيَتُوبُ
عَنِ الذُّنُوبِ ، وَيَنْوِي الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَغْفِرَ لَهُ وَلَا يَسْطِ الْفَرَّاشُ النَّعِيمَ
قَطْعًا لَغْلَبَةِ النَّوْمِ وَالْأَنْسِ بِالْتَّرَفَةِ ،

الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عَمْرِو «لَا تَرَكُوا النَّارَ فِي بَيْتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ» (وَيَتَوَضَّأُ) أَيِ يَتَطَهَّرُ
(لِلنَّوْمِ) فَقِي الْخَيْرِ «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ» رَوَاهُ السَّيْتَةُ عَنْ الْبَرَاءِ
(لَتَكُونَ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً) وَذَلِكَ لِمَا وَرَدَ «مَنْ بَاتَ عَلَى طَهَارَةٍ بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ»
(وَيَسْتَاكُ) أَيِ عِنْدَ النَّوْمِ لِأَنَّهُ مِنْ كَمَالِ الطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ وَلِأَنَّ النَّوْمَ أَخَوَا الْمَوْتِ
وَيَسْنُ لِلْمُحْتَضِرِ أَنْ يَسْتَاكُ كَمَا فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَيَعْدُ الطَّهْوَرُ) بِفَتْحِ الطَّاءِ أَيِ
يَهَيِّئُ مَا يَتَطَهَّرُ بِهِ (وَالسَّوَاكُ) أَيِ عِنْدَ رَأْسِهِ (وَيَنْوِي الْقِيَامَ) أَيِ لَتَتَجَدَّدَ فِي وَقْتِهِ
(فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوَى) وَنِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ (وَيَسْتَاكُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ فَكَانُوا)
أَيِ بَعْضُ السَّلَفِ (يَفْعَلُونَهُ وَيَضَعُ وَصِيَّتَهُ) أَيِ بِإِلَهِهِ عَلَيْهِ (مَكْتُوبَةً تَحْتَ الرَّأْسِ)
أَيِ قَرِيبًا مِنْهُ (تَحَامِيًّا عَنْ هُجُومِ الْمَوْتِ) أَيِ بِجِوْهِتِهِ بَغْتَةً (دُونَهَا) أَيِ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ
وَقَدْ وَرَدَ «مَا حَقَّ أَمْرِيءُ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يَرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ بَيْتَ لَيْتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتَهُ
مَكْتُوبَةً عِنْدَهُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ ابْنِ عَمْرِو، وَرَوَى «مَنْ لَمْ يُوصِلْ يُوْذَنُ لَهُ فِي الْكَلَامِ
مَعَ الْمَوْتَى»، وَرَوَى «تَرَكَ الْوَصِيَّةَ عَارِفًا فِي الدُّنْيَا وَنَارَ وَشَارَ فِي الْعَقْبِ» (وَيَتُوبُ عَنْ
الذُّنُوبِ) فَلَعَلَّهُ يَكُونُ آخِرَ حَيَاتِهِ فِيَصِيرُ صَالِحًا عِنْدَ عَمَاتِهِ (وَيَنْوِي الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ)
أَيِ يَنْوِي لِيَسْتَرِيحُوا عَنْ أَيْذَانِهِ وَلِيَنْفَعَهُمْ عِنْدَ اتِّبَاعِهِ وَلِذَا قِيلَ نَوْمُ الظَّالِمِ عِبَادَةٌ وَرَوَى
«نَوْمُ الْعَالَمِ عِبَادَةٌ» (لِيَغْفِرَ لَهُ) أَيِ بِسَبَبِ النِّيَّةِ أَوِ التَّوْبَةِ (وَلَا يَسْطِ الْفَرَّاشُ النَّعِيمَ)
أَيِ اللَّيْنُ النَّاعِمُ (قَطْعًا لَغْلَبَةِ النَّوْمِ وَالْأَنْسِ بِالْتَّرَفَةِ) أَيِ بِالتَّنَعُّمِ الزَّائِدِ، فَقِي الشَّمَائِلُ
سَمَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ فَرَّاشَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكَ؟ قَالَتْ: مِنْ أَدَمِ حَشْوِهِ
لَيْفٍ، وَسَمَلْتُ حَفْصَةَ مَا كَانَ فَرَّاشَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِكَ؟ قَالَتْ: مَسْحَا
بِكُسْرِ الْمِيمِ أَيِ فَرَّاشًا خَشِنًا مِنْ صُوفٍ ثَنِيَّةٍ فَيَنَامُ عَلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ لَوْ ثَنِيَّتُهُ أَرْبَعُ
ثَنِيَّاتٍ كَانَ أَوْطَالُهُ قَتْنِيَاءَ بَارِبَعٍ ثَنِيَّاتٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مَا فَرَشْتُمُونِي اللَّيْلَةَ؟ قُلْنَا هُوَ فَرَّاشُكَ

وَلَا يُوَاطِبُ عَلَيْهِ فَمَرُّ الْمُرُوءِ، وَيَنْفِضُهُ قَبْلَ الْآتِيَانِ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ
وَأَخْصَاهُ إِلَيْهَا أَوْ يَكُونُ كَالْمَلْحُودِ، وَيَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ
(وَشَهِدَ اللَّهُ) إِلَى (الْإِسْلَامِ). (وَالْحُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) إِلَى (يَعْقُلُونَ)

الا انا ثنياء باربع ثنيات قلنا هو أوطأ لك قال: ردوه لحاله الاول فانه منعتني وطأته
عن صلاتي الليلة، ((ولا يواطب عليه)) أي لا يداوم النوم على مطلق الفراش بل
ينبغي ان ينام تارة على الحصير كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن أبي تراب
((فهو المروي)) أي عن النبي . والولي ((وينفضه)) أي فراشه ((قبل الاتيان)) أي
قبل قعوده لئلا يلقي ما يؤذيه في حال رقوده ففي صحيح مسلم «فليأخذ داخلته ازاره
فلينفض بها فراشه» وفي اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للبالغة في الاحتراس عن
المؤذيات ((ويستقبل القبلة ووجهه وأخصاه)) وفي نسخة «وأخصاه» أي بطن قدميه
((إليها)) فيكون على هيئة الاستلقاء قليل هو نوم الانبياء وقليل هو اردى النوم ولا يضر
الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم، واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا ففي سنن ابن
ماجه انه عليه السلام «مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال: قم
واقعد فانه نومة جهنمية» ولكن المعروف في كتب الحديث ما ذكره بقوله ((او يكون
كالملحود)) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما في مسلم
وغیره ويقول «بسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفر لها وان
ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» رواه الستة ((ويقرأ آية الكرسي)) لانها
للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو في صحيح البخارى، وزواه الطبراني عن ابن مسعود
«من قرأ عشر آيات اربع من البقرة وآية الكرسي واثنين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت
شيطان حتى يصبح» ((وآيتين من آخر البقرة)) فروى الاربعة عن أبي مسعود الانصارى
مرفوعا «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أي من قيام الليل او من
كل مكروه، وقال النووي: في الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن أبى داود باسناده
عن علي رضي الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث
الاخر من البقرة، فالابتداء من قوله (لله ما في السموات وما في الارض) و(شهد الله
الى (الاسلام) أي (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة والعلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) (وَالْحُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ إِلَى يَعْقُلُونَ) أي

و (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ) الْآيَةَ . و (قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ) الْآيَةَ
وعشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها .

(لا اله الا هو الرحمن الرحيم) هـ (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض آيات لقوم يعقلون) (وان ربكم الله الذي خلق السموات) الْآيَةَ تمامه
(والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين) (وقل ادعوا الله الْآيَةَ) تمامه (وادعوا
الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنی ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبرا) (وعشرا من أول الكهف) وهي بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قبيلا لنذر بآما شديدا من
لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثرين فيه ابدا
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جززا) (وعشرا من آخرها) وهي (الخسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي
من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالآخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يغيغون عنها حولا قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الحكم اله واحد فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل

والمعوذتين يقرأهما فينفث على اليدين ويمسح الوجه والبدن في الكل فضائل. ويذكر الموت والنشور وينام على حبه تعالى وذكره. وهكذا كلما يستيقظ وينام فهو علامة حبه تعالى وخير العاقبة ولا ينام وحده

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اي اولا ثانيا رواية (فينفث على اليدين) بضم الفاء وتكسر اي ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى، وفي رواية البخاري والاربعة عن ابي هريرة «يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس» (ويمسح الوجه والبدن) وفي رواية الصحيح «ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» (في الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالا ستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتنا واليه البعث والنشور، وفي الطبراني وليقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم لينم على خاتمها وفي رواية احمد وغيره واذا اخذت مضجعتك من الليل فاقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم نم على خاتمها فانها براءة من الشرك» وفي رواية البزار عن انس «اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت» وفي رواية احمد عن شداد ابن اوس «ما من رجل ياوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب» (وينام على حبه تعالى) اي في قلبه من غير مشاركة لربه (وذكره) اي بلسانه مقرونا بجنانته (وهكذا) اي في جميع شأنه (كلما يستيقظ وينام) اي في زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبههم ويحبونه) والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) اي وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت في الحالة السالمة (ولا ينام وحده) اي منفردا عن أهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه أو المعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر أنه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده

إِلَّا لَتَقْوَى الْحُضُورَ فِي الْقِيَامِ وَلَا عَلَى سَطْحٍ غَيْرِ مُحَوِّطٍ وَلَا فِيمَا لَا بَابَ لَهُ
وَلَا بَعْدَ الصُّبْحِ فَالْأَرْضُ تَشْتَكِي مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ وَكَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ إِذَا أَطَالَ الْقِيَامَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً قَبْلَ الصُّبْحِ . وَفِيهِ تَجَدُّدُ الشُّوقِ
إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ . وَذَهَابُ أَثَرِ الْقِيَامِ عَنِ الْوَجْهِ . وَيَقِيلُ فِيهِ سَنَةٌ مُعِينَةٌ
عَلَى الْقِيَامِ كَالسَّحُورِ لِلصَّيَامِ

﴿الالتقوى الحضور في القيام﴾ لان الحضور الكامل انما هو في الغيبة عن مشاهدة الانام
لكن كما قيل كرو سطا و امش جانبا و كن قريبا غريبا و كائنا بان تافعن ثوبان لا تسكن الكفور
فان سا كن الكفور كسا كن القبور البخارى في تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور
بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق
بالكلية ﴿ولا على سطح غير محوط﴾ اى بستره لما ورد فيه من النهى وورده من بات على
ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود بسند حسن ، وفي رواية
الترمذى عن جابر بنى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ،
﴿ولا فيما لا باب له﴾ اى ولا ستارة فانها تقوم مقام الباب في هذا الباب عند بعض
اولى الباب ﴿ولا بعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى﴾ حيث انه صرف وقته
الشريف في غير العبادة وضيعه في النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان
مرفوعا برواية البيهقى وغيره «الصبحة تمنع الرزق ، اى المعنوى وكذا الحسى لانه
عليه السلام «قال بورك لامتى في بكورها» ﴿ولا بعد العصر﴾ لانه ايضا وقت شريف
كما يشير اليه قوله سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
واصيلا) وفي رواية ابى يعلى عن عائشة «من نام بعد العصر فاخلى عقله فلا يلو من
الانفسه ، ﴿وكان عليه السلام اذا اطال القيام﴾ اى بالصلاة بعد المنام ﴿ينام نومة
خفيفة قبل الصبح﴾ او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح ﴿وفيه تجدد الشوق
الى اداء الفرائض وذهاب اثر القيام﴾ اى من الصفرة ﴿عن الوجه﴾ واثر الكسل عن
جميع البدن ﴿ويقبل﴾ بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة ﴿فهي سنة﴾ اى مستحبة لفعله
عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال «قلوا فان الشيطان لا يتميل ، ابو نعيم عن
أنس ﴿معينة على القيام كالسحور على الصيام﴾ وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم
اكل الطعام في وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام : «استعينوا

مَتَضَمِّنَةٌ لِلسَّلَامَةِ . وَلَيْسَ النَّوْمُ ثُلُثَ اللَّيْلَةِ . وَالْيَوْمُ . وَلَا يَقْصُرُ
الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ نَاصِحٍ . وَلَا بِكُلِّ مَا يَرَى فَإِنْ رَأَى مَكْرُوهًا يَبْزُقُ عَنْ
يَسَارِهِ . وَيَتَعَوَّذُ

بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلوله على قيام الليل، رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس ((متضمنة للسلامة)) أي من ضعف الدماغ وما هو مورث للبلالة وموجب للسمامة أو للسلامة من مخالطة أهل العلاقة والتحدث معهم في البطالة، فعن الثوري كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة، ولذا قيل النوم خير من النومة ((وليكن النوم)) أي ليقع مجموعه ((ثلث الليلة واليوم)) أي والباقي وهو ثلثاها مصروف إلى اليقظة فيكون أكثر عمره للطاعة، وينبغي أن يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلاة على وجه الكمال ((ولا يقصر الرؤيا)) أي لا يحدثها إذا رأى ما يحجبها ((الاعلى عالم)) أي بتعبير الرؤيا ((ناصح)) أي للرائي بأن يكون محباله ومشققا عليه فإن الرؤيا لا تستقر مالم تعبر فإذا عبرت سقطت فإذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم، وليس المراد أن يزيلها عما جعله الله عليه وقد تقع الرؤيا بقول أول عابر إذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين فأكثر فعبرها من يعرف تعبیرها على وجه يحتملها فتقع على ما نزلها فقد ورد أن امرأة النبي ﷺ قالت: رأيت كأن صائر بيتي أي عتبه قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت أبا بكر فاخبرته فقال: يموت زوجك قد كرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل قصصتها على أحد؟ قالت: نعم قال: هو كما قال هذا وما في المتن رواية الترمذي عن أبي هريرة، وفي الصحيحين «إذا رأى في منامه ما يحب فليحمد الله عليها ولا يحدث بها ولا يحدّث بها إلا من يحب، وفي رواية الحاكم عن أنس: أن الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فإذا رأى أحدا رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحا أو عالما، ((ولا بكل ما يرى)) ولا يحدث بجميع ما رأى أي بل بما يحبه من الرؤيا لما سبق ((فإن رأى مكروها)) أي ما يكرهه كما في الرواية ((يزق عن يساره)) أي يصبق ثلاثا كما رواه الستة ((ويتعوذ)) أي بالله من الشيطان ومن شرها أي شر الرؤيا التي يكرها ثلاثا كما رواه الستة أيضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما في الصحيحين

وَيَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ وَيُقُومُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْءٍ وَيُرَدُّ الْمَعْبَرُ
إِلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلٍ . وَلَا يَقْتَنِي كَلْبًا فَلَمَّا لَأَكَّهُ تَنَفَّرَ عَنْهُ إِلَّا لِمَاشِيَةٍ . أَوْ صَيْدٍ .
أَوْ زَرْعٍ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فَهُوَ دَاءٌ . وَيَسْتَدْبِرُهَا فَهُوَ دَوَاءٌ ، وَيُخْرِجُ
مَسْمِيًا مَتَعَوِّذًا قَارِئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ .

وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذي كان عليه (ويقوم ويصلي) كما رواه مسلم فيصلي
(ركعتين) فانهما اقل مما يطلق عليه الصلاة للنهي عن البتيراء خلافا للشافعي في نحو تجويزه
الركعة المنفردة (ويتصدق بشيء) لان الصدقة تدفع البلاء (ويرد المعبر الى احسن
تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا
تعبيرين أو أكثر كما تقدم ولا يبعد أن يكون المعنى يعبر المعبر أحسن تعبير من أنواع
العبارة فقد حكى أنه كان لسلطان معبران وظيفة احدهما ألف وللآخر نصفه مع
انها متساويان في الفضائل وتحسين الشئائ فسل السلطان عن موجب تفضيل
احدهما على الآخر؟ لان الحكيم لا يرجع الا للحكمة وصلاحه فقال: رأيت اسنانى وقعت
قدامى فحكيت لهما فقال صاحب الالف: ابشر فان عمرك اطول من أعمار اقاربك
وقال الآخر: يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف
حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما (ولا يقتنى كلبا) أى لا يحفظه ولا يمسكه
عنده (فالملائكة) أى النازلة للرحمة (تنفر عنه) أى دون الحفظه لكنهم يتأذون
أيضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه (الماشية) من غنم وابل وبقر ونحوها
(أو صيد) اذا كان معلما (أو زرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخبر من اقتنى كلبا
الا كلب ماشية او ضاريا أى طبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان، رواه الشيخان عن
ابن عمر، والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه
(ولا يستقبل الشمس) أى فى قعوده وقت الشتاء (فهو داء ويستديرها فهو دواء) أى
للاستدقاء ونهى عليه السلام « ان يقعد الرجل بين الظل والشمس » الحاكى عن ابى هريرة
وابن ماجه عن بريرة (ويخرج) أى من داره (مسميا متعوذا) فيقول « بسم الله توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل أو اضل
او اجهل او يجهل على » رواه ابن ماجه وغيره (قارئا آية الكرسي) أى للحفظ.

وَيُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَا يَمْشِي بَيْنَ الْمَرَاتِينِ ، وَ يَتْرُكُ الطَّرِيقَ
لِلنِّسَاءِ . وَيَمِيطُ الْأَذَى ، فَفِيهِ أَجْرٌ جَزِيلٌ . وَلَا يَخْتَالُ ، فَوَرْدٌ (وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ
غَضَبَانُ » وَيَأْخُذُ الْعَصَا فِي الْكِبَرِ فَهُوَ سَنَةٌ .

عن شياطين الانس والجن (ويسرع في المشي الى البيت) أى حال كونه راجعا اليه
ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه
لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت (ولا يمشى بين
المرأتين) فانه ابعد من العصيان ، وقيل يورث النسيان ففي ابى داود ومستدرک الحاكم
عن ابن عمر انه عليه السلام « نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين » وروى البيهقي عنه
مرفوعا واذا استقبلك المراتان فلا تمر بينهما خذيمة أو يسرة ، وهذا معنى قوله
(ويترك الطريق للنساء) أى اللاتى ليس لهن شىء من الحياء والا فالإلىق بهن أن يتركن
الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحلال (ويميط الاذى) أى ويزيل ما فيه
الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق (ففيه
اجر جزيل) وثناء جميل لاهل التوفيق فورد « الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها
قول لا اله الا الله وادناها امانة الاذى عن الطريق » رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة،
وعن معقل بن يسار مرفوعا « من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة
ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة » رواه البخارى في تاريخه (ولا يختال) أى يتبختر ماشيا
(فورد ولا تمش في الارض مراحا) تمامه (انك ان تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وفي آية اخرى (واقصد في مشيك)
أى توسط، وفي اخرى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين
لينين متواضعين متخاشعين (من تعظم في نفسه) أى تكبر (واختال في مشيه)
أى تبختر (لقي الله وهو عليه غضبان) رواه احمد وغيره عن ابن عمر، وكأنه مقتبس
من قوله سبحانه (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) (ويأخذ العصا في الكبر)
وابتداؤه من الاربعين (فهو سنة) أى للانبياء كما بينت في رسالة الانبياء، وقد قال
الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون

وَيُعْبَدُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ عَنِ الْأَعْيُنِ فِي الصَّحَرَاءِ . وَلَا يَكْشِفُ الْعَوْرَةَ
قَبْلَ الْإِتِّهَاءِ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ النَّيِّرِينَ . وَلَا الْقِبْلَةَ . وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا
يُبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّا كِدَ . وَلَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمَرَةِ .

الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين، ويقال إذا كان المؤمن معه العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته إذا صلى وقوته إذا أعياء، وفيها منافع كثيرة كما قال موسى (ولى فيها مآرب أخرى) كذا في البستان هـ وأما ما اشتهر على الألسنة من وصل الأربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا أصل له (ويبعد) بضم أوله ((في قضاء الحاجة)) الإنسانية من البول والغائط ((عن الأعين)) أى أعين الناظرين أن وجدوا ((في الصحراء)) كما ورد به السنة وإن يستتر بشيء أن وجدته من شجر أو حجر ولو استتر براحتيه أو ذيله جاز كما في بعض الروايات، وأما في البنيان فالغالب عليه أن يكون مستترا مكان الخلاء ((ولا يكشف العورة قبل الإتهاء إلى موضعه)) أى محل جلوس القضاء في الخلاء والقضاء إذ ليس من الأدب كشفها قبل الحاجة إليه ((ولا يستقبل النيرين)) أى الشمس والقمر تهظما للبلائكة الذين يحرونهما أو لانها آيتان عظيمتان وهو لا ينافي قوله عليه السلام «شرقوا أو غربوا» كما لا يخفى على الأعلام ((ولا يستقبل)) القبلة ولا يستدبرها ((فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء أو في البناء، وفي رواية أحمد وغيره أنه عليه السلام «نهى أن يستقبل القبلتين يبول أو غائط، وفي الصحيحين «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقا أو غربا» وهذا أمر لأهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك سمت عن هو في جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته في جهة الشرق أو الغرب فلا يجوز له أن يشرق ولا يغرب وإنما يجتنب أو يشتمل كذا في النهاية ((ولا يبول في الماء الراكد)) أى الواقف سواء كان ماؤه قليلا أو كثيرا، وكذا لا ينبغي أن يبول في الماء الجاري ولعله اقتصر على الأول لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجاري في الحرمين حيثئذ، ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر «أنه عليه السلام نهى أن يبالي في الماء الراكد»، وفي رواية الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عنه «أنه نهى أن يبالي في الماء الجاري» وفي الأحياء قال ابن المبارك: إن كان الماء جاريا فلا بأس به، وقد يقال: إذا كان الراكد عشرا في عشر فلا بأس به والأولى لالعموم النهى على ما لا يخفى ((ولا تحت الشجرة المثمرة)) فروى ابن عدى عن ابن

ولا في الجحر . ولا موضع صلب . ولا مهاب الرياح . ولا المغتسل ويتكى
على الرجل اليسرى . ويقدمها داخلا . ويؤخرها خارجا . ولا يبول قائما ، ولا
يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى واسمه عليه السلام . ولا يدخل حاسر الرأس .

عمر أنه عليه السلام «نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مشرة» ونهى أن يتخلى على
ضفة نهر جار أى حافته وهو بكسر أوله وفتح هـ ، وكذا لا ينبغي أن يتخلى تحت شجرة
مظلة يستظل تحتها الناس لأن مدار النهى اذى المسلمين ، ولذا ورد النهى أن يبال في
قبة المساجد وابوابها كما رواه أبو داود في مراسيله (ولا في الجحر) بضم
الجيم وسكون المهملة أى ثقب الجدار أو الأرض مخافة أذى الدابة ، فروى أبو داود
والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سرجس أنه عليه السلام «نهى أن يبال في الجحر ،
وقد قالوا اقتادة: ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال إنها مساكن الجن» (ولا)
في (موضع صلب ولا مهاب الرياح) أى في حال الريح استنزاها من رشاشه ، فروى
أبو داود ، والبيهقي عن أبي موسى إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله مكانا ليس
أى ليطلبه وروى أبو يعلى بسنده مرفوعا إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله
فترده عليه ولا يستنجى يمينه (ولا المغتسل) أى ولا يبول في مغتسله لأنه يورث
الوسوسة ويوجب الشبهة ، ولورود النهى في السنة (ويتكى ، على الرجل اليسرى)
أى في جلوسه (ويقدمها داخلا) في الخلا . (ويؤخرها خارجا) عنه إذا كان في بنيان
مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولا يبول قائما) فعن عائشة «من
حدثكم أنه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه» الترمذي وغيره وقال عمر: «درأني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبلى قائما» ابن ماجه بإسناد
ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر ، وفيه رخصة أذروى حذيفة «أنه عليه السلام
بال قائما ، وهو اما لعذر أوليان الجواز وكذا لا يبول في المغتسل فانه عليه السلام قال:
« عامة الوسواس منه » أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع
في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذي (ولا يستصحب شيئا عليه اسمه
تعالى أو اسمه عليه السلام) والظاهر أنه كذلك أسماء سائر الانبياء العظام (ولا يدخل)
أى بيت الخلا (حاسر الرأس) أى كاشفه قيل فيه عليه بفتح حاء من الله تعالى وملائكته

وَيَتَعَوَّذُ قَبْلَ الدُّخُولِ وَيُحْمَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ وَيَعْدُ النَّبْلَ قَبْلَ الْجُلُوسِ وَلَا
يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيَزِيلُ وَسَخَ الشَّعْرِ وَدُودَهُ بِالْأَدَّهَانِ
وَالْتَسْرِيحِ ، فورد « ادَّهِنُوا غَبًا مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيَكْرِمْهَا »

فكان أبو بكر يفعله لذلك (ويتعوذ قبل الدخول) فيقول بسم الله اللهم انى أعوذ
بك من الخبث والخبائث (ويحمد بعد الخروج) فيقول غفرانك الحمد لله الذى اذهب
عنى ما يؤذنى وابقى على ما ينفعنى ، رواهما النسائى وغيره (ويعد النبيل) بضم النون
وفتحها أى يهيه الحجر أو المدر للاستنجاء (قبل الجلوس) فهو سنة ولا يثار مستحب
وقيل واجب (ولا يستنجى بالماء فى موضعه) أى محل الغائط والبول الا اذا كان
محفورا بحيث لا يصل اليه أثرهما (فالكل مأثور) وينبغى أن يستبرى بالتحنج والنثر
ثلاثا ثم يرد اليد على أسفل القضيب ثم يستنجى فاذا وجد من بلل فيقدر انه بقية الماء فان كان
يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه
بالوسواس ، وفى الخبر « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله » اعنى رش الماء كذا فى الاحياء
وقال مخرجه : حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الاتصاح رواه ابو داود ، والنسائى .
وابن ماجه وكان اخفهم استبراء افقهم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه ، وقد
قدمنا كيفية الاستنجاء فى ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب (ويزيل وسخ الشعر)
اى شعر لحيته ورأسه (ودوده) اى من القمل ونحوه (بالادهان) بتشديد الدال
أى استعمال الدهن للطيب وغيره او بالادهان جمع دهن (والتسريح) فى شمائل
الترمذى من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ، وعند
أبى داود والترمذى من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام « نهى عن
الرجل الاغبا » (فورد ادهنوا) بتشديد الدال وتخفيفهم مع فتح الهاء (غبا) أى يوما بعد
يوم او وقتا دون وقت ، ومنه حديث « زرغباء زدد حبا » اخرجه جماعة وقيل الغب
فى الادهان ان يكون فى كل اسبوع مرة والحديث ذكره فى الاحياء وقال ابن الصلاح
لم اجده اصلا ، وقال النووى : غير معروف ذكره العراقى (من كان له شعرة فليكرمها)
كذا فى النسخ تبعا للاحياء ولا معنى للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر
فليكرمه كما هو رواية أبى داود عن أبى هريرة « وقد دخل عليه رجل نثر الرأس أشعث
اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن بها شعره ثم قال يدخل احدكم على كأنه شيطان »

وَمَا فِي الْأَنْفِ وَالْأُذُنِ لَتَلَايُصَمَّ . وَتَحْتَ الْأَظْفَارِ . وَيَدْخُلُ الْحَمَامُ فَهَمَّ دَخْلُوهُ
وَيَصُونَ عَوْرَتَهُ عَنْ نَظَرٍ

أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق أنه عليه السلام كان لا يفارقه المشط في سفر ولا حضر، وقد بسطت الكلام عليه في رسالة سميتها بالتصريح في التسريح ((وما في الأنف)) أي ما يجتمع من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار ((والأذن)) أي وما يجتمع من الوسخ في معطف الأذن والمسح ما يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي أذنيه فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام ((لتلايضم)) فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع، وأما ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان فيزيله بالخلخال والمضمضة والاستياك وقد ورد « مالي أراكم تدخلون على قلح استاكوا، البزار والبيهقي من حديث العباس، والقلح محركة صفرة الأسنان ((وتحت الأظفار)) ففي الطبراني عن وابصة بن معبد سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقد أمر عليه السلام بغسل الأبراجم والأواجب فروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بسر « نقوا أبراجكم، ولمسلم من حديث عائشة « عشر من الفطرة، وفيه غسل الأبراجم، ولأحمد من حديث ابن عباس « أنه قيل يا رسول الله لقد أباط عنك جبريل فقال ولم لا يبطل عني وأتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم » فالأول معطف ظهور الأنامل والثاني رؤس الأنامل، وقيل الألف وسخ الظفر والنف وسخ الأذن، وقوله تعالى (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) أي لا تعبهما بما تحت الظن من الوسخ ولا تأذيهما كما يتأذى بما تحت الظفر من الوسخ؛ وأما الدرن الذي يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزال بالحمام أو بالاستحمام ((ويدخل الحمام)) أي ويجوز دخوله ((فهم)) أي السلف من الصحابة والتابعين ((دخلوه)) أي دخلوا حمامات الشام، فعن ابن عباس « اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر » الطبراني والبيهقي والحاكم وقال بعضهم « نعم البيت الحمام يطهر البدن ويند كرا النار » روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري وقال بعضهم « بش البيت الحمام يبدى العورة وينذهب الحياء » فهذا بيان آفته وما سبق اظهار آفته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله ((ويصون عورته)) وهي ما بين سرته وركبته ((عن نظر

الْغَيْرَ وَنَظَرَهُ عَنْ عَوْرَةِ الْغَيْرِ . وَلَا يَكْشِفُهَا . وَيَنْوِي التَّنْظِيفَ لِلصَّلَاةِ . وَيُعْطَى
 الْأُجْرَةَ قَبْلَهُ إِسْرَارًا لِلْحَمَامِيِّ . وَإِعْلَامًا بِالْعَوْضِ ، وَيَتَعَوَّذُ وَلَا يَسْلَمُ وَيَدْعُو بِالْمُعَافَاةِ
 لِمَنْ سَلَّمَ . وَلَا بَأْسَ بِالْبُدَاءَةِ بِهِ . وَلَا بِالْمُصَاحَفَةِ . وَلَا يَكْثُرُ التَّكَلُّمُ . وَلَا يَقْرَأُ
 الْقُرْآنَ إِلَّا فِي النَّفْسِ ،

الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها أي ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانها في خلوة من خلواته ، ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا أقبح في الأمر ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة ، ثم من الواجب أن ينهى عن كشف العورة لأن النهي عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب أو شتم وأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثير بسماع الانكار ويفتح الأمر الا لاهل الجهل وعديم العقل وفاقد الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء ، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأيام أو تخليته عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لاسيما ماتحت السرة الى مافوق العانة لاختلاف العلماء في كونها عورة بل التخذ ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحریم لها ، ورؤى ابن عمر في الحمام ووجهه في الحائط وقد عصب عينه بعصابة (وينوي) بدخول الحمام (التنظيف للصلاة) لالعاجل الدنيا من اللذات (ويعطى الأجرة قبله) أي قبل دخوله (اسراراً للحمامي) بعدم انتظاره وتطيبها لنفسه (واعلاماً بالعوض) لرفع الجهالة من أحد العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد « اذا استأجر أحدكم أجيراً فليعلمه أجره » الدار قطنی فی الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) أي يقول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخوله (ولا يسلم) أي على أحد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالمعافاة) أي يقول عافاك الله (لمن سلم) أي عليه ولم يجب عنه غيره (ولا بأس بالبداءة به) أي يقول عافاك الله ونحوه (ولا بالمصافحة) أي بان يصافح الداخل أحد أصحابه (ولا يكثر التكلم) بل لا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام في الحمام (ولا يقرأ القرآن الا في النفس) أي

وَلَا بَأْسَ بِأُظْهَارِ التَّعَوُّذِ . وَيَجْتَنِبُهُ وَقْتُ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَهُوَ
 وَقْتُ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ : وَعَلَى الرِّيقِ فَهُوَ يُورِثُ الْمَوْتَ . وَلَا يُسْرِفُ فِي الْمَاءِ .
 وَلَا بَأْسَ بِالذَّكَاءِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ وَيَذْكُرُ ظِلْمَةَ اللَّحْدِ . وَحَرَارَةَ جَهَنَّمَ . وَيُحَمَّدُ بَعْدَ
 الْخُرُوجِ قَالِمَاءَ الْحَارِّ فِي الشِّتَاءِ مِنْ نَعِيمٍ يُسَالُّ عَنْهُ وَلَا تَدْخُلُهُ الْمَرَأَةُ ، فَوَرَدَ « لَا يَحِلُّ
 لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ » وَيَحْتَاقُ الرَّأْسَ إِنْ أَرَادَ التَّنْظِيفَ

سرا (ولا بأس باظهار التعوذ) أى من الشيطان الرجيم ومن الجيم في دار الجحيم
 (ويجتنبه) أى دخول الحمام (وقت الغروب) أى قريب المغرب (وبين
 العشاءين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا في الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو
 يورث الموت) أى سريعا فعن الشافعى عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر
 الأكل بعد أن يخرج منه كيف لا يموت انتهى، ولا يجعل بدخول البيت الحار حتى
 يعرق أولا (ولا يسرف في الماء) أى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر
 الحاجة اليه فانه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لو عليه الحمى لم يرض به
 لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولا بأس بذلك) أى من غيره (فهو
 مروي) أى عن بعض الصحابة «ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا في
 بعض أسفاره فنام على بطنه وعبدأ سود يغمز ظهره فقلت : ما هذا يا رسول الله؟ فقال
 ان الناقة تقحمت في، رواه الطبراني في الأوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر
 ظلمة اللحد) في مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج
 قالما الحار في الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيامة كالما البارد في الصيف، وقال
 ابن عمر : الحمام من النعيم الذي احدثوه (ولا تدخله المرأة) أى النساء (فورد
 لا يحل للرجل أن يدخل حليته) أى زوجته أو امته (الحمام) روى الترمذى وحسنه
 والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
 يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليته الحمام،
 وللحاكم من حديث عائشة «الحمام حرام على نساء امتي، وقال صحيح اسناده، ولأبي
 داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر «فلا يدخلها الرجال الا بالآزر وامنعوها
 النساء الا مريضة او نفساء» (ويحاق الرأس) أى شعره (ان أراد التنظيف) أى

وَالْإِحْتِيَاظُ فِي الْغُسْلِ وَلَا يُرْسَلُ بِحَيْثُ يُشْبَهُ بِالشَّرِيفِ وَيَقْصُ الشَّارِبُ ،
فَوَرَدَ « قُصُوا الشَّوَارِبَ » وَلَا بَأْسَ بِإِبْقَاءِ السَّبَالِ ،

زيادته (والاحتياط في الغسل) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ، ولذا قال ومن ثم عادت رأسي فان بقاء الشعر على الرأس أنفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر أصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من أحد النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع أنه قال عليه السلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا أي قطعاً فهو دأب أهل الشطارة ومنهى عنه للصغار والكبراء ، ولا عبرة بقول من يقول : ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخبثاء وتسويل للشيطان في مقام الخداع » (ولا يرسل) أي شعر الذوائب (بحيث يشبه بالشريف) فانه نوع من التلبس والتزييف (ويقص الشارب) أي في كل جمعة (فورد قصوا الشوارب) وهذا لفظ احمد من حديث أبي هريرة ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « جزوا ، أي اقطعوا ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » فالاحفاء يشعرب بالاستقصاء ومنه قوله تعالى : (فيحفكم تبخلوا) أي يستقصي عليكم ، وفي رواية « حفوا » أي اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وأما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ، ونظر بعض التابعين رجلاً احفى شاربه فقال ذكرني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه إيمان الى أن مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبراني عن الحكم بن عمير « مرفوعاً قصوا الشارب مع الشفاء » ، وأما قوله عليه السلام « اعفوا اللحى » أي كثروها ولا تقصوها ، وفي الخبر « أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم يخالفونهم ، وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة » (ولا بأس بإبقاء السبال) أي اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما في الاحياء ولأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه احمد من حديث أبي امامة قلنا يا رسول الله « ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب ، وفي صحيح ابن

وَلَا يُؤَخَّرُ حَلَقُ الْعَانَةِ وَتَفُّ الْأَبْطِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَهُوَ الْمَأْثُورُ .
وَيُزِيلُ الْعَانَةَ بِالطَّلَاءِ إِنْ اِعْتَادَ لِحْصُولِ الْمَقْصُودِ . وَالتَّحَامِي عَنْ الْإِيلَامِ .
وَيَبْتَدِئُ بِتَقْدِيمِ مَسْبِحَةِ الْيَمْنَى . أَوْ خَنْصَرِ الْيَسْرَى . وَخَنْصَرِ الرَّجْلَيْنِ :
وَلَا مَسْبِحَةَ فِيهِمَا وَيَخْتِمُ بِالْأَبْهَامِ فِي الْكُلِّ فَهُوَ الْمَرْوِيُّ .

حبان من حديث ابن عمر في المجوس ، أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالقوهم ، اللهم
ألا أن يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابله بالعنانين وهي جمع العثون بمعنى اللحية
وورد «احفوا الشوارب واعفوا اللحي وانتفوا الشعر الذي في الأناف» ابن عدي والبيهقي
عن عمرو بن شعيب ، والقص يقوم مقام التف في الانتف «ولا يؤخر حلق العانة
وتف الأبط» وتقليم الظفر «أكثر من أربعين يوما فهو المأثور» أي المذكور في صحيح
مسلم من حديث أنس أنه عليه السلام «وقت لنا في قلم الأظفار وتف الأبط وحلق
العانة أربعين يوما» وورد «قص الظفر وتف الأبط وحلق العانة يوم الخميس والغسل
والطيب واللباس يوم الجمعة» الديلمي عن علي ، ويحلق الأبط إن لم يقدر على التف
باعتياده ثلثا يجتمع الوسخ في خلاله والمقصود النظافة في جميع حاله «ويزيل العانة»
أي شعرها «بالطلاء» أي النورة «إن اعتاد لحصول المقصود» وهو فقد الأذى
الموجود «والتحامي عن الإيلام» أي مع تحصيل المرام «ويبتدئ بتقديم مسبحة
اليمنى أو خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما» أي في الرجلين
«ويختتم بالأبهام في الكل» أي في جميع اليدين والرجلين «فهو المروى» قال العراقي :
لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشمع عليه به
قلت : لا وجه للتشنيع عليه حيث قال : ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم
الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام «أنه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بأبهام
اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الأبهام ، ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من
الإلهام لما بسط عليه الكلام هذا وفي حديث جابر «قصوا أظافركم فان الشيطان يجري
من أمي اللحم والظفر» الخطيب في الجامع بسند ضعيف لكن روى أحمد ومسلم والأربعة
عن عائشة «عشر من الفطرة» أي سنة الأنبياء التي أمرنا أن نفتدي بهم فيها قص الشارب
واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتف الأبط

وَيَكْتَحِلُ بِالْأَثْمَدِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ فَهُوَ مَرْوِيٌّ ، وَرَوَى ثَنَانٌ فِي الْيُسْرَى
كَمَا وَرَدَ ، وَوَرَدَ « عَلَيْكُمْ بِالْأَثْمَدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَيَنْبِتُ
الشَّعْرَ » وَلَا يُكْثَرُ التَّزِينُ . وَلَا كُتْحَالُ . وَالْأَدَّهَانُ . وَيَقْطَعُ اللَّحْيَةَ الطَّوِيلَةَ
فَالْمُفْرَطُ يَرَى سَمَجًا . وَيَفْتَحُ بَابَ الْغَيْبَةِ . وَيَبْقَى قَدْرُ الْقَبْضَةِ فَمَوْ الْوَسْطُ

وحلق العانة وانتفاض الماء قال وكيف يعني الاستنجاء به، قال مصعب ونسيت العاشرة
الآن تكون المضمضة، وذكر عمار بن ياسر الاختتان في العاشرة ((ويكتحل بالأثمد))
أي في كل ليلة ((ثلاثا)) أي ثلاث مرات متوالية ((في كل عين)) ويبتدىء باليمنى
((فهو مروى)) أي في الشماثل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي ((وروى))
أي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف الطبراني ((ثنان في اليسرى)) أي وثلاث في اليمنى
فلا يتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما في الأول فتأمل فإنه الأولى
قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها في رواية
لتعظيمها فهي أحق بها « وإن الله تعالى وتر يحب الوتر » * ((كما ورد وورد عليكم
بالأثمد)) وهو حجر يكتحل به أي الزموده ولا تتركوه ((عند مضجعكم)) أي مرقدكم
بالليل ((فإنه مما يزيد في البصر)) أي في قوته ((وينبت الشعر)) أي شعر الجفان
في طرف العين والحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ « عليكم بالأثمد
فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » وفي رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر « عليكم
بالأثمد عند النوم » الحديث، وفي رواية الطبراني وغيره عن علي « عليكم بالأثمد فإنها
منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر »، وفي رواية أحمد « اكتحلوا بالأثمد المروح »
أي المطيب بالمسك ((ولا يكثر التزين)) بالتشريح ونحوه ((والا كتحال والأدهان))
فإنه دأب المترفين، وقد نهى عليه السلام عن الترجل الأغبا ((ويقطع اللحية الطويلة))
أي زيادة على القبضة فإنه مستحب وقيل واجب ((فالمفرط)) منها في الطول أو العرض
((يرى)) بصيغة المجهول أي يظهر ((سمجا)) بفتح فسكون فجيم أي قبيحا فإنه يشوه
الحلقة ((ويفتح باب الغيبة)) أي في الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه
النية ((ويبقى قدر القبضة)) فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين ((فهو الوسط)) أي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال النخعي

المسنون ، وقيل يبقى بحاله ، فورد « اعفوا اللحى » ولا يجوز تصغيرها
وتحميمها لا خفاء الشيب الا في الغزو ، فورد « هما خضاب المسلمين والمؤمنين »
ويكره تسويدها ، فورد « هو خضاب أهل النار »

عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت
اللحية الا وقد نقص العقل * (المسنون) فانه عليه السلام « كان يأخذ من لحيته طولا
وعرضا » كما رواه الترمذي عن ابن عمرو (وقيل تبقى بحالها فورد اعفوا اللحى) *
أى اتركوها وابقوها على حالها واختارة الحسن وقتادة وقالوا: تركها عافية أحب
للحديث المتقدم (ولا يجوز تصغيرها وتحميمها) * بالحناء وغيرها (لا خفاء الشيب) *
أى يتوهم ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور (الا في الغزو) * فان مبناء على مكر
وغرور ومنه حديث « الحرب خدعة » (فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين) * لا فرق
بين المسلم والمؤمن في عرف الشرع وانما هو التفنن في العبارة كما وقع اليه الاشارة
في قوله تعالى : « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين »
وأما في أصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد
الباطن كما يدل عليه قوله تعالى (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هذا كم
للإيمان) ويقويه حديث جبريل « ان الاسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وتقيم الصلاة » والخوالايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسوله الخ ، ولما كان
الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد الباطن كالمناق و لا الانقياد الباطن بدون
الانقياد الظاهر كما في أبى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين
الانقيادين في استحكام الاعتقادين ، وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل
واحد من الحرة والصفرة خضاب أهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا
فيوافق ما ذكره في الاحياء من قوله عليه السلام « الصفرة خضاب المسلمين والحرة
خضاب المؤمنين » بناء على الفرق بينهما لغة ، أو اشعارا بان نعت الايمان أكمل فالحرة
افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلق والكتم للصفرة وحديث الاحياء
رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ، ثم هما جائزان تليسا للشيب
على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم
(ويكره تسويدها فورد هو خضاب أهل النار) كذا في الاحياء قال وفي لفظ « خضاب

وَتَبْيِضُهَا بِالْكِبَرِ بِإِظْهَارِ الْكِبَرِ تَرْفَعًا وَتَنْفَعًا عَبَثًا وَتَشَبَهُ بِالْمُرْدِ فَهُوَ
مُنْكَرٌ وَتَزِينُهَا لِلنَّاسِ بِالتَّدْوِيرِ وَالتَّسْرِيحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْعَارِضِينَ بِإِرْسَالِ الصَّدْغِ
الْمُتَجَاوِزَةِ عَنْ عَظْمِهَا ، وَلَا يَأْكُلُ الْجَنْبُ وَلَا يَنَامُ دُونَ الْوُضُوءِ .

الكفار قال مخرجه رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل
وأول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد « من خضب بالسواد سود الله وجهه
يوم القيامة الطبراني عن أنى الدرداء (وتبييضها بالكبريت) أى ويكره أيضا
(اظهار الكبر) أى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى
التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شأنه وتصديق الرواية عن مشايخ
الدراية ظنا منه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الآثام ولم يعرف أن الفضل بقلة
الآثام وأمثال ذلك من الأغراض الفاسدة والأعراض الكاسدة كما يبتها في التصريح
بشرح التسريح (وتنفعها عبثا) أى بلا منفعة (وتشبهها بالمرء فهو منكر) أى بدعة
مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء في جميع الأحوال أو
استنكافا من الشبهة فقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال « هو نور المؤمن »
رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده (وتزينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالنعبة طاقة على
طاقة للتزوير (والتسريح) أى بالتكثير وقد قال بشر: فى اللحية شر كان تسريحها
للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد (والزيادة) أى وبزيادة الشعر (فى العارضين)
أى الخدين (بإرسال الصدغ) بضم فسكون ما بين العين والأذن والشعر المتدلى
عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) أى عظم اللحي المنتهية الى نصف الخد
وذلك يبان هيئة أهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجم (ولا يأكل الجنب)
أى لا ينبغي أن يأكل وهو جنب فاذا أراد أن يأكل فيغسل فيه أولا وكذا اذا أراد
أن يشرب (ولا ينام) أى الجنب (دون الوضوء) أى أو ما يقوم مقامه من التيمم
فمن عمر « قلت للنبي ﷺ أينام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا ترضأ » متفق عليه وهذا
هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام « ينام وهو جنب ولا يمس ماء » كما
رواه أحمد وغيره عن عائشة ، وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الأمة

وَلَا يَنْقُصُ مِنْ الْبَدَنِ شَعْرًا وَلَا ظْفُرًا وَلَا دَمًا، فَاجْزَأُ الْبَدَنَ تُعَادَفِي
الْآخِرَةَ . وَالْمَزَالُ جُنْبًا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَيَكُنْسُ الْمَسْجِدَ وَيَنُورُهُ وَيُفْرِشُهُ
فَفيهَا فَضَائِلُ، وَلَا يَزُخِرُهُ وَلَا يَنْقُشُهُ وَلَا يَصُورُهُ فَهُوَ مِنَ الْبِدْعِ . وَيَتَعَهَّدُ
النَّعْلَ . وَيَمْسَحُ مَابَهُ مِنْ أَدَى . وَيَقْدُمُ الرَّجُلَ الْيَمْنَى دَاخِلًا فِيهِ

﴿ ولا ينقص من البدن ﴾ أي لا يقطع الجنب ﴿ شعرا ولا ظفرا ولا دما ﴾ مادام جنباً ﴿ فاجزاء ﴾
البدن ﴿ أي جميعها ﴾ ﴿ تعاد في الآخرة ﴾ أي كما كانت في الدنيا قال تعالى ﴿ كما بدأكم ﴾
﴿ تعودون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي حفاة
عراة غرلاً ﴿ والمزال جنباً يكون كذلك ﴾ وهو نقصان في المرتبة هنالك وإن كانت
تزول عن المؤمنين مالا يحتاج إليها إذا اغتسلوا على حيض وأنهار في باب الجنة قبل
الدخول عليها ، وقد ورد أنه عليه السلام « كان يأمر بدفن الشعر والظفار الطبراني
عن وائل بن حجر ، وفي رواية الحكيم عن عائشة « كان يأمر بدفن سبعة أشياء من
الإنسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والغلفة والمشيمة ﴾ ﴿ ويكنس المسجد ﴾
أي ينظفه من القمامة فإنه أفضل أنواع الإماطة وقد قال تعالى : ﴿ وطهر بيتي ﴾ وورد
وابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة ، وأخرج
القمامة منها مهوور الحور العين رواه الطبراني وغيره ﴿ وينوره ﴾ بالسرج ونحوها
فقد قال أنس بن مالك : « من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملته العرش
يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوءه ، رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده
 وغيره به مرفوعاً وسنده ضعيف ، والحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال
﴿ ويفرشه ﴾ بالحصر وأمثالها ﴿ فففيها ﴾ أي في الثلاثة ﴿ فضائل ﴾ فإنها كلها من
عمارة المسجد وقد قال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ﴾ ﴿ ولا يزخرفه ﴾
أي لا يبالغ في زينته ﴿ ولا ينقشه ﴾ بحيث يشغل المصل في إحدى هيئته ﴿ ولا يصوره ﴾
أي جدرانها وسقفه فضلاً عن قبلته ﴿ فهو ﴾ أي مجموع ما ذكر ﴿ من البدع ﴾ أي
المستبشعة ﴿ ويتعهد النعل ﴾ أي يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه ﴿ ويمسح مابه
من أذى ﴾ على أطرافه ﴿ ويقدم الرجل اليمنى داخل فيه ﴾ ويقول بسم الله أعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبي ﷺ ويقول

وَالْيَسْرَى خَارِجًا مِنْهُ ، وَيَجْهَرُ بِالْدُّعَاءِ عَلَى مَنْ يَتَجَرَّفُ فِيهِ أَوْ يَنْشُدُ ضَالَّةً
وَيَنْظِفُهُ عَنِ النَّخَامَةِ وَالْبِزَاقِ ، وَلَا يَتَّخِذُهُ بَيْتًا وَلَا مَعْبَرًا فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ . وَإِنْ
غَلَبَهُ النَّعَاسُ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ . وَيَضْرِبُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ جَانِبَ رَأْسِهِ
الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجُلُوسِ فَهُوَ عِبَادَةٌ .

اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» رواه أبو داود وغيره ((واليسرى خارجا
منه)) ويتعوذ ويقول « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » رواه الترمذي
 وغيره « ولا يجلس حتى يصلي ركعتين كما في الصحيحين وتحية المسجد الحرام هي
الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول: سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر عملا بقوله عليه السلام: « اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا » ((ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه أو ينشد ضالة)) أي يطلبها برفع
صوت فورد « اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا
رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك » رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة
مرفوعا ((وينظفه)) أي جدرانه عن النخامة أي ماء الأنف ((والبزاق)) أي ماء الفم
ففي الخبر « البزاق في المسجد سيئة ودفعه حسنة » أحمد والطبراني ، وفي الصحيحين « البزاق
في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » ((ولا يتخذ بيتا)) أي مسكنا الا اذا كان غريبا
ولم يجد مكانا قريبا ((ولا معبرا)) أي طريقا وعمرا الا لضرورة داعية اليه أو حاجة
باعثة عليه فينبغي أن ينوي الاعتكاف ولو ساعة لديه ((فالكل مروي)) ففي الطبراني عن
ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر أو صلاة ((وان غلبه النعاس فيه يتحول
عن موضعه)) ليطير أثر نومه ، وفي الخبر « اذا نعس احدكم وهو في المسجد فليتحول من
مجلسه ذلك الى غيره » أبو داود والترمذي عن ابن عمر « (ويضرب باطراف أصابعه
جانب رأسه الأيمن ثلاثا ثم يجلس) » في موضع آخره (ويستقبل القبلة في الجلوس فهو
عبادة) أي في حد ذاته فضلا عن أن يكون في حدود المسجد وجهاته وقد ورد أكرم
المجالس ما استقبل به القبلة » أخرجه أبو يعلى . وابن عدى . والطبراني في الأوسط وأورده
الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان : انه خبر موضوع وقد كانت أحواله عليه السلام
في مواعظ الناس أن يخطب لهم وهو مستدير القبلة قلت : وفيه أنه لمصلحة سماع الناس

وَفِيهِ قُوَّةُ الْبَصَرِ ، وَيَجْلِسُ مَوْضِعًا قَرَبَ إِلَى التَّوَاضُّعِ لَا بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ
فَهُوَ مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ . وَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلَا يَقِيمُ أَحَدًا . وَإِنْ قَامَ لَا يَجْلِسُ
ثُمَّ . وَيَجْلِسُ حَيْثُ أَصَابَ وَخَلْفَ الصَّفِّ إِنْ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا فِيهِ وَلَا يَعُودُ

ولم يعكس ايثارا للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا ((وفيه)) أى فى الاستقبال ((قوة
البصر)) لأن وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى النظر ((ويجلس موضعا أقرب الى التواضع))
أى وأبعد عن أهل الترفع ((لا بين الظل والشمس فهو مقعد الشيطان)) أى يحبه
ويؤمجه أن يقع من الانسان ، وفى مستدرک الحاكم عن أبى هريرة . وابن ماجه عن
بريدة أنه عليه السلام « نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس » وفى رواية أحمد ونهى
أن يجلس بين الضح والظل وقال يجلس الشيطان « (ولا يفرق) بالجلوس « (بين اثنين)
أى مخصوصين كابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى أن يجلس
الرجل بين الرجلين الا باذنهما » رواه البيهقى عن ابن عمر « (ولا يقيم أحدا) عن موضع
جلوسه فيجلس هو فيه ، فى البخارى عن ابن عمر أنه عليه السلام « نهى أن يقام الرجل
من مقعده ويجلس فيه آخر » « (وان قام) أحد بنفسه حياء منه أو تأدبا معه « (لا يجلس
ثمة) اما تواضعا أو عملا بظاهر النهى « (ويجلس حيث أصاب) أى صادف محلا فارغا
فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كما فى الشمايل ، وروى البغوى والبيهقى
والطبرانى عن شعبة بن عثمان مرفوعا « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له
فليجلس والا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه » * (وخلف الصف) * أى
ويجلس « (ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود) » كأنه أخذ من حديث صحابى اقتدى به
عليه السلام قبل أن يصل الى الصف فقال له عليه السلام : زادك الله حرصا ولا تعد
فروى من العود أى لا ترجع الى مثل ذلك الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل
الى الصف الذى يسعك فصل ، وروى من الاعادة أى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة
حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء أن يكون مقام الامام والمقتدى
بقعة واحدة وقال الامام أحمد يطلان صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام ،
وأما ما رواه الطبرانى عن وابصة « أيها المصلى وحده ألا وصلت الى الصف
فدخلت معهم أو جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك أعد صلاتك
فانه لا صلاة لك » فحمل على نفي الكمال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام أحمد

وَلَا يَتَجَاوَزُ مَنْ سَبَقَ وَيَحْيَى مِنْ يَقْرَبُهُ وَلَا يَمُدُّ الرَّجُلُ وَكَانَ أَكْثَرَ جُلُوسِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنْ يَنْصِبَ السَّاقَيْنِ . وَيَجْعَلَ الْيَدَيْنِ عَلَيْهِمَا وَيُلَازِمُ الْوَقَارَ .
وَالْتَوَاضِعَ . وَيَحْتَنِبُ الْجُلُوسَ عَلَى الْقَدَمَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَإِكْثَارَ النَّظَرِ إِلَى الْكَاهِلِ .
وَالْعَقِبِ . وَالِاتِّفَاتِ إِلَى الْجَوَانِبِ . وَاللَّعِبَ مَعَ اللَّحْيَةِ . وَالْأَصَابِعِ . وَتَخْلِيلَ
الْأَسْنَانِ . وَإِدْخَالَ الْأَصْبَعِ فِي الْأَنْفِ وَإِخْرَاجَ الْبُزَاقِ وَالنُّخَامَةِ

وفي بعض الحواشي أى ولا يعود الى بيته حيثذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده (ولا يتجاوز من سبق) أى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو أن يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حيثذ يجوز له أن يتخطى ويصل فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحيى) أى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) أى فى ذلك المقام، وفى نسخة يقربه بصيغة المصدر ((ولا يمد الرجل)) أى قدام صاحبه فانه ترك الأدب ((وكان أكثر جلوسه عليه السلام أن ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما)) ويسمى هيئة الاجتباء وكان عليه السلام يتربع أحيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) أى فى قعوده (الوقار) أى السكينة والرزانة (والتواضع أى مع أهل المسكنة) (ويجنب الجلوس على القدمين والركبتين) فى هيئة الاقواء وتسمى جلسة الكلب لكن نهي عنه بقيد الصلاة، فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة أنه عليه السلام «نهى عن الاقواء فى الصلاة، وفى النهاية هو أن يلمس الرجل أليته بالأرض وينصب ساقيه وفخذه ويضع يديه على الأرض ((واكثر النظر)) أى يجنب تكثير نظره ((الى الكاهل)) بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين ((والعقب)) أى الى ورائه ((والالتفات)) أى واكثره أو يجنبه ((الى الجوانب)) فانه يعد من المعائب ((واللعب مع اللحية والأصابع)) فانه من اللغو وضد حال أرباب الخشوع وأصحاب الخضوع، وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ((وتخليل الأسنان وإدخال الأصبع فى الأنف)) وهذا له مكروه فى المجمع والمحافل لأرباب الفضائل والفواضل ((وإخراج البزاق)) من الفم ((والنخامة)) من

والتَّشَاوُبَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْجُشَاءَ وَالْإِشَارَةَ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَنَحْوَهَا بِمَا يَكْرَهُ
النَّاسُ . وَيَسْتَغْفِرُهُ تَعَالَى عِنْدَ الْقِيَامِ . وَلَا يَقْعُدُ فِي السُّوقِ بِلَا حَاجَةٍ . وَلَا فِي
الطَّرِيقِ ، وَيُؤَدِّي الْحَقُوقَ أَنْ جَلَسَ . وَيَفْتَحُ الْكَلَامَ بِالتَّسْمِيَةِ . وَالتَّحْمِيدِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

الآلف ((والتشأوب على الوجوه)) أى فى مقابلتها دون أدبارها ((والجشاء)) أى كذلك
فورد « اقصر جشاءك عنا » وهو بضم الجيم عدو دابخار يخرج من القم عند الأكل الكثير
((والإشارة باليد والعين)) بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى :
(يعلم خائنة الاعين) ((ونحوها)) أى ويجتنب امثال هذه المذكورات ((مما يكره الناس))
أى فى المحاورات والمحاضرات ((ويستغفره تعالى عند القيام)) أى من المجلس فى المعالم
عند قوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعد بن جبير . وعطاء أى قل حين تقوم من
بجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان
كفارة له وروى البغوى باسناده الى أبى هريرة مرفوعا « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال
قبل أن يقوم : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك
الا كان كفارة لما بينهما » وفى رواية أبى داود وابن حبان عن أبى هريرة « كفارة المجلس أن
يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى
انه لا يغفر الذنوب الا أنت » ((ولا يقعد فى السوق بلا حاجة)) فانها أبغض البلاد الى
الرحمن واحبها الى الشيطان ((ولا فى الطريق)) أى الجادة للعامة ((ويؤدى الحقوق))
أى حقوق الجلوس أو حقوق الطريق ((ان جلس)) وهى اماطة الأذى وارشاد
الضال وقضاء حاجة الفقير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ونصرة المظلوم
واغاثة الملهوف . واعانة الضعيف . ورد السلام . واعطاء السائل ولو بجميل
الكلام ، وفى رواية الطبرانى عن وحشى « اعلمكم ستفتحون بعدى مداين عظاما
وتتخذون فى أسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم
واهذوا الأعشى وأعينوا المظلوم » ((ويفتح)) وفى نسخة ويفتح أى يبتدىء ((الكلام))
فى مجلس الكرام اذا كان ذابال من المرام ((بالتسمية والتحميد والاستعاذة)) والانصب
تقديم التعوذ ((والصلاة عليه عليه السلام)) أى على النبي عليه السلام ، فورد « كل

وَيَخْتَارُ الْعَرَبِيَّةَ . وَيَخْفِضُ الصَّوْتَ . وَلَا يَكْثُرُ . وَيَهْدُبُ اللَّفْظَ . وَيَبِينُ
 الْكَلَامَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي الْحُجَّةِ . وَيَسْكُتُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَيَذْكُرُهُ تَعَالَى عِنْدَ
 النِّسْيَانِ . وَيَسْتَشْنِي وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ اجْتِرَاءٌ وَيَحْتَرِزُ عَنِ الْقِصَصِ
 وَالْحَلْفِ مَا امْكَنَ . وَإِنْ حَلَفَ وَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا فَلْيَأْتِ بِهِ .

أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، رواه الرهاوى فى الأربعين
 عن أبى هريرة ، وفى رواية له عنه دكل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو
 أقطع أبتر محق البركة (ويختار العربية) أى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد
 « أحب العرب لثلاث لأنى عربى ولأن كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة
 عربى » وقد قيل: العربية نصف العلوم النقلية (ويخفض الصوت) أى فى كلامه
 لقوله تعالى (واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير) (ولا يكثر)
 أى من الكلام فان كثرة الكلام تميم قلب الأنام (ويهدب اللفظ) أى ينقى مبانیه
 ويحسن ما فيه ويميز بين ما يوافقه المقام وينافيه (ويبين الكلام) بتعيين معانيه وتخليصه
 من الزوائد المخلة والفوائد المملة (ويتفكر) أى أولاً (فى الحجة) أى الأدله ثم يحتاج
 بها ويستمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى: (ولما سكوت عن موسى
 الغضب أخذ الألواح) أى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى أن يحكم
 وهو غضبان لأنه حيثئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى
 عند النسيان) لقوله تعالى: (واذا كرر بك اذانسيت) (ويستشنى) أى يقول ان شاء
 الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
 الله) (ولا يحلف عليه تعالى فهو اجتراء) أى اظهار جرأة لديه فورد « ان رجلا
 قال والله لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى: من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان فانى
 قد غفرت لفلان واحبطت عملك » رواه مسلم عن جندب البجلي (ويحترز عن القصص)
 أى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات
 الاولياء اذا لم تمكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) أى ويحترز عن
 كثرة البين (ما أمكن) ولو كان صادقا اذ فيه خطر الخنث ووجوب الكفارة
 وشبهة التهمة (وان حلف) أى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به)

وَلْيَكْفُرْ وَيُرَاعِيَ الْأَدَبَ وَيَتَكَلَّمْ بِالْقَصِيرِ الْجَامِعِ وَيَتَوَقَّفَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ
لِيَحْفَظَ السَّامِعَ . وَلَا يَبْحَثْ قَبْلَ تَمَامِ الْكَلَامِ . وَيَسْتَأْذِنُ لِلسُّؤَالِ فَالْكُلُّ
مَأْثُورٌ وَيَكْثُرُ الْبُكَاءُ فَوَرَدَ « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنَ عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » دُونَ الضَّحْكَ
فَهُوَ يَمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ النُّورُ ، فَوَرَدَ (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا)

أى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) أى عن حنث يمينه فى صحيح مسلم وغيره
عن أبى هريرة « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر
عن يمينه » (ويراعى الأدب) أى مع الأصحاب والأحباب فى قوله وفعله وسائر
الأبواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد أعطيت
جوامع الكلام رواه أبو يعلى عن عمر ، وهو الذى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة ، وروى
« خير الكلام ما قل ودل » (ويتوقف بين كلامين) أى مركبين يصح سكوت على كل
منهما (ليحفظ السامع) أى ليدركة ويفهمه ففى الصحيحين عن عائشة أنه عليه السلام
« كان يحدث حديثا لو عدته العادلا حصاه » (ولا يبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام)
أى فى أثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام يدفع المباحثة مع الخصام (ويستأذن للسؤال)
أى تأدبا مع أرباب الكمال (فالكل مأثور) وفى الكتب المبسوطة مذكور (ويكثر
البكاء فورد « حرمت النار على ثلاثة أعين عین » بالجر على البدل أو بالرفع أى منها
أو أحداها عين « (سهرت فى سبيل الله) أى احتراسا لأهل الله (وعين غضت) أى
غمضتها (عن محارم الله) أى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) أى من خوف
يوم يلقاه الطيرانى والحاكم عن أبى ریحانة بلفظ « حرمت النار على عين بكت من خشية الله
وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم
الله أو عين فقتت فى سبيل الله » وفى رواية الحاكم عن أبى هريرة « ثلاثة أعين لا تمسها
النار عين فقتت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله »
(دون الضحك) أى لا يكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب ويذهب النور)
أى البهاء والضياء وفى الخبر أنه عليه السلام « كان طويل الصمت قليل الضحك » أحمد عن
جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليكثروا كثيرا) وهو أمر بمقتناه خبر أى

وَيَخْفِضُ صَوْتَ الْعَطَاسِ فَالتَّصْرِيحُ بِهِ حَقٌّ وَيَسْتَرُ بِثَوْبِهِ أَوْ يَدِهِ وَيَسْتَرُ

الْقَدَمَ فِي الثَّأْوِبِ . وَيُلْقِي الْبُزَاقَ فِي الْيَسَارِ أَوْ تَحْتَ الْقَدَمِ دُونَ الْقِبْلَةِ وَالْيَمِينِ .

يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك أو الزمان ويكون كثيرا من البكاء أو الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن أهل الكفر في الدنيا والعقبي وأما ان كان المراد به الخبر عنهم في دار الآخرة فالمراد من القلة العدم والله سبحانه أعلم، فالمعنى من ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك في الدنيا كثيرا فإنه لا يشك أن أمره يكون عسيرا لا يسيرا (ويخفض صوت العطاس فالتصريح به) أي بالصيحة عند الناس (حق) أي حماقة وجهالة لمقام الاستئناس، وقد ورد الثأوب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان، ابن السني عن أم سلمة (ويستر) أي فمه عند العطاس (ثوبه) أي بكفه أو منديل (أو يده) أي بكفه فورد إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الخاكم واليهي عن أبي هريرة (ويستر القم في الثأوب) أي بالثوب لأنه أيضا يحصل المقصود ولأن الثوب أيضا لا يكون إلا بمساعدة الساعد ففي الصحيحين عن أبي هريرة «الثأوب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان» وفي رواية الترمذي «العطاس من الله والثأوب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فمه وإذا قال آه آه فإن الشيطان يضحك من جوفه وإن الله عز وجل يحب العطاس» ويكره الثأوب، ولعل وجهه أن العطاس يطير النوم والكسل والثأوب يوجب النعاس والفشل، وأما ما ورد من أن العطاس والنعاس والثأوب في الصلاة من الشيطان فوجهه أن كلا منهما مانع من القراءة ونحوها (ويلقي البزاق) أي لم يقدر على ابتلاعه (في اليسار) أي أن لم يكن هناك أحد من الأبرار (أو تحت القدم) أي اليسرى إذا لم يكن أرض مسجدة (دون القبلة) أي لا يلقى إلى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام، ففي الصحيحين «إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى» (واليمين) أي أصلا سواء يكون فيه أحد أم لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر في جانبه فإنه مأمور بالنسبة إلى صاحب اليمين كما قرر في محله، وفي رواية أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن طارق بن عبد الله المخاري مرفوعا «إذا بصيت فلا تبرقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن إبرق تلقاء شمالك أن كان فارغا

وَيَتَفَاءُلُ بِكَلِمَةٍ صَالِحَةٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَمَأْمُورٌ بِهِ وَلَا يَتَطَيَّرُ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ.
وَيَفْتَحُ الْكِتَابَ بِالتَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ. وَيَذْكُرُ أَوَّلًا نَفْسَهُ، ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ فَهُوَ
السَّنَةُ.

والافتحت قدمك اليسرى وادلكه، قال أبو يزيد لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد أشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ أي من الأدب مع الرب ((ويتفأل بكلمة صالحة)) أي بسماها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة وابن ماجه عن أبي هريرة والحاكم عن عائشة ((فالكل مأثور)) أي منقول عن فعله عليه السلام ((ومأمور به)) أي بما ورد عنه من الكلام ((ولا يتطير)) أي لا يتشائم بالفأل القبيح وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصددهم عن مقاصدهم في زمن الجاهلية فقاه الشرع ونهى عنه واخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضرر، ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلبة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا ((فهو منهي عنه)) روى احمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا « لا يتطير فان فعل فكفارته ان يقول : اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك » رواه الطبراني عنه بلفظ « من ردت الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لا خير » الخ ورواه ابو داود ولفظه « اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا : اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك » وفي رواية ابن أبي شيبة الا بالله ((ويفتح الكتاب)) أي اذا بدأ مكتوبا الى غيره ((بالتحميد والصلاة)) بان يكتب الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ((ويذكر أولا)) أي بعدهما ((نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة)) المعروف في السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم يحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فاني احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى : (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ في ابن له يعزيه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فاني

وَيَتَرَبَّهُ فَهُوَ سَبَبُ النَّجَاحِ . وَيَتَعَفَّفُ عَنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ مَا امْكُنَ وَحَقُّهُ أَنْ
يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ . وَيَرْفَعُهَا إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَخْرِجُ بَكْرَةَ الْخَيْسِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ
وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

أجدا لك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا
واياك الشكر، الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ، قالوا وفي الآية لمطلق
الجمع (ويتربه) بتشديد الراء أى يلقى التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) أى
وصوله الى الباب، وقد ورد «إذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه وإذا كتب
فليترب كتابه فهو أنجح» الطبراني فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية
والطبراني الاولى (ويتعفف) أى يطلب العفة (عن طلب الحاجة) أى بالمسئلة من الخلق
(ما امكن) أى مهما أمكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف، وفي دعاء الامام
أحمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك، وقد قال
بعض اهل التوفيق: السؤال ذل ولو أين الطريق (وحقه) أى حق طلب الحاجة
عند الضرورة من الخليفة (أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى) أى اولا
لانه غياث المستفيثين وأرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وفي الخبره ليسأل احدكم ربه
حاجته حتى يسأل المملح وحتى يسأله شسعه، وقال الترمذى وغيره وقد ورد «من كانت له
حاجة الى الله اوالى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين
ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: لا اله الا الله هو الحليم الكريم
سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم
مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا
الا غفرته ولاهما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين» رواه
الترمذى عن ابن أبى أوفى، وفي رواية له ولغيره عن ابن حنيفة «من كانت له ضرورة
فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى أسألك وأتوجه اليك
بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربي فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعه فى،
(ويخرج) أى ومن حقه ان يخرج فى طلب الحاجة (بكرة الخيس) أو بكرة غيره
فان البركة فى البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلاة) أى على النبي عليه السلام
(وقراءة الفاتحة) فان فيها راتحة قضاء الحاجة فاتحة (وآية الكرسي) فانها الدالة

وَأَخِرَ آلِ عِمْرَانَ وَالْقَدْرَ: وَيَقْصِدُ الْآتِقَى وَالْأَكْرَمَ وَالْأَسْمَحَ وَالْأَحْسَنَ.
وَالْأَرْحَمَ وَلَا يَرْتَكِبُ مَعْصِيَةً فِيهِ: وَلَا يَلِجُ وَيُشَاوِرُ الْعَاقِلَ الْعَالِمَ الصَّالِحَ الْمَلَأَمَ
ذَلِكَ الْأَمْرَ كَالسَّخِيِّ فِي الْمَالِ وَالشَّجَاعِ فِي الْحَرْبِ،

على العظمة والمحافظة ((وآخر آل عمران)) أى من قوله (ان في خلق السموات والارض)
الى آخر السورة أو من قوله: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) أو من قوله:
(يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فقد روى
بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها فاذا هو مات فرأوا
فيها آية (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) ((والقدر)) أى سورة القدر تنبها له على
أن الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ((ويقصد الاتقى)) شرعا لان
عطائه اتقى ((والاكرم)) طبعاً لان سخاءه ابقى ((والاسمح)) أى الأسهل يدا فان الخير
منه ارجى ((والأحسن)) أى خلقا وخلقاً فقد ورده اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ،
رواه البخارى في تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها ، وفي رواية ابن عدى والبيهقى
عن عبد الله بن جراد بلفظ « اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه » لان
الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن
الخلق الكرم مع الخلق ((والارحم)) قلباً فعن أبى سعيد « اطلبوا الخواص الى ذوى
الرحمة من أمتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول: رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى
ولا تطلبوا الخواص عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول
ان سخطى فيهم » رواه العقيلي والطبراني فى الأوسط ((ولا يرتكب معصية فيه)) أى
فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار ما يحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا أريد دفنه او
عندى نفساء أو ما أكلت ايام كذا أو معى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما
هنالك ((ولا يلج)) أى فى الطلب من الخلق قال تعالى: (لا يسألون الناس الخافا) أى
الحاحا وورده ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحي العفيف المتعفف، رواه البيهقى
عن أبى هريرة ((ويشاور)) أى فى أمر مشكل يقع له ((العاقل)) أى المجرب فى الامور
((العالم)) أى المعظم فى الصدور ((الصالح)) اذ عنده الخير المستور ((الملائم ذلك
الأمر)) أى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر ((كالسخي فى المال)) أى
فى أمر يتعاقب به ذل المال ((والشجاع فى الحرب)) لانه فى ذلك الأمر من أهل

فَوَرَّدَ (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ) ثُمَّ أَمْرَاتُهُ وَيَخَالَفُ، فَوَرَّدَ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَيَقْدُمُ
الِاسْتِخَارَةَ وَيَخْتَارُ أَهْلُونَ الْأَمْرِ وَيَأْسِرُهُمَا وَلَا يُحِبُّ الْمَالُ أَكْثَرُ مِنَ الْعَرِضِ .
وَلَا يَبْذُلُ الدِّينَ بِالدُّنْيَا . وَلَا يَرْكَبُ بَقْرَةً : وَلَا يَحْرُثُ عَلَى حِمَارٍ

الكمال (وقد علم كل اناس مشربهم) وعرف كل فريق مذهبهم (فورد وشاورهم
في الامر) (و امرهم شوري بينهم) (ثم امراته) أى ان لم يجد احدا كما في نسخة
(ويخالف) أى رأيها (فورد فيه) أى في خلافها (البركة) لقلة عقلها ونقصان دينها ،
واخرج العسكري في الامثال عن عمر « قال خالفوا النساء فان في خلافهن البركة » وعن
انس مرفوعا « لا يفعلن احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير
امراته ثم ليخالفها فان في خلافها البركة » رواه ابن لال ، وروى الديلمي والعسكري
والقضاعي عن عائشة مرفوعا « طاعة النساء ندامة » وفي مسند احمد هلك الرجال حين
اطاعت النساء ، واخرجه الطبراني والحاكم وصححه من حديث ابى بكر مرفوعا
واخرج ابن عدى من حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن ابىها مرفوعا « طاعة المرأة
ندامة » واخرج العسكري عن معاوية « قال : عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعنها
اهلكتك » وقال بعض الشعراء « وترك خلافهن من الخلاف » وأما ما اشتهر على الالسنه
شاوروه من خالفوهن فباطل لا أصل له في مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه (ويقدم
الاستخارة) أى على الاستشارة والمراد دعاؤه بجملا بان يقول اللهم خرنى واخترنلى ولا
تسكننى الى اختيارى أوصلاتها ودعاؤها المشهور المذكور في الحصن وشرحه المصطور
وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار ولا عال من اقتصد الطبراني في الأوسط عن
انس (ويختار أهون الأمرين) كالتدريس والفتوى فالتدريس أهون من الفتوى
والفتوى أهون من القضاء والقضاء أهون من الخلافة (وياسرهما) فروى عن بعض
السلف الصبر عن النساء ياسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ياسر من الصبر
على النار ، وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع او الضرر
والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر (ولا يحب المال اكثر
من العرض) بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال (ولا يبذل الدين بالدنيا)
لقوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فماربحت تجارتهم وما كانوا
مهيئين) (ولا يركب بقرة) ويجوز الحمل عليها (ولا يحرق على حمار) لأنه خلق

فَالْكُلُّ خُلِقَ لِعَمَلٍ . وَيَرْكَبُ عَلَى مَا أَصَابَ : وَيُرْدِفُ الْخَادِمَ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِفَاضِلِ النَّفَقَةِ وَيَسْعَى فِي الْحَاجَاتِ وَيَخْصِفُ النِّعْلَ وَيَخِيطُ الثَّوبَ وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ وَيَشْتَغِلُ

للحمل والركوب) (فالكل خلق لعمل) أى على وفق العادة كما فى الفرس والجمال وقد ورد « كل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان) (ويركب على ما أصاب) أى صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى : (والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) أى الفيل إذا كان الخطاب للعرب خاصة وأما البعير فقال تعالى : (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) وقال عز وعلا : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وقال عز وعلا : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) وقال عز شأنه وعظم برهانه : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فالبعير سفينة البر كما أن الفلك سفينة البحر) (ويردف الخادم) أى وغيره سواء كان المركوب جملا أو فرسا أو حمارا) (فالكل مأثور) فقد أردف النبي عليه السلام الفضل واسامة فى طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقة وأردف أباهريرة على حمار فى طريق قبا كما تقدم) (وكان عليه السلام لا يدخل البيت) أى بيته) (حتى يتصدق بفاضل النفقة) أى بما فضل من النفقة فى يده أو فى بيته) (ويسعى فى الحاجات) أى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج أحمد عن أنس أنه عليه السلام كان يذبح أضحيته يده) (ويخصف النعل) على حد صنعته) (ويخيط الثوب) أى بقدر معرفته ، فقد أخرج ابن عساكر عن أبى أيوب أنه عليه السلام « كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن ستى فليس منى » أى من تركها تكبرا فليس على طريقته) (ويقطع اللحم) أى إذا كان نيئا أو غير نضيج وهو ثابت فى السنة كما سبق وفى الشمايل عن جابر بن طارق قال : دخلت على النبي ﷺ فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا ؟ قال نكث به طعنا ،) (ويشغل

بِأُمُورِ الْبَيْتِ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ « وَلَا يَتَكَلَّفُ وَلَا يَحِبُّ وَلَا يَصِيدُ وَيَحِبُّ
وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُكَافِي عَلَيْهَا وَيُرَدُّ الْمَقْرُونَةُ بِالْمَنَّةِ وَأَنْ قَلَّتْ وَيَغْتَنِمَ الْعَبْدُ أَيَّامَ
الرَّقِّ فَحَسَنَتُهُ بَعِشْرِينَ وَتَلْزِمُ الْمَرْأَةُ قَعْرَ الْبَيْتِ فَلَا تَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ
فَنَظَرُهُنَّ إِلَى الرِّجَالِ فَتَنَةٌ وَأُمِرْتُ أُمُّ سَلَمَةَ

بامور البيت مع أمهات المؤمنين) فروى احمد عن عائشة «كان يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم» وروى ابن سعد عنها «كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة» وفي رواية ابي يعلى عنها «كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه» (ولا يتكلف) اي وكان عليه السلام لا يتكلف في شيء من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة (ولا يحبه) اي التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطني بسند ضعيف «انا والاتقياء من امتي بريئون من التكلف» ويقويه ما في مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام «الا اني بريء من التكلف وصالحو امتي» واخرجه ابن عساكر في تاريخه عنه بلفظ «اللهم اني وصالحى امتى برآء من كل متكلف» واخرجه عن الزبير ابن ابي هالة - وهو ابن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - بلفظ انا وامتى برآء من كل متكلف (ولا يصيد) اي بنفسه (ويحبه) اي يعجبه من غيره (ويقبل الهدية ويكافى عليها) اي بمثلها او بازيد منها لقوله تعالى : (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها) اي او بمثلها على قول ، وفي البخارى وغيره عن عائشة «كان يقبل الهدية ويشيب عليها» (ويرد المقرونة بالمنة وان قلت) اي الهدية او المنه فانها كثيرة المؤنة رثيلة المعونة (ويغتني العبد) وكذا الجارية (ايام الرق) اي زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية (فحسنه بعشرين) اي فاجره مرتين كما في حديث ثم اقل الاجر في حسنة عشر كما قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) فاذا كان له اجر ان حسنة له بعشرين حسنة (وتلزم المرأة قعر البيت) اي من المخزن ونحوه (فلا ترتفع) اي هي (عليه) اي على البيت والمعنى انها لا تسكن في العوالى خصوصاً اذا كان فيها شبائيك مشرفة على الحوالى (ولا تنظر الى الخارج) ولو كانت ساكنة في الداخل (فنظرهن الى الرجال فتنة) اي في حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة في حقهم قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) (وامرت ام سلمة

بِالاحتجاب عن الأعمى ولا بأس بالخروج في المهم في أسوأ هيئة وأخلى
طريق متكررة لمن يعرف غير مسمعة صوتها، ويتصدق بما بقي من طعام
يستحيل إذا ترك ويغتم الصحيح بطول السلامة، فورد «لا يخلو المؤمن من
علة وزلة وقلة» فلا بد وأن يتبلى في كل أربعين يوماً بشيء منها ويسترجع
في المصيبة فهو ماثور ومدوح في القرآن، ويحترز عن الشق والضرب
والخلق

بالاحتجاب عن الأعمى أي مع أنها من الأزواج الطاهرات (ولا بأس) أي
للرأفة (بالخروج في المهم) أي الدنيوي والآخروي أو الدنيوي الضروري (في أسوأ
هيئة) أي أخشنها من لباس الجمال (وأخلى طريق) أي من الرجال حال كونها
(متكررة لمن يعرف) أي نسبها أو حسبها صيانة عن عرضها (غير مسمعة صوتها)
أي إذا لم تكن ضرورة بها (ويتصدق) أي الشخص (بما بقي من طعام يستحيل)
أي يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما (إذا ترك) أي كثيراً فانه
تضييع للدال وتقويت لمقام الكمال (ويغتم الصحيح بطول السلامة) فإن فرعون مضى
عليه أربعين سنة ولم يحصل له صداع ولا حمى مقدار سنة (فورد لا يخلو المؤمن
من علة) أي مرض وضعف قوة (وزلة) ضد عزة بان يسلط عليه أحد من الظلمة
(وقلة) أي فاقة وحاجة، وقد يجتمع عليه إذا كان من أهل عناية ورعاية وحماية وإذا
كان خاليا عنها في بعض الاوقات (فلا بد وأن يتبلى في كل أربعين يوماً بشيء منها
ويسترجع) أي يقول (انا لله وانا اليه راجعون) (في المصيبة) أي الحادثة (فهو
ماثور) أي مروي عنه عليه السلام، وعن السلف الكرام (وممدوح في القرآن)
حيث قال تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون)
الآية «وفي الحديث يسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله» فانها من المصائب
ابن السني عن أبي هريرة، وقد ورد من أصيب بمصيبة فحدث استرجاعاً وان تقادم
عدها كتب الله له من الاجر مثله يوم أصيب رواء ابن ماجه عن الحسن بن علي
(ويحترز عن الشق) أي شق الجيب (والضرب) أي على الوجه والصدر (والخلق)

وَالنُّوحَ فَهِيَ مِنْهَى عَنْهَا أَذْهَى رُسُومِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيَتَنُ الْمَرِيضُ إِنِنَّا يَخْفَفُ
بَعْضَ مَا بِهِ ذَاكَ كَرَامَتَاوَهَا وَيَعْصِبُ الرَّأْسَ . وَيَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ اسْتِعَانَةً عَلَى
الصَّبْرِ . وَتَوَقُّيًّا عَنِ التَّشَدُّدِ وَيَسْتَشْفِي بِالذِّكْرِ . وَالِدُّعَاءِ . وَالصَّلَاةِ

أى خلق شعر الرأس للبرأة واللحية للرجل ((والنوح)) وهو صباح أهل الميت
((فمى)) أى جميعها ((منهى عنها اذهى رسوم الجاهلية)) فى الصحيحين عن ابن مسعود
ليس منامن لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية، ولا بنى داود والنسائي
عن أبى موسى « ليس منامن سلق ومن حلق ومن خرق » فالسلق رفع الصوت عند المصيبة
ومنه قوله تعالى : (سلقوكم بالسنة حداد) والحلق حلق الشعر، والخرق خرق الثوب
((ويتن المريض)) فورد « المريض انينه تسريح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه
عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد فى سبيل الله يقول الله تعالى للملائكة :
اكتبوا لعبدى أحسن ما كان يعمل فى صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له »
الخطيب والديلمى عن أبى هريرة وقالوا رجاله معروفون بالثقة الا حسين بن احمد
البلخى فانه مجهول ((انينا يخفف بعض ما به)) أى من ثقل الالم ((ذا كرا)) أى حال
كونه ذا كرا الله تعالى فيما أعطاه من النعم والمن ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن
ومستغيثا به فى أيام الفتن ومستعيذا به عن حلول القم ((لا متأوها)) أى بطريق
الضجر والفرع من كثرة الهم والغم والا فقد مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل
بقوله (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) فاذا كان آه أو واه لله وفى تسليم امر مولاة ورضاه
بقدره وفق ما قضاه يكون خيرا له فى دنياه وعقباه ((ويعصب الرأس)) أى يشده
بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع ((وينام على الفراش))
أى ولو كان دأبه ان لا ينام عليه ((استعانة على الصبر)) أى على شدة المرض وحدة
الامر ((وتوقيا)) أى واحترازا واحتراسا ((عن التشدد)) أى طلب شدة الامر باظهار
التجلد فى الابتداء للبلاء ((ويستشفى)) أى يطلب الشفاء ((بالذكر)) أى الجلى والخنى
لشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب ((والدعاء)) فانه
يرد البلاء ويهون القضاء والدعوات الماثورة للشفاء نحو اللهم عافنى واعف عني
واسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ((والصلاة)) لقوله تعالى (واستعينوا
بالصبر والصلاة) أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأن فى ذكر الخليل شفاء

وَالْقُرْآنَ . لَا سِيَّامَا الْفَاتِحَةَ ، فَوَرَدَ « أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » وَيَحْتَمِي فِهِمْ
أَمْرُوَابِهِ ، وَيُدَاوِي فَوَرَدَ « تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ مَأْمَنَ دَامَالًا وَلَهُ دَوَاءُ الْإِلْسَامِ »
وَيَسْتَوْهَبُ مَهْرَ امْرَأَتِهِ : وَاسْتَوْهَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ امْرَأَتِهِ أَوْ اسْتَقْرَضَ
فِي الْعَارِضَةِ مِنْ مَهْرِهَا فَاشْتَرَى بِهِ الْعَسَلَ

العليل (والقرآن) لأنه شفاء أهل الإيمان ودواء أهل الايمان وشفاء أهل الطغيان
وخسران أهل العدوان فقد قال تعالى: (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا) (لا سيما الفاتحة) لأنها فاتحة كل خير ودافعة كل شر
وخير (فوردانه) أي فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) أخرجه البيهقي في الشعب
من حديث عبد الله بن جابر ، وروى القشيري ان آيات الشفاء هي (ويشف صدور
قوم مؤمنين) وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) فيه شفاء للناس) وتنزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وإذا مرضت فهو يشفين) قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء) يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب (ويحتمي) أي حال الابتلاء
خصوصا وقت الامتلاء (فهم) أي السلف (امروابه) أي بالاحتماء، وقد قيل
الاحتماء رأس الدواء، وأخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعا «اللازم دواء والمعدة
بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاده» واللازم بالزاي الحمية وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب
ابن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية فلا يبعد أن يكون التقدير (فهم)
أي الحكماء (أمروابه) أي بالاحتماء (ويداوى) أي فانه لا يناقض التوكل ولا يناقض
(فورد تداووا عباد الله) أي اطلبوا دواء بعضكم من بعض يا عباد الله (مأمن داء
الا وله دواء الا السام) أي الموت ففي مستند احمد والسنن الرابع وابن حبان والحاكم
عن اسامة بن شريك مرفوعا «تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الا اوضح له دواء
غير داء واحدا لهرم» (ويستوهب مهر امراته) أي يطلب الهبة من بعض مهرها
ويأكله ففيه شفاء لقوله تعالى: (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا)
أي سائغا غير ضار أولا تنقص فيه في الدنيا ولا تبعة معه في الآخرة (واستوهب
على رضى الله عنه من امراته) أي من مهرها (أو استقرض في العارضة) أي العلة
(من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى: (فيه شفاء للناس)

ومزجه بماء السماء وشربه فصار سبب الشفاء هذا وإزالة السكنجين الصفراء
لا يفارق ارواء الماء إلا بالتعلق بالنظر والتوقف على الشروط ويحتجم،
فورد « مامرت بملاً من الملائكة إلا قالوا بشر أمتك بالحجامة » والاحب
والانسب في سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لا سيما

(ومزجه) أى خلطه (بماء السماء) أى المطر لقوله سبحانه (وانزلنا من السماء ماء
طهوراً) (وشربه فصار سبب الشفاء) أى حيث اجتمع فيه أسباب الدواء (هذا) أى
مضى أو خذ هذا (وازالة السكنجين الصفراء لا يفارق ارواء الماء) أى كما قال الحكماء
(الا بالتعلق) أى تعلق السكنجين في ازالة الصفراء (بالنظر) أى بالتأمل (والتوقف
على الشروط) أى المعتبرة التى ذكرها الأطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة
الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجين
الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه هنالك، وهذا جواب
سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام « ما من داء » الحديث فان السكنجين مثلاً ربما
لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى
احواله ومتوقف على شروط استعماله، والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فهما حاصل
السبب فيتلوه المسبب لا محالة فى الأغلب كعلاج الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو
البارد وانما يتخلف نحو السكنجين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الأطباء والحكماء
بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء، وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه فى
الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى
مسببه دون الطبيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دمويًا أو مطلقاً لما ورد
« الحجامة تنفع من كل داء إلا فاحتجموا » الدبلى عن أبى هريرة (فورد مامرت
بملاً) أى جمع عظيم يملاً العيون من كثرتهم (من الملائكة) أى المقربين (الا
قالوا بشر أمتك بالحجامة) أى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والاحب) أى
الاولى أن تقع الحجامة فى النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن أبى حبيب عن
عبد الكريم معضلاً « الحجامة تكره فى أول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال »
(والانسب فى سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لا سيما)

إِذَا اتَّفَقَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ سَبْعَ عَشْرَةَ، فُورِدَ «هُوَ دَوَاءٌ مِنْ دَاءِ سَنَةِ» الْآفِي الْقَفَا
فَهُوَ يُورِثُ النِّسيانَ وَيُجْتَنَّبُ الْكَيِّ ففِيهِ خَوْفُ السَّرَايَةِ وَالرَّقِيَّةُ، وَنَهَى عَنْهُمَا

أى خصوصاً (إذا اتفق يوم الثلاثاء سبع عشرة) من الشهر (فورد هو) أى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر في يوم الثلاثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبراني وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة» (الآفي القفا فهو يورث النسيان) روى الديلمي عن أنس مرفوعاً «الحجامة في نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك»، وقد احتجم عليه السلام في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع، ورواه ابن سعد عن أنس «الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية، وفي رواية العقيلي عن ابن عباس «الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والنعاس»، ورواه الطبراني وابن السني في الطب عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني وأبي نعيم عن ابن عباس «الحجامة في الرأس شفاء من سبع إذا ما نوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه»، وفي رواية ابن ماجه والحاكم وابن السني وأبي نعيم عن ابن عمر «الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد في الحفظ وفي العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد واجتجموا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فانه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء فانه اليوم الذي ابتلى فيه أيوب وما يبدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء أو في ليلة الأربعاء»، وفي الصحيحين عن جابر مرفوعاً «ان كان في شيء من أدويتكم خير فني شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار توافق داء وما أحب ان أكتوى» (ويجتنب الكي ففيه خوف السراية) أى سراية الم الكي الى الموت أو سراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) أى ويجتنبها اذا لم يعرف معناها من مبنائها (ونهى عنهما) أى عن الكي والرقية، فروى الترمذي والحاكم عن عمر أنه عليه السلام «نهى عن الكي» وفي الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام «كان يكره الكي»، وفي رواية البزار عن أنس «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتبون ولا يكونون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، وأما الرقية بالقرآن والأدعية المأثورة فلا شك في جوازها بل

و يُوصَى بثلث المال، وأرضاء الخصوم وقضاء الدين وفدية الصلاة والصوم
 فمن مات دون الوصية لا يؤذن له في التكلم مع الموتى في القبر إلى يوم القيامة
 ويغتم الموت

في استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللذيع بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذي وغيره
 عن أبي سعيد، وكان أيضا يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها
 جمع بزاقه ثم تفلّه، رواه أبو داود والنسائي، وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي سعيد «بسم
 الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم
 الله ارقيك»، وروى ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة «الارقيك برقية رقاني بها جبريل
 يقول: بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العقد ومن
 شر حاسد إذا حسد ترقى بها ثلاث مرات»، وأما قوله عليه السلام: «لشفاء بنت عبد الله
 على حفصة رقية النملة» كما رواه أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر بن سليمان بن أبي
 خيثمة فقال الجلال السيوطي في شرح أبي داود: رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء
 يعلم كل من يسمعه أنه كلام لا ينفع ولا يضر ورقية النملة كانت تعرف بينهن أن
 يقال العروس تختضب وتنعل وتحتفل وتكتحل وكل شيء يفعل غير أن لا يعصى
 الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لأنه ألقى إليها سرا
 فأفشته ﴿ويوصى بثلث المال﴾ أي يجوز أن يوصى به ولو كان الأفضل دونه، ففي
 الصحيحين عن ابن عباس «الثلث والثلث كثير» وفيهما عن سعد «أنك إن تذر ورثتك
 أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»، الحديث ﴿وارضاء الخصوم﴾ أي
 بالمال والاستحلال ﴿وقضاء الدين﴾ أو طلب إبرائه ﴿وفدية الصلاة والصوم﴾ أي
 بمقدار أن يفدى به الصلاة والصيام الفاتمة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا
 لكل يوم صوم ﴿فمن مات دون الوصية﴾ أي الواجبة عليه، وفي نسخة «دونها»، أي
 بغير الوصية ﴿لا يؤذن له في التكلم مع الموتى في القبر إلى يوم القيامة﴾ رواه أبو الشيخ
 في الوصايا عن قيس، ولفظه «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى» وفي رواية
 ابن ماجه «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات
 مغفورا له» ﴿ويغتم الموت﴾ أي علامات حلوله وأمارات نزوله ففي الخبر «تحفة المؤمن
 الموت» رواه الطبراني بإسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا «وذلك لانه وسيلة إلى

وَلَا يَشْتَغَلُ عِنْدَهُ بغيره تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَقْرَأُ يَسَّ، فَقِي الْخَبَرِ «أَقْرَأُوا
عَلَى مَوْتَاكُمْ يَسَّ» وَيَحْضُرُ الصَّلَاةَ وَلَا يَكْرَهُ السَّكَرَاتِ وَيُطِيبُ مَا حَوْلَ الْبَيْتِ
فَهُوَ مُحَضَّرُ الْمَلَائِكَةِ وَيَجْتَهِدُ فِي هَدْوِ الْجَوَارِحِ، وَوَرَدَ «أَرْقُبُوا عِنْدَ ثَلَاثٍ إِذَا
رَشَّحَ جَبِينَهُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ

وصول مولاه وحصول لقاءه، وفي الصحيحين عن أبي موسى مرفوعاً من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ﴿وَلَا يَشْتَغَلُ﴾ أي
المحضر ﴿عِنْدَهُ﴾ أي وقت حضور الموت ﴿بغيره تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا﴾ لقوله
تعالى: (ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً) ﴿وَيَقْرَأُ يَسَّ﴾ أي بنفسه أو يقرأها غيره فيستمعها
﴿فَقِي الْخَبَرِ أَقْرَأُوا عَلَى مَوْتَاكُمْ يَسَّ﴾ أي على من أشرف على الموت رواه أحمد
وغیره عن معقل بن يسار ﴿وَيَحْضُرُ الصَّلَاةَ﴾ أي ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء
في شدة البلاء ﴿وَلَا يَكْرَهُ السَّكَرَاتِ﴾ أي لأنها من جملة المكفرات أو من موجبات
رفع الدرجات ويستحب أن يقول «اللهم اعنني على غمرات الموت وسكرات الموت» رواه
الترمذي عن عائشة مرفوعاً ﴿وَيُطِيبُ مَا حَوْلَ الْبَيْتِ﴾ أي ينظفه ويبخره، وفي
نسخة «ما حول الميت» وهو المحضر أو بعد تحقق الموت ﴿فَهُوَ مُحَضَّرُ الْمَلَائِكَةِ﴾
أي ملك الموت وأعوانه أو الملائكة المبشرة لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) ﴿وَيَجْتَهِدُ فِي هَدْوِ الْجَوَارِحِ﴾ أي سكونها
عن الاضطراب فقد روى «موتوا قبل أن تموتوا» وفي هذا الباب وينبغي أن يكثر الحمد فعن
ابن عباس «المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو بحمد الله تعالى»
رواه النسائي ﴿وَوَرَدَ أَرْقُبُوا﴾ بضم القاف أي انظروا الآمن والأمان على
المريض وقت ظهور أحوال تطرق عليه في ذلك الزمان ﴿عِنْدَ ثَلَاثٍ﴾ أي من
علامات لكل أحد من أهل الإيمان والكفران بما فصله بقوله ﴿إِذَا رَشَّحَ
جَبِينَهُ﴾ أي عرقه، وفي رواية أبي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصححه ابن حبان
«المؤمن يموت بعرق الجبين» ﴿وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ﴾ أي سألت وذلك لأن الدمعة علامة الرحمة

وَيُسْتَشْفَتُهُ فَهُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَزَلَتْ بِهِ وَإِذَا غَطَّ غَطِيطَ
 الْمُنْحَنِقِ وَأَحْمَرَ لَوْنَهُ وَازْبَدَتْ شَفَتَاهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ « وَكَلِمَةُ
 التَّوْحِيدِ ، فُورِدَ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ،
 فُورِدَ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ » وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ، فُورِدَ
 « لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ عَبْدٌ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُوهُ وَأَمَنَهُ اللَّهُ الَّذِي يَخَافُ
 مِنْهُ » حِينَ قَالَ مُحْتَضِرُ أَرْجُوا اللَّهَ وَخَافُوا ذُنُوبِي

﴿ وَيُسْتَشْفَتُهُ ﴾ لَانَهُ مِنْ خَوْفِ مَوْلَاهُ ﴿ فَهُوَ ﴾ اِي مَآذِ كَرَمِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ ﴿ مِنْ
 رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَزَلَتْ بِهِ وَإِذَا غَطَّ ﴾ اِي وَارْقَبُوا إِذَا غَطَّ ﴿ غَطِيطَ الْمُنْحَنِقِ ﴾ اِي
 صَوْتُ كَهْوَتِهِ وَهُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُخْرِجُ مَعَ نَفْسِ النَّائِمِ أَوْ حَالِ خَنَقِهِ وَصَرَعِهِ
 ﴿ وَأَحْمَرَ لَوْنَهُ وَازْبَدَتْ شَفَتَاهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ ﴾ وَمَعَ هَذَا يَحْسُنُ الظَّنُّ بِشَأْنِهِ
 وَيَحْكُمُ بِإِيمَانِهِ لِأَنَّ الدَّلِيلَ الْمَذْكُورَ ظَنِّي فِي مَقَامِ بَرَهَانِهِ وَلَعَلَّهُ يَحْمُولُ عَلَى غَالِبِ أَحْيَانِهِ ﴿ وَكَلِمَةُ
 التَّوْحِيدِ ﴾ أَيْ وَيَجْتَهِدُ فِي أَكْثَارِهَا مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ تَلْقِينًا لَهُ وَنِيَابَةً عَنْهُ ﴿ فُورِدَ مِنْ مَاتَ
 وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أَيْ وَإِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ أَيْ اسْتَحَقَّ
 دُخُولَهَا وَلَا يَبْدُلُهُ مِنْ وَصُولِهَا ، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ « مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ
 شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنْ مُعَاذٍ « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ
 الْجَنَّةَ » ﴿ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﴾ أَيْ وَيَجْتَهِدُ فِي حَسَنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ أَنْ يَرْحِمَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ جُرْمَهُ ،
 فَنَفِي صَحِيحِ مُسْلِمَ وَغَيْرِهِ عَنْ جَابِرٍ « لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى » ﴿ فُورِدَ ﴾
 فِي الصَّحِيحِينَ ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ﴾ أَيْ فِي مُعَامَلَتِي مَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 ﴿ فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ ﴾ أَيْ مِنَ الْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى وَحْسَابِهِ عَلَى وَإِنْ قَضَيْتَ لَهُ
 مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلَا مَرَدَّ لَهُ لَدِي ﴿ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ﴾ أَيْ وَيَجْتَهِدُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا
 ﴿ فُورِدَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ عَبْدٌ ﴾ أَيْ وَمَنْ ﴿ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُوهُ ﴾ أَيْ مِنَ الْعَفْوِ
 ﴿ وَأَمَنَهُ اللَّهُ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ ﴾ أَيْ مِنَ الْعُقُوبَةِ ﴿ حِينَ قَالَ ﴾ ظَرْفُ وَرْدٍ أَيْ فِي زَمَانٍ
 قَالَ ﴿ مُحْتَضِرُ أَرْجُوا اللَّهَ وَخَافُوا ذُنُوبِي ﴾ وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ
 مَرْسَلًا وَلَفْظُهُ « مَا اجْتَمَعَ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ فِي قَلْبٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الرَّجَاءُ

وَيَكْرَهُ الْمُخْلَطُ الْفَجَاءَةَ دُونَ الطَّاعُونَ فِي أَرْضِ طَاعُونَ، فَوَرَدَ «مَنْ صَبَرَ

فِي أَرْضِ طَاعُونَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ» *

﴿البَابُ الثَّامِنُ فِي الصَّحْبَةِ﴾

وامنه الخوف» (ويكره المخلط) أي الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً (الفجاءة) أي موت البغته لقوله تعالى: (عسى الله أن يتوب عليهم) فبموت الفجاءة تفوته التوبة، وأما رواية أحمد عن عائشة مرفوعاً «موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة لأسف على الكافر» فمحمولة على المؤمن الصالح إذ الفاجر في حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) أي لا يكره فجاءته في الصحيحين عن أنس «الطاعون شهادة لكل مسلم» (فورد من صبر في أرض طاعون) أي ولم يخرج فراراً منه (كان له مثل أجر شهيد) وفي مسند أحمد وصحيح البخاري عن عائشة «الطاعون كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء وإن الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد» وفي رواية لأحمد عنها «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف» وفي رواية الطبراني في الأوسط عنها «الطاعون شهادة لأمي ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الأبل تخرج في الآباط والمراق من مات منه مات شهيداً ومن أقام فيه كان كالم رابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالنار من الزحف» وفي مسند أحمد «الطاعون لا يدخل مكة والمدينة» أي لما فيهما من نزول السكينة.

﴿البَابُ الثَّامِنُ فِي الصَّحْبَةِ﴾

للصحبة تأثير يبلغ في المنفعة والمضرة وإن كان الشخص قويا في كمال المرتبة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وفي رواية النسائي عنه عليه السلام «ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا أولئك» وفي رواية أحمد ومسلم عن أبي سعيد «يا أيها الناس إنها كانت أينت ليلة القدر وإني خرجت إليكم لا أخبركم بها فجاء رجلان يختفان معهما الشيطان ففسيتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَرَدَ «أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ حَوْلَ الْعَرْشِ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ»

فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة، وفي رواية أحمد، والبيهقي عن ابن عباس «أنه قيل يا رسول الله أبطأ عنك جبريل فقال لم لا يبطىء عني وأتم حولي؟ لا تستنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رءوسكم» أي مفاصل أنا ملكم، هذا والنظر إلى أهل الدنيا مضر لأهل العقب كما يشير إليه قوله تعالى: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وذلك لأنه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب «لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة» بخلاف ما ورد «النظر إلى الكعبة عبادة، كما رواه أبو الشيخ عن عائشة» والنظر إلى عبادة» كما رواه الطبراني. والحاكم عن أبي مسعود وعن عمران بن حصين «وذلك لأنهما وسيلتان إلى ذكر الله، وورد أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله، (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أولى ما يصحب به لأنه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم» (ووردان المتحابين) بتشديد الموحدة (في الله) أي في سبيله لا بتغاء رضاه (على منابر من نور) أي إلهي موجب لأنواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) أي في مكان المقربين (لباسهم نور) أي مجرد أو حرير يعلوه نور (ووجوههم نور) أي كنور شمس وبدور (يغبطهم النبيون والشهداء) أي يطالبون مراتبهم مع أنهم من أكابر السعداء وهذا للبالغة في علو البهاء، والمعنى أن حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم في علو أمرهم ولا يبعد أن يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحاب مع الأولياء والأصفياء، ويؤيده ما في الأحياء أنه يروى «أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعززت بي ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في ولياء» والحديث رواه الطبراني عن معاذ «أن المتجابين في الله في ظل العرش» وفي رواية له عن أبي أيوب «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش» وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: أتى أحبك في الله فقال له: أبشر سم أبشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا ينفون

فَالْحُبُّ فِيهِ تَعَالَى كَحُبِّ عَالَمٍ يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ وَحَالِهِ . وَصَالِحٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ .

وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل : من هؤلاء يا رسول الله؟ قال : هم المتحابون في الله ، كذا في الأحياء ، وقال مخرجه رواه أحمد والحاكم في حديث طويل ان أبا إدريس قال قلت : « والله اني لأحبك في الله » قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ « المتحابون في جلال الله لهم منابر من نور يغبطهم النيون والشهداء » وقال : حسن صحيح ، ولاحمد من حديث أبي مالك الأشعري « ان الله عبادة ليسوا بآنياء ولا شهداء يغبطهم الآنياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله » الحديث وفيه « تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرحون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث أبي هريرة « ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بآنياء ولا شهداء يغبطهم النيون والشهداء فقالوا : يا رسول الله صفهم لنا فقال : هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله ، (فالحب فيه تعالى) كل حب لولا الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الإيمان ومستزيد بالإيقان فاذا علت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى في ذات المحبوب كحب الصور الجميلة والسير الحميدة الجميلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما أن يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس في ذات المحبوب وذلك اما أن يكون نفس الدنيا ومتعلقا بالآخرة واما أن يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب في الله لانه منبعث من الدنيا والثاني عد من الحب في الله (كحب عالم) أي كحب العالم الذي (يستفاد من قوله وحاله) أي من جملة أقواله وسائر أفعاله وأخلاقه وأحواله (وصالح يتبرك به) أي بدعائه وإيتائه وحسن مآله في مناله اذ العالم يستفاد من عليه والصالح يستفاد من عمله وحله في الدنيا ويرجى شفاعته في العقب فقد قال بعض السلف استذكروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعته فاعلمك تدخل في شفاعته أخيك ، وروى في غريب التفسير في قوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أي يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حدث جماعة من السلف على الصلابة والافتقار الخاطي لطقو كرهوا

وَأَمْرًا تَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ بِتَدْيِيرِ أَمْرِ الْبَيْتِ . وَغَنَى يُعْطَى مَالًا يَصُونُ الْوَقْتَ
عَنِ الضَّيَاعِ فِي الطَّلَبِ . وَتَعَبِدُ لَهُ تَعَالَى ، فَالْحُبُّ لِلشَّيْءِ حُبُّ الْمَحَبَّةِ وَحُبُّوهُ
وَكَذَا الْمُبْغِضُ .

الإفراد والعزلة ، ولاني عبد الرحمن السلمي من حديث علي مرفوعا هـ من سعادة
المرء ان يكون اخوانه صالحين ، فالأخ الصالح ان نسي ذكره وان ذكره اعانه ويشير
اليه قوله تعالى حكاية عن موسى : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخى أشد به
أزرى واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وفي رواية أبي داود من
حديث عائشة رضي الله عنها إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل الله له وزير صدق ان
نسي ذكره وان ذكر أعانه ، ونقل في الأحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله : من أراد
الله به خيرا رزقه أخا صالحا الحديث والأخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فعن عيسى عليه السلام
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في الملكوت عظيما (وامرأة تفرغ) أى الرجل
(للعبادة بتدبير أمر البيت) وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه
ولذا ورد في الأخبار : وفور الأجر والثواب للاتفاق على العيال حتى اللقمة يضعها
الرجل في في امرأته ، كما تقدم والله أعلم (وغنى يعطى مالا) أى قدر حاجة العالم أو
العابد (يصون الوقت) أى يحفظ وقتها (عن الضياع في الطلب) أى يحفظ
وقتها عن الضياع في الطلب أى طلب مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف
تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المحتاجين في
الله (ومتعبد له تعالى) أى المبتدىء في العبادة والمظهر لها المشير الى انه من أهل
السعادة (فالحب للشئ محبة ومحبة) وقد ورد في الدعاء : اللهم انى أسألك حبك
وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك ، (وكذا المبغض) أى للشئ مبغض
لمبغضه ومبغوضه ، وفي الجملة من أحب الله وأحب رضاه ولقائه اذا أحب غيره كان
محبا في الله لأنه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله ،
ومن هنا قيل : أحب العالم جميعه لأنه خلقه وصوره وأحسن خلقه وقد قال أبو مدين المغربي :
لاتنكر الباطل في طوره هـ فانه بعض ظهوراته

وقد قيل : ان المؤمن اذا أحب المؤمن أحب كلبه ، وقال مجنون بنى عامر :

امر على الديار ديار ليلي هـ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

ويزدادان بقوة الطاعة . والمعصية وينتقصان بضعفهما ، فالأدنى الأخوة ثم المحبة . وهي ما تمكن في حبة القلب ، ثم الخلطة وهي ما تخلل

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا
فالمخلوقات بأسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجلالية فليس في الكون
سوى الله ومصنوعاته فمن أحب انسانا أحب صنعته، ولذا كان عليه السلام « اذا حمل
عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا » الطبراني في الصغير
من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته ، وأما في مقام
الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذي حق حقه فينادى ويقال : الهى ارنا الاشياء
كما هي واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه
وبذلك يتم الكمال فقد ورد « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » رواه
احمد من حديث البراء بن عازب، وورد أيضا « من أحب لله وابغض لله وأعطى الله
ومنع لله فقد استكمل الايمان » رواه ابو داود عن أبي امامة (ويزدادان) أى الحب
والبغض (بقوة الطاعة) وكثيرتها (والمعصية) أى في الحب والمحبوب (وينتقصان
بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما، ووجد
الحب في الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو
حب في الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما
هو حظ المحبوب وانشد :

أريد وصاله ويريد هجرى * فترك ما يريد لما يريد
وقال سمنون المحب :

فليس لى في سواك حظ * فكيف ماشئت فاخترنى
(فالأدنى) أى أدنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الأخوة) فمن أنس
« ما أحدث عبدا خاف في الله عز وجل الا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة » ابن أبي
الدينا في كتاب الاخوان (ثم المحبة) وهي الموجبة لزيادة الصلحة من الأخوة (وهي
ما تمكن في حبة القلب) أى سوداته وخاصة اجزائه وخلاصة اثنا عشر من أنس « ما تحاب
اثنان في الله الا كان احبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه » ابن حبان والحاكم وقال صحيح
الاسناد (ثم الخلطة) بالضم أى الصداقة والمحبة الصادقة (وهي ما تخلل) أى توسط

فِي سِرِّهِ وَلَا شَرَكَةَ فِيهَا، فَوَرَدَ « وَلَوْ كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ
 خَلِيلًا وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ » بِخِلَافِ مَا سَوَّاهَا، فَوَرَدَ « عَلَى مَنْ
 بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » فَيَصَاحِبُ الْعَاقِلُ وَالْحَسَنُ الْخَلْقَ
 فَاشْتَرَا طَهُمَا مَأْثُورًا

الحب وتداخل امره (في سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولا شراكة فيها) أي في الخلقة لا أحد سوى الله بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل في حب الجليل الجليل (فورد ولو كنت متخذًا خليلًا) أي من المخلوقين (لا تتخذت أبا بكر خليلًا) لكونه عندي خليلًا (ولكن صاحبكم) يعني نفسه (خليل الرحمن) أي وحيه فلا تسمع في قلبه خلة غيره، والحديث رواه أحمد والبخاري عن أبي الزبير والبخاري عن ابن عباس بلفظ « لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لا تتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخى وصاحبى » وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى صحبته خلل، وقيل: الذى يوالى فيه ويعادى فيه، وقيل: الخليل هو المحب المحض لشيء دون غيره ولهذا قال عليه السلام: « انى أبرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذًا الحديث، فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الأنام واستشكل قول أبي هريرة وبعض الصحابة خليلي عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلًا وما نفي ان يتخذ غيره خليلًا (بخلاف ما سواها) أي غير الخلقة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشراكة فى كل منهما (فورد) أي فى الاخوة وكما المحبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدى) رواه أبو بكر المطيرى فى جزئه عن أبى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر « على أخى فى الدنيا والآخرة، (فيساحب العاقل) والعالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك، اليهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا عن أبى هريرة اذ لم يسمع منه (فاشتراطهما مأثور) وذلك لان مدار الصفة والالفة عليهما فالبعد عن الاحق والسيء الخلق اولى واحق، وقد ورد من حديث أبى هريرة برواية أبى داود والترمذى وحسنه الحاكم وقال: صحيح ان شاء الله والمرء على دين خليله فلينظر احداكم من يخال، فلا بد ان يتميز بصفات يرغب

وَالْقَانِعَ فَصْحَبَةَ الْحَرِيصِ سَمِ قَاتِلٍ وَالصَّالِحَ فَالْفَاسِقِ يُسْتَحَقُّ الْمَقْتُ ،

بسببها في صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال، وعن علي كرم الله وجهه: لا تصحب اخا الجهل فايك واياه فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس واشباهه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف والاحق قد يضررك وهو يريد تفعلك وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبني قارىء سيء الخلق، اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه في ذلك فيعاملك بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك أو شهوة آثر نفسه عليك أو بخل قطع بك أحوج ما يكون اليك أو جبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك ((والقانع)) أى يصاحبه ((فصحبة الحريص سم قاتل)) أى يسرى من حيث لا يدري ((والصالح)) أى يصاحب المتقى فعن أنى ذكر مرفوعا «الوحدة خير من المجلس السوء والمجلس الصالح خير من الوحدة» رواه الحاكم ((فالفاسق)) وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة ((يستحق المقت)) وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن: مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال: يحب الفاسق لأجل ايمانه ويغض بسبب عصيانه لكن لا بد من عدم قربانه، ثم المبتدع أولى بان يحتنب في صحبته سراية البدعة، وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله يغض أهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا: ياروح الله فمن نجالسه؟ قال: جالسوا من تذكر كم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وقد قال علي رضى الله عنه رجزا :

ان أخاك الحق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك • شئت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: لا تصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من أمر دينك أو رجلا تعلمه شيئا في أمر دينة فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار في الصعبة على المنفعة فورد مثل الآخرين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط الا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا، رواه السلي في آداب الصعبة والدبلى عن أنس، وفي الخبر «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوظه من ورائه» أبو داود عن أبي هريرة أى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه

حالته، وقوله «المؤمن مرآة المؤمن» أى يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء
 باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب
 صورته الظاهرة، وقال الشافعى: من وعظ أخاه سرافقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية
 فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره
 ويوقفه على ذنوبه سرا، وأما أهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق
 جوارحهم بفضائلهم بين العباد، وقيل: الاخوان ثلاثة أحدهم مثل الغذاء لا يستغنى
 عنه والثانى مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج
 اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه ولا نفع منه، وقال علقمة
 العطاردى فى وصيته لابنه: يابنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من
 اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت
 يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها، اصحب من
 اذا سأله أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت
 صدق قولك واذا حاولنا أمرا أمرك واذا تنازعنا أثرك، قال ابن اكرم قال للمؤمنون
 فاين هذا؟ فقيل له اتدرى لم أوصاه بذلك؟ قال: لا قال لأنه أراد أن لا تصحب احدا هنالك، هذا
 وعن الحسن بن على لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب فانك لن تالحق الا برار الا
 باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم أقول: وربما يقال: ان
 الكفر حجبهم ومنعهم وأما الايمان فيرجى أن يجمعهم فورد «من أحب قوما حشر
 معهم» كما أورد الحاكم وقد يقال: محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من
 أبنائهم، ولذا ورد من أحب أن يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا الله تعالى
 رواه الطبرانى عن أبى هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع: انى لأحبك فى الله فقال احبك
 الذى أحببتنى لأجله ثم حول وجهه وقال: اللهم انى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى
 مبغض، وفى الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
 اختلف، رواه مسلم من حديث أبى هريرة. والبخارى تعليقا من حديث عائشة، ورواه
 الطبرانى فى الأوسط عن على «ان الارواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتشام» وعنه
 عليه السلام «ان ارواح المؤمنين تلتقى على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه»
 أحمد من حديث عبد الله بن عمرو فالجنسية علة الضم فروى «ان امرأة بمكة كانت
 تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضى
 الله عنها فاضحكتها فقالت: اين نزلت؟ قد كرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الأرواح جنود مجندة» الحديث رواه الحسن بن سفيان في مسنده، وعنه عليه السلام «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه، البيهقي في الشعب موقوفا على ابن مسعود، ومن هنا قيل: إن الله ملائكة تجر الأهل إلى الأهل، ويشير إليه قوله تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) وقال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع مثله، وإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا في الاستقبال، ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال: من هنا اتفقا، هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع أهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه إلى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكاكر في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله أني لأسأل أجدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لا خذته، وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة وقال: إنك أولا توردهم وتحمّل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم، وهجر أبانور في تأويله قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث أبي هريرة «إن الله خلق آدم على صورته» كذا ذكره في الأحياء ولم يبين تأويله فقل على صفته الجمالية والجلالية أو على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لآدم والله أعلم، والحاصل أن مختار الإمام أحمد أن هذا الحديث من أحاديث الصفات المشكولات كآيات التشابهات تؤمن لمبناها ولا تعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها، وأما الجمهور فما اختاروا مهاجرة أهل المعصية للعلم بأن الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الأمر في زمانه عليه السلام وأيام أصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من ينلظ القول فيه ويظهر البغض إليه وإلى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الأمة فانهم اتبعوا نبي الرحمة، وعما يدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى البخاري من حديث أبي هريرة «إن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال عليه السلام: لا تكن عوناً للشيطان على أخيك»

وَيَقْدُمُ حَاجَتُهُ فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَهُوَ الْأَوَّلَى ثُمَّ التَّسْوِيَةُ، ثُمَّ التَّأْخِيرُ وَإِنْ
عَدِمَ هَذَا فَلَا إِخَاءَ وَالْأَوَّلَانِ مَأْثُورَانِ، وَوَرَدَ «مَنْ صَاحِبٌ يَصْحَبُ صَاحِبًا
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهِ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ
حِينَ أُعْطِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْوَمَ الْمُسَوِّاتَيْنِ إِلَى الْمَصْحَابِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِّيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ» أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ*

((ويقدم حاجته)) أى حاجة أخيه ((في المال)) أى إعطائه ((والنفس)) أى حفظها ((وهو))
أى التقديم ((الأولى)) أى لأنه المقام الأعلى لقوله تعالى: ((ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة)) أى مجاعة، ولقد كان بعض الأنصار ممن آخى النبي ﷺ بينه وبين أحد
من المهاجرين أنه أعطاه أحسن دار به وأتمن بستانه وأحسن امرأته، وقال ابن عمر
أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخى فلان أجوج منى فبعث
به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول
بعد أن تداوله سبعة، وقيل أربعون ((ثم التسوية)) أى المساواة في المال بينه وبين أخيه
على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله وأحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن
عوف فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك رواه البخاري من حديث
أنس ((ثم التأخير)) أى تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فإن فضل منه شيء فليصرفه
إلى أخيه ((وان عدم هذا)) أى الإخير وهو التأخير ((فلا إخاء)) بل هو في مقام التقصير
((والأولان)) أى التقديم والتسوية ((مأثوران)) أى مرويان عن السلف الكرام
كما قدمنا ((وورد ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته
هل أقام فيه حق الله تعالى أو أضاعه)) وفي نسخة أم أضاعه ((حين أعطى)) أى ورد الحديث
المتقدم حين أعطى ((عليه السلام أقوم المساواتين)) أى أعدلهما ((إلى المصاحب وهو
أبو بكر الصديق وقال أنت أحق به يا رسول الله)) فقال ما قال وفي الأحياء أن اقتداء الكل
في الأيثار برسول الله ﷺ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين
أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت
أحق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم أقف له على أصل أقول
لكن رواه ابن جرير الطبري كما ذكره ابن عطية في تفسيره ((أمرهم شورى بينهم))

وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ ، وَكَانُوا لَا يُمِيزُونَ أَمْلًا كَهُمْ ، وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ فِيهِ
وَالسُّرُورَ . وَيَقْبَلُ الْمَنَّةَ . وَلَا يَحْجُوجُهُ إِلَى السُّؤَالِ ، فَهُوَ تَقْصِيرٌ ،

وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ) أى كانوا اخلطاء فى الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض،
وكان فيهم من لا يصحب من قال: نعلى لانه اضافه الى نفسه ((وكانوا لا
يميزون املا كهم)) كما حكى عن ابراهيم بن شيان كنا لانصحب من يقول نعلى،
وقال أبو محمد القلانسى وكان استاذ الجنيذ: صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني
فقلت مرة لبعضهم: اين ازارى؟ فسقطت من أعينهم ومن هنا قيل الصوفى لا يملك ولا يملك
فهو كالمملك ((ويظهر البشاشة فيه)) أى فى اتفاق صاحبه ((والسرور)) أى الفرح
بسببه فقد جاء فتح الموصل الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه
فتحجه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاهما فقال: ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل
وذلك لانه دل على صداقته كما حقق فى قوله تعالى (أو صديقم) وقال تعالى: (أو ما ملكتم
مفاتيحه) وكان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى أخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان
يتخرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الآية (واذن لهم) فى الانبساط فى طعام
الاخوان والاصدقاء ((ويقبل المنّة)) أى على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء
رجل الى أبى هريرة وقال: انى أريد أن أواخيك فى الله فقال: أتدرى ما حق الاخاء؟ قال
عرفنى قال ان لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى فقال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال
فاذهب عنى، وقال على بن الحسين لرجل: هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه
فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال لا قال فلستم باخوان، وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم
وهو يريد بيت المقدس فقال له: أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم: على أن أكون
أملك لشيتك منك قال لا قال أعجبني صدقك ((ولا يحوجه)) أى أخاه ((الى السؤال))
أى أصل الطلب أو مقداره بل يبادره للواسة بالمال قبل كشف الحال ((فهو)) أى
الاحواج الى السؤال ((تقصير)) فى مقام الكمال فان أدنى الاعانة هو القيام بالحاجة
عند السؤال، وقد قال أبو سليمان الداراني: كان لى أخ بالعراق فكنت أجيئه فى
النائب فاقول: اعطنى من مالك شيئا وكان يلقي الى كيسه فأخذ منه ما أريد فجئت ذات
يوم فقلت له: أحتاج الى شىء فقال كم تريد؟ فخرجت حلاوة اخائه من قلبي، وقال بعضهم
اذا طلبت من أخيك مالا فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الاخاء، قال بعضهم: اذا

وَيَتَوَدَّدُ بِاللِّسَانِ وَيَتَفَقَّدُ الْأَمْوَالَ وَيُظْهِرُ الْمِشَارَكَةَ مَعَهُ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ.

استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي فان لم يقضها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات واقراء هذه الآية (والموتى يبعثهم الله) وكان في السلف من يتفقّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله، وكانوا لا يفقدون من أبيهم الا غيبته بل كانوا يرون منه مالا يرون من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة؟ فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه، وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته، وكان الحسن يقول: اخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا لان أهلينا يذكرنا بالدنيا واخواننا يذكرنا بالعقبى ﴿ ويتودد باللسان ﴾ أى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد «رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر» الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده فقال أنس: «كان عليه السلام لا يواجه أحدا بشيء يكرهه» رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصنجة والاخوة على النصيحة بل ورد «ان الدين النصيحة» فمن قنع بالسكوت صحب أهل القبور في البيوت، وينبغي أن تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجدد من تصاحبه ساعة كما ورد «الباس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر تقيه» وانشد:

أتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاى طلعة حر

فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى في المني، وفي الصحيحين «لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا» فالتجسس يتطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالاخبار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة أهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» . ﴿ ويتفقّد الأحوال ويظهر المشاركة معه في السراء والضراء ﴾ فورد «لا يؤمن أحدكم حتى يحب ل أخيه ما يحب لنفسه» رواه الشيخان، وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحترقان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء وقال: هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا رقت احدهما واقفه الآخر، وفي المثل لولا الوثام لهلك الانام، وقد

وَيَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ، وَوَرَدَ «إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَاسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ
وَعَنْ مَنْزِلِهِ» وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ بِالْكُنَى «وَيْثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ»
صَادِقًا مُقْتَصِدًا بَحِيثٌ يَبْلُغُ إِلَيْهِ فَهُوَ يُؤَكِّدُ الْمَحَبَّةَ وَيُنْبِئُهُ عَلَى الْعُيُوبِ مُتَلَطِّفًا فِي الْخَلَاءِ

ورد «المؤمنون» كل رجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى
كله «أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير، ولا تصحب أحدا لا يرى لك من الفضل كمثل
ما ترى له» (ويدعوه بأحب الأسماء) أي أسمائه في حال ندائه فعن عمر رضي الله عنه
ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه
بأحب أسمائه إليه (وورد إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله)
رواه البيهقي عن ابن عمر ولفظه «إذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم أبيه فان كان
غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته» وفي رواية ابن سعد والبخاري
في تاريخه والترمذي عن يزيد بن نعمة الضبي بلفظ «إذا آخى الرجل الرجل فليسأله
عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل بالمودة - وعن هو - أي من أي قوم أو قبيلة
هو» (وكان عليه السلام) يدعوهم أي أصحابه الكرام (بالكنى) إذا كانوا معروفين
بالكنية كأبي بكر ونحوه حتى قال يا أبا عمير ما فعل النخيل (ويثنى عليه) أي على
أخيه (وعلى أهله) أي من أبيه وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيبته وعقله
وجميع ما يفرح به حال كونه (صادقا) في قوله (مقتصدا) أي متوسطا في
مدحه لا مقصرا ولا مفرطا في وصفه ويكون معلنا به (بحيث يبلغ إليه
فهو يؤكده المحبة) أي يزيد لها لديه (وينبئه على العيوب) أي الناشئة من
الذنوب (متلطفا) في بيانها (في الخلاء) خوفا من الفضيحة في الملاء فورد
«المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه» ابن منيع عن أبي هريرة، وقد قيل
لمسعر: تجب من يخبرك بعيوبك فقال: ان نصحنى فيما بيني وبينه فنعم وان قرعنى
في الملاء فلا، وعن عمر رضي الله عنه «رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسه» وقال لسليمان
وقد قدم عليه ما الذي بلغك عنى بما تكره؟ فاستعفى فالح عليه فقال: بلغنى ان لك حلتين
تلبس احدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادا من على مائدة واحدة
فقال عمر: اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا، وكتب حذيفة المرعشى
إلى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم

فَقِيَ الْمَلَأَ إِفْضَاحَ وَفِيهِ الْوَعْدُ بِعِقَابِهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْكُتُ إِنْ عَلِمَ عَلَيْهِ بِهِ
وَعَدَمَ اتِّفَاعِ النَّصِيحِ لِكَوْنِهِ مَأْسُورَ الطَّبْعِ، وَالْقَطْعُ حِينَئِذٍ أَسْلَمَ وَالْإِبْقَاءُ أَقْرَبُ لِرَجَاءِ
تَأْثِيرِ الصَّحْبَةِ فِيهِ، فَوَرَدَ «مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مِثْلُ صَاحِبِ الْمَسْكِ» وَلِأَنَّ الْقَطْعَ
مَنْهَى عَنْهُ بِخِلَافِ الْإِبْتِدَاءِ فَتَرْكُهُ مَأْمُورٌ بِهِ وَيَتَجَاهَلُ عَنْ تَقْصِيرِهِ إِلَّا إِذَا أَدَّى الْإِسْتِمْرَارُ
إِلَى الْقَطْعِ فَلَا أَوْلَى الْإِحْتِمَالُ

هذا فقال بسدس قلت بضمن فقال: هو لك و كان يعرفك (في الملاء إفضاح) أى
إشاعة فيها فضاحة وإيضاح (وفيه) أى فى الإفضاح (الوعد بعقابه تعالى الى يوم
القيامة) لقوله سبحانه : (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب
أليم فى الدنيا والآخرة) وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه (ويسكت
ان علم عليه به) أى بعينه (وعدم اتففاع النصيح) أى بسببه (لكونه مأسور
الطبع) لا مقهور الشرع (والقطع حينئذ) أى قطع مصاحبته (اسلم) بل انسب
(والابقاء) أى ابقاء اخوته (اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل النصيحة
بعده وقيل القطع أولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا (فورد مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك) البخارى عن أبى موسى ولفظه «مثل الجليس الصالح
والجليس السوء كمثل صاحب المسك و كير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك
أما تشتره أو تجدر يحه و كير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريح خبيثة» (ولان
القطع منهى عنه) أى فى الانتهاء لحديث «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» أحمد فى
مسنده (بخلاف الابتداء فتركه مأمور به) لئلا يقع فى البلاء بحديث «لا تصاحب
الأمونا» أى كاملا أحدا وغيره (ويتجاهل عن تقصيره) أى فى خدمته أو صحبته
قال الاحنف : حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم اللذة وظلم الهفوة
(الا اذا أدى الاستمرار الى القطع) أى جواز مقاطعته (فالأولى الاحتمال)
وهو مختار أهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته أو مقاطعته
فذهب أبو ذر الى الانقطاع فقال: اذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
أحبته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله، وأما أبو الدرداء وجماعة
من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال أبو الدرداء: اذا تغير أخوك وحاله عما كان عليه

ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السِّرِّ وَالْكِتَابَةِ بِالْكِنَايَةِ، ثُمَّ التَّصْرِيحُ ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ إِذَا الْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ
النَّفْسِ بِرِعَايَةِ الْحَقِّ وَتَحْمِيلِ الْأَذَى . وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ . فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ
إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ،

فَلَا تَدْعُهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَإِنْ أَخَاكَ يَجُوعُ مَرَّةً وَيَسْتَقِيمُ أُخْرَى، وَفِي الْخَبَرِ « اتَّقُوا زَلَةَ الْعَالَمِ
وَلَا تَقْطَعُوهُ وَانْتَظِرُوا فَيْتَهُ » الْبَغْوِيُّ فِي الْمَعْجَمِ وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو
ابْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيِّ (ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السِّرِّ) حَكَى عَنْ اخْوَيْنِ مِنَ السَّلَافِ أَقْلَبَ أَحَدَهُمَا
مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ فَقِيلَ لِأَخِيهِ الْإِتْقَانُ وَتَهَجَّرَ فَقَالَ: أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَى فِي هَذَا الْوَقْتُ
لَمَّا وَقَعَ فِي عَشْرَتِهِ أَنْ أَخَذَ يَدَهُ وَاتْلُفَ لَهُ فِي الْمَعَاتِبَةِ عَلَى الْخَالَفَةِ وَادْعُوهُ بِالْعُودِ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَافَقَةِ (وَالْكِنَايَةُ بِالْكِتَابَةِ ثُمَّ التَّصْرِيحُ) أَيْ فِي السِّرِّ وَالْكِنَايَةُ
وَالْأَظْهَرُ أَنَّ السِّرَّ فِي السِّرِّ وَالْعِلَانِيَّةُ فِي الْعِلَانِيَّةِ فِي حَدِيثِ عَمْرِو وَقَدْ سئل عَنْ أَخٍ كَانَ أَخَاهُ
يَخْرُجُ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَخِي فَقَالَ ذَاكَ أَخُو الشَّيْطَانِ
قَالَ: مَهْ قَالَ: أَنَّهُ قَارَفَ الْكِبَارَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخُرْقِ فَقَالَ: إِذَا أُرِدْتَ الْخُرُوجَ فَأَذِّنْ فَسَكْتَبَ
عَمْرٌ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَيْهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ . ذِي الطَّرَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ)
ثُمَّ عَاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَزَلَهُ فَلَمَّا فَرَأَى الْكِتَابَ بَكَى وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَنَصَحَ لِي عَمْرٌ فَتَابَ وَرَجَعَ
(ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ) أَيْ إِنْ كَانَ غَائِبًا وَلَمْ يَتَعَذَّرْ بِصَرِيحِ الْمَكَاتِبَةِ فِي الْمَعَاتِبَةِ (إِذَا الْمَقْصُودُ)
أَيْ الْأَصْلِي (إِصْلَاحُ النَّفْسِ بِرِعَايَةِ الْحَقِّ) أَيْ حَقِّ الْمَصَاحِبَةِ (وَتَحْمِيلِ الْأَذَى)
عَلَى رَجَاءِ الْمَرَا جَعَةِ فَقَدْ قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: لَا تَبْغِضْ أَخَاكَ وَقَدْ فَعَلَ كَذَا فَقَالَ إِنَّمَا ابْغِضْ
عَمَلَهُ وَلَعَلَّهُ اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) حَيْثُ لَمْ
يَقُلْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ مِرَاعَاةً لِحَقِّ الْقَرَابَةِ وَأَخُوَّةِ الدِّينِ آ كَدَمِنْ أَخُوَّةِ الْقَرَابَةِ وَلِذَا قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : إِيْمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَوْ صَدِيقُكَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقًا وَكَانَ
الْحَسَنُ يَقُولُ كَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أَمْلَكَ وَلِذَا قِيلَ الْقَرَابَةُ تَحْتَاجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ وَالْمَوَدَّةُ لَا تَحْتَاجُ
إِلَى الْقَرَابَةِ (وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ) أَيْ وَجُوبًا (فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ)
وَهُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الْمَالَ ظُلْمًا مِنَ التَّاجِرِ كَالْعَاشِرِ، وَقَدْ وَرَدَ « مَنْ عَظَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْدِرَةٍ
فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ الْمَكْسِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ
فِي الْمَرَا سِيلِ مِنْ حَدِيثِ جُودَانَ، وَاخْتَلَفَ فِي صِحَّتِهِ وَبَاقِي رِجَالُهُ ثِقَاتٌ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ

وَيَدْعُو لَهُ فَيَسْتَجَابُ فِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لِنَفْسِهِ وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَيَحْفَظُ الْوَفَاءَ
بِالثَّبَاتِ عَلَى الْمَحَبَّةِ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِهِ. وَإِخْوَانَهُ فَكَانُوا بِبِالْغُورِ فِيهِ فَيُحِبُّونَ كَلْبَ
الْحَبِيبِ، وَوَرَدَ « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ كَرَّمَ الْعَهْدَ مِنَ الْإِيمَانِ حِينَ
أَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَجُوزًا » وَالْأَصْلُ تَسْوِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْغَيْبِ وَالْحَاضِرِ .
وَلَا يَغَيِّرُ الْحَالُ

فِي الْاَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسَدِّ ضَعِيفٍ ، هَذَا وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لَزُومَةَ اخِيكَ
سَبْعِينَ عَذْرًا فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَرَدَا لِلزُّومِ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ
يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَخُوكَ سَبْعِينَ عَذْرًا فَلَا تَقْبَلْهُ فَإِنَّ الْمَعِيبَ لَا أَخُوكَ (وَيَدْعُو لَهُ)
أَيُّ فِي الْحَاضِرِ وَالْغَيْبِ (فَيَسْتَجَابُ فِيهِ) أَيُّ فِي حَقِّ أَخِيهِ (مَا لَا يُسْتَجَابُ لِنَفْسِهِ)
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو « أَنْ أَسْرَعَ الدُّعَاءَ أَجَابَةً دَعْوَةَ غَائِبٍ لَغَائِبٍ ، أَبُو دَاوُدَ
وَالْتِّرَمِذِيُّ ، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ دَعْوَةَ الْإِخْوَانِ لَأَخِيهِ مُسْتَجَابَةً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ)
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ
الْمَلِكُ وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ (وَتَحْفَظُ الْوَفَاءَ) أَيُّ وَفَاءَ الْعَهْدِ قَالَ تَعَالَى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ
إِذَا عَاهَدْتُمْ) (بِالثَّبَاتِ عَلَى الْمَحَبَّةِ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ) أَيُّ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ
وَبَعْدَ زَمَانِهِ (فَكَانُوا) أَيُّ السَّلَفِ (بِبِالْغُورِ فِيهِ) كَمَا تَقْدُمُ ، وَوَرَدَ « قَلِيلُ الْوَفَاءِ
بَعْدَ الْوَفَاةِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي الْحَيَاةِ » (فَيُحِبُّونَ كَلْبَ الْحَبِيبِ) أَيُّ مَرَاعَاةَ لِقَلْبِ الْحَبِيبِ
وَيُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ) وَلِلَّهِ فِي الْقَائِلِ :

رَأَى الْمَجْنُونُ فِي الْيَدَاءِ كَلْبًا قَدْ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ ذِيلاً

فَلَامَوْهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَقَالُوا لَمْ مَنَحْتَ الْكَلْبَ نِيلاً

فَقَالَ دَعُوا الْمَلَامَةَ أَنْ عَيْنِي رَأَتْهُ مَرَّةً فِي حَيِّ لَيْلِي

(وَوَرَدَ أَنَّهَا) أَيُّ الْعَجُوزِ (كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ كَرَّمَ الْعَهْدَ) أَيُّ حَسَنِهِ
وَبَقَاةِ (مِنْ الْإِيمَانِ) أَيُّ كَمَالِهِ (حِينَ) أَيُّ وَرَدَ حِينَ (أَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِعَجُوزًا) أَيُّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّهَا الْحَدِيثُ (وَالْأَصْلُ) أَيُّ فِي
حَقِّ الصَّحْبَةِ (تَسْوِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْغَيْبِ وَالْحَاضِرِ) وَالْأَفْلَاكُ يَكُونُ مَرَاغِبًا
مُوَافِقًا بَلْ يَكُونُ مَرَاغِبًا مُنَافِقًا (وَلَا يَغَيِّرُ الْحَالُ) أَيُّ مِنَ التَّوَاضُّعِ فِي الْفِعْلِ وَالْقَالَ

عند ارتفاع القدر فهو من اللوم . ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ . وحضور
السرور . ويستوحش عند فراقه ويساعده إلا فيما يخالف الحق فالوفاء فيه هو
الخلاف . ويشاوره . ولا يحفظ السر عنه ولا يحب عدوه لئلا يكون *

(عند ارتفاع القدر) أى باتساع الجاه أو زيادة المال (فهو من اللوم) أى الدناءة
والخساسة وأصل اللوم ضد الكرم ، ولقد قال بعض أرباب الكمال :

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الحشن
وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يا بني لا تصحب من الناس إلا من اذا افتقرت
إليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ، وحكى
الربيع أن الشافعى أخى رجلا ي بغداد ثم ان أخاه رلى السييين ومهانرا ان احدهما بالبصرة
والآخر في ذنابة القرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعى هذه الآيات اليه :

اذهب فودك من وذادى طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتنعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيضين
فاذا الثلاث اتك منى بته لم يغفر عنك ولاية السييين

(ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ) وكذا شربه وفي لبسه بل ينبغي أن يؤثره على
نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) أى
يحزن (عند فراقه) أى لكمال اشتياقه اليه وقد قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها هـ سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

أى سهولة الامور وانشد ابن عينة هذا البيت وقال لقدمت اقرانا فارقهم منذ ثلاثين
سنة ما تخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبي وانشدت عائشة رضى الله عنها :

هـ ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت (ويساعده) أى يوافقه في الامور (الا فيما يخالف
الحق) فقد ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » أحمد والحاكم عن عمران وفي
الصحيحين عن علي « لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » وفي رواية
أحمد عن أنس « لا طاعة لمن لم يطع الله » (فالوفاء) أى الوفاق (فيه) أى في
الخلاف (هو الخلاف) أى الشقاق (ويشاوره) لقوله تعالى : (وامرهم شورى
بينهم) (ولا يحفظ السر عنه) حيث لا يخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون

شَرِيكَاً لَهُ فِي الْعَدَاوَةِ وَيُخَفِّفُ بِتَرْكِ التَّكْلِيفِ وَالتَّكْلِيفِ فِي آدَاءِ الْحُقُوقِ
وغيرها كنوافل العبادَةِ تركاً وإتياناً ،

شريكاً له في العداوة) أى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه ، قال الشافعى : اذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك (ويخفف) أى ثقالة الصعبة ومؤنة الكلفة (بترك التكلف) أى في نفسه (والتكليف) لصاحبه (في آداء الحقوق وغيرها) والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوم شريعة قال بعض الحكماء : تمام التخفيف بطل بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ، ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الأدب ، وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجأك الى اعتذار في حالاته ، وقال الفاضل : انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ، وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف يرفع ثقل بينك وبينه مؤنة التحفظ ، وعن جعفر بن محمد ان ثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى . والحاصل انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركاً بدعائه واستيناساً بلفائه واستعانة به على دينه وتقرباً الى الله تعالى في تقوية يقينه ، وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر : لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود في ميدان الشهود (كنوافل العبادَةِ تركاً وإتياناً) أى فعلا قال الامام حجة الاسلام : ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت جرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة ، وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ، ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولي نور الدين على المتقى في هامش

فَوَرَدَ «أَنَا وَاتَّقِيَاءُ أُمِّي بَرَاءٌ مِنَ التَّكْلِيفِ، وَيَرْفَعُ الْآدَابَ عِنْدَ تِمَامِ الْإِتِّحَادِ
فَالْمَقْصُودُ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَالْآدَبُ عُنْوَانُهُ، وَيَزُورُ غِبًّا» فَوَرَدَ «زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا»
إِلَّا أَنْ يَأْمَنَ مِنَ الْمَلَالِ وَيَنْوِي فِيهِ الْإِسْتِنَاسَ بِاللِّقَاءِ وَالِاسْتِعَانَةَ عَلَى الدِّينِ ،

هذا الكتاب الموجز النقي : اعلم ان الله تعالى خفف على عباده في عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا تكلف عليه ولا مؤاخذه لديه، وثانيهما في وصفه من التكلف لجواز صلاة النفل حالة القعود مع القدرة والر كوب متوجها الى أى جهة ونحوها فينبغي للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى وينخفض في حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف في عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلخ والطبخ وقال الآخر: على تحصيل الماء والخطب فاذا قصر احدهما في شرطه بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكلف متروك في النفل واذا أتى باصل الفعل ولكن أتى بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا أو قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك أيضا وعلى هذا القياس ينبغي في جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة الصعبة، والله در المؤلف حيث أتى بهذه العبارة الوجيهة في مبانيها مع كثرة معانيها ﴿ فورد انا واتقياء أمتي براء من التكلف ﴾ الدار قطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه « الا انى برىء من التكلف وصالحوا متي » واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من اجر وما انا من المتكافين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف فى امره وكذا الحكم فى فعله ﴿ ويرفع الآداب ﴾ أى من القيام والاعتذار ونحوهما مع أهل الوداد ﴿ عند تمام الاتحاد ﴾ فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الآداب ﴿ فالْمَقْصُودُ صَفَاءُ الْقَلْبِ ﴾ مع احباب الرب ﴿ والآداب ﴾ أى الظاهر ﴿ عنوانه ﴾ فاذا عرف أصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب ﴿ ويزور ﴾ أى صاحبه ﴿ غبا ﴾ أى يوما بعد يوم أو وقتا بعد وقت ﴿ فورد زربا تزد حبا ﴾ لحصول الاشتياق الى الوصال ﴿ الا أن يأمن من الملل ﴾ أى الموجب للقطع فى الاستقبال ﴿ وينوى فيه ﴾ أى فى التزاور ﴿ الاستيناس ﴾ أى طلب الانس ﴿ باللقاء ﴾ أى لقاء أهل اليقين ﴿ والاستعانة على الدين ﴾ كما هو

والتقرب إليه تعالى بإقامة الحق وتحمل المؤنة ويسلم على المسلم وإن لقيه مرارا
أو حالت شجرة أو جدار ناويا تجديد عهد الإسلام أن لا يؤذى في عرضه وماله
قبل الكلام، فورد « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه حتى يبدأ بالسلام،

شأن المجتهدين » والتقرب إليه تعالى بإقامة الحق أي حق الأخوة والصحة » وتحمل
المؤنة أي كلفة الالفة، ففي مسند أحمد وغيره عن ابن عمر « المؤمن الذي يخالط الناس
ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » وفي رواية
الدارقطني عن جابر « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير
الناس انفعهم للناس » وقد قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية
هذا وجاء في الخبر « ان الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي
للذين يتحابون من أجلي » أحمد من حديث عمرو بن عبسة وعبادة بن الصامت والحاكم
وصححه، وعن أنس « ما زار رجلا في الله إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك
الجنة » رواه ابن عدي والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة « من عاد مريضا أو
زار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا »
وعنه عليه السلام « ان رجلا زار أخاه في الله فارصده الله له ملكا فقال أين تريد ؟ فقال أريد
ان أزور أخي فلانا فقال الحاجة لك عنده ؟ قال لا قال القرابة بينك وبينه ؟ قال لا قال فلنعمه
له عندك ؟ قال لا قال فم قال أحبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بأنه يحبك
لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » رواه مسلم من حديث أبي هريرة « ويسلم على المسلم »
صغيرا أو كبيرا غنيا أو فقيرا الحديث « افشوا السلام واطعموا الطعام » الترمذي عن
أبي هريرة، وفي رواية الحاكم عن أبي موسى « افشوا السلام بينكم تحابوا » وفي رواية البيهقي
من حديث هاني بن يزيد « ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » « وان
لقيه مرارا » أي مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام « حق المسلم على المسلم ست اذا
لقيته فسلم عليه » رواه مسلم « او حالت شجرة أو جدار » و كذا السطوانة « ناويا »
أي بهذا السلام « تجديد عهد الاسلام » أي « ان لا يؤذى » بصيغة المعلوم أو
المجهول « في عرضه وماله » أي وسائر أحواله « قبل الكلام » متعلق بيسلم أي يأتي
بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية أهل الاسلام حتى في دار السلام « فورد
من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه » أي لا ترد عليه الكلام « حتى يبدأ بالسلام »

وَعِنْدَ الدُّخُولِ فِي بَيْتِهِ وَبَيْتِ غَيْرِهِ لَثَلَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مَعَهُ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ،
وَإِنْ كَانَ خَالِيًا فَتَحِيَّتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَالْمَلَأَتْكَ تَرْدُهُ وَالدُّخُولُ
فِي قَوْمٍ وَالْخُرُوجُ عَنْهُمْ لِيَكُونَ مِشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَيَبْدَأُ بِهِ فَهُوَ الْمُرَوِّىُّ

أى ويترك الابتداء بالكلام، والحديث رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية
عن ابن عمر ولفظه « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه » (وعند الدخول في
بيته) أى يسلم على أهله فللترمذى عن أنس أنه قال عليه السلام « له إذا دخلت على أهلك
فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك » (وبيت غيره) أى كذلك (لثلا يدخل
الشيطان معه) لحديث جابر « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا
سلم أحدكم لم يدخل بيته ، الخرائطى فى مكارم الاخلاق (وهو مأثور به) أى فى
قوله تعالى : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى على جنسكم من المسلمين (وان
كان) أى البيت (خالياً) وهو اعم من بيته وبيت غيره (فتحيته) أى حينئذ
يكون بلفظ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة) أى الحفظة أو
الكتابة (ترده) فانهم من جملة عباد الله الصالحين (والدخول) أى ويسلم عند دخوله
(فى قوم) أى على قوم وهو ظاهر متعارف (والخروج) أى ويسلم أيضا عند
خروجه (عنهم ليسكون مشاركا لهم فى كل خير) أى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول
للبلاقة والثانى للمواعدة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه : (لا يسمعون فيها
لغو ولا تأثما إلا قلاما سلاسل) ولا يداود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة
« اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بداله ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست
الاولى باحق من الاخرى » (ويبدأ به) أى بالسلام (فهو المروى) أى عنه عليه
السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل ، وفى نسخة « يبدر » وفى مسند احمد عن أبى امامة
« من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله » وقد قال العلماء : ان هذه سنة اجراها اكثر من
جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء
الفرض ، وقد ورد « اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل
درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملا خير منهم واطيب ، البيهقى فى
الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبخاري عنه مرفوعا « السلام اسم من اسماء
الله تعالى وضعه الله فى الارض فانثوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم »

وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى جَمْعِ النِّسَاءِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِنَّ وَلَا عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ وَقَضَاءِ
الْحَاجَةِ وَنَحْوِهَا فَلَا يُكَلِّمُ فِيهَا . وَلَا اللَّعِبَ بِالشَّطَرَنْجِ وَنَحْوِهِ إِهَانَةً . وَلَا يَرُدُّ
فِيهَا . وَيَزِيدُ فِي الْجَوَابِ ، فَوَرَدَ (وَإِذَا حَيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)
وَالْأَوَّلَى بِالْبَدَاةِ الدَّاخِلِ وَالْمَاشَى وَالرَّاكِبِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَلِيلِ ،

الحديث (ولا يسلم على جمع النساء) أى من الاجانب (ويرد عليهن) أى اذا
سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع فى الريبة، وكان أنس يمر على الصبيان
فيسلم ويروى عن رسول الله ﷺ انه فعل ذلك رواه الشيخان ، وفى النسائي عن أنس
« انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم » (ولا)
أى ولا يسلم (عند تلاوة القرآن) أى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه
(والاذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) أى من الحمام
وكشف العورة وحالة الجماع (فلا يكلم فيها) أى مطلقا فضلا عن السلام ورده،
وعن ابن عمر « أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه،
(ولا اللعب) أى ولا يسلم عند اللعب (بالشطرنج) أى على لاعبه ومن معه من
صاحب (ونحوه) أى التردد ومجلس الشرب وآلات الغناء وأمثالها (اهانة ولا يرد
فيها) أى فى المذكورات التى لا يسلم فيها (ويزيد فى الجواب) أى بطريق الاستحباب
(فورد واذا حييتم بتحية) أى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن
منها) أى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (أو ردوها)
أى قولوا فى جوابها مثلها (والاولى بالبداءة) أى بابتداء السلام (الداخل) على
المدخول عليه (والماشى) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير)
على الكبير (والقليل) على الكثير ، ففى الصحيحين عن ابى هريرة « يسلم الراكب
على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ
سلاما من أحد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، رواه الستة عن عائشة أو
« عليك وعليه السلام ، رواه النسائي عن أنس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء
بالاول والجمع بينهما أفضل وأو للتويع فى اختلاف الرواية ، وفى الاذكار يعنى اذا
بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول: يسلم عليك فلان يحب عليه أن يرد على

وَوَرَدَ « إِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَجْزَأَ عَنْهُمْ ، وَلَا يَشِيرُ بِالْأَصْبَعِ وَالْأَكْفُفُ
فَهُوَ عَادَةُ الْكُفَّارِ مِنْهُيٌّ عَنْهُ ، وَلَا يَخْصُ الْمَعَارِفُ ،

الفور ويستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول وعليك وعليه السلام، ثم الأفضل أن يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام أيضا، وأما الجواب فقل الاستحباب وعليك السلام أو وعليكم السلام فإن حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك، وفي الصحيحين عن أبي هريرة: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحبونك فأنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله، انتهى، وفيه دليل على أن السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط أن يكون أحدهما بعد الآخر فلا تقعا معا فإنه حينئذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر» (وورد إذا سلم واحد من القوم أجزا عنهم) مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا، ولأبي داود من حديث علي بن عيسى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم فعلم أن السلام سنة كفاية إذا كان جوابه فرض كفاية، وفي الديلم عن علي السلام تطوع والرد فريضة» (ولا يشير بالأصبع ولا كف فهو عادة الكفار) أي من أهل الكتاب ((منهى عنه)) ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصبع وتسليم النصارى الإشارة بالكف» وفي رواية أبي يعلى وغيره عن جابر «تسلم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود» والمعنى أنه لا يكتفى بها عند السلام فلو جمع بين الإشارة والسلام لزيادة الاعلام أو لبعد المقام أو لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا بأس به إلا أنه لا بد من اسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام أورده والاكتفاء بإشارة بعض الأعضاء من اليد أو الرأس، ويؤيده حديث عبد الحميد ابن بهرام أنه عليه السلام «مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود قالوا بيده بالتسليم أي مقرونا به وأشار عبد الحميد بيده» رواه الترمذي وقال حسن وقال أحمد لا بأس به ورواه أبو داود وابن ماجه من وجه آخر ((ولا يخص المعارف)) بالتسليم

فَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . وَلَا يَبْدَأُ بِعَلَيْكَ السَّلَامُ فَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ . وَيُصَافِحُ
لَأَسْمَاءَ الْكِبَرَاءِ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ ، وَوَرَدَ « فِيهَا قُسِمَتْ مِائَةٌ مَغْفِرَةٍ
تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ لِأَحْسَنِهَا بَشْرًا »

بل يعلم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالاسلام فان السلام من حقوق
المسلم على المسلم ((فهو)) أى تخصيص المعارف بالسلام ((من اشراط الساعة))
اى علاماتها التى من جعلتها قلة العلم وكثرة الجهل ((ولا يبدأ بعليك السلام فهو
تحية الميت)) أى يجوز ان يقال له ذلك و يقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام
قال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي أحدكم أخاه فليقل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة ، وقال
الترمذى : حسن صحيح » ((ويصافح)) أى صاحبه من المتقين ((لاسماء الكبراء فى الدين))
من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لالسلطين والامراء والوزراء
((فهو)) أى التصافح ((من تمام التحية)) وعن الحسن المصاحفة تزيد فى المودة ، وعن
أبي هريرة مرفوعا « تمام تحياتكم بينكم المصاحفة » الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو
عند الترمذى من حديث أبى امامة وضعفه ((وورد فيها)) أى فى المصاحفة ((قسمت مائة
مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشارا)) فعن أبى هريرة « اذا التقى المسلمان فتصاحفا
قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاشهدا واطلقهما وابرهما واحسنهما مساواة
باخيه » الطبرانى فى الأوسط ، وعن أنس « اذا التقى المسلمان فتصاحفا قسمت بينهما مائة
رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشارا » الخرائطى بسند ضعيف ، وعن عمر مرفوعا
« اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصاحفا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى
تسعون وللمصافح عشرة » البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب
وقد ورد « قبله المسلم اخاه المسلم المصاحفة ، الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال
غير محفوظ والمعنى ان المصاحفة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولا بأس بقبلة يد
المعظم فى الدين تبركابه وتوقيره له فعن عمر « قبلنا يد النبى ﷺ » أبو داود بسند
حسن ، وعن كعب بن مالك « قال لما نزلت توبتى آتيت النبى ﷺ وقبلت يده » أبو بكر
ابن المقرئ فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف وروى « ان اعرايا قال يا رسول الله

وَيَجْعَلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ . وَلَا يَدْعُ حَتَّى يَدْعَ صَاحِبَهُ فَهُوَ السَّنَةُ لِأَمِنْ
وَرَاءَ الثَّوبِ فَهُوَ جَفَاءٌ مِنْ عَادَةِ الْكُفَّارِ وَيَعَاتِقُ الْقَادِمَ . وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ
لِلتَّوْقِيرِ . وَيُوسِّعُ الْمَجْلِسَ

أثنى لي فاقبل رأسك ورجليك قال فاذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح
الاسناد، وعن البراء بن عازب « أنه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى
فرغ من وضوئه فرد عليه ومديده إليه فصاحفه فقال: يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا
من أخلاق الأعاجم فقال عليه السلام إن المسلمين إذا التقيا وتصالحا تحانت ذنوبهما »
الخراطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا « ما من مسلمين
يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » (ويجعل الاصابع في الاصابع) أي
أصابعه في أصابع أخيه وهذا غير محفوظ في السنة ولا هو مأخوذ من اللغة اذ مفهومها
وضع صحفة الكف واليد أو أصابعها في كف صاحبه ونحوه (ولا يدع) أي يد أخيه
(حتى يدع صاحبه) أي يده فيدل على كمال التواضع واطهار المسكنة والطيران في الاوسط
باسناد حسن عن أبي هريرة أنه عليه السلام « كان لا يأخذ أحد بيده فيزع يده حتى
يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن ترى كفته خارجة عن ركة جليسه ولم يكن أحد
يكلمه الا قبل عليه بوجه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه » ولا يروى في الترمذي
وابن ماجه نحوه من حديث أنس (فهو السنة) المروية في شمائله من فضائله (لأمن
وراء الثوب) أي لا يصافح من وراء الأكمام (فهو جفاء من عادة الكفار) أي
المتكبرين من الأعجم والاروام (ويعاتق القادم) أي الواصل من السفر، وفي الاحياء
ان الالتزام والتقييل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث
عائشة، قالت قدم زيد بن حارثة، الحديث وفيه فاعتقه وقبله وقال حسن غريب وقال أبو ذر
« ما لقيته عليه السلام الا صاحفني وطلبني يوما فلما كن في البيت فلما أخبرت جئت وهو
على سرير فالتزمني فكانت أجود واجود » رواه أبو داود (ويأخذ ركب العلماء
للتوقير) فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم، وأخذ عمر بن الخطاب
أي بركابه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد وأصحابه (ويوسع المجلس) مسجداً كان
أو غيره لقوله تعالى : (واذا قيل لكم بلسان القائل أو ببيان الحال . ففسحوا في المجالس
فافسحوا يفسح الله لكم) والفسح الوسع، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر « لا يقم

وَيَكْرُمُ الدَّاحِلَ فَيَبْسُطُ الثَّوبَ وَيُخَفِّفُ الصَّلَاةَ وَيَشْتَغِلُ بِهِ ، ثُمَّ يَعَاوِدُ فِيهَا
فَالْكُلُّ مَرُورٌ ،

الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ، وعنه عليه السلام :
« إذا أخذ القوم بمجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله عز وجل أكرمها أخاه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فليجلس فيه ، البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن أبي شيبة ورجالها ثقات ، وابن أبي شيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل أو الفواضل (فيبسط له الثوب) أي من الرداء ونحوه ، فروى أنه عليه السلام « دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى وحش المجلس فامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعده على الباب فلف عليه السلام رداءه فلقاه إليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضع على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به إليه ﷺ وقال : ما كنت لاجلس على ثوبك أكرمك الله يا أكرمته فنظر النبي ﷺ يمينا وشمالا ثم قال : إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه ، الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد ، وروى « ان ظئر رسول الله ﷺ التي ارضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطى فقالت قومي فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمانه بخير وهي احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف درهم ، كذا في الاحياء ، ورواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصرا في بسط رداءه لهادور مابعده ، ولاحمد من حديث ابن عمر « انه دخل عليه ﷺ فالتقى له وسادة من ادم حشوها من ليف ، الحديث واسناده صحيح ، وللطبراني من حديث سلمان « دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فلقاها الى ، الحديث وسنده ضعيف (ويخفف) أي المدخول عليه (الصلاة) فريضة او نافلة (ويشغل به) أي باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاود فيها) أي في اتمام صلاته (فالكل مروي) الا أن تخفيف الصلاة الخ ليس له أصل في السنة (ولا ينحني) فان الانحناء يكره للسلطين وغيرهم ولانه صنيع أهل الكتاب كذا في المحيط والذخيرة ولانه شبيه بالر كوع الذي هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لا احد

وَلَا يَقُومُ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ مِنْ عَادَةِ الْأَعَاجِمِ . وَيُوقِّرُ الْكِبَرَاءَ كَالْعُلَمَاءِ
وَالصَّالِحَاءِ وَالشُّرَفَاءِ وَالشُّيُوخِ وَيَقْدِمُهُمْ فِي الْمَشْيِ ، وَالْكَلَامِ وَالْجُلُوسِ ، فَوَرَدَ
«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»

لا يجوز أن ير كع له، وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلاة لحديث د من سره ان
يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ، أبو داود والترمذي وحسنه من حديث
معاوية ، وعن أنس «قلنا يا رسول الله اينحنى بعضنا لبعض؟ قال : لا قال فيقبل بعضنا
بعضا؟ قال لا قال فنصافح؟ قال نعم » الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي
وفي الاحياء « لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء ، » (ولا يقوم) أى للداخل كما هو
عادة أهل المحافل (فهو منهي عنه) أى في الحديث معطل بانه (من عادة الاعاجم)
فعن أبي امامة « اذا رأيتهم في فلاتقوموا كما يقوم الاعاجم ، أبو داود وابن ماجه، وعن
أنس « ما كان شخص احب الينا من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما
يعلمون من كراهيته لذلك ، الترمذي وقال حسن صحيح، وفي الاحياء ان القيام مكروه
على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام، اقول وقد صار هذا القيام من الابتلاء العام اذ
يترتب على تركه أنواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام ، وعن ابن
مسعود مرفوعا وموقوفا مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، واما ما في صحيح
مسلم عن أم هانيء « أنها سلمت على النبي ﷺ فقال من هذه؟ فقيل له أم هانيء فقال عليه
السلام مرحبا بأم هانيء ، فحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام
(ويوقر الكبراء) أى العظماء في الرتبة او السن (كالعلماء) العاملين (والصلحاء)
الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم في دخول
الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى : (والسابقون السابقون)
لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن في الحسب، و اشار المصنف
الى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اتوا العلم درجات) والمتقون كما قال عز وعلا : (انا كرمكم عند الله اتقاكم)
(ويقدمهم في المشي) اذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورد ليس منا) أى من
اتباعنا واشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه أحمد والترمذي عن

وَأَوْعَدَ فِي التَّقْدِيمِ عَلَى الْكَبِيرِ بِالْفَقْرِ . وَيُرَاعَى قَلْبَ الصَّغَارِ . فَكَانَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبَالِغُ فِيهِ ، وَيَتَكَفَّلُ الْيَتِيمَ . فَوَرَدَ « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ

ابن عباس واحمد والحاكم عن عباد بن الصامت بزيادة « ولم يعرف لعالمنا حقه » وفي رواية لاحد والترمذي والحاكم عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » وللبخارى في تاريخه . وأبي داود عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » (واوعد) بصيغة المجهول أي جاء الوعيد (في التقديم) أي تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) أي بسبب فقر الكبير أو المعنى أوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فإنه يقدر له من يعظمه في كبره ، ففي الخبر « ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قبض الله له في سنه من يكرمه » وهذا بشارته بطول عمره وسهولة امره ، والحديث رواه الترمذي عن أنس ، ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين أيديهم الا باذن جابر : « قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام : ما فيك الكبير ؟ » الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) أي الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يبالغ فيه) أي في مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤوسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيلتقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر أصحابه بان يحملوا بعضهم فرما تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حماني رسول الله ﷺ » رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر ، كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بي وبالحسن أو بالحسين قال : فحمل احدا بين يديه والآخر خلفه ، وفي رواية « تلقى بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبقني اليه فجعلني بين يديه ثم جئنا باحد ابني فاطمة فاردفه خلفه » وفي الصحيحين « ان عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير اتدكر اذ تلقانا رسول الله ﷺ انا وانت وابن عباس قال نعم فجعلنا وتر كك » هذا لمظ مسلم وقال البخاري ان ابن الزبير قال لابن جعفر قال الله أعلم كذا قاله مخرج الاحياء ، ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون في كل منهما جبر لحاظ الآخر فتدبر ، واحمد بن منيع من حديث حسن بن علي « عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلعب صبيا اذ بال فقامت لنا خذته وتضربه فقال دعيتها نرتي بكوز من ماء » الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا او اجنيا (فورد انا و كافل اليتيم) أي مربيه ومصالحه

كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ إِلَى الْمَسْبُوحَةِ وَالْوُسْطَى « وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ ، فَوْرَدَ
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلِقَ ، وَيُشَمِّتُ الْعَاطِسَ الْمُحَمَّدَ بِدُعَاءِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ »
وَيُجِيبُ بِدُعَاءِ الْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ فَقِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ إِلَّا إِذَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ ، فَوْرَدَ
« إِنَّهُ زَكَامٌ »

(كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ إِلَى الْمَسْبُوحَةِ وَالْوُسْطَى) وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال
القربة ، والحديث رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ
« انا وكافل اليتيم في الجنة ، هكذا ولا بن ماجه من حديث أبي هريرة « خير بيت من
المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » ولا احمد
والطبراني من حديث أبي امامة « من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها
يده حسنة » ولا بن حبان من حديث ابن أبي اوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمة له »
الحديث (ويظهر البشاشة) أي الانبساط اذا حضر مع اصحابه في بساط النشاط
(فورد ان الله يحب السهل) أي اللين الهين (الطلق) بفتح فكسر أي صاحب طلاقة
الوجه ، والحديث رواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ الطلق ، وقد ورد « أتدرون على
من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب » الترمذي
وحسنه عن ابن مسعود (ويشمت) أي يجيب (العاطس المحمد) أي الذي قال
الحمد لله بعد عطاسه (بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح)
اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول : الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب
عند الشافعي ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له یرحمك الله ويستحب للعاطس
بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم أو ینفر الله لنا ولكم ، والاحاديث في هذا
الباب كثيرة كما بيناها في شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما
في الصحيحين عن أنس « انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت آخر فساء له عن ذلك
فقال انه حمد الله وانت سكت » (فقيه فضل كثير) أي واجر كبير (الا اذا زاد
على الثلاث فورد انه زكام) فعن أبي هريرة « شمت اخاك ثلاثا فان زاد فهو زكام » ابو
داود ، وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع « انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك
مزكوم » وعن أبي هريرة كان عليه السلام « اذا عطس غصص صوته واستتر بثوبه
او يده » ابو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وفي رواية لابي نعيم في اليوم الليلة وخم

وَيُصْلِحُ ذَاتَ الْبَيْنِ فَهُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ، فَوَرَدَ «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وَيَتَّقِي مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيْبَةِ

وجهه وفاه، وفي الصحيحين «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَابَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى
 فِيهِ فَإِذَا قَالَ آه آه فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ»، وَعَنْ عَلِيٍّ «مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ
 فَسَبَقَ إِلَى الْحَمْدِ لَمْ يَشْتَكِ خَاصَرَتُهُ»، الطَّبْرَانِيُّ فِي الْاَوْسَطِ فِي الدَّعَاءِ ﴿ وَيُصْلِحُ ذَاتَ
 الْبَيْنِ ﴾ أَيِ أَحْوَالِ نَاشِئَةٍ بَيْنَهُ أَوْ بَيْنَ غَيْرِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُودَةِ وَتَرْكِ
 الْمَنَازَعَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرِ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
 إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ﴿ فَهُوَ أَفْضَلُ
 الصَّدَقَةِ ﴾ فَلِلطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ أَبِي عَمْرٍو «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ» وَلَا بِي
 دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ
 وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا : بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَافْسَادُ ذَوَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ
 لِلشَّيْخَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ لَيْسَ بِكَذَابٍ مِنْ أَصْلَحَ بَيْنَ
 اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا ﴾ (وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ) أَيِ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَكَذَا عُيُوبِ
 نَفْسِهِ ﴿ فَوَرَدَ ﴾ أَيِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ اللَّهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ وَلِلشَّيْخَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
 وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «لَا يَرَى أَمْرٌ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»
 وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَلِلطَّبْرَانِيِّ
 وَالضَّيَاءُ عَنْ شَهَابٍ «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَانَ مَآحِيًا مَيِّتًا» وَلِلْبُخَارِيِّ فِي
 تَارِيخِهِ : وَأَبُو دَاوُدَ . وَالْحَاكِمُ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ «مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا
 مُوَدَّةً مِنْ قَبْرِهَا» وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ «مَنْ أَذْنَبَ
 ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا
 عَنْهُ وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَعَرِيقَ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَعْدَلُ مَنْ أَنْ يَتْنِيَّ عَقْرَبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ»
 وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ» الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَضَعَفَهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ حَبَانَ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ
 «مَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ ادْخَالَ الْمَرْوَرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ» ﴿ وَيَتَّقِي مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا
 عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ ﴾ أَيِ بِالرِّيَّةِ ﴿ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيْبَةِ ﴾ فَانْهَمُوا إِذَا عَصَوْا اللَّهَ بِذِكْرِهِ وَكَانَ

و يشفع ، فورد « اشفعوا تؤجروا » ويرشد الضال وينشد ضالته ويفرج
المكروب وينصر المظلوم ، فورد من فرج عن مغموم او اغان مظلوما غفر الله له
ثلاثا وسبعين مغفرة » ويسعى في حاجته فالمشي فيها

هو السبب فيه كان شريكا في وزرهم قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم) وقال عليه السلام : « كيف ترون من يسب أبويه ؟ فقالوا
وهل من أحد يسب أبويه ؟ قال نعم يسب الرجل أبوى غيره فيسب أبويه » متفق عليه من
حديث عبد الله بن عمر ، وعن أنس « انه عليه السلام كلم إحدى نساؤه فمر به رجل فدعاه
فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أظن
فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم ، وفي رواية للشيخين
عن صفية « اني خشيت ان يقذف في قلبك شيئا » وفي نسخة سرا ، وكانا رجلين وقال
علي رسلكما انها صفية » الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان ، وعن
عمر رضي الله عنه « من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل
يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين : انها امرأتى قال : فهلا بحيث
لا يراك الناس » (ويشفع) أى في غير الحدود لقوله تعالى : (من يشفع شفاعا حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعا سيئة يكن له كفل منها) (فورد اشفعوا تؤجروا)
تمامه « ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » رواه الشيخان من حديث أبى موسى ، وورد
« ماصدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها
المنفعة الى آخره ويدفع بها المكروه عن آخر » الخرائطي والطبراني عن سمرة (ويرشد
الضال) أى يهديه الى طريقه الحسى او المعنوى (وينشد ضالته) أى يطالبها لكن
في غير المسجد لما تقدم ، ويقول : يا هادى الضال وياراد الضالة أردد على ضالتي
بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك ، رواه ابن أبي شيبة موقوفا من قول ابن
عمر والطبراني عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) أى يزيل هم المغموم (وينصر
المظلوم) ففي الصحيحين « انصر اخاك ظالما أو مظلوما فقل : كيف ينصر ظالما ؟ فقال
يمنعه من الظلم » قلت وفي منعه من الظلم نصر المظلوم أيضا (فورد من فرج عن مغموم
او اغان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطي في مكارم الاخلاق وابن حبان في
الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من اغاث ملوما فاق » (ويسعى في حاجته فالمشي فيها

سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ اِعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ وَإِنْ لَمْ تَقْضَ وَيُعِينُ الضَّعِيفَ وَالْمُحْسِنَ وَيَحْفَظُ الْغِيَةَ

ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض) فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس « لان يمشى احدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدى هذا شهرين » وللطبرانى فى الأوسط « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين » وكلاهما ضعيف ، وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى من أنس بسند ضعيف « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسل « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة » وقال أنس « عرضت له عليه السلام امرأة وقالت : لى معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال : اجلسى فى أى نواحى السكك شئت اجلس إليك ففعلت فجلس إليها حتى قضيت حاجتها » رواه مسلم (ويعظه) أى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى : (واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) الآيات ، وقال تعالى : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) وورد « ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى ، وقال عليه السلام لمعاذ : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام » اليهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية (ويعين الضعيف) أى فى عمله وصنعتة (والمحسن) أى بزيادة معرفته أو يمين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهم فى ثواب يوم الجزاء فقد صح « من كان فى عون أخيه كان الله فى عونه » (ويحفظ الغيبة) أى غيبة أخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ، وفى الخبر « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته » أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد ، وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه ، وعن أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » الترمذى وحسنه وللطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ولاحد من حديث أسماء بنت يزيد نحوه ، ولابن أبى الدنيا فى الصمت عن أنس « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع

وَيَبْرُ الْخَلْفَ . وَيَحِبُّ التَّائِبَ . وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ . وَيُعَامِلُ عَلَى حَسَبِ

حَالِهِ فَعَرَضُ الْفَقْهِ لِأَهْلِ اللَّهِ وَالْبَيَانِ

نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولابي داود من حديث معاذ بن أنس « من جئ عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » ولابي داود من حديث جابر وأبي طلحة « ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة الانصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة الاخذله الله في موطن يحب فيه نصرته » (ويبر الخلف) أي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شيء وحلف عليه ولم يتيسر له فالمصاحب يمطيه ذلك لثلا يقع صاحبه في الخنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن أنس « ان من عباد الله من لو اقسم على الله لا يبره اى لجعله بارا في يمينه بما قدره وقضاه ، وفي الصحيحين من حديث ابراه « امرنا رسول الله ﷺ بسبع قد كرمنا وابرار القسم او المقسم » (ويحب التائب) لقوله تعالى : (ان الله يحب التوابين) خصوصا الشاب فورد « ان الله يحب الشاب التائب » أبو الشيخ عن أنس ، ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر « ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله » ولاحمد والطبراني عن عقبة بن عامر « ان الله لمعجب من الشاب ليست له صبرة » (ويستغفر للمذنب) اقتداء بالملائكة المقربين (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الآية ، وللطبراني عن عبادة « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » وله وللضياء عن أبي الدرداء « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض » وأما حديث أنس « اربع من حق المسلمين عليك ان تعين لمحسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمديرهم وان تحب تائبهم » فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقي (ويعامل على حسب حاله) اي حال صاحبه في اعلى مناقبه أو ادنى مراتبه (فعرض الفقه) أي مسائله الفاضلة (لاهل الله) أي لارباب الاشتغال بما يلهمهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) أي وعرض الفصاحة

لثَقِيلُ اللِّسَانِ إِذَا نُفْسَيْنِ ، وَيَتَصَفُّ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ
يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِيمَانَ . وَلَا يَعْلَمُ أَحَدًا مِقْدَارَ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَالْعِلْمُ
بِالْقِلَّةِ يُورِثُ الْإِهَانَةَ وَبِالكَثْرَةِ عَدَمَ الرِّضَاءِ ، وَوَرَدَ « اسْتِرْ ذَهَبَكَ وَذَهَابَكَ
وَمَذْهَبَكَ » وَلَا يَسْتَحْقِرُ أَحَدًا فَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ وَلَا يَسْتَعْظِمُ الدُّنْيَا فَهِيَ
حَقِيرَةٌ وَمَافِيهَا ، وَلَا يَتَكَبَّرُ

والبلاغة واصناف البديع وأنواع البيان (لثقل اللسان اذا النفسين)
بل المناسب أن يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات
(ويتصف من نفسه) وفي نسخة وينصف من الانصاف بالكسر أى يعمل
بالنصفة بفتحين أى العدالة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) وفي
نسخة يستكمل الايمان ، وفي الخبر « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال
الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ، الخرائطي من حديث عمار
ابن ياسر ووافقه البخارى عليه (ولا يعلم احدا مقدار ماله وان كان من اهل البيت) أى
المطلعين على حاله (فالعلم بالقلة يورث الالهانة) أى يعده من الفقراء (وبالكثرة
عدم الرضاء) أى بانفاقه وعده من البخلاء (وورد استر ذهبك) أى ونحوه من
الفضة وغيرها (وذهابك) أى انتهاء سفرك من حضرك (ومذهبك) أى فى موضع
تخاف اظهاره فظاهر مشربك والحديث لم أجده اصلا (ولا يستحقرا احدا) أى من
الفجار بل من الكفار (فالعاقبة مستورة) وورد « انما الاعمال بالخوانيم ، كما فى صحيح
البخارى عن سهل بن سعد (ولا يستعظم الدنيا) فان الله قد استحقها حيث قال :
(متاع الدنيا قليل) وورد « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا
منها شربة ماء ، الترمذى وغيره عن سهل بن سعد ، والمعنى انه لا ينظر الى اهل الدنيا بعين
التعظيم لهم فى حال دنياهم ومهماعظم اهل الدنيا فى نفسك فقد عصمت الدنيا فتسقط
من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن أبى هريرة « اذا عظمت امتى الدنيا
نزعتم منها هبة الاسلام » (فهى حقيرة ومافىها) الاذكر الله وما والا له الحديث
« الدنيا ملعونة ملعون مافىها الا ما كان لله منها ، أبو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد
عن عائشة « الدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » (ولا يتكبر

عَلَى الْفَقِيرِ بَلٌّ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ . وَيَجَالِسُ الْفَقِيرَ فَهُوَ السُّنَّةُ دُونَ الْغَنِيِّ وَحَبِيبِ
الْعَافِيَةِ وَالْعَامِيِّ وَإِذَا ابْتُلِيَ لَا يَخُوضُ فِي كَلَامِهِ وَيَتَغَافَلُ عَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ وَالسُّلْطَانَ
وَإِذَا ابْتُلِيَ بِهِ يَكْثُرُ الْحَذَرُ وَإِنْ أَظْهَرَ الْحُبَّةَ وَلَا يَعْتَمِدُ فِرَاقَهُ مِرَاقَقَةَ الطِّفْلِ وَيَتَكَلَّمُ
عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَلَا يَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَهُوَ مُضِرٌّ وَيَبَالِغُ فِي الْأَدَبِ .
وَيَتَبَرَّكُ بِالْعَادِلِ .

على الفقير) أى لفقره فانه موجب لفخره ((بل على المتكبر)) أى بماله وجاهه على الفقير
فروى « التكبر على المتكبر صدقة » ((ويجالس الفقير فهو السنة)) فلا بنى نعيم عن ابن عمر
« تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر » ((دون الغنى))
أى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد « اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى؟
قال الاغنياء » الترمذى وضعفه والحاكم وصححه اسناده من حديث عائشة « اياكم ومجالسة
الاغنياء » ((وحبيب العافية)) أى الذى يكره المرض او الذى ماتت به الحى ونحوها من
الصداع فان فرعون مكث اربع مائة سنة ما حم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف فى
مطبخه، وقد ورد « انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فقيل من نعتها أنها
لا يأتيا مرض فقال ما الى اليها حاجة » وفى صحيح مسلم « من يرد الله به خيرا يصب منه »
((والعامى)) أى وغير الجاهل ((واذا ابتلى)) أى بمجلس العامى ((لا يخوض فى كلامه))
أى ويكتفى بما يحصل من مراده ((ويتغافل عما يجرى عليه)) أى بحسب مقامه ((والسلطان))
عطف على قوله الغنى أى ودون السلطان والمعنى لا يجالسه ((واذا ابتلى به يكثر
الحذر)) أى عن غضبه ((وان اظهر المحبة)) أى فى وجهه ((ولا يعتمد)) أى على اقباله
ولا على جاهه واعطاه ماله ((فراقه مراققة الطفل)) فيتحمل منه ما يتحمل عنه
((ويتكلم على حسب ارادته)) وفق طاعته واطاعته لئلا يماضيه فى دينه وآخرة
((ولا يدخل بيته وبين أهل بيته)) فى معاملته ومجاملته ((فهو مضر ويبالغ فى الأدب))
ومن آدابه لأصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب
الالفاظ والمباني وتحسين البيان والمعاني وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة
باخلاق الملوك السابقة واللاحقة . وقلة المداعبة فى مجالس المصاحبة . وان لا يتجشئ
بحضرته ولا يتخلل بعد الأكل فى صحبته ((ويتبرك بالعاقل)) فهو من السبعة الذين « يظلمهم

وَيَدْعُو لَهُ بِالصَّلَاحِ فَفِيهِ صَلَاحُ الْعَامَّةِ وَيَسْتَعِيدُ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ
الْإِحْتِمَالُ إِلَّا فِي كَشْفِ السِّرِّ وَالْقَدْحِ فِي الْمُلْكِ وَالتَّعَرُّضِ فِي الْحَرَمِ وَالْعَاقِبَةُ لِفَسَادِ
الزَّمَانِ ، وَوَرَدَ « خَالَطُوا النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ وَزَايَلُوا الْقُلُوبَ » ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا
عَلَى مَنْ جَرَّبَ تَحْقِيقًا فِي الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فَلَا يَجِدُ جُزْأً

الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله)) (ويدعو له بالصلاح) ولو كانت له دعوة واحدة
مستجابة ((ففيه صلاح العامة)) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص
داخل في العام ((ويستعيد)) أى بالله الملك العلام ((عند الدخول عليه)) خوفا من
الزلل والخطل لديه ((وعليه)) أى ويجب على السلطان ((الاحتمال)) أى التحمل
عن مجالسة وهوانسة ((الا في كشف السر)) أى لغير المحرم ((والقدح في الملك))
أى الطعن فيه بما ينافيه ((والتعرض في الحرم)) أى من امرأته أو جاريتها أو ولده
أو عبده ((والعامة)) أى ودون عامة الناس فلا يجالسهم ((لفساد الزمان)) أى أهله
فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون
عورة ويحاسبون على النقيروالقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا
ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون يغفرون الاخوان بالنميمة والبهتان
فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا
فباطنهم الخنق لا يؤمنون في خنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد
رب المنون يحصون عليك العشرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم
فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل
عما يجرى من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم
مع الحاجة اليهم وعدم التودد والتعجب لديهم ((وورد خالطوا الناس بأعمالهم وزايلوا
القلوب)) أى وجانبوها عن ملاحظة أحوالهم ومحافظة أقوالهم، والحديث لم أجده
وللطبراني عن أبي جحيفة مرفوعا « جالسوا الكبرام وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء »
((ولا يعتمد)) أى في المحاوراة والمجالس المؤتلفة ((الا على من جرب)) أى امتحنه
((تحقيقا في الأحوال المختلفة)) كالفقير والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد
والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل أحد هنالك ((فلا يجد جزأ)) أى سهما

مِنْ مِائَةٍ مَّا يَظْهَرُ وَتَهُ وَلَا يَطْمَعُ رِعَايَةَ الْحَقِّ وَلَا مَافِي أَيْدِيهِمْ وَلَا يَعْتَابُ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ وَلَا لَطَالَ الْأَمْرُ وَلَا يَعْظُ مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْهُ الْقَبُولَ إِلَّا بِجَمَلٍ تَحْرُزًا عَنْ تَعْصِبِهِ وَيُحْمَدُهُ تَعَالَى إِنْ رَأَى مِنْهُمْ كَرَامَةً وَيَكْلَهُمْ إِلَيْهِ إِنْ رَأَى مَكْرُوهًا

واحدًا ((من مائة)) بل من ألف جزء ((مما يظهر منه)) من المودة وفي الخبر « اخبر نقله » وفي حديث آخر « الناس كأبل مائة لا تجد فيها راحلة » فلا يعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بأن يصحبه مدة في دار أو موضع وأحد من قرار فيجربه في عزله وولايته وغناؤه وفاقه أو سافر معه أو يعامله أو يقيم في شدة وبلية فيحتاج إليه في دفع الغضب ، ثم اياك ان تمازح ليبيبا أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يمت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ، ومن بلى بمجلس فيه مزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد « من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك كله » الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه ((ولا يطمع)) أي من العامة ((رعاية الحق)) أي مراعاة حقه من الأدب في قربه ((ولا مافي أيديهم)) أي ولا يطمع مافي أيديهم من المال والجاء فعن سهل بن سعد مرفوعا « ازهدي الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس » ابن ماجه وغيره ، والمعنى لا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ((ولا يعتاب من لم يقض حاجته والاطال الأمر)) أي أمر المعاتبة لأن كثرة المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة في المصاحبة ((ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا بجملا)) أي تلويحا ((تحرزا عن تعصبه)) اذا وعظ تصریحا وقد قال تعالى : (فذكر ان نفعت الذكري) أي الموعظة الحسنى ((ويحمده تعالى ان رأى منهم كرامة)) أي احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما ((ويكلهم اليه)) أي ويترك أمرهم الى الله سبحانه ((ان رأى مكروها)) تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد

وَيَسْتَعِذُّ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ. وَيُشَارِكُهُمْ فِي حَقِّهِمْ. وَيَتَغَاوَلُ عَنْ بَاطِلِهِمْ وَيَحْسِبُ
 الْكَبِيرَ كَالْأَبِ وَالصَّغِيرَ كَالْأَبْنِ وَالْمَسَاوِي كَالْأَخِ وَيُبَالِغُ فِي الْإِحْتِمَالِ
 وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ، فَوَرَدَ «اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ
 فَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ» وَالْأَصْلُ أَنَّ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلَا
 يَهْجُرُهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَوَرَدَ «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ» وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ ثَلَاثًا يُمْكُثُ
 بَعْدَ كُلِّ

قال تعالى في مؤمن آل فرعون (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري إلى الله
 إن الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا) وقال عيسى عليه السلام :
 (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (ويستعذبه
 من شرهم ويشاركهم في حقهم) أي في حق صدر عنهم (ويتغافل عن باطلهم)
 أي منكر ظهر منهم (ويحسب الكبير كالأب) أي في التوقير (والصغير كالابن)
 أي في الترحم (والمساوي كالأخ) أي الشقيق في الشفقة والرفق (ويبالغ في الاحتمال)
 أي في التحمل عن أذاهم (والإحسان) بالإعطاء وغيره (إلى أهله وغير أهله فورد)
 عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (اصنع المعروف إلى أهله) أي مستحقه (وغير
 أهله فإن لم تصب أي في إحسانك (أهله فانت من أهله) أي من أهل الإحسان إلى
 أفراد الإنسان ولو باللسان ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعیف (والأصل)
 أي القاعدة المطردة في حقوق المسلم (أن يحب له ما يحب لنفسه) أي مثل ما يحب و كذا
 يكره له ما يكره لنفسه كما سبق في الحديث وورد «من سره أن يزحزح عن النار ويدخل
 الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب
 أن يؤتى إليه» رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام «يا أبا هريرة أحسن
 مجاورة من جاورك تكن مؤمناً واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً» الخرائطي
 في مكارم الأخلاق (ولا يهجره) أي إذا غضب عليه (فوق ثلاثة أيام فورد) أي
 في الصحيحين عن أبي أيوب (أنه) أي الشأن (لا يحل) أي لمسلم أن يهجر أخاه فوق
 ثلاث يلتقيان (ويستأذن للدخول ثلاثاً) أي ثلاث مرات لما سيأتي (يمكث بعد كل)

قَدَرُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ وَأَنْ يَفْرَغَ مِنَ الْأَكْلِ وَالتَّوَضُّعِ،
فَوَرَدَ «الاستئذان ثلاثاً فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون
أو يرددون» وَلَا يَطْلُعُ عَلَى الْبَابِ وَيَدْفَعُهُ لِنَا وَلَا يَقُولُ أَنَا عِنْدَ الْبَابِ وَلَا يَا غُلَامُ
بَلْ يَحْمَدُ وَيُسَبِّحُ وَيَتَنَحَّنُ وَيَعُودُ الْمَرِيضَ فِي ثِيَابٍ نَظِيفَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ وَيَجْلِسُ عِنْدَ
رُكْبَةِ الْمَرِيضِ دُونَ رَأْسِهِ،

أي كل استئذان (قدر أن يصلي ركعتين) وهو الأقل (أو أربع ركعات) وهو
الأكثر (وأن يفرغ من الأكل) أن كان مشغولاً به (والتوضي) أو الغسل أو الصلاة
أو أمر آخر من المهمات (فورد) عن أبي هريرة كما رواه الدارقطني في الأفراد
بسند ضعيف (الاستئذان ثلاث) أي ثلاث مرات (فالأولى) وفي رواية فالأولة
(يستنصتون) أي يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفي رواية
«يستمعون» أي يسمعون (والثانية يستصلحون) أي يطلبون صلاحهم في الأذن
بدخوله أو بعده ويتشاورون (والثالثة ياذنون أو يرددون) أي وفق ما يختارون
وفي الصحيحين من حديث أبي موسى «الاستئذان ثلاثاً فإن أذن لك وإلا فارجع» وقد قال
تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذن لكم) (ولا يطلع على الباب) أي
لا يقف بحيث ينكشف الحجاب (ويدفعه لنا) أي بظفر ونحوه هيناً (ولا يقول أنا)
أي فلان (عند الباب) أو لا يقول أنا إذا قيل من بل يقول أنا فلان ونحوه (ولا يا غلام)
أي من وراء الاستار بأن ينادي أحد غلمان صاحب الدار أو عبده في مقام الإظهار
(بل يحمده ويسبح) أي ويذكر الله بالتهليل ونحوه (ويتنحّن) أي إذا كان معروفاً
بتنحّنه أو إيماء بأنه هناك من يريد دخوله (ويعود المريض) فهو من جملة حقوق
المسلم على المسلم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حق المسلم على المسلم خمس رد
السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس» (في ثياب
نظيفة) بل في بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كشيقة أنه حزين عليه لما رأى
علامة الموت لديه (غير عابس) أي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشة تشرح صدره وتفتح
أمره (ويجلس عند ركة المريض) أي إذا كان مضطجماً ليقع نظر المريض على وجهه
زائره (دون رأسه) أي لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه إلى التكلف في توجيهه إليه وتلفته

و يَضَعُ الْيَدَ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ يَدِهِ . وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ ، فَهُوَ السَّنَةُ وَلَا يَحْدُثُ
إِلَّا بِمَا يَسْرُهُ وَمَا هُوَ خَيْرٌ فَالْمَلَائِكَةُ يُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ وَيُبَشِّرُهُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَسُرْعَةِ
الصَّحَّةِ ، وَيَغْتَمُّ دُعَاءَهُ فَهُوَ كَدُّعَاءِ الْمَلَائِكَةِ ، وَيَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَقِيهِ
الشِّفَاءِ أَنْ لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ .

عليه ((ويضع اليد على جبهته أو يده)) يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه
((ويسأله)) أى يسأل غيره عنه ((كيف هو)) أى كئلا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا
اذا كان مغلوبا فى بابه والافيقول : كيف اتم وما حالكم أو كيف تجدك ونحو ذلك
((فهو السنة)) أى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع أحدكم يده
على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ((ولا يحدث)) أى عنده ((الا بما يسره))
أى لا بما يضره ((وما هو خير)) من الدعاء، ولنفسه ((فالملائكة يؤمنون عليه))
أى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين ((ويبشره بطول العمر
وسرعة الصحة)) أى وسهولة الأمر وبأن المرض كفارة للسيئات أو رفع للدرجات
وانه انما يكون فى قليل من الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد اذا مرض
العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال : انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد
الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا
شفيته ان أبدله لما خيرا له من الجنة وما خيرا له من دمه وان اكره عنه سيئاته مالك فى الموطأ
من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى ،
وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث ، ولبيمقى من حديث أبى هريرة ، قال الله
تعالى « اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقته من أسارى ثم أبدلته
لما خيرا من الجنة وما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل ، واسناده جيد وجملة آداب المريض
حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفرع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على
خالق الداء والدواء وسائر الاشياء ((ويغتم دعاءه)) أى المريض ((فهو كدعاء
الملائكة)) فى كونه مستجابا وقد سبق كوز دعاء المريض مجابا ((ويدعو له بالشفاء
سبع مرات فقيه الشفاء ان لم يحضر اجله)) فلا بى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا
« من عاد مريضاً يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم

و يُغْبِ فِيهَا وَهِيَ مَرَّةٌ سَنَةً ، وَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ ، وَوَرَدَ النَّهْيُ فِي عِيَادَةِ صَاحِبِ
الرَّمَدِ • وَالْدَّمَلِ وَوَجَعِ الضَّرْسِ • وَالْجَرَبِ • وَالْعَرَقِ الْمَدْنِيِّ وَيُسَمَّعُ الْمُحْتَضَرُّ

اي يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض « (ويغيب فيها) بضم اوله أى يعود يوم ما
بعديوم أو وقتا بعد وقت لما سبق من حديث « زرغبنا تزددحبا » وعن جابر « اغبوا
في العيادة واربعوا الا ان يكون مغلوبا » ابن أبي الدنيا وأبو يعلى واسناده ضعيف ، وقال
بعضهم : عيادة المريض بعد ثلاث وينبغي ان يخفف فيها فروى ابن أبي الدنيا في كتاب
المرض من حديث أنس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ، ورواه البيهقي عنه
بلفظ « العيادة فواق ناقة » وقال طاوس : افضل العيادة اخفها « (وهي مرة سنة) عند
الشافعي وفرض كفاية عندنا » (والزيادة فضل) وأما ما في الاحياء من ان ابن عباس
قال « عيادة المريض مرة سنة » فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر
الكثير عليها مرتبة في التعمية الكتابية والحسائية ان العيادة فيها الزيادة على العيادة
وقد تقدم حديث « اذا عاد المسلم اخاه أو زاره ناداه مناد طبت وطاب مَثَاك وتبوات
منزلا في الجنة » الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة وفي السنن الاربع والحاكم من حديث
علي « من أتى اخاه المسلم عائدا مشى في خرقه الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة
فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسي وان كان مساء صلى عليه سبعون
الف ملك حتى يصبح » واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ، ولمسلم
من حديث ثوبان « من عاد مريضا لم يزل في خرقه الجنة » والحاكم والبيهقي من حديث
جابر « اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها » وقال
الحاكم : صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر ، وذكره مالك في الموطأ بلاغا
بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها ، والطبراني في الصغير من حديث أنس
« فاذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن
حزم استنقع فيها « (وورد النهي في عيادة صاحب الرمد) بفتحين أى وجع العين
(والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة « (ووجع الضرس) أى السن « (والجرب) بفتح
بفتحين وهو الحسك « (والعرق) بالكسر « (المدني) منسوب الى المدينة اذ لم
توجد غالبا في القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التي تبدو من الجماعة الكبيرة
(ويسمع) أى العائد « (المحتضر) اي الذي احتضره الموت بعلامات دالة له على الموت

كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ دُونَ الْحَاحِ وَيُعَجِّلُ تَغْطِيَةَ وَجْهِ الْمَيِّتِ . وَتَغْمِيضَ عَيْنَيْهِ . وَتَجْهِيْزَهُ
وَتَكْفِيْنَهُ بِأَطْيَبِ الثِّيَابِ . وَأَيُّضَهَا لَأَنَّ كَثْرَتَهَا قِيَمَةٌ . وَيُعْزَى الْمَصَابَ ،
وَهِيَ تَسْكِينُ قَلْبِهِ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْأَعْلَامِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ مُصَاحَفًا

وهي سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الاتف وانفتاح العينين وانخفاض
الصدغين ((كلمة التوحيد)) وهي لا اله الا الله فتقدم حديثه من كان آخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة ، وفي صحيح مسلم وغيره « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » أي
المشرفين على الموت كحديث « اقرءوا على موتاكم يس » احمد وغيره ((دون الحاح)) أي
لا يلح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لا
يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من
ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان
على اختلاف في الاقرار انه شرط أو شرط الايمان في أول دخول المسلم في ميدان
الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ((ويعجل تغطية وجه الميت)) أي بعد ربط
حنكته ورجليه ((وتغميض عينيه)) فان الميت اذا برد تيسر اعضاؤه وتوحش
اجزأؤه ((وتجهيزه)) أي غسله وما يتعلق به ((وتكفينه بأطيب الثياب)) بان يكون
من وجهه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب ((واييضها)) لاحاديث وردت في هذا الباب
كقوله عليه السلام « البشوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب و كفنوا فيها موتاكم »
رواه احمد وغيره عن سمرة ، وفي رواية له عنه بلفظ « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها
احياؤكم و كفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » وفي رواية الدارقطني في الافراد
عن أنس « خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم و كفنوا فيها موتاكم » ((لا اكثرها
قيمة)) بل اوسطها المعتبر في جميع الباب ((ويعزى المصاب)) أي المتلى بموت احد
من الاقارب والاحباب ((وهي)) أي التعزية المعبر عنها بالتسلية ((تسكين قلبه)) أي
قلب المصاب ((بالموعظة)) أي بما وقع من الكتاب ((والاعلام)) بجزيل الثواب ((
حيث قال تعالى : (و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) ، (وانما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب) وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع في مقام الحجاب
في الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا « من عزى مصابفله مثل اجره »
وللترمذي عن أبي هريرة ولفظه « من عزى ثكلى كسى برداً يوم القيامة » ((مصاحفا))

بِالتَّوَّاضِعِ وَإِظْهَارِ الْحُزَنِ وَقَلَّةِ التَّكَلُّمِ وَتَرْكِ التَّبَسُّمِ . وَيَشْهَدُهُ بِالْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ :
وَيَدْعُو لَهُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، فَرَدَّ « لَا تَذْكُرُوا مَوْتَكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » وَيَشِيعُ الْجَنَازَةَ خَاشِعًا
مُتَفَكِّرًا فِي الْمَوْتِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ . وَيُصَلِّي عَلَيْهِ . وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ

أى لا معاظنا كما يفعله عامة أهل مكة (بالتواضع) أى باظهاره معه (واظهار الحزن)
اشعارا بمشاركتة له فيه (وقلة التكلم) أى بامور الدنيا (وترك التبسم) لانه
دلالة على الغفلة عن احوال العقبى (ويشهده) أى للبيت (بالخير) أى باعمال
الخير ظاهرا (والايمان) أى باطنا تحسينا للظن بالمسلم (ويدعوه عند الذكر)
أى عند ذكره (فردد لانه كروا موتاكم الا بخير) فى أبى داود وغيره عن ابن عمر
« اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساوئهم » (ويشيع الجنازة) فى
الصحيحين عن أبى هريرة « من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن
فله قيراطان » ولمسلم من حديث ثوبان « القيراط مثل جبل احد » ولما روى أبو هريرة
الحديث وسمعه ابن عمر قال « لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة » (خاشعا)
أى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع (متفكرا فى الموت) أى وفيما بعده
وقبله من الفوت ، وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغد فانار انحنون موعظة
بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة
أخيه وهو يبكى ويقول : والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم
ما دمت حيا (والاستعداد له) أى للموت لحديث « كفى بالموت واعظا » الطبرانى عن
عمار ، ولا حمد فى الزهد « كفى بالموت مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة » ولا بن
السنى عن انس « كفى بالدهر واعظا بالموت مفرقا » (غير متكلم) أى من كثرة الحزن
والملال واشتغال البال فى أمر المآل ، قال الاعمش : كنا نشهد الجنائز فلا ندرى
لمن نعزى لحزن القوم كلهم ، واما كلام الغزالى وان يمشى امام الجنازة بقربها وملاحظة
الميت فمذهب الشافعى والمختار عندنا ان يمشى ورائها فان الجنازة متبوعة لاتابعة كما
ورد ، وملاحظة الميت انما تصور اذا كان ورائه مع ما فيه من الاشارة الى انه من
السابقين وانما من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حيثما نسب
واقرب (ويصلى عليه) أى صلاة الجنازة فهى فرض كفاية (ويقرأ الفاتحة

عند رأسه وأول البقرة عند رجليه ويدعوله ويتبرك به . ويجتهد أن يكون
عدد المصلين أربعين، فهو علامة قبول الشفاعة ولا يرجع حتى يفرغ من الدفن .
ويقعد بعد وضع الجنازة في القبر مخالفة لأهل الكتاب . ويتصدق الولي قبل
مضي ليلة بشيء إن تيسر وإلا يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي . والتكاثر
عشراني كل ويهبه الثواب . ويسلم ويقف مستدبر القبلة . ويواظب على

عند رأسه) أي بعد دفنه (وأول البقرة) أي إلى المفلحون (عند رجليه ويدعو
له) أي بالرحمة والمغفرة أو بالتثبيت في جواب الملكين (ويتبرك به) أي حيث أنه
خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر إبراهيم الزيات إلى الناس يترحمون على
ميت فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان أولى لأنه نجاة من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت
قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن (ويجتهد) أي المصاب
(أن يكون عدد المصلين) أي على جنازة قريبه (أربعين) أي لا أقل من ذلك
(فهو علامة قبول الشفاعة) أي لأنه يعدد عن كرم الله أن لا يقبلها من هذه
الجماعة ولعله رواية والافني ابن ماجه عن أبي هريرة « من صلى عليه مائة من المسلمين
غفر له » (ولا يرجع) أي من غير ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليحوز القيراطين
(ويقعد) أي لا يقف (بعد وضع الجنازة) أي لا قبله واختلف أن المراد به وضعا
عن الرقاب أو كما قال المصنف (في القبر مخالفة لأهل الكتاب) في هذا الأمر
(ويتصدق الولي قبل مضي ليلة بشيء) أي من الصدقات والخيرات (أن تيسر)
فإن الميت حينئذ كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة (والا) أي وإن لم تيسر
التصدق الحسى فيصدق بالمعنوى وهو أن (يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي)
أي لأجل حفظه من العذاب (والتكاثر) أي وسورة الها كم التكاثر حتى زرتم المقابر
للاعتبار والتذكرو ترك المفاخر (عشرا) أي عشر مرات (في كل) أي من الركعتين
(ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) أي على صاحب القبر (ويقف
مستدبر القبلة) أي ومستقبل الميت كما هو في آداب السلام مع الأنام ويجوز أن يجلس
عنده حتى يستأنس به ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ف قيل له في ذلك فقال : اجلس
إلى قوم يذكرون معادي وإن قتلت عنهم لم يغتابوني (ويواظب) أي الولي (على

الصدقة سبعة أيام ويزور القبر ناويا به الدعاء والرقعة والعبرة ، فورد
 « زوروا القبور فانها تذكر الآخرة وتدمع العين وترق القلب » من لم ينس
 المقابر والبلى حين قيل من ازهد الناس ؟ ويقرا القرآن ما تيسر ثم يسبح ويدعو ،

الصدقة سبعة أيام ويزور القبر) اى قبر صاحبه أو القبور (ناويا به الدعاء)
 لاهله (والرقعة والعبرة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفى
 رواية ابن ماجه عن ابى هريرة « فانها تذكركم الآخرة » (وتدمع العين وترق القلب)
 وفى رواية الحاكم عن انس « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق
 القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا » وفى رواية ابن ماجه عن ابن
 مسعود « فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة » (من لم ينس) اى وورد ايضا من لم ينس
 (المقابر والبلى) اى الفتنة فى عالم البلاء (حين قيل من ازهد الناس) ظرف لورد
 المقدر فتدبر ، وفى رواية البيهقى عن الضحاك مرسل « ازهد الناس من لم ينس القبر
 والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه
 فى الموتى » وفى رواية الترمذى وغيره عن أسما بنت عميس « بنس العبد عبد تخيل واختال
 ونسى الكبير المتعال بنس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بنس العبد
 عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بنس العبد عبد عتا وطغا ونسى المبتدأ والمنتهى
 بنس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بنس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بنس
 العبد عبد طمع يقوده بنس العبد عبد هوى يضله بنس العبد عبد رغب يذله » والحاصل
 ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللزور الاتقاع بالدعاء ، وعن عمر
 ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة
 فقال عمر الفقيه : لو رأيتنى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحدقتان
 فسالتا على الخدين وتقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم وتن البطن وعلا
 الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن
 (ويقرا القرآن ما تيسر) فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى « اقرءوا القرآن فانه
 يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه » (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه
 وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار ، وعن حاتم الاصم
 « من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم » وقال سفيان : من اكثر

وَوَرَدَ قِرَاءَةُ يُسَ فِي الْمَشَاهِيرِ وَالْإِخْلَاصِ سَبْعًا فَوَعَدَ فِيهِ مَغْفِرَةُ الْمَيِّتِ
وَالْقَارِئِ إِنْ غَفَرَ لِلْيَتِّ وَيَعِينُ لَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ . وَالْاِثْنَيْنِ
فَالْمَوْتَى يَعْلَمُونَ زُورَهُمْ فِيهَا . وَلَا يَطْوُهُ وَلَا يَمْسُ ، فَوَرَدَ النَّهْيُ وَلَا يَقْبَلُ وَيَبْرُ
الْوَالِدَيْنِ فَالْعُقُوقُ مِنَ الْكِبَائِرِ

ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر
النيران » (وورد قراءة يس في المشاهير) اى فى الاحاديث المشهورة او الروايات
المأثورة فقد تقدم حديث « اقرءوا على موتاكم يس » وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى
المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على الحقيقة واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا
يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعده فيه مغفرة الميت
والقارىء ان غفر لليت) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجده اصلا والمشهور انه يقرأ
ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات ففى مسند احمد وغيره عن ابى « من
قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن » وفى رواية العقيلي عن رجاء الغنوى « من قرأ
قل هو الله احد ثلاث مرات فكانما قرأ القرآن اجمع » وفى رواية لاحمد عن معاذ بن
انس « من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » (ويعين لها) اى
لزيرة القبور (يوم الخميس والجمعة) فى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر
والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له (والسبت) اى لقربه الى الجمعة
(والاثنين) فانها ايام فواضل والعبادة فيها زيادة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم
فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطؤه) اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن
ابى هريرة لان اطأ على جمرة احب الى من ان اطأ على قبر (ولا يمس) اى القبر ولا التابوت ولا
الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام
(ولا يقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى بالتقيل مختص بالحجر الاسود
وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (ويبر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير
الدارين قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة
احدهما على وجه لا يحتمل لهما (من الكبائر) وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل
عليه السلام عن الكبائر فقال سبع الاشراك بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وجل

لَاسِيَمًا أَلَامَ ، فَوَرَدَ «بِرَّهَا ضَعْفَانِ عَلَى الْوَالِدِ» مُقَدِّمًا عَلَى الْمُنْدُوبَاتِ لَا الْوَاجِبَاتِ ،
فَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ «بِرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ،
وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَيَنْفِذُ عَهْدَهُمَا وَوَصَايَاهُمَا وَيُكْرِمُ
أَصْدَقَاءَهُمَا» فَوَرَدَ

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وللطبراني في الصغير من حديث أبي
هريرة «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجدر بها عاق» (لا سيما الأم فورد برها
ضعفان على الوالد) أي على حقه كذا في الأحياء وقال مخرجه: غريب بهذا اللفظ وقد ورد
في معناه حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم
أباك ثم الأقرب فالأقرب» أبو داود والترمذي والحاكم وصححه، وفي الصحيحين من حديث
أبي هريرة «قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»
ولعله مقتبس من قوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)
فإن مشقة الحمل والوضع والقطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من ثل الشفقة والرحمة،
هذا وللنسائي من حديث طارق المحاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رزمة «بر أمك
وأباك واختك وإخاك ثم أذنك فأذنك» (مقدما) حال من فاعل يبر (على
المندوبات لا الواجبات) أي الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد
بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد) أي إذا كانت هذه
الطاعات نوافل ولا يبعد أن يراد به المبالغة أو يزداد به من حيث أنه من حقوق العباد
المستلزمة لحق الله سبحانه أفضل من مجرد حقوق الله تعالى فإن المفوف ترك حقوق
الرب أقرب ويؤيده ما في الأحياء من أن الله تعالى «أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى إنه
من بر والديه وعقني كتبته باراً ومن برني وعق والديه كتبته عاقاً» وأما حديث المتن
فكذا في الأحياء وقال مخرجه لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط
من حديث أنس «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنني اشتيت الجهاد ولا أقدر
عاليه قال: هل بقي من والدك أحد؟ قال: أي قال لجاهد في برها فإذا فعلت ذلك فانت
حاج ومعتمر ومجاهد» وإسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) أي ادباً معهما حال
حياتهما (ويستغفر لهما) أي بعدما تمها (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى
حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم أصدقاءهما فورد) أي في صحيح مسلم من حديث

« إِنَّ مِنْ أَمْرِ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّايِهِ بَعْدَ أَنْ يُولِيَ الْآبُ »
 وَيَتَصَدَّقُ لهُمَا وَيُزُورُهُمَا حَيًّا وَمَيِّتًا ، فَوَرَدَ « مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فِي كُلِّ
 جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ بِرًا » وَيَقْطَعُ لِسَانَ السَّفِيهِ عَنْهُمَا بِمَالِهِ ، فَهُوَ مِنَ الْبِرِّ وَيَقْدُمُ
 حَقَّ الْمَعْلَمِ عَلَى حَقَّهُمَا فَهُوَ حَيَاةُ الرُّوحِ وَلَا يَقْرَعُ بَابَ دَارِهِ ، فَوَرَدَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ
 صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وَيَصِلُ الرَّحِمَ بِمَا أَمَكَنَ

ابن عمر (ان من ابر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى
 الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودايه بعد ان يولى الاب
 اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته او موته ، و كذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى
 فروى أبو داود . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك
 ابن ربيعة « قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بنى سلية فقال : هل
 بقى على من بر والدى شيء ابرهما بعد وفاتهما ؟ قال : نعم الصلاة عليهما والاستغفار
 لهما وافتادعهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا يوصل الا بهما » : (ويتصدق
 لهما) لحديث الطبرانى فى الاوسط و ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان
 يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص
 من أجورهما شيء . » (ويزورهما حيا وميتا) وأقله فى كل جمعة مرة (فورد من
 زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة) اى بخصوصه وهو الافضل لتضاعف الحسنه
 فيه سبعين مرة أو فى كل أسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن أبى
 هريرة (ويقطع لسان السفیه عنهما بماله فهو من البر) اى فى حقه وحقهما ففى رواية
 العسکرى والقضاعى عن جابر مرفوعا « ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة » (ويقدم
 حق المعلم) اى للعلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الفرعية (فهو)
 اى المعلم سبب (حياة الروح) اى فى الابد وهما سبب إيجاد الجسد فى دار النكد
 والكبد (ولا يقرع باب داره) بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى « الشيخ فى قومه
 كالنبي فى أمته » (فورد) اى فى آى التنزيل (ولو أنهم) اى المؤمنین الذين أتوا النبی
 ﷺ (صبروا) اى من غير خطاب ولا دق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب
 أو اياب (لكان خيرا لهم) فى كثرة ثواب وحسن مأب (ويصل الرحم بما أمكن

من عطاء وزيارة ودعاء، فورد « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه
بلوا أرحامكم ولو بالسلام » قيل يكره جوار القريب فهو يرفع الحرمة ويورث

القطيعة

من عطاء وزيارة ودعاء) وكذا ما يعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) لم أجد أصله، وفي الصحيحين من حديث عائشة عنه
عليه السلام « يقول الله تعالى : أنا الرحمن وهذه الرحم شقت لها اسمًا من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها تبته أي قطعت البتة » وفيها من حديث أنس « من سره
أن ينسأله في أثره - أي يؤخر في أجله - ويوسع في رزقه فليصل رحمه » وزاد أحمد
والحاكم بإسناد جيد من حديث علي « فليقلق الله وليصل الرحم » ولأحمد والطبراني
من حديث ذرة بنت أبي طه بآسان حسن « أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أي الناس أفضل ؟ قال : اتقاهم لله وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهم
عن المنكر » والطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو « أن الرحم معلقة
بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها »
وهو عند البخاري دون قوله « الرحم معلقة بالعرش » فرواها مسلم من حديث
عائشة، ولأحمد من حديث معاذ، والطبراني من حديث أبي أمامة « أفضل الفضائل
أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عن ظلمك » وقالت أسماء بنت
أبي بكر « قدمت على أمي فقالت : يا رسول الله إن أمي قدمت على مشركة أفصلها ؟ قال
نعم صلها » رواه الشيخان، وفي رواية « أفاعطيها قال نعم صلها » وهو مقتبس من
قوله تعالى : (وصاحبهما في الدنيا معروفا) وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من
حديث سلمان بن عامر الضبي « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة
وصلية » (بلوا) أي وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة أي جددوا وفي رواية
صلوا (أرحامكم ولو بالسلام) أي مشافهة أو مكاتبة ، والحديث رواه العسكري
من حديث أنس مرفوعا (قيل يكره جوار القريب) أي مجاورته وكذا مسافرتة
(فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة) أي بسبب الملاقة كما قيل في كراهة مجاورة
مكة والمدينة أنها سبب قلة الحشمة والعظمة، وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى
عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، ونظيره أنه كان يقول في الحج

ويزوره غبا ويراعى حق الكبير كحق الأبوين والصغير كالولد، ويشتره
 مملوكا ليعتق لاسيما الوالدين فهو قضاء حقهما . ويبلغ في استرضاء الجار،
 فورد « مازال جبريل يوصيني في الجار حتى ظننت أنه سيورثه »

يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل العراق عراقكم ويا أهل الشام شامكم (ويزوره غبا)
 أى ليزداد حبا (ويراعى حق الكبير) من الأخ والاخت والعم والعمة والخال
 والحالة (كحق الأبوين والصغير) أى منهم (كالولد) أى والمساوى كالأخ
 (ويشتره) أى قربه (مملوكا ليعتق) أى لاجل أن يعتقه أو ليعتق عليه
 اذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا (لاسيما الوالدين فهو قضاء
 حقهما) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا
 فيشتره فيعتقه » أى بان ينوى عتقه أو يصير سيدا لعتقه (ويبلغ في استرضاء الجار)
 قليل الجار ثم الدار، واستنبط هذه النكتة من قول آسية امرأة فرعون (اذ قالت
 رب ابن لى عندك يتناني الجنة) . (فورد) أى فى الصحيحين عن عائشة . وابن عمر
 (مازال جبريل يوصيني في الجار) أى الاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت أنه)
 أى الجار (سيورثه) أى الجار الآخر، وفيهما عن أبى شريح « من كان يؤمن بالله
 واليوم الآخر فليكرم جاره » وللبخارى عنه « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه »
 والبخاري . وابو الشيخ وابو نعيم عن جابر « الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له
 ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
 وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام
 وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » أقول : فلعل حقه أقوى من غيره لانه لا يسامحه
 فى قصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر و غلام له
 يسلم شاة فقال : يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له
 كم تقول هذا ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى
 خشينا انه سيورثه » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب، ولاحمد والحاكم
 وصححه من حديث أبى هريرة « انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم
 الليل وتؤذى جيرانها فقال : هي فى النار » وللخراطي . وابن عدى عن عمرو بن شعيب
 عن أبيه عن جده « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعتته وان استقرضك

وَيَمْنُ الدَّارِ سَعَتُهُ وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ، وَوَرْدُ فِي حِدَّةِ أَرْبَعُونَ دَارًا، وَرَوَى أَرْبَعُونَ

أَقْرَضَتْهُ وَإِنْ افْتَقَرَ عَدَتْ إِلَيْهِ وَإِنْ مَاتَ شِيعَتُ جَنَازَتَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأَتْهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَيْتَهُ وَلَا تَسْتَطِلُّ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ فَتُحْجَبُ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكْهَةً فَاهْدِلْهَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَادْخُلْهُ سِرًّا وَلَا تَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِیْظَ بِهَا وَلَدَهُ وَلَا تُوْذِهِ بِقِتَارٍ قَدْرَكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا اتَدْرُونَ مَا حَقَّ الْجَارُ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مِنْ رَحِمَةِ اللَّهِ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: إِذَا طَبَخْتَ فَكَثِّرِ الْمَرْقَ ثُمَّ انْظُرِ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرْنَ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَجَمَلَتْهُ أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَقَدْ حَكِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ شَكَكَ كَثْرَةَ الْفَارِ فِي دَارِهِ فَقِيلَ لَوَاقْتَنَيْتَ هَذَا فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ الْفَارُ صَوْتَ الْمَرْءِ فَيَهْرَبَ مِنْهُ إِلَى دَارِ الْجَارِ فَكَوْنُ قَدْ أَحْبَبْتَ لَهُ مَا لَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ((وَيَمْنُ الدَّارِ)) أَيْ وَوَرْدُ بَرَكَتِهِ ((سَعَتُهُ)) أَيْ وَسَعَتُهُ بِقَدْرِ كِفَايَتِهِ ((وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ)) أَيْ بِجَاوِرَتِهِ فِي مَحَاوِرَتِهِ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ قِيلَ فَيَمْنُ الدَّارِ سَعَتُهُ وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشُّؤْمُهُ ضَيْقُهُ وَسُوءُ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشُّؤْمُ الْمَرْأَةِ عَقْمُ رَحِمِهَا وَسُوءُ خَلْقِهَا وَيَمْنُهَا خَفَةُ مَهْرِهَا وَيَسْرُ نِكَاحِهَا وَحَسَنُ خَلْقِهَا وَيَمْنُ الْفَرَسِ ذَلُّهُ وَحَسَنُ خَلْقِهِ وَشُّؤْمُهُ صَعُوبَتُهُ وَسُوءُ خَلْقِهِ، وَلِلدِّمِيَّاطِيِّ مِنْ رِوَايَةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْسَلًا: إِذَا كَانَ الْفَرَسُ ضَرْوبًا فَهُوَ مَشْؤُومٌ وَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ عَرَفَتْ زَوْجًا قَبْلَ زَوْجِهَا لَحْنَتْ إِلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ فَهِيَ مَشْؤُومَةٌ وَإِذَا كَانَتِ الدَّارُ بَعِيدَةً مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ فَهِيَ مَشْؤُومَةٌ وَاسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَوَصَلَهُ صَاحِبُ الْفَرْدُوسِ بِذِكْرِ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَنَاقِي مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بَنِي سُلَيْمَةَ دِيَارُكُمْ دِيَارُكُمْ نَكْتَبُ آثَارَكُمْ»، فَانْهَ عَمَلُ عَلَى أَنْ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فَهِيَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ مُبَارَكَةٌ وَمَقْبُولَةٌ ((وَوَرْدُ فِي حِدَّةِ أَرْبَعُونَ دَارًا)) فَعَنْ الزَّهْرِيِّ مَرْسَلًا: «أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنَادِيَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارًا، أَبُو دَاوُدَ فِي مَرَاثِيلِهِ قَالَ الزَّهْرِيُّ: «أَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَوْمًا إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ»، وَوَصَلَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ أَرْبَعُونَ: ذِرَاعًا وَكَلَامًا ضَعِيفٌ ((وَرَوَى أَرْبَعُونَ

فِي كُلِّ جِهَةٍ وَيَحْتَرِزُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى بَيْتِهِ وَإِجْرَاءِ الْمِيزَابِ إِلَيْهِ وَوَضْعِ السَّارِيَةِ
عَلَى حَائِطِهِ وَالْمُضَايِقَةِ فِي إلقاءِ التُّرَابِ بَيْنَ يَدَيْ دَارِهِ وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ الرِّيحُ بَرَفِ الْبِنَاءِ
وَلَا نَحْوِ الْمِلْحِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ ثَمَرَةً يَشْتَرِيهَا أَوْ يُخَفِّفُهَا وَلَا يَبْلُغُهُ رِيحُ
الْقَدْرِ إِلَّا أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ وَيُسَامَحَ مَا أَمَكَ

في كل جهة) وهذا قد علم مما تقدم فكأنه يشير إلى ما قيل من أن المراد بـ «ربعين» في مجموع الجهات
بأن يكون عشرة في كل جهة، وعن عائشة «قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما
مقبل بيابه والآخر نائبا به عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فإيهما أعظم حقا
قال: المقبل عليك بيابه» رواه البخاري ففيه تنبيه إلى مراعاة الأقرب كما يشير إليه قوله
تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب) وعن ابن مسعود «قال رجل يا رسول الله كيف
لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت
وإذا سمعت جيرانك يقولون أسأت فقد أسأت» أحمد والطبراني بإسناد جيد، ولاحمد
وغيره عنه عليه السلام «من أراد به خيرا غسله قبل وما غسله قال يحببه إلى جيرانه»
وفي رواية البيهقي «يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله» وإسناده
جيد (ويحترز عن النظر إلى بيته) بأن لا يطلع من السطح وغيره على عوراتهم وأن
اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته (واجراء الميزاب إليه) بأن يكون ضررا
الانصباب عليه (ووضع السارية) أي الأسطوانة (على حائطه) أي جداره، وفي
الصحاحين عن أبي هريرة «لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره» وفي
مكارم الاخلاق للخرائطي عن أبي هريرة «قضى عليه السلام أن الجار يضع جذعة
في حائط جاره شاء أم أبى» وإسناده جيد (والمضايقة في التراب) أي ونحوه
من الرماد وغيره (بين يدي داره ولا يمنع عنه الريح برفع البناء) وكذا الضوء
بسد الهواء (ولانحو الملح والماء والنار) فإن منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار
(ويرسل إليه ثمرة) أي فاكهة (يشترى بها أو يخفيها) بأن لا يبيد بها لانه إذا رآها ربحا
يشترىها ولم يكن قادرا على أن يشتريها (ولا يبلغه) أي لا يوصله (ريح القدر) أي
غليانه ودخانها (إلا أن يرسل إليه) والافيقال في حقه: احسانه ما يأتينا دخانه يعمينا
(ويسامح ما أمكن) أي من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الأذى بل احتمال

وَيَحْسَنُ الْمَعَاشِرَةَ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَوَرَدَ (وَعَاشَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَاتِهِ وَهَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ ثَوَابَ آسِيَةَ »

الآذَى وَلَا يَكْفِي احْتِمَالُ الْآذَى بَلْ لَا بَدَّ مِنَ الرِّفْقِ وَبَذَلِ النَّدَى (وَيَحْسَنُ الْمَعَاشِرَةَ مَعَ الْمَرْأَةِ) فَيَحْسَنُ الْخُلُقَ مَعَهُنَّ وَيَحْتَمِلُ الْآذَى عَنْهُنَّ تَرْحُمًا عَلَيْهِنَّ لِقُصُورِ عَقْلِهِنَّ (فَوَرَدَ) أَيُّ فِي الْقُرْآنِ (وَعَاشَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) تِمَامُهُ (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) وَفِي آيَةٍ أُخْرَى (فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِجُ بِإِحْسَانٍ) وَفِي أُخْرَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَتَزِينَ لَامِرَاتِي كَمَا تَحِبُّ امْرَأَتِي أَنْ أَتَزِينَ لِي لِهَذِهِ الْآيَةِ (مَنْ صَبَرَ) أَيُّ وَرَدَ مَنْ صَبَرَ (عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَاتِهِ وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ ثَوَابَ آسِيَةَ) امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ كَذَّابًا فِي الْأَحْيَاءِ وَقَالَ مَخْرَجُهُ: لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا قُلْتُ: وَمَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ ثَبُوتِهِ فَقَدْ أَلْمَأَمَةُ بَيْنَ الْفَقَرَتَيْنِ فَإِنَّ امْرَأَةَ أَيُّوبَ كَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَالصَّابِرَاتِ عَلَى الْمَشَقَّاتِ فَخَسَنَ الْمُقَابِلَةَ أَنْ يُقَالَ مِثْلُ مَا أُعْطِيَ نُوحٌ أَوْ لُوطٌ عَلَى بَلَاتِهِ أَيْ ابْتِلَاءِهِ بِامْرَأَتِهِ فَيَكُونُ مَشِيرًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَفَّتَا هُمَا) أَيْ بِالْكَفْرِ لِأَنَّ حَرَمَ الْأَنْبِيَاءِ مَصُونَاتٌ عَنِ الزِّنَا إِلَى أَنْ قَالَ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) الْآيَةُ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَطَفْهَمُ بَاهِلُهُ» التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَصَحَّحَهُ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» ثُمَّ لَيْسَ حَسَنُ الْخُلُقِ مَعَهَا بِمَجْرَدِ كَفِّ الْآذَى عَنْهَا بَلْ تَحْمِلُ الْآذَى مِنْهَا وَالْحِلْمُ عِنْدَ طَيْشِهَا وَغَضَبِهَا وَقَلَّةُ أَدْبِهَا اقْتِدَاءً بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ أَزْوَاجَهُ كُنَّ يَرَاجِعُنَّهُ فِي الْكَلَامِ وَتَهْجُرُهُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ إِلَى اللَّيْلِ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) أَيْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَفِي زَوَايَةِ أَبِي يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ وَأَبِي الشَّيْبَخِ فِي كِتَابِ الْأَمْثَالِ وَفِيهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَدْ عَنَّهُ قَالَتِ عَائِشَةُ لَهُ مَرَّةً فِي كَلَامٍ «غَضِبْتَ عِنْدَهُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ فَتُبْسِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاحْتِمِلْتَ ذَلِكَ خَلْعًا وَكِرْمًا» أَقُولُ: وَهَذَا لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَانَهَا مَا خَرَجَتْ بِهِذَا الْكَلَامُ مِنَ الْإِسْلَامِ لَمَّا أَظْلَعَهُ اللَّهُ

وَيَنْبَسُطُ لَعِبًا وَمَزَاحًا ، فَوَرَدَ « هَلَّا بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ » وَلَا يَدْعُ

الْإِنْقِبَاضَ ،

سبحانه من علم الغيب في الأحكام والا فظاها ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها « انى لأعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما أهرج اسمك » وراجعت امرأة عمر في الكلام « فقال أوتراجعيني فقلت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت ، أى ان راجعته ثم قال لحفصة : « لا تغترى بابتة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ » و يروى « أنه وقعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام : دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك » . « وينبسط لعبا ومزاحا » فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا « (فورد) » أى خطابا لجابر « (هلا بكرا) » أى أخذتها « (تلاعبها وتلاعبك) » وفي نسخة « تداعبها وتداعبك » ، وكان عليه السلام « يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن » حتى روى « أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام : هذه بتلك ، أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح ، وقالت عائشة : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عيد فقال لى : اتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاءوا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسبك يا حميراء أقول لا تعجل مرتين » والحديث رواه الشيخان والنسائي مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وكذا روى عن لقمان ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد « (ولا يدع الانقباض) » أى بالمرّة حتى لا يصير محكوما للبرأة واسيرا لها فى الحرمة فكانت نساء العرب يعلنن بناتهن اختبار أزواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رحمه فان سكنت فقطعى اللحم على ترسه فان سكنت فكبرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما

فورد «وخالفوهن فالبركة في خلافهن» ويغار بمبادئ الأمور ولها غوائل،
وورد «إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم
الله عليه»

هو حمارك في أمره طول عمره، هذا وفي البخاري عن أبي بكرة د لا يفلح قوم تملكتهم
امراة ، وروى أن اسماء بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند زفافها انك خرجت
من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفه وقرين لم تألفه فكوني له
أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا
لا تلحنى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه
واحفظى أهله وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا
ينظر منك الا جميلا ، وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتي حين أغضب
ولا تنقرينى نقرة الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب
لأنى رأيت الحب فى القلب والأذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(فورد) أى كما سبق (وخالفوهن) أى فى المشورة وأصل الحديث «شاوروهن
وخالفوهن» (فالبركة فى خلافهن) أى لقلة عقلمن ونقصان دينهن وهو من تنمة كلام
عمر رضى الله عنه «خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة» وقال الحسن «والله ما أصبح
رجل يطيع امرأته بما تهوى الا أكله الله فى النار» وأما ما أورده الغزالي من حديث
«تعس عبد الزوجة» فلا أصل له وإنما ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة
«تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» والله سبحانه أعلم (ويغار بمبادئ الأمور)
لثلاث تأدى الى مناهى الشرور (ولها غوائل) جملة حالية أى والحال ان للمرأة مناكر
ورذائل فانهن كما ورد «للشيطان حباثل» فالغيرة بعد ظهور الزينة من أخلاق الرجال
وأرباب الفضائل وأصحاب الفواضل بل من باب التخلق بأخلاق الله (وورد ان الله تعالى
يغار والمؤمن) أى الكامل (يغار) أى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا
ظاهر (وغيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه) أى من الزنى وغيره والحديث
متفق عليه من حديث أبى هريرة الا ان البخارى لم يقل والمؤمن يغار والحاصل ان الغيرة
كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة أمره

وَلَا يُفِرُّطُ ، فَوَرَدَ « مِنْ الْغِيَرَةِ غِيَرَةٌ يَبْغُضُهَا اللَّهُ » وَهِيَ غِيَرَةُ الرَّجُلِ
مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ ، وَيَمْنَعُ عَنِ الْحُضُورِ فِي الْمَسْجِدِ

((ولا يفرط)) أى لا يبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محذور ((فورد)) أى فى رواية
أبى داود والنسائى . وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ((من الغيرة غيرة يبغضها الله
وهى غيرة الرجل)) أى على أهله ((من غير رية)) أى شك وشبهة ، وفى رواية
« ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله » الحديث وجاء فى حديث عنه
عليه السلام « انى لغيرى وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقد قال على رضى الله
عنه « لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك » وقد ورد نهي عايه السلام
« عن تتبع عثرات النساء » الطبرانى ولان الغيرة من غير الرية من سوء الظن الذى
نهينا عنه فان بعض الظن اثم ، ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب
الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف ، والاعصم
الأيض البطن ، ولأحمد من حديث عمرو بن العاص « كنا مع رسول الله ﷺ
بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال : لا يدخل الجنة
من النساء الا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى
للنسائى ، وورد « استعينوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دقنها وان رأى
سيئة اذاعها وامام ان أحسنت لم يرض عنك وان أسأت غضب منك وامرأة ان
دخلت عليها لستك وان غبت عنها خاتك » الديلمى عن أبى هريرة بسند ضعيف
وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد « ثلاث من الفواقر - فذكر
منها - وامرأة ان حضرتك أذتك وان غبت عنها خاتك » وسنده حسن ((ويمنع))
أى المرأة الشابة ((عن الحضور فى المسجد)) وجوز بعض فقهاءنا حضور العجوز
من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهم لفساد الزمان
خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام « قد أذن للنساء فى حضور
المساجد » وهو متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد »
والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى
قالت عائشة رضى الله عنها : « لو علم النبى ﷺ ما أحدث الناس بعده لمنعهن
الخروج » متفق عليه ، ولما قال ابن عمر كفى الصحيحين قال عليه السلام : « لا تمنعوا

وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) الْآيَةُ وَلَا يَخْتَصُّ
بِأَجُودِ الطَّعَامِ وَيَشْتَرِكَانِ فِيهِ ، فَوَرَدَ فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَيَعْلَمُ

امام الله مساجد الله « قال بعض بيه وهو بلال وقيل سالم: بلى والله لنمنعن فضر به
وغضب عليه وهجره وقال : تسمعننى أقول قال عليه السلام « لا تمنعوا » فتقول بلى وانما
استجراً على المخالفة لعله بتغير الزمان وانما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً
من غير اظهار العذر قال : والخروج الآن أيضاً مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها
ولكن القعود أسلم والله أعلم ، فاذا خرجت فيذنبى ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا
نقول : ان وجه الرجل فى حقها عورة كوجهها فى حقه بل هو كوجه الصبي الامرء فى حق
الرجل فيحرم النظر اليه عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذلم يزل الرجال على ممر
الزمان مكتشفى الوجوه والنساء يخرجن متقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة فى حق
النساء لامروا بالتقب أو منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى ، وقد بالغ النووي
وحرم النظر الى الامرء الحسن الوجه ولو بغير شهوة (وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ) ففى الخبر
« الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة » الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر (فورد) أى
فى القرآن (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) وهى كناية عن البخل (الْآيَةُ)
أى (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) وهى كناية عن الاسراف والتبذير (فتقدم ملوماً محسوراً)
وقال عز وعلا فى نعت عباد الرحمن : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا) وقيل : كان لعل أربع نسوة يشتري لكل واحدة منهن فى كل أربعة أيام
لحمًا بدرهم ، وقال ابن سيرين : يستحب للرجل ان يعمل لأهله فى كل جمعة فالزوجة فان
الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكفاية تقتير باعتبار العادات
(وَلَا يَخْتَصُّ) أى الرجل (بِأَجُودِ الطَّعَامِ) أى لا ينبغي له ان يستأثر عن أهله
بما كول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يؤغر الصدر ويوجب الضجر الا اذا رضى
أهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله فى خفية بحيث لا يطلع عليه غيره ولا ينبغي
ان يصف عندهم طعاماً ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاماً فينبغى
ان يطعمهم اياه (وَيَشْتَرِكَانِ) أى هو والعيال (فِيهِ) أى فى الأكل على مائدته (فورد
فيه فضل كثير) ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي وقال سفيان
« بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون فى جماعة » (ويعلم) أى المرأة

مَا يَجِبُ عَلَيْهَا، وَيَعْدِلُ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْبَيْتُوتَةِ وَالْإِعْطَاءِ، فَوَرَدَ فِي الْمَائِلِ «جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ شَقِيهٌ مَائِلٌ» بِخِلَافِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْمَحَبَّةِ فَلَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا، وَوَرَدَ
«اللَّهُمَّ هَذَا جَهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ» بَعْدَ الْقَسَمِ

﴿ما يجب عليها﴾ من علم الحيض وأحكامه وأحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بان يقبها النار لقوله تعالى : (قرأ أنفسكم وأهليكم نارا) فعليه أن يلقبها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها الله اذا تساهلت في أمر دينها، وفي الأحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعي وأما عندنا فلا يجب عليها إلا قضاء العصر والعشاء ثم إن قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن أهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج وبعضى الرجل بمنعها في تلك الحال ﴿ويعدل بين النساء في البيتوتة﴾ أى في مبيت الليل عندهن ﴿والإعطاء﴾ أى من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضها دون غيرها حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن أقرع بينهن كذلك كان يفعل عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أى كمال العدل (ولو حرصتم) أى من طريق الفضل (فلا تميلوا كل الميل) أى الى واحدة عن أخرى (فتدروها كالمعلقة) بين المزدوجة والمطلقة ﴿فورد في المائل﴾ أى في القسم ﴿جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل﴾ أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعا «من كان له امرأتان فقال الى احدهما دون الأخرى» وفي رواية «فقال مع احدهما» وفي أخرى «فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل» أى ساقط ﴿بخلاف المباشرة﴾ استثناء معنوى من البيتوتة والإعطاء أى ليكن المجامعة بل الملامسة والملاعبة ﴿والمحبة﴾ أى التى يتفرع عليها غالب اسباب الملايمة ﴿فلا اختيار فيهما﴾ أى طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا ﴿وورد﴾ أى عنه عليه السلام أنه كان يعدل بينهما ويقول ﴿اللهم هذا﴾ أى الذى فعلته من القسم ﴿جهدى﴾ بالضم الطاقة وبالفتح المشقة أى غاية اجتهادى ﴿فيما أملك﴾ أى من العدل بينهما ﴿ولا طاقة لى فيما لا أملك﴾ أى من زيادة المحبة أو المجامعة الى بعضهن ﴿بعد القسم﴾ ظرف لورد أى قال هذا الكلام بعد القسم، والحديث رواه

وَلَوْ وَقَعَتِ الْخُصُومَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْ جَانِبِهِ وَلَا تَلْتَمِمْ فَلَا بَدَّ مِنْ حَكَمَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ
وَأَهْلِهَا، فَوَرَدَ (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة أنه عليه السلام «كان يعدل بينهن ويقول: اللهم هذا جهدي فيما أملاك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك»، ولا بن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل في ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن» وفي مرسل آخر له «لما ثقل عليه السلام قال: أين أنا غدا قالوا عند فلانة قال: فإن أنا بعد غدا قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة، الحديث، وللبخاري من حديث عائشة «كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة فاذن له أزواجه أن يكون حيث شاء» وفي الصحيحين «لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فاذن له»، هذا وقال تعالى: (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) ولأبي داود من حديث عائشة «قالت سودة وهي بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله يومى لعائشة» الحديث، وللطبراني «فأراد أن يفارقها»، وهو عند البخاري باللفظ «لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها يوم سودة» وللبيهقي مرسل «طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر في أزواجك» الحديث ثم أنه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان إذا ناقت نفسه إلى واحدة من نسائه في غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة «طاف على نسائه في ليلة واحدة» وللبخاري «كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» ولا بن عدي في الكامل عن أنس «أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحرة نهار» قيل: وهذا من خصوصياته عليه السلام «ولو وقعت الخصومة» أي المخالفة «من الجانبين» أي جانبي الزوجين «أو جانبه» أي الرجل وحده «ولا تلتئم» أي خصوصتهما ولا يجتمع أمرهما «فلا بد من حكمين من أهله وأهلها فورد» في القرآن «(إن يريدَا) صدر الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدَا)» (إصلاحا يوفق الله بينهما) وضمير يريدَا إلى الزوجين كضمير بينهما أو الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين، ويؤيده أن عمر رضى الله عنه

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَانِبِهَا يَعِظُ الزَّوْجَ ثُمَّ يَخُوفُ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ فِي الْفِرَاشِ ثُمَّ يَعِزُّ لَهَا
دُونَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَهْجُرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَاءَ عَشْرَةَ أَوْ عِشْرِينَ أَوْ شَهْرًا إِنْ كَانَ لِلدِّينِ
ثُمَّ يَضْرِبُ

بعث حكيمين الى زوجين فعادا ولم يصلحا أمرهما فعلاهما بالدرة وقال: ان الله يقول
(ان يريدوا أصلاحا يوفق الله بينهما) فعادا وأحسن النية وتلطفا في القضية فانصاح
ما بينهما، وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى
ادخلا بينهما أبا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام: تكلمين أو أتسكمن
فقلت: تكلم أنت ولا تقول إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فمها فقال: يا عديّة
نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره
فقال له عليه السلام: لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك ﴿وان كان﴾ أي النشوز ﴿من
جانبها﴾ أي المرأة فقط فقد قال تعالى: (والرجال عليهن درجة) وقال (الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واجبروهن
في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) وهذا معنى قوله ﴿يعظ
الزوج﴾ أي ينصحها ويلطف معها أولا لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة) ﴿ثم يخوف﴾ أي يحذر المرأة من الضرب ونحوه ﴿ثم يستدبر
في الفراش﴾ بأن يوليها ظهره في المضجع ﴿ثم يعزلها﴾ أي ينفرد بفراشه عنها ﴿دون
البيت﴾ أي من غير أن يخرج هو أو هي من البيت ﴿ثم يهجر﴾ أي يهجرها وهو مع
ذلك في البيت معها ﴿ثلاثة أيام﴾ أي من ليلة إلى ثلاث ليال ﴿وجاء﴾ أي وردانه
جازان يهجرها ﴿عشرة أو عشرين أو شهرا ان كان للدين﴾ كترك صلاة وغسل جنابة
واباء عن فراش ونحوها «فعل ذلك رسول الله ﷺ اذ أرسل بهدية الى زينب
فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أقمتك اذردت عليك هديتك أي أذلتك
واستصغرتك فقال عليه السلام: أتئن أهون على الله ان تقمّني ثم غضب عليهن كلن
شهر الى ان عاد اليهن» كذا في الاحياء وذكره ابن الجوزي بغير اسناد في الوفاء، وفي
الصحيحين من حديث عمر «كان أقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن»
وفي رواية «آلى منهن شهرا» ولمسلم من حديث جابر «ثم اعترلن شهرا» ﴿ثم يضرب﴾

غَيْرَ جَارِحٍ وَلَا كَاسِرٍ وَلَا مُلَطِّخٍ بَدَمٍ، فَوَرَدَ فِيهِ « وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ يَطْعَمُهَا إِذَا طَعِمَ وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى وَلَا يَقْبِحُ الْوَجْهَ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَا يَطْلُقُ، فَوَرَدَ « أَبْغَضُ الْمُبَاحَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ » وَلَأنَّهُ إِذَا مَا إِلَّا لَضرُورَةٍ مِنْهُ أَوْ جَنَایَةٍ مِنْهَا وَأَمَرَ الْأَبُّ بِهِ إِنْ صَحَّ الْغَرَضُ وَهُوَ مَا ثَوَّرَ

أى المرأة ضرباً (غير جارح ولا كاسر) لعظم ((ولا ملطخ بدم)) ولا على وجه أيضاً ((فورد فيه)) أى فى بيان هذا الحكم من أمره ونهيه عنه عليه السلام ((وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الاضرباً غير مبرح)) أى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت أبوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال: ولا يضرب الوجه ولا يقبح أى لا يقول قبحك الله أو قبح الله وجهك» وفى رواية لأبى داود «ولا يقبح الوجه ولا يضرب» ((ولا يطلق)) أى من غير احتياج الى اختيار الفراق ((فورد أبغض المباحات عند الله الطلاق)) رواه أبوداود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه «أبغض الحلال الى الله الطلاق» وفى رواية للحاكم «ما أحل الله شيئاً أبغض اليه من الطلاق» وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل «ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق» وفى روايه «ما أحل الله حلالاً أحب اليه من النكاح ولا أحل حلالاً أكره اليه من الطلاق» قد يقال: المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور أن يكون أحد طرفيه مبعوضاً فلا بد من التجوز فى المباح بأرادة ما يشمل المكروه، ففى الكافى أن الطلاق محظور فى أصل مباح نظراً الى الحاجة فاطلاق المباح نظراً الى الحاجة والوصف بالمبعوضة نظر الى أصله انتهى، وحاصله أنه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه، ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه ((ولأنه)) أى الطلاق ((إيذاء)) أى فى مقام الافتراق ولا يباح إيذاء الغير ((إلا لضرورة منه)) أى من جانبه ((أو جنایة منها)) أى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها أو أهله أو تكون سيئة فى خلقها أو فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى: (فان أطعتمكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) ((أو امر الأب)) أى أو لأجل أمر أب الزوج ((به)) أى بطلاقها ((ان صح الغرض)) أى غرض الأب ولا يكون عن حظ النفس أو الغضب ((وهو ما ثور))

وَوَرَدَ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الْآيَةُ فَيُطَاقُ فِي طَهْرِ خَالٍ عَنِ الْجَمَاعِ وَاحِدَةً فَقَطْ بِلَا

تَعْنِيفٍ وَاسْتِخْفَافٍ وَيُسْرٌ بِهِدِيَّةٍ جَبْرًا لِلْبُصِيَّةِ

أى مروى عن ابن عمر أنه قال: «كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن عمر طلق امرأتك» أصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتماها فان ختم الا يقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به (والمعنى اذا كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدى بئذ مال ويكره للرجل أن يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما أخذته من العطاء (فيطلق) أى حيثئذ (في طهر خال عن الجماع) فان الطلاق في الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته في الحيض فقال عليه السلام لعمر: مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين ثلاثا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا في الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى، واما على مذهبنا - انه طلاق بائن - فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا، واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) أى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى أيضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى، ولأن الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج في أن يتزوجها الى محل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقة أعنى زوجة المحلل بعد أن زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا في الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف) أى ينبغى ان يتلطف في التعلل لتطليقها ولا يستعجل في امر تفريقها (ويسر بهدية) أى ويخفى بارسال هدية على سبيل المتعة في القضية (جبرا للبصية) أى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى: (ومتعوهن بالمعروف) وذلك واجب في بعض الصور

وَلَا تَطْلُبُ الْمَرْأَةَ فِيهِ الْوَعْدُ

ومستحبة في بعضها، وفي الكتب الفقهية يذكر تفصيلها، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا منكاحا قائلًا: أتى وجدت الغنى فيهما حيث قال سبحانه: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد وجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال: قل لهما: اعتديا وادفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال: ماذا فعلتا فقال اما احدهما فسكنت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت واتجبت وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحمها: وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما أفارقها لراجعتها، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال: الا ارسلت إلى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي؟ قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال لبعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول: ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي، وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه، وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال في خطبة ان حسنا مطلق فلا تنكحوه فقام رجل من همدان فقال: والله يا امير المؤمنين لننكحه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال: لو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ﴿ ولا تطلبه ﴾ أي الطلاق ﴿ المرأة ﴾ أي من غير الضرورة ﴿ فقيه الوعد ﴾ أي التهديد الشديد فلا تبي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث توبان « ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة، وفي لفظ « فالجنة عليها حرام، وما ينبغي للزوج ان لا يفشي سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح

وَتُطِيعُ الزَّوْجَ، فَوَرَدَ «أَيُّمَا امْرَأَةً مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ» وَلَا تَمْنَعُ

نَفْسَهَا وَتَتَّقَى لِمَتَعِهِ وَتَسْتَأْذِنُهُ فِي الْأَعْطَاءِ مِنَ الْبَيْتِ

وعيد عظيم كذا في الأحياء ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « قال عليه السلام ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها » يعني أوتفشي سره فان المجالس بالأمانة كما ورد ، وروى ان بعض الصالحين أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذي يريك منها فقال العاقل لا يهلك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقها قال : مالي وامرأة غیری ، وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله ﴿ وتطيع الزوج ﴾ أى مطلقا في كل ما طلبه منها في نفسها عما لا معصية فيه ﴿ فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ﴾ الترمذی وابن ماجه من حديث أم سلمة ، وقال الترمذی : حسن غريب ﴿ ولا تمنع نفسها ﴾ أى عنه ولو كانت على تنور أو قتب مستور ، فلا بن حبان من حديث أبي هريرة « اذا وصلت المرأة خمها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « اطاعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن : لم يارسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعني الزوج المعاشر ، ولاحمد من حديث أبي امامة « اطاعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلن الأحمران الذهب والحرير » ولا بن نعیم « ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران » يعني الحلی وسائر الأسباب ومصبغات الثياب ﴿ وتتنقى ﴾ أى نفسها وتزينها ﴿ لتمتع ﴾ أى لا تتفاحه بها مستعدة في الأحوال كلها فعن الأصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي محتضبة وبيدها سبحة فقلت : ما أبعد هذا من هذا فقالت :

ولله مني جانب لأضيعه وللهم مني والبطالة جانب

قال : فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تزين له ﴿ وتستأذنه في الأعطاء من البيت أى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء ، وفي الأحياء عنه عليه السلام لا يحل لها أن تطعم الا الرطب الذي يخاف فساد ، ولا بن داود من حديث سعد قالت امرأة : يارسول الله انا كل على آياتنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهدينه » وصحح الدارقطني في العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار

وَالْخُرُوجُ عَنْهُ وَصَوْمِ النَّفْلِ، وَلَا تَعْيِيهِ بِالْقَبْحِ وَتَقْدِمُ حَقَّهُ عَلَى الْأَقَارِبِ

ليس ابن أبي رقاد ، وذكر البزار في مسنده أنه ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أتفتت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أتفتت ولزوجها أجره بما كسب » (والخروج عنه) أى وفي خروجها عن البيت ولو إلى المساجد ونحوها (وصوم النفل) أى إذا كان عندها فليليهق عن ابن عمر « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة إذا أرادها على نفسها وهى على ظهر بعير أن لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الأجر ، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فان فعلت جاءت وعطشت ولم يقبل منها ، ومن حقه أن لا تخرج من بيتها بعير أذنه فان فعلت لغتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها أو تتوب » وللحاكم وصححه عن أبي هريرة « أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يانى الله انى امرأة فتاة أخطب وانا أكره الزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من قرنه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت : فلا أتزوج اذا » وللترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة « لو أمرت احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » (ولا تعييه بالقبح) أى لا فى صورته ولا فى سيرته ولا تؤذيه فى سره وعلايته ، فللترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجها من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك رحيل يوشك أن يفارقك الينا ، ولا تتفاخر على الزوج بما لها وجهها فقد روى الأصمعى قال : « دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها : يا هذه اترضين لنفسك ان تسكونى تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه او لعلى اسأت فيما بينى وبين خالقي فجعله عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتتنى » وفى رواية له « رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقلت : ما اعليك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين الجنة » (وتقدم حقه) أى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين ، فللطبرانى فى الاوسط عن انس « كان رجل خرج إلى

وَلَا تَنْبَسُطَ مَعَ حَبِيبِهِ وَتَنْقَبِضُ فِي غَيْبِهِ بِتَرْكِ الْمَلَاعِبَةِ وَالْإِلْتِذَاذِ وَتَقُومَ

بِأُمُورِ الْبَيْتِ وَلَا تَسْتَبْدِلُ زَوْجًا بَعْدَ وَفَاتِهِ لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ

سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفلى وكان ابوها في السفلى فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول الى ايها فقال عليه السلام: اطيعي زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال: اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لايها بطاعتها لزوجها» (ولا تنبسط) اي بالكلام والسلام (مع حبيبه) اي صديق زوجها لاسيما في حال غيبته عن بلدها (وتنقبض في غيبته بترك الملاعبة) في حال المصاحبة (والإلتذاذ) بانواع من الطعام واصناف من الزينة في ذلك المقام لان الوقت يقتضي الحزن والاهتمام (وتقوم بامور البيت) اي بكل خدمة في الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار، فقد روى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما «انها قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز له عربه واجعن وكنت انقل النوى هاءى اجمعه على رأسى من ثلثي فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكأنما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام: اخ اخ لينبخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان غير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فحكت له ما جرى فقال: والله لملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام، رواه الشيخان، ومن جملة القيام بامور بيتها دوام ازوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلا بن حبان من حديث ابن مسعود «اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد» (ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته في الجنة) اي على تقدير ايمانها بالجنة واما اذا تزوجت بعده فاختلف في انها تكون للاول او الثانى او تخير فيهما وهو الاظهر، وفي البستان اما من قال هي للاخر منهما فذهب الى ما روى عن معاوية بن ابي سفيان «انه خطب ام الدرداء فقالت: سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ انه قال: المرأة لا خير ازواجها في الآخرة

وقال لي: ان اردت ان تكوني زوجي في الآخرة فلا تزوجي بعدي» وامامنا قال انها
تخير فقد ذهب الى ما روى عن ام حبيبة « سألت النبي ﷺ قلت: يا رسول الله
المرأة منار بما يكون لها زوجان لايها تكون في الآخرة؟ قال: تخير فتختار احسنها
خلقاً معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة وهذا لا بد داود
من حديث ابى مالك الاشجعي «انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة» اراد
امرأة تأميت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى باتوا أو ماتوا» وللخرايطى
عن أبى هريرة «حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبل غير أبى انظر عن يميني
فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرنى؟ فيقال يا محمد هذه امرأة كانت
حسنة جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهم حتى بلغ أمرهم الذى بلغ فشكر
الله لها ذلك»، وبما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحسد
عليه اكثر من أربعة أشهر وعشر ليل فتجنب في تلك المدة الطيب والزينة قالت
زينب بنت أبى سلمة: «دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي
أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية
ثم مست بعارضيا ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير أبى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحسد على
ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج أربعة أشهر وعشراء رواه الشيخان، ومن
أهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى: (يا أيها النبي
قل لا زواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية، والاهتمام بالتعفف عن
كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من
منزله تقول امرأته وابنته: اياك وكسب الحرام فاننا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر
على النار، وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته: لم تدعينه
ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رزاق
وهو الخلاق فيذهب الا كالا ويبقى الرزاق، وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن
أبى الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى مهمة فى شئ لشغلى
بحالى فقالت: والله أبى لا شغلى بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا
من زوجي فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله
تعالى فقال: حتى استأذن أستاذى فرجع الى أبى سليمان الداراني قال: وكان ينهى
عن الزوج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير قلبه اسمع كلامها فقال تزوج بها.

وَيَحَافِظُ حَالَ الْوَلَدِ وَلَا يَشْتُمُهُ لَا سِيَّمَا سَمَى الْأَنْبِيَاءَ وَيَلْقَنَهُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي
أَوَّلِ مَا يَنْطَلِقُ بِهِ اللِّسَانُ وَيُعَلِّمُهُ عُلُومَ الدِّينِ وَالْكِتَابَةِ وَالرَّمْيَ وَالسَّبَاحَةَ وَيُؤَدِّبُ
لَسْتُ سَنِينَ

هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال : فتزوجها فكان في منزلها كرم من حصص نفق
من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عن غسل بالاشنان قال وتزوجت
عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك
الى أزواجك وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابطة العدوية في أهل البصرة (ويحافظ
حال الولد) أي من صفه في الطبراني من حديث ابن عمر قال رجل يا رسول الله
من أبر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لو والديك عليك
حقا كذلك لولدك عليك حق (ولا يشتمه) أي لا يصير طبعه في كبره (لا سيما
سمى الأنبياء) لانه حينئذ قد يقال بكفره (ويلقنه كلمة التوحيد في أول ما ينطلق به
اللسان) في رواية ابن السني عن ابن عمرو مرفوعا «إذا أفصح الولد فليعلمه لا اله
الا الله» وهو شامل لتلقين مبناه وتبيين معناه، وفي رواية له أيضا عن أنس «انه عليه السلام
كان إذا أفصح الولد من بني عبد المطلب علمه» (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبرا) أقول: ويناسبه أيضا
تعليم سورة الاخلاص والفاحة (ويعلمه علوم الدين) أي أصول الشريعة
وفروعها ويمنعه من تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما
ورد عنه عليه السلام «اسألك علما مافاء أو أعوذ بك من علم لا ينفع» (والكتابة) فانها
وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من أسباب الهداية في البداية والنهاية (والرمي)
لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله عليه السلام «الا ان القوة الرمي»
وقد سبق ما ورد في فضل فعله وذم تركه (والسباحة) وهي معرفة الغوص في الماء ولعله
للاحتياج اليه في سفر البحر للحج والعمرة ولا سيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء
البر ومن اللطائف ان نحويًا خاطب بحريًا فقال هل تعلمت البحر فقال لا قال ضيقت
نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوي فقال لا قال
ضيقت جميع عمرك (ويؤدب) أي ولده بضرب ونحوه (لست سنين) أي اذا
خالف في آداب الصالحين وأخلاق المحسنين أو فيما يتعلق بحقوق الوالدين والأقربين

وَيَعْزَلُ الْفَرَّاشَ لِسَبْعِ سَنِينَ وَ يَضْرِبُ عَلَى الصَّلَاةِ لِعَشْرِ ، وَرَوَى
لثَلَاثِ عَشْرَةَ، وَيَزُوجُ لِسِتِّ عَشْرَةَ وَيَسْوِي بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْإِهْدَاءِ وَيَبْدَأُ
بِالْأَطْفَالِ وَالْبَنَاتِ

فلبهقي عن ابن عباس مرفوعاً «من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه»
وأما ما دون ست سنين فتأديبه باللسان والاحسان ((ويعزل الفراش)) أي عن أمه
وأخته ونحوهما ((لسبع سنين)) لأنه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن ((ويضرب
على الصلاة)) أي على تركها ((لعشر)) أي حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ، ولأبي
داود والبيهقي عن رجل من الصحابة مرفوعاً «إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه
بالصلوة» ((وروى لثلاث عشرة)) أي فانه قارب البلوغ ((ويزوج لست عشرة)) لتحقيق
البلوغ حينئذ فيجب صيانته ، ولابن السني عن أنس مرفوعاً «اضربوه على الصلاة لسبع
واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فإذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم
ليقل لاجعلك الله على فتنه» ورواه أبو الشيخ عن أنس بلفظ «فإذا بلغ سبع سنين
عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة فإذا بلغ ستة عشر زوجته أبوه
ثم أخذه بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وانكحتك أعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك
في الآخرة» ((ويسوي بين الأولاد في الإهداء)) فعنه عليه السلام «رحم الله والد الأعان
ولده على بره» أي لم يحمله على عقوبه بسوء عمله في حقوقه أبو الشيخ وابن حبان
في كتاب الثواب عن علي . وابن عمر رضي الله عنهم، وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك
فشكى إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت أفسدته ((ويبدأ)) أي
في الإعطاء ((بالأطفال)) أي لصغرهم وقلة صبرهم ((والبنات)) لجبرهن عن كسرهن
فروى «ساووا بين أولادكم في العطية» كذا في الإخياء ولم يتعرض له مخرجه، وفي
الجامع الصغير بلفظ «ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحدا لفضلت
النساء» الطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس، والظاهر أن القبلة
ونحوها في حضورهم ينبغي فيها التسوية قياساً على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية
فانها ليست من الأفعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف وأخوته في تلك
القضية ، ثم الظاهر أن التسوية في الإعطاء إنما هو إذا كانوا كلهم فقراء أو أغنياء
برأما إذا كان بعضهم فقراء فزادهم في العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم

المحرم عندنا ، هذا وفي الجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين - وهو عليه السلام - على منبره - فنزل فحمّله وقرأ قوله تعالى : (انما اموالكم واولادكم فتنة) كذا في الاحياء وقال مخرجه : رواه أصحاب السنن من حديث أبي بريدة « في الحسن والحسين يمشيان ويعثران » قال الترمذي : حسن غريب وللنسائي من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه « قال بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس اذ جاء الحسن أو الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث أمر فقال : ان بني قد ارتحلاني فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته » أي يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ، ورأى الأقرع بن حابس النبي عليه السلام « وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم » البخاري عن أبي هريرة ، وللحافظ الذهبي في ترجمة أسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبي عن عائشة « قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت اغسله وأنا آنفة فحضر بيدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية » يعني اثلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة « ان أسامة عثر بعثة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسه ويقول : لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتي أنفقها » واسناده صحيح ، وعنه عليه السلام « الولد من ربح الجنة » الخرائطي وابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس ، وقد قيل : ولدك ربحاتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك ، وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا أبا الحسن ما تقول في الولد فقال يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظليلة وبهم نؤول على كل خلية فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم بمنحوك ودهم ويحبوك جمدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد الى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر : ثم اعلم ان أكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة في الشبهات حتى اذا كانا يتغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر

وَيَتَوَضَّأُ فِي مَوْتِهِ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَأْخُذُ بِنَاصِيَةِ الْمُشْتَرَى وَيَدْعُو بِالْبَرَكَةِ
وَيَذِيْقُهُ الْحُلُوءَ أَوَّلًا وَيَطْعُمُهُ بِمَا يَطْعَمُ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ

في مباح أو نافلة إلا باذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض اسلام نقل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نقل إلا اذا كنت تطلب علم الفرض العيني من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك من يعلمك بذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال أبو سعيد الخدري : « هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن أبواك قال : نعم قال هل أذن لك فقال لا قال عليه السلام فارجم إلى أبويك فاستأذنهما فان فعلا فجاءه والافبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد » أحمد . وابن حبان ، وجاء آخر إليه صلى الله عليه وآله وسلم يستشير في الغزو فقال لك والدته قال : نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ، ابن ماجه . والحاكم من حديث معاوية بن جهمه اذ جاءه أتى النبي قال الحاكم صحيح الاسناد ، وجاء آخر « وطلب البيعة على الهجرة ، وقال : ما جئتك حتى أبكيك والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما » أبو داود . والنسائي . وابن ماجه . والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد « ويتوضأ في موته » أي في موت ولده « (ويصلي ركعتين) » عند فقده لقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) « (ويأخذ بناصية المشتري) » أي من العبد والجارية والداية « (ويدعو بالبركة) » ويقول : اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طريقا إلى العز كثير الرزق اللهم أعطني خير ما أنت آخذ بناصيتها أنك على صراط مستقيم « (ويذيقه) » أي العبد أو الجارية « (الحلواء) » أي شيئا من الحلواء « (أولا) » أي تفاؤلا بحلواته آخر الحديث معاذ « اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلوفاته أطيب لنفسه ، الطبراني في الأوسط والخراطي « (ويطعمه بما يطعم) » أي بما يؤكله بنفسه « (والاولى أن يأكل معه) » أي تواضعا لربه ولما في الصحيحين « (وليأكل معه فان أبي فليناوله) » وفي رواية « اذا كفى أحدكم بمأكله عنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه أو ليأخذ كلة فيروغها وإشار بيده وليضمها في يده وليقل كل هذه » وللبخاري في تاريخه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا « ما استكبر من أهل معه خادمه

وَيَكْسُوهُ مِمَّا يَكْتَسِي وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَا يُطِيقُ وَيَمْسُكُ مَا أَحَبُّ وَلَا يَعْذِبُ
فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ، وَوَرَدَ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَلَا يَضْرِبُ غَضَبًا
بَلْ تَأْدِيبًا

وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها» (ويكسوه مما يكتسى ولا يكلفه
مالا يطيق) وكان همر رضى الله عنه يذهب الى العوالي في كل سبت فاذا وجد عبدا
في عمل لا يطيقه وضع عنه، وروى عن أبي هريرة «أنه رأى رجلا على دابته وغلामه
يسعى خلفه فقال له: يا عبد الله احمله فانه اخوك روجك مثل روحه ثم قال لا يزال العبد
يزداد من الله بعدما مشى خلفه، وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال: يا عبد
الله ماهذا قال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا أن نجتمع عليه عثمان (ويمسك ما أحب)
أى مادام يحب امساكه (ولا يعذب) أى عاقبه كما اذا لم يحب امساكه بل يبيعه
(فالكل مأثور) نفى أنى داود من حديث على كان آخر كلامه عليه السلام الصلاة
الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر
وصيته عليه السلام حين حضرته الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من
حديث أبي ذر «أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كفتموهم فاعينوهم» وهذا لفظ مسلم، وفي رواية لاني داود «من يلائمكم من مملوكيكم
فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعه ولا تعذبوا خلق
الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم» واساده صحيح وفي رواية لمسلم من
حديث أبي هريرة «للملوك طماعة وكسوته بالمعروف ولا يكاف من العمل ما لا يطيق،
(وورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) رواه الشيخان عن ابن عمر (ولا يضرب
غضبا) أى من طريق الغضب (بل تأديبا) أى يضربه على سبيل الادب فيكون
تهديبا لا تعديبا، نفى صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري «قال بينا انا اضرب غلاما
لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم اعلم ايا مسعود مرتين قالت فاذا رسول الله ﷺ
فالتفت السوط من يدي فقال: والله الله أقدر عليك منك على هذا، وعن ابن المنكدر
«أن رجلا من أصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله
أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه أمسك يده فقال عليه السلام: يسألك بوجه الله فلم

لَا عَلَى زَلَّةٍ وَنَسْيَانٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَإِنَّهُ قِصَاصُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوَرَدَ «اعْفُ

عَنْهُ سَبْعِينَ مَرَّةً لِمَنْ قَالَ كَمْ أَعْفُو وَيَعْتَقُ

تعفه فلما رأيته أمسكت يدك قال : فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال : لو لم تفعل
لسفعت وجهك النار ، ابن المبارك في الزهد هكذا مرسل ، وفي صحيح مسلم من حديث
أبي سعيد «فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه»
وفي رواية له «فقلت : هو حر لوجه الله فقال : أما انك لو لم تفعل للفتحت النار أو لمستك
النار ، وللترمذي عن أبي سعيد «إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارتفعوا أيديكم»
(لا على زلة) أي لا يضربه على ما صدر منه من عشرة أو غفلة (ونسيان) أي تخلفا باخلاق
الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير إليه قوله : (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو
أخطانا) وحديث «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقيل للأحنف
ابن قيس «من تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم قيل : فما بلغ من حلمه ؟ قال : بينما
هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على
إن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال :
أنت حرة لوجه الله لا بأس عليك وكان عنده ميمون بن مهران ضيف فاستعجل
على جاريته بالعشاء فجاءت بسرعة ومعها قصعة مملوءة فعدت وأراقتها على رأس
سيدها فقال : يا جارية أحرقتني قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال
الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت : (والكاظمين الغيظ) قال قد كظمت غيظي
قالت (والعافين عن الناس) قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول (والله
يحب المحسنين) قال أنت حرة لوجه الله . (ولا يزيد على ثلاث) أي ضربات
ثلاث إذا كان الذنب صغيرا وأما إذا كان كبيرا فينقص من الأربعين فانه غاية التعزير
(فانه) أي المزيّد عليه (قصاص) أي مقتص منه (يوم القيامة وورد اعف عنه)
أي عن الخادم (سبعين مرة لمن قال كَمْ أَعْفُو) فلابي داود والترمذي وقال حسن
غريب عن ابن عمر «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كم
نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة » وكان عرن بن عبيد الله
إذا عصاه غلامه قال : ما أشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك
فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فانت حر ، (ويعتق) أي المملوك

إِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ فِيهِ الْعَتَقُ مِنَ النَّارِ وَلَا يَهْزُلُ مَعَهُ فَهُوَ يَسْقُطُ الْوَقَارُ وَيَهْذُبُ
 أَهْلَ الْبَيْتِ بِالرِّيَاضَةِ لَا سِيَّمَا الْوَلَدُ الْمَرَاهِقُ فَهُوَ أَيْسَرُ ، وَوَرَدَ (قُوا أَنْفُسَكُمْ
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَلَا يَطَأُ حَيَوَانًا فَإِنَّهُ يُسَالُ عَنْهُ
 وَيَطُوفُ طَوَافَاتِ الْبَيْتِ فَهُوَ مَأْثُورٌ

((ان طالت المدة)) وطول المدة تكون لسبع سنين فأكثر على ما في الشريعة ((ففيه
 العتق من النار)) لقوله عليه السلام: « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها
 عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه » رواه الشيخان عن أبي هريرة، وفيهما أيضا عنه
 عليه السلام « من كانت عنده جارية فعالمها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »
 وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال: لم فعلت ذلك
 فقالت: أردت الراحة منك قال: اذهبي فانت حرة لوجه الله ، أقول وكانها كانت مدبرة
 ((ولا يهزل معه)) أي لا يمزح مع مملوكه ((فهو يسقط الوقار)) أي الهيبة والرياسة
 فلا يعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة. هذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا « إذا نصح العبد
 لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين ، ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب
 أحدهما ((ويهذب أهل البيت)) من الولد والزوجة والخادم ((بالرياضة)) أي بتحسين
 الأخلاق ((لاسيما الولد المراهق)) أي القريب إلى البلوغ الذي وقع فيه تكليف الخالق
 ((فهو)) أي التهذيب في حال الصغر ((أيسر)) أي أسهل على كل منهما ((وورد)) أي
 في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) أي احفظوها (نارًا وقودها
 الناس والحجارة) عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
 ما يؤمرون) (ولا يطأ حيوانا) أي لا يدوسه ((فإنه يسأل عنه)) أي هل كان عبثا
 أو عمدا أو خطأ أو نسيانا، وقد قال تعالى: حكاية عن النمل (لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ
 وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ) ، وقد قيل البر من لا يؤذي الذر ((ويطوف طوافات البيت)) أي يجوزان
 يدخلوا في بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار ((فهو مأثور))
 أي مروي في الكتاب والسنة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلِيسَتْ ذُنُوبُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ
 الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ)

وَلَا يَضْرِبُ شَيْئًا عَلَى الْوَجْهِ وَلَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ فَنَهَى عَنْهُمَا وَيَعْرِضُ الْمَاءَ
وَالْعَلْفَ عَلَى الْفَرَسِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَوَرَدَ « يَمْنُ الْفَرَسِ ذَلَهُ وَحَسَنَ خَلْقَهُ »
وَلَا يَدْخُلُ عَلَى الظَّلَامَةِ تَحَامِيًّا عَنْ اسْتِعْمَالِ دَارِهِمْ وَمَظَلَّتِهِمْ وَفَرَاشِهِمْ فَلَا يَخْلُو عَنْ

حَرَامٍ

طوافون عليكم بعضكم على بعض) ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات ، فعن كبشة
بنت كعب بن مالك « وكانت تحت ابن أبي قتادة دخل عليها فسكنت له وضوء الجاءت
هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرآني انظر فقال: اتعجبين
يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انها ليست بنجسة
انها من الطوافين عليكم والطوافات » رواه الاربعة ، وقال الترمذى حسن صحيح
(ولا يضرب شيئا) أى حتى الدواب (على الوجه ولا يعذب) أى الوجه وغيره
(بالنار) أى بالكى ونحوه ، واختلف فى تجويز تحريق الزنديق (فنهى عنهما)
فلا بنى داود عن أبي هريرة « اذا ضرب أحدكم فليترك الوجه » وللترمذى والحاكم
عن عمران « أنه عليه السلام نهى عن الكى » (ويعرض الماء والعلف على الفرس)
أى فى الجهاد ونحوه (سبعين مرة) وأعله أريد به الكثرة للبالغ والافتقار سبق حديث
« للملوك طعامه وكسوته بالمعروف » (وورد يمن الفرس ذله) أى انقياده لراكبه
(وحسن خلقه) أى لصاحبه وقد تقدم والله أعلم (ولا يدخل على الظلمة) أى
الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى: (ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) فالاولى
والا سلم من الأحوال ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا
عليك ويترددوا اليك وشر الأحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم
فى الكتاب والسنة (تحاميا عن استعمال دارهم) أى المغصوبة من اهل ديارهم
(ومظلتهم) أى ومكان ظل خيمهم واشجارهم (وفراشهم) أى بساطهم ودفنهم
(فلا يخلو عن حرام) وقد قال تعالى: (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم)
وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه
ولما وصف عليه السلام الأمراء الظلمة قال: فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد
يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم ، الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف

والتواضع لهم فورد «من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام» والسكوت على منكر رآه عندهم والدعاء لهم بالبقاء ، فورد «من دعى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»

وفي رواية «من خالطهم هلك» وإنما قال «أو كاد يسلم» فإن من اعتزلهم سلم من أثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نقمة معهم أن نزل بهم لتركه المنايذة والمنازعة (والتواضع لهم) أي وعن اظهار المذلة والمسكنة المستازم لا كرام الظلمة لاسيما إن كرم أو سجد أو تمثل له قائما في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لأجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح له إلا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا إلا عند خوف ، ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام قال في الاحياء : وفيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم قالت : قد سقط بآدنى من ذلك ومن جملته «أنه عليه السلام مارد جواب من لبس ثوبا أحمر» (فورد من أكرم فاسقا) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام (فقد أعان على هدم الإسلام) أي على تعطيل بعض أركانه بتعظيم الظالم الذي يجب الالهانة في شأنه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف «من وقر صاحب بدعة» رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة (والسكوت) أي وعن عدم الإنكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) أي وقدر على أنه ينكره باللسان عليهم كان يكون من العلماء أو المشايخ العظماء وذلك لأنه يرى في مجلسهم من الفراش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه، وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة، فإن قلت : أنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب مالا يباح إلا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يترجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه العذر ، وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم أنه لم يقدّر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ذلك الموضع ليحضر ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد فيسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) أي حال التحية أو وقت الاعطاء (فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)

وَالْمَدْحُ وَإِنْ صَدَقَ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ، وَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ إِذَا

مَدَحَ الْفَاسِقُ» وَالْحُجَّةُ لَهُمْ فِي إِرَادَةِ الظُّلْمِ

أى من الابتداء الى الانتهاء، والحديث ذكره الزمخشري في تفسيره والغزالي في الاحياء قال البخاري: ولم نرم في المرفوع بل أخرجه أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قال العسقلاني في تخريج الكشاف (والمدح) أى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) أى في مدحه أى وكذا أن صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه (فهو إعانة على الإثم) وتحريك للرغبة في المعصية والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لأنه بسبب مدحه يجترى على ظلمه وفسقه (وورد أن الله ليغضب إذا مدح الفاسق) ابن أبي الدنيا وابن عدي وأبو يعلى والبيهقي عن أنس ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا دعه حتى يموت لأن ذلك إعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه وإنما يجوز له أن يدعو بقوله أصلحك الله في الاوقات أو وفقك الله للخيرات أو طول عمرك في الطاعات (والحجة لهم) بأن يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الملاقاة (فهي إرادة الظلم) أى منهم فيكون شريكاً لهم في الإثم معهم ثم إن كان كاذباً عصي معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقاً عصي بحبه بقاء ظالم في الآفاق، وحقه أن يفضيه في الله ويمقتة فال بغض في الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عاص، ومن أحب ظالماً فإن أحبه لظلمه فهو عاص بمحبته وإن أحبه بسبب آخر فهو عاص من حيث أنه لم يفضيه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحبه لذلك الخير ويفضيه لذلك الشر، وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالاً من الأمراء ويفرقها على الفقراء فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال: لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلى لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبغضه لأجله شكراً له على تسخيره إياه، أقول وهذا مقام دقيق لأن الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة «جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها» كذا في الاحياء، وهو من رواية البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً ويؤيده حديث «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي» رواه ابن مردويه في التفسير

وَاسْتَحْقَارِ نِعْمَتِهِ تَأَلَّى عَلَى نَفْسِهِ بِرُؤْيَا التَّوَسُّعِ عَلَيْهِمُ إِلَّا لِرِعَايَةِ اطِّاعَةِ الرَّعِيَّةِ

عن رجل لم يسم، والديلمي عن معاذ، وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف فأخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال: نسل أصحابي فسلّهم فقالوا: أخرجهم كله فقال: أنشدك أقتلك أشد حباله الآن أم قبل أن أرسل إليك فقال: بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكرهه عزله وفناءه وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم عند أهل العلم (واستحقار نعمته تعالى على نفسه) أي وعن استصغار نعمته سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل أو اختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) ومشاهدة أسباب التعم لديهم فللحكاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه «أقلوا الدخول على الأغنياء فانه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل» وقد تقدم حديث أبي هريرة «أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء» وحديث أنس «العلماء أمناء الرسول على عباد الله ما لم يخالفوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم» ولأبي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسل «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالقوا أمراءها» ورواه الديلمي عن علي وابن عمر بلفظه ما لم يعظم إررارها بخارها ويداهن خيارها شرارها، ولأبي داود والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم» ولفظه للترمذي، وقال: حسن غريب، والحاصل أن الأفضل في حقه أن يغفل عنهم وإذا خطر بباله تنعيمهم فليذكر ما قال حاتم الأصم أن ما بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياهم في غد على وجل وإنما هو اليوم فعسى أن يكون في اليوم، وما قال أبو الدرداء: إن أهل الأموال يا كلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون وتلبس لهم فضول أموال ينظرون إليها ونظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء، قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى (ان تكونوا تألمون فهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) (الا) استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة الا (لرعاية اطاعة الرعية) فالبخاري من حديث أنس «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه

وَدَفَعَ التَّأَذَّى وَالظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ فَيَدْخُلُ مُرَاعِيًا حَقَّهُ تَعَالَى وَيُكْرِمُ
أَنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ مُكَافَأَةً لَا كَرَامَةً عِزًّا لِلدِّينِ وَرِعَايَةً لِلْحَشْمَةِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَتَجُوزُ
الْأَهَانَةُ فِي الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْعِلْمِ بَعْدَ اضْطِرَابِ الرَّعِيَّةِ بَنِيَّةُ اعْزَازِ الدِّينِ وَتَحْقِيرِ
الظُّلْمِ وَإِظْهَارِ الْغَضَبِ لَهُ تَعَالَى، وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَنِيَّةُ الْإِصْلَاحِ

زبينة ، ولمسلم من حديث أبي هريرة «عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك» وله أيضا
عنه «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية» (ودفع التأذى) (ودفع شر الأذى) (والظلم عن نفسه أو غيره) من أهله ونحوه (فيدخل) أي حينئذ
(مراعيا حقه تعالى) حيث قال: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الامر منكم) (ويكرم) أي بالقيام ونحوه كرها (ان دخلوا) أي الظلمة (عليه)
أي معتقدين لما في يديه (مكافاة) علة للاكرام أي مجازاة (لا كرامة) أي اكرام
الظالم له (عزاً للدين) أي لعز أهله من أهل العلم والعمل به ، وقد قال تعالى :
(هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وقد سبق حديث «اذا أناكم كريم قوم
فاكرموا» (ورعاية للحشمة بين الرعية) أي في الملأ (وتجاوز الاهانة في الخلاء)
أي بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام (وعند العلم بعد اضطراب الرعية)
أي من الأمراء والوزراء اذا كانت اهانتهم (بنية اعزاز الدين) واهله من العلماء
المجتهدين (وتحقير الظلم) أي في نظرهم (واظهار الغضب له تعالى) كما هو
واجب على أهل العلم وغيرهم كما ورد في احاديث «الحب في الله والبغض في الله»
واقعد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال
لا اباع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين
فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال : لا والله لا يقتدى بي أحد من
الناس فجعلوا مائة وألبس المسوح رواده ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح ، والحاصل انه لا
يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهةهم امر الزام لا امر اكرام وعلم
انه لو امتنع أوذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب امر السياسة العرفية
فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصاحبة الخلق حتى لا يضطرب امر
الولاية (والأصل الاستفتاء من القلب) أي في جهة رضا الرب (ونية الاصلاح)

لَا الْأَشْتِهَارَ وَهُوَ يَعْرِفُ بِالْفَرَحَةِ عِنْدَ حُصُولِ الْمَوْعِظَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَالْأَوَّلَى
الْاجْتِنَابَ عَنْهُمْ وَعَنْ خَوَاصِهِمْ وَالتَّغَافُلَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ

أى حملهم على صلاح حالهم وفلاح ما لهم ﴿ لا الاشتهار ﴾ أى بانه من أهل العلم
والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فازالعاقبة مستورة فينبغى أن تكون النية
في هذه الأمور صحيحة مبرورة ﴿ وهو ﴾ أى ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار
﴿ يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة ﴾ أى المظلة ﴿ من غيره ﴾ أى الموجودين
من الوعاظ الأبرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب أن ينصحهم
فقد ورد « ان الدين النصيحة قيل : لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم »
روى عن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير
وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينما انا
عنده اذدق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى
اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد : لانه قال عليه السلام : ان العالم اذا أراد بعلمه
وجه الله هابه كل شئ وان أراد ان يكثر به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه
أربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال : أرددها على من ظلمته بها قال : والله
ما أعطيك الا ما ورثته قال : لا حاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان
عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها على
كذا فى الأحياء وقال مخرجه : حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل ، وروى أبو
الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف
الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ » ، وللعقيلي فى الضعفاء من حديث
أبي هريرة نحوه ﴿ والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم ﴾ لئلا يقع فى طمع
من جاههم وأموالهم ﴿ والتغافل عن أحوالهم ﴾ بالتجاهل عن أفعالهم وأقوالهم
والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال
ومسه ، فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل : وماهى ؟ قال أبواب الامراء يدخل احدكم
على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه ، وقال أبو ذر لسلمة : لا تغش أبواب
السلطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا أصابوا من دينك الفضل منه ، وقال
سفيان فى جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء . وقال الاوزاعي :

ما من شيء أبغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا، وقال سمعون: ما أسمع بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: انه عند الامير قال: وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذا دخلت قط على هذا السلطان الاوحاسبت نفسي بعد الخروج قارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم ، وقال أبو ذر في حديث : من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلة، وقال ابن مسعود : ان الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له : لم قال لانه يرضيه بسخط الله، وقال الفضيل: ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعداء، وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين ، وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء الجورة، ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرجمك أصبحت شيخا كبيرا وفد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فقال عز وجل (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واعلم ان ايسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل الفى بدعوك ممن يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رضى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجاهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (تخاف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فدأود دينك فقد دخله سقم وهي زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء والسلام فان قلت: فقد كان علماء الساف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد عكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال اتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فن التابعين فأتى بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمره المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف أنت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له

أنت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له: يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال: وما الذي صنعت فازداد غضبا وغیظا فقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف أنت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي؛ واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجل ان يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان أكذب وأما قولك لم تكني فاني سمعت أوليائه وقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال تبت بدا أي لهب، وأما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يمدل في رعيته ثم قام وهرب عن صحبته، وعن سفیان الثوري قال أدخلت على أبي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت: حج عمر رضي الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما وأرى هنا أموالا لا تطيقها الجبال، ولما استعمل عثمان بن عفان العباس أتاه أصحاب النبي عليه السلام وأبطأ عنه أبوذر - وكان له صديقا - فعاتبه فقال أبوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال مخرجه: لم أقف له على أصل، وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فقزع ووضع صدره على مقدم الرجل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحثى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من العمر ان الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدم

وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ

على الله قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لي عند الله ؟ فقال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال (ان الأبرار لفي نعم وان الفجار لفي جحيم) قال سليمان فإني رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل المروءة والتقى قال فإي الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فإي المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله وودعا الناس إليها قال فإي المؤمنين أخسر قال : من باع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أوتعاقبني قال لا ولكن نصيحة تلقىها إلى قال : يا أمير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف فاخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتجلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه : بش ما قلت قال أبو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينته للناس ولا يكتُمونه فقال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تأخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لي فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة وان كان عدوك لخذ بناصيته الى ماتحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال : أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، وحقى ان أبا بكر دخل على معاوية فقال : اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر (ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله تعالى : (كنتم خيرا أمة أخرجت للناس) أي أظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية، وقوله : (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) وقوله عليه السلام « المؤمنون كالبنيان يشد بعضه ببعض » رواه الشيخان عن أبي موسى (وهو) أي ما ذكر من الأمر والنهي وافرد الضمير باعتبار التلازم بينهما

فَرَضَ عَلَى الْكِفَايَةِ فِي الْفَرَضِ فَعَلًا وَتَرَكًا وَمَنْدُوبٍ فِي الْمَنْدُوبِ ، وَوَرَدَ
(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) الْآيَةُ

﴿ فرض ﴾ أى بالاجماع والكتاب والسنة ﴿ على الكفاية ﴾ أى اذا اطلع على الأمر جماعة وأمر أو نهى واحد منهم سقط عن الباقيين وإلا أثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك أضعف زمان الايمان وأهله فى مقام الاتقان أو مراتب أرباب الاحسان ﴿ فى الفرض ﴾ أى من المعروف ﴿ فعلا ﴾ كالصلاة والصيام ﴿ وتركاً ﴾ كاجتناب ما عرف من الحرام ﴿ ومندوب ﴾ أى وهو مستحب ﴿ فى المندوب ﴾ أى من المعروف فعلاً وتركاً ﴿ وورد ﴾ فى التزيل ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ أى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية ﴿ يدعون الى الخير ﴾ أى المحض وهو الايمان ﴿ ويأمرون بالمعروف الآيَة ﴾ أى (وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أى الناجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم فى الدين والامر المهم الذى بعث الله له النبيين أجمعين ، فلوطوى بساطه وأهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن أبى بكر الصديق أنه قال فى خطبة خطبها: ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعصم الله تعالى بعذاب من عنده » ولأبى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى ثعلبة الخشني « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى : (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال : يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شعاعاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتناً لقطع الليل المظلم للتمسك فيها بمثل الذى أتم عليه أجر خمسين منكم قيل : بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعواناً وللبنار من حديث عمر والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة مرفوعاً

وَإِنْ عَدِمَ الْعَدَالَةَ تَحَرَّزَ عَنْ انْسِدَادِ بَابِ الْاِحْتِسَابِ لِتَعَذُّرِ الْعِصْمَةِ وَلَآنَ
الْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْاِمْتِنَاعُ وَالْمَنْعُ فَلَا يُسْقِطُ تَرْكُ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي ذِمِّ
الْقَائِلِ بِمَا لَا يَعْمَلُ

و لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعو
خياركم فلا يستجاب لهم» وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال
«أوليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونهم فلا يستجيب لكم» ولا بن ماجه
باسناد جيد مرفوعا «إن الله تعالى ليسال العبد ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره
فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس» وللطبراني والبيهقي
وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس «لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل
على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة
تنزل على من حضره» وللبيهقي عن ابن عباس بسند حسن «لا ينبغي لامرئ شهاد
مقاما وفيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقه هو له» ورواه
الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ «لا يمنع رجل أهية الناس
أن يقول بحق إذا علمه» ولا بن عدي من حديث أبي هريرة «من حضر معصية
فكرها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاجبها فكأنه حضرها» ثم الأمر والنهي
يجب على العبد «وان عدم العدالة» أي منه بفقد عمله بها «تحرزا عن انسداد
باب الاحتساب» أي الحسبة بالأمر والنهي لأجل الثواب «لتعذر العصمة»
أي عن جميع المعصية إلا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء
كما قال الحجة قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية
وكذا جماعة من الأنبياء ولذا قال سعيد بن جبیر: ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر
الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبیر
«ولان الواجب عليه» شيان وهما «الامتناع» أي بنفسه عن المعصية «والمنع»
أي لغيره عنها «فلا يسقط ترك أحدهما» وهو الامتناع «الآخر» وهو المنع كما في
عكسهما فلا تلازم بينهما «وأما ما ورد في ذم القائل بما لا يعمل» كقوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)
وقوله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

فَلَعْدَمِ الْعَمَلِ وَاذْنِ الْأَمَامِ لِعُمُومِ الْأَدَلَّةِ وَاطِّلاقِهَا حَتَّى يَحْتَسِبَ عَلَى الْأَمَامِ أَيْضًا

وكحديث «مررت ليلة أسرى بي بقوم تقرر ض شفاهم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأثم ونهى عن الشر ونأثم»، وكما روى «إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عظم نفسك فإن اتعظت فعظ الناس والافاستحي مني» وكقول القائل:

لاتلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئا واتى نحوه قائما يزرى على عقله

﴿ فلعدم العمل ﴾ أى لا لمجرد الأمر والقول كما توهمه قوم ﴿ واذن الامام ﴾ أى وان عدم اذنه بالحسبة ﴿ لعموم الأدلة واطلاقها ﴾ أى من غير تقييد باحد دون آخر ﴿ حتى يحتسب على الامام أيضا ﴾ كما يدل عليه حديث أبى سعيد الخدرى « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغميه فكيف يحتاج الى اذنه ، وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحتجاج من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاعخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصي ابن ما رآه وكيف مارآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم ، وهؤلاء اخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم: أن نهرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن المنكر وطالبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج ، هذا واستمرار عادات السلف في الحسبة على الولاية قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ومن جملة ما أنكر السلف على الأمراء ما روى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان: ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان» ، وروى ان المهدي لما

قدم مكة لبث ماشاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلبى بردائه وقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليتهم فقال له : أعبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فحى به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشتم بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدي فاستدعاه فقال : من أخرجك قال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي أخرجني قال فضج المهدي وصاح وقال : أمتخاف ان أقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال : وكان قد جعل على نفسه نذرا ان يخلصه الله من أيديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة بدنة هـ وروى عن جنان بن عبدالله قال تنزه هارون الرشيد بالدوبر ومعه رجل من بني هاشم - وهو سليمان بن أبي جعفر - فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجتنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيئا يلقط النوى فقال : الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الأرض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له : اسمع ما أقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب وأحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونأظره أولا فجاءه الرسول وقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال : اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقبل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدما منا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له : نقوم الى مجلس ليس فيه منكر أصلح بنا فقاموا صغرة أي اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ

وَحَقُّهُ الْعِلْمُ لِيَعْلَمَ الْحُدُودَ وَالْحَقُوقَ وَالْوَرَعَ لِعَدَمِ تَأْثِيرِ

فادخل وفي كه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم: أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين فقال هذا عشائي الليلة قال: نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون أى شيء تريد منه فقال فى كه نوى فقلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال وأى شيء صنعت وجعل هرون يستحى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه ، قال : انى سمعت آباءك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) رأيت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج أعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيت يقول قلت لا أمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيت لا يكلم أحدا فاعطه البدره فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لا أمير المؤمنين يردها من حيث أخذها ، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه هموما كلها كثرت لديه
تهين المكرمين بها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج اليه

((وحقه)) أى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة ((العلم)) أى معرفة خطأ الأمور وصوابها ((ليعلم الحدود)) أى بمراتبها ((والحقوق)) المتعلقة بصحابها فالجاهل بمعزل عن هذا الباب بل شرط أن يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب، ومن هنا قال بعض علمائنا : ان العامى انكاره بالجنان . والعالم انكاره باللسان . والأمير انكاره بالأركان فانه يجب أن يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقصر على حد الشرع فى أبوابها ، وذلك معنى قوله ((والورع)) أى عن المنكرات مطلقا أو عن ذلك المنكر والاول أظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم بعمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة أو عوض من الاعراض الكاسدة وليكن كلامه ووعظه مقبولا ((لعدم تأثير

قَوْلُ الْفَاسِقِ وَسُقُوطُ اعْتِبَارِهِ وَحُسْنُ الْخَلْقِ وَهُوَ الْأَسَاسُ

قول الفاسق وسقوط اعتباره) عند الخلائق لان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ أولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال : فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسيما مع ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا، فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول : ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام الى ان احدث نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه. قال الغزالي : وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة انتهى، ولا يخفى ان هذا يخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو من باب الكمال والله أعلم بالصواب ، وقد ورد عن انس «قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانها عن المنكر وان لم تجتنبوه كله» الطبراني في المعجم الصغير والاوسط (وحسن الخلق) أي ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة أولا وبالمرعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا (وهو الاساس) أي مدار سياسة الناس، ففي الاحياء ورد «لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهي عنه» الحديث قال مخرجه لم أجده هكذا ، وللبیهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن بمعروف، والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لابد من حسن الخلق أيضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له لحسن الخلق، وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وعن بعض السلف إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن

فَهِيجَانُ الْغَضَبِ لَا يَسْكُنُ دُونَهُ، وَوَرَدَ (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والأجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الأذى والا فاذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية وأخلاقها الدنية بل ربما تقدم عليه ابتداء لطلب الجاه أو طمع المال أو للرياء والسمعة ولعل هذا وجه قول القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني « كيف منزلتك عند قومك قال حسنة ، قال ان التوراة يقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر سامت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم (فهِيجَانُ الْغَضَبِ) أى منه أو من غيره (لَا يَسْكُنُ دُونَهُ) أى عند أمر من الأمور بل يتحرك فيه أنواع من الشرور (وَوَرَدَ) أى فى طه (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا) أى ملايما هينا (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) أى يتعظ فيترك الكفر ابتداء (أَوْ يَخْشَى) أى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع أهل الحق ؟ وحكى عن المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقد روى أبو أمامة « ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أنا أذن لي فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام : أقروه اذن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام : أتعبه لأملك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم قال أتعبه لأبنتك ، قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم قال أتعبه لأختك ؟ قال لا جعلنى الله فداك : قال كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ، وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول « فى كل ذلك : لا جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه ، وقالوا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر « فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه فلم يكن شئ أبغض اليه منه ، أى من الزنا رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح ، وقيل للأفضل بن عياض أن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما أخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا أبا علي ان لم تكن من الصالحين فانا لنحب

وَأَوَّلُهُ التَّعْرِيفُ ثُمَّ الْوَعْدُ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ تَعَالَى لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ
عَلَى الْوَالِدَيْنِ أَوْ الْمَوْلَى أَوْ الْبَعْلِ أَوْ السُّلْطَانِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِالْدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ثُمَّ
التَّعْنِيفُ

الصالحين ﴿ وأوله ﴾ أى بدء الحسبة ﴿ التعريف ﴾ أى تعريف قبج المعصية ﴿ ثم
الوعظ ﴾ أى النصيحة بالكلام اللطيف ﴿ والتخويف منه تعالى ﴾ أى بالعقوبة فى الدنيا
والآخرة ﴿ لا يتجاوز ﴾ أى المحتسب ﴿ عنه ﴾ أى عما ذكر من الأمور الثلاثة ﴿ ان كان ﴾
احتسابه ﴿ على الوالدين ﴾ وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ قال
يعظه ما لم يغضب فإذا غضب سكت عنه ، قيل وفى معنى الوالدين التليذ والاستاذ وأما
ما فى الأحياء من الأخبار الواردة فى أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه فى الزنا ولا أن يباشر
أقامة الحد عليه ولا أن يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص
ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم أجده فى الأحديث « لا يقاد الوالد بالولد »
رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ﴿ أو المولى ﴾ أى المالك من العبد
﴿ أو البعل ﴾ أى الزوج من المرأة ﴿ أو السلطان ﴾ أى أو على الخليفة ومن فى معناه من
الرعية من أمراءه ووزرائه فانه يكاد يفضى الى خرق هيئته واسقاط حشمته وترتب
عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللجأكم فى مستدركه من حديث عياض
ابن غنم الأشعرى « من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولا يأخذ
بيده فليخل به فان قبلها والا كان أدى الذى عليه والذى له » وقال: صحيح الاسناد
والترمذى وحسنه من حديث أبى بكر « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله
فى الأرض » وهذا منه عليه السلام طريق رافة ورحمة على الأنام والافقد ورد عنه
من حديث أبى عبيدة قلت : « يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله ؟ قال رجل قام
الى وال جائر فامر به بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله » الحديث رواه البزار وللحاكم
فى مستدركه وصححه اسناده من حديث جابر « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل
قام الى امام جائر فامر به ونهاه فقتله » ويقويه ما سلف من السلف حتى قارب أمرهم
الى الهلاك والتلف ، والحاصل انه لا يجب عليه الا انه يستحب له ويثاب عليه ﴿ بل
يشغل بالدعاء ﴾ أى لتوفيقهم بالمعروف ﴿ والاستغفار ﴾ أى المجاوزة عنهم فى المنكر فان
هذين الأمرين نفعهما أكثر خصوصاً فى هذا الزمان فتدبر ﴿ ثم التعنيف ﴾ أى الكلام

وَالسَّبُّ دُونَ الْفُحْشِ مِثْلُ يَاجَاهِلٍ يَأْأَحِقُ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الذَّمِّ
تَحَرُّزًا عَنْ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ ثُمَّ التَّغْيِيرُ كَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخَمْرِ ثُمَّ التَّهْدِيدُ ثُمَّ
الضَّرْبُ وَهُوَ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالْكِرَاهَةُ ، فَوَرَدَ «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ
وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»

الحشَن (والسب) أي الشتم (دون الفحش) فلا يقول له : يا كافر يا يهودي يا نصراني
يا خنزير يا كلب يا فاسق بل يقول (مثل يا جاهل يا أحمق) الاتخاف من الله وما يجري مجراه
(لا يتجاوز عنه) أي عن هذا الأمر (ان كان) الاحتساب (على المسلم من الذم تحرزا
عن استيلاء الكافر) فان الذم اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسلمط عليه فيمنعه من الوصول
اليه لقوله تعالى : (وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) واما مجرد قوله لا تزن ونحوه
من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا يحذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه (ثم
التغيير) أي تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر (ككسر الملاهي) أي من
آلات المناهي كالزمار والوتار (واراقة الخمر) أي التي هي أم الخبائث وأصل
المعاصي وأساس الشر ، وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشيء
المغصوب من يده ورده على صاحبه. فللترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال «يا بني
الله اني اشريت خمرًا لا يتام في حجرى قال: اهرق الخمر واكسر الدنان» (ثم التهديد)
أي التخويف بالضرب من عنده أو من عند غيره من الحاكم ونحوه (ثم الضرب)
أي بمباشرة ان كان قدرة لديه حتي يمتنع عما هو عليه (وهو بقدر الوسع) أي الطاقة في
تأدية الطاعة كاللواظ على القذف والغيبة فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على
اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يخرج الى استعانة وحصول اعانة (وان لم يقدر)
أي على الضرب ونحوه (فالكرَاهَةُ) أي بقلبه كافية (فورد) أي في حديث أوله «من
رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» (فان لم يستطع فبقلمه وذلك
أضعف الإيمان) أي أضعف أدل الإيمان أو أضعف زمانه أو أضعف مراتبه
في شأنه رواه احمد ومسلم والأربعة عن أبي سعيد مرفوعا، ولا يخفى ان العاجز ليس
عليه حصة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها ، قال ابن مسعود:
«جاهدوا الكفار بأيديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفروا في وجوههم فافعلوا»

فَإِنْ ظَنَّ الْأَصْرَارَ لَا يَجِبُ بَلْ يَسْتَحِبُّ إِظْهَارَ الْأَمْرِ الدِّينِيِّ وَإِنْ ظَنَّ إصَابَةَ
مَكْرُوهُ أَوْ فَعَلَ مُنْكَرَ آخَرٍ يَحْرُمُ إِلَّا أَنْ يَظُنَّ الْأَمْتِنَاعَ أَيْضًا فَيَسْتَفْتِيَ مِنَ الْقَلْبِ
وَيَنْظُرُ فِي صَلَاحِهِ مُبَالِغًا

ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلحق به ما يخاف
عليه مكر وهابنا له فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكرها ولكن علم ان انكاره
لا ينفع وهذا معنى قوله ﴿ فان ظن الاصرار لا يجب ﴾ اى الانكار بالقول ﴿ بل
يستحب اظهار الامر الدين ﴾ نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في
بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا الحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك
البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم
والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من
يقدر على الهرب من الاكراه ﴿ وان ظن اصابة مكروه ﴾ من ضرب ونحوه
﴿ او فعل منكر آخر ﴾ اى بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه
﴿ يحرم ﴾ اى حينئذ الاحتساب ﴿ الا ان يظن الامتناع ايضا ﴾ فاذا تعارض
الظنان ﴿ فيستفتى من القلب ﴾ في اختيار ما ياهمه الرب ﴿ وينظر في صلاحه ﴾
اى صلاح الامر من حاله ﴿ مبالغا ﴾ في تحسين ما له فروى عن العالم الربانى ابي
سليمان الداراني انه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلت
انى اقتل ولم يمنعنى القتل ولا كن كان فى ملاء من الناس فخشيت ان يعتربنى التزین
للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل للحق فان قيل: فما معنى قوله تعالى: (ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة) أجيب بانه لاخلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف
الكفار و يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس
كذلك فقد قال ابن عباس: ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى: اى
من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه؛ ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى:
(وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وأحسنوا) ولا يبعد ان تفسير
التهلكة باسراف المال وتضييع العيال، وقال ابو عبيدة: هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده
خيرا حتى يهلك ذكره فى الأحياء وهو صحيح فى المعنى لكن يبعد ما أخذه من الآية بحسب
ايراده من المبني ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز له أيضا ذلك فى الحسبة

وَالْأَعْتَابُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ مِنْ مُعْتَدِلِ الْحَالِ فَالْجَبَانُ يَسْتَقْرِبُ الْبَعِيدَ وَالْمَتَهُورُ
يَعْكَسُ وَلَا يَتَجَسَّسُ كَوْضْعِ الْأُذُنِ وَالْأَثْفِ لِحَسَّاسِ صَوْتِ الْأَوْتَارِ وَرَائِحَةِ
الْخَمْرِ وَطَلَبِ إِرَاءَةِ مَا تَحْتَ الثَّوبِ فَهُوَ مِنْهُنَّ عَنْهُ

﴿والاعتبار للظن الغالب﴾ في حصول فائدة من المحارب والمحتسب ﴿من معتدل الحال﴾
بان يكون في طبعه من أرباب الكمال ﴿فالجبان﴾ وهو ضعيف القلب في ميدان البيان
﴿يستقرب البعيد﴾ أي من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه
ولا يجاهده ﴿والمتهور يعكس﴾ أي الامر بان يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن أمله وأصل طبعه حتى انه لا يصدق به
الابعد وقوعه، والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة
وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان
وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين في الاخلاق
والاحوال ﴿ولا يتجسس﴾ فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه
فكل من ستر على معصية في داره وأغلق على بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه
من طاقته وجداره وأمثاله ﴿كوضع الاذن﴾ لسماع الملامى ﴿والاثف﴾ لشم
الخمر والمناهي ﴿لاحساس صوت الاوتار﴾ متعلق بوضع الاذن ﴿ورائحة الخمر﴾
في تلك الدار ﴿وطلب اراءة ما تحت الثوب﴾ فاذا روى فاسق وتحت ذيله شيء نحو
ظرف خمر او خشب عود لم يجز ان يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاعة بان كانت له رائحة
فائحة أو تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والافمجرد الظن لا يعمل به فانه
قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب
منها اذ الفاسق يحتاج أيضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان
خلالما أخفاه لان الاغراض في الاخفاء لا تحصر بالاستقصاء كذا في الاحياء ﴿فهو﴾
أي التجسس ﴿منهى عنه﴾ أي في قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا) وروى د ان عمر رضى الله عنه تسور دار
رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين ان كنت قد عصيت
الله من وجه فقد عصيته أنت من ثلاثة أوجه فقال : ما هي؟ فقال قد قال الله تعالى
(ولا تجسسوا) وقد تجسسست وقال (وأتوا البيوت من أبوابها) وقد تسورت من السطح

وَيَدْخُلُ الدَّارَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَيَحْتَسِبُ عَلَى غَيْرِ الْمُكَلَّفِ فِي
الْمَحْتَسَبِ عَلَيْهِ لَا يَشْتَرُطُ التَّكْلِيفُ لَا فِي مَحَلِّ الْخِلَافِ

وقال تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وما سلمت
فتركه عمرو شرط عليه التوبة ، وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد؟ فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي
فيه واحد ((ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات)) أى أصوات الملاحى وما يدل على
بحال المنكرات من المناهى ، وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه
لا يجوز الدخول على من أغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار
ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاولتار إذا ارتفعت بحيث جاوز
ذلك حيطان الدار فن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاحى وقطع الاولتار وكذا
اذا ارتفعت أصوات السكرى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعونهم أهل الشوارع
فهذا الاظهار ، وجب للحسبة والانكار ((ويحتسب على غير المكلف)) اذ شرط
المحتسب عليه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن
معصية بالنسبة اليه ولعله يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ
تقرر أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط
كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة أو يشرب الخمر وجب
منعه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره
((ففى المحتسب عليه لا يشترط التكليف)) أى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه
في حق الوجوب عليه وأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان
الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر
ويكسر الملاحى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس
بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه
حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية
نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان
كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا
يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر ((لا في محل الخلاف)) أى لا يحتسب

كَأَكْلِ الشَّافِعِيِّ الضَّبِّ وَلَا قَبْلَ الْإِرْتِكَابِ فَهُوَ مُشْكُوكٌ فِيهِ وَلَا

الافى المتفق على كونه منكرا فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ﴿ كما كل الشافعي الضب ﴾ فليس للحنفي أن ينكر عليه أكله وكذا في أكل الضبع ومثروك التسمية عمدا ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكرو تناوله ميراث ذوى الارحام وجلسه في دار أخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيًا يشرب النبيذ أو ينسج بلا ولى ويطأ زوجته، أو رأى الحنفي حنفيًا يلعب بالشطرنج أو يلبث الثوب الاحمر فهذا في محل النظر كما في الاحياء، والا ظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى أدى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقى من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا أنه جوز له تقليد غيره من الأئمة في بعض المسائل فاذا اعتذر وقال: أنا مقلد للشافعي أو الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله أعلم بالصواب ﴿ وقد ذهب جمع الى أنه لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كما كل الميتة والدم وما أجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد رفقا به، ولعل وجه كلامهم ما ورد من أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه، وقد قال تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ فمن تبع عالما لقى الله سالما، ومن المعلوم أن الله سبحانه ما كلف أحدا أن يكون حنفيًا أو مالكيًا أو شافعيًا أو حنبليًا بل كلفهم أن يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وأن يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ﴿ ولا قبل الارتكاب ﴾ أى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط أن يكون المنكر موجودا في الحال لانه يتوقع منه فى المال ﴿ فهو ﴾ أى وجوده قبل الارتكاب ﴿ مشكوك فيه ﴾ فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيبته انه عازم على الشرب في ليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجوز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل، وهى ان الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه من سائر الاشياء. ﴿ ولا

بعده فهو حق الإمام وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار فهو المأثور
ويبغض المصر فيه تعالى بالأغراض عنه والاهانة وترك الاعانة وإبطال أغراض
تعين على المعصية دون غيرها ولو أعان تحريضا على قبول النصيحة أو لحق
الاسلام فحسن فالحال يختلف بالنية كما في الترك للفسق إلا أن يعلم الاقتداء
كما في المبتدع والمعلن بالفسق في الملا حتى يترك السلام فهو يسقط بآدنى
غرض ،

بعده) أي ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب (فهو) أي هذا النوع من
الاحتساب (حق الإمام) أي ومن جعله من الثواب (وعلى المحتسب عليه القبول
والاعتذار) أي واجبان عليه ولا زمان لديه (فهو المأثور) أي عن السلف الأبرار
(ويبغض المصر) أي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا
أو فاجرا أو مبتدعا ولم يكن داعيا (فيه) أي في الله (تعالى) أي شأنه وتماظم برهانه
(بالأغراض عنه) أي في السلام والكلام (والاهانة) أي بزيادة المهانة (وترك
الاعانة) أي في ما يظهر من الاغاثة (وابطال أغراض تعين على المعصية دون غيرها)
أي غير المعصية (ولو أعان) أي في الأغراض التي تعين على غير المعصية (تحريضا
على قبول النصيحة) أي فيما يذكركه من الكلام (أو لحق الاسلام فحسن) أي فاعانته
مستحسنة قال تعالى : (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) فهذا في زماننا يتصور
في حق أهل الذمة (فالحال يختلف بالنية) أي باختلافها وتفاوت الطوية (كما
في الترك للفسق) أي كما يختلف في ترك الاحسان لخوف الفسق (الا ان يعلم) مخرج
من قوله ولو أعان أي الا ان يعلم المبتغى (الاقتداء) أي اقتداء الناس كما في نسخة
فلا يعينه حيث (كما في المبتدع) أي الداعي لا يعينه (والمعلن بالفسق في الملا)
تأكيد للاعلان أوقيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء،
والاظهر انه ظرف ليغض المصر كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) أي
في الابتداء ورده في الانتهاء (فهو) أي حق السلام ورده (يسقط بآدنى غرض)

فورد « من انتهر صاحب بدعة ملا الله قلبه إيماناً ومن أهانه أمنه الله يوم
الفرع الأكبر ومن لان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم » ويستفتي من القلب في الخلاء إن إظهار البغض
أقرب إلى الانزجار أم التلطف بالنصح ولا يحسن إلى من جنى في حق الناس
فهو إساءة في حق المظلوم بخلاف حقه ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق
ولا يبدأ بالسلام عليه ولا يزيد في جوابه ويسلم على من اتبع الهدى

كالبول في الحمام ونحوه (فورد من انتهر) أي زجر وقهر (صاحب بدعة) أي
منكرة (ملا الله قلبه إيماناً) أي معرفة وإيقاناً (ومن أهانه أمنه الله) أي جعله
آمناً من عذابه (يوم الفرع الأكبر) وهو القيامة الكبرى (ومن لان له) أي في
الكلام (أو أكرمه) أي بالقيام (أو لقيه ببشر) أي في حال السلام (فقد استخف بما
أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) أي فلم يعمل بما يجب عليه من الأحكام وإن
استحل ذلك فقد خرج عن دائرة أهل الإسلام والحديث لم أجده في كتب الأعلام ولكن ورد
عنه عليه السلام « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » (ويستفتي من
القلب في الخلاء) أي إذا كان وحده أو في حكم الخلاء (إن إظهار البغض أقرب إلى
الانزجار) أي امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (أم التلطف بالنصح) أنسب
إلى إصلاح أمرهما ويفعل بمقتضى ذلك (ولا يحسن إلى من جنى) أي ظلم (في حق
الناس) أي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) أي الإحسان إلى الظالم
(إساءة في حق المظلوم) أي الأولى بالرعاية كما في نسخة (بخلاف حقه) أي فله
أن يعاقبه بمثله وله أن يحسن إليه في مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه
قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن) (ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق) أي بنية أهانتة
وعزة المسلم وغلبته فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لأنه من
باب الأكرام لديه والإحسان إليه (ولا يزيد في جوابه) أي على قوله وعليك أو عليك
لحسب، وعبرة المصنف موهمة أن يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله
وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى

إِنْ كَانَ فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْعُو فِي تَشْمِيَّتِهِ بِالْهُدَايَةِ لَا بِالرَّحْمَةِ وَلَا يَرْشِدُهُ
إِلَى مَعْبَدِهِ وَلَا يَصَاحِفُهُ وَيَعِيدُ الْوُضُوءَ إِنْ صَاحَفَهُ وَلَا يَسْتَقْبِلُ جَنَازَتَهُ بِالْوَجْهِ *

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . «وَرَدَ إِنْ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»

ان كان (الذمي أو الحربي أو الفاسق أو البدعي) (في جمع المسلمين) وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) وكذا في العكس بان كان المسلم بين الكافرين أو الفاجرين ، وقيل يقول السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين (ويدعو في تسميته) أي جواب عطسته (بالهداية) أي بان يقول يهدينا ويهديكم الله (لا بالرحمة) فلا يقول يرحمكم الله (ولا يرشده) أي لا يبدله (إلى معبده) أي من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه إعانة على المعصية وقال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (ولا يصاحفه) لان المصاحفة من باب كمال المصاحفة (ويعيد الوضوء) أي اللغوى وهو غسل اليد (ان صاحفه) أي كافرا لظاهر قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) (ولا يستقبل جنازته بالوجه) أي بالمواجهة بل يدير عنها وجهه اذا اتته في المقابلة .

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

المراد بالصمت السكوت في ميدان البيان فقد ورد «من صمت نجا» رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف ، والطبراني بسند جيد ، الصمت حكمة وقليل فاعله الديلمي عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ «حكم بدل حكمة» قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قال ، ولا بني نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «من أكثر كلامه أكثر سقطه» وما أحسن قول القائل :

ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ خير كلام صدر من كل حكيم (ورد ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه) الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت ، والبيهقي في الشعب بسند حسن والترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث

فَفِي الصَّمْتِ الْوَقَارُ وَاجْتِمَاعُ أَهْمَةٍ وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالسَّلَامَةُ مِنْ آفَاتِ
الدَّارَيْنِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ * مِنْهَا مَا لَا يَعْنِي وَهُوَ مَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا ثَوَابَ
فَقِيهِ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ

معاذ «قلت : يا رسول الله أتواخذ بما نقول ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على
مناخرهم إلا حصائد السنتهم » وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر « قلت
يا رسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »
وفي الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » ولا بن أبي
الدنيا وغيره من حديث أنس مرفوعا « رحم الله عبدا تكلم فغتم أو سكت فسلم » (ففي
الصمت الوقار) أى حصول الرزاة والطمانينة (واجتماع الهمة) أى للامور المهمة
(والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين)
أى محن الكونين وقتن المحلين (فان البلاء) أى فى الدنيا والاخرى (موكل بالمنطق)
مصدر ميمى أى بنطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير
جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة
اللسان ، ثم الذى أدرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن
مسعود بلفظ «البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلا غير رجلا برضاع كلبه لرضعها ، قال
السخاوى ضعيف أقول ويقويه ما نسب الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق
من حديث ابن عباس والديلى من حديث أبى الدرداء قال السيوطى والديلى ايضا
من حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعاني فى تاريخه
من حديث على مرفوعا ، وبهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات
لكن «لفظه البلاء موكل بالقول» ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) أى من
آفات اللسان (ما لا يعنى) أى ما لا ينفع الانسان من البيان (وهو) أى ما لا يعنى
(ما لا اثم عليه ولا ثواب) أى لا أجر لديه ، وينبغي أن يزداد ولا حاجة اليه وقد يعبر
عنه باللغو ومنه قوله تعالى : (والذين هم عن اللغو معرضون) واذا مروا باللغو مروا
كراما) والأصل فى اللغو وما لا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب
وتصوره فى ميدان العقل الا أن الاكثر استعمالها فيما يتعلق باللسان (فقيه) آفات
كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة ، الاولى (تضييع الوقت)

وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَوَهْنُ الْبَدَنِ وَتَأْخِيرُ الرِّزْقِ وَإِذَاءُ الْحَفَظَةِ وَإِرْسَالُ
كُتُبِ اللَّغْوِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَقِرَائَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ
وَالْحَبْسُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالْحِسَابُ

وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت أيامه في الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى، ومن هنا قال الصديق الاكبر : ليتنى كنت أخرس الا عن ذكر الله، وفي الحديث « ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها » رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث ضعيف « ان الله أمرني أن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظري عبدة » (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال عز وجل : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى تسكن وتلين وقال عز وجل في بيان القرآن وذكروه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) (ووهن البدن) أى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه سائر الاجزاء (وتأخير الرزق) أى المعنوى أو الحسى أيضا جزاء لما فاتته من الرفق (وإيذاء الحفظ) أى الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملاء مرامه من غير فائدة في تمامه قال عطاء بن أبى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ماعدا كتاب الله وسنة رسوله أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو نطقا بحاجتك في معيشتك التى لا بد لك منها أتذكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي أحدكم ان لو نشرت صحيفته التى أملى صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه (وإرسال كتب) أى صحائف من (اللغو اليه تعالى) أى للعرض عليه قبل القيامة (وقراءته بين يديه تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ومن هنا قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدوا اتقوا الله) وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة في الدنيا والاخرى فافهم (والحبس عن الجنة) أى بمقدار ما اختاره في الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) أى لما أثبتته في الكتاب

وَاللُّومُ وَالْتَعِيرُ وَابِقَاعُ الْحُجَّةِ وَالْحَيَاءُ مِنْهُ تَعَالَى ، وَوَرَدَ « مِنْ حَسَنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ » وَمِنْهَا الْفُضُولُ وَهُوَ زِيَادَةُ فِيمَا يَغْنِي ، فَوَرَدَ
« طَوْبِي لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ » *

من استحقاق الثواب أو استيجاب العقاب (واللوم) كما يشير إليه قوله سبحانه
(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) فانها تلوم نفسها على وجه الندامة
فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لما اذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر في حقها
الملامة (والتعير) أى التوبيخ على التقصير (وابقاع الحجّة) أى ابطالها في تلك
الحالة (والحياء منه تعالى) لماله من الخجالة (وورد) أى من حديث أبى هريرة في رواية
الترمذى وابن ماجه (من حسن اسلام المرء تركه مالا يغنيه) بل ورد ما هو أشد
من هذا فعن أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يا بنى وقال عاينه
السلام وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يغنيه أو يمنع مالا يضره » ابن أبى الدنيا
والترمذى مختصرا ، وفي حديث آخر « انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال له أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا
لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالة على الله قال هى أمى يا رسول الله
قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال مالا يغنيه أو منع مالا يغنيه » والمعنى ان الجنة
انما تنهى لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يغنيه حوسب عليه وان كان كلامه
مباحا فلا تنهى الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها
الفضول) أى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يغنى) يغنى على قدر الحاجة فان
من يغنيه أمر يمكنه ان يذكره بكلام مختصره ويمكنه أن يبسطه ويعزوه ويكرره ومهما
تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل على الحاجة ، فمن
ابن مسعود « أئذركم فضول الكلام بحسب امرى ما بلغ به حاجته » أى من المرام فى
المقام « (فورد طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله) » وتمامه
« ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة » رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر : حديث
حسن وفضول الكلام لا ينحصر ولا يحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى
(لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)

وَمِنْهَا الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ كَمَحَاسِنِ النِّسَاءِ وَمَقَامَاتِ الْفُسَّاقِ وَتَنَعُمِ الْأَغْنِيَاءِ
وَتَجْبُرِ الْمُلُوكِ وَحُرُوبِ الصَّحَابَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فَوَرَدَ «أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ» وَهُوَ حَرَامٌ

وقد ورد في الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله،
البرار عن ابن مسعود والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
إلا ما ابتغى به وجه الله عز وجل» (ومنها الخوض في الباطل) وهو الكلام في المعاصي
(كمحاسن النساء) أي حكايات أحوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن (ومقامات
الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الأغنياء) أي بالمأكل والمشروب
من الأشياء (وتجبر الملوك) أي واتباعهم من الأمراء والوزراء (وحروب الصحابة)
كقصتي الجمل وصفين على طريق الأخباريين لا على رواية المحدثين (والمذاهب الباطلة)
وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه (فورد
أعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كفضية وقضايا (يوم القيامة أكثرهم خوضًا في
الباطل) ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولا بن ماجه والترمذي وقال
حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم
بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه إلى
يوم القيامة»، وكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعه حديث بلال بن
الحارث، ولا بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن مرفوعا «إن الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعدهم الثريا»، وللشيخين والترمذي واللفظ
له وقال حسن غريب «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين
خريفًا في النار» (وهو) أي الخوض في الباطل (حرام) كما يشير إليه قوله تعالى:
(وكننا نخوض مع الخائضين) وقوله: (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره)
وقال سلمان «أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله»، وقال ابن سيرين:
«كان رجل من الأنصار يمر بـجلس لهم فيقول: توضؤا فإن بعض ماتقولون شر من
الحدث» يعني فإن الحدث مباح وكلام المعصية منكروا إذا كان بعض السلف يتوضأ من

وَالْأَوَّلَانِ مَكْرُوهَانِ وَسَبَبُ الْكُلِّ هُوَ الْحَرَصُ عَلَى عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَلَا يُبْسَاطُ
بِالْكَلَامِ لِلتَّوَدُّدِ وَإِمْضَاءِ الْوَقْتِ وَالْعِلَاجِ ذِكْرُ إِيَّانِ الْمَوْتِ وَالسُّؤَالِ وَالْحُقُوقِ
الْخُسْرَانِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ . وَالْعِزْلَةُ وَهُوَ الْإِنْفَعُ وَالْقَاءُ نَوَاةٌ فِي الْقَمِّ . وَهُوَ مَرُورِي
عَنِ الصَّدِّيقِ ، وَالسُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ الْمُهْمَّاتِ ، وَمِنْهَا الْمِرَاءُ وَهُوَ الطَّعْنُ فِي
الْكَلَامِ

الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة ((والاولان))
أى ما لا يعنى وفضول الكلام ((مكروهان)) كراهة تنزيه لانهما ترك الاولى كما
لا يخفى ((وسبب الكل)) أى باعث جميع ما ذكر مما لا يعنى والفضول والخوض
((هو الحرص على علم لا ينفع)) بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال عليه السلام «أنتم أعلم
بأمور دنياكم وقال الانساب بيان علم لا ينفع وجهل لا يضر» ((والانبساط بالكلام للتودد))
أى للتجيب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام ((وامضاء الوقت)) من الليالي والايام من
غير منفعة للخاص والعام ((والعلاج)) أى معالجة الكل ستة ((ذكر إتيان الموت))
لانه يتدارك الفوت فى الاوقات وقد ورد «أكثر واذا كره اذم للذات» ((والسؤال))
أى وذكروا السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال ((والحقوق الخسران
بتضييع الوقت)) أى الزمان فى الهذيان فقد قال تعالى: (قل هل ننبئكم بالآخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) هـ
((والعزلة وهو الانفع)) أى فى المعالجة لان أكثر الضرر فى الصحبة والخاططة ((والقاء
نواة فى القم)) أو حصة ((وهو مروي عن الصديق)) رضى الله عنه ، ففى الأحياء عنه «انه
كان يضع حصة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه» فكان يشير الى لسانه
ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد أى المهالك الصادرة من شأنه ((والسكوت عن
بعض المهمات)) حذرا من كل الآفات لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل
ما لا يأتى به لو سكت فى المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لا يعنى
صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تنته حتى
جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتهد كذا فى شرح
الخطيب ((ومنها المراء وهو)) فى هذا المقام ((الطعن فى الكلام)) أى كلام الغير

بِأَظْهَارِ خَلَلٍ أَوْ طُغْيَانٍ وَهُوَ حَرَامٌ وَالْوَاجِبُ السُّكُوتُ أَوِ السُّؤَالُ
مُسْتَفِيدًا أَوِ التَّعْرِيفُ مُتَلَطِّفًا ، وَوَرَدَ « مِنْ تَرَكِ الْمَرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي
أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنِي لَهُ فِي أَسْفَلِ الْجَنَّةِ » وَمِنْهَا الْجِدَالُ وَهُوَ مَرَاءٌ
مُتَعَلِّقٌ بِأَظْهَارِ الْمَذَاهِبِ

﴿ باظهار خلل ﴾ أى نقصان ﴿ او طغيان ﴾ أى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى
أو من جهة المعنى ﴿ وهو حرام ﴾ قال تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم الا مرء ظاهرا ﴾ وعنه
عليه السلام « لا تمار أخاك ولا تمارحه ولا تعده وعدا فتخلفه » الترمذى من حديث
ابن عباس ، والطبرانى من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك ورواه
ابن الأسقع وابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود وذروا المرء فإنه لا تفهم حكمته
ولا تؤمن فتنه ، ﴿ والواجب السكوت ﴾ باظهار كونه معترفا أو متوقفا وهذا اذا لم
يكن بامور الدين متعلقا ﴿ أو السؤال مستفيدا ﴾ أى متعرفا ﴿ أو التعريف ﴾ أى تعريف
الخلل ﴿ متلطفا ﴾ أى لا متعتاولا متكلفا ﴿ وورد من ترك المرء وهو محق ﴾ أى صاحب
حق ﴿ بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى أسفل الجنة ﴾ وفى رواية
« بنى له بيت فى ربض الجنة » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف
قال الترمذى : حديث حسن ، ولا بن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة « لا يستكمل
عبد حقيقة الايمان حتى يذر المرء وان كان محتما ، وهو عند احد بلفظ ولا يؤمن العبد
حتى يترك الكذب فى المزاحه والمرء وان كان صادقا » وللدبلى من حديث أبى مالك
الاشعري « ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف
وتعجيل الصلاة فى يوم الدجن - أى الغيم - والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على
المكاره وترك المرء وهو صادق ، والطبرانى من حديث أبى أمامة « تكفير كل لحاء
ركعتان » واللحاء مصدر لاحتى بمعنى مارى ، وآفات المرء كثيرة ومضراته مستطيرة قال
سفيان : لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمى بى الى السلطان وقال
أيضا صاف من شدت ثم اغضبه بالمرء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن أبى
ليلى لا أمارى صاحبى فاما ان أ كذبه واما أن أغضبه ﴿ ومنها الجدل ﴾ أى البحث لترجيح
كلامه كيف ما كان على وفق مرامه ﴿ وهو ﴾ أى فى العرف أو الغالب ﴿ مرء
متعلق باظهار المذاهب ﴾ أى الفروعية الخلافية أو الاصولية الاعتقادية قال تعالى :

وَهُوَ يُعْرِفُ بِكَرَاهَةِ إِصَابَةِ الْخَصْمِ وَارَادَةِ إِخْطَائِهِ وَإِظْهَارِ فَضْلِ النَّفْسِ، وَوَرَدَ
 أَنَّ أَوَّلَ مَا عَاهَدَ إِلَى رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مُلَاحَظَاتُ
 الرِّجَالِ، وَالسَّبَبُ التَّرَفُّعُ وَالْغَضَبُ وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ ۝

(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)
 وقال عز وعلا : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) وقال عز وعلا
 (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فهو
 مأذون فيه مع أهل الكفر والبدعة ومنهى عنه في حق المسلمين من أهل
 السنة والجماعة ، فللترمذي من حديث أبي أمامة وصححه ما ضل قوم بعد
 هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ، (وهو) أي الجدل المذموم (يعرف بكراهة
 اصابة الخصم) أي الحق والصواب في أنثائه (واردة اخطائه) وهو
 قد يوجب ظهور كفره واغوائه (و اظهار فضل النفس) في اغوائه (وورد)
 أي من حديث أم سلمة (ان أول ما عهد الى ربي أو نهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب
 الخمر . ملاحاة الرجال) أي مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم في محاوراتهم رواه
 ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي وأبو داود ومرسل من حديث عروة بن رويم (والسبب)
 أي الباعث للمراء والجدال (الترفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار
 نقصه في العلوم أو الأعمال (والغضب) أي وتبيجه في محافل الرجال (وعلاج كل)
 أي من الترفع والغضب (في موضعه) أي الا ليق به وبجمله ان علاج الترفع ترك الكبر
 والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ، ويروى ان الامام الهمام أبا حنيفة
 قال لداود الطائي أحد تلاميذه : لم آثرت الانزواء ؟ فقال لا جاهد نفسي بترك الجدال
 والمراء فقال أحضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم في الاثناء قال : ففعلت ذلك فما
 رأيت مجاهدة أشد مما هنالك ، قال في الاحياء وهو كما قال لازم من سمع من غيره خطأ وهو
 قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ، ولذا قال عليه السلام « من ترك المراء وهو
 محق بنى له بيت في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال :
 وينبغي للانسان ان يكف اللسان عن أهل القبلة واذارأى أحد المبتدعة تلطف في نصحه
 على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام « رحم الله
 من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه » ابن أبي الدنيا من حديث هشام

وَمِنْهَا الْخُصُومَةُ وَهِيَ لَجَاجٌ فِي الْكَلَامِ لَا سْتِيفَاءَ حَقِّ ابْتِدَاءٍ أَوْ اعْتِرَاضًا، فَوَرَدَ
«أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ أَلَدُ الْخَصْمِ» وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا لِلْمَظْلُومِ يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بِطَرِيقِ
الشَّرْعِ مُقْتَصِرًا عَلَى الْحَاجَةِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ لِعُسْرِ ضَبْطِ اللِّسَانِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ
وَالِاحْتِرَازِ عَنْ مُوجِبَاتِ الْأَثْمِ كَالْحَقْدِ وَالْغَضَبِ وَالسَّبِّ وَالْفَرَحِ بِغَمِّ الْمُسْلِمِ وَفَوْتِ
طِيبِ الْكَلَامِ

ابن عروة مرسلًا، وقال هشام بن عروة : كان يردد قوله هذا سبع مرات ((ومنها الخصومة))
وهي من الصفات المذمومة والأخلاق المشثومة ((وهي لجاج)) أي مخاصمة زائدة
((في الكلام)) مع أصحابه الكرام ((لاستيفاء حق)) أي له أو لغيره أصالة أو نيابة ((ابتداء
أو اعتراض)) كاثبات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالأول نعت المدعى بالكسر والثاني
وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم ((فورد)) أي في البخاري عن
عائشة ((أبغض الرجال إلى الله ألد الخصم)) أي اللجوج الشديد الخصومة والحديث
مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه
وهو ألد الخصام) ولابن أبي الدنيا وغيره عن أبي هريرة «من جادل في خصومة
بغير علم يزل في سخط الله حتى يفرغ» ((وهو حرام المظلوم ينصر حجته بطريق
الشرع مقتصرًا على الحاجة)) أي قدر حاجته من غير تعد إلى حد لجأته لقوله تعالى :
(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقوله : (والذين إذا أصابهم البغي
هم ينتصرون) ((والأولى الترك)) أي إذا وجد إليه سبيلا في مكان الامكان ((لعسر
ضبط اللسان على الاعتدال)) في ميدان البيان ((والاحتراز عن موجبات الأثم))
أي والاحتراز عن مقتضيات أنواع العصيان ((كالحقد والغضب والسب)) وغيرها
من نحو الكذب والبهتان ((والفرح بغم المسلم)) في ذلك المقام ((وفوت طيب
الكلام)) أي وفوته، وقد قال عليه السلام «يوجب الجنة أطعام الطعام وحسن الكلام،
الطبراني من حديث هاني بن شريح بإسناد جيد، وقال عمر رضي الله عنه :

بني ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ولأجل ما تقدم قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال عز وعلا :
(وقولوا للناس حسنا) وقد قال بعضهم : ما خاصم قط ورع في الدين، وقال ابن

وَمِنْهَا التَّشَدُّقُ بِتَكْلُفِ السَّجْعِ وَالتَّصْنَعِ فِيهِ ، فَوَرَدَ « شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ
يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وَالسَّبَبُ إِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ ، وَأَمَّا تَحْسِينُ الْأَلْفَافِ فِي
الْمَوَاعِظِ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ فَجَائِزٌ دُونَ الْإِفْرَاطِ .

قَتِيبَةُ : مَرَّ بِي بَشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : مَا يَجْلِسُكَ ؟ قُلْتُ : خُصُومَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ
ابْنِ عَمٍّ لِي قَالَ : إِنْ لَا يَكُنْ عِنْدِي يَدَايِ أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيكَ بِهَا وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
شَيْئًا أَذْهَبَ لِلدِّينِ وَلَا أَنْقُصَ لِلرُّوْمَةِ وَلَا أَضْيَعُ لِلذَّيْلِ وَلَا أَشْغُلُ لِلْقَلْبِ مِنَ الْخُصُومَةِ
قَالَ : فَقُمْتُ لِأَرْجِعَ فَقَالَ لِي خَصْمِي مَالِكٌ فَقُلْتُ لَا أَخَاصِمُكَ فَقَالَ عَرَفْتُ أَنَّهُ حَقِّي
فَقُلْتُ لَا وَلَكِنِّي أَكْرَمُ نَفْسِي عَنْ هَذَا قَالَ فَإِنِّي لَا أَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا هُوَ لَكَ ((وَمِنْهَا
التَّشَدُّقُ)) أَيْ التَّكْلُفُ فِي الْكَلَامِ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَرَامِ ((بِتَكْلُفِ السَّجْعِ وَالتَّصْنَعِ فِيهِ))
أَيُّ مَنْ غَيْرُ أَنْ يَكُونَ فِي سَجِيَّتِهِ سَجْعٌ الطَّبْعُ ثِقَلٌ لِبَعْضِ الْمَشَايِخِ فِي ذِمِّ السَّجْعِ
فَقَالَ : رَجَعْتُ عَنْمَا سَجَمْتُ ، وَأَمَّا أَصْلُ السَّجْعِ فَغَيْرُ مَذْمُومٍ فِي الشَّرْعِ كَمَا نَزَلَ فِي
فَوَاصِلِ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوَرَدَ فِي كَثِيرٍ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، وَمِنْهُ « أَعُوذُ بِكَ
مَنْ غَلَمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدَعَاءٍ لَا يَسْمَعُ وَمِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ »
وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضَى بَغْرَةً فِي الْجَنِينِ فَقَالَ بَعْضُ قَوْمِ الْجَنَانِ :
كَيْفَ نَدَى مَنْ لَا شَرْبَ وَلَا أَكْلَ وَلَا صَاحَ وَلَا اسْتَهْلَ وَمِثْلُ ذَلِكَ يَطْلُ - أَيْ
يَهْدُرُ وَيَبْطُلُ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اسْجَعَا كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ » وَانْكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَثَرُ
التَّكْلُفِ وَالتَّصْنَعِ بَيْنَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الْمَغِيرَةِ
ابْنِ شُعْبَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَصْلُهُمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا ((فَوَرَدَ شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ
يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ)) ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ « شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ غَذَوْا
فِي النِّعَمِ يَأْكُلُونَ الْوَانَ الطَّعَامَ وَيَلْبَسُونَ الْوَانَ الثِّيَابَ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وَلِمُسْلِمٍ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ « الْإِهْلَاكُ الْمُنْتَطَعُونَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، وَالتَّنَطُّعُ هُوَ التَّعَمُّقُ
وَالِاسْتِقْصَاءُ ، وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَحَسَنِهِ
« أَنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسَا الثَّرَنَارِ وَالْمُتَفَبِّهِقُونَ الْمُتَشَدَّقُونَ » ((وَالسَّبَبُ
إِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ)) وَالبَلَاغَةُ ((وَأَمَّا تَحْسِينُ الْأَلْفَافِ فِي الْمَوَاعِظِ)) وَكَذَا فِي الْخُطْبِ
وَالْتَصْنِيفِ ((لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ فَجَائِزٌ دُونَ الْإِفْرَاطِ)) أَيْ مِنْ غَيْرِ الْإِطْنَابِ فِي
الْإِعْرَابِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ تَحْرِيكَ الْقُلُوبِ وَتَشْوِيقَهَا وَقَبْضُهَا وَبَسْطُهَا وَتَحْقِيقُهَا وَتَدْقِيقُهَا ،

وَمِنْهَا الْفَحْشُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالذَّمِّ كَلْفِظِ الْجَمَاعِ وَالْبَوْلِ وَالْجَذَامِ وَزَوْجَتِكَ،
فَوَرَدَ «الْفَحْشُ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ» وَمِنْهَا السَّبُّ، فَوَرَدَ «سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ»

ولرشاقة الالفاظ والمباني تأثير في ميدان المعاني، واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الرياء المذموم ((ومنها الفحش وهو التصريح بالذم)) أى بالكلمات الذميمة ((كلفظ الجماع)) أى تصريحاً لا تلويحاً، فعن ابن عباس «ان الله حى كريم، ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايةات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع ((والبول)) وكذا الخمر بالاولى فينبغى ان يكنى عنهم بقضاء الحاجة أو بالغائط فانه من كنايةات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الأرض مع ما فيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان ((والجذام)) ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه ((وزوجتك)) وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من فى البيت أو العيال أو أهل البيت أو أم الاولاد أو نحو ذلك ، والظاهر ان زوجك من كنايةات القرآن حيث قال تعالى : (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقال : أمسك عليك زوجك ((فورد الفحش ليس من الاسلام)) أحمد ، وابن أبى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ «ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء» الحديث وللنسائى والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو دايا كم والفحش فان الله لا يحب الفحش، ولا التفحش ولا بن أبى الدنيا . وأبى نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين والجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها، قال العلاء بن زياد : وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقته فخرج جراح فى ابطنه فقلنا : نسأله ماذا يقول ؟ قلنا من أين يخرج فقال من باطن اليد، ومن هذا القيل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة «حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك» رواه البخارى من حديث عائشة ، ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألت عن الاغتسال من الحيض «خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها» الحديث ((ومنها السب)) أى الشتم ((فورد سباب المؤمن فسق)) رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ولمسلم من حديث أبى هريرة «المستبان ما قالوا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم» ولاحمد وأبى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس

وَالرُّخْصَةُ فِي مِثْلِ هَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ بَنِي فُلَانٍ يَأْسِيءُ الْخُلُقَ لِأَحْيَاءِ لَكَ يَا أَحْمَقُ
يَا جَاهِلُ فَكُلُّ لَّا يَخْلُو عَنْ جَهْلٍ وَحَقِّ * وَمِنْهَا اللَّعْنُ وَهُوَ الْإِبْعَادُ عَنْهُ تَعَالَى
فَهُوَ حَكَمٌ عَلَيْهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ لَأَعْلَى مَيِّتٍ كَافِرٍ لِّجَوَازِ أَنَّهُ أَسْلَمَ إِلَّا إِذَا عَلِمَ مَوْتَهُ
كَافِرًا كَأَبِي جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ

باسنا دجيد «ملعون من سب والديه، وفي رواية الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو
«من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟
قال يسب أب الرجل فيسب الآخر أباه» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم «عن أن
يسب قتل بدر من المشركين وقال: لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون
وتؤذون الأحياء» رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله
ثقات، وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح «أن رجلاً وقع في آب للعباس كان
في الجاهلية فلطمه» الحديث وفيه «لا تسبوا أئمة واثنا عشر ذوا الأحياءنا» ولأبي داود والنسائي
وقال: غريب من حديث ابن عمر «أذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»
وللنسائي من حديث عائشة «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» واسناده جيد، وللبخاري
من حديث عائشة «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (والرخصة في
مثل هل أنت إلا من بني فلان) أي إذا كان بنو فلان من القبائل الدينية وأهل
الشأن الردي فيكون صادقاً في قوله (يأسىء الخلق) لأن الخلق لا يخلو من سوء
الخلق (لأحياء لك) أي حق الأحياء (يا أحمق) إذا لا يخلو أحد من نوع حماقة
(يا جاهل) لأن كل أحد جهل أكثر من علمه لقوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم
إلا قليلاً) (فكل) أي من أفراد الإنسان (لا يخلو عن جهل وحق) ولو في بعض الأحيان
والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الإبعاد عنه تعالى) أي طلب بعد الغير
عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله أو دعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه
تعالى) لأن الخبر أيضاً بمعنى الأمر (فلا يجوز) أي على أحد من فاسق ومبتدع وفاجر
بل لا يجوز (لأعلى ميت كافر) أي بحسب حكم ظاهر (لجواز أنه أسلم) أي ولم يطالع
على إيمانه أحد (إلا إذا علم موته كافراً) بنص قطعي من كتاب كافي لخب أو بتواتر
في حديث (كأبي جهل وفرعون) فإن كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة

وَلَا حَيَّ لَا حَتْمًا أَنَّهُ يُسَلِّمُ بِخِلَافِ التَّرْحِمِ لِلْإِسْلَامِ الْحَالِي لِأَنَّهُ سُؤَالُ
الْثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ وَسُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ كُفْرٌ وَيَجُوزُ
التَّعْمِيمُ مِثْلَ لَعْنِ اللَّهِ الْكَافِرِينَ، وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ مُطْلَقًا إِذْ هُوَ تَمَّا لَا يَعْنِيهِ،

و لا التفات الى كلام ابن العربي ومن تبعه كما بينته في رسالة مستقلة ﴿ ولا حى ﴾ أى
ولا على كافر حى ﴿ لا حتم ان يسلّم ﴾ فى آخر عمره وخاتمة أمره ﴿ بخلاف الترحيم للإسلام
الحالى ﴾ جواب سؤال مقدرو هو انه ينبغي ان لا يجوز الترحيم للمسلم فى الحال لجواز انه
يكفر فى المآل فقال انما يجوز ﴿ لانه ﴾ أى الدعاء بالرحمة للمسلم ﴿ سؤال الثبات على الاسلام
وهو مستحب ﴾ باجماع الاسلام ﴿ وسؤال الثبات على الكفر كفر ﴾ لانه يدل على
رضاء به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفره بل بموته على
كفره اغيظا فى أمره ، ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه
بقولهما (ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم) ومن المعلوم أن إيمانهم عند رؤية العذاب إيمان بأس وتوبة بأس فلا
يقبل لقوله تعالى : (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وقوله : (حتى اذا حضر
أحدهم الموت قال انى تبت الآن) وقوله عليه السلام « ان الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر » وأما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله
سبحانه أهلا للغفرة والرحمة بالايان والمعرفة فقل : لا بأس والظاهر أنه لا يجوز
انهى الشارع أن يقال فى جواب عطسة الكافر : يرحمك الله بل يقال يهديك الله
﴿ ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين ﴾ لقوله تعالى : (فلعنة الله على الكافرين)
و (ألعنة الله على الظالمين) بل يجوز التعميم أيضا فى حق الفاجر من غير تعيين بان يقال :
لعن الله آكل الربا وموطله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود
مرفوعا « ولعن الله الخمر وشاربها وساقيا وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها
وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » كما أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت
القدرية على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطنى فى العمال عن على رضى الله عنه « ويجوز
لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض » (والأولى الترك)
أى ترك اللعن هـ (مطلقا) هـ أى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة
لعنة هـ (اذ هو مما لا يعنيه) هـ قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عوف فدكروا بلال

وَوَرَدَ « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِالْعَانِ » *

ابن ابى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا : يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف : انهما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلانا فلا تخرج من صحيفتى لا اله الا الله احب الى من أن تخرج لعن الله فلانا، وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب فى أمره ولا خطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره هـ (وورد المؤمن) هـ أى الكامل هـ (ليس بالعان) هـ أى بنى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبنان او للبالغه فانه ربما يصدر عن المؤمن فى حالة من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان أو جماد أو حيوان ، والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر « لا يكون المؤمن لعانا » ولأبى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى : حسن صحيح « لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم » وقال عمران بن الحصين : « بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض أسفاره اذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعننها فقال عليه السلام : خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكاننى أنظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس ولا يتعرض لها أحد » رواه مسلم ، ولابن أبى الدنيا باسناد جيد من حديث أس « كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال : يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون » قال ذلك انكارا عليه كذا فى الاحياء ، وعن أبى ذر : وأبى الدرداء « ما لعن الارض أحد إلا قالت لعن الله أعصانا لله » وعن عائشة قالت : « سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال : يا أبا بكر العانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لا أعود » رواه ابن أبى الدنيا ، ولمسلم من حديث أبى الدرداء « ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » ، وشرب نعيان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام : لا تكن عوننا للشيطان على أخيك » وفى رواية « لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله » ابن عبد البر فى الاستيعاب ، والبخارى من حديث ابن عمر « أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اسمه عبيد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد جلده في الشراب فأتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام: لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله ، وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه لا يجوز ، وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك « لعن المؤمن كقتله » والتحقيق أن اللعن غير جائز إلا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة ؛ وذلك غيب باعتبار الخاتمة إذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأحوال تنقلب على الأعيان إلا أنه عليه السلام يجوز أن يعلم من يموت على غير الإسلام ولذا كان يقول في دعائه على قريش: اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر بيدكم كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وأما من لم يعلم عاقبته ولأن يلعنه فنهى عن ذلك إذ روى « أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرافنزل قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني أنهم ربما يتوبون فمن أين تعلم أنهم ملعونون ، كذا في الأحياء ، وقال مخرجه رواه الشيخان من حديث أنس مدعاه رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا » الحديث ، وفي رواية لهما « قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان » الحديث . ولهما من حديث أبي هريرة « كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه » الحديث وفيه « لعن الحيان ورعلاء » الحديث ، وفيه أيضا ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) ولفظه لمسلم ، وأما من بان موته على الكفر فجاز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم لما روى « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل أبا بكر عن قبر مرية - وهو يريد الطائف - فقال: هذا قبر رجل كان عانيا على الله وعلى رسوله - وهو سعيد بن العاص - فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهمام من أبي قحافة فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرؤ: اكفف عن أبي بكر وانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك » كذا في الأحياء وقال مخرجه: رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يحاد الله

وَمِنْهَا نِسْبَةُ الذَّنْبِ إِلَى الْمُسْلِمِ إِلَّا الذَّنْبَ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، * وَمِنْهَا الدُّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ، فَوُرِدَ «إِنَّ
الْمُظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِيَهِ» ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *

ورسوله، الحديث وفيه «فإذا سببتم المشركين فسببواهم جميعاً» وللترمذى من حديث المغيرة
ابن شعبه ورجاله ثقات «لا تسبوا الاموات فتؤذوا الأحياء» فان قيل : هل يجوز لعن
يزيد لكونه قاتل الحسين أو أمرا به ؟ فقال الغزالي : هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز ان
يقال انه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلاً عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة
من غير تحقيق وبصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل
أبولؤلؤة عمر رضي الله عنه لان ذلك ثبت متواتراً، ولا يجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق
من غير تحقيق «فعنه عليه السلام لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد
عليه اذ لم يكن صاحبه كذلك» رواه الشيخان من حديث أبي ذر، وللدبلي من حديث
أنس «ما شهد رجل على رجل بالكفر الا اتى أحدهما ان كان كافراً فهو كما قال وان
لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن
انه كافر يبدعه أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً، فان قيل : فهل يجوز ان يقال قاتل
الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله قلت : الصواب ان يقال قاتل الحسين ان
مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشياً قاتل حمزة قتله
وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعاً ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهى
الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر، كذا فى الأحياء، وقد تقدم
عنه أنه لا يجوز لعن أحد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال : قاتل
الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الإيمان وتاب
عن العصيان والله المستعان ﴿ ومنها نسبة الذنب الى المسلم ﴾ يعنى وهو برىء منه
﴿ الا الذنب بعد التحقيق ﴾ أى الا الذنب الذى تحقق وقرعه منه فقد قال تعالى :
(ومن يكسب خطيئة أو أثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثماً مبيناً) ﴿ ومنها
الدعاء على أحد ﴾ قال تعالى : (ويدع الانسان بالشرد عامه بالخير وكان الانسان عجولاً)
﴿ فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم ﴾ أى فيقول : لاصح الله جسمه ولا سلم الله
روحه ونحوه ﴿ حتى يكافيه ﴾ أى يماثله فى الظلم ﴿ ثم يبقى للظالم عنده فضلة ﴾
أى زيادة ﴿ يوم القيامة ﴾ أى ان زاد على مثله لقوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم

وَمِنْهَا الْمَزَاحُ وَهُوَ مَطَايِبَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُولَدُ كَثِيرًا مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْعُيُوبِ كَحَقْدِ الْعَاقِلِ وَجُرْأَةِ السَّفِيهِ وَسُقُوطِ الْوَقَارِ وَذَهَابِ حِلَاوَةِ الْحَبَّةِ
وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ تَعَالَى وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَوَرَدَ «لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ» إِلَّا النَّادِرَ الْخَالِيَ

عَنِ الْبَاطِلِ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) والحديث كذا في الاحياء ، وقال مخرجه:
لم أقف له على أصل ، وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف « من دعى على من
ظلمه فقد انتصر ، قلت : وهو مطابق لقوله تعالى : (ولما انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم
من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى ابتداء أو بالتجاوز عن الحد
انتهاء (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح أو مازح ، وبالضم اسم ما يمزح
به وهو المطايب في الكلام باللسان إلا أنه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان
قال المصنف (وهو مطايب القلب) ولا يبعد أن يكون المعنى وهو سبب لطيب
القلب (وهو) أى كثيره أو أصله (مذموم) أى وقاعله ملوم (لأنه يولد)
أى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) أى الظاهرة والباطنة (كحقْد العاقل
وجرأة السفیه) أى الجاهل . فعن سعيد بن العاص لابنه « يابنى لا تمازح الشريف
فيحقد عليك ولا الدنيا فيجتريء لديك » (وسقوط الوقار) أى الهيبة والعظمة
في نظر الأبرار فعن عمر رضى الله عنه « من مزح استخف به ، (وذهاب حلاوة المحبة)
لأنه لا يخلو عن مرارة في الصحبة ويقال : المزاح مذهب للبهاء ومقطعة للأصدقاء
(والغفلة عنه تعالى) أى عن ذكر الرب بحسب الأغلب (وظلمة القلب) أى الناشئة
عن الغفلة (وورد لا تمار أخاك ولا تمازحه) الترمذي (إلا النادر الخالي عن الباطل)
أى فانه غير مذموم كما ورد « انى لا مزح ولا أقول إلا حقا » لكن مثله يقدر على أن
يمازح ولا يقول إلا حقا وأما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس
كيف كان وكثرة الضحك تميم القلب وتدل على الغفلة عن أحوال الآخرة وأهوالها
وقد ورد « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » متفق عليه من حديث أنس
وعائشة ، وقال الفاسم مولى معاوية « أقبل اعرانى الى رسول الله ﷺ على قلوب
له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى عليه السلام ليسأله نقر به وجعل الصحابة يضحكون

كَأَ هُوَ الْمَأْثُورُ *

منه ففعل ذلك ثلاث مرات : ثم وقصه فقتله ، فقبل : يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلو صه فهلك قال وأفواهكم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (كما هو المأثور) عن الحسن قال : « أنت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : لا تدخل الجنة عجوز فبككت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى (انا أنشأناهم انشاء فجعلناهم أبكارا) » الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف ، وروى زيد بن أسلم « ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان زوجي يدعوك فقال ومن هو الذي بعينه يياض فقالت والله ما بعينه يياض قال بلى ان بعينه يياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من أحد الا بعينه يياض » أراد به البياض المحيط بالحدقة الزير بن بكار ، وجاءته امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نعم لك علي ابن البعير فقالت ما أصنع به لا يحملني فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير » ابوداود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ « انا حاملوك علي ولد الناقة » وروى دان الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا ذميا قبيحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : عندي امرأتان أحسن من هذه الخمراء أفلا أنزل لك عن احدهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت : هي أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان ذميا ، الزير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا ، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة ، وقال عليه السلام « لصهيب وبهرمدو قد رآه يأكل تمرا : فقال أنا كل التمر وأنت رمد ؟ فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام » قال بعض الرواة « حتي بدت نواجذه » ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ، وروى « ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرا لجل لي شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل ذاك الشراد بعد قال : فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أتقرر منه كما رأيت حياء منه حتي قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وأنا أعلي في المسجد فجلس الى

وَمِنْهَا الْاِسْتِهْزَاءُ وَهُوَ اسْتِحْقَارُ الْغَيْرِ بِذِكْرِ عِيُوبِهِ عَلَى وَجْهِ يَضْحَكُ قَوْلًا
وَفِعْلًا، وَهُوَ حَرَامٌ لِأَنَّهُ إِذَا، وَوَرَدَ (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)

فطولت صلاتي فقال : لا تطول صلاتك فاني أنتظر كقلبا فرغت قال: يا أبا عبد الله
أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه حتى لحقني
يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد فقال : يا أبا عبد الله أما ترك
ذلك الجمل الشراد بعد ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله
أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله « الطبراني
في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات » وكان نعيان
الانصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالمهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الصحابة : لعنك الله فقال النبي ﷺ : لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري
الشيء ويهديه إلى النبي ﷺ ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه
السلام : أولم تهده لنا ؟ فيقول : يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكله
فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه بثمنه ، رواه الزبير بن بكار ، فهذه مطايات
يباح مثلها بل يستحب أحيانا ومن الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة على الدوام
ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزوج أبدا ينظر إلى رقصهم ويتمسك
بأذنه عليه السلام لعائشة في النظر إلى رقصهم في يوم عيدهم فهذا خطأ ، ومن الصغائر
ما تصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما تصير صغيرة بالاصرار كذا في الأحياء
﴿ ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك ﴾ أي منه على
الملا ﴿ قولا وفعلًا ﴾ متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على أن ذلك قد يكون بالمحاكاة
في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء فعن عائشة « حكيت إنسانا فقال
عليه السلام ما يسرني أني حكيت إنسانا ولي كذا وكذا ، رواه أبو داود والترمذي
وصححه ﴾ (وهو) أي بجميع أنواعه ﴿ حرام لأنه إيذاء ﴾ وأيضا هو عمل السفهاء ولذا
قال موسى : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » حين قال قوم (اتخذنا هزوا) أي
مهزوا بئنا ﴿ وورد ﴾ في سورة الحجرات ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾

من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله إلا فيمن جعل نفسه مسخرة يمزح
 به فهو كالمزاح * ومنها إظهار السر فهو من لؤم الطبع وفيه الأيذاء والاستحقار،
 وورد «لا يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره» إذا حدث الرجل الحديث ثم
 التفت فهي أمانة * ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلاث هي علامات النفاق
 أما الواجب

تمامه (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) (من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله)
 الترمذي عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه
 وعنه عليه السلام «ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال: هلم هلم
 فيجىء بكرهه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب
 فيقال له: هلم هلم فما يأتيه» ابن أبي الدنيا مرسله، وعن عبد الله بن عباس في قوله تعالى
 (يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) الصغيرة التبسم
 بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة الفهقة بذلك وذلك كالضحك على حظه وصنعة
 أو على صورته وخلقه (الا) استثناء من حرام أى إنما يحرم فى حق من يتأذى به لا
 (فيمن جعل نفسه مسخرة يمزح به) وربما يفرح بسببه (فهو) أى السخرية
 فى حقه (كالمزاح) الذى فى أصله من جنس المباح (ومنها إظهار السر) أى إفشاء سر
 لغير صاحبه وإذاعته وإشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنهى عنه فى لسان الشرع
 (وفيه الأيذاء والاستحقار) أى التهاون بحق المعارف والأصدقاء (وورد لا
 يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره) لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث
 «بينكم أمانة» رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسله وللخطيب عن علي
 «المجالس بالأمانة» ولابن داود عن جابر «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس سفك دم
 حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق» وورد من حديث جابر (إذا حدث
 الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة) أبو داود والترمذي وحسنه (ومنها الوعد على
 عزم الخلف فهو من ثلاث) أى خصال (هي علامات النفاق) فعن أبي هريرة مرفوعا
 «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب،
 وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خاز» متفق عليه (أما الواجب) أى شرعا أو مروية

الْوَفَاءُ فِي كُلِّ وَعْدٍ فَهُمْ مِنْهُ الْجَزْمُ وَإِنْ اسْتَشْنَى، فَوَرَدَ (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)
«الْعِدَّةُ دِينَ أَوْعِطِيَّةٌ» وَيَعْذُرُ إِنْ تَرَكَ بَعْذُرُ،

(الوفاء في كل وعد فهم) أي صاحب الوعد (منه الجزم وإن استثنى) أي وقال إن شاء الله لأنه قد يقال للتبرك أو للتبريء من الحول والقوة كما يشير إليه قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) أي إلا مقرونا بذكر مشيئته وإرادته (فورد) أي في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) (أوفوا بالعقود) أي بالعهود، وورد في السنة (العدة) أي الوعد (دين) أي قرض كقرض (أوعطية) شك أو اختلاف رواية وهو الأظهر، وقد اقتصر في الأحياء على الثاني وقال يخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره أيضا وأما اللفظ الأول فرواه الطبراني في الأوسط عن علي وعن ابن مسعود، وفي رواية ابن عساكر عن علي «العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف كرره ثلاثا» ولا بن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسله الوأي مثل الدين أو أفضل وقال الوأي يعني الوعد ورواه الديلمي أيضا عن علي وقد أثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله أنه كان صادق الوعد يقال: إنه واعدنا سانا إلى موضع فلم يرجع إليه فبقي اثنين وعشرين وما ينتظره، وعن عبد الله بن أبي الحساء «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده أنه إن آتاه بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظر» رواه أبو داود «وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هو أزن بحنين فوقف عليه رجل فقال: إن لي عندك موعدا قال: صدقت فاحتكم ما شئت فقال أحتمكم ثمانين ضانية وراعيها فقال: هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أجزم منك وأجزل حكما حين حكمها موسى فقالت: حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة» ابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث أبي موسى مع اختلاف، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وأجزم بالجيم والزأى أوجب ولا يبعد أن يكون بالخاء المهملة أي أحوط والزم (وبعذر) أي يعدم معذورا (أن ترك) أي الوفاء (ببعذر) أي شرعى أو فرعى فكان ابن مسعود لا يبعد وعدا إلا ويقول: إن شاء الله أي تعليقا لئلا يكون الوعد بتحقيقا وقيل لأبراهيم بن أدهم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء قلت: وهذا من قبيل الإحجاب وما سبق من باب

فَوَرَدَ فِيهِ نَفْيُ الْأَثْمِ إِنْ كَانَ فِي نِيَّتِهِ الْوَفَاءُ لَكِنَّهُ مَتَّصِرٌ بِصُورَةِ الْخُلْفِ
فَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ وَمِنْهَا الْكَذِبُ وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا وَقَعَ فِي تَرْكِهِ الْخُشْيُ مِنْهُ كَمَا
فِي سِتْرِ الْأَسْرَارِ وَالْإِنْكَارِ عَنِ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ مَنْ أَخْتَفَى عَنْ ظَالِمٍ قَصَدَ قَتْلَهُ

الاستحباب ((فورد فيه)) أى فى المعذور ((نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء)) أى من
أصله فى الوعد المذكور، فلا بد والترمذى من حديث زيد بن أرقم اذا وعد
الرجل أخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلا اثم عليه ((لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى
الاحتراز)) أى احترازاً من التهمة فى خلف الوعد، وأما ما فى الأحياء انه عليه السلام
«كان اذا وعد وعدا قال عسى» فقال مخرجه لم أجد له أصلاً ((ومنها الكذب)) بفتح
فكسرو بكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ((وهو حرام))
بالكتاب والسنة قال تعالى : (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وفى
الصحيحين «أربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب» وفيهما عن ابن مسعود
«لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» ولا بن عبد البر
فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل
يزنى المؤمن؟ قال : قد يكون من ذلك قال هل يكذب؟ قال لا ثم أتبعها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذه الكلمة : (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله) وفى حصره مبالغة فى تقيده عن المؤمن أو مقيد بالكامل، ويؤيده ما رواه ابن
أبى شيبة فى مصنفه من حديث أبى امامة وابن عدى من حديث سعد بن أبى وقاص
على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب، وقيل لخالد بن
صبيح : من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم ((الا)) استثناء من قوله
وهو حرام أى ولا يحرم بل يجب ((اذا وقع فى تركه)) أى حصل فى ترك الكذب
((أخش منه)) أى منكر أعظم من الكذب ((كفى ستر الأسرار)) أى بان يسأل عن ستر
أخيه فله أن ينكره ويكذب فيه وكذا فى ستر أسرار نفسه من كشف عوراتها فعنه عليه السلام
«اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئاً فليستر بستر الله» رواه الحاكم
واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى بل أعظم من الأولى وللرجل
أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلماً وعرضه بلسانه وان كان كاذباً ((والانكار عن
العلم)) أى وكفى عدم الاقرار ((بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله)) أو ضربه أو أخذ ماله

أَوْفِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الصَّدَقِ ، فَوَرَدَ الاستثناءُ في الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَدِيثِ
مَعَ الْمَرْأَةِ لِأَعْنَدَ اسْتِوَاءِ الظَّرْفَيْنِ فَاصْلَهُ قَبِيحٌ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ فِي حَاجَتِهِ لَا فِي
حَاجَةِ الْغَيْرِ إِنْ أَمَكَنَّ لَغَمُوضِ الْأَمْرِ

أو كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير أرى من
الصدق أرايت لو أن رجلاً يسمى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فأنتهى إليك فقال
أفرايت فلاناً ما كنت قاتلاً له ألسنت تقول له لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب
(أوفيه) أي أوفى تركه (أحسن من الصدق) كما في إصلاح ذات البين (فورد الاستثناء)
أي استثناء حرمة الكذب (في الحرب والإصلاح) أي إصلاح ذات البين
(والحديث مع المرأة) ففى صحيح مسلم عن أم كلثوم قالت : د ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يرخص فى شيء من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول
يريد الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة
تحدث زوجها ولعل المراد بتحدث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد فى أحد الأمرين
بنية عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن
سليم عن عطاء بن يسار مرسلًا « قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أ كذب
أهلى قال لا خير فى الكذب قال : أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك » ولأن
أسرار الحرب لو وقفت عليه العدو اجتراً وأسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ
عنه فساد أعظم من فساد الكذب ، وكذا المتخاصمان تدور بينهما المصيبة والعداوة
فاذا أمكن الإصلاح بينهما بكذب فذلك أولى من الصدق الذى لم يترتب عليه
خير ، ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر « جاء عليه
السلام الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت أمى يا عبد الله تعال أعطك
فقال عليه السلام ما أردت تعطيه فقالت : تمرأ فقال : أما انك لو لم تفعلى كتبت عليك
كذبة ، رواه أبو داود (لا) أى لا يجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله
قبيح) أى فى الأمرين فلا بد من ترجيح (والأولى الترك) أى ترك الكذب
(فى حاجته) أى أمر نفسه لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى (لا
فى حاجة الغير) وهو تصریح بماعلم ضمناً (ان أمكن) أى تركه (لغموض الأمر)
أى لختفاء جواز أمر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات

وَلَوْ تَعَرَّيْضًا لِأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى ظَنِّ كَاذِبٍ وَإِلَّا فَأَلْمَاعَارِضٌ مِثْلُ اللَّهِ يَعْلَمُ
مَا قُلْتَهُ وَمَذْفَارُكَ مَارَفَعَتِ الْجَنْبَ عَنِ الْفِرَاشِ إِلَّا مَارَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْكَارِ
عَنِ الْقَوْلِ وَالصَّحَّةِ

والحالات ((ولو تعريضاً)) غاية من قوله والاولى الترك ((لانه)) أى التعريض بمعنى التلويح ((تقرير على ظن كاذب)) وقد ورد من حدث بالحديث وهو يرى انه كاذب فهو أحد الكاذبين « رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوزوا الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات ((والا)) أى وان لم يمكن ترك الكذب ((فالمعارض)) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شئ آخر كذا في البستان، وتحقيقه في قوله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وفي المغرب التعريض خلاف التصريح ، والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما أقبح البخل تعريضاً بانه بيل والكناية ذكر اللازم وإرادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حائل السيف ، والمعنى انه طويل ومضياف ، وقد ورد ان في المعارض لندوحة عن الكذب « ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين مرفوعاً وفي الأحياء وقد نقل عن السلف ان في المعارض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه أيضاً عن ايراد حديثه ((مثل الله يعلم ما قلته)) لاحتمال كونه مانافية أو موصولة أو استفهامية ((ومذفارقتك مارفعت الجنب عن الفراش الا مارفعه الله تعالى)) فانه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري ((في الانكار عن القول)) بالنسبة الى الاول ((والصحة)) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب في بدیع المباني ومنبع المعاني وفي الأحياء ومن أمثلة المعارض ما روى ان مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال: مارفعت جنبي منذ فارقت الأمير الا مارفعني الله هـ وقال ابراهيم: اذا بلغ الرجل عنك شيئاً فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده الابهام، وكان معاذ عاملاً لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته: ما جئت به مما يأتى به العمال من غراضة أهلهم ولم يكن جاء به فقال كان معى ضاغط فقالت: كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فبعث معك عمر ضاغطاً فقامت بذلك في نساءها فاشتكت عمر فلما سمع عمر

ثُمَّ التَّصْرِيحُ، وَالْمُعْتَبَرُ النِّيَّةُ وَالِاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَمِنْهُ التَّسَامُحُ فِي الْعَدَدِ
مُبَالَغَةً مِثْلُ قَلْتَهُ مِائَةً مَرَّةً وَنَحْوَهَا لَا بِالْمُتَجَاوِزِ عَنِ الْحَدِّ الْمَعْهُودَةِ وَلَكِنْ لَا يَعْتَادُهُ
فَفِيهِ خَطَرُ الْوُقُوعِ فِي الْأَثْمِ وَفِي شَهْوَةِ الطَّعَامِ،

بذلك دعا معاذًا فقال: بعثت معك ضاغطا فقال لم أجد ما اعتذر به اليها إلا ذلك فضحك
عمر وأعطاه شيئا وقال أرضها به، وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى أي محاسبا ضابطا،
وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول أرأيت لو شريت
لك فانه ربما لا يتفق له ذلك، وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية
قولي له: اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هنا كيلا يكون كذبا، وكان الشغبى اذا
طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى أصبعك فيها وقولي
ليس هنا، ومن المعارض ما أخرجه الحسن بن سفيان. والديلمي عن أبي هريرة قال: «
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة أبي بكر وقال: يا أبا بكر ول الناس
عنى فانه لا ينبغي لنبى أن يكذب فجعل الناس يسألونه من أنت قال باغ يبتغى قالوا
ومن وراءك؟ قال هادي هدينى، (ثم التصريح) أى بالكذب عند عدم امكان التلويح
(والمعتبر النية) أى تحمين الطوية في التصحيح (والاستفتاء من القلب) أى السليم
من الغرض السقيم (ومنه) أى من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه
(التسامح في العدد) أى بذكره (مبالغة) أى زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقد يزداد في
المبالغة ويقال ألف مرة فيأثم بالمرة (ونحوها) أى العشرة (لا بالمتجاوز عن الحد)
أى حد الكثرة (المعهودة) فى المحاورة (ولكن لا يعتاده) أى لا ينبغي اعتياده
المبالغة (ففيه خطر الوقوع فى الاثم) أى اثم الكذب اذا لم يصل فى العرف الى
حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها
ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا: الاستعارة تفارق
الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على
ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت أسدا فى الحمام والله أعلم بحقائق المرام ولكن عليك
بالاحتياط فى مثل هذا الكلام، فعن خوات التيمى قال: جاءت أخت الربيع بن خيثم
عائدة الى بنى فأنكبت وقالت كيف أنت يا بنى؟ فقال ربيع أرضعتيه قالت لا قال ما عليك
لو قلت يا ابن أخى فصدقت، (وفى شهوة الطعام) أى من الكذب التسامح فى نفى

فورد «لَا يَجْتَمِعُ مِنْ جُوعًا وَكَذِبًا» وَالْأَخْشُ وَقُوعُهُ فِي الْيَمِينِ فَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ
وَفِي مِثْلِ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَذَابٌ، فَعَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَفِي
الْأَخْبَارِ

شهوة الطعام وذلك كان يقال لانسان كل الطعام فيقول لا أشتيه وذلك منهى عنه
ان لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) أى عن مجاهد عن أسماء بنت عميس «كنت
صاحبة عائشة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة قالت: فوالله
ما وجدنا عنده قرى - أى ضيافة - الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت
الجارية قالت : فقلت لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه قالت فاخذته على
حياء فشربت منه ثم قال لى : ناولى صواحبك فقان : لان شتهى فقال عليه السلام :
(لَا يَجْتَمِعُ مِنْ جُوعًا وَكَذِبًا) كذا فى الاصل من باب الافتعال والرواية الصحيحة
«لَا يَجْتَمِعُ مِنْ جُوعًا وَكَذِبًا» قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا شىء نشتهى لا
اشتبهه أيعد ذلك كذبا؟ فقال عليه السلام : ان الكذب يكتب كذبا حتى تكتب
الكذبة كذبة » والحديث أخرجه ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الكبير، وله نحوه من
رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت
اذا ذاك بالحبشة سكن فى طبقات الأصهبانيين لابی الشيخ من رواية عطاء بن أبى رباح عن
أسماء بنت عميس وزفنا الى النبي ﷺ بعض نسائه، الحديث فاذا كانت غير عائشة
من تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (والأخش) من أنواع الكذب (وقوعه
فى اليمين فهو من الكبائر) فورد «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزكهم المنان بعطيته والمنفق سلعتة بالحلف الكاذب والمسبل إزاره»
رواه مسلم من حديث أبى ذر، وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود «من حلف
على يمين مأثم ليقطع به مال امرئ مسلم وقال عليه السلام : وكان متكئا الا أنبئكم
بأكبر الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا و قول الزور» متفق
عليه من حديث أبى بكر وهو أعم من شهادة الزور (وفى) أى وكذا الأخش وقوعه
(مثل الله يعلم أنه كذا) قال النووي فى الاذكار : وهذه العبارة فيها خطر وان كان
صاحبها متيقنا ، (فمن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل الى
علام الغيوب فان علمه تعالى تعالى بغيره وقوعه (وفى الاخبار) أى وكذا الأخش الكذب

وَالرُّؤْيَا فَمِمَّا عُدَّ مِنْ أَكْثَرِ الْفَرَى، وَمِنْهَا الْغَيْبَةُ وَوَرِدَ فِيهَا «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» وَيَجُوزُ الْأَجْمَالُ فُورِدَ «مَا بَالَ أَقْوَامٌ يَفْعَلُونَ كَذَا» إِلَّا أَنْ يُفْهَمَ الْمَعْنَى

صدوره في الأخبار وهو بفتح الهمزة أو بكسرهما أي الإعلام لا سيما الكذب على النبي عليه السلام ((والرؤيا)) أي وفي الأحلام ((فمما عدا من أعظم الفري)) أي الافتراء فقي البخاري «ان من أعظم الفري أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تر أو يقول على ما لم أقل» وفي الاحياء وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الاخبار في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض إذ قال عليه السلام: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يعني وهو متفق عليه من طرق قاربت أن يكون متواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذنى الصديق مندوحة عن الكذب، وفيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها، وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هو السبب ليس هذا من الأغراض التي تقام محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة ولا يقوم خير هذا بشره أصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر، أقول وقد صرح الجويني والداماد الحارثي بأنه كفر، وهذا عن أسماء بنت أبي بكر «سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: ان لي ضرة واني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضرارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال المذنب بما لم يوطئ كلابس ثوبي زور» متفق عليه، ولا بن عبد البر في الاستيعاب عنه عليه السلام «لا يستكمل المؤمن إيمانه حتي يحب لآخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه» ((ومنها الغيبة)) بكسر الغين ((وورد فيها)) أي في حدها وتعريفها ((ذكرك أخاك بما يكره)) أي على سبيل المنقصة في حال الغيبة، فعن أبي هريرة «ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما أقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما أقول فقد بهته، رواه مسلم» ((ويجوز الاجمال)) أي الابهام في الغيبة ((فورد ما بال أقوام يفعلون كذا)) رواه أبو داود عن عائشة بسند صحيح «انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» ((الا ان يفهم المعنى)) أي من المبهم بقريته فقولاك بعض من قدم من السفر

وَكَذَا مِثْلُ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى الْيَوْمِ، وَأَنْوَاعُهَا التَّضْرِيحُ، وَالتَّعْرِيزُ
 مِثْلُ فُلَانٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي عَنْ مَخَالَطَةِ السُّلْطَانِ، وَالْإِشَارَةِ،
 فُورِدَ « تَسْمِيَتُهُ غِيبةً » وَالْغَمَزُ، وَالْحَاكَاةُ وَكُلُّ مَا يُنْبِئُ عَنْهَا فَهُوَ حَرَامٌ، فُورِدَ
 (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا)

وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذ كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو
 غيبة لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم (وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم)
 من جملة الإبهام فإن الطائفة بمعنى القوم (وأنواعها) أى الغيبة ستة (التصريح) وهو
 ظاهر ، ومنه « أن عائشة ذكرت امرأة فقالت : أنها قصيرة فقال عليه السلام : اغتبتها »
 رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه (والتعريض) أى التلويح (مثل
 فلان تاب الله عليه) فقيه تنبيه على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين
 قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمني عن مخالطة السلطان)
 وهذا من غيبة القراء المرائين وأتباع الشيطان وهو أخبث أنواع الغيبة فإنهم يفهمون
 المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون
 بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والإشارة فورد تسميته غيبة)
 وفى نسخة نسميه غيبة ، ومن ذلك قول عائشة « دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت
 يدي أى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها » ابن أبى الدنيا وابن مردويه ورجاله
 ثقات (والغمز) أى بالعين للتشبيه أو أخذ البدن للتنبيه (والمحاكاة)
 فورد حين حكى عائشة انسانا فقال ما يسرنى ، وفى رواية « ما أحب أنى حكيت انسانا
 وإن لى كذا وكذا » وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل
 فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجا أو متطأطا رأسه
 أو غير ذلك من الهيئات بل هو أشد أنواع الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهم
 على ما فى الاحياء (وكل ما ينبئ عنها فهو حرام) كذا كرام المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معنا
 وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره
 وذلك لان القلم أحد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحًا وتلويحًا (فورد) أى
 فى سورة الحجرات (ولا يغتب بعضكم بعضًا) أى لا يتناول بعضكم بعضًا فى ظهر الغيب

أَيُّهَا أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) الْآيَةُ: الْغِيَّةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثِينَ زَنِيَةً فِي الْإِسْلَامِ

بما يسوءه بما فيه «أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الآية» أي فكرهتموه والاستفهام للأنكار كما قال مجاهد لما قيل لهم: (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) قالوا لا أي بلسان القول أو ببيان الحال قيل فكرهتموه، والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج: وتأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة «ألا يغتابن منكم أحدا جذا فاني قلت لا مرة مرة وأنا عنده عليه السلام أن هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم أحر» ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير «ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه: اقصص كما يقصص الكلب أي قتل مكانه فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال: انتهشان منها فقالا لا يا رسول الله تنهش حيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه» أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة باسناد جيد وعن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال كله ميتا كما أكلته حيا» ابن مردويه في التفسير، وروى عن أبي بكر وعمر «أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لتؤوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام: قد اتدمتما فقالا: مانعنا فقال: بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما» رواه أبو العباس الثغولي أو الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى نحوه كذا في تخريج الأحياء، وقال الإمام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور، ففي هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما، وكان القائل أحدهما تنبيه على أن المستمع أحد المغتابين وأن المستمع لا يخرج من أثم الغيبة إلا بان ينكر بلسانه فإن خاف فبقلمه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر في ذلك المقام فلم يفعل لزمه الأثم ولا يكفي أن يشير باليد أي أسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظمه ويذب عنه صريحا فغتنه عليه السلام من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق أحمد والطبراني عن سهل بن حنيف وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة»، والطبراني عن أسماء بنت يزيد «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعقبه من النار، (الغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام)» وإنما قيده بحال الإسلام لأنه أقبح مما قبله

وَالسَّبَبُ التَّشْفِيُّ مِنَ الْغَيْظِ

في الأحكام وقيل لان الزنا في دار الحرب وفي عسكر أهل البغي لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه في خطر انتقاله الى أهلها والا فلا يسقط عنه بالكلية ولا انه أخف من زناه في دار الاسلام والله سبحانه أعلم بحقائق المقام.

والحديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير « بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » وأما الحديث بلفظ الماتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له أصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث أنس قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنيها الرجل وان أرى الربا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض » والحديث رواه أحمد وابن أبي الدنيا ، وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (ويل لكل همزة لمزة) الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس ، وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فسادا في دين المؤمن من الأكلة في الجسد ، وقال بعضهم : أدركت وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكر في الكف عن اعراض الناس السلف ، وقال ابن عباس : اذا أردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ، ولعله مقتبس من قوله عليه السلام : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » الديلمي عن أنس ، وقال أبو هريرة « يبصر أحدكم القذا في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه » وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب آخر « فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس » وقال الحسن « ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك ، ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث « كفى بالمرء كذبا وانما ان يحدث بكل ما سمع » (والسبب) أي الباعث على الغيبة سبعة مشهورة (التشفي من الغيظ) أي الغضب الكامن في القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الدني ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلي فلا يزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس « ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفي غيظا بمعصية الله » وللاديلي عن سهل بن سعد « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ، ولا يبي داود والترمذي

وَمُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ خَوْفًا عَنِ الثَّقِيلِ وَالتَّحَامِي عَنْ رَدِّ قَوْلِهِ لِسَبْقِ الْغَيْرِ
فِي تَقْيِيحِهِ وَالتَّبَرِّي عَنْ فَاحِشَةٍ مِّنْسُوبَةٍ إِلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَيْرِ وَالْمُبَاهَاةُ
وَالْحَسَدُ وَالْإِسْتِهْزَاءُ وَنَحْوُهَا، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا

وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه
أى يمضيه كما فى رواية «دعاها الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور
شاء» (وموافقة الاقران) أى اخوان الزمان (خوفا عن الثقل) أى عن عده ثقلا
فى ذلك المكان اذا أنكر الغيبة أو قطع مجلس الصلوة، ويرى ذلك من حسن المعاشرة
وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه فى رضى المخلوقين
(والتحامى) أى المحافظة (عن رد قوله لسبق الغير فى تقيححه) أى تقيح قوله
وبيانه أن يستشعر من انسان أنه سيقصده ويطول لسانه ويقبح مقاله ويفضح حاله
عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط
أثر مقاله وشهادته، وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا
لزيد أن يفتاب عمرا بان يقول: هو جاهل أو أحمق ونحوهما ليحامي ما سبق من
كلامه عن بطلان مرامه (والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير) أى
بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضره، وحاصله أنه ينسب الى شيء فيريد أن يتبرأ
منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذى فعله ولا ينسب
غيره اليه فيكون بهذا جمعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو اثما
ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) (والمباهاة) أى التصنع والمفاخرة بان يرفع
نفسه بتنقص غيره وخفض أمره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف
وعقله خفيف، وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويرى أنه أعلم منه (والحسد)
وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة
عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند
الناس حتى يكفوا عن إكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه أن يسمع
علوم مرامه (والاستهزاء) أى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى فى الحضرة فيجرى أيضا
فى الغيبة (ونحوها) أى من اللعب والهزل والمطايبة وترجية الوقت بأسباب المقت
(والعلاج) أى الذى به يمنع اللسان من الغيبة (ذكر ما ورد فيها) أى فى ذم الغيبة

وَدَفَعَ السَّبَبَ بِمَا فِي مَوْضِعِهِ وَالْمَرْخَصَ التَّظْلَمَ، فَوَرَدَ (لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
 مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) الْآيَةَ إِنَّ لَصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا وَالْإِسْتِعَانَةَ عَلَى تَغْيِيرِ
 الْمُنْكَرِ وَإِصْلَاحِ الْعَاصِي فَهُوَ مَأْثُورٌ وَالْإِسْتِفْتَاءَ فَلَمْ تَمْنَعِ هِنْدُ امْرَأَتُ أَبِي سَفْيَانَ
 أَنْ يَنْحَلَّ بِهَا زَكْرَةُ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ لِأَخْذِ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

من الكتاب والسنة (ودفع السبب) أي من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب
 (بما في موضعه) أي بما يذكر من كتب الاخلاق في محله فان مساوى الاخلاق
 كلها اما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص
 عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الا ان
 الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق
 وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من أكبر الفساد الامن حفظه الله
 من العباد (والمرخص) أي في ذكر مساوى الغير سبعة أمور (التظلم فورد) في سورة
 النساء (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضيا بالظلم
 والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا وأما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى
 السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عليه السلام: (ان
 لصاحب الحق مقالا) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث أبي هريرة ولا يداود
 والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح «ان الواجد ينحل عرضه وعثوبته»
 (والاستعانة) أي بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) أي ازالته (واصلاح
 العاصي) بتركه وتوبته (فهو مأثور) أي مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب
 ان أبا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله
 الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
 شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه
 (والاستفتاء) كما تقول للمفتي ظلمنى أبى أو أخى أو زوجى وكيف طريق الخلاص لى
 (فلم تمنع هند امرأة أبى سفيان بن الحرب) أي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
 جل كونها (ذاكرة بخلل أبى سفيان لاخذ ماله) أي لاجل اخذها من ماله (بغير علم)
 ففى الصحيحين من حديث عائشة «ان هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ان أبى سفيان
 رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى فقال عليه السلام خذى ما يكفيك وولدى

والتعريض أولى والتحذير عند خوف سراية الفسق أو الضرورة إلى الغير،
فورد « اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره الناس » أمامعاوية فرجل صعلوك لا مال له
وأما أبو جهم فلا يرفع العصا عن أهله أنكحى أسامة بن زيد واشتهر المذكور
باسم العيب كالأعمش والأعرج والعدول أولى وإظهاره الفسق، فورد « من ألقى
جلباب الحياء فلا غيبة له »

بالمعروف، وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكومة والدعوى (والتعريض أولى)
بأن يقول: كيف من تأخذ مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله (والتحذير عند خوف سراية
الفسق) فإذا رأيت متعففا يتردد إلى فاسق أو مبتدع وخفت أن يسرى إليه فسقه
أو تتعدى إليه بدعته فلك أن تكشف له بدعته وفسقه (أو الضرورة) أي أو عند خوف
الضرر الكثير المنجر (إلى الغير فورد) أي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
(اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره الناس) رواه الطبراني وغيره بلفظ « أترعون عن
ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس » وهذا دليل السراية وأما دليل الضرورة فنقوله
عليه السلام لامرأة استشارت النبي في تزوج معاوية أو أبي جهم أو أسامة (أمامعاوية
فرجل صعلوك) أي فقير جدا (لا مال له) تأكيد لحاله (وأما أبو جهم فلا يرفع
العصا عن أهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه، وفي رواية « عن عنقه » وهو
يحمل المعنى المذكور أو الكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته في حضره (أنكحى أسامة
ابن زيد) أي فانه خير منهما في حسن عشرته وطيب تفقته (واشتهر المذكور باسم
العيب) أي من الاعتذار المرخصة (كالأعمش والأعرج) وكذا الأعمى والأعور
والأصم والأبكم والأبرص والاحمر والأصغر (والعدول) أي إلى وصف آخر
أو عبارة أخرى (أولى) أي أخرى ولذا يقال البصير للأعمى عدولا عن اسم النقص
في المبنى وإن كان المآل واحدا في المعنى، وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل
الأسود ثم قال استغفر الله أني أراني قد اغتبهته، وذكر ابن سيرين إبراهيم فقال النخعي:
ولم يقل الأعور (واظهاره الفسق) أي اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص
كالخنث والقواد المجاهر بشرب الخمر والزنا والربا ومصادرة الناس باخذ أموالهم
(فورد) من حديث أنس (من ألقى جلباب الحياء) أي غطاءه (فلا غيبة له) رواه

وَنَحْوُهُ مِنَ الْغَرَضِ الصَّحِيحِ وَالْأَصْلُ الْأَسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ

ابن عدي وأبو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به ائتم قال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين: ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب اصبته اشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحجاج، وقال قوم: لا غيبة في الدين لانه ذم ماذمه الله قد كره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روى «انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال: هي في النار» ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة «وذكر امرأة أخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا» رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل قال في الاحياء: وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يسكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول: وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، واما قوله: والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب فقيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام (ونحوه) أي ونحو المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد أن يودع عند احد: انه خائن (والاصل) أي في الغرض الصحيح (الاستفتاء من القلب) أي في التصريح والتلويح بذكر العيب، ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفارة من اغتابه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا والحارث بن أسامة في مستنده من حديث انس بسند ضعيف، وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك ان تثنى عليه وتدعوله بخير أو يؤيده قوله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار، واما قول عطاء بن أبي رباح حين سئل عن التوبة عن الفرية قال: تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالاقتراء بل ينبغي ان يعترف

بالخطأ في حضور الملاء بالخلاء أو الملاء فقول صاحب الأحياء : وهو الأصح مبنى على أنه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلامرية ، وأما إطلاق قول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ في الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة «من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليتحللها من قبل أن يأتي يوم ليس هنالك دينار ولا درهم فيؤخذ من حسنة فأن يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فأن كان صاحب الغيبة غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيراً للسيئات فأن الحسنات يذهبن السيئات» وكان بعض السلف لا يحل للظالم قال سعيد بن المسيب : لا أحل من ظلمني ، وقال ابن سيرين : أني لم أحرمها عليه فاحللها له أن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبداً ، والظاهر أن المراد بالاستحلال جعله في حل بمعنى عفو عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا يحمل قوله عليه السلام «أي عجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال : اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس» رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس ، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قال العراقي : وإنما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي ، والمعنى اني لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه ولا أفلا تصير الغيبة حلالاً به بل ولا تسقط المظلة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخصم كان له ذلك قياساً على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل وثوابه أكمل ؛ وقال الحسن : اذا جئت الاسم على الركب بين يدي الله يوم القيامة نودوا ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلة في الدنيا وكأنه مستفاد من قوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وجاء في قوله تعالى (خذ العفو) الآية أنه عليه السلام «قال يا جبريل ما هذا العفو؟ قال : أن الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك» وقد روى عن الحسن «أن رجلاً قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال : قد باغنى أنك قد اهديت الى حسناتك فاردت أن أكافيك عليها فاعذرتني فاني لا أقدر أن أكافيك على التمام» وقال بعضهم : «لو كنت أغتاب أحداً لا غتبت أمة فانها أولى بان تأخذ حسناتي

وَمِنْهَا النَّمِيمَةُ وَهِيَ تَبْلِيغُ كَلَامٍ يُقَالُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَوَرَدَ
 (هَمَازٌ مَشَاءُ بِنَمِيمٍ) الْآيَةُ «الْأَخْبِرْكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمُشَاوُنَ بِالنَّمِيمَةِ» وَالسَّبَبُ إِرَادَةُ
 الشَّرِّ فِي الْقَائِلِ أَوْ إِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ أَوْ التَّفَرُّجُ بِالْحَدِيثِ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِيبُ

أَوْ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : (وَمِنْهَا النَّمِيمَةُ وَهِيَ تَبْلِيغُ كَلَامٍ) أَيْ مَذْمُومٍ
 (يُقَالُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ إِلَيْهِ) مُتَعَلِّقٌ بِتَبْلِيغِ أَيْ إِلَى الْغَيْرِ وَهُوَ الْمَقُولُ فِيهِ كَأَن يَقُولُ فُلَانٌ كَانَ
 يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَابٍ وَكَذَا (وَهُوَ حَرَامٌ) سِوَاهُ كَانَ التَّبْلِيغُ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا أَوْ كُنَايَةً أَوْ رَمْزًا أَوْ
 إِشَارَةً (فَوَرَدَ) فِي سُورَةِ ن (هَمَازٌ) أَيْ عِيَابٌ أَوْ مُغْتَابٌ (مَشَاءُ بِنَمِيمٍ الْآيَةُ) وَهِيَ
 (مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدَاثِيمٌ عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ مَنَاجِمُ بَيْنَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْوَصْفِ الذَّمِّ
 وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمُشَاوُنِ
 بِالنَّمِيمَةِ) آخِرُهُ «الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْمُتَمَسِّكِينَ لِلْبِرِّ الْعَثَرَاتِ» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ
 مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ» وَفِي حَدِيثِ آخَرَ «قَتَاتٌ» وَهُوَ النَّمَامُ قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ «وَلَدَ الزَّنا لَا يَكْتُمُ الْحَدِيثَ» وَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَكْتُمُ الْحَدِيثَ
 وَيَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَلَدَ زَنَا اسْتِنْبَاطًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (زَنِيمٌ) فَانَّهُ هُوَ الدَّعَى، وَلِلْحَاكِمِ
 مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى « مَنْ سَعَى بِالنَّاسِ فَهُوَ لَغِيرٍ رَشَدُهُ أَوْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا » وَلِلطَّبْرَانِيِّ بِالْفِظِ
 «لَا يَسْعَى عَلَى النَّاسِ إِلَّا الْوَلَدُ بَغْيٌ وَالْأَمْنُ فِيهِ عَرَقٌ مِنْهُ» وَقَالَ تَعَالَى (حَمَالَةُ الْحَطَبِ) قِيلَ
 كَانَتْ نَمَامَةً حَمَالَةً لِلْحَدِيثِ، وَقَالَ تَعَالَى : (نَخَاتُهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا) قِيلَ
 كَانَتْ امْرَأَةً لَوْطٍ تَخْبِرُ بِالضَّيْفَانِ وَامْرَأَةً نُوحٍ كَانَتْ تَخْبِرُ بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ (وَالسَّبَبُ)
 أَيْ الْبَاعْثُ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ (إِرَادَةُ الشَّرِّ فِي الْقَائِلِ) أَيْ قَصْدُ السُّوءِ بِالْمَحْكَى عَنْهُ فَعَنْ
 أَبِي ذَرٍّ مَنْ أَشَارَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيُشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «ابْنُ أَبِي
 الدُّنْيَا وَالطَّبْرَانِيُّ، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِمَامُ رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ لِيُشِينَهُ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُشِينَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، وَلَعَلَّ الْحَدِيثَيْنِ مُقْتَبَسَانِ
 مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (أَنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (وَإِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ) وَهُوَ الْمَحْكَى لَهُ وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ صَحَّ
 مَا نَقَلَهُ النَّمَامُ إِلَيْكَ لَكَانَ هُوَ الْمُجْتَرِيءُ بِالشَّتْمِ عَلَيْكَ وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوَّلَى بِحُلْمِكَ حَيْثُ لَمْ يَقَابِلَكَ
 بِشَتْمِكَ (أَوْ التَّفَرُّجُ بِالْحَدِيثِ) أَيْ التَّنْزَهُ بِحِكَايَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا (فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِيبُ)
 أَيْ تَكْذِيبُ قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَدَمُ قَبُولِهِ ، فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ نَحْنُ نَرَى أَنْ قَبُولَ

لَأَنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهُ، وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ مَعَ كُلِّ مِنَ الْمُتَعَادِينَ بِمَا يُوَافِقُهُ

السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء
فاخبر به كمن قبله وأجازه ﴿لأن النمام فاسق لا يقبل قوله﴾ لقوله تعالى : (يا أيها الذين
آمَنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيدوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)
وعلى السامع ان ينهاء عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر) وان يغضه في الله وان لا يظن بأخيه الغائب السوء لقوله تعالى : (اجتنبوا كثيراً
من الظن) وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى : (ولا تجسسوا)
وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام في حقه فلا يحكي نيمته بقوله فلان قد حكي
لي كذا وكذا فيكون به نماماً وممتاباً ويكون قد أتى بما عنه نهى ، فقد روى كعب بن
أصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما أجيب فأوحى الله
اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد أصر على النيمة فقال موسى : يا رب
من هو حتى نخرجه من بيتنا ؟ فقال : يا موسى انها كم عن النيمة وأكون نماماً فتأبوا
بأجمعهم فسقوا » وقال الحسن : من نهم اليك ثم عليك ، وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل
اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال له عمر : ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذباً
فانت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقاً فانت من أهل
هذه الآية (هماز مشاء بنميم) وان شئت عفونا عنك فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود
اليه أبداً ، ومثله روى عن علي كرم الله وجهه « ان رجلاً أتاه يسعى اليه برجل فقال له :
يا هذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقاً مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك
وان شئت ان نقيلك أقلناك فقال : أقلنى يا أمير المؤمنين » فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة
وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال : ما ظنكم بقوم يحمد الصدق في كل
طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى أحد من العلماء فقال : الموت يعمنا
والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ، هذا وقد قال تعالى
(و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل و يفسدون في الأرض) والنمام منهم وقال عليه
السلام « ان من شر الناس من اتقاء الناس لشره » متفق عليه من حديث عائشة ، والنمام
منهم ، وقال عليه السلام « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان من حديث جابر بن مطعم
قيل أى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولي
التوفيق ﴿ ومنها التكلم ﴾ أى تكلم ذى اللسانين ﴿ مع كل من المتعادين بما يوافقه ﴾

فَهُوَ نِفَاقٌ فُورِدَ «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ فِي الْآخِرَةِ» وَمِنْهَا
الْمَدْحُ فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ، فُورِدَ «إِنْ كَانَ
لَا بُدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا» وَالْمَدْمُوحُ بِحُدُوثِ الْكِبَرِ
وَالْعُجْبِ، فُورِدَ فِيهِ

أَيُّ تَكْلَمٍ كُلِّ وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يُوَاقِقُهُ (فَهُوَ نِفَاقٌ) أَوْ نَوْعٍ مِنَ النِّفَاقِ وَصَنَفَ مِنَ الشَّقَاقِ
(فُورِدَ) عَنْ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ مَرْفُوعًا (مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ
فِي الْآخِرَةِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ. وَأَبُو دَاوُدَ بَسَنَدٍ حَسَنٍ بِلَفْظٍ «مَنْ
كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَحْيَاءِ،
وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ
الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءُ بِحَدِيثٍ وَهَؤُلَاءُ بِحَدِيثٍ»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ «يَأْتِي هَؤُلَاءُ بِوَجْهِ
وَهَؤُلَاءُ بِوَجْهِ»، وَقِيلَ لِابْنِ عَمْرٍ: أَنَا نَدْخُلُ عَلَى أَمْرَاتِنَا فَنَقُولُ الْقَوْلَ فَإِذَا خَرَجْنَا قُلْنَا
غَيْرَهُ قَالَ: كُنَّا نَعْدُ ذَلِكَ نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ
مِنْ طَرُقٍ وَاصِلَةٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ «أَنَا لِنَكْشُرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا
لَتَأْمَنُ مِنْهُمْ»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ «اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ائْذِنُوا لَهُ فَبُئْسَ
رَجُلٌ الْعَشِيرَةُ هُوَ فَلَمَّا دَخَلَ الْآنَ لَهُ الْقَوْلُ وَاقْبَلْ عَلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلْتِ لَهُ الْقَوْلَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الَّذِي يَكْرُمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (وَمِنْهَا الْمَدْحُ) وَهُوَ مَنَهَى عَنْهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ (فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ)
إِذَا كَانَ الْمَدْمُوحُ ظَالِمًا أَوْ فَاجِرًا (بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ) أَيْ فَرَحَهُ بِمَدْحِهِ فَلَا يَنْ
أَبَى الدُّنْيَا وَالْبَهْقَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ إِذَا مَدَحَ الْفَاسِقَ» (وَالرِّيَاءُ)
فَإِنَّهُ بِالْمَدْحِ مَظْهَرٌ لِلْحُبِّ وَقَدْ لَا يَكُونُ مَضْمُرًا لَهُ وَلَا مُعْتَقِدًا لِجَمِيعِ مَا يَقُولُهُ فَيَصِيرُ بِهِ
مَرَاتِبًا مُنَافِقًا (وَالْكَذِبُ) أَيْ حَقِيقَةً أَوْ حِكْمًا حَيْثُ يَذْكُرُهُ بِالظَّنِّ وَقَدْ لَا يَكُونُ
مُطَابِقًا (فُورِدَ أَنْ كَانَ لَا بُدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا) أَيْ لَا أَحَدٌ (فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا)
أَيْ كَذَاوَرًا كَذَا أَنَّهُ صَالِحٌ أَوْ مُتَّقٍ أَوْ نَحْوَهُمَا (وَالْمَدْمُوحُ) أَيْ وَيَضُرُّ الْمَدْمُوحُ (بِحُدُوثِ
الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ) أَيْ وَالْغُرُورُ فِي قَلْبِهِ بِسَبَبِ مَدْحِهِ (فُورِدَ فِيهِ) أَيْ فِي ضَرَرِ الْمَدْمُوحِ
بِرَوَايَةِ الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ «إِنْ رَجُلًا مَدَحَ رَجُلًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ

«قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَ مَا أَفْلَحَ» وَلَوْ سَلِمَ عَنْهُ فَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، فَوَرَدَ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا تَفْخَرْ» أَيْ أَقُولُهُ أَتَمَّارًا لَا أَفْتَخَارًا لَوْ وَزَنَ إِيْمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيْمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ * وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ بِالْمَنْهَى عَنْهُ كَالْحَلْفِ بِالْآبَاءِ

ويحك ((قطعت عنق صاحبك)) وزاد ابن أبي الدنيا ((لو سمع)) أي لو بلغه وقبله ((ما أفلح)) لحديث المملاك، وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح ((ولو سلم)) أي المدح ((عنه)) أي عن الضرر ((فمندوب إليه فورد أنا سيد ولد آدم)) أي يوم القيامة ولا تفر ((أي أقوله أتماراً)) أي امتثالاً لأمره سبحانه (وأما بنعمة ربك فحدث) ((لا افتخارا)) أي تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره كان بالله وبقربه في مقام أنه لا يكونه مقدما على أبناء جنسه ((لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم)) وفي نسخة العالمين ((لرجح)) أي إيمان أبي بكر وغلب على إيمان غيره من غير الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعاً ولفظه «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» ورواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفاً للترمذي وحسنه من حديث عتبة بن عامر «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» ولا بن عدي عنه «لوم أبعث فيكم أبعث عمر فيكم» وللدليلي عن أبي هريرة «لوم أبعث لبعثت يا عمر» قال سفيان بن عيينة: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم ان هؤلاء لا يعرفونني فانت تعرفني وقال على كرم الله وجهه لما أثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون ((ومنها التكلم بالمنهى عنه)) أي من الأقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخائعة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ في الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته ((كالخلف بالآباء)) ففي الصحيحين من حديث عمر «أن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» ولا بن عمر «من حلف بغير الله فقد أشرك» أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية أحمد والبيهقي عن قتيلة بنت صيفي «من حلف فليحلف برب الكعبة» وفيه تنبيه على أنه لا يجوز الخلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي

وَتَسْمِيَةِ الْعَنْبِ بِالْكَرَمِ، وَقَوْلُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَعَبْدِي وَأُمِّي وَرَبِّي
وَرَبِّي فَالصَّوَابُ ثُمَّ شِئْتُ وَغُلَامِي وَجَارِيَّتِي وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي وَنَحْوَهَا *

ولا بالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن،
وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر «لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم»
ولمسلم من حديثه «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبل» ولا في داود من حديث
أبي هريرة «لا تقولوا أحدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا أحداً من الاعناب»
(وقوله ما شاء الله وشئت) لان في العطف المطابق بالواو تشريفاً وتسوية في
الكلام وهو خلاف ما يوجب الاحترام فعن حذيفة «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» وقال ابن عباس «جاهد رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتني
الله عبد لاقل ما شاء الله وحده» وفي صحيح مسلم من حديث عدي بن حاتم «خطب رجل
عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال عليه السلام قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» وفي الاحياء فكره قوله
ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لا يخفى، ولعل الاوجه أن يقال
العدول عن الاسمين الشريفين غير لائق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصاراً
ولله در القائل :

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا ورد في كثير آي القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله (وعبدى
وأمتى وربى وربتى) فعن أبي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ لا يقل أحدكم
عبدى وأمتى كلكم عباد الله وكل نساءكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاتى
ولا يقول المملوك ربى ولا ربى ولكن ليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب هو الله
سبحانه» رواه الشيخان (فالصواب) أى في مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت
فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول أعوذ بالله ثم بك ويجوز
ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى
وأمتى (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربتى (ونحوها) أى من الكلمات المنهية
وللنساء وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح «من قال أنا برىء من الاسلام

وَمِنْهَا سُؤَالُ الْعَامَّةِ عَمَّا يَتَعَذَّرُ إِدْرَاكُهُ كَسْرِ الرُّوحِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ، أَوْ

يَضُرُّ كَسْرَ الْقَدْرِ *

فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام» فهذا وأمثاله مما يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره في هذا المقام، وقال ابراهيم: اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة: احمارا رأيتني خلقة اخنزيرا رأيتني خلقة، وعز ابن عباس «ان أحدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة، ولاحمد من حديث البراء «من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة»، ولأبي داود من حديث بريدة بسند صحيح «لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم، وكما روى «لا يقولن أحدكم زرعت ولمكن ليقل حرثت»، والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله: (أفرأيتم ما تحرثون أءتم تزرعون أم نحن الزارعون) وكان يقول على فيه وفي نظائره بل أنت، وفي الحديث «لا يقل أحدكم خبثت نفسي وليقل لقست» وفي الحديث «لا يقل أحدكم نسيت بل ليقل نسيت» ﴿ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه﴾ أي حتى للخاصة ﴿كسر الروح﴾ وقد قال تعالى: (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) والمعتقدان الارواح أجسام لطيفة تدخل في أشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله: (ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وانما خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهي حادثة غير قديمة خلافا للحكام ومن تبعهم من الجهلاء ﴿وحقائق الصفات﴾ كحقيقة كلامه سبحانه، وكذا كنهه معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى: (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثل شيء) فكل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك، وقد قال عليه السلام: سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أي من قوله (قل هو الله أحد) وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات ﴿أو يضر﴾ أي عما يضره ولولم يتعذر ﴿كسر القدر﴾ فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه من غريق ولا مخلص منه الا بان يقال فيه: (يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد) هـ ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون هـ قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وانما شأن العوام الاشتغال بالعمل بما في القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان، ولذا قال عليه

وَالْقَوْلُ بِالظَّنِّ وَهُوَ مَا تَغَيَّرَ بِهِ الْقَلْبُ فُورِدَ (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) الْآيَةُ إِلَّا إِذَا

أَخْبَرَ عَدْلًا وَعِلْمًا عَدَمَ الْعَدَاوَةِ وَحَامِلًا آخَرَ فَيُعْذَرُ إِذَا تَكْذِيبُهُ سَوَاءُ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ

السلام: «ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقال أنس: «سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال: سلوني فما تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال: أبوك حذافة فقام إليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال: أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل فقال: يا رسول الله أفى الجنة أبي أو في النار فقال: لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسكوا فقام إليه عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً فقال: أحسنت يرحمك الله انك ما علمت لموفق» متفق عليه، وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» متفق عليه من حديث المغيرة، وعنه عليه السلام «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد حتى تختتموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يسارة ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، والحاصل أن السؤال ينبغى أن يكون من أهل السكال فيما يكون من الضروريات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿وَالْقَوْلُ بِالظَّنِّ﴾ لاسيما في العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (وهو) أي القول بالظن أو نفس الظن ﴿مَا تَغَيَّرَ بِهِ الْقَلْبُ﴾ أي بسماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وانما جوز في الفروع دون الأصول للضرورة في قلة المنقول ﴿فُورِدَ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ الْآيَةَ﴾ أي (إن بعض الظن اثم) ولما كان هذا الظن يشمل ما إذا بنى عليه خبر من موت أحد أو قدومه أو سفره أو أمر غيره استثنى بقوله ﴿إِلَّا إِذَا أَخْبَرَ عَدْلًا﴾ أي بالموت أو القدوم أو السفر ونحوه ﴿وَعِلْمًا عَدَمَ الْعَدَاوَةِ﴾ أي بالنسبة إلى الميت وأهله ﴿وَحَامِلًا﴾ أي وعلم عدم باعث ﴿آخَرَ﴾ كالعصية في نسبه والدعوة إلى ملته ومذهبه ﴿فَيُعْذَرُ﴾ أي إذا أخبر عن ظن وقوعه ﴿إِذَا تَكْذِيبُهُ سَوَاءُ الظَّنِّ﴾ أي به وبكلامه ﴿وَالْتَّجَسُّسُ﴾ عطف على القول بالظن

فَهُوَ هَاتُكَ السِّرِّ، فَوَرَدَ (وَلَا تَجَسَّسُوا) وَالْأَسْتِمَاعَ، فَوَرَدَ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) «الْمُسْتَمِعُ شَرِيكُ الْقَاتِلِ» وَفِيهِ هَيْجَانُ الْوَسَاوِسِ وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ وَلَا قَصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ لَا تَحْصَارَهُ عَلَى مَوْرَدِ الشَّرْعِ، وَوَرَدَ «إِنْ أَمْرٌ عَيْرُكَ بِمَا فَيْكَ فَلَا تُعِيرُهُ بِمَا فِيهِ» وَقِيلَ يُقَابَلُ بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ لَاحِرْمَةَ فِي الْأَشْعَارِ لِلْإِنْدَازِ وَالْإِلْحَرَمِ كُلِّ لَذَّةٍ وَلَا لِلْوِزْنِ

أَيُّ وَكَالتَفْحَصِ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ (فَهُوَ هَاتُكَ السِّرِّ) أَيُّ كَاشِفِهِ وَفَاضِيهِ فِي الْخَبَرِ (فَوَرَدَ) فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ (وَلَا تَجَسَّسُوا وَالْأَسْتِمَاعَ) أَيُّ وَكَاسْتِمَاعِ الْقَوْلِ بِالْإِظْنِ (فَوَرَدَ) فِي سُورَةِ الْقَصَصِ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) تَمَامُهُ (وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (الْمُسْتَمِعُ شَرِيكُ الْقَاتِلِ) لَمْ أَرَلَهُ أَصْلًا، وَفِي الْأَحْيَاءِ وَالْمَغْتَابِ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكُ الْإِثْمِ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ الْعِرَاقِيُّ، وَفِي الطَّبْرَانِيِّ مَرْفُوعًا نَهَى عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ الْأَسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ (وَفِيهِ) أَيُّ فِي اسْتِمَاعِهِ (هَيْجَانُ) الْوَسَاوِسِ (أَيُّ ثَوْرَانِهَا) (وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ) عَلَى طَرِيقِ الْهَوَاجِسِ (وَلَا قَصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ) فَلَا مَخَاصٍ لِمَنْ يَقُولُ: أَنَا غَاتِبُ النَّاسِ وَهُمْ يَغْتَابُونِي فَيَكُونُ الْمَقَاصِصَةُ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْعَقَبِ (وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ) مِنْ الْأَقْوَالِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَفْعَالِ الدُّنْيَا (لَا تَحْصَارُهُ) أَيُّ الْقَصَاصِ (عَلَى مَوْرَدِ الشَّرْعِ) أَيُّ فِي النَّفْسِ وَالْأَطْرَافِ وَنَحْوِهَا مِنْ تَضْيِيعِ الْأَمْوَالِ فَيَقْتَصُّ بِالضَّرْبِ وَالْقَطْعِ وَالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْأَمْثَالِ وَالْإِبْدَالِ (وَوَرَدَ أَنْ أَمْرٌ عَيْرُكَ بِمَا فَيْكَ) أَيُّ مِنَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ (فَلَا تُعِيرُهُ بِمَا فِيهِ) أَيُّ فَانْهَ لَا تَجُوزُ فِيهِ الْمَقَاصِصَةُ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَحْمُولًا عَلَى التَّحْرِيزِ عَلَى مَا هُوَ الْأَوَّلَى مِنَ الْعَفْوِ (وَقِيلَ يُقَابَلُ) أَيُّ نَحْوِ الْغِيَةِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ (بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ) لظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) (وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ) لِقَوْلِهِ (فَمَنْ عَنَى وَأَصْلَحَ فَاجْرِهِ عَلَى اللَّهِ) وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْتُمْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (وَالْتَحْقِيقُ) فِي سَمَاعِ الْإِبْرَارِ (أَنْ لَاحِرْمَةَ فِي الْأَشْعَارِ) أَيُّ فِي نَفْسِهَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَمَّا فِيهَا فَإِنَّ الشَّعْرَ كَالشَّرِّ كَلَامٌ صَرِيحٌ حَسَنٌ وَحَسَنٌ وَحَسَنٌ وَحَسَنٌ (الْإِنْدَازُ) أَيُّ لَا يَحْرَمُ لِأَجْلِ التَّلْذِيزِ بِهَا (وَالْإِلْحَرَمُ كُلِّ لَذَّةٍ) يَلْتَذُّ مِنْهَا كَالْمَاءِ الْجَارِيِ وَالْخَضِرَةِ وَنَحْوِهَا وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِحَرْمَتِهَا (وَلَا لِلْوِزْنِ)

وَالْأَلْحَرَمَ سَمَاعُ صَوْتِ الْعَنْدَلِيبِ وَالْقَمَرِيُّ فَهُوَ مُوزُونٌ لِنَتَّاسِبِ مَطَّالِعِهِ
وَمَقَاطِعِهِ وَلَا لِفَهْمِهِ وَلَا لِحَرَمِ كُلِّ مَفْهُومٍ هَذَا وَالشَّعْرُ كَلَامٌ وَالْأَنْشَادُ مَأْثُورٌ

أى ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين أو الجملتين أو المصراعين (والألحرم سماع صوت العندليب) أى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار ستان فان انغامها بلغت الالف فى الاشجار والبستان (والقمرى) وكذا الفاخنة والحمامة، واغرب من السكك الطوطى المسمى بالذرة التى تنفصح حتى تقرأ الآية والسورة وتسكلم بما وقع فى البيت من أمور الضرورة طبق ما وقع فى المعنى والصورة (فهو) أى صوتهما ونحوهما (موزون) أى متلائم بينى وأوائله وأواخره (لتناسب مطالعه ومقاطعه) أى مباديه وما يشعر بتناهي (ولالفهم) أى ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت فى ذلك المقام (والألحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به أحد من الاعلام (هذا) أى مضى أوخذ هذا أو الأمر هذا (والشعر كلام) أى كسائر الكلام من حيث هو مباح فى أصل الأحكام (والأنشاد مأثور) وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل الابن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول هذا الجمال لاجمال خير هذا أبرر بنا وأظهر

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلًا. قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الأحاديث أنه عليه السلام نطق بيت شعر تام غير هذا البيت، وفى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول اللهم انه لا خير الاخير الاخرة فانصر الانصار والمهاجرة، قال العراقى: وليس البيت الثانى موزونًا يعنى باعتبار المصراع الاول فتأمل وفى رواية «اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة» وفى الصحيحين أيضا انه قاله فى حفر الخندق بلفظ «فبارك فى الانصار والمهاجرة» وفى رواية فاغفرو فى رواية لمسلم فاكرم، ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر لله هاجرين والانصار» وللبخارى تعليقا وأبى داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة «كان عليه السلام يضع لسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ينافح ويقول رسول الله ﷺ ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح أو فاحر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» قال الترمذى حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح الاسناد؛ ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان:

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما تخير كما الفداء
القصيدة ، وانشاد حسان أيضا :

وان سنام المجد من آل هاشم بنوبنت مخزوم ووالدك العبد
وللبخارى انشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
الآيات ، وللترمذى فى الشماثل انشاده أيضا بين يدي رسول الله ﷺ حين دخل مكة :
خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خيليه
وللبخارى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث النابغة قال : أنشدت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعرا فقال : أحسنت لا يفضض الله فاك ، وفى الصحيحين
عن عائشة « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعك أبو بكر
وبلال وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجددك وبابلال كيف تجددك فكان أبو بكر
إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله
وكان بلال إذا أقامت عنه الحمى يرفع عقيرته أى صوته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وهما جبلان بمكة قالت عائشة « فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بذلك فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وانقل حماها فاجعلها فى
الجحفة » ومن انشاد عائشة :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وللترمذى من حديث جابر بن سمرة « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يتناشدون الاشعار وهو يتبسم » وللبیهقى فى دلائل النبوة « أن النساء انشدن
عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داع
وأما ذكر السطوح والدف والالخان كما ذكره فى الاحياء فما لا أصل له كما
صرح به مخرجه ، وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك

وَالنَّهْيُ لِلتَّجَرُّدِ لَهُ فَهُوَ اشْتِغَالٌ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، فَوَرَدَ «لَا يَمْتَلِيءُ بَطْنُ أَحَدٍ كُمْ قِيحًا
حَتَّى يَرِيهِ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا» وَتَضَمَّنَهُ فُحْشًا وَهَجَاءً وَافْتِرَاءً كَنَظْمِ
الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعَةِ وَيَجُوزُ هَجَاؤُهُمْ فَعَلَهُ حَسَّانٌ وَأَمْرٌ بِهِ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَدْحِ إِنْ وَجَدَ
الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ فِي الْمَدْحِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَذِبٍ لِفَقْدِ قَصْدِ اعْتِقَادِ صُورَتِهِ

المقام، ومن هذا القليل قوله عليه السلام: «أني لا أدري بفتح خير أفرح أم بقدم
جعفر»، ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «أنشدت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم مائة قافية من قول أمية بن الصلت في كل ذلك يقول هيه هيه أي استزادة
ثم قال إن كاد في شعره ليسلم، فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع، ولأبي
داود الطيالسي عن أنس، وكان يحدى له في السفروان أنجشة كان يحذو بالنساء، وكان
البراء بن مالك يحذو بالرجال فقال عليه السلام يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير
ولم يزل الحذاء وراء الجمال من عادة العرب في زمانه عليه السلام وأصحابه الكرام
وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة والحنان موزونة» (والنهي) أي عن
الشعر (للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لأن يمتلئ بطن أحدكم قيحًا)
أي صديداً (حتى يريه) بفتح فكسر من وري ورياً كرمى رمياً أي يفسده (خير
له من أن يمتلئ شعراً) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف
على التجرد أي ولتضمن الشعر (فحشاً) من الكلام (وهجاء) أي ذم ل أحد من
أهل الاسلام (وافترأ) أي في مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) في ذم
المسلمين وأهل السنة والجماعة (ويجوز هجاؤهم) أي ابتداء وانتهاء (فعله حسان
وأمر به) كما تقدم، ففي الصحيحين من حديث البراء أنه عليه السلام قال لحسان:
اهجهم أو هاجهم وجبريل معك، وقد قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم
في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) (والتوسع) أي وتجوز المبالغة
(في المدح أن وجد الوصف المذكور في الممدوح) أي في الجملة (لأنه ليس
بكذب) أي حينئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما في الشعر (لفقد قصد اعتقاد صورته)

وَتَوَارِثِ اسْتِمَاعِ الْمُبَالَغَاتِ بِلَا نَكِيرٍ وَوَصْفِ نَحْوِ الْخَدِّ وَالْقَدِّ وَالصَّدْغِ
عَلَى الْأَقْرَبِ إِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى مُعِينَةٍ سِوَى امْرَأَتِهِ وَأُمِّهِ أَوْ اسْتِعَارِ الْعَارِفِ سِوَا
الصَّدْغِ لظُلْمَةِ الذَّنْبِ وَيَاضِ الْخَدِّ لِنُورِ الطَّاعَةِ وَالْوَصَالِ لِلْقَائِهِ تَعَالَى وَالْفِرَاقِ

أى صورة الكذب وحقيقته (وتوارث استماع المبالغات) أى وتوارث استماعها
في أشعار العرب وغيرهم (بلا نكير) أى بلا إنكار على قائلها ومنشدها بل عد
الكذب من مستحسنات الشعر كما قيل « أكذب الشعر أحسنه » ويشير إليه قوله تعالى:
(والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا
يفعلون) وقد سبق التسامح في النثر أيضا إذا أريد به المبالغة مثل مائة مرة وألف مرة
ويراد به الكثرة، ونظير هذا قولهم: ليك وسعديك في إطلاق التنية وقصد التكرير
والتكثير كقوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين) ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى:
(ان تستغفر لهم سبعين مرة) فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند أرباب
الوصول بل أريد به الكثرة هنا بدليل آية أخرى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) (ووصف نحو الخد) وجاز نعت نحو الوجه والوجهة
من البياض والحرارة (والقَد) أى القامة باعتدالها في جمالها وكما لها (والصدغ)
أى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الأقرب) أى جاز ما ذكر على
القول الأقرب إلى الصواب أو الأنسب في بيان الرخصة المحتاج إليها في هذا الباب،
وقيل : لا يجوز مطلقا وإن وجد التفصيل الآتي وهو قوله: (ان لم يحمل) أى صاحب
الخد والقَد وكذا السامع (على معينة سوى امرأته وأُمِّه) وذلك كمن يعشق
زوجته أو سريته فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائه وهذا إذا كان السامع
أو المغنى في بيته وأما إذا كان في مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا
جاريته، وكذا لا يجوز أن يحمل على امرء صبيح الوجه بخصوصه مطلقا (أو
استعار) أى جاز ما تقدم أن استعاره (العارف)، بالجاز والحقيقة والصريح
والكناية (سواد الصدغ لظلمة الذنب) وهو جنس المصيبة الناشئة من ظلمة الغفلة
(ويياض الخد لنور الطاعة) وسرور الحالة (والوصال) وفي معناه الوصل والاتصال
(للقاءه تعالى) أى في دار البقاء أو مقام الفناء (والفراق)، وكذا الحدا والافتصال

لِلْحِجَابِ وَنَحْوَهَا وَالنَّظْرُ إِلَى الْأَثَرِ فِي الْمَتَغْنَى بِهِ عَلَى الْأَقْرَبِ فَمَنْدُوبٌ إِنْ شَوَّقَ إِلَى الْحَجِّ وَالْغَزْوِ إِنْ كَانَ قُرْبَةً بِخِلَافٍ مَا إِذَا لَمْ يَحِبَّ أَوْ الْأَبْوَانِ لَا يَأْذَنَانِ أَوْ غَلَبَ الْهَلَاكُ فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوَهُ أَوْ حَزَنَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الدِّينِ كَالْمُرُويِّ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَنْشَدَهُ الْوَعَّازُ عَلَى الْمَنَابِرِ

هـ (للحجاب ونحوها) هـ من أنواع العذاب هـ (والنظر) هـ مبتدأ هـ (إلى الأثر) هـ أى أثر التأثير هـ (في المتغنى به) هـ من الشعرو غيره ففيه تفصيل هـ (على الأقرب) هـ أى بناء على القول الأقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر إلى التأثير بل هو حرام مطلقاً ((فمندوب)) خبر أى فستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله ((أن شوق)) أى المتغنى به ((إلى الحج أو الغزوان كان أى أحدهما)) (قربة) أى واجبا ((بخلاف ما إذا لم يحب)) بأن لم يوجد شرائط وجوب الحج ((أو الأبوان لا يأذنان)) فانه عذر في التأخير على القول بالترأخي في الحج ((أو غلب الهلاك في الطريق)) أى براو بحرا ((ونحوه)) من فقدان سائر شروط الأداء وفي الأحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون أولاً في البلاد والطلب والشاهين والغناء وهو جائز لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الأمور الكرام وتأثير ذلك تهيج الشوق إلى بيت الله واشتغال بمرآته إن كان ثمة تشوق حاصل أو استثارة الشوق بكل ما يشوق إليه محمودا ((أو حزن)) أى إن أوقع المتغنى به حزناً ونأسفا ((على التقصير في الدين كالمروى عن داود عليه السلام)) وقد ورد في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في النباحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربع مائة جنازة وما يقرب من ذلك في تلك الحالة، وفي الحديث في مدح أبي موسى الأشعري «لقد أعطى زمارة من زمائر آل داود» وقد تقدم وذكر في تفسير قوله تعالى: (يزيد في الخلق ما يشاء) هو حسن الصوت، وقد قرئ بالحاء المهملة، وقد ورد الله أشد اذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته، وقوله تعالى: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا أمر مجمع عليه، وفي الأحياء إن الطائر كانت تقف على رأس داود عليه السلام ((وما)) أى وكما ((أنشده الوعاظ على المنابر))

أَوْ أَكَّدَ حُبَّهُ تَعَالَى مُبَاحٌ إِنْ أَكَّدَ السُّرُورَ فِيمَا يَبَاحُ فِيهِ كَالْعِيدِ وَالْعُرْسِ
وَالْوِلَادَةِ وَالْحَتَّانِ وَحِفْظِ الْقُرْآنِ فَهُوَ مَأْثُورٌ أَوْ شَوْقٌ إِلَى الْإِخْوَانِ أَوْ الْمَرْأَةِ
أَوْ الْأُمَةِ حَرَامٌ إِنْ شَوْقٌ إِلَى الزَّانَا أَوْ حَزَنٌ عَلَى الْمَوْتَى وَالْبَلَايَا، فَوَرَدَ (كَيْلًا
تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)

من نظم أو شمس جمع من الترغيبات والترهيبات في الحج والعمرة ونحوهما (أو أكد)
أى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بد كره والتأمل في أمره والاشتغال بفكره فانه
مندوب في كل من التشويق والتعزين (مباح) أى مستوطرفاه لا ثراب ولا عقاب (ان
أكد) المتغنى به (السرور) والفرح (فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) أى أولها
(والحنين وحفظ القرآن) أى تمامه، وكذا اجتماع الإخوان في بعض الزمان للطعام
والكلام وكذا قدوم بعض الأصحاب من السفر كما تقدم وتقرر (فهو مأثور) أى
مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي ﷺ أما العيد ففي الصحيحين عن عائشة
« ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان وتضربان
والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه فاتتهما أبو بكر » وفي رواية قال « مزامير
الشیطان فكشف النبي عليه السلام عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد
قالت: وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاننا سألت رسول الله
ﷺ أو قال أمانتتهن تنظرين؟ فقلت: نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده ويقول:
دونكم أى افعلوه يا بنى أرفدة حتى اذا ملكت قال: حسبك قلت نعم قال فاذهبي » وفي
صحيح مسلم « فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا التى
انصرفت » وأما العرس فقد تقدم حديث « أعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف »
وفي معناه الولادة والختان، وبما يؤيد الولادة والختان ذبح العقيقة وهو لأصحاب الطريقة
في الحقيقة وأما حفظ القرآن فهو أكبر سرورا وأعظم نورا (أو شوق) المتغنى به
(الى الإخوان) من الأحياء الاتقياء في القرية أو البلدان (أو المرأة أو الأمة) من
غير تعيينهما للاجنبى فانه حيثئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنا) أو توابعه
(أو حزن) المتغنى به (على الموتى) أى فيحصل به الجزع والفرع (والبلايا) أى على
البلايا المتقدمة (فورد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكىلا (تأسوا على ما فاتكم)

وَأَدْنَىٰ رُبِّهِ الْإِسْتِمَاعُ لِلشَّهْوَةِ وَهُوَ بِنَفْخِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لِلتَّلَهَّى بِمَجْرَدِ النَّغْمَةِ

وَالْمُوَاطَّئَةِ عَلَيْهِ ذَنْبٌ *

تمامه (ولا تفرحوا بما آتاكم) بالمد والقصر، وفي آل عمران (لا تفرحوا بما آتاكم) ولا ما أصابكم) (وأدنى ربه) أي مراتب التغي وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حينئذ سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب لانه لا يسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة وفق لذته، ولذلك سئل حكيم عن العشق؟ فقال : دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع ويهيج السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافي لنفخ الرحمن فلا دليل من حديث على « كان ابليس أول من ناح وأول من تغى » ولا بن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة ومارفع أحد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان على أعقابهما بصدره حتى يمسك » (ثم للتلهى) أي الاشتغال (بمجرد النغمة) وهو المعنى بقوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية (والمواظبة عليه) أي من غير تخال التوبة لديه (ذنب) أي عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء، وهذا يحمل لكلام الأئمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبرى عن أبي حنيفة . ومالك . والشافعي . وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على أنهم رأوا تحريمه قال: وقال الشافعي في كتاب أدب القضاء : ان الغناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته؛ قال وحكى عن الشافعي : انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال : وأما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له أن يردّها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده، قال وأما أبو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري وحماد و ابراهيم النخعي والشافعي وغيرهم انتهى كلام الطبري ، ويؤيده ماورد من الاحاديث في ذم القينة - وهى الجارية المغنية - فللطبراني من حديث عائشة « ان الله حرم القينة ويعمها وثمنها وتعليمها، ويقويه ما رواه أبو داود عن نافع » كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع

ثُمَّ لَتَرَوْحِ النَّفْسَ قَطْعًا لِلْمَلَالَةِ مِنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ لِمُقَابَلَةِ حَالِهَا فِي الْمُعَامَلَةِ

مَعَهُ تَعَالَى

اتسمع ذلك ؟ حتى قلت لا فاخرج أصبعيه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه أبو داود ، وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقي ، ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى ابن كثير مرسل ما امتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة ، والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى (في روضة يحبرون) أي يغنون أو يسرون ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا أسمع الله لكم الا لا أسمع الله لكم وقال الشبلي السماع ظاهره فتنه وباطنه عبرة أي ومحنة ، وأما ما نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول على سماع ليس فيه شيء من الغناء كسماع القرآن وأشعار العرب ولو بالالحان وأما على أنه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ما روى عن بعض المشايخ الصوفية ، وقد ذكرت هذه المسألة في رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ أحمد الغزالي أخو حجة الاسلام محمد الغزالي متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد وأفتية ضعيفة ماله عند الأئمة رواج وكساد ، هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهي صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهي مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا دام على الطبل طول الايام أو تبع الحبشة في رقصهم على الدوام (ثم لترويح النفس) أي لاراحتها وازاحة تعبها (قطعاً للملالة) والسآمة (من العبادة) كما يجري ويسرى في العادة لأهل الارادة وهي للعابدين (ثم لمقابلة حالها) أي حال النفس ومقامها (في المعاملة معه تعالى) من تحصيل مرامها ، وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها ، وتحقيق ذلك ان الالباء يترشح بما يكون فيه سواء صاحبه يوافقه أو ينافيه فالسماع يشبه الخمر في اخراج ما في الباطن وبه يعرف ما في القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر معه آثاره من نحو البكاء والحزن والحنن واذا كان رجاء يتبين أنواره من الفرح والسرور وكال الحضور ، ومن هنا قال أبو سليمان :

وَيَشْتَرُطُ رِعَايَةُ السَّنَةِ بِالْحَمْلِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ثُمَّ لِحَبِّهِ تَعَالَى فَقَطُّ وَهُوَ لِمَنْ
فَقِيَ عَنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ وَغَابَ عَمَّا سِوَاهُ حَتَّى عَنْ شُهُودِهِ مَعَهُ أَيْضًا وَمِنْهُ تَوْلَادُ الْوَجْدِ
وَهُوَ مَا صَادَفَ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَخَوْفٍ وَحُزْنٍ وَقَلَقٍ وَيُجْدِي نَقَاءَ الْقَلْبِ
وَحُصُولَ الْعِلْمِ وَالْمُكَاشَفَةِ وَرُبَّمَا لَا يُمْكِنُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ كَمَا عَنْ الْفَصَاحَةِ وَالْمَلَاَحَةِ

السماع لا يحمل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه (ويشترط رعاية السنة)
أي الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحمل) أي بحمل الاستماع (على ما يليق به
تعالى) أي على وجه الكمال فقي بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفي الزلف
ونحوه يتفكر في نعوت الجلال (ثم لحبه تعالى فقط) أي مع قطع النظر عن لوازمه
وتفصيل مكارمه (وهو) أي هذا المقام (لمن فني عن حظوظ نفسه) أي بالسكينة
(وغاب عما سواه) أي عن خطور غير الله تعالى (حتى عن شهوده معه أيضا) المبر عنه
بالفناء عن الغناء وذلك فانه مهمافي عن نفسه فهو من غيره أفني فكأنه فني عن كل شيء
الا عن الواحد المشهود، وفي أيضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود
والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لا خبر له عن سكره
وهو نهاية مقام العارفين في حال البقاء، وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا
كالبرق الخاطف من ظهوره في عالم السماء فان دام لا تطيقه القوة البشرية
(ومنه) أي ومن حبه تعالى (تولد الوجد) أي حصول الذوق ووصول الشوق
(وهو) أي الوجد (ما صادف القلب) أي وجد القلب (من شوق) أي الى الله
ورضاه (وخوف) أي من حجابيه وسخطه (وحزن) أي تأسف على ما فات
(وقلق) أي اضطراب في حال آت (ويجدي) من الاجداد أي يفيد الوجد
(نقاء القلب) أي طهارته عن السوى من كمال الصماء (وحصول العلم) أي زيادته
المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهي العلم بالله وصفاته الماخرة وبأحوال الآخرة
(وربما لا يمكن العبارة عنه) أي اذا كان متعلقا بالذات أو بكنه الصفات (كما عن
الفصاحة والملاحة) فانهما من المعاني الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمباني الرشيدة
ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفًا قبل الاستماع فان للكشف
أسبابا ولفتحه أبوابا منها التنيه والسماع تنبيه للنبيه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها

والتواجد مذموم للرياء لا لقصد الوصول إلى الحقيقة لورود «اللهم ارزقني
حبك وحب من يحبك وحب من يقربني إلى حبك» وما سبق من التباكي في التلاوة
ومشاهدة دوام إفشاء ذكر الشيء والنظر إليه والفكر في فضائله إلى عشقه حتى يتمتع
الخلاص عنه

في الأقوال والأفعال وأدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل ذلك
من الأحوال، ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على
مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجبل
بسبب سماع الحداء بأنواع الغناء، وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة أسرار
الملوك وأنوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله، ومنها الصفاء وهو سبب الكشف
لأرباب الوفاء وهذا نوع أسباب وفتح أبواب ورفع حجاب أي بمثل الحق لعبده
في لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف أو بالالهام أو في صورة مشاهدة
منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت
الهاتف عند سماع القلب يشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه
يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة، وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء
أما على حقيقة صورتها أو على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة (والتواجد)
أي التكلف في الوجد وإظهاره من غير تحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية
الخلق (لا لقصد الوصول إلى الحقيقة) أي حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك
(لورود اللهم ارزقني حبك) يحتمل الإضافة إلى الفاعل والمفعول كما حقق في قوله
تعالى (يحبهم ويحبونه) وكذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربني إلى حبك)
أي من القول والعمل وغير ذلك، والحديث قد ذكر (وما سبق) أي ولورود ما تقدم
(من التباكي) أي ومدحه وهو التكلف بالبكاء (في التلاوة) أي في فصل التلاوة
وذلك للتشبه باهل البكاء من الأنبياء والأولياء حال القراءة (ومن تشبه بقوم فهو منهم)
(ومشاهدة دوام إفشاء ذكر الشيء) أي إيصاله واتصاله (والنظر إليه) في
اختلاف أحواله (والفكر في فضائله) وما يترتب عليه من تحسين آماله (إلى عشقه)
متعلق بإفشاء أي بانجراره إلى محبته ومودته (حتى يتمتع الخلاص عنه) أي عن

وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُسْتَمِعُ مِنْ حَرَمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ إِلَّا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلَى نَفْسِهِ
كَأَنَّ فِي قُبْلَةِ الصَّائِمِ وَلَا آلَاةَ مَزْمَارًا فَهُوَ شَعَارُ أَهْلِ الشُّرْبِ فَحَرَمٌ تَبَعًا لِحُلُوةِ
الْأَجْنِيَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى نَحْوِهَا وَلَآئِهْ يَذْكُرُهُ كَالْمَزْفُوتِ وَالْحَتَمِ

تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع في تصوره ((وحقه)) أى حق السماع وواجبه ((ان
لا يكون المستمع)) أى المغنى ((ممن حرم النظر إليه)) كالنساء والمردان ((الا للشيخ))
أى الكبير الفانى ((الامن على نفسه)) أى من الشهوة ((كما فى قبلة الصائم))
من التفصيل بين الامن وغيره وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست
بمحرمه له لا يجوز عند أصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء سترة
وسواء كانت حرة أو مملوكة انتهى ، ولعل وجهه أن صورة العورة عورة لا تحل الا
للضرورة ولا يخفى أن الامر الحسن الوجه خطره أقوى فانه عند الشيطان أشهى
وللخلق أغوى حتى قال النووى : ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة ، وأما قول الغزالى :
« ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة يكلمن
الرجال فى السلام والاستفتاء فى الاحكام والمشاورة فى الكلام فحملوا على أن
الضرورات تبيح المحظورات ((ولا الآلة)) أى ولا تكون آلة الغناء ((مزمارا)) ركذا
طبل الكوبة أو تارا وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار ، وأما قصب الراعى فمختلف
فيه فأباحه الرافعى وحرمه النووى من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح
فى محله اذالم يكن له جلاجل فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر
على موردده وقال يزيد بن الوليد « اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه
لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء
داعية للزنا » : ((فهو)) أى الغناء باعتبار أصله ((شعار أهل الشرب)) فى مجلسه ((فحرم
تبعاً)) أى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر وينجر الى مباشرة الشر
((كخلوة الأجنبية)) لانها مقدمة الجماع ((والنظر الى نَحْوِهَا)) لاتصاله بالسوءتين
ثم انهما حرامان لذاتهما بل تبعاً لحرمة الزنا اذهما قد يكونان وسيلتين الى فعله
((ولانه)) أى الغناء المذموم ((يذكره)) أى الشرب ويفكره ((كالمزفوت)) بتشديد الفاء
المفتوحة أى ظرف المقير ((والحنتم)) أى الظرف الأخضر ونحوهما من الدباء والنقير
فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا أمر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعاً

وَفِيهِ التَّشْبِيهُ بِأَهْلِ الشُّرْبِ كَمَا فِي الْاجْتِمَاعِ لِلِسَّمَاعِ وَلَا حَضَارَ الْآلَاتِ وَنَصَبِ
السَّاقِ فِي إِدَارَةِ السَّكَنَجِينَ بِخِلَافِ نَحْوِ الدَّفِّ وَالطَّبْلِ وَلَا الْمَتَغْنَى بِهِ قِرَآنًا إِذْ لَا يَجُوزُ
فِيهِ مَدُّ الْمَقْصُورِ وَقَصْرُ الْمَمْدُودِ لِتَوَافُقِ الصَّوْتِ

لحرمة الخمر تغليظا في أمرها ثم أحلها بعد بعد المدة، وفيه أنه أبيع هذه الأشياء بخلاف
آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسمع حيثئذ حرام كقليل
الخمر وإن كان لا يسكر لانه يدعو إلى السكر وما من حرام الاوله حريم يطيف به حكم
الحرمة لا ينسحب على حريمه ليكون حيا للحرام ووقاية له واطارا مانعا حوله كما
ورد «ان لكل ملك حى وان حى الله محارمه» (وفيه) أى ويقع فيما اذا كانت الآلة
مزمارا (التشبه باهل الشرب): «ومن تشبه بقوم فهو منهم» حتى حرم تشبه الرجال
بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار أهل البدعة، ثم قال فى الاحياء:
بل للتشبه بأهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا
ينهى عن ذلك فى ما وراء النهر لاعتباد أهل الصلاح من الزهاد والعباد قال: فلهذه
المعاني حرم المزمار العراقى والاولتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وأما
ما عدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل
والقصب سوى ما يعتاده أهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على أصل الاباحة
(كما) أى كالتشبه (فى الاجتماع للسمع واحضار الآلات ونصب الساقى) أى
المناول (فى ادارة السكنجين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من
البن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدة، يدور بكأس واحد على
جماعته واحد بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجين وامثاله للتشبه (بخلاف نحو
الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) أى طبل الحج والغزو، وأما طبل الكربة
فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل
هذين لم يكونا من شعار أهل الشرب فى زمنه عليه السلام أو فى أيام المصنف أو ذكره
تبعاً للغز الى لجوازهما فى مذهبه، وأما اذا كانا من شعار أهل الفسق فينبغى أن يقال
بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المتغنى به قرآنا إذ لا يجوز فيه) أى فى القرآن (مد
المقصور وقصر الممدود) أى فى الجمع عليهما وهما لازمان فى التغنى المذهب (لتوافق
الصوت) عليهما أى بالالحن الفسقية والانغام الموسيقية والافال مصحوبة الكرام تبعاً له

وَلَا النَّهْيُ عَنْ آيَةٍ لَا تُوَافِقُ السَّامِعَ كَأَحْكَامِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحُدُودِ

عليه السلام كانوا يأمرّون في مجلس سماعهم أن يقرأ واحد بصوت حسن ما تيسر من القرآن عملاً بقوله عز وجل: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقد أخبر الله سبحانه عن حال الأنبياء بقوله (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وعن حال الأولياء من الأصفياء (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا) إلى قوله (يكون ويزيدهم خشوعا) وفي الصحيحين «أن ابن مسعود قرأ على النبي عليه السلام بأمره فلما انتهى إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان أي تسيلان دما» ولمسلم من حديث ابن عمر أنه قرأ (إن تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى، ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب أنه قرأ عنده (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق أي بكى بصوت، ولابن داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير «أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل» وأما حديث اختصاص علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال لعلي: أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر: أشبهت خلقى وخلقى فحجل وقال لزيد: أنت اخونا ومولانا فحجل» الحديث فرواه أبو داود من حديث علي وهو عند البخاري دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به إظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح في الحضور وإن كان الحجل في أصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي أن يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص، وما أبعد من استدلال على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع ندرة من الصحابة الكرام في مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا في مقام المرام وقد ورد «ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا أصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن بأصواتكم» (ولا النهي) أي وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يكون المتغنى به قرآنا إذ لا يجوز فيه مد المقصور إلى آخره ولا يجوز النهي (عن آية) أي عن قراءتها حيث (لا توافق السامع) بالنسبة إلى ماله من الحالات والمقامات (كأحكام المعاملات والحدود) في باب السياسات، وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنها من اللطائف والاشارات، وأما العارف فيلاحظ هذه المعاني من جميع المياني كما قاله سبحانه (فبشر

عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وأما الموحّد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بذكره كما قال تعالى (الابد كر الله تطمئن القلوب) وقال (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن المقرر أن القرآن أفضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وأنواع صفاته وأصناف حكوماته واجناس أخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمأنينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع من ذكر الله وسمع عمر رجلا يقرأ (إن عذاب ربك لو اقع ماله من دافع) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارة بن أبي أوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقعة فقرأ ليلة (فاذا نقر في الناقور) فصعق ومات في محرابه، وسمع الشافعى قارئا يقرأ (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فغشى عليه وكان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف أمام له فقرأ الامام (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) فزقق الشبلى زعقة ظر الناس أنه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) فاستعادها من القارىء وقال كم أقول لها ارجعى فليست ترجع وتواجد فزقق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ (وأنذرهم يوم الآزفة) فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من أنذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الا نذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن أدهم احدا يقرأ (اذا السماء انشقت) فاضطربت أوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل فى الفرات فر به رجل على الشط يقرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة أقرأ هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال أبو على المغازلى للشبلى ربما بطرق سمعى آية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى أحوالى والى الناس فلا أبقي على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك

وَلَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْيَدِ وَالْدَّفُّ وَيَتَنَفَّى شَاغِلٌ مِنَ الزَّمَانِ كَوَقْتِ الصَّلَاةِ وَالطَّعَامِ
وَالْمَكَانِ كَالشَّارِعِ وَمَا فِيهِ صُورَةٌ قَبِيحَةٌ أَوْ رَاحِمَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَالْأَخْوَانِ كَالْمُتَكَبِّرِ

ولطف منه بك واذا رددك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه اليه ، وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله (كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) (ولا يجوز) أى حينئذ وهو حال كون المتغنى به قرآنا (ضرب اليد والدف) لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى مغنون ويدل عليه قوله سبحانه (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقوله عز وجل (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ثم في معنى القرآن كل ما يكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يفعله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة أنه طريق الصوفية وقد يجترعون على مثله في المسجد وفي المقبرة وفي الاسواق ومحاضر العشاق والله ولي دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور أهل الفساد وغلبة أهل العناد والله رؤف بالعباد وما يؤيد ما قدمنا أنه في البخارى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يفتن فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردھا الى انشاء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عموما لصالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) (ويتنفى) عطف على أن لا يكون أى وحق السماع أن يتنفى فيه (شاغل) للخاطر بما ينافيه (من الزمان كوقت الصلاة والطعام) أى حضوره (والمكان) أى وشاغل من المكان (كالشارع) أى الجادة والاسواق (وما فيه صورة قبيحة أو راحمة كرية) فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما (والاخوان) أى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالمتكبر

الْمُحْتَاجِ إِلَى رِعَايَتِهِ ، وَالْمُتَكَلِّفِ الْمَشْوَشِ بِالرَّقْصِ وَخَرَقِ الثَّوبِ وَالْمُتَزَهِّدِ
 الْمُفْلِسِ فِي الْبَاطِنِ وَعَدِيمِ الذَّوْقِ فِي السَّمَاعِ وَالْجَاهِلِ الْحَامِلِ عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ
 تَعَالَى وَالْمَلُوثِ قَلْبَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَالشَّهْوَةِ وَالْمُتَلَهِّيِّ بِالنِّعْمَةِ وَيَصْنَعِي بِالْحُضُورِ ،
 وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَانِبِ وَوُجُوهِ الْمُتَغْنِينَ وَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ بِرِعَايَةِ قَلْبِهِ وَمَافَتْحِ عَلَيْهِ
 وَيَجْلِسُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَأَمِّلِ الْمُسْتَغْرِقِ وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يَشُوشُ

المحتاج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) أى
 من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول
 بعض العرفية أيضا الرقص من النقص (وخرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم
 اتساع المجال مع ما فيه من تضيق المال أو المتكلف المتواجد من أهل التصرف المراتى
 بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب
 والسنة فهو باطل، وروى أن موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد
 منهم ثوبه فأوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك
 (والمتزهد) أى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المفلس فى الباطن)
 عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لا يكون فى طبعه لذة وشوق الى الاسماع
 وقد عد هذا أضل من الإهائم فانه حول محسوساته هائم (والجاهل الجامل على ما لا يليق به
 تعالى) فان الصفة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والمالوث قلبه بحب الدنيا) وهذا
 يستغنى عنه بقوله والمتزهد وإنما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع
 (والشهوة) أى وبحب ما يشتهى من المحمودة والثناء (والمتهلى بالنعمة) أى
 المشتغل بمجرد النعمة وما به يتلهى (ويصنعى بالحضور) أى وحق السماع ان يستمع
 بحضور القلب المفيد للبرور ونفى الخاطر المحذور (ولا يلتفت الى الجوانب) أى
 ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من
 أسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لابلحظة وجوههم
 ومقاهم (ويشتغل بنفسه) وما يجب عليه من مقام أنسه (برعاية قلبه) عند ذكره
 (ومافتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة التأمل) فى الكلام (المستغرق) فى
 فى المقام من لجة التغريد وبحر التوحيد (ويحترز عما يشوش) أى عليه وعلى غيره

كَالسَّعَالِ وَالتَّائِبِ وَالْمُنْكَرَاتِ كَضَرْبِ الْيَدِ وَتَحْرِيكِ الْأَطْرَافِ وَالرَّقْصِ
وَحَرْقِ الثَّوبِ إِلَّا إِنْ صَارَ مَغْلُوبًا بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ بِفَعْلِهِ أَوْ لَا يُطِيقُ الْامْتِنَاعَ عَنْهُ
لَطَرِيَانِ نَحْوِ هَيْبَةٍ أَوْ إِجْلَالٍ أَوْ حَيَاءٍ فَيَعْذِرُ كَمَا غَلَبَ عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ
الْحَدِيثِ وَيَوْمَ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حِمَةَ الدِّينِ حَيْثُ أَنْكَرَ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى
جَنَازَتِهِ وَالْدُّعَاءَ وَالْقِيَامَ لَهُ عَلَى قَبْرِهِ

ان أمكن له (كالسعال والتائب) وكذا العطاس فانها من الشيطان (والمنكرات
كضرب اليد) أى على طبق الغناء (وتحريك الاطراف) أى التى هى مقدمة الرقص
المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وخرق الثوب) أى قطعه
ورميه (الا ان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لا يعلم بفعله أو) أى ان كان مجذوبا
(لا يطيق الامتناع عنه لطريان نحو هيبة) أى عظمة الهيبة (أو اجلال) أى
خوف مع خشية ربانية (أو حياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) أى
في هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غاب على عمر رضى الله
عنه عام الحديبية) بالتخفيف أفصح (ويوم مات عبد الله بن أبي) رئيس المنافقين
(حمة الدين) فاعل غلب أى حمايته ورعايته بحسب ما ظهر له من حسن رأيه وفق
عادته (حيث أنكر الصلح) أى عام الحديبية فقال عمر كما فى صحيح البخارى «فاتيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألسنت نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم تعطى الدنيا فى ديننا اذا قال انى رسول
الله ولست أعصيه وهو ناصرى» قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكابل
طلبا لكشف ما خفى عليه من الأمر وحثا على اذلاله الكفار ، وظهور الاسلام
وعزاه له الابرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلاة)
أى وأنكر عمر الصلاة (على جنازته) أى على جنازة ابن أبي (والدعاء) أى فى
الصلاة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل
هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل (ولا تصل على أحد منهم مات
أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ولعل هذه عليه
السلام كان لظاهر ما كان يبدى من الاسلام أولتألف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام

وَأَبَى طَيْبَةً حَيْثُ شَرِبَ دَمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْحِجَامَةِ لَكِنَّهُ ضَرَبَ تَقْصِيرَ
جَلَّ قَدْرُ ذَوِي الْكَمَالِ عَنْهُ لَا سِيَّمَا الْأَنْبِيَاءَ فَهُمْ أَصْحَابُ شَرَائِعٍ مُكْمَلُونَ وَيُسَاعِدُ
الْأَخْوَانَ فِي الْقِيَامِ وَرَفَعَ الْعِمَامَةَ إِنْ كَانَ مُعْتَادًا فَالْمُخَالَفَةُ مُوَحِّشٌ وَالْإِسْرَارُ
بِالْمُسَاعَدَةِ فِيمَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَصَارَ

ومنع عمر لما كان يترشح من أبي آثار الكفر والظلام (وأبى طيبة) رضى الله عنه
أى وكما غلب على أبى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد
الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدارقطنى وقال
حسن صحيح ه وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر
عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحبة ولاخر لم يمسك النار وقد بسطت
عليه الكلام فى سيرته عليه السلام، وقد قال جماعة من العلماء الشافعية: ان
فضلاته عليه السلام ظاهرة وأنه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم
والله أعلم، ومن ذلك ما روى ابن حبان «أن غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل
فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الأرض فقالت الله فقال من
خلق هذه الغنم قالت الله فقال انى اسمع الله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فقطع»
وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتما قدرته فطرب لذلك ورمى
بنفسه من هنالك وفى الاحياء «رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا ورمنا لكم
فلم ترقصوا» أقول المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وتذكرنا
فلم تشاققوا (لكنه) أى وصف المغلوبة (ضرب تقصير) أى فيه نوع قصور منه
(جل قدر ذوى الكمال عنه لا سيما الانبياء) وكذا ورثتهم من العلماء وأتباعهم من
الاولياء (فهم أصحاب شرائع) أى حقيقة وحكما (مكملون) أى كاملون فى أنفسهم
مكملون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام «من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما»
أى فينبغى أن يكون فى الملك كريما (ويساعد) أى رخص السماع أن يعاون (الاخوان
فى القيام) فى المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان)
أى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) أى بعد الحضور (والاسرار)
مبتدا أى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) أى نهيا صريحا (وصار

مُعْتَادًا بَعْدَ عَصَرِهِمْ حَسَنَةً وَإِنْ كَانَ بَدْعَةً وَيَخْفَى بِهِ لَثَلًا يَقْتَدِي الْعَوَامُّ بِهِ وَيُظْهِرُ الْمَنَعُ
فَهُوَ يَضُرُّ لِلْإِعَانَةِ عَلَى الْهَوَى وَيَتَخَلَّفُ الْكَامِلُ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ لِلْإِسْتِغْنَاءِ
عَنِ الْمَحْرُكِ الْخَارِجِيِّ

مُعْتَادًا بَعْدَ عَصَرِهِمْ أَي بَعْدَ انْقِضَاءِ زَمَانِ السَّلَفِ وَانْتِهَاءِ الْأَمْرِ إِلَى الْخَلْفِ (حَسَنَةً) خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ أَي مُسْتَحْسَنٌ لَمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا « مَا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ » وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « خَالَفُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ » رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ (وَإِنْ كَانَ) أَي مَا ذَكَرَ (بَدْعَةً) أَي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَالْأَوَّلَى عَدَمُ حُضُورِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ لَثَلًا يَحْتَاجُ إِلَى خَطَرِ الْخَطِيرِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) فَاجْتَنَابُ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمُبَاحِ أَقْرَبُ إِلَى النِّجَاحِ وَعَدَمُ الْجَنَاحِ لِاسْتِمَارَةِ الْقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » أَي مُرَدُّودٌ وَقَالَ « كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ فَعَلَيْكَ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ وَتَرْكِ الْبَدْعَةِ » نَعَمْ الْبَدْعَةُ الْمَحْذُورَةُ مَا تَزَاحِمُ السَّنَةَ الْمَأْثُورَةَ وَلَمْ يَقْعُ نَهْيٌ عَنِ الصُّورِ الْمَذْكُورَةِ (وَيَخْفَى بِهِ) أَي وَحَقُّ السَّمَاعِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُقْتَدِي أَنْ يَخْفَى بِالسَّمَاعِ (لَثَلًا يَقْتَدِي الْعَوَامُّ بِهِ) فِي جَوَازِ مَطْلُوقِ الْإِسْتِمَاعِ وَعَمُومِ أَنْوَاعِ السَّمَاعِ (وَيُظْهِرُ الْمَنَعُ) أَي لِلْعَوَامِّ (فَهُوَ يَضُرُّ) الْآكْثَرُ (لِلْإِعَانَةِ عَلَى الْهَوَى) أَي لَغْلَبَةِ هَوَى النَّفْسِ حَتَّى عَلَى الْمُبْتَدئينِ مِنَ الْمُرِيدِينَ (وَيَتَخَلَّفُ الْكَامِلُ الْمَعْرِفَةُ) أَي فِي لَبِّهِ (وَالْمَحَبَّةُ) لِرَبِّهِ عَنِ مَجَالِسِ التَّغْنَى وَالسَّمَاعِ فِي غَالِبِ أَمْرِهِ (لِلْإِسْتِغْنَاءِ) أَي لِاسْتِغْنَاءِ الْكَامِلِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ (عَنِ الْمَحْرُكِ الْخَارِجِيِّ) مِنْ سَمَاعِ الْغَنَاءِ لَمَّا أَشَارَ إِلَيْهِ الصَّدِيقُ حَيْثُ رَأَى الْأَعْرَابَ يَقْدُمُونَ وَيَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَيَكُونُ فَقَالَ كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُنَا أَي اشْتَدَّتْ وَقَوِيَتْ لِتَحْمِلِ مَا نَزَلَ بِنَا وَقِيلَ لِلْجَنِيدِ مَا بِكَ تَرَكْتَ السَّمَاعَ فَقَالَ (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مِنَ السَّحَابِ) وَقَالَ بَعْضُهُمْ صَحِبَتْ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً فَمَا رَأَيْتَهُ تَغْيِرُ عِنْدَ شَيْءٍ كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ الذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ قَرَأَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ (فَالْيَوْمَ لَا يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَنِيَّةٌ) الْآيَةُ فَرَأَيْتَهُ قَدْ ارْتَعَدَ وَكَادَ يَسْقُطُ فَلَمَّا عَادَ عَلَى حَالِهِ سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ نَعَمْ يَا حَبِيبِي ضَعُفْنَا وَكَذَلِكَ سَمِعَ مَرَّةً قَوْلَهُ تَعَالَى (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَاقِ لِلرَّحْمَنِ) فَاضْطَرَبَ فَسَأَلَهُ ابْنُ سَالِمٍ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ قَدْ ضَعُفْتَ فَقِيلَ وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنَ الضَّعْفِ فَمَا قُوَّةُ الْحَالِ فَقَالَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ

إِلَّا بَنِيَّةَ الْأَسْرَارِ بِالمُسَاعَدَةِ وَتَعْلِيمِ ضَبْطِ الْجَوَارِحِ مَعَ كَالِ الْحَالِ ، وَالْأَسْلَمِ
الْاجْتِنَابُ عَنْ مُطْلَقِ السَّمَاعِ لِمَكَانِ الْاِخْتِلَافِ وَنَدْرَةِ تَحَقُّقِ الشَّرُوطِ لِدَقَّةِ
مَكَائِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ *

وارد الا وهو يتلعه بقوة حاله ، وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم
اذ فضل العلم اتم من الوجد ﴿الابنية الاسرار﴾ أى ادخال السرور فى قلوب اصحاب
بجلس التغنى بشروطه ﴿بالمساعدة﴾ فى الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة ﴿وتعليم﴾ أى
والابنية تعليم ﴿ضبط الجوارح﴾ من الاقوال والافعال ﴿مع كمال الحال والاسلم﴾
فى جميع الاحوال والافعال ﴿الاجتناب عن مطلق السماع﴾ ولو بشروطه مع
الاصحاب ﴿لمكان الاختلاف﴾ أى فى هذا الباب والصوفى طريقه اختيار
العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع
المشهور فى الاسماع ﴿وندره تحقق الشروط﴾ فى غالب مجالس الاستماع ﴿لدقة
مكائد النفس﴾ أى هواجسها ﴿والشيطان﴾ يحملها على وساوسها، وما احسن قول
الحصرى ماذا اعلم بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى أن السماع من الله
هو الدائم فالانبياء وكل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك
كلامهم، وقال بعض المشايخ الكرام ليتنا نجونا من هذا الهماع رأسا برأس، وقال
أبو القاسم النصرابادى لابي عمرو بن نجيده أنا أقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم
قوال يقول خيرا من ان يغتابوا فقال أبو عمرو الرباء فى الهماع وهو أن ترى من نفسك
حالا ليس فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب العاشر)

(في الأناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأناةُ معني باعثُ على الاحتياط في الأمور، والثاني
اتباعها بعد الدخول فيه والتوقف قبله، وضدها العجلة وهي باعثُ على الإقدام
بأول خاطر، والاستعجال اتباعه، وورد العجلة من الشيطان إلا في تزويج
البكر وقضاء الدين وتجهيز الميت وقرى الضيف *

الأناة بفتحات اسم لضد العجلة، والحلم التحمل، والعفو التجاوز، والنصيحة ارادة الخير
للمنصوح له، والحقد بالكسر العداوة بالقلب ويتج نحو الحسد والغضب (بسم الله
الرحمن الرحيم) الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم
(الأناة معني) أي خاق باطن (باعث على الاحتياط في الامور) أي المتعلقة بالحكم
الخارجي وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شيء من حقها (والثاني)
مصدر من باب التفعّل وتأوّه للطلب أو التكلف (اتباعها) أي تتبع تلك الامور (بعد
الدخول) أي دخول الانسان (فيه) أي في حال الدخول قبل الدخول، وضده
التعسف في الحصول (والتوقف قبله) أي ويقال له التوقف (وضدها) أي الأناة
(العجلة وهي) أي العجلة معني (باعث على الإقدام) أي إقدام الانسان على الامور
(بأول خاطر) من غير تأمل وتفكر (والاستعجال اتباعه) أي تتبع ذلك الباعث
من غير تأخر (وورد العجلة من الشيطان) أبو يعلى من حديث أنس بلفظ «الثاني
من الله والعجلة من الشيطان» والترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة
من الله» (الافى تزويج البكر) أي خصوصاً اذا بلغت ووجدت لها كفواً (وقضاء
الدين) ولو كان مؤجلاً (وتجهيز الميت) اذا كان ميسراً (وقرى الضيف)

والتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَآفَاتُهَا الْحَرَمَانُ فَمَنْ اسْتَعْجَلَ نَيْلَ مَنْزِلَةٍ أَوْ إِجَابَةَ دَعْوَةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ
بِتَرْكِ مَلَاةٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ ظَالِمٍ يَبْطُلُ بِالْدَّعَاءِ عَلَيْهِ وَاقْتِحَامِ الشُّبْهَةِ فَاصِلُ الْوَرَعِ النَّظَرُ
الْبَالِغُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى : (فما لبث أن جاء بعجل خيذ) ففيه الدلالة على المبادرة
بالعبادة والاشارة (والتوبة من الذنب) اذ يجب ان تكون في الحال فان اكثر عذاب
أهل النار من تسويفهم في القال ويستثنى أيضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التأخير
آفات (وآفات) اي العجلة اشياء منها (الحرمان) من المطلوب (فمن استعجل نيل
منزلة) من مال أو جاه أو لذة أو مقام أو حال أو مرتبة (أو اجابة دعوة بل الوقت)
أي المقدرها فان الامور مرهونة بأوقاتها (بترك ملالة) أي بترك المستعجل طلب تلك
المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عز ووصول تلك الحالة لا محالة ، او يغلو
ويبالغ في الجهد واتباع النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفریط وطلاهما
نتيجة الاستعجال ، وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقي وغيرهم ان ديننا هذامتين
فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ، والمنبت الذي انقطع به في سفره
وعطبت راحلته ، والفعل انبت مطاوع به من البت وهو القطع . وفي المثل السائر ان لم تستعجل
تصل : ولبعضهم بقوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
فيفتر ويسأم ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان
مسه الشرفيؤوس قنوط) (او مكافاة ظالم) اما منصوب عطفا على نيل منزلة او مجرور
عطفا على منزلة (يبطل) اجره اعدم صبره (بالدعاء عليه) أي على الظالم وذلك بان
يظلمه انسان فيغيظه ويدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقيم في المعصية والهلاك ،
قال تعالى : (ويدع الانسان بالشردعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) (واقتحام الشبهة)
أي ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسهوات (فاصل الورع) أي أساسه
الذي عليه مدار الشرع (النظر البالغ في كل شيء) أي من الاصل والفرع الذي هو
بهده من اكل وشرب ولام وغيره ، فاذا كان الرجل مستعجلا في أموره غير متأن
ولا مثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام يقع في شبهة أو حرام . وكذا
في سائر المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار أحكام الاسلام ، وقد ورد أخبار وآثار
في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشره الخلق . فني صحيح مسلم

وَالْأَفْرَاطُ فِي الْغَضَبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَوَرَدَ الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ
الْعَسَلَ وَهُوَ غُلِيَانٌ دَمَ الْقَلْبِ لَطَلَبِ الْإِتْقَامِ وَالْحَمْدُ الْإِعْتِدَالُ

من حديث عائشة « ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه مالا يعطى على العنف » وفي
الصحيحين من حديثها « يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله » ولمسلم من حديث جرير
« من يحرم الرفق يحرم الخير » أي كله كما في رواية أبي داود . وللطبراني في الاوسط
من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من حديث عائشة « الرفق يمن
والخرق (١) شؤم » ولابن المبارك في الزهد من حديث أبي جعفر مرسله « إذا أردت امرا
فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سؤيا ذلك فاته » وعن الحسن « المؤمن
وقاف (٢) متان وليس كحاطب ايل » ثم العنف وان كان محمودا في بعض الاحوال ولكن
الاحتياج الى الرفق أقوى في اكثر الافعال والاقوال ، ومن هنا قال سفيان لاصحابه :
أتدرون ما الرفق ؟ قالوا قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الامور في مواضعها : الشدة في
موضعها ، واللين في موضعه ، والسيف في موضعه ، والسمط في موضعه . وفيه تنبيه نبيه
على انه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل :

ووضع الندي في موضع السيف بالعلاء أي بأمله « مضر كوضع السيف في موضع الندي
أي العطاء : وعن أبي عون الانصاري ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها
كلمة اللين منها تجرى مجراها (والافراط) أي ومن آفات العجلة الاكثر والمبالغة
(في الغضب وهو) أي الغضب أو افراطه (مذموم) أي شرعا وعرفا (فورد)
أي برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (الغضب يفسد
الايمان) أي كماله أو يطفىء نوره أو يمنع ظهوره (كما يفسد الصبر العسل) وهو
بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مرة ، وعن أبي هريرة « أن رجلا قال : يا رسول
الله مرني بعمل واقلل قال : لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب ، رواه البخاري .
ومن هنا قيل لابن المبارك : أجل لنا الخاق الحسن في كلمة ، قال : ترك الغضب . وعن
عكرمة في قوله تعالى : (وسيدا وحصورا) قال : السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقد قيل
الغضب غول العقل (وهو) أي الغضب (غليان دم القلب لطالب الانتقام والمحمود)
من الغضب (الاعتدال) كسائر الاخلاق والاحوال . فلما يهتق في الشعب مرسله « خير

وَهُوَ الضَّبْطُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ فَالتَّفْرِيطُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ فَوَرَدَ (أَشَدُّ)
عَلَى الْكُفَّارِ - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ (وَقَلْعُهُ فِي زَوَالٍ مَا اسْتَغْنَى عَنْهُ
يُمْكِنُ لَمَّا احْتِيجَ إِلَيْهِ كَطَعَامٍ يَسُدُّ جُوعَهُ وَثَوْبٍ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَبَيْتٌ يُوَارِيهِ
وَكِتَابٌ يُطَالَعُهُ لَصُعُوبَةٍ تَفْرِغُ الْقَلْبَ عَنْ حُبِّهَا

الأمور أو سطوها (وهو) أي الاعتدال (الضبط تحت الشرع والعقل) بأن لا يكون فيه
تفريط ولا إفراط ، فيغلب حيث وجبت الحمية الشرعية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم
في القضية الفرعية (فالتفريط) أي يفقد الغضب أو ضعفه (مذموم) وهو الذي
يقال فيه : أنه لاجمية له ، ولذا قال الشافعي : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ،
ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (كالأفراط) أي كما أن الإفراط بالتجاوز عن الحد
مذموم قال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من
الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة (فورد) في مدح
الاعتدال قوله تعالى (أشداه على الكفار) تمامه (رحماء بينهم) وكذا قوله
(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام (يا أيها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم) (ولا تأخذكم بهما) أي بالزاني والزانية
في أحدهما (رافة في دين الله) أي شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط ، وقال عليه
السلام « خير أمتي أحداؤها » يعني في الدين ، رواه الطبراني والبيهقي عن علي (وقلعه)
أي قطع الغضب ورفع (في زوال ما استغنى عنه) كالجاء والمال الكثير والغلمان
والدواب (يمكن) إذ ليست هذه الأشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة
والمجاهدة العلية والعملية (لا) أي لا يمكن قلعه في زوال (ما احتيج إليه) أي ولا
يستغنى عنه بحال (كطعام يسد جوعه) من قوت يومه وليلته (وثوب يستر عورته)
ويصح صلواته (وبیت یواریه) أي يستر حاله ويدفع برودته وحرارته (وكتاب
يطالعه) وفي معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها ، والاخير من ضروريات بعض افراد
الناس (لصعوبة تفريغ القلب عن حبها) أي عن حب هذه الأشياء بحكم الطبيعة ،
فانه لا يمكن قلعه بالرياضة ولا كلف احدها في أبواب الشريعة ، وقد اشار إليه

الْأَمَنُ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَبَرَى الْخَلْقَ مُسَخَّرِينَ لِلْحَقِّ كَالْقَلَمِ لِلْكَاتِبِ، وَفِيهِ
يَتَصَوَّرُ الْكُسْرُ بَأَن لَّا يَظْهَرُ الْآثَرُ

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يوم فكأنما حيزت له الدنيا » أى جمعت له لذاتها . الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن محسن . وقال الترمذى . حسن غريب : ورواه الطبرانى فى تاريخه . والكل بدون زيادة بخلافها « (الامن غلب عليه التوحيد) فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء . (فيرى الخلق مسخرين للحق) القاهر الغالب (كالقلم للكاتب) لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى أحوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ويقول « انما أنا بشر اغضب بما يغضب البشر » كما فى الصحيحين ، وفى رواية « فإيما مسلم سيئه أولعته أو ضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة » (وفيه) أى فيما احتيج اليه (يتصور الكسر) أى كسر النفس (بان لا يظهر الاثر) أى اثر الغضب فى البشرة لا قلم الغضب بالمرّة لانه غير مقدور للبشر . وعن على كرم الله وجهه « كان عليه السلام لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقيم لغضبه شئ حتى ينتصر له » رواه الترمذى فى الشمائل . وفى صحيح مسلم عن عروة « ان عائشة حدثت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة اغرت ؟ فقلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك ، فقال ﷺ : لقد جاءك شيطانك ، قالت يا رسول الله او معى شيطان . قال نعم ، قلت ومع كل انسان . قال نعم ، قلت ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم ولكن ربى اعانى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى بالبخير ، وفى الاحياء اراد شيطان الغضب . والمعنى انه لا يحمى على الشر ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا . قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق » وأشار الى لسانه ، فلم يقل انى لا اغضب ، ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب . والحديث رواه أبوداود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقوله سبحانه : (قل انما انا بشر

وَالسَّبَبُ الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ وَالْمَرَحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالِإِيْذَاءُ وَالْحِرْصُ فِي الْفُضُولِ
وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ

مثلكم يروحى الى) أى التمييز بينى وبينكم بوقوع الوحى الى دونكم •
هذا وقد يفقد أهل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم
منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فان استغراق القلب ببعض
المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ، ومن هنا لما شتم سلمان قال :
ان خفت موازىنى فانا شر مما تقول ، وان ثقلت موازىنى فلا يضرنى ما تقول . فقد كان همه
مصرفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ولم يصر سبيا لغضبه ، وكذلك شتم الربيع بن
خيثم فقال : يا هذا سمع الله كلامك ، وان دون الجنة عقبة ان قطعته لم يضرنى ما تقول ، وان
لم اقطعها فانا شر مما تقول ، وقيل للبسطامى : لحيتك افضل أم ذنب الكلب ؟ فقال : ان
مت مؤمنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة ، وشتم رجل ابا بكر الصديق
فقال : ما ستر الله عنك اكثر ، فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق
تقائه ويعرف الله حق معرفته ، فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره ، اذ كان ينظر
الى نفسه بعين النقصان وذلك لكمال قدره . وقالت امرأة لما لك بن دينار : يا امرأتى ، فقال
ما عرفنى غيرك ، فكأنه كان مشغولا بان ينقى عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص
ومقام البقاء بعد الفناء ، وسب رجل الشعى فقال : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت
كاذبا فغفر الله لك (والسبب) أى باعث الغضب ستة أشياء (الكبر والعجب والمزاح
والاستهزاء والايذاء) أى بالتعير والمراء (والحرص) أى شدة الميل (فى الفضول)
أى زيادة المال والجاه ، وهى باجمها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة فى امور
شرعية واحكام فرعية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب ، فلا بد من ازالتها
باضدادها المعروفة فى الباب (وعلاج كل) أى من الكبر ونحوه (فى موضعه) أى
يأتى مفصلا ، واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ، ويميت العجب بمعرفة النفس
اذا كان بالعلم والعمل ، واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد ،
وان الشرف بالفضائل . والفخر والعجب من اكبر الرذائل ، ويميت المزاح بالاشتغال
بالمهمات الدينية والامور الاخروية ، ويزيل الهزل بالجد ، ويميت الباطل بالحق لقوله
تعالى : (انه لقول فصل وما هو بالهزل) ويزيل التعير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد

وَبِالْأَجْمَالِ التَّوَضُّؤُ وَالتَّعْبُدُ وَالْقُعُودُ وَالْإِتِّكَاءُ وَالْإِضْطِجَاعُ

«طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس ، ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يتلى به» ، ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة . ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة سديدة ، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل واتصفت بمحامد الفضائل .
وهكأرم الشمائل .

والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس ، فالمرضى أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل ؛ والصبي أسرع غضبا من الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء . والرذائل أسرع غضبا من صاحب الفضائل ، فالرذل يغضب لشهرته عند فوت اقمته ، ولبخله عند فوت حبه . وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحده ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وهو الذى ذكرناه : علاجه بتفصيل الاحوال (وبالأجمال) علاجه اثنا عشر (التوضؤ) والاغتسال أتم . ففى الحديث « إذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار » أبوداود من حديث عطية السعدى : وفى رواية أخرى : ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ ، وروى « أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : ان الغضب من الشيطان » وهذا يذهب الغضب فى الجملة (والتعبد) أى بالصلاة ونحوها ، وفى نسخة التغسل وهو الظاهر فى الأصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد أخرج ابن عساكر من حديث معاوية « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفي النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل » ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا « اذا غضبت فاسكت » رواه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان (والقعود) أى الجلوس اذا كان قائما (والأتكأ) اذا كان جالسا (والاضطجاع) اذا كان متكئا فللترمذى من حديث أبى سعيد « ان الغضب جمره فى القلب الم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم » (أى فليضطجع) فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل

وَالصَّاقُ الْخَدَّ بِالْأَرْضِ فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ مَأْمُورٌ بِهِ مُعَلَّلًا بِأَنَّهُ جَمْرَةٌ

فإن النار لا يطفيها إلا الماء ، ولا بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة كان عليه السلام «إذا غضب وهو قائم جالس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه» ولاحمد باسناد جيد «وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع» فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب والا فليضطجع ، والمرفوع عند أبي داود بسند فيه انقطاع ، والاضطجاع غاية السكون ، فإن سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، والظاهر عنوان الباطن ، ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق في طهارة الظاهر والباطن ، وقد ورد «إن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما- وفي رواية- يا ابن الخضراء فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : يا أبا ذر بلغني أنك اليوم غيرت رجلا بأمة قال نعم ، فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمريها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ، ثم قال : إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاتكى. وإن كنت متكئا فاضطجع» رواه ابن أبي الدنيا باسناد صحيح ، وفي الصحيحين من حديثه قال « كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه أعجمية فغيرته بأمة فشكا إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية» ولاحمد أنه عليه السلام قال له : « انظر فانك لست بخير من أحمري ولا أسود إلا أن تفضله بقوة» ورجاله ثقات (والصاق الخد بالأرض) فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا «إلا أن الغضب جمرة في قلب ابن آدم لا تروى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليصق خده بالأرض» الترمذي وحسنه . وكان هذا إشارة إلى تمكين أعز الاعضاء من أذل الأشياء لتستشعر به النفس المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة ، وإيماء إلى أن من أوله وآخره التراب لا يصلح له الغضب في باب من الابواب ، وإلى قول بعض أئمة الالباب : ما للتراب ورب الارباب والله أعلم بالصواب ، وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي : أوليت ؟ قلت نعم ، قال : فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالفهما (فالكل مروي) أي فعله كما قدمنا (مأمور به) كما بينا . والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول (معللا) وفي نسخة معلل (بانه) أي الغضب (جمرة) أي حرارة غريزية أو

فِي الْقَلْبِ بَدَائِلُ حُمَةِ الْعَيْنِ وَانْتِفَاحُ الْأَوْدَاجِ وَالْإِسْتِعَادَةُ وَالْإِسْتِعَاذَةُ وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَالْعِلْمُ بِثَوَابِ الْحِلْمِ وَالتَّحَلُّمِ فُورَدَ (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) أَيِ الْمُتَحَلِّينَ وَ«مَنْ
كَفَّ اللَّهُ غَيْظَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيَدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ

حادثة عرضية تتوقد ((في القلب بدليل حمرة العين)) أي حيثئذ ((وانتفاخ الأوداج)) أي
عروق الرقبة. وقد سبقت به الرواية وتحققت فيه الدراية ((والاستعادة)) أي ومن جملة
العلاج العودة إلى الحالة الأولى بعد التغير عنها إلى الحالة الثانية ((والاستعاذة)) أي التعوذ
بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ ، وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد ، قال :
كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستانبان فاحدهما أحمر وجهه وانفتحت أوداجه فقال
عليه السلام. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد، الحديث . ولا بن عدي
من حديث أبي هريرة ، إذا غضب الرجل فقال : أعوذ بالله سكن غضبه ، ولا بن السني في
اليوم والليلة . من حديث عائشة ، كان عليه السلام إذا غضبت عائشة أخذ بانفها وقال
يا عويش قولي : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن ، ((والاستعانة بالله تعالى)) أي بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته ((والعلم
بثواب الحلم والنحلم)) عطف على العلم لا الحلم أي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه
محمود أيضاً للطبراني «انما العلم بالنحلم والحلم بالنحلم» (فورد) في التنزيل (والكاظمين
الغيظ) أي المتحللين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين ، وتمامه (والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين) وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من
حديث أنس ((من كف الله غيظه كف الله عنه عذابه)) ولا بن أبي الدنيا من حديث
ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» ولا بن أبي الدنيا من حديث علي «أشدكم
من ملك نفسه عند الغضب وأحل لكم من عفا عند المقدرة» (وإن المسلم ليدرك بالحلم
درجة الصائم) أي بالنهار ((القائم)) أي بالليل رواه الطبراني في الأوسط . ولا بن
السني من حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم» وفي الصحيحين
«يا أشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والأناة» وللطبراني من حديث فاطمة «إن الله يحب
الحبي الحليم» ولا بن ماجه بإسناد جيد من حديث ابن عمر «ما جرع عبد جرعة أعظم
أجر من جرعة غيظ كظمها البغاء وجه الله» زاد ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس
«وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً» وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شراً كثيراً.

وَشِدَّةُ غَضَبِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتُهُ وَفَضِيحَةُ الْآخِرَةِ وَتَشْبِيهِ الْحَلِيمِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ
وَالْغَضُوبِ بِالسَّبْعِ الضَّارِي وَقَبْحُ هَيْئَتِهِ

واجتمع سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع ، وقال رجل لعمر : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله قال : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين ، فقال عمر صدقت ، وكأنما كانت نارا فاطفئت (وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة) أي والعلم بها فأنها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب ، فيخوف نفسه بعقاب الله بأن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلما مضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو والرحمة ، وقد قال تعالى في بعض الكتب المتقدمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق « وبعث رسول الله ﷺ وصيفا إلى حاجة فابطأ عليه ، فلما جاءه قال : لولا القصاص لأوجعتك ضربا » أي خوف القصاص في القيامة أبو يعلى من حديث أم سلة بسند ضعيف . ولاحمد من حديث عبد الله بن عمر . « وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب » (وتشبيه الحليم بالأنبياء) فورد د كاد الحليم أن يكون نبيا ، وقدم مدح الله سبحانه خليفه بأنه حليم ، وكذا بشره بسلام حليم (والأولياء) أي باتباع الأنبياء من الأصفياء فقد ورد العلماء ورثة الأنبياء ، وضد ذلك من حال الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء (والغضوب) أي وتشبيه كثير الغضب (بالسبع الضاري) أي الصائل العادي من الأسد ونحوه ، فهو من أخلاق البهائم والكلب الهائم (وقبح هيئته) أي بتغير صورته حال غضبه وشدة حدته بأن يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته في أطرافه واكتافه ، وخروج أفعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة في أعضائه وكلامه ، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة في المظاهر . ولورأي الغضبان نفسه في حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من ظاهره . وهذا التغير في جسده . وأما أثره باللسان فأنطلاقه بالشم والفحش وقبح الكلام الذي يستحي منه

وَالْعَجْزُ عَنِ الْغَلْبَةِ عَلَى مُرَادِهِ تَعَالَى وَاتِّقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَحُدُوثِ الذُّنُوبِ
لَاخِذِ اللِّسَانِ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ، وَالْجَوَارِحِ فِي الضَّرْبِ وَالْجَرْحِ وَالْقَتْلِ
وَالْقَلْبِ فِي الْحَقْدِ وَهُوَ ذَمِيمَةٌ فَاحِشَةٌ فُورِدَ «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ»

ذُورُ العقول ، ويستحي منه قائله ايضاً عند قتيور غضبه ، وذلك مع تخطيط نظمه او
اضطراب لفظه . واما أثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل
عند المتكدين من غير مبالاة ، فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب لذه وبجئ
عن التثني اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه ، وقد يضرب يده على
الأرض أو جدره ويمدو عدو الواله والسكران في مشيه ، وربما يسقط صريعاً لا يطيق
العدو سريعا ، وربما يضرب الجمادات والحوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر
المائدة ويتعاطى افعال المجانين ؛ فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى الى متى منك
يا هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفته دابة فيرفس هـ والدابة
ويقابلها بذلك ، وربما قتل نفسه يده اما باآلة أو بشنق أو برمي في بحر ونحوه
(والعجز) أى والعلم بالعجز (عن الغلبة على مراده تعالى) فانه غالب على أمره ،
وهو القاهر فوق عباده . فان الغضبان يود جريان الشئ على وفق مراد نفسه دون مراد ربه ،
ومن وقع في هذه الورطة وبأبه بآه بغضب من الله وعذابه ، ونعم ما قيل :
تود النفس ان تلقى مناها هـ ويأبى الله الا ما يريد

فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فكن مسلما لامره ان كنت من المرید الطالب لمقام
المزيد (واتقام المغضوب عليه) أى فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب
عليه على اظهار معائبه والشتمات بمصائبه (وحدث الذنوب) أى انواع العصيان (لاخذ
اللسان في الفحش والسب) للانسان (والجوارح في الضرب والجرح والقتل) ما سبق
في معرض البيان (والقلب في الحقد) فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى في
غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدًا ، لحيث يلزم قلبه استثقاله ويحسده في حسن
حاله ، ويظهر الشتمات بمسائه . والحزن بمسرتة ، والعزم على افشاء سره وهتك ستره
والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع أمره (وهو) أى الحقد (ذميمة) أى خصلة
مذمومة (فاحشة) أى متجاوزة عن الحد لاشتغالها على سيئات متعدية عن الحد (فورد
المؤمن) أى الكامل (ليس بحقود) فعول بمعنى فاعل ، أى ليس بذى حقد ، أو ليس

وَالْعَلَّاجُ قَلْعُ الْغَضَبِ وَذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي الْعَفْوِ مِثْلُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - خُذِ الْعَفْوَ - وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وَهُوَ اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ أَمَّا قَوْلُ أَبِي ضَمْضَمٍ
اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدُ وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ

بِمَبَالِغِ فِي الْحَقْدِ ، وَالْحَدِيثِ فِي الْأَحْيَاءِ ، وَقَالَ مَخْرَجُهُ لَمْ أَقْبَلْهُ عَلَى أَصْلِ (وَالْعَلَّاجُ) أَيْ عِلَاجُ الْحَقْدِ (قَلْعُ الْغَضَبِ) أَيْ الَّذِي سَبَبَ الْحَقْدَ الْبَاعْثَ عَلَى الْحَسَدِ وَنَحْوِهِ (وَذِكْرُ مَا وَرَدَ) أَيْ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (فِي الْعَفْوِ مِثْلُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) وَتَمَامُهُ (وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ نَادَى مَنْادٍ يَقُمُ مِنْ أَجْرِهِ عَلَى اللَّهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلَ مَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، وَهُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ : (فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وَلَا أَحَدٌ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ «إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يَحِبُّ الْعَفْوَ» فَالْمُتَخَلِّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ مَوْلَاهُ (خُذِ الْعَفْوَ) تَمَامُهُ : (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وَوَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْعَفْوِ «إِنْ تَعَطَى مِنْ حَرَمِكَ وَتَصَلَّ مِنْ قِطْعِكَ وَتَعَفَّوْا عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ» (وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) تَمَامُهُ : (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (وَهُوَ) أَيْ الْعَفْوُ (اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ) أَيْ ثَبَتَ لِلْعَبْدِ عَلَى غَيْرِهِ (أَمَّا قَوْلُ أَبِي ضَمْضَمٍ) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدُ) أَيْ لَا عَفْوَ لِأَنَّهُ أَثْبَاتُ مَالِهِ لِلْغَيْرِ لَا أَثْبَاتُ حَقِّ وَاجِبٍ لَهُ عَلَى الْغَيْرِ (وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ) أَيْ بَوْعْدُهُ وَعَهْدُهُ . وَتَوْضِيحُهُ أَنَّهُ قَالَ الْعَفْوُ اسْقَاطُ حَقِّ وَجِبِّ وَرَدَّ عَلَيْهِ أَنْ قَوْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ تَصَدَّقْتُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَفْوَ قَدْ يَكُونُ بِاسْقَاطِ الْحَقِّ قَبْلَ الْوُجُوبِ ، فَاجَابَ بِأَنَّهُ وَعْدُ بَأَنَّهُ لَا يَخَاصِمُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَعْفُو كَمَا قَدَّمَ ، وَفِي الْأَحْيَاءِ «قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : اللَّهُمَّ لَيْسَ عِنْدِي صَدَقَةٌ أَتَصَدَّقُ بِهَا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَصَابَ مِنْ عَرَضِي شَيْئًا فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ» قَالَ مَخْرَجُهُ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الصَّحَابَةِ ، وَابْنُ عِبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَسْمَعْهُ ، وَقَالَ أَظُنُّهُ أَبَا ضَمْضَمٍ ، وَتَقَدَّمَ فِي آفَاتِ اللِّسَانِ حَدِيثُ «أَيُّعِزُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ ، قَالُوا وَمَا أَبُو ضَمْضَمٍ؟ قَالَ : رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ الْيَوْمَ بِعَرَضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي ، وَالْمَعْنَى أَنْتُمْ أَوْلَى بِهَذِهِ الْخِصْلَةِ الْمَهْمَةِ فَانْكُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (رَبَانِينَ) أَيْ أَعْلَاءَ حُلَمَاءٍ ، وَعَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

وَمَا ارْتَكَبَ الْحَقُّودُ مِنْ مَكْرُوهِ كَثَرَ الْإِعَانَةُ فِي الْحَاجَةِ وَالْدُّعَاءِ

قالوا سلاما) قال علماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعنى بل يجيئونهم بقول يسلمون فيه عنهم . وقال عطاء بن أبي رباح: ويمشون على الأرض هونا أى علماء . وقال ابن أبي حبيب فى قوله : (وكهلا) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد : (واذا مروا باللغو مروا كراما) أى اذا أودوا صفحوا ، وروى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عليه السلام : « أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى : (واذا مروا باللغو مروا كراما) ابن المبارك فى البر والصلة . ولأحمد من حديث سهل بن سعد « اللهم لا يدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم » فلو بهم قلوب العجم والستهم السنة العرب ، وعن على كرم الله وجهه « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة ربك ، فاذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله ، وعن الحسن « اطلبوا العلم وزينوه بالحلم » وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم ، وما أحسن العلم بزينة العمل ، وما أحسن العمل بزينة الرفق ، وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ، وعن أنس بن مالك فى قوله تعالى : (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) الى قوله : (عظيم) هو الرجل يشتبه أخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك ، وان كنت صادقا فيغفر الله لى ، وعن بعضهم قال شتمت فلانا من أهل البصرة فلم عنى فاستعبدنى بها زمانا . وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها . فنكس الرجل رأسه واستحي . وعن على بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خيصة كانت عليه وأمره بالف درهم . ومر المسيح ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا ، فقال كل واحد ينفق بما عنده . ولأحمد من حديث جابر بن سمرة « ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه » ولا بن داود من حديث أبى هريرة « شتم رجل أبا بكر وهو ساكت فلما ابتداء ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ما كتالم اشتعنى فلما تكلمت قت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان » (وما ارتكب) أى و ذكر ما اكتسب (الحقود من مكروه كترك الاعانة فى الحاجة) وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (والدعاء) أى وكترك الدعاء له فى الغيبة فان الدعاء

وَالْوَعْظُ وَالرِّفْقُ قُورِدَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ» وَمِنْ حَرَامِ كَالشَّمَاتَةِ وَالْأَعْرَاضِ
وَالْأَهَانَةِ وَالْغِيْبَةِ وَتَرْكُ صَلََةِ الرَّحْمِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ، وَالنَّصِيْحَةُ وَهِيَ أَرَادَةُ بَقَاءِ
النَّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ عُرِفَ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَوْ قَيْدِ بَشْرَطِهِ، وَضِدُّهَا
الْحَسَدُ وَهُوَ أَرَادَةُ زَوَالِهَا عَنْهُ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ فَغَيْرُهُ وَإِنْ
أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغَبْطَةٌ وَمَنَافَسَةٌ، وَالْحَسَدُ حَرَامٌ

يستجاب في غيبة المؤمن ويكون للداعي مثله (والوعظ) أى النصيحة وترك الفضيحة ،
فقد ورد ، إلا أن الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله؟ قال الله ولستأبى به ولرسوله ولأئمة
المؤمنين وعامتهم ، (والرفق) أى بالنية الصحيحة (فورد أن الله يحب الرفق) أى
اللطيف وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه (ومن حرام كالشّماتة) وهى الفرح بيلية
العدو (والأعراض) عند المواجهة بترك السلام والكلام (والأهانة) بترك
القيام والتوسيع فى المقام (والغيبة) أى ذكر ما يكرهه فى الغيبة (وترك صلة الرحم)
أن كان من ذوى القرابة (وقضاء الحق) أى وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام
وتشمت العاطس وعبادة المريض وامثالها (والنصيحة) أى وتركها (وهى أرادة
بقاء النعمة على المسلم بما) أى من شئ (له) أى للمسلم (فيه) أى فى ذلك الشئ
(صلاح) دنيوى أو آخروى (عرف) كونه صلاحا (بغلبة الظن أو قيد بشرطه)
أى أو قيد البقاء بشرط الصلاح بأن يقول : أن كان له فيها صلاح فابقها (وضدها)
أى النصيحة (الحسد وهو أرادة زوالها) أى النعمة (عنه) أى عن المسلم (مِمَّا لَهُ فِيهِ
صَلَاحٌ ، فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ) وقد أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ مطلقاً من غير أن يباشر سبباً لاجل
زوالها (فغيرة) وهى مذمومة (وإن أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغَبْطَةٌ وَمَنَافَسَةٌ)
وهى خصلة محمودة ، ومنه قوله تعالى : (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وحديث
الصحيحين عن ابن عمر ، لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه
الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على ملكته فى الحق ، (والحسد) أى المذموم
(حرام) لقوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وعن الفضيل
المؤمن يغبط والمنافق يحسد . ولقوله عليه السلام ، الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب ، أبوداود ومن حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس . وفى الصحيحين

فَأَفَاتُهُ كَرَاهَةٌ نِعْمَتُهُ تَعَالَى وَقَضَائِهِ وَرَاحَةُ الْمُسْلِمِ وَفَعْلُ الْمَعَاصِي كَالْتِمَلُّقِ وَالْغِيْبَةِ
وَالشَّمَاتَةِ فَوْرَدَ (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدًا إِذَا حَسَدَ)

ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا كونوا عباد الله اخوانا، وللبهيقي
في الشعب : ناد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر ، (فَا فَاتُهُ) ستة
(كَرَاهَةٌ نِعْمَتُهُ تَعَالَى) فللطبراني من حديث معاذ : استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان
لاهل النعم حسادا فاحذروهم (وقضائه) فمن زكريا عليه السلام قال تعالى : (الحاسد
عدو لنعمتي ، ساخط لقضائي ، غير راض بقسمي التي قسمت بين عبادي . وقد يؤخذ
هذا المعنى من قوله تعالى : (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
 مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واستلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما)
وقال تعالى : (لكل أجل كتاب) وكل شيء عنده بمقدار (وقد شكى نبي من الانبياء
من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه : فر من قدامها حتى تنقضي ايامها .
(وراحة المسلم) أي وكرامتها وهو من خصال المنافقين كما قال الله تعالى في حقهم
(ان تمسبكم حسنة تسؤم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال معاوية . كل الناس
أقدر على رضا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل :

كل العداوة قد ترجى اماتها . إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن هنا قال الله تعالى : (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور)
وقال اعرابي : مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، انه يرى النعمة عليك نقمة
عليه ، وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك . فان كان الذي أعطاه الله اياه لكرامته
عليه فلم تحسد من اكرمه الله ، وان كان غير ذلك فلم تحسد من هديره الى النار .
(وفعل المعاصي) بالرفع أي من آفاته (كالتملق) في الحضرة ، وانما يتملق المحسود
على المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة ، اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من
صفات المنافقين ، وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا في طلب العلم (والغيبة) أي
غيبة المحسود في الغيبة (والشماتة) وهي الفرح بيلة المحسود فلانتمذي من حديث
واتلة بن الاسقع : لا تظهر الشماتة لآخيك فيعاقبه الله ويبتليك ، وفي رواية ابن أبي الدنيا
: فبرحه الله ، (فورد) في التنزيل (ومن شر حاسدا اذا حسد) أي اذا اظهر الحسد

وَالْتَعَبُ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ بَلَا تَفْعُ بَلْ يَنْفَعُ الْحَسُودَ فِي الدُّنْيَا بِمُضَرَّةِ الْعَدُوِّ
وَفِي الْآخِرَةِ بِطَلَبِ الْمَكَاافَةِ وَعَمَى الْقَلْبِ وَالْخُذْلَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقِيهِ الْأَثَرُ
إِلَّا فِي نِعْمَةِ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ الْمُسْتَعِينِ بِهَا عَلَى الْفِسْقِ وَالْمُبْتَدِعِ وَهُوَ يُكْرَهُ مِنْ
حَيْثُ آتَاهُ دُونَ النِّعْمَةِ بِخِلَافِ الْغِيَرَةِ فَوَرَدَ أَتَّعِبُونَ مِنْ غِيَرَةٍ سَعِدَ فَوَ اللَّهِ إِنَّ
سَعْدَ الْغُيُورِ وَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنَّا وَالْغِبْطَةُ فَوَرَدَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ
«هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ فَيَمَنْ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَالُ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ»

والأفلا يتخلو الجسد من الحسد ، وعن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال : فمة فانه
لا يضرك ما لم تبده (والتعب في الدنيا) فان الحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذي
نعمه (والعقاب في الآخرة بلا تففع) أي للحاسد (بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة
العدو) وهو الحاسد (وفي الآخرة بطلب المكافاة) أي المجازاة على عمله الكاسد
(وعمى القلب) الناشئ من عدم الرضا بقضاء الرب (والخذلان) أي عدم النصرة
(في الدنيا والآخرة فقيه الأثر) أي المروى عن بعض السلف « أن الحاسد لا ينال من
المجالس إلا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق إلا
جزعا وغما ، ولا ينال عند النزع الأشدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة
ونكالا » (إلا في نعمة الكافر) مستثنى من قوله الحسد حرام (والفاسق المستعين
بها على الفسق) والظالم المتقوى بها على الظلم (والمبتدع) الذي يشتد بها على البدعة
(وهو يكره من حيث آتاه) أي آتاه ذكر من العار والفسق والظلم والبدعة (دون
النعمه) أي أصلها (بخلاف الغيرة) فانها غير حرام (فوردت تعجبون من غيرة
سعد) وهو ابن أبي وقاص (فوالله ان سعدا لقيور وأنا أغير منه والله أغير منا)
وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه (والغبطة) أي وبخلاف الغبطة فانها ليست
بحرام (فورد) أي في التنزيل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي ليرغب الراغبون
ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية ، وورد في الحديث (هما في الأجر
سواء فيمن قال لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله) أي من الخيرات والمبرات ،
فلا بن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح « مثل هذه الأمة مثل اربعة رجال ، رجل آتاه

فَهِيَ تَتَّبِعُ مَا غَبِطَ فِيهِ حَرَمَةٌ وَابَاحَةٌ وَوَجُوبٌ وَنَدْبٌ وَالسَّبَبُ خَبَثُ النَّفْسِ وَهُوَ دَاءٌ مَزْمِنٌ
لأنه جَبَلِيٌّ وَالرَّغْبَةُ فِي نِعْمَةِ الْغَيْرِ كَالرِّيَاسَةِ وَخَوْفُ فَوَاتِ الْمَقَاصِدِ كَالضَّرَةِ وَالْعَدَاوَةُ
وَالْتَعَزُّزُ بِكَرَاهَةٍ تَرْفَعُ الْغَيْرَ عَلَيْهِ وَالتَّكْبَرُ وَالتَّعَجُّبُ بِرَجْحَانٍ مِنْ سِوَاهُ

الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب
العلم لو ازالى مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء ، ورجل آتاه الله
مالاً فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان
لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء (فهى) أى الغبطة (تتبع ما غبط فيه)
بصيغة المجهول (حرمة) كالمعاصي (واباحة) كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر
النعم الظاهرة ، لكن الغبطة في المباحات تناقض علو الحالات والمقامات كالزهد والرضا
والتوكل والقناعة والتسليم ، وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد
الشريعة (ووجوباً) كالإيمان والصلاة والزكاة وسائر الاعمال (وندباً) كاتفاق
الاموال في تحسين الاحوال

(هو السبب) أى للحسد سبعة (خبث النفس وهوداء مزمن) أى لازم (لانه
جَبَلِيٌّ) لا علاج له : فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه
فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله تعالى عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية
جلية ولا شيء مما ذكر من اسباب الحسد ، بل انما هو لخبث في نفسه ورزالة في طبعه
لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه (والرغبة في نعمة الغير كالرياسة) في مقام الجاه
والسياسة فانه يحب ان يكون فريداً دهره ووحيداً عصره (وخوف فوات المقاصد كما في
الضرة) على توهم المضرة . ومن هذا القيل الاخوان عند الأب ، والتلاميذ عند
العلماء ، والندماء عند الأمراء ، بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد ، وحسد
العابد للعابد دون العالم وقس على هذا (والعداوة) الكامنة في القلب (والتعزز
بكراهة ترفع الغير عليه) في المنازل والمحافل فيما بين أهل الفضائل ، ومنه قوله تعالى
(اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) (والتكبر) وهو من ارده الرذائل (والتعجب
برجحان من سواه) أى نسيان حساباً ومنه قوله تعالى : (ولئن اطعمتم بشراً مثلكم انكم
إذا الخاسرون) تعجبوا من ان يكون الرسول بشراً وجوزوا ان يكون الا له حجراً ،
ومنه ايضا قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

فَمَنْ تَمَّ كَثْرَ الْحَسَدِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ لَكَثْرَةٍ تَحَقُّقُهَا دُونَ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ فَوَرَدَ
 (وَنَزَعْنَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وَعِلَاجُ كُلِّ ضِدِّهِ وَذِكْرُهُ
 الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ ، وَوُجُوبُ مَوَالَاتِ الْمُؤْمِنِ وَرِعَايَةُ حُقُوقِهِ
 وَعَظَمَ قَدْرَهُ وَالْفَوَائِدُ كَالْتِعَاوُنِ وَبِرِّ كَةِ الْجَمَاعَةِ .

وقوله : (أنزل عليه الذكر من بيننا) وقوله : (أو عجبت من آن جاءكم من ربكم
 على رجل منك لينذرهم) (فمن تم كثر الحسد بين الأقارب) وقل بين الجانب (لكثرة
 تحققها) أي المساواة في ذوى القربات (دون علماء الآخرة) فانه لا يكثرون فيهم بل
 لا يوجد عندهم ، اذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه ، وغرضهم
 المنزلة عنده وليس فيه عمانية ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة (فورد)
 في التنزيل (ونزعنا) أي في الدنيا والآخرة (ما في صدورهم من غل) أي حقد
 وحسد (إخوانا على سرر متقابلين . وعلاج كل) أي كل واحد من اسباب الحسد
 (ضده) فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه ، وعلاج الرغبة التنفير ، وعلاج الخوف
 الامن لعدم خلاف المقدور ، وعلاج العداوة المحبة ، والتعزز بالتدلل ، والتكبر التواضع
 والتعجب الاطمئنان بالتفكر في قدرته وقضائه وارادته في خلقته (وذكره الآفات
 المذكورة) أي من جملة علاج الحسد (وما ورد فيه) أي وذكره ما ورد في ذم الحسد
 (ووجوب) أي وذكره وجوب (موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره ،
 والفوائد) أي وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد (كالتعاون) على
 البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى (وبركة الجماعة) لاسيما في الجمعة
 والجنائز والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام ، وقد قال تعالى :
 (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) وقال
 (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) وقال : (بش ما
 شروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) أي حسدا . والله در القائل من
 ذوى الفضائل :

لامات اعداؤك بل خلدوا . حتى يروا فيك الذي يحسد

لازلت محسودا على نعمة . قائما الكامل من يحسد

ونعم المقال من بعض أهل الحال : حسد حافيه وحقد جاسده

﴿الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول﴾

وحب الذم وبغض المدح﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ فى العُزْلَةِ فَوَائِدٌ وَهِيَ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَالْخَلْقُ شَاغِلُونَ

العزلة ضد الخلطة ، والخمول ضد الشهرة . فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطائفة . وقال أكثر التابعين باستحباب الخلطة تعاوناً على البر والتقوى ، وماله الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن عينة وأبو حنيفة وابن المبارك والشافعى وأحمد ابن حنبل وجماعة ، فمن الفضيل : كفى بالله مجار بالقرآن ونسأوب بالموت واعظا ، اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً . وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل : كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحداً واحداً حتى تركها كلها ، وكان يقول : لا يتبها للبرء أن يخبر بكل عذر له . وقال الفضيل : انى لأجد للرجل عندى يدا اذا لقينى أن لا يسلم علىّ واذا مرضت أن لا يعودنى ، وقال أبو سليمان الدارانى : بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت ياربى فقام ودخل داره فما جالس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزمانا بيوتهما بالعقيق فلم يكونا بأنيان المدينة للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، قال ما هى ؟ قال : ان لا ترانى ولا أراك . وقيل للفضيل : ان ابنك عليا يقول لوددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ، فبكى الفضيل فقال : ويح على أفلا أتمها فقال لأراهم ولا يرونى . وعن ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قصر بيتك لا ترى ولا ترى ۝

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به أرباب الخلوة ويستأنس به أصحاب الجلوة ﴿فى العزلة فوائد﴾ تسعة ﴿وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون﴾ بل مانعون لاهل الإرادة وفق العادة ، فانهم كما قال تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون﴾ فمن حاتم الأصم : طلبت منى هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدهم منها واحدة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْزِلُ فِي جَبَلٍ حَرَاءٍ وَاجْتَمَعَ مُتَعَذِّرُ الْإِلْمَنِ اسْتَفْرَقَ بَاطِنُهُ
بِهِ تَعَالَى فَغَابَ عَنْهُمْ قَلْبًا وَشَهِدَهُمْ لِسَانًا، وَالْخَلَّاصُ عَنِ الْمَعَاصِي كَالرِّيَاءِ وَالْغِيَةِ

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت أعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت
ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا، فقلت لا تمنعوني عنها اذا فنعوني فقلت لا ندعوني الى
مالا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتمهم واشتغلت بمخاصمة
نفسى فانها أولى منهم بها ((وكان عليه السلام يعتزل في جبل حراء)) أى في أول مرة
كما في الصحيحين من حديث عائشة « كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أى يتعبد الليالي المتتابعة
حتى قوى فيه أنوار النبوة وطهر منه أسرار الرسالة » ((والجمع)) أى بين الفراغ والخلطة
((متعذر)) فتعين الخلوة ((إلا لمن استغرق بباطنه به تعالى)) بحيث لا تمنعه الوحدة
عن الكثرة ولا تحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكامن البائن والقريب الغريب والعرشى الفرشى ((فغاب عنهم قلبا)) أى جانا ((وشهدهم
لسانا)) أى حضرهم بيانا وبرهانا، وهذا انما يتصور لمن أراد به سبحانه شأنًا، فقد نقل عن
الجنيد أنه قال: أنا أكرم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكرمهم. وقال بعضهم:
لا يتمكن أحدهم من الخلوة إلا بالتسك بكتاب الله، والمتمسكون بكتابه استراحوا
من الدنيا، وبذكر الله عاشوا وبذكر الله ماتوا وبذكر الله لقوا الله. وقيل لبعضهم: ما أصبرك
على العزلة؟ فقال: ما أنا وحدي، أنا جليس الله تعالى اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه،
واذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل: الاستيناس بالناس من علامة الافلاس. وقيل: بينما
أويس القرنى جالس اذا تاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال جئت لآنس
بك، فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه في آنس بغيره. وقال بعض الحكماء:
انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى سبب انسه، وقال الفضيل:
اذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلو بربى، واذا أصبحت استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يحىء من يشغلنى عن ربى، وعن بعضهم انى أصبح وأمسى بين نعمة وخطيئة:
فاشغل نفسى بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة ((والخلاص عن المعاصى))
التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها فى الخلوة ((كالرياء)) والسمعة اذ كل
من خالطهم داراهم ومن داراهم رآهم. واقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله روية الناس بسائط
الرياء ((والغيبة)) والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من

وَالْبِدْعِ مِثْلَ كَيْفِ أَصْبَحْتَ وَعَافَاكَ اللَّهُ وَمُشَاهَدَتَهَا

الأخلاق الرديئة والأحوال الدنية (والبدع) في الأقوال المتعارفة (مثل كيف أصبحت) فإنه ان لم يكن على قصد الإعانة فهو نفاق وليس من أخلاق أهل الديانة ؛ فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه ، وكان سؤالهم عن أحوال الدين لأحوال الدنيا . قال حاتم الأصم لحامد اللفاف : كيف أنت في نفسك ؟ قال سالم مفاي ، فكره حاتم جوابه ؛ فقال يا أبا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة - أي على بساط النشاط وحال الانبساط - وقد ورد « اللهم لا تعيش الآخرة » وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت قال : أصبحت لأملك نفع ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحترز ، وأصبحت مرتتها بعملها والخير كله بيد غيري . فلا فقير أفقر مني ، وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا ، وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحت بخير ان نجوت من النار . وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول : أصبحت أشكوذا الى ذا ، واذمذا الى ذا ، وافر من ذا الى ذا ، وقيل لا ويس القرني : كيف أصبحت . قال كيف يصبح رجل اذا أمسى لا يدري انه يصبح واذا أصبح لا يدري انه يمسي . وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت . قال : أصبحت في عمر ينقص وذنب يزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لا ارضى حياتي لماتني ولا نفسي لربي . وقيل لحكيم كيف أصبحت . قال : أصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة . قلت وعن علي كل نفس خطوة الى اجلك . وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت : قال : أصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل ، فقيل له ألسنت في عافية كل الايام : فقال العافية يوم لا اعصى الله فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك ؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ، ويدخل قبرا موحشا بلا مونس ؛ وينطلق الى ملك عدل بلا حجة . وقيل لبعضهم ما حالك ؟ قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب (عافاك الله) أي اذا كان قبل السلام ولم يكن في الحمام . وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلبت والله القلوب ، فاما الآن كيف أصبحت عافاك الله ، كيف انت اصلحك الله ، فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة ، فان شاءوا غضبوا علينا وان شاءوا الا . وفي الاحياء . وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف أصبحت بدعة (ومشاهدتها)

فَهُوَ يُورِثُ الْاِسْتِحْقَارَ بِهَا

أى ورؤية المعاصى (فهو يورث الاستحقار بها) بل رؤية أرباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما تتعناه ازواجاً منهم) وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قل ما يتنبه له العقل . فضلاً عن الغافلين ، فلا يجالس الانسان فاسقاً او مبتدعاً مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد ، اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له في الشرع ومهما طالبت مشاهدته للكبار من غيره استصغر الصغائر من نفسه ، ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قدر له من النعماء فكذا النظر الى المطيعين والمعصاة فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في عبادة المولى والتزده عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ، ومادام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماماً للاقتداء ، ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصى استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ، وما يبدل على مقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا رأوا مسلماً أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره ، وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنقر عنه طبايعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة يفضي تركها الى الكفر عند قوم ، وحز الرقة عند قوم ، وترك الصوم رمضان كله لا يقتضيه . وكذا لو لبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ، والغية اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها ، وقيل لبعضهم : ما حلك على العزلة ؟ قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به . فتفطن لهذا القول الاسم وفر من الناس فرارك من الأسد ، لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك في الدنيا وغفلتك عن العقبي ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة ، فان وجدت جليسا

وَالْجَلِيسُ السُّوءُ لِتَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فَرَدَّ مَثْلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثْلُ الْقَيْنِ، وَالْفِتْنُ
فَرَدَّ. إِلْزَمَ يَتَكَ وَأَمْلَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ
الْخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ حِينَ قِيلَ مَاذَا تَأْمُرُنِي فِي زَمَانِ الْفِتَنِ

يذكر الله صورته وانيسا يفكر ك الله سيرته فالزمه واغتنمه فان الجليس الصالح
خير من الوحدة ، وان الوحدة خير من الجليس السوء . لكن الجليس الصالح عزيز
الشهود في محن الوجود كما قال عليه السلام « اخبر تقيه والناس كابل مائة لا تجد فيها
راحلة » وكما قيل :

أتمنى على الزمان محالا • ان ترى مقلتاى طلعة حر

فان الحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه بل تستغرقه خدمة مولا وهذا
معنى قوله (والجليس السوء) بفتح السين وضمها أى ومشاهدته أو والخلاص عنه
(لتأثير الصحبة) أى خيرا أو شرا بحسب الرتبة (فرود مثل الجليس السوء مثل
القين) أى الخداد تمامه « ان لم يحرق ثوبك أصابك ريحه ، ومثل الجليس الصالح مثل
القطار ان لم يعطك من عطره أصابك من ريحه » وفي البخارى من حديث أبى موسى « مثل
الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الخداد لا يعدمك من صاحب
المسك اما تشتريه أو تجدر به وكبير الخداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة »
(والفتن) أى والخلاص من محن أنواع الفتن وقل ما يخلو العباد في البلاد عن تعصبات
وخصومات (فرود) أى عن عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن
ووصفها وقال : « إذا رأيت الناس مرجحتهم وهم يخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك
بين أصابعه قلت فما تأمرني فقال (الزم بيتك) أى لازم سكوتك (وأملك عليك
لسانك) أى التزم سكوتك (وخذ ما تعرف) واعمل به (ودع ما تنكر) أى اتركه
(وعليك بأمر الخاصة) أى والزم خاصة نفسك (ودع عنك أمر العامة) أى من
لم يتعلق بك (حين قيل) ظرف لورود (ماذا تأمرني في زمان الفتن) والحديث رواه
أبو داود وهو النسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن . وفي البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى :
« هو يشك ان يكون غير مال المسلم غنيا يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
الفتن » وللخطابي من حديث ابن مسعود . « لليهقى من حديث أبى هريرة : « ومبأى
على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاق الى

وَإِذَا تَهُم بِنَحْوِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ

شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ ، قيل له ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج ؟ قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على بد أبويه ، فان لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده ، فان لم يكن فعلى يدي قرابته . قالوا وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » وفي الأحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها ، إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ، ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولا جله قال سفيان الثوري : والله لقد حلت العزلة . اقول : وفي زماننا وجبت . وعن سفيان بن عيينة : لقيت ابراهيم بن ادم في بلاد الشام فقلت له : يا ابراهيم تركت خراسان . قال : ما هنأت بالعيش الا ههنا فر بديني من شاهق الى شاهق ، فمن رأني يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ، فقال له أين تريد ؟ فقال العراق ، فاذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعهم ، فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فاني ، فقال ابن عمر : اني محدثك حديثا « ان جبريل اتى النبي عليه السلام بخبره بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة على الدنيا ، وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم ، فاني أن يرجع ، فاعتقه ابن عمرو بكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو اسير » رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه واسنادهما حسن . وكان في الصحابة اكثر من عشرة آلاف فما خف ايام الفتنة اكثر من أربعين رجلا ، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقبل له لزمت القصور وترك مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجد لم لاهية ، واسواقكم لا غيرة والفاحشة في لجأكم عالية ، وفيها هناك عما اتم فيه عافية (وإيذائهم) أي والخلاص عن إيذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة (بنحو الغيبة والنميمة) وأخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الذميمة ، ومرة بالاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها : وقد قيل : معاشره الاشرار تورث الظن بالاختيار . وقيل لعبد الله بن الزبير : الا تأتي المدينة ؟ قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقيل : كان الناس دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ، وعن أبي الدرداء كان الناس وردا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورد فيه : وقال رجل لابراهيم بن ادم :

وَطَمَعَهُمْ فِرْعَايَةَ الْحُقُوقِ شَدِيدَةً وَفِيهَا ضِيَاعُ الْأَوْقَاتِ وَقَوَاتُ الْمُهْمَاتِ
وَالطَّمَعُ عَنْهُمْ فَالْنَظَرُ إِلَى زَهْرَاتِ الدُّنْيَا يُحَرِّكُ الْحِرْصَ

أوصني ، فقال : إياك والناس ، وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس
وليس كل الناس بالناس ؛ ذهب الناس وبقى النخاس والنسناس وما أراهم بالناس ، بل
غمسوا في ماء الناس . وقيل . الزم الدفاتر والمقابر . وقال الحسن : أردت الحج فسمع
ثابت البناني وكان أيضا من أولياء الله فقال للحسن بلغني أنك تريد الحج فاحببت أن
نصطحب ، فقال الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، أنى أخاف الله أن نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما تنماقت عليه . قال في الأحياء : وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة
وهي بقاء المتر على الدين والمروءة [والاخلاق والفقر وسائر العورات] ، ولقد قال الشاعر :

ولا عار أن زالت عن المرء نعمة ، ولكن عاراً أن يزول التجميل

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فإهم ما ركبوا ظهر بعير إلا ادبروه ،
ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه (وطمعهم) من إضافة المصدر
إلى الفاعل أي والخلاص من طمع الناس عنك فإن رضا الناس غاية لا تدرك (فرعاية
الحقوق شديدة) ومن أهون الحقوق وإيسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور
الولائم والأملات (وفيها) أي في رعاية الحقوق (ضياع الأوقات وقوات
المهمات) والتعرض للآفات ، ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستثقل فيها المعاذير ولا
يمكن إظهار تلك الأعذار فيقولون قام بحق فلان وتصرف في حقى ، ويصير ذلك سبب
عداوة . ومن عزم الناس ظلم بالحرمان رضوا عنه ظلم . وعن عمرو بن العاص كثرة
الأصدقاء كثرة الغرماء (والطمع عنهم) وفي نسخة فيهم أي والخلاص من أن يطمع
هو فيهم (فالنظر إلى زهرات الدنيا) أي أنواع زينتها واصناف بهجتها (يحرك الحرص)
وأنه مع بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى إلا الخيبة في كثرة الاطلاع فيتأذى بذلك ، ومهما
امتز لم يشاهد : وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ، ولذا قال تعالى : (ولا تمدن
عينيك إلى مامتة نابه أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير مما يبقی
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال
عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا
إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » وحكى أن المزني خرج من باب

وَلَقَاءِ الثَّقِيلِ وَالْآخِيقِ فَمَوْ أَشَدَّ الْبَلَايَا، وَأَفَاتٌ وَهِيَ قَوَاتُ التَّعَلُّمِ فَهُوَ مُقَدِّمٌ
لِإِفْتِقَارِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى إِلَيْهِ وَالتَّعْلِيمِ فَهُوَ أَوْلَى أَيْضًا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ وَرَاعَى
حَقَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْتِرَازِ عَنِ الذَّمِّ كَالرِّيَاءِ وَحُبِّ الْجَاهِ

جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكيم في موكب فبهره مارأى من حسن حاله
وهيئته فتلا قوله تعالى : (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون) ثم قال اصبر وارضى
يعنى كما قيل :

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللأعداء مال

فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال

(ولقاء الثقل واللاحق) أى والخلاص عن ملاقة الثقل واللاحق ومشاهدة
اخلاقهم ومقاساة احوالهم (فهو أشد البلاء) أى المعنوية ، فان رؤية الثقل هو العنى
الصغر . قيل للاعمش : مم عمشت عينك ؟ قال : من النظر الى الثقل ، ويحكى انه دخل
عليه أبو حنيفة فقال له : فى الخبر وان من سلب الله كريمته عوضه عنهما ما هو خير منهما
فما الذى عوضك . فقال فى معرض المطاوعة : عوضنى الله عنهما انه كفى فى رؤية الثقل
وانت منهم . وقيل : النظر الى الاحق حتى باطن (وآفات) أى فى العزلة (وهى)
عشرة (قوات التعلم فهو مقدم) على العزلة (لافتقار العباد) العملية (والتقوى)
العملية (اليه) ولذا قال النخعي وغيره : تفقه ثم اعتزل . وفى لطائف العارف الجامى
قدس الله سره السامى : ان العزلة بغير عين العلم زلة ، كما انها بغير زاي الزهد علة (والتعليم)
أى وفوائده (فهو أولى) من العزلة (أيضا) أى كالتعلم (ان كان) التعليم (فى علم
الآخرة) أى علم ينفعه فى العقبى (وراعى حقه تعالى) بالاخلاص وابتغاء وجهه
الاعلى ، وكذا (بالاحتراز عن الذم كالرياء وحب الجاه) من الاستكثار بالاصحاب
والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الاحوال ، لحكم العالم فى
هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه ، فانه لا يرى مستفيدا يطالب فائدة لبقينه ، بل
يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبيينه ، ولا يطلبه غالبا الا للترصل الى التقدم
على الامثال ، وتولى الولايات ، واجتلاب الاموال ، واستشعار الاذلال على الجهال ،
فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فالاعتزال عنه وكتبان العلم منه

فَرَدَّ إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ وَسَكَتَ الْعَالَمُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ «وَالْأَلْعَزَلَةُ كَمَا فِي
زَمَانَنَا لِنَهَابِ عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ وَتَعَذُّرِ رِعَايَةِ الْحُقُوقِ

من أكبر الكبائر ﴿ فورد اذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله ﴾ لم اجده اصلا ،
وقد قال تعالى : (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل : ما فسدت الرعية الا بفساد
الأمراء ، وما فسدت الأمراء الا بفساد العلماء ، ومن هنا قيل : فساد العالم فساد العالم .
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء ﴿ والا ﴾ أى وان لم يكن
تعاليمه وتعلمه في علم الآخرة ﴿ فالعزلة ﴾ متعينة بل واجبة ﴿ كما في زماننا لنهَابِ عِلْمِ
الْآخِرَةِ ﴾ من التفسير والحديث والفقه المتعاق بالعبادة في أكثر البلدان ﴿ والعمل
عليه ﴾ أى ولنهَابِ العمل على طبق العلم في عامة أهل الزمان ، ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فإني أن يكون الله ، وان الفقهاء يتعلمون لغير الله
ثم يرجعون الى الله . وانظر الى أواخر أعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم ، انهم ماتوا
وهم هلكى على طلب الدنيا ومتسكبين عليها أوراغبين عنها وزاهدين فيها ، وليس
الخبر كالمعاينة . وأما العلم الذى أشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة
سير الأنبياء والصحابة ، فان فيها التخويف والتحذير ، فان لم يؤثر في الحال قد يؤثر في
المال . فاما الكلام وجدل الخصام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل
الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله ، بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر
عمره ونهاية أمره ، ومن هنا قال بشر الخافى : حديثنا باب من أبواب الدنيا ﴿ وتعذر
رعاية الحقوق ﴾ أى ولتعذرها أو تسرها من حقوق الاساتذة والتلامذة ، فعن
أبي سليمان الخطابي : دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ،
اخوان العلانية اعداء السر ، اذ القوك تملقوك ، واذا غبت منهم سلقوك ، من اتاك منهم
كان عليك رقبيا ، واذا خرج كان عليك خطيبا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا
تغتر باجتماعهم عليك ، فما غرضهم العلم وحسن الحال في المال ، بل الجاه وكثرة المال ،
وان يتخذوك سلما الى أوطارهم ، وحمارا في حاجاتهم وأوزارهم . ان قصرت في غرض
من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ، ثم يعدون ترددهم اليك دلا لا عليك ويرونه حقا واجبا
لديك ، ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعادي عدوهم ،

وَمَوْجِ الْفِتَنِ، وَالْإِتِّفَاعِ مِنَ الْغَيْرِ بِالْكَسْبِ لِلْكَفَايَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ أَوَّلَى
مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ، وَالتَّادِبِ بِالْأَرْتِيَاظِ فِي الْبِدَايَةِ وَالتَّادِيْبِ بِالرِّيَاضَةِ وَهُوَ كَالْتَّعْلِيمِ

وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم ، وتنقض لهم سفيها وقد كنت تقيها ، وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ﴿وموج الفتن﴾ أى والغلبة الفتن وما يترتب عليه من
أنواع المحن ما ظهر منها وما بطن ، فانك ترى المدرس فى رقب دائم ، وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد لديه ، فكأنه يهدى تحفة اليه ؛ فيرى حقه واجبا عليه ، فلا يزال يتردد إلى
أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض
وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين . ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ،
ويمتنه ويستبدله الى ان يسلم اليه ما بعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى فى مقاساة
القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقتته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التمييز والمعرفة فى
الفنون . وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاسود والآساد
فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مظلالم ما يأخذه ويفرقه فى العقبى ﴿والإتفاع﴾ أى
وفواته ﴿من الغير﴾ وكذا نفع الغير ﴿بالكسب للكفاية﴾ أى لكفاية نفسه عن ابناء
جنسه ﴿او الصدقة﴾ على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة ﴿فهو﴾ أى
الكسب وفى نسخة فى أى الصدقة ﴿أولى من عمل الظاهر﴾ كالصلاة والصوم وتلاوة
القرآن ، وتوضيحه : ان حالك لا يخلو من أن تكون محتاجا الى القوت أولا ، فان كنت
محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب أولى بل فرض لا ينفى ، وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو
اما ان تكون فى خلوتك مشغولا بالأعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة
لتعدى المنفعة ، واما ان تكون مشغولا بالأعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله
والتفكير فى صفات الله والتذكر لآحوال الآخرة فى عقباه والشوق الى لقاء ربه والذوق
الى مقام رضاه فالعزلة أولى من الكسب لبقاء المنفعة ودوامها وتامها فى الدنيا
والآخرة ﴿والتادب﴾ أى فوات كسب الادب وتحصيله ﴿بالارتياض﴾ أى المجاهدة
وقبول رياضة النفس والمعاودة ﴿فى البداية والتاديب﴾ أى وفوات تعليم الادب
﴿بالرياضة﴾ فى النهاية ﴿وهو كالتعليم﴾ فى مقام الهداية وفى الاحياء . ويعنى بالتادب
الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل اذام كسرا للنفس وقهرا للشهوات ،
وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة ، وهو افضل من العزلة فى حق من لم تهذب

وَالْمُؤَانَسَةُ فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِقَطْعِ الْمَلَالَةِ الْمُنْفِرَةِ لِلْعِبَادَةِ وَثَوَابِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَنَحْوِهَا ، وَحَقُّوقِهِمْ كَالْعِبَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ

بعد أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته، وأما التأديب فتعني به أن يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم ، فإنه لا يقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم . وللترمذى . وابن ماجه من حديث ابن عمر «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (والمؤانسة) أى وفوات الاستيناس والابتناس بالناس فى المصاحبة والمجالسة، كالانس بملازمة أرباب التقوى من الأولياء وبمواظبة أصحاب الفتوى من العلماء، وإنما سمي الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لاسيما والمؤمنون آخرة وبينهم زيادة ألفة لقوله تعالى : (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ) ولقوله عليه السلام : (المؤمن يالف ولاخير فيمن يالف ولا يوفى) رواه أحمد عن سهل بن سعد (فهى) أى المؤانسة (مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة) أى كما هو فى العادة ، والرفق فى العبادة من حزم أهل الإرادة، فورد أن الله لا يعمل حتى تملاوه وقد تقدم : ومن يشاد هذا الدين يغلبه، فإن الدين متين ولا يغال فيه برفق هاب المستبصرين ، ولذا قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلدا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس . قلت : وكذا لا يصلح الناس الا الناس ، ومن هنا قيل : ما زينة الناس الا الناس ، فلا يستغنى المؤمن اذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته ، فيجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته ، فقد قال عليه السلام والمرء على دين خليله فلينظر أحداكم من يخالط . وقد تقدم، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين ، فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون أفضل من الخلوة فى تحسين المقامات، فقد ورد «نوم العالم عبادة» ومنه «كلمينى يا حميرا» (و ثواب إقامة الجمعة والجماعة) أى وفوات لقائهما وإدامتهما (ونحوهما) من حضور الجنائز وصلاة العيدين ومجالس العلم ووقوف عرفة وأمثالها (وحقوقهم) أى وفواتها (كالعبادة) للمرضى (والتشييع) للجنائز ومنها اجابة الدعوة فى نحو الوليمة ، وقد حكى عن جماعة من

وَالْتَوَاضِعُ فَقَدْ يَحْمِلُ التَّكْبَرُ عَلَيْهَا يُحِبُّ زِيَارَتَهُمْ تَبَرُّكًا

الساف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعبادة المرضى وحضور الجنائز ، بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الابصار وانحاز الى قتل الجبال ميلا الى القرار . تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة ﴿ والتواضع ﴾ أى وفواته من آداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة ﴿ فقد يحمل التكبر عليها ﴾ أى على العزلة ﴿ بحب زيارتهم تبركا ﴾ أى على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون التكبر سببا للعزلة . وعلامته انه يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ، ولو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه ، ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلية أودينه ، وقد كان على يحمل النمر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ه ما جر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة . وحذيفة . وأبي . وابن مسعود يحملون حزمة الخطب وجراب الدقيق وغيره على كتفهم . وكان أبو هريرة يقول وهو وال على المدينة والخطب على رأسه : طرقت لأميركم ، وكان عليه السلام يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه ادعني احمله فيقول « صاحب المناع احق بحمله » رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في حمله سراويله التي اشتراها . ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولغذاب الآخرة أشد وأبقى . فلا تستحب العزلة الا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعلما وعبادة واشتغالا بامرء مجردا وزهادة بحيث لو خالط الناس لصاعت أوقاته أو كثرت آفاته أو تشوشت عليه عباداته ، فنشغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ، وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الحق واسخط عليه الخلق ، بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل :

من راقب الناس مات غما ه وفاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الاتبع سقطات كلامك وتعتك في السؤال فتبسم وقال للقاتل : هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمان فطمعت ، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالفهم ورازقهم ومحبيهم ومبغضهم لم يسلم منهم ، وقال موسى : يا رب احبس عني السنة الناس ه

والتَّجَارِبُ فَتَعَاقُ بِهَا مَصَالِحُ الدَّارَيْنِ لِأَسِيْمَا الرِّيَاضَةِ وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ
الْقَلْبِ وَحَقُّهَا نِيَّةُ الْإِحْتِرَازِ عَنِ شَرِّ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ

فقال : يا موسى هذا شيء لم اصنعه لنفسي فكيف افعله لك . واوحى الله سبحانه الى عزيز :
ان لم تطب نفسا بان اجعل لك علكا في افواه الماضين لم اكتبك عندى من المتواضعين .
وفي الحديث النبوى : اذ كروا الله حتى يقولوا مجنون ، وقد قالوا فى حق عقل الخلق مجنون
وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور (والتجارب) أى وفواته فانها استفاد
من الخلطة ولا ترجد فى العزلة ، فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب
وسائر الأخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذ حرك بآدنى
الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبر : اخبر تقيه ، وقولهم : حرك ترى ما يجرى (فتعلق
بها) أى بالتجارب (مصالح الدارين) من المناقب والمراتب (لاسيما الرياضة) فى
ترك المناصب وعند حصول المصائب ، فمن هنا كانوا يجربون أنفسهم ، فمنهم من كان يحمل
قربة ماء او نحوها بين الناس على ظهره أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق لتجربة
نفسه إذا استشعر كبرا فى باطنه ، فان غوائل النفس ومكائدها قل من يتفطن بها ، فقد
حكى عن واحدانه قال : اعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت أصلحها فى الصف الأول ،
ولكنى تخلفت يوما بعذر فوجدت موضعى فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى
فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت الى الصف الأول فعلمت ان
جميع صلاتى كانت مشروبة بالرياء ، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة فى استخراج القبائح واظهارها ،
ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق . واذا عرفت هذا
فان تحققت الفوائد وانتفت الآفات فاختر العزلة ، والا فالخلطة ، وان تقابلا فخذ
بالأرجح فى المسألة (والأصل الاستفتاء من القلب) اذا كان مشحونا بذكر الرب ،
والأفضل هو الجمع بين الخلق والجلوة كما يشير اليه قول الشافعى : الانقباض عن الناس
مكسبة للعداوة . والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فى المحادثة ، فكن بين المنقبض
والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا . ويومى اليه قوله تعالى : (هو الذى
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكروا من رزقه واليه النشور) (وحقها)
أى العزلة (نية الاحتراز) أى الاحتراز (عن شر النفس) وما فيها من الوسواس
(والغير) أى غيرها من الجنة والناس ، فينبغى للمعتزل ان ينوى بعزلته كفى شر نفسه

والتقصير في رعاية الحقوق والتجرد للعبادة وتهذيب الأخلاق والسلوك في طريقه تعالى والحضور في نحو الجمعة والجماعة والعيد والحج ومجلس العلم ويجوز الترك عند معارضة منكر أخش منه والأحب حيثئذ أن يسكن موضعا يسقطها والسكون في رباط السالكين يفيد سلامة العزلة وبركة الجمعة والتعاون على البر والتأدب فليسان الحال أفصح وورد اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق الاستغراق بالعبادة

عن الإبرار ثم طلب السلامة من شر الأشرار (والتقصير في رعاية الحقوق) أي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الأنام (والتجرد للعبادة) أي ثم العزيمة بكنهه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة (وتهذيب الأخلاق) بأن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الأمل وانتظار الآجل (والسلوك في) طريقه تعالى (بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته ، وعدم السؤال عن أخبار الناس وأفعاله وأراجيفهم في أحوالهم ، والقناعة باليسير من المعيشة ، والصبر على ما يلقاه من أذى الجيران وغيرهم ، وعدم الاصغاء إلى ما يقال في حقه من مدح فيه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة . وينبغي أن يكون له أهل صالح أو جليس معتمد عليه لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة . ثم لا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما للناس منهمكون فيه مما يرافقه أو ينافيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل وتقريب الآجل (والحضور في نحو الجمعة) فانه فرض (والجماعة) فانه واجب أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة (والعيد) فانه واجب أو سنة من سنن الهدى وشعار أهل التقى (والحج) فانه طريق أهل السلوك (ومجلس العلم) فانه لا يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك (ويجوز الترك) أي ترك الحضور في تلك الأمور (عند معارضة منكر أخش منه) أي من ترك الحضور (والأحب حيثئذ أن يسكن موضعا) بعيدا من العمارات (يسقطها) أي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات (والسكون في رباط السالكين) أي خاتمة الصالحين (يفيد سلامة العزلة) عن آفات الخلطة (وبركة الجمعة) والجماعة (والتعاون على البر) والتفري (والتأدب) بآداب أهل الشرع والفتوى (فليسان الحال أفصح) من بيان القول (وورد) في التنزيل : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق) أي الموصل للعزلة (الاستغراق بالعبادة) ذكر أو فكر أو علما وعملا وصبرا وشكرا ،

فَالْأَسْتِينَاْسُ بِالنَّاسِ مِنَ الْإِفْلَاسِ ، وَقَطْعُ الطَّمَعِ وَذِكْرُ الْآفَاتِ وَإِثَارُ الْخُئُولِ
وَهِيَ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فُورِدَ « رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لَا بَرَهُ »

صحوا ومحووا وسكروا وفنا. وبقاء وقبضاً وبسطاً (فالأستيناس بالناس من الإفلاس) أى
من علامة الإفلاس عن مقام الایناس ، فإذا رأيت نفسك تتطلع الى سلامتهم وکلاهم
وملاقاتهم فى مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ . وفى الحديث « نعمتان مقبوتان
فيهما أكثر الناس : الصحة والفراغ » وقيل :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للبرء أى مفسدة

ومتى عانقت العبادة ولازمتها حق الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة
وامتنانست بكتاب الله وآياته واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الاغيار ، على
انه ليس فى الدار غيره ديار فى نظر الابرار ، وفى بعض الاخبار : ان موسى عليه السلام
كان إذا رجع من المناجات يستوحش من كلام الناس ويجعل اصبعيه فى اذنيه كيلا يسمع
كلامهم ولا يفهم مرامهم . فعليك بما قال بعضهم : اتخذ الله صاحباه ودع الناس بجانبنا
شاهدنا كنت فيه أو غائبنا قلب الناس كيف شئت ت يجدهم عقارباً . (وقطع الطمع) عن
الخلق بل عن الحق أيضاً بان يدعوك غير ما قسم لك فيهن عليك أمر الخلق والنظر اليهم
والطمع فيهم ، فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فرجوده وعدمه سواء عليك ،
وقبوله ورده مستولدك ، وهذا تذكرة من توحيد الافعال حيث قال تعالى خبرا عن ما لهم
من الاحوال : (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون
لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) (وذكر الآفات)
أى آفات الخلطة وفوائد العزلة (وإيثار الخمول) فانه الراحة وضده الشهرة ففيها
الآفة (وهى) أى صفة الخمول (فضيلة عظيمة) ومنقبة جسيمة وقد قيل فى تعريفه هو
استقاط النفس عن نظر الخلق (فورد رب أشعث) أى متفرق الشعر (أغبر) مغبر الوجه
(ذى طمرين) أى كسانين اسودين أو ازارين خلقين (لا يؤبه له) أى لا يعتبر له عند
أكثر الخلق (لو أقسم على الله) فى شئ نفياً أو اثباتاً (لا بره) أى لجعله الحق باراً فى قسمه
ذلك بان يحمله مطابقاً لما أراده هنالك . والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ
رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لا بره ، وللحالم رب أشعث أغبر ذى طمرين

وَلَوْ اتَّسَعَ الْجَاهُ بَلَا طَلَبَ فَعِيرٌ مَذْمُومٌ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأَئِمَّةِ إِلَّا أَنْ
فِيهِ فِتْنَةٌ لِلضُّعْفَاءِ فَوْرَدَ «حَسْبُ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُشِيرَ
النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ» وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ حُبُّ الْجَاهِ فَوْرَدَ (تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا)

ينبوعه عين الناس لو اقسم على الله لأبره، وقال صحيح الاسناد: ولا بن أبي الدنيا ومن طريق
الدبلي من حديث ابن مسعود «رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبره» أو قال
اللهم انى استلكت الجنة لاعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا «وفى الاحياء عن أبى هريرة
مرفوعا «ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على
الامراء لم يؤذن لهم، واذا خطبوا النساء لم ينسكحوا، واذا قالوا لم ينصت لهم، حوائج
أحدهم تجعل جل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم، وسكنت
عليه مخرجه وفي رواية «ان من أمتي من لو اتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه اياه ولو سأله درهما
لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاها اياه، الطبراق
فى الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح، وزاد فى الاحياء «ولو سأل الدنيا لم يعطه اياها
وما منعها اياه هو انه عليه بل لكرامته لديه، قال مخرجه وروى مرسلا (ولو اتسع الجاه بلا
طلب فقير مذموم كما للانبياء) والمرسلين (والخلفاء) الراشدين (والأئمة) المجتهدين
من العلماء والصلحاء المعتمدين (الا ان فيه) أى فى اتساع الجاه (فتنة للضعفاء) أى
ابتلاء ومحنة لغير الاقرباء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء
وذهلوا عما ورد من أن سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام، وكذا
ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد الفقراء المهاجرين بخمسمائة عام،
بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير أخف من العنى فى دار البقاء (فورد) من حديث أنس
عند النبي صلى الله عليه وسلم (حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله أن يشير الناس اليه بالأصابع
فى دينه) أى بالعلم والعمل أى مخافة عجزه وغروره (ودنياه) أى بالمال والجاه أى خشية
كبره وبطره، وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق (وانما المذموم حب الجاه)
أى لا وجوده وشهوده (فورد) فى التنزيل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض) أى لا يحبون اعتلاء بالجاه والمال، اذ لا يريدون استغلاء بغير الحق
(ولا فسادا) بحال الخلق بل يريدون صلاحا لاهل الحق، لكن كما قيل: آخر ما يخرج

وَأَصْلُهُ اتِّشَارُ الصِّيتِ وَحَقِيقَتُهُ تَمْلِكُ الْقُلُوبَ الْمَوْصِلُ إِلَى الْمَقَاصِدِ وَهُوَ
 أَشْهَى مِنَ الْمَالِ فَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ بِهِ أَيْسَرُ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ عَنْ نَحْوِ السَّرِقَةِ
 وَالْغَضَبِ وَنَامٍ دُونَ التَّعَبِ وَمُطَاعٌ بِالطَّوْعِ فَحَرَامٌ إِنْ كَانَ بَارِتْكَابٍ ذَنْبٍ
 كَالْكَذِبِ

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة وباب السياسة، والحاصل
 ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفى ارادة العلو المستازم لحب الجاه دون نفس
 الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حبله ((وأصله)) أى الجاه
 ((انتشار الصيت)) واشتهار السمعة ، فالخول محمود الا من شهره الله لنشر دينه
 من غير تكلف طلب الشهرة منه اقوة يقينه ((وحقيقته)) أى الجاه ((تملك القلوب))
 المطلوب منها تهذيبها وطاعتها ((الموصل الى المقاصد)) أى الدنيوية وقد تكون
 الدنيوية والآخرية ، قال ابن ادهم: ما صدق الله من أحب الشهرة، وقال أيوب السخيتاني
 ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت
 حلقة قام بخافة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام
 وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ، وعن معاذ بن جبل:
 « ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا
 حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة ، الطبراني والحاكم
 وصححه، وقال الفضيل : بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض ما يمين به على عبده الم أنعم
 عليك . الم استرك . الم اخمل ذكرك ، وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم اجعلنى عندك
 من ارفع خلقك ، واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك ، واجعلنى عند الناس من اوسط
 خلقك . وقال الثورى وجدت قلبى بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب خوف وعبادة
 ((وهو)) أى الجاه ((اشهى)) أى الذم ((من المال)) ولذا يهذل المال لتحصيل الجاه ولانه
 يحصل به المال ولو فى المال ((فتحصيل الغرض)) من حظ النفس واتباع الهوى ((به))
 أى بالجاه ((أيسر)) أى أهون من تحصيله بالمال ((معانه)) أى الجاه ((مأمون عن نحو
 السرقة والغضب)) بخلاف المال ((ونام)) أى منتشر فى العالم ((دون التعب)) يهذل المال
 ويان الحال ((ومطاع بالطوع)) أى بالرغبة فى خدمته لأرباب الكمال واصحاب الجمال
 ((فحرام)) أى الجاه ((ان كان بارِتْكَابٍ ذَنْبٍ كَالْكَذِبِ)) بكونه علويافى النسب أو من نسل

وَالْخِدَاعِ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ وَرِعٌ أَوْ شَرِيفٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ، وَيَبِيعُ الْعِبَادَةَ لِجَعْلِهَا
وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا جَنَایَةً وَإِلَّا فَبَاحٌ فَوْرَدَ . (قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِیْظٌ عَلِیمٌ) وَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ عَنْهُ فَقِیْهِ آفَاتٌ وَهِيَ النِّفَاقُ وَاضْطِرَابُ
الْقَلْبِ لِشُغْلِهِ بِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَحِفْظِ الْجَاهِ وَدَفْعِ الْحَسَادِ إِلَّا قَدْرًا يُعِینُ عَلَى الطَّاعَةِ
كَاسْتِمَالَةِ قَلْبِ خَادِمٍ يَتَعَهَّدُ أَوْ رَفِیقٍ یُعَاوَنُ أَوْ سُلْطَانٍ یَدْفَعُ الشَّرَّ

الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب (والخداع باظهار انه عالم او ورع او شريف
وهو بخلافه) من جاهل او فاسق او وضيع ، ومن هنا قيل : فمن ادعى المشيخة فان
كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق ، وقد ورد « ما ذئبان
ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم »
رواه النسائي . والترمذي وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك (وبيع العباد)
اي وحرام ان كان يبيعها وهي من امور الدين بشيء من امور الدنيا مالا او جاها ،
(لجعلها) اي العباد النافعة في العقبي (وسيلة للدنيا) الدنية القانية (جناية)
وعلى نفسه خيانة (والا) اي وان لم يكن حب الجاه بار تكاب ذنب ولا بيع عبادة
(فباح) وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوباً (فورد)
في سورة يوسف (قال اجعاني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) اي مخاطبا لملك مصر ،
فانه طلب ، نزلة في قلبه بكونه حفيظا عليا ، وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله
ونافعا لغيره في امره (والاولى) لغير الاقوياء (الاحتراز عنه) اي عن طلب
الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ نفسه وما يهواه (فقيه آفات) اربعة (وهي النفاق)
لان صاحب الجاه لا يستغنى عن المداينة في الاخلاق وهي مخالفة الظاهر الباطن قولا
او فعلا (واضطراب القلب) اي تزلزله عند ظهور العيوب (لشغله برعاية القلوب
وحفظ الجاه) اي تمامه بين العباد ودوامه في البلاد (ودفع الحساد) اي ضررهم
وشرم المعتاد (الاقدرا) استثناء من الاحتراز اي الاقدرا يسيرا من الجاه (يعين
على الطاعة) ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة (كاستمالة قلب خادم يتعهد)
امورا ضروريا للمخدوم (او رفيق يعاون) في السفر او الحضر على البر والتقوى
ومحافظة امور العقبي (او سلطان يدفع الشر) والبلوى *

وَالسَّبَبُ طُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْآفَةِ وَاسْتِدْعَاءُ الطَّبَعِ الْكَمَالَ لِتَحَقُّقِ الطَّبَعِ
الرَّبُّونِيِّ فِي الْإِنْسَانِ كَالسَّبْعِيِّ وَالشَّيْطَانِيِّ وَالْبَهِيمِيِّ فَيُحِبُّ الْإِسْتِعْلَاءَ بِالْإِسْتِرْقَاقِ
إِنْ أَمَكَنَ كَمَا فِي الْأَجْسَادِ الْأَرْضِيَّةِ

(والسبب) أى سبب حب الجاه ثلاثة (طول الأمل) أى بتباعد الأجل
(وخوف الآفة) أى توهم المحنة التى تكون منشأ للمحنة . وتوضيحه ان الشفيق بسوء
الظن مولع ، والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان
المال الذى فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه فلا يدفع المرء خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب
هذا المال جائحة فهو ابدا لشقيقته على نفسه وحب الجاه يقدر طول الحياة ، ويقدر هجوم
الجاهات ، ويقدر امكان طرق الآفات ، وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص
من المال او الجاه ، ومن هنا ورد « نهومان لا يشبعان : منهوم العلم ومنهوم المال »
الطبراني وغيره « ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي ثالثا ولا يملأ جوف ابن
آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب » (واستدعاء الطبع) أى استشهاده (الكمال)
الحقيقى أو الوهمى (لتحقق الطبع) أى الخلق (الرئوى فى الانسان) من الاستعلاء
والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار العظمة والكبرياء ، اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال
والنفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، وكل انسان بطبعه يحب لان يكون منفردا
بالكمال فى الجمال والجلال ، ولذا قال بعض الصوفية : ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح
به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ، ولكنه ليس بمجد مجالا ، وفى الاجيال وهو كما
قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ، ولكن لما عجزت النفس عن
درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال (كالسبعى) من القتل
والجرح والضرب والايذاء (والشيطاني) فالمر والخذلية والاغواء (والبهيمى)
من الاكل والشرب والوقوع مع النساء (فيحب) أى الانسان بالطبع الربوى
(الاستعلاء بالاسترقاق) أى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد
الاجرار (ان امكن) الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار
(كما فى الاجسام الارضية) من نحو الكلاب والاعراس والاشجار بالقطع والابقاء
والابداء والافناء ، والدرهم والدنانير والامثلة ، فيحب ان يكون قادرا عليها بفعل

ثُمَّ بِالْإِسْتِمَالَةِ كَمَا فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ بِالْإِطْلَاعِ كَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ
وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَالْوَهْمِيِّ لَزَوَالِهِ بِالْمَوْتِ وَلَآنَ الْقُدْرَةُ الْحَقِيقَةُ لَهُ تَعَالَى
وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالسَّبَاعِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْبَهَائِمِ أَمَّا الْحَقِيقِيُّ فَمَعْرِفَتُهُ تَعَالَى وَمَحَبَّتُهُ وَمَا
يَعِينُ عَلَيْهِ لِبَقَائِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع ، فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال
من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع والجليلة الخلقية ، ولذا احب الاموال
وان كان لا يحتاج اليها في مأكله ومشربه وملبسه وشهوات نفسه (ثم بالاستمالة)
اي بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغاية ارباطنا ورغبة (كما في القلوب) طوعا وكرها
(ثم بالاطلاع) اي الاشراف (كما في السموات) وفي نسخة السماويات اي اخبارها
وانوارها واسرارها (وعالم الملكوت) من العرش والكرسي وحوهما من الملائكة
وانوارها ، والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم في الحركات
والسكنات . والحاصل ان مطلوب القلب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصور ، فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال ، فهذا
هو السبب في كون العلم والمال والجاه من المحبوبات ، وهو امر وراء كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات واللهاوت ،
بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصاح للتوصل به الى قضاء الاغراض ، بل ربما يفوت
عليه جملة من الاغراض والاعراض ، ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب
والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية .

(والعلاج) اي علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء (العلم بانه) اي الجاه
الديني (كالوهمي) ليس في الواقع كمال حقيقي (لزواله بالموت) انتهاءه ولحدوثه
ابتداء (ولان القدرة الحقيقية له تعالى) ازلا وابدا (وفيه) اي في الجاه الوهمي
الصوري (التشبه بالسباع والشياطين والبهائم) كما تقدم (اما الحقيقي) اي كماله
(فمعرفة تعالى ومحبه وما يعين عليه) اي على كماله من العلم والعمل لما حكم به شريعته ،
وانما يكون هذا لما لاحقيقا (لبقائه بعد الموت) فالكمال الحقيقي ما ينتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانب (وفيه) اي في هذا الكمال (التشبه بالانبياء والملائكة) الموصوفين

وَأَفَاتِ الدُّنْيَا وَخَسَّاسَتَهَا وَمَا وَرَدَ فِي ذَمِّ الْجَاهِ وَمَدْحِ الْخُلُولِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ
فِي إِثَارِ الْعُقْبَى وَمُبَاشَرَةِ أَمْرِ يُسْقِطُهُ

بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية ، فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على رجوعهم
انكباب العميان وهم غافلون ، واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذي
لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا بقاء له في المال ، واعرضوا عن كمال الحرية
والمعرفة المسمى علما لدنيا ، واذا حصل ابدى لا انقطاع له لكونه سرمديا . فهؤلاء هم
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،
وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا) فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى دائما
في النفس ، واما المال والجاه فيفنى في الحال أو المآل كما مثله الله تعالى بقوله (انما
مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الآية (وَأَفَاتِ
الدنيا) أي والعلم بها (وخساستها) أي دناءة نفسها من كثرة غنائها وقلة غنائها
وخسة شركائها وسرعة فنائها ، فلهذا در القائل :

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه اتقالا

ولآخر من أهل الفضائل :

أضغاث أحلام وظل زائل ان اللبيب بمثله لا يخدع

(وما ورد) أي والعلم بما جاء من السنة (في ذم الجاه ومدح الخول)
على ما تقدم (وأحوال السلف في اثار العقبي) على مناصب الدنيا ومعاونة
بعضهم لبعض في البر والتقوى ، فقد كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد
فكانك بآخر من كتب عليه الموت وقدمات ، فانظر كيف مدت نظره نحو المستقبل
وقدره كاتنا . وكتب عمر بن عبد العزيز في جوابه : أما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكأنك
بالآخرة لم تنزل فهو لاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة
للمتقين واستحقروا الجاه والمال في الدنيا وبصائر أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة
لا يمتد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة
خير وأبقى) وقال تعالى : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) (ومباشرة أمر)
بالرفع عطفا على العلم أي والعلاج للأجل وهو مباشرة فعل (يسقطه) أي جأه
وقدره من قلوب الخلق وأعينهم ، وتفارقة لذة القبول ويأنس بالخول ويقنع بنظر

كُشْرِبَ الْمَاءُ فِي قَدَحٍ يُشَبِّهُ الْخَمْرَ لَوْ نَأَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا فَيَبَاشِرُ مَا يَرَى مُبَاحًا
كَأَظْهَارِ الشَّرِّهِ وَالْأَقْوَى الْقَنَاعَةُ وَالْإِغْتِرَابُ، وَأَمَّا الْإِعْتَزَالُ فِي الْوَطَنِ فَلَا
يَخْلُو عَنْهُ لِمَعْرِفَةِ النَّاسِ بِهِ

الخالق وقوله ، وهذا طريق الملامية الطالبين للحالة السلامية (كشرب الماء)
الحلال (في قدح يشبه الخمر لونا) أى يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب
الخمر فيسقط من الآتين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال
ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأى إصلاح قلوبهم فيه ، ثم يتداركون
ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم ، فانه عرف بالزهد وأقبل الناس
عليه ، فدخل حماما وأبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه وأخذوه
وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام (إلا أن يكون متبوعا) أى من المقتدين
حيث لا يجوز أن يفعل ما لا يكون بظاهره مشروعا فانه يؤمن الدين في قلوب المسلمين .
وأما الذى لا يقتدى به فلا ينبغي له أيضا أن يقدم على محذور لاجل ذلك (فيباشر
ما يرى مباحا) ما يسقط قدره عند الناس (كأظهار الشره) بفتحين أى الحرص
في الطعام ، كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى
طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره و يعظم اللقم فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف
فقال الزاهد : الحمد لله الذى صرفك عني . وهذا بالنسبة الى المتقدمين ، وأما فى زماننا
فمن عمل بالكتاب والسنة فى أمره لم يبق صديقا فى دهره مدة عمره (والأقوى) أى فى
المعالجة (القناعة) بلزوم الطاعة وعدم الطمع من أهل الاستطاعة والاكتفاء بما
لا بد منه للأحياء كلفة تسد جوعته وخرقة تستر عورته ويبت يدفع عنه حره وقره
(والإغتراب) أى طلب الغربة والهجرة الى موضع الخول وعدم الشهرة (وأما
الاعتزال فى الوطن فلا يخلو عنه) أى عن نوع من الجاه (لمعرفة الناس به) فان المعتزل
فى البلد التى هو فيها مشهور لا يخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترشح له فى القلوب
بسبب عزله ، فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور بها ، وانما سكنت نفسه لانها
قد ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموا جزعت نفسه وتألمت
ثم لا يمكنه أن لا يحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فيهم ، فاذا أحرز قوته من كسبه
أو من جهة أخرى وقطع الطمع عنهم أصبح الناس ظلم عنده كالأرازل ، فلا يبالى

ثُمَّ الْأَوَّلَى كَرَاهِيَةَ الْمَدْحِ وَحُبُّ الدَّمِّ فَوَرَدَ وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ
 لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ
 الْمَذْمَةَ ثُمَّ التَّسْوِيَةُ وَيَعْرِفُ بِتَّسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِ فِي اسْتِثْقَالِ جُلُوسِهِمَا وَالْفَرَحِ
 بِسُرُورِهِمَا وَالْغَمِّ بِمُصِيبَتِهِمَا ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ ثُمَّ
 بِإِظْهَارِهِمَا

أثبت له منزلة في قلوبهم كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق
 أو المغرب لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم، ثم لا يقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن قنع
 شبع واستغنى عن غيره، ومن هنا ورد «لا يكمل ايمان أحدكم حتى يكون الخلق عنده
 كالأباعر» .

﴿ثم الأولى﴾ في باب العلاج ﴿كراهية المدح وحب الذم﴾ فان معالجة الفساد انما تكون
 بالاضداد ﴿فورد﴾ : ويلى للصائم ويلى للقائم ويلى لصاحب الصوف الا من تنزهت
 نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة ﴿كذا في الاحياء﴾ وقال مخرجه لم أجده
 هكذا، وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس «ويلى لمن لبس الصوف فنخالف
 فعله قوله» ولم يخرج له ولده في مسنده ﴿ثم التسوية﴾ أى تسوية المدح والذم بان لا تغمه
 المذمة ولا تسره المدحة، قال بعض السلف : اذا قيل لك : نعم الرجل أنت فكان أحب اليك
 أن يقال بش الرجل أنت فأنت والله بش الرجل وهذا قديظنه بعض العباد بنفسه
 ويكون مغرورا به انت لم يمتحن نفسه في حال انسه ﴿ويعرف﴾ استواء المدح
 ﴿بتسوية المادح والذام في استثقال جلوسهما﴾ عنده ﴿والفرح بسرورهما والغم
 بمصيبتهما﴾ وحزنهما ونحوه من المنع والعطاء في فعلهما والسعى في قضاء حاجتهما
 وما ابعد ذلك عن قلوب اكثر العباد من العلماء . والعباد والزهاد . فان وجد فهو
 الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى، ومنهم من اذا سمع المدح لم يسره ولم يغتم ولكن
 لم يؤثر فيه فهذا على خير كثير، وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص الذى هو سبب
 الخلاص من المناصر ﴿ثم عكس الاول﴾ الذى ذكر في المرتبة الاولى وهى أن يحب المدح
 ويكره الذم في الضمير ﴿دون اظهار قول وفعل﴾ فى وجههما بضرب أو شتم أو ثناء
 وعطاء ﴿ثم باظهارهما﴾ أى اظهار القول والفعل فى مقابلة المدح والذم فيقابل الذام

وَحُبُّ الْمَدْحِ كَحُبِّ الْجَاهِ حُرْمَةٌ وَإِبَاحَةٌ وَنَفْعٌ وَضَرَاءٌ وَالسَّبَبُ الشُّعُورُ بِكَمَالِ
النَّفْسِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْمَادِحِ وَاسْتِمَالَةُ قُلُوبِ السَّامِعِينَ، فَيَقْوَى مِنَ الْمُعْتَبِرِ
وَالْمُرْتَفِعِ وَفِي الْمَلَأِ أَقْوَى

بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال أكثر الخلق ﴿وحب المدح كحب الجاه
حرمة﴾ ان كان بارتكاب ذنب ﴿واباحة﴾ ان كان بأمر مباح ﴿ونفعاً﴾ أى كان لدفع
شر ﴿وضراً﴾ ان كان يجلب نفع محرم كما سبق مفصلاً *

﴿والسبب﴾ لحب المدح ثلاثة : ﴿الشعور بكمال النفس﴾ أى استشعار الكمال
بسبب قول المادح ، فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك : هذه
الصفة التى يمدحك بها أنت متصفة بها أم لا فان كنت متصفة بها فمضى اما أن تكون صفة
تستحق بها المدح كالمال والورع فينبغى أن لا تفرحى بها لأن الخاتمة غير معلومة ، واما صفة
لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض مما تذروه الرياح ولا ينبغى أن
يفرح الانسان بعروض الدنيا ، وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجودها
فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب أن تفرح به بل بسبب وجودها هو الله
سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ، ومنه قوله عز وجل : (قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وان كان الصفة التى مدحت بها وفرحت
بسيبها أنت خال عنها ففرحك بمدحه غاية الجنون عند أهل الفنون ، اذ مثال ذلك مثال
من يهزؤ به انسان ويقول : سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى احشائك ، وما أطيب المسك
الذى فى أعضائك وأنت تعرف نفسك بكثرة الاقدار والذنن فى أثوابك وأجزائك
﴿والاستيلاء على المادح﴾ فان المدح يدل على تسخير قلب المادح ﴿واستمالة قلوب
السامعين﴾ فهذا يرجع الى حب الجاه ، وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله
﴿فيقوى﴾ أى حب المدح اذا حصل ﴿من المعتبر﴾ علماً وعملاً أكثر وأظهر من
غيره ﴿والمرتفع﴾ قدره فى الجاه والمال ، وفى نسخة المرتفع أى من أهل التصديق
المجالس والمحافل وان لم يكن من ذرى الفضائل ﴿وفى الملا أقوى﴾ من الخلاء وفيه
خطر للمدوح ، ولذا قال عليه السلام للمادح «وبحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلاح
الى يوم القيامة »

وَالْعِلَاجُ عِلَاجُ الْجَاهِ وَعِلْمُهُ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَمْدُوحَ بِهَا إِنْ فَقِدَتْ فَاسْتِهْزَاءٌ وَإِنْ
وُجِدَتْ فَالذُّنُوبُ كَمَالٌ وَهَمِيٌّ وَالذِّينَةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ، وَالْأَوَّلَى إِظْهَارُ
الْبُغْضِ لِلْمَادِحِ قَطْعًا لِلْفِتْنَةِ، وَسَبَبُ كَرَاهَةِ الذَّمِّ النَّقَائِصِ الْمَذْكُورَةِ فِي حُبِّ الْجَاهِ

(والمعالج) أي علاج حب المدح شيان (علاج الجاه) أي حبه وقد تقدم حكمه (وعلمه) أي الممدوح (أن الصفة الممدوح بها أن فقدت) بأن يكون كذباً (فاستهزاء) وهذا كثير في قصائد الشعراء الأغنياء والأمراء، وقد ورد إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب، وهو كناية عن الخيبة، أو إيما إلى دفع شرهم بباب من الأبواب وسبب من الأسباب من إعطاء الدراهم والدنانير، والنياب، فقد ورد «ما وقى به العرض فهو صدقة» (وان وجدت) أي تلك الصفة بأن يكون صادقاً في قوله (فالذنيوية) من المال والجاه (كمال وهمي، والدينية) من العلم والعمل (موقوفة على الخاتمة) أي حسنها وهي غير معلومة، فانما الأعمال بالخواتيم كما ورد (والأولى) في علاج حب الجاه (إظهار البغض للمادح قطعاً للفتنة) ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنه، وما يدخل على القلب من السرور بمدحته، وما يفرع عليه من محنته، حتى أن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال: يا أباير المؤمنين أنت خير مني وأعلم، فغضب وقال: إني لم آمرك أن تزكيني. وقيل لبعض الصحابة: لن يزال الناس بخير ما بقاك الله فيهم، فغضب وقال: إني لأحسبك عراقياً. وقال بعضهم لما مدح: اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فاشهدك على مقتته. وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم بمقوتون عند الخلق، فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله يبعث اليهم مدح الخلائق لأن الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى، والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الأشرار في دار البوار. فهذا الممدوح أن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وبرحمته وليس أمره بيد الخلق، وهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله قل التفاته إلى مدح الخلق وذم من سواء، وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من أمر دينه وحب ربه (وسبب كراهة الذم النقائص المذكورة) أي الأسباب المسطورة (في حب الجاه) من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب

وَالْعَلَّاجُ عِلْمُ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَذْمُومَ بِهَا إِنِّ وَجَدَتْ قُبُصِيرُ الْعُيُوبِ وَفِيهِ
الْفَرَحُ وَالشَّغْلُ بِالْإِزَالَةِ وَإِنْ فَقَدَتْ فَكَفَّارَةُ الذُّنُوبِ وَفِيهِ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَى
وَالْتَرَحُّمُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ «وَوَرَدَ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» دَعَا
لِقَوْمٍ كَسَرُوا سِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۞

السامعين ((والعلاج)) لكراهة الذم ((علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت)) فيك
سواء قصد القاتل به النصيحة او التعنت والفضيحة ((قُبُصِيرُ الْعُيُوبِ)) وهو مطلوب
اهل القلوب ((وفيه الفرح)) بالاطلاع على الصفة الذميمة ((والشغل بالازالة))
اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس لكراهة مجال لديها فعن
عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسه ((وان فقدت)) تلك الصفة
بان يكون القاتل كاذبا في المذمة ((فكفارة الذنوب)) اي لبقية مساويك فكأنه رماك
بعبث انت برىء منه وطهرتك عن عيب انت متلوث به ((وفيه الشكر له تعالى))
اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برىء منه وما ستر الله من عيوبك
اكثر قدبر ((والترحم عليه)) اي على الزام ((حيث اهلك نفسه)) بذكرك فالمسكين
جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه باقترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم
جزائه فلا ينبغي ان يغضب عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهلاكم ونحوه فيشمت
الشيطان بك وبه بل ينبغي لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه
اللهم ارحمه اللهم اهده ((وورد)) في دلائل النبوة للبيهقي ((اللهم اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
دَعَا)) اي النبي عليه السلام ((لقوم)) من كفار قريش ((كسر واسننه عليه السلام))
اي رباعيته وشجوا رأسه وذلك باحد ، ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة
فقال له في ذلك فقال اعلم اني مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي،
ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنى عن مهمما ذمك لم يعظم اثر
ذلك في قلبك ، وأصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال وبها ينقطع الطمع من الجاه
والمال واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب في قلب من طمعت
فيه دائماً ۞

﴿البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَرَدَّ «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» الشَّرَفُ التَّوَاضُّعُ
وَضَدُّهُ التَّكْبَرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ وَهُوَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ
فِيَحْصُلُ بِهِ نَفْخَةٌ.

﴿البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ﴾

أَيُّ فِي مَدْحِهِمَا وَذَمِّ ضَدِّهِمَا وَهُمَا الْكِبَرُ وَالْمَجْبُوبُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
الَّذِي يَتَوَاضَعُ لَهُ الْعَرْشُ الْكَرِيمُ ﴿وَرَدَ﴾ فِي الْحَلِيقَةِ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿مَنْ
تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ وَمَقْهُومُهُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ، وَلِلْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ إِذَا تَوَاضَعَ الْعَبْدُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَلِلْأَصْفَهَانِيِّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ
مَنْ حَدِيثُ أَنَسٍ «أَنَّ التَّوَاضُّعَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ الْارْفَعَةَ»، وَلِمُسْلِمٍ فِي اثْنَاءِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ الْارْفَعَهُ اللَّهُ»، وَلِأَحْمَدَ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ أَوْ كِبَرِ اللَّهِ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ
وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَنُهُ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَةَ بْنِ الْإِكْوَعِ «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكْتَسِبَ
فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ» وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمِيْسٍ «بُئْسَ الْعَبْدُ عَبْدُ تَجْبَرٍ
وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بُئْسَ الْعَبْدُ عَبْدُ تَكْبَرٍ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَى بُئْسَ الْعَبْدُ
عَبْدُ سَمٍّ وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى بُئْسَ الْعَبْدُ عَبْدُ عَتَى وَبَغَى وَنَسِيَ الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى» وَرَوَاهُ
الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَصَحَّحَهُ ﴿الشَّرَفُ التَّوَاضُّعُ﴾ لِأَبِي الدُّنْيَا الْكَرْمِ التَّقْوَى وَالشَّرَفُ
التَّوَاضُّعُ وَالْيَقِينُ الْغَنَى، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ التَّوَاضُّعُ أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ وَكُلُّ
نِعْمَةٍ مَحْسُودٍ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا إِلَّا التَّوَاضُّعَ، وَقَالَ الْفَضِيلُ التَّوَاضُّعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ
وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِي قَبْلَهُ مِنْهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ قَبْلَهُ، وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ التَّوَاضُّعُ
أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بِدُنْيَاكَ فَضْلٌ
وَأَنْ تَرْفَعَ نَفْسَكَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِدُنْيَاكَ فَضْلٌ،
وَقَالَ قَتَادَةُ مَنْ أَعْطَى مَالًا أَوْ جَمَالًا أَوْ ثَنَاءً أَوْ عِلْمًا ثُمَّ لَمْ يَتَوَاضَعْ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَبِالْآخِرِ ﴿وَضَدُّهُ التَّكْبَرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ﴾ وَآظْهَارُهُ أَنَّ التَّوَاضُّعَ اتِّبَاعَ الضَّعْفِ
وَآظْهَارُ الْمُسْكِنَةِ بَأَن يَرَى نَفْسَهُ دُونَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى امْتَالِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ
فِي حَالِهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ فِي مَقَامِ كَمَالِهِ.

﴿وَهُوَ﴾ أَيُّ الْكِبَرِ ﴿أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَيَحْصُلُ بِهِ نَفْخَةٌ﴾ أَيُّ

وَوَرَدَ «أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الْكِبَرِ، وَآثَرِهِ التَّرَفُّعُ فِي الْمَجْلِسِ وَالتَّقَدُّمُ فِي الطَّرِيقِ وَالنَّظَرُ بِالْمَا فِي وَعَيْنِ الْإِسْتِحْقَارِ

انتفاخ الكبر في نفسه. وعن ابن عباس في قوله تعالى (ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) فقال عظمة لم تبلغوها، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وعن ثابت بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم تجبر فلان فقال أليس بعده الموت؟ اليه في الشعب هكذا مرسله وروى أنه خرج يونس. وأيوب. والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: التواضع أن تخرج من منزلك فلا ترى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند أهل التوحيد تكبر، وفي الاحياء لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها (وورد أعوذ بك من نفخة الكبر) روى أبو داود. وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا أعوذ بالله من الشيطان من نفخة ونفثه وهمزه فنفخة الكبر ونفثه الشعر أو السحر وهمزه الوسوسة في السر (وآثره) أي علامات الكبر ثلاثة عشر (الترفع في المجلس) على الاقران أي من غير استحقاق له به (والتقدم في الطريق) على الاخوان مع استحقاقهم به، قال أبو الورد لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة، ومشى قوم خلف الحسن البصري فنعمهم وقال: ما يبقى هذا من قلب العبد، وكان عليه السلام في بعض الاوقات يمشى مع اصحابه فيأمرهم بالتقدم ويمشي في الخمار اما لتعليم غيره وأما لئني وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخلق لأحد هذين المعنيين كذا في الاحياء، والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصه ولبس الا نيجانية كما تقدم والله أعلم. وللديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشى الى البقيع فبعه أصحابه فوقف وأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال: اني سمعت خفيق نعالكم فاشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر (والنظر) الى الغير (بالمآ في) أي بطرف العين تكبرا وتجبرا قال تعالى: (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) (وعين الاستحقار) بان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه، فعن ابن وهب: جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فس فخذني فخذته فتحيت نفسي عنه فأخذ يثرني فجرني الى

وَتَعْوِجُ الْعُنُقُ وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ وَالْإِتِّكَاءُ، وَقِيَامُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَاءَ إِنْ مَنْ
قَعَدَ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيَامٌ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»

نفسه وقال: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة؟ انى لأعرف منكم رجلا شرامنى، وقال
أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. وقد تقدم مخرجه هـ ومن ذلك
أن يتوقى في مجالسه المرضى والمعلولين وعندهم يتحاشى، فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه
مجدوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أفعدهم على مائدته، وقد ثبت أنه عليه السلام مع
مجدوم وقال له «قل بسم الله ثقة بالله» رواه أبو داود. والترمذى. وابن ماجه من حديث
جابر ((وتعويج العنق)) مع تحريك الألف ((وإطراق الرأس)) فروى أن عمر بن عبد
العزیز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يخال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم
قال: ليست هذه مشية من في بطنه خراء، فقال عمر كالمعتذر: يا عم لقد ضرب كل عضو منى
على هذه المشية حتى تعلمتها، وعن الحسن. ان فى كل عضو من الأعضاء لله نعمة
والشيطان به لعنة، ورأى محمد بن واسع ولده يمشى يخال فدعاه فقال: أتدرى من أنت؟
أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم، وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله، ولا حمد.
والطبرانى. والحاكم. وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر «من تعظم فى نفسه
واختال فى مشيته اقى الله وهو عليه غضبان» ولعله مقتبس من قوله تعالى: (ان الله لا يحب
من كان مختالا فخورا) ومن قوله: (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض
وان تبلغ الجبال طولا) وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة «لا ينظر الله الى من
جر ازاره بطرا» وفى لفظ مسلم «خيلاء» ((والإتكاء)) أى الميل الى احد جوانبه بحضور
أقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة فى بابه، وكذا حكم التربع المشير الى الترفع
((وقيام الناس بين يديه، فجاء)) أى فى الخبر أو الاثر ((ان من قعد والناس بين
يديه قيام)) واقفون بامرهم ((فهو من اهل النار)) والحديث معروف بالفظ «من
أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار، أحمد وأبو داود والترمذى
عن معاوية، وفى الشمايل للترمذى عن أنس «لم يكن شخص أحب اليهم من رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته
لذلك، وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح ابدا: وقال الشبلى: من رأى لنفسه

وَالْمَشْيُ رَاكِبًا مَعَ الْمَشَاةِ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ إِلَّا بِشَخْصٍ عَقِيهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَمْشِي بَيْنَ الْجَمْعِ غَيْرِ مُتَقَدِّمٍ وَعَمَلِ الْبَيْتِ وَحَمْلِ السُّلْعَةِ فَرَدَّ مَنْ حَمَلَهَا فَقَدَّرَ بَرِيءٌ
مِنَ الْكِبَرِ

قيمة فليس له من التواضع حصة . والتحقيق ان من رأى انه خير من اخيه واحتقر
اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه نقد تكبر فيما بينه
وبين الخلق ، ومن اتق من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر
بينه وبين الحق (والمشي) اى الخروج (راكبا مع المشاة) بين يديه (وترك
الخروج) من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة (الا بشخص) او اشخاص
(عقيه ، وكان عليه السلام يمشى بين الجمع غير متقدم) كما تقدم (وعمل البيت)
اى وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ، فى مسند احمد د عن
عائشة انه عليه السلام كان يخط ثوبه ويخسف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم ،
وليبقى فى الشعب من حديث ابي هريرة د من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد
برىء من الكبر « وبالجملة فجماع حسن الاخلاق تؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه
من اصحابه الكرام ، ولما عوتب عمر فى بذاذة هيته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره (وحمل السلعة) اى وتركه (فورد من
حملها) اى سلعته ، وفى رواية بضاعته (فقد برىء من الكبر) البهقى عن ابي امامة .
ولابى يعلى الموصلى عن ابي هريرة انه عليه السلام حمل سروا لا اشتراه لنفسه وابى ان
يحملة غيره وقال « صاحب المتاع احق بحمله » وعن على لرم الله وجهه .

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من شيء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح - وهو امير - يحمل سطلا له من خشب الى الحمام . وقال
ثابت بن مالك : رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ
خليفة لمروان فقال : اوسع الطريق للامير يا ابن مالك . وعن الاصمغ بن ابي بنانة
قال : كأنى انظر الى عمر معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق
حتى دخل رحله . وقال بعضهم : رأيت عليا يشتري لحما بدرهم لحمله فى ملحفته ، فقلت
له : احمل ذلك يا امير المؤمنين ، فقال : لا ابو الاميال احق ان يحمل . وروى ان عبد
الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له : يا ابا يوسف قد كان فى غلمانك وبيتك ما يدفونك

وَاحْتِمَالُ الْأَذَى فَهُوَ الْأَصْلُ الْمَأْثُورُ وَلِبَاسُ الدُّونِ فَوَرَدَ «مَنْ تَرَكَ زِينَةَ اللَّهِ
وَوَضَعَ ثِيَابًا حَسَنَةً تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِرَ لَهُ عِبْقَرِيَّ
الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدِيدَ وَلَبَسَ الْعَتِيقَ لِلتَّعْلِيمِ أَوْ الْبُعْدِ عَنِ الْوَسْوسَةِ
إِلَّا لِلنَّظَافَةِ

فقال اجل ، ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى ، فلم يقنع منها . بما اعطيه
من العزيمة على ترك الانفة حتى يجربها اهي صادقة ام كاذبة ؟ وروى ان عمر بن الخطاب
حمل قرية على عنقه فقال له اصحابه : يا اير المؤمنين ما حملك على هذا ؟ فقال : ان نفسى
اعجبتى فاردت ان اذلها ، وروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس (واحتمال الاذى) اى وتركه (فهو)
اى احتمال الاذى من السب وغيره (الاصل) الذى عليه مدار حسن الخلق
والتواضع للحق (المأثور) المروى عن السلف والخلف خلافا لاطلة الحشيش والعلف ،
وقد قدمنا ما نقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب (ولباس الدون) اى
وترك اللباس الخشن او الخاق او المرقع (فورد من ترك زينة الله ووضعه ثيابا حسنة)
اى دفعها مع القدرة عليها (تواضعا لله وابتغاء وجهه) اى لالرياء والسمعة فى حقه
(كان على الله) اى واجبا بمقتضى وعده (ان يدخر له عبقري الجنة) اى ديباجها
من سندسها واستبرقها ، ابو سعد الماليني فى مسند الصوفية ، وابو نعيم فى الحلية من
حديث ابن عباس « من ترك زينة الدنيا لله » الحديث . وقد ورد البذاذة من الايمان ،
ابوداود . وابن ماجه من حديث ابى امامة بن ثعلبة . وقال هارون : سألت عن معنى
البذاذة فقيل هو الدون من اللباس ، وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب
خرج الى السوق ويده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اى جلد .
وعوتب على فى ازاره مرقوع . فقال : يقتدى بي المؤمن ويخشم له القلب . وقال
عيسى عليه السلام : جودة اللباس خلاء القلب . وقال طاوس : انى لا غسل توى
هذين فانكر قلبى ماداما نقيين . وقيل لسلمان : الاتلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا
اعتقت يوما لبست ، اشار به الى العتق فى الآخرة وما اعد الله لعبيده من الثياب الفاخرة
(ونزع عليه السلام الجديد) اى من الشراك والخبيصة (ولبس العتيق) منهما
(للتعليم) اى لتعليم غيره (او البعد عن الوسوسة) فى نفسه على ما تقدم (الا للنظافة)

فَوَرَدَ نَفِيُّ الْكِبَرِ فِي حُسْنِ الثِّيَابِ لِمَعْرِفَةِ حَالِ السَّائِلِ، وَيُعَرَفُ بِتَسْوِيَةِ الْخَلَاءِ
وَالْمَلَأِ وَالْغَضَبِ عَلَى مَنْ لَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ وَالْإِهْتِمَامِ بِأَصَابَةِ الْخَصْمِ الْمُنَظَرِ
وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ

أى بقصدها فإنه حينئذ لا بأس بترك الدون من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر
الناس ﴿فورد نفى الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل﴾ أى لمعرفة عليه السلام
لحال السائل ومقامه من المرام ، ففى الطبرانى من حديث ثابت بن قيس بن شماس
أنه سأل النبى عليه السلام وقال : أنى امرؤ قد حجب الى من الجمال ما ترى فهل من
الكبر ؟ فقال لا ، ولكن من سفه الحق أى جهله وانكره ، وغمص الناس أى حقرهم .
رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر . وفى رواية مسلم عن ابن مسعود « الكبر من
بطر الحق وغمص الناس ، وفى رواية الترمذى « من بطر الحق وغمص الناس » وقال
حسن صحيح ، وفى رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال « جاء رجل الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليدجنى ان يكون ثوبى غسلا ورأسى دهيئا وشراك فعلى
جديدا وذكر اشيء حتى ذكر علاقة سوطه أفمن الكبر هذا ؟ فقال عليه السلام لا هذا
من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس » ﴿ ويعرف ﴾
أى حال من يلبس للنظافة ، أو كونه مظهرا للغنى شكرا للنعمة ، أو كونه فقيرا يرى نفسه
غنيا للعفة ﴿ بتسوية الخلاء والملاء ﴾ عنده فى لباسه للنظافة ونحوها بأن يلبس فى الخلاء
للصلاة وغيرها ما يلبس فى الملاء عند حضور الجماعة ونحوها ، ثم المحبوب الوسط
المطلوب ، فللنساء وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ظلوا
واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا بخيلة » ﴿ والغضب ﴾ بالرفع عطف
على الترفع ، أى ومن آثار الكبر الغضب ﴿ على من لا يبدأ بالسلام ﴾ أو لا يبادر
بالقيام ونحوه من انواع الاكرام ﴿ والاهتمام ﴾ بالرفع أى والاهتمام ﴿ بأصابة الخصم
المناظر ﴾ أى المجادل فى منقوله ﴿ والانكار عليه ﴾ أى وبانكار الخصم عليه فى معقوله ،
وتوضيحه ان يناظر فى مسألة مع واحد من اقرانه ، فان ظهر شئ من الحق على لسان
صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه
الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليثق الله وليشتغل بعلاجه ، اما من حيث العلم
فبأن يذكر نفسه خيبة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى ، واما بالعمل

وَأَفَاتَهُ مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى فُورِدَ «الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزارِي فمن نازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ» وَبَغْضُهُ تَعَالَى فُورِدَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَعَمَى الْقَلْبُ فُورِدَ (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ - وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا)، وَالذَّلُّ

فَبِأَن يَكْلَفَ نَفْسَهُ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ فَيَطْلُقَ لِسَانَهُ بِالْحَمْدِ وَالثَنَاءِ، وَيَقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعِجْزِ فِي الْإِدَاءِ وَيُشْكِرُهُ عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ وَيَقُولُ : مَا أَحْسَنَ مَا فَطَنْتُ لَهُ مِنَ الْإِفَادَةِ وَقَدْ كُنْتُ غَافِلًا عَنْهُ لِحُزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا عَلَى مَا نَبَهْتَنِي لَهُ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا وَجَدَهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَ مِنْ دَلِّهِ عَلَيْهَا •

(وَأَفَاتَهُ) أَي الْكِبَرُ سَتَةٌ (مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى) أَي فِي مِشَارَكَتِهِ سُبْحَانَهُ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ (فُورِدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : وَغَيْرِهِ (الكبرياءُ ردائي) أَي بِمِثْلَتِهِ فِي إِظْهَارِ مُلْكِي وَجِبْرَوْتِي (والعظمة إزارِي) أَي بِمِثْلَتِهِ فِي إِسْرَارِ مُلْكُوْتِي وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مَخْتَصَتَانِ بِي كَمَا أَنَّ رِدَاءَ الْإِنْسَانِ وَإِزَارَهُ مَخْتَصَانِ بِهِ وَلَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي لِبْسِهِ (فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا) أَي وَاحِدًا مِنْهُمَا كَمَا فِي رِوَايَةِ (قَصَمْتُهُ) أَي أَهْلَكْتُهُ، وَفِي رِوَايَةِ عَذْبَتِهِ، وَفِي أُخْرَى أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ، وَفِي أُخْرَى قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ (وَبَغْضُهُ تَعَالَى) أَي لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) وَمِنْهُ هُوَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ (وَعَمَى الْقَلْبُ) بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي) أَي الْمُنْصَوْبَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ مِنْ مَصْنُوعَاتِي وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ سَادَفَعُ فَهَمَّ الْقُرْآنُ عَنْ قُلُوبِهِمْ (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) تَمَامُهُ (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَازِيرُوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَانْ يَرُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَانْ يَرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ سَأَحْبِبُ قُلُوبَهُمْ عَنْ مَشَاهِدَةِ مُلْكِي وَمُلْكُوْتِي وَعَجَائِبِ قُدْرَتِي وَغَرَائِبِ جِبْرَوْتِي • وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : سَأَصْرِفُهُمْ عَنْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَلِذَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ الزَّرْعُ يَنْبِتُ فِي السَّهْلِ لَا فِي الْوَعْرِ، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَنْمُو فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ دُونَ الْمُتَكَبِّرِ الْآتِرِ أَنْ مِنْ تَمْشِخِ بَرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجْهٍ وَمِنْ طَاطَأِ أَظْلِهِ وَآكُنْهِ (وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بِالْإِضَافَةِ وَدُونِهَا (جَبَّارٌ) مُبَالِغٌ فِي الْفُسَادِ مِنْ قَهْرِ الْعِبَادِ وَكُسْرِ الْبِلَادِ (وَالذَّلُّ) أَي الْمَذَلَّةُ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْمِهَانَةُ فِي الْآخِرَةِ • فَلِلتَّرَمِذِيِّ وَحَسَنُهُ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ • الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ يَطْوُهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ • وَعَنْ

وَالْبَعْثُ عَلَى الذَّمَّائِمِ كَتَغْيِيرِ الْخَلْقِ وَالْجَحْدُ عَنْ الْحَقِّ وَالْحَجْبُ عَنِ الْفَضَائِلِ كَالْتَوَاضِعِ
وَالْحُلْمُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالْعَبْدُ الرَّقِيبُ يُضْرَبُ وَلَدَ
الْمَوْلَى عِنْدَ الْإِسَاءَةِ وَيَتَوَاضِعُ لَهُ، ثُمَّ التَّخَاسُّسُ كَتَأْخِرِ الْعَالَمِ عَنِ الْخَصَافِ
مَذْمُومٌ أَيْضًا كَعَكْسِهِ

حاتم : اجتنب الموت على ثلاثة : على الكبر والحرص والخيلاء ، فان المتكبر لا يخرج به الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدمه ، والحرص لا يخرج به الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساعدا ، والمختال لا يخرج به الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه بيوله وقدره (والبعث) اى التحريض والحث (على الذمائم) من صفات البهائم (كتغير الخلق) من اثر سوء الخلق كالإشاشة الى العبوسة (والجحد عن الحق) اى بانكاره وعدم اقراره ، وقد سبق في الحديث تفسير الكبر المذموم به ، ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كيف نجاس اليك وعندك هؤلاء الفقراء ؟ فنزل قوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) رواه مسلم وابن ماجه (والحجب) اى ومنعه (عن الفضائل) وحجزه عن حسن الشمايل (كالتواضع) للحق (والحلم) عن الخلق (والنصيحة) للامة من غير الفضيحة (والامر بالمعروف) اى ولذا النهى عن المنكر (ولا يستلزمه) اى الامر بالمعروف التكبر (فالعبد الرقيب) بأمر الحبيب (يضرب ولد المولى عند الاساءة ويتواضع له) مع ذلك بعد تلك الحالة (ثم التخاصس) اى طلب الحسنة المسمى بالضعفة وهو الافراط فى التواضع (كتأخير العالم عن الخصاص) ونحوه من الداف والعلاف فى المجلس او الطريق (مذموم ايضا كعكسه) وللبغوى . وابن قانع والطبرانى والبخارى من حديث انس « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة » ومن ذلك حديث « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود من قوله « من خضع لغنى ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه » وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان واذنان ، وفى تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح . وله عن انس بلفظ « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح

فَالْتَوَاضَعُ مَعَهُ يَعْدَمُ الْاِسْتِحْقَارَ وَاضْهَارَ الْبَشَرِ وَالرَّفْقَ وَاجَابَةَ الدَّعْوَةِ وَالسَّعْيَ
فِي الْحَاجَةِ لَكِنِ التَّكْبِيرُ الْخَشْيُ، وَالسَّبَبُ الْعَجَبُ فَقَطْ

ساخطا على ربه ، ومن اصبغ يشكو مصيبتة فانما يشكوره ، ومن دخل على غنى فتضعضع
له ذهب ثلثا دينه » و اخرج الديلمي من حديث ابي ذر « لعن الله فقيرا تواضع لغنى
من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » وكذا ابو داود ، ولم يصب
ابن الجوزى فى ذكره فى الموضوعات كما قاله السيوطى . ومن التخاصس بل اخسه
ان يمشى العالم خلف الظالم ، ولذا قيل : ينس الفقير على باب الامير ، ونعم الامير
على باب الفقير . وعن يحيى بن معاذ : التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع .
ويقال : التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء احسن ، والتكبر فى الخلق
كلهم قبيح وفى المقراء اقبح ، وكان بشر الحافى يقول : سلوا على ابناء الدنيا بترك السلام
(فالتواضع معه يعدم الاستحقار) فعن الصديق « لا يحقرن احدا من المسلمين
فان صغير المسلمين عند الله كبير » ولمسلم من حديث ابي هريرة « بحسب امرى من
الشر ان يحقر اخاه المسلم » (و اظهر البشر) وفق مرامه (والرفق) بحسب
مقامه (واجابة الدعوة) فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه (والسعى
فى الحاجة) لقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) وحديث « من كان فى عون
اخيه المؤمن كان الله فى عونه » فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد اذا اتاكم
كريم قوم فاكثروا ، (لكن التكبر الخش) من التخاصس اذ ورد عن بعض
المشايع ما يقاربه وكأنه كان فى مقام المعالجة .

(والسبب) أى سبب التكبر الحقيقى (العجب فقط) أى العجب سبب التكبر
والكبر سبب التكبر ، فسبب سبب الشئ وسبب لذلك الشئ وهو مذموم ، قال تعالى : (ويوم
حين اذا عجزتكم كثرتم) ذكر ذلك الاخبار فى معرض الانكار . ولا يابى داود والترمذى
وحسنه . وابن ماجه « اذا رأيت شعاعا مطاعا وهوى متبعا واعجاب على ذى رأى برأيه
فعليك بنفسك » وللبزار والبيهقى فى الشعب من حديث أنس « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو اكبر من ذلك العجب العجب » وعن مطرف لان آيت نائم او اصبغ نادما أحب
الى من آيت قائما وأصبح معجبا . وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله
فاطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر فقطن له بشر ، فلما انصرف من الصلاة

وَيُطْلَقُ بِجَازِ الْوُجُودِ آثَارِهِ عَلَى الْمُنْبَعِثِ مِنْ غَيْرِهِ كَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ
وَيَخْتَصُّ هَذَا بِالْمَلَأِ، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ وَمُوَظَّعِ
أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالتَّكَلُّفُ فِيهِ وَقَلْعُ الْعُجْبِ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَخِصَالُهَا
الَّتِي هِيَ النَّعَمُ

قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى اصرار
اليه. وقيل لعائشة: متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: اذا ظن انه محسن، وكانه مقتبس
من قوله تعالى: (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفي الصحيحين «بينما رجل
يتبخر في برديه قد أعجبه نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة»
(ويطلق) أي الكبر (بجازا أي بطريق المجاز) لوجود آثاره أي آثار الكبر
من أثاره (على المنبعث من غيره) أي على الكبر المنبعث من غير العجب (كالحقد)
في الباطن (والحسد) أعم (والرياء) في الظاهر (ويختص هذا) أي الأخير وهو الكبر
المنبعث من غير العجب (بالملاء) دون الخلاء. والمعنى أن الرياء يختص بالملاء دون الحقد
والحسد والعجب فان الذي يتكبر بها يستوفي الخلاء والملاء.

والحاصل أن آثار الكبر اذا ظهرت من الكبر تسمى تكبرا حقيقة واذا ظهرت من غير
الكبر كالحقد والحسد والرياء تسمى تكبرا مجازا، ثم أعلم أن العجب انما هو بالاسباب التي
بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي تزين له بجهله، وثمرته
الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجوال الناس المخالفين لرأيه.

(والعلاج) أي علاج الكبر خمسة أشياء (ذكر ما ورد فيه) أي في ذم الكبر من الاخبار
(وأحوال السلف الاخير وما) صدر عنهم من الآثار في ترك الكبر واختيار التواضع
(ومواظبة أخلاق المتواضعين) من العلماء الأبرار والمشايخ الكبار (والتكلف فيه)
أي في رفع العجب بدفع العجب والتكلف في تحصيل أخلاق المتواضعين بالتشبه في
أفعالهم والتزين بأحوالهم والتصنع بأعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة
الاخلاص، ويشير الى حديث «ان لم تكروا قبا كوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم» (وقلعه
العجب) أي استنصاه من أصله وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل أصل
قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه (وهو) أي العجب (استعظام النفس)
أي عداها عظيمة برؤية قدرها فرق قدر غيرها (وخصالها التي هي الذم) فيها جسيمة ووسيمة

مَعَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَنِسْيَانُ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْأَمْنُ مِنَ الزَّوَالِ فَمَنْ رَأَى
النُّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَفَرِحَ بِهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مِنْهُ وَخَافَ عَلَى الزَّوَالِ لَا يَكُونُ مُعْجَبًا
وَهُوَ غَيْرُ الْإِدْلَالِ فَهُوَ مُعْجَبٌ مَعَ رُؤْيَا حَقِّ النَّفْسِ عِنْدَهُ تَعَالَى، فَوَرَدَ «أَنَّ صَلَاةَ
الْمُدْلِ لَا تَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ، وَيَعْرِفُ بِالتَّعَجُّبِ عَنْ رَدِّ دُعَائِهِ وَاسْتِقَامَةِ حَالِ
مُؤْذِيهِ وَغَيْرِ الْكِبَرِ لَكُونِهِ أَثَرُهُ وَاسْتِدْعَائِهِ الْمُتَكَبِّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْمُومٌ وَآفَاتُهُ
الْهَلَاكُ فَهُوَ عَدَمٌ مِنَ الْمُهْلَكَاتِ

(مع الركون إليها) أي إلى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الإضافة) أي نسبة
النعم (إليه تعالى) وهو المنعم بجميع النعم على جميع الأمم (والأمن من الزوال) لتوهم
أنه من أهل الكمال (فمن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرح بها من حيث أنها منه) أي من
الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وثناء (وخاف على الزوال) أي زوال تلك النعمة انتفاء
(لا يكون معجبا) وإن كان مستعظما لها (وهو) أي المعجب (غير الإدلال فهو) أي
الإدلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على عظة أن لها الكمال، فلا مدل
إلا وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا، إذا العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
دون توقع جزاء، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء (فورد إن صلاة المدل لا ترفع فوق
رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها، والحديث كذا في الأحياء، وقال مخرجه لم أجده أصلا،
وقال قتادة في قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أي لا تدل بعملك بقل: ولأن تضحك وأنت
معتزف بذنبك خير من أن تبكى وأنت مدل بعملك أو بعلمك (ويعرف) أي الإدلال
والمدل (بالتعجب) أي بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه في كشف بلائه أو استجلاب
عطائه بناء على ظن أنه من أهل ولائه (واستقامة حال مؤذيه) أي ويعرف أيضا بتعجبه
عن استقامة أهل أيدائه (وغير الكبر) أي والعجب ليس عين الكبر بل غيره (لكونه)
أي الكبر (أثره) أي المعجب والآثر غير المؤثر (واستدعائه) أي ولا استدعائه الكبر
(المتكبر عليه) بخلاف العجب فإنه يتصور بغيره حيث لا يستدعي غير المعجب به
(وهو) أي المعجب (مذموم) لما تقدم (وآفاته) أي العجب ثمانية (الهلاك فهو)
أي العجب (عد من المهلكات) فقد ورد «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع

وَنَسِيَانُ الذُّنُوبِ وَاسْتَحْقَارُهَا وَتَرْكُ التَّدَارُكِ وَتَفَقُّدُ آفَاتِ الْعَمَلِ عَلَى زَعْمِ
 أَنَّهُ مَغْفُورٌ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِنكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالِاتِّعَازُ وَتَرْكِ
 النَّفْسِ، وَوَرَدَ (فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ) وَضِدُّهُ وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى فَرَضَ أَنْ
 حَدَثَ دَاعِيَةُ الْعُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالْإِفْقَلُ، وَالسَّبَبُ خَبَثُ الطَّبَعِ وَهُوَ دَاءٌ
 مُعْضَلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَالِ النَّفْسِ

وَأعجاب المرء بنفسه» البزار والبيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر ((ونسيان
 الذنوب)) فانه لو ذكرها لما أعجب مع وجود العيوب . وعن عيسى عليه السلام :
 «كم من سراج قد أطفأه نسيان الذنوب» وكم من عمل قد أفسده العجب» ((واستحقارها))
 أى استصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها ((وترك التدارك)) أى لما فاته من الطاعات
 والعبادات وحقوق الآدميين والحيوانات ((وتفقد آفات العمل)) أى وترك تفقدها
 وتعهدتها ((على زعم أنه مغفور)) أى بناء على توهم أنه غير مأخوذ بنقصها ((والأمن
 من مكره تعالى)) ولو بالكرامات وخوارق العادات (فانه لا يأمن مكر الله الا القوم
 الخاسرون) ((والاستنكاف)) أى العار ((من التعلم)) عن الأبرار وهذا من كمال جهله
 ((والاتعاز)) أى رمن الاتعاض بغيره وقد ورد كفى بالموت واعطاء السعيد من وعظ بغيره
 والشقى من وعظ به غيره، ((وتزكية النفس)) أى ومن آفات العجب ثناؤها ومدحها
 ((وورد)) فى التنزيل ((فلا تزكوا أنفسكم)) تمامه (هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى: (ونفس
 وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكيا وقد خاب من دسيا) وقال
 عليه السلام اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكيا أنت وإياها ومولاها،
 قال ابن جريج: معنى قوله فلا تزكوا أنفسكم إذا عملت خيراً لا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم
 لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ((وضده)) مبتداً أى ضد العجب
 ((وهو ذكر توفيقه تعالى)) جملة معترضة مفسرة للمنة التى هى ضد العجب ((فرض))
 أى حتم لازم ((ان حدث داعية العجب فى خاطره والافقل)) فى أمر باطنه وظاهره
 ((والسبب)) أى سبب العجب ((خبث الطبع وهو)) أى خبث الطبع ((داء)) معنوى
 ((معضل)) أى مشكل لا دواء له ((والجهل بالحقائق واعتقاد كمال النفس)) أى بحقائق
 النفس ودقائقها وهو أنها من أى شئ خلقت ابتداء وما تكون فى عاقبة أمرها انتهاء، فانه

وَالْعِلَاجُ قَلَمُ السَّبَبِ بِالنَّظَرِ فِي حَقَّارَةِ النَّفْسِ فَأَوَّلُهَا النُّطْفَةُ وَآخِرُهَا الْجِيفَةُ وَأَنَّهُ

مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فإنه لا يليق به إلا التواضع والمسكنة ، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله وحده ، ثم معرفة ربه وعظمته ومجده ، فالقول فيه يطول وهو إلى علم المكاشفة يؤل . وأما معرفة نفسه فيكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب ربه فيه علم الأواين والآخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى (قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السيل يسره ثم أماته فأنبره ثم إذا شاء أنشره) وفي الأحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جليل (والعلاج) للعجب (قلم السبب) له (بالنظر) أي بالتأمل (في حقارة النفس) وخساستها (فأولها النطفة) أي المذرة لما قال تعالى : (فليظفر الإنسان من خاق خاق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) (وآخرها الجيفة) أي القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وعن الحسن : العجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات ، وكان الاحنف بن قيس يجلس مع صعب بن الزبير على سريرته ، فجاءه يوما وصعب ، ادرج عليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحه بدض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه ، فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقيل في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) هو سبيل الغائط والبول ، وفي قوله تعالى : (تأم يا كلان الطعام) أيما إلى أنهما يبولان ويغوطان (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) أي يصرفون عن الحق ولا يعرفون أنهما لا يستحقان الروية مع ما ظهر فيهما من أثر العبودية ، ولابن ماجه والحاكم وصحاح إسناده من حديث بشر بن جاش : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله : إن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وتيد - أي رزاة وثقالة - جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني . أو ان الصدقة منك ، ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال : يا أبا عبد الله هذه مشية يبعثها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني . فقال لي اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذينك عذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته . وقال مجاهد في قوله تعالى : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يتبختر ثم قال عز وعلا : (يحسب الإنسان ان يترك سدى ألم بك نطفة من منى يعني ثم كان علقة مخلوق فسوى) (وأنه) أي وبالنظر

لَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى امِيرِ الْبَلَدَةِ رَبِّمَا لَا يَأْذَنُ لَهُ وَأَحْوَالُهَا الْهَاجَةِ كَالْحَنِّ وَالشَّدَائِدِ

في انه (لو استأذن) للدخول (على امير البلدة ربما لا يأذن له) اى لحقارته عنده ،
فاى فائدة في عجزه بنفسه والامير من ارذل الخدام على باب الملك العلام ، وقد اذن
الله سبحانه حتى يعبد له به ويثنى عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه مع معايبهما ووعد
به من الثواب الجزيل على ادائهما في اقل مراتبهما (واحوالها) اى وبالنظر في احوال
النفس (الهاجة) اى الآتية بغتة بالورود عليها والوجود لديها (كالحن والشدائد)
المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب ، فربما يتعجب من تفاوت المراتب
اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره ، فيقول
منع من قوت يومى وانا الفاضل العاقل ، وافاض على غيرى وهو الجاهل الغافل ،
حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام « ناد الفقر ان يكون كفرا »
ولا يدري المغرور بعلمه المعذور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان
ذلك بالظلم اشب في ظاهر الحال ، اذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل
والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهمالى او هلا رزقتنى احدهما ، والى هذا اشار على
كرم الله وجهه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء . فقال : ان عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ،
ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لا تمتنع من ذلك ، ومن
هنا قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات) الآيات . وقال عز و علا (كل حزب بما لديهم فرحون) وفي الحديث « اللهم
قننى بما رزقتنى » والله در القائل .

رضينا قسمة الجبار فينا ه لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب ه وان العلم يبقى لا يزال

وقال عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)
اى ممنوعا عن احد من خاقه وقال (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا) فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما . وقد
رأى النبى ﷺ رجلا غنيا جالس لجنبه فقير فاقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه
السلام « أخشيت ان يعدر عليك فقره » رواه أحمد . وقال أبوذر : « كنت مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى
فاذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه خلقان

وَأَعْمَالَهَا فَأَجْرُهُ أَجِيرٌ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَحْرُسُ طُولَ اللَّيْلِ دُرْهَمَانِ وَإِنَّمَا
يُعْطَى الْمَالُ الْخَسِيسُ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْأَخْطَارِ، وَكَرَمِهِ تَعَالَى
بِالتَّوْفِيقِ وَوَعْدِهِ الثَّوَابِ الْمُخَلَّدَ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَعَ
جَلَالِهِ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ عَنْ ادْرَاكِهِ، وَبِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْكَمَالَ الدُّنْيَوِيَّ وَهْمِيٌّ
كَمَا سَبَقَ وَالْدِّينِيَّ يُنَافِيهِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى

فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ هَذَا خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَرَابِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ
﴿وَأَعْمَالُهَا﴾ أَيُّ وَبِالنَّظَرِ فِي أَعْمَالِ النَّفْسِ أَيُّ مِنْ أَعْمَالِهَا وَأَهْمَالِهَا ﴿وَأَجْرُهُ أَجِيرٌ﴾
يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَحْرُسُ ﴿ذَلِكَ الْأَجِيرُ﴾ طُولَ اللَّيْلِ دُرْهَمَانِ ﴿أَيُّ لَذَلِكَ الْأَجِيرِ أَوْ
أَكُلَ مِنْهُمَا، إِذْ يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِنَّمَا صَارَتْ ذَاتَ قِيَمَةٍ لِمَا وَقَعَ مِنْ اللَّهِ فِي مَوْقِعِ الرِّضَا
وَالْقَبُولِ وَالْإِفْجَارِ أَجْرُ الْأَجِيرِ الْمَعْمُولِ، وَبِهِ يَعْرِفُ نَقْصَانَ كَمَالِهَا فَيُضْعَفُ حَيْثُ نَزَّ
بَعْضُ دَلَالِهَا ﴿وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمَالُ الْخَسِيسُ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ﴾ فِي الْعَمَلِ الْفَاسِدِ
﴿وَالْإِلْقَاءُ فِي الْأَخْطَارِ﴾ كَالْغُرُوصِ فِي الْمَاءِ وَتَعْلِيقُ الْبِنَاءِ مِنْ جَانِبِ الْهَوَاءِ فِي جَوْ
السَّمَاءِ، وَأَنْتَ تَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي غَمَضَةِ الْعَيْنِ بِقُوَّةِ مَا عَاطَاكَ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ، وَتَطْعَمُ مَا وَعَدَكَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْذَاخِرَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَتَعْجَبُ مِنْهُمَا
وَتُسْتَغْظَمُهُمَا وَلَيْسَ هَذَا شَأْنُ الْعَاقِلِ ﴿وَكَرَمِهِ تَعَالَى﴾ أَيُّ وَبِالنَّظَرِ إِلَى كَرَمِهِ
وَلَطْفِهِ ﴿بِالتَّوْفِيقِ﴾ أَيُّ بِالْإِعَانَةِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَوَعْدِهِ﴾ أَيُّ وَبِوَعْدِهِ سُبْحَانَهُ
﴿الثَّوَابِ الْمُخَلَّدِ﴾ أَيُّ الْمُؤَبَّدِ مَا لَا يَبِيدُ رَأَتْ وَلَا أَذِنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ
كَأَنَّ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ ﴿عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ﴾ فِي حَدِّ ذَاتِهِ الْخُلُوطِ بِسَائِرِ سَيِّئَاتِهِ
﴿وَالنَّظَرُ﴾ أَيُّ وَكَرَمِهِ بِنَظَرِهِ ﴿إِلَيْهِ﴾ وَاقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ فِي مَقْدَارِهِ ﴿مَعَ
جَلَالِهِ﴾ أَيُّ عَظَمَةِ اللَّهِ فِي جَمَالِهِ ﴿الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ﴿عَنْ
ادْرَاكِهِ﴾ أَيُّ ادْرَاكِ كُنْهِهِ كَمَالِهِ ﴿وَبِمَعْرِفَةِ﴾ عَطْفَ عَلَى النَّظَرِ أَيُّ وَبِعِلْمِ ﴿أَنَّ الْكَمَالَ
الدُّنْيَوِيَّ﴾ مِنَ النِّسْبِ وَالْجَمَالِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَالِ وَكَثْرَةِ الْأَنْصَارِ مِنَ الرِّجَالِ
﴿وَهَمِيٌّ﴾ لِزَوَالِهِ بِالمَوْتِ فِي مَا آلَهُ ﴿كَمَا سَبَقَ﴾ فِي حُبِّ الْجَاهِ ﴿وَالدِّينِيَّ﴾ مِنَ
الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿يُنَافِيهِ﴾ أَيُّ الْعَجَبِ ﴿فَالْعِلْمُ النَّافِعُ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
﴿مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وَوَرَدَ

وَلَا عِبْرَةَ لغيرِهِ وَلَا عَمَلَ دُونَهُ فَهُوَ شَرْطُهُ هَذَا وَلَا يَصْلَحُ النَّسَبُ لِلتَّعْوِيلِ فَهُوَ تَعَزُّزٌ
بِالْغَيْرِ وَوَرَدَ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
إِعْمَالًا لَا نَفْسُكَ فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكَ مَا شِئْتَ، حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ)

« انا اعلمكم بالله واخشاكم منه » ومن لم يزد من العلم زهدا لم يزد من الله الا بعدا
(ولا عبرة لغيره) اي اغير العلم النافع فقد تعوز منه عليه السلام حيث قال « اسألك
علما نافعا » « واعوذ بك من علم لا ينفع » واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية،
واما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق
المجادلات، فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلا بها امتلا بها كبرا وشقا قابل كفرا ونفاقا، وهذه
العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما (ولا عمل) موجود (دونه)
اي بدون العلم (فهو) اي العلم (شرطه) اي العمل صحة ركالا فلا يستقيم لغيره
في جميع عمره (هذا) الكلام مضي، او احفظ هذا (ولا يصالح النسب) اي المجرد
عن الحسب (للتعويل) اي الاعتماد عليه والاستناد اليه (فهو تعزز بالغير) اي
بغيره سبحانه، فروى « من تعزز بالعبيد اذله الله » ولا ي داود والترمذي وحسنه
وابن حبان من حديث ابي هريرة « ليد عن قوم الفخر يا بائهم وقد صاروا خما في
جهنم او ليكونن اهلون على الله من الجعلان الذي تزوف بانافها القذر » وتفاخرت
قريش عند سلمان يوما فقال : لكنى خلقت من نطفة فذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم
ما الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لثيم، وروى ابن المبارك « عن
ابي ذر قال قاوت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له : يا ابن السوداء فقال عليه السلام :
يا اباذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه، ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل »
قال ابو ذر : فاصطحبت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى . والله در القاتل :

اثن نخرت باباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا
(وورد) في التنزيل (فلا أنساب بينهم) تمامه (يومئذ ولا يتساءلون فمن
ثقلت موازينه) الآيات (يا فاطمة بنت محمد ويا صافية بنت عبد المطلب اعمالا لا نفسا كما
فاني لا اغني) اي لا ادفع (عنك شيئا) اي من العذاب (حين) اي خاطبهما
حين (نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين) ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة

وَلَا الْجَمَالَ فَلَا عَتَبَ لِلْبَاطِنِ وَهِيَ مَمْلُوءَانِ بِالْأَقْدَارِ وَالرِّذَائِلِ، وَلَا الْمَالَ وَلَا الْقُوَّةَ
وَلَا الْإِتِّبَاعَ فَوَرَدَ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) الْآيَةُ (فَقَالَ
لصاحبه وهو يحاوره) الْآيَةُ

وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ناداهم
بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه «الا ان الكما رحما سابلها يبلها» وللطبراني
من حديث عمر ان بن حصين د يامعشر بنى هاشم يأتى الناس بالاعمال يوم القيامة
وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، وقال د اترجو مسلم شفاعتى ولا يرجوها بنوعبد
المطلب، الطبراني فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر (ولا الجمال) اى
ولا يصلح للتعويل الجمال الظاهر المتغير فى المال (فلا اعتبار للباطن) والقلب من
الكمال (وهما مملوءان بالاقدار) الحسية (والرذائل) المعنوية وخاليان عن الفضائل
العلوية والفواضل العملية، وللديلى والقضاعى عن على مرفوعا «آفة العلم النسيان وآفة
الجمال الخلاء» (ولا المال) لانه سريع الزوال (ولا القوة) اذ لا حول ولا قوة
الا بالله، ثم لوسلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه، وان بقية لودخلت انفه او نملة دخلت
اذنه لقتلته، وان شولة لودخلت رجله لا تجزته، وان حى يوم تأخذ من قوة عديدة
مالا تنجبر فى مدة مديدة. ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان، فإى افتخار
بين ارباب العظام بما سبق به البهائم، وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا
قوة (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة) وكما اتكل عوج على قوته
واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتقب الله تلك القطعة
من الجبل حتى صارت فى عنقه كالخرزة، وقد ورد ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب. والحاصل ان القوة المحمودة هى التى تصرف فى العبادة
التي هى وسيلة للسعادة (ولا الاتباع) اى الاشياء الملتزمين للاتباع (فورد)
فى التزويل (حتى اذا فرحوا) اى فرح بطر (بما اوتوا) اى من كثرة المال
وقوة الحال وغلبة الرجال (اخذناهم بغتة) فجأة (الآية) (فاذا هم مبلسون) اى
آيسون متحيرون (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين) (فقال لصاحبه
وهو يحاوره) اى يخاطبه ويناضره (الآية) اى (انا اكثر منك مالا واعز نفرا)
حتى اجابه صاحبه بقوله (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فمسي ربى انت بوثين

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ) الْآيَةُ، وَلَا الْعَمَلُ فَوْرَدَ (وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وَلَا الْعِلْمُ فَلَا طَّلَاعُ عَلَى الذُّنُوبِ الْبَاطِنَةِ صَعْبٌ، وَالْخَاتِمَةُ مَعَ هَذَا مَسْتُورَةٌ

خيرا من جنتك و يرسل عليها حسابا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) ومن ذلك تكبر قارون وتجبره بما اخبر سبحانه عنه بقوله: (نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون) الآيات (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الآية) أى (وصاحبه وبنيه اكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) (ولا العمل) أى المجرد عن القبول (فورد) فى التنزيل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (افن زين له سوء عمله فرآه حسنا) (وبداهم من الله مالم يكو نوايحتسبون وبداهم سيئات ما عملوا) وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله فماله سبيل ان يتكبر على من سواه ، ويشير اليه قوله تعالى: (والذين يؤتون مائتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) أى يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها ، فالكبر دليل الامن والامن مبعث والتواضع دليل الخوف وهو مسعد (ولا العلم) أى المجرد من العمل الظاهر والباطن (فلا طلاع على الذنوب الباطنة صعب) والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك كسب ووهب ، ومن هنا ورد « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد تقدم . وفى الصحيحين « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتنداق اقبابه فيدور بها كإيدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ذى فية قول كنت آبر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية ، وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال فى بلعام بن باعورا (وائل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا) الى قوله (فمثل كمثل الكلب) قال ابن عباس أوتى بلعام كتابا فاخذ الى شهوات الارض أى سكن حبه اليها فمثل بالكلب أن تحمل عليه ياهث أو تتركه ياهث . أى سواء آتته الحكمة أو لم أوته فلا يدع شهوته ، ومن هنا كان بعض الصحابة يقول يا ليتنى لم تلدنى أمى ، وياخذ الآخر تبنة من الأرض ويقول: يا ليتنى كنت هذه التبنة ويقول الآخر: يا ليتنى كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما أشار اليه المصنف بقوله (والخاتمة مع هذه مستورة) والروايات بأن المدار على الخاتمة مشهورة فينبغى للعالم أن يعلم أن التكبر لا يليق الا بالله

وَالْمَعْصِيَةُ الْمُسْتَعْقِبَةُ نَدْمًا خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ الْمُسْتَعْقِبَةِ عَجْبًا لِأَضْمَحْلَاهَا مَعَ حُصُولِ
النَّدَامَةِ وَوَرَدَ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَنْجِيهِ عَمَلُهُ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعِمَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»

وحده وإنه إذا تكبر صار عقوقنا عند الله بغضاً، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن
لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً، وإذا نظر إلى العاقبة تيسر له أن يتواضع للفسقة
والمبتدعة بل للكفرة. فكم من مسلم نظر إلى عمر بن الخطاب قبل إسلامه فاستحققه للكفر وقد
رزقه الإيمان وفاق أكثر أهل الأيمان، فإذا حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل أن ينظر إلى جاهل
قال: إنه قد عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم فهو أعذر مني، وإن نظر إلى عالم قال
قد علم ما لم أعلم، وإن نظر إلى كبير قال قد أطاع الله قبل، وإن نظر إلى صغير قال:
قد عصيت الله قبله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالإسلام
ويختم لي بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية إلى ما لم يكن ابتداءً لها
إلى كل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة
الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الأمور الفانية ((والمعصية المستعقبة ندمًا))
أي ندامة وحسرة ((خير من الطاعة المستعقبة عجبًا)) أي غرور أو غفلة ((لا ضمحلاها))
أي لذهاب المعصية ((مع حصول الندامة)) وبقا. المعجب بالطاعة من غير الملامة وهو
أكبر من كل سيئة وفي الحكم معصية أورثت ذلاً واستغفاراً خير من طاعة أورثت عزاً
واستكباراً ((وورد ما منكم من أحد ينجيه عمله)) أي من غير قبوله بفضل ((ولأنا)) أي
ولا ينجيني عملي أيضاً ((إلا أن يتعمدني الله برحمته)) متفق عليه من حديث أبي هريرة
هذا، وفي الأحياء: قد صلى حذيفة يقوم فلما سلم قال: لتتضمنن أماً ما غيري أو لتصلن
وجدانا إنى رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم
من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعرف على بساط الأرض عالماً
يستحق أن يسمى عالماً ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان رجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي أن يفارق، بل يكون النظر إليه من العبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه
واحواله، ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء لأن أشملنا بركته وتسرى
إلينا سيرته وسجيته، وهيئات فاني يسمع آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الأقيال وأصحاب
الدول، وقد انقرضوا في القرن الأول ومن يليهم من أهل العلم والعمل، بل يعز في
زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك

(البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدَقِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْإِخْلَاصُ تَجْرِيدُ النِّيَّةِ عَنِ الشُّوبِ فَلَا أَعْلَى
إِرَادَةَ وَجْهِهِ تَعَالَى، وَيُعَرَّفُ بِالتَّفَكُّرِ

أيضاً لما معدوم أو عزيز ، ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما ائتم عليه نجا» كما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة. واحمد عن أبي ذر لكان جديرا بنا أن نفتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء اعمالنا، ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ، وليتنا تمسك بعشره . ونسال الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله .

(البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدَقِ)

أي الصدق في الاخلاص الذي هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة (بسم الله الرحمن الرحيم) الذي به يحصل المناص في الدنيا والاخلاص في العقبى (الاخلاص تجريد النية) وهي الإرادة المتوسطة بين العلم والعمل ، ويطلق عليها القصد (عن الشوب) أي خلطة الرياء والسمعة ، أي عن شائبة غخالطة النفس بها ومن شوائبها ومعايبها ان تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت رتبهم ، او تعجب بكمالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها . وله مراتب عند اهل المناقب (فالاعلى) أي اعلى مراتب الاخلاص للمولى (إرادة وجهه تعالى) أي قصد رضاه في الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى : (يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقال عز وعلا : (وما لا حد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) وقال (انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقال (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه ، الحالم من حديث طاوس مرسلا «قال رجل انى اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية» وللإزار من حديث معاذ «من صام رياء فقد اشرك» وفيه انه عليه السلام تلا هذه الآية . وعن رابعة : وحقق ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك (ويعرف) أي الاخلاص الاعلى (بالتفكر

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْمُنَاجَاةِ ثُمَّ ارَادَةَ نَفْعِ الْآخِرَةِ فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ، وَوَرَدَ فِي حَقِيقَتِهِ «أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ» خَالِصُ الْأَعْمَالِ هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ (اِى فِى مَصْنُوعَاتِهِ) (وَالْمُنَاجَاةِ) مَعَ رَبِّهِ فِى جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : فِى اخْلَاصِ سَاعَةِ نَجَاةِ الْآبِدِ . وَلَكِنْ الْاِخْلَاصُ عَزِيزٌ . قَالَ عَزْرُوجَل : (اَللّٰهُ الدِّينُ الْخَالِصُ) وَلِلدَّيْلَمِى مِنْ حَدِيثٍ مُعَاذِ الْاِخْلَاصِ الْعَمَلُ يَجْزُكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ ، وَابْنُ عَدِى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُوسَى « مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْلُصُ لِلّٰهِ اَرْبَعِينَ يَوْمًا اَلَا ظَهَرَتْ يَنَاسِيعُ الْحَكَمِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » وَكَانَ مَعْرُوفُ الْكِرْخِى يَضْرِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ اخْلُصِي تَخْلُصِي . وَقَالَ يَعْقُوبُ الْمَكْفُوفُ : الْمَخْلُصُ مَنْ يَلْتَمِسُ حَسَنَاتِهِ كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : طُوبَى لِمَنْ صَحَّتْ لَهُ خَطَاوَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يَرِيدُ بِهَا اِلَّا اَللّٰهُ تَعَالَى ، وَيُشِيرُ اِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَانْ تَكْ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُثِّرْ مِنْ لَدُنْهِ اَجْرًا عَظِيمًا) (ثُمَّ ارَادَةَ نَفْعِ الْآخِرَةِ) سِوَاهُ ارَادَةِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَدَرَجَاتِ الْاِبْرَارِ (فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ) اِى فِى الْجُمْلَةِ فَهُوَ حَظٌّ عَنْ مَرْتَبَةِ الْاَحْرَارِ (وَوَرَدَ فِى حَقِيقَتِهِ) اِى حَقِيقَةُ الْاِخْلَاصِ اَوْ فِى تَحْقِيقِهِ فِى الْاَشْخَاصِ (اَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ) اِى لَا تَعْبُدْ هَوَاكَ وَنَفْسَكَ وَلَا تَعْبُدِ الْاَرْبَابَ وَتَسْتَقِيمَ فِى عِبَادَتِهِ كَمَا أَمَرْتُ بِاسْتِقَامَتِهِ ، فِى الْاَحْيَاءِ سُئِلَ عَلَيْهِ الْاِسْلَامُ عَنْ الْاِخْلَاصِ فَقَالَ : « اَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ » قَالَ مَخْرُجُهُ : لَمْ اَرَهُ بِهَذَا الْمَلْفُظِ . وَلِلتِّرْمِذِ وَصَحِّحَهُ وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ سَقْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ اَعْتَصِمُ بِهِ ، قَالَ : قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِم » وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِمَلْفُظٍ « قُلْ لِي فِي الْاِسْلَامِ قَوْلًا لَا اَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ : قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم » وَالْكَلِّ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا) الْآيَتَيْنِ وَمِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَعَلَا (فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ) (خَالِصُ الْأَعْمَالِ) اِى وَوَرَدَ خَالِصُ الْأَعْمَالِ اِى الْعَمَلُ الْخَالِصُ (هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) وَلَمْ اَعْرِفْ لَهُ اَصْلًا فِي الْمَرْفُوعِ ، نَعَمْ وَرَدَ عَنْ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اَنَّهُ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ : مَا الْخَالِصُ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟ قَالَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ لَا يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . وَهَذَا الْمَعْنَى فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ

وَفِي فَضْلِهِ (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) الْإِخْلَاصُ سِرٌّ اسْتَوْدَعَتْهُ قَلْبٌ مِنْ أَحَبِّتْ مِنْ عِبَادِي وَأَصْلُهُ النِّيَّةُ وَهِيَ الْإِرَادَةُ الْبَاعِثَةُ لِلْأَعْمَالِ الْمُنْبَعِثَةِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَحَقُّقِهِ وَدَفْعِهِ الْجُوعَ الْبَاعِثَةَ لِامْتِدَادِ الْيَدِ إِلَيْهِ

في تعريف الاخلاص ، وتكون معترضة . وقد قال بعضهم : كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرم الى فوجدته لاعلى ولالى ، قال سفيان لما سمع هذا : ما احسن حاله لديه . ان لم يكن عليه نقد احسن اليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتبيين اللبن من الفرث والدم . وقال سهل : الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة . قال السوسي : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص ، لان من يشاهد في اخلاصه الخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى خلاص . والى المقامين يشير قوله تعالى : (الاعبادك منهم المخلصين) بكسر اللام وفتحها . وقال رويم : الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين . وقيل لسهل : اى شئ اشد على النفس ؟ فقال : الاخلاص ، اذ ليس لها فيه نصيب . وقال ابو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق . وقيل : الاخلاص ما امتنعت عن العلائق وصنى عن العلائق . وقال الجنيد : الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال : وقال الفضيل : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك ، والاخلاص ان يعافيك الله عنهما . وهذا افضل ما قيل في هذا الباب (وفي فضله) اى وورد في فضل الاخلاص في التنزيل (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين) اى له الدين ، فتقيد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص (الاخلاص) اى وورد في الحديث القدسي والكلام الاتسى : الاخلاص (سرى استودعته قلب من احببت من عبادي) رواه القشيري في رسالته من حديث علي كرم الله وجهه (واصله) اى اصل الاخلاص (النية) اى تصحيحها وتحسينها (وهى) اى النية (الزادة الباعثة) اى الداعية (للاعمال المنبعثة) اى تلك النية (عن المعرفة) بالاحوال فعنى الارادة انبعث القلب الى ما يراه . وانما لغرضه المعروف بعوضه اما في الحال واما في الآل (كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحقيقه) اى الطعام (ودفعه) اى وعن المعرفة بدفع الطعام (الجوع الباعثة) بالجر صفة بعد صفة للشهوة ، اى الداعية (لامتداد اليد اليه)

فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْإِخْتِيَارِ فَرَسٌ وَطِيءَ لَغْلَبَةُ الشَّهْوَةِ أَنِّي يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ الْحَسِيُّ
أَوِ النَّفْسِيُّ نَوَيْتُ بِهِ إِقَامَةَ السُّنَّةِ وَتَكْثِيرَ الْأُمَّةِ، وَهِيَ أَحَدُ جُزْئِي الْعِبَادَةِ

فإن امتداد اليد الى الطعام إنما يكون بعد المعرفة بتحقيق الطعام وبأنه دافع للجوع
عن الانام لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار (فلا تدخل) اي النية
(تحت الاختيار) بل الداخل تحت الاختيار إنما هو المؤثر . وتوضيحه ان كل
عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور : دلم، وارادة، وقدرة ، لانه لا يريد الانسان
مالا يعلمه فلا بد ان يعلم ، ولا يعمل مالم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث
يوافقه بعض الامور ويلاتم غرضه ، ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج الى جاب
الملائم الموافق لقلبه الهاثم (فن وطىء) المراد (لغلبة الشهوة) عليه في تلك
الحالة (أنى ينفعه قوله الحسى) اي اللسانى (او النفسى) اي الجنانى (نويت
به) اي بالوطء (اقامة السنة وتكثير الامة) ومن هنا ورد « الشرك اخفى في
قاب ابن آدم من ديب النملة السوداء ، في الظلمة الظلمات ، على الصخرة الصماء » رواه
احمد وغيره . ولهذا امتنع جماعة من الساف من جملة الطائعات اذالم يحضروهم تصحيح
النيات لعلمهم بان النية روح العمل ، وان العمل بغير نية صادة رياء وتكلف ، وهو
سبب مقت لا باعث قرب ، حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى ،
وقال : ليس تحضرني نية . ومات حماد بن ابي ساجان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ
ابى حنيفة ، فقيل للثوري : الا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لي نية لفعلت ، وكانوا اذا
ستلوا عملا من اعمال البر قالوا : ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك . وحكى ان داود
ابن المحبر لما صنف كتاب المعتقد جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا
فرده ، فقال له : مالك ؟ قال فيه اسانيد ضعاف ، فقال داود : انالم اخرجك على الاسانيد
فانظر فيه بعين الخبر ، انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت . قال احمد فرده على حتى
انظر فيه بالعين التي نظرت بها اليه ؛ فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا
قد انتفعت به . وقال بعضهم : انافى طالب نية لعبادة رجل منذ شهر فاصحت لى بعد . وقال
عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت ، فقال له ابنه
الا تعرض عليّ العشاء ؟ فقال : ليس من نيتي (وهى) اي النية (أحد جزئى العبادة) اي

فِي تَوَقُّفِ عَلَيْهَا تَوَقُّفَهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَوَرَدَ « اِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوِي » وَخَيْرُهُمَا لَوْ رُودِ « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ »

ركنيتها وهما النية والعمل (فهى) أى العبادة (تتوقف عليها) أى على النية (توقفها) أى مثل توقف النية (على العمل) لأن العبادة بدون النية لا تسمى عبادة فالنية خيرها ، ويتوقف العمل عليها دون العكس (وورد) أى فى الصحيحين من الروايات (انما الاعمال بالنيات) أى معتبرة بهما فى جميع الحالات (ولكل امرى مانوى) أى من الخير والشر فى المباحات وتماه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، (وخيرهما) أى والنية أفضل جزئى العبادة (لورود نية المؤمن خير من عمله) رواه البيهقى فى الشعب عن أنس به مرفوعا. وذلك لأن النية عمل السر ولا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ولأنها تمتد الى ما لانهاية له والعمل محصور فى محسوله ، ولأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب ، بخلاف أعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية ، لحديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » متفق عليه ولأنها تبقى ، بخلاف العمل ولذا قيل : الخلود فى الجنان والنار جزاء النية ، ولأن مكانها مكان المعرفة أعنى قلب المؤمن ، قال سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره العلى : ما خلق الله تعالى مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته ، فجعل الاعز فى الاعز فما نشأ من أعز الامكنة يكون أعز مما نشأ من غيره ، قال سهل : فتعس عبد اشغل المكان الذى هو أعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه ، وفى خبر « انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعنى ارضى ولا سمانى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » اشعار بذلك . وقيل : نية المؤمن خير من عمله ، وعمل المنافق خير من نيته . وقيل : نية المؤمن خير من عمله بغير نية ، ثم قيل للقلب عملان : النية والندامة ، فالنية تجعل المعدوم موجودا ، والندم يجعل العصيان الموجود معدوما . وما ورد فى نفع النية بدون فى النية بدون العمل حديث أنس « ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطننا موطننا يعيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا بخبة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله

وَتَوَقَّفْ نَفْعَ الْعَمَلِ عَلَيْهَا دُونَ الْعَكْسِ فَوَرَدَ فِي الْمُقَاتَلَيْنِ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِي النَّارِ
وَبَيْنَ عِلَّةِ الْمَقْتُولِ أَنَّهُ قَصَدَ الرِّيَاءَ وَفِيهِمْ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَصَابَ مَا لَا يَنْفِقُ فِي الْمَعْصِيَةِ
أَنَّهُ شَرِيكَ الْمُنْفِقِ فِيهَا فِي الْوِزْرِ وَكَوْنُ الشَّرَابِ لِعِلَاجِ الْمَعِدَةِ أَنْفَعُ مِنْ
الطَّلَاءِ عَلَى الصَّدْرِ

وليسوا معنا . قال : حبسهم العذر فشركونا بحسن النية « البخارى مختصرا و ابو داود
(وتوقف) اى ويتوقف (نفع العمل) اى تأثيره طاعة او معصية (عليها)
اى النية (دون العكس) اذ لا يتوقف نفع النية على وجود كل عمل (فورد في
المقاتلين) اى فى حقهما (ان القاتل والمقتول فى النار ، وبين) اى النبى عليه السلام
(علة المقتول) اى فى دخوله النار (انه قصد الرياء) كذا فى النسخ ، والظاهر
انه قصد قتل اخيه لادفعه عن نفسه ، او اراد بالقاتل الكافر والمقتول المسلم المرائى ،
ويؤيد ما اخترناه حديث الاحنف عن ابى بكرة « اذا التقى المسلمان سيفيهما فالقاتل
والمقتول فى النار ، قلوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه ، متفق عليه ، ولا بن ابى الدنيا من حديث عمر « انما يبعث المقتولون على النيات ،
ولمسلم من حديث جابر « يبعث الله كل عبد على ما مات عليه ، ويؤيده ما فى الاصل حديث
« اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفيين الله اعلم بنيتة » احمد من
حديث ابن مسعود (وفيمن) اى وورد فيمن (تمنى ان لو اصاب ما لا ينفق فى
المعصية) اى مقدرة (انه شريك المنفق فيها) اى فى المعصية حقيقة (فى الوزر)
اى فهما فى الوزر سواء ، ومفهومة ان لو اصاب ما لا ينفق فى الطاعة انه شريك المنفق
فيها ، فهما فى الاجر سواء ، فقد ورد « الناس اربعة : رجل آتاه الله علما وما لا فهو
يعمل بعلمه فيقول لو آتاني الله ما آتاه لعلمت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ،
ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بحمله فى ماله فيقول لو آتاني
الله مثل ما آتاه لعلمت كما يفعل فهما فى الوزر سواء » ابن ماجه . والترمذى (وكون
الشراب) اى ولكون شرب المعجون (لعلاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر)
لسرعة تأثير الاول وبطء الثانى فى العمل . ووجه كونه علة لمشابهة الشراب الداخلى
فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انها من الامور الباطنة ، ولمشابهة الطلاء
الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انها من الامور الظاهرة

بَلْ هِيَ الْأَصْلُ لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْعَمَلِ تَأْتِرُ الْقَلْبَ بِالْمِيلِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَنْ
الْغَيْرِ فُورَدَ . (أَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) وَوَقَعَ
الْإِجْمَاعُ عَلَى إِثْمِ الْجَمَاعِ أَمْرَاتُهُ عَلَى قَصْدِ أَنَّهَا غَيْرُهَا بِخِلَافِ الْجَمَاعِ غَيْرُهَا عَلَى
قَصْدِ أَنَّهَا هِيَ وَإِثْمُ الْمَصْلِيِّ الْمُتَوَضِّئِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ مُحَدِّثٌ بِخِلَافِ الْمُحَدِّثِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ
مُتَوَضِّئٌ . وَهِيَ أَمَّا وَاحِدٌ وَهُوَ الْخَالِصُ كَالْقِيَامِ لِلْأَكْرَامِ وَأَمَّا مُتَعَدِّدٌ كَالْتَصَدَّقِ
لِلْفَقِيرِ وَالْقَرَابَةِ فَأَمَّا لَا يَسْتَقِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَيُعْرَفُ بِالْإِمْتِنَاعِ عِنْدَ انْفِرَادٍ أَحَدٍ مِنَ
الْمَقَاصِدِ أَوْ يَسْتَقِلُّ مُتَسَاوِيًا

(بل) هو اضراب عن قوله وخيرهما (هي) أي النية (الأصل) وما سواها الفرع
(لكون المقصود من العمل تأثر القلب بالميل إليه تعالى عن الغير) أي عما سوى
الرب وذلك التأثر بالميل إلى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهي الأصل
(فورد) في التذييل (أن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)
وهي إنما تكون في القلب كما قال عليه السلام «والتقوى ههنا وأشار إلى صدره» وفي
الخبر أيضا «أن الله لا ينظر إلى عورتكم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم» (ووقع
الإجماع على إثم الجماعة أمراته على قصد أنها غيرها) أي غير أمراته (بخلاف الجماعة
غيرها) أي غير أمراته (على قصد أنها هي) أي أمراته ، ولا أحد من حديث صهيب
«من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان» (وإثم المصلي) أي
والإجماع على إثم المصلي (المتوضئ على ظن أنه محدث بخلاف المحدث) أي المصلي
(على ظن أنه متوضئ) . وهي (أي النية التي معناها القصد) إما واحد وهو الخالص
عن المشاركة (كالقيام للأكرام) أي أكرام المسلم حال السلام من غير نظر إلى سائر
أوصافه الفخام (وأما متعدد كالتصدق للفقير والقربة) ونحوهما من استحقاق
الصدقة (فأما) أي ثم المتعدد إما (لا يستقل كل شيء) أي من المقصود بنفسه
عند انفراده في باعث العطاء (ويعرف) عدم الاستقلال المذكور (بالإمتناع) أي
بإمتناع النية والقصد (عند انفرد أحد من المقاصد) أي عن الآخر فلا يعطى
الغنى القريب بمجرد قرابته ولا الفقير الأجنبى بمجرد فقره ، وعند الإجماع لا يمتنع
عن العمل فيعطى الفقير القريب (أو يستقل) كل من المقصود (متساويا) بأن

أَوْ مُتَّفَاوَتًا كَقُوَّةِ فَرَحَةِ الْمُصَلِّي عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْجِ الثَّوَابَ
لَمَا صَلَّى، وَيَتَعَدَّدُ الْجَزَاءُ بِتَعَدُّدِهَا خَيْرًا كَانَ كَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ لِلزِّيَارَةِ
وَأَنْتَظَارِ الصَّلَاةِ وَالْإِعْتِكَافِ وَالْإِنْزِوَاءِ وَالتَّجَرُّدِ لِلذِّكْرِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ، أَوْ شَرًّا
كَالْقُعُودِ لِلتَّحَدُّثِ بِالْبَاطِلِ وَمُلاحَظَةِ النِّسَاءِ وَالْمُنَاطَرَةِ لِلْبَهَاهَةِ وَالْمِرَاءَةِ

يكون كل واحد داعيا الى القصد (او متفاوتا) في مراتب القصد او مناقب الاستقلال
فيكون بعضها مستقلا وبهضاها لا يكون مستقلا (كقوة فرحة المصلي عند حضور الناس)
اي بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة في قول المصنف (مع انه لو لم يرج الثواب لما
صلى) وتوضيحه ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات، فاتفق ان
حضر في وقتها جماعة من الناس، فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من
نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلاة، وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد
الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش في تحسين الطوية (ويتعدد الجزاء)
اي الثواب (بتعددتها) اي بمقدار تعدد النية (خيرا كان) المتعدد في النية (كالدخول
في المسجد) اي مسجد كان (للزيرة) اي لزيرة بيت الله او اخ الله فيه، فعنه
عليه السلام «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزورا كرام زائره»
ابن حبان من حديث سلمان، وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة «من غدا الى
المسجد اوراح أعد الله له الجنة نزلا كلما غدا اوراح» (وانتظار الصلاة) اي
لادائها بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى (ورابطوا) وفي الخبر
«انتظار الصلاة صلاة» (والاعتكاف) وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة
مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة، وان كان بمكة فزيادة الطواف، وان كان
بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف (والانزواء) اي الاعتزال عن الاشتغال
بالسوى (والتجرد للذكر) من التهليل والتمجيد والتحميد والثناء (وتترك الذنوب)
ولو كان من باب الحياء فان من العصمة ان لا تقدر على الجفاء (أو شرا) اي او كان المتعدد
شرا (كالقعود فيه) اي في المسجد (للتحدث بالباطل) فان كلام الدنيا في المسجد
يبطل الحسنات في العقبي (وملاحظة النساء) اي ومخالطة المردان يعني الاشتهاه
(والمناظرة للمباهاة) اي المفاخرة (والمراعاة) اي المجادلة للسمعة والرياء وكذا
قصد التنزه في الليلة القمرية، وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابه بمجلس السمر

وَيَجْعَلُ خَيْرَهَا الْمُبَاحَ عِبَادَةً كَالْتَطِيبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاقَامَةِ السُّنَّةِ وَتَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ
وَالْيَوْمِ وَدَفْعِ الْأَذَى بِالْتَنِّ وَالْإِسْرَارِ بِالْعَرَفِ وَسَدِّ بَابِ الْغِيَةِ وَرُبَّمَا تَفْضُلُهُ مِنْ
مَحْضِهَا فَالْتَرَفُ بِنَوْمَةٍ أَوْ دَعَابَةٍ مُبَاحَةٍ لِرَدِّ نَشَاطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَلَالِ
وَشَرُّهَا مَعْصِيَةٌ كَالْتَطِيبِ لِلتَّفَاخُرِ بِإِظْهَارِ الثَّرْوَةِ وَالتَّزِينِ لِلرِّيَاءِ

(و يجعل خيرها) أى خير النية (المباح عبادة كالتطيب) الذى فى أصله مباح بوقوعه
(يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد) فقد قال تعالى : (وطهر بيتى) قيل فى معناه
بخره (واليوم) أى وتعظيمه فانه أفضل أيام الأسبوع بلا خلاف ، وقيل افضل الايام
مطلقا ، وهو عيد المؤمنين وحب المساكين (ودفع الأذى بالتن) أى الريح الخبيثة عن
نفسه وغيره لاسم الملائكة الحاضرون فى وقت (والإسرار بالعرف) بفتح العين ،
أى وبفتح من يجنبه بالريح الطيبة (وسد باب الغيبة) بالريح الكريهة (وربما
تفضله) أى النية المباح (من محضها) أى فيصير المباح بالنية أفضل من العبادة
المحضة (فالترفة) أى التمتع والأسراء (بنومة) قايلة نحو قياولة (أودعابة) أى
من اخ ومطايبة (مباحة لرد نشاط الصلاة أفضل منها) أى من الصلاة (فى الملال)
أى فى حال الكسالة ، فعن أبى الدرداء «انى لا استجم نفسى باللهو ليكون ذلك عونا على
الحق» ويؤيده قول أبى مدين ، لا تنكر الباطل فى طوره ، فانه بعض ظهوراته ، وقد قال
على رضى الله عنه : روحوا القلوب ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت . ومن هنا
حرم الصوم فى بعض الأوقات ، وكذا الصلوات فى الأزمئة المكروهات (وشرها)
أى تجعل شر النية المباح (معصية كالتطيب) المباح فى أصله (للتفاخر بإظهار الثروة)
أى الغنى والنعمة على وجه الكثرة فانه يصير به معصية ، ففى الخبر « من تطيب لله جاء
يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن
من الجيفة » أبو الوليد الصغار مرسلا (والتزين) أى وكالتزين المباح فى أصله
(للىاء) فانه معصية لما انه للعبادة طاعة لقوله تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل
مسجد) وللطبرانى باسناد جيد من حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له هاجر
رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجرام قيس » وللنسائى من حديث عبادة بن
الصامت « من غزا وهو لا ينوى الاعتقالاته ما نرى » ولابى داود باسناد جيد من

وَلَا تُؤْثِّرُ فِي الْحَرَامِ فَلَا يُبَاحُ شُرْبُ الْخَمْرِ لِمُوَافَقَةِ الْإِخْوَانِ

حديث يعلى ابن أمية انه استأجر أجير اللغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام: « وما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيره التي سمي » وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية . ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائي : من كان أكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة ، وكذا الجاهل بعكس ذلك . وقال أبو هريرة « مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل » وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) يبكي ويرددها ، ويقول : انك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا (ولا تؤثر) أي النية (في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الإخوان) ولا لموافقة حكام الزمان ، فقد ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وكالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره ، أو يطعم فقيرا من مال ظلم به ، أو يبني مسجدا أو مدرسة أو رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ، ومن هنا قال سهل : ما نصي الله بمعصية أعظم من الجهل ، قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال نعم ، الجهل بالجهل ، و يسمى هذا الجهل المركب . وكذا أفضل ما أطيع الله به العلم ، ورأس العلم العلم بالعلم ، فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التي هي من وسائلهم الى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم ، والمقصود ان من قصد الخير بمعصيته عن جهل فهو غير معذور قال تعالى : (فاستلوا أهل الذر ان كنتم لاتعلمون) وقال عليه السلام « لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » كما رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر . ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته والحصول في مقام رياسته ، فلم يزل علماء السلف يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا في نقل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ، واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسألة ولم يعمل بها فليس يطالب الا آلة الشر ، وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة ، وما تعوذوا من الفاجر الجاهل . وقد هجر احمد بعض أصحابه الم لازم له سنين بان طين حائط داره ما أخذ من الطريق قدر سمك الطين .

والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه أحدا الا من دق في نظره وسعد بعصمة الله وقدره

وَكَلَّهِ الصَّدَقُ فُورَدَ (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا). «ان الرجل
ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا» وأدنى رتبة في القول في
كُلِّ حَالٍ

وحفظ من خطره ، والا فالعدو ملازم للمشرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم
على الرياء في سكون أو حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة
العبادة ، ولذا قال تعالى : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا
من أصحاب السعير) وقال عز وجل عاخرة عنه انه قال (فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أي من أمور الدنيا والآخرة (وعن
أيمانهم وعن شمائلهم) أي من طريق الحسنات والسيئات (ولا تجدوا كثرة شاكرين)
ولذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة الف سنة من جاهل ، وفي الخبر لهقيه واحد
أشد على الشيطان من ألف عابد » (وماله) أي مال الاخلاص وجماله (الصدق) في
نيته وقوله وعمله ، فمن جمع له هذا يكون صديقا بمبالغة الصادق ، والا فهو صادق أضاف
عند ذرى الحقائق والدقائق ، ويدل عليه حديث « ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند
الله صديقا » متفق عليه (فورد) في التنزيل (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان
صديقا) أي قبل النبوة (نبيا) أي مخبرا عن الله حال الرسالة . ثم الصدق لا ينافي
المعارضة الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان العبارة بمعانيها لا بمبانيها ،
وكان رسول الله ﷺ إذا توجه في سفر وري بغيره كما في الصحيحين من حديث
كعب بن مالك ، وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى عدوه . وقد ورد في الصحيحين أيضا من
حديث أم كلثوم « ليس بكاذب من أصالح بين اثنين وقال خيرا أو تمنى خيرا » ورخص
في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع : من أصالح بين اثنين ، ومن كاذله زوجته ،
ومن كان في مصالح الحرب : فالصدق ههنا يتحول من القول إلى الية فلا يراعى فيه الا
صدق الطوية . فهما صدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف
ما كان لفظه توفيقا (ان الرجل) أي وورد في الحديث (ان الرجل ليصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واذن رتبة) أي أقل مراتب الصدق (في القول)
مع الخبر (في كل حال) من الأمن والخوف والنفع والضرر والغضب والرضاء

وَالْكَأَلُ بِتَرْكِ الْمَعَارِضِ حَذْرًا عَنْ تَفْهِيمٍ غَيْرِ الْحَقِّ وَكَسْبِ الْقَلْبِ صُورَةَ كَاذِبَةٍ
وَرِعَايَتِهِ مَعَهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَهُوَ يَعْبُدُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ

﴿والكأل﴾ أى وبالصدق فى القول ﴿بترك المعارض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة﴾ الا ان الضرورات تبيح المحظورات ، وقد ورد « ان فى المعارض لندوحة عن الكذب ، وقد حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره ، فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع فى الدائرة وقولى ليس هو هنا ﴾ ورعايته ﴿ أى ومراعاة العبد الصدق ﴾ معه ﴿ أى مع الحق ﴾ تعالى فمن قال وجهت وجهى لله ﴿ اولذى فطر السموات والارض حنيفا ﴾ وكان فى قلبه سواه وإياك نعبد ﴿ أى نخصك بالعبادة ﴾ وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ﴿ فى دعواه اختصاص عبادة مولاه ، فان قلبه اذا كان متصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب فى دعواه . وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية أى (إياك نعبد وإياك نستعين) امر من الله لما قرأتها لقدم صدق فىها . وروى : ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله تعالى له كذبت لو كنت اياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سواى ، ولو كنت بى تستغين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك . ولم تركن الى مالك وكسبك . وكقوله : انا عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطالب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو طرب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه ؛ لانه ان كان عبدا لنفسه أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام : يا عبید الدنيا . وقال نبينا ﷺ « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخارى وإنما العبد الحق لله من اعتق أولا نفسه عن غير الله فصار حرا مطلقا . فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله فيشغله بالله وبمحبه وتقيد ظاهره وباطنه لطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته الله من حيث هو هو ، بل يقنع بما يريد الله له من تقرب أو تباعد كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى * فأتارك ما أريد لما يريد

وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه

ثُمَّ فِي النِّيَّةِ بِتَمْحِيزِهَا لِلَّهِ تَعَالَى فَالشُّبُوبُ يَفُوتُهُ يُقَالُ هَذَا صَادِقُ الْحَلَاوَةِ أَيْ
مَحْضُهَا، ثُمَّ فِي الْعَزْمِ وَهُوَ جَزْمٌ قَوِيٌّ عَلَى الْخَيْرِ كَالْتَصَدُّقِ وَالْعَدْلِ أَنْ نَالَ مَالًا
أَوْ وَلَايَةً ثُمَّ فِي الْوَفَاءِ فَالنَّفْسُ قَدْ تَسْمَحُ بِالْعَزْمِ وَتَتَوَانَى بِالْوَفَاءِ، وَوَرَدَ (رِجَالٌ
صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

وصار مفقودا عن نفسه موجودا للسيدة ، ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن ، وان
ابتلاه رضى ولم يبق فيه متمسك لطلب والتماس واغراض واعراض ، بل هو بين يدي الله
كالميت بين يدي الغاسل ، وهذا منتهى الصدق في العبودية وفق ما تقتضيه الربوبية ، وهذا
عزيز الوجود في متن دائرة الشهود فقد قيل :

أَتَمْنِي عَلَى الزَّمَانِ مَحَالًا ۝ أَنْ تَرَى مَقْلَتَايَ طُلْعَةً حُرًّا

(ثم في النية) أي ثم اعلى من الصدق في القول الصدق في النية (بتمحيضها) أي
تخليصها (لله تعالى فالشوب) أي الخلط بغيره في النية (يفوته) أي هذا المقام من
الاخلاص أو الصدق (يقال هذا صادق الحلاوة أي محضها) يعني خالصها (ثم في
العزم) أي ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر (وهو جزم قوي على الخير) أي فعله
وجزم على ترك الشر (كالتصدق والعدل ان نال مالا أو ولاية) وتوضيحه ان
الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا لتصدق بجميعه أو
بشطره ، وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم ادع الله بظلم وميل عن الحق الى
الخلق ، وهو قد يكون صادقا في عزمه وقد يكون كاذبا في عزمه ، ومن الاول قول عمر
رضي الله عنه : لان اقدم فيضرب عنقي في غير حد احب الى ان اتأمر على قوم فيهم أبو بكر
الهم الان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك
فتغير عن عزمها ، اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم . ومن الثاني قول مجاهد : رجلان
خرجا على ملا من الناس فعود فقالا ان رزقنا الله مالا لتصدقن فرزقهما الله فبخلابه
فقرلت (ومنه من عاهد الله لئن آتانا من فضله لتصدقن ولتكونن من الصالحين) الآية
(ثم في الوفاء فالنفس قد تسمع) أي تسخر (بالعزم) عند البيان أي ثم الصدق في الوفاء
لقوى مما ذكر (وتتوانى) أي تأخر وتتأعد (بالوفاء) عند الامتحان (وورد) في
التنزيل (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقد وقف رسول الله ﷺ على مصعب
ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ،

ثُمَّ فِي الْعَمَلِ وَهُوَ تَسْوِيَةُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَاَلْمَاشِي عَلَى هُدُوهِ وَأَنْتَ خَلَا الْبَاطِنُ
عَنِ الْوَقَارِ غَيْرُ صَادِقٍ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ سِرِّيَّتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ . وَفِي
الْبُخَارِيِّ مَجْمَعًا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النُّضْرِ . وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ أَنَسَ بْنَ النُّضْرِ لَمْ يَشْهَدْ بِدِرٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ : أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبَتُ عَنْهُ ، وَاللَّهُ لَئِنْ
أَرَانِي اللَّهَ مَشْهُدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَيْنَ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ فَشَهِدَ أَحَدًا مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ
فَأَسْتَقْبِلُهُ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرٍو إِلَى أَيْنَ فَقَالَ وَاهُ لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَنِي لَا جَدَّهَا
دُونَ أَحَدٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَرَجَدَ فِي جَسَدِهِ بَضْمٌ وَثَمَانُونَ مِائِينَ رَمِيَةٍ وَضَرْبَةٌ وَطَعْنَةٌ فَقَالَتْ
بَنْتُ النُّضْرِ أَخْتُهُ : مَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بَيْنَانَهُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ) أَيْ نَذَرَهُ (ثُمَّ فِي الْعَمَلِ) أَيْ الصَّدَقُ فِي الْعَمَلِ أَعْلَى (وَهُوَ)
أَيْ الصَّدَقُ فِي الْعَمَلِ (تَسْوِيَةُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ) أَنَّ يَكُونَ بَاطِنُهُ مِثْلَ ظَاهِرِهِ وَظَاهِرُهُ
مِثْلَ بَاطِنِهِ وَلِذَا قَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّي خَيْرًا مِنْ عِلَانِيَتِي وَاجْعَلْ
عِلَانِيَتِي صَالِحَةً . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ : إِذَا اسْتَوَتْ سِرِّيَّةُ الْعَبْدِ وَعِلَانِيَتُهُ فَذَلِكَ
النِّصْفُ . أَيْ الْعَدْلُ . وَأَنَّ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ أَفْضَلَ مِنْ عِلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ ، وَأَنَّ كَانَتْ
عِلَانِيَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ سِرِّيَّتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ وَالْخُطْلُ ، وَانْشَدُوا :

إِذَا السِّرُّ وَالْإِعْلَانُ فِي الْمُؤْمَنِ اسْتَوَى • فَقَدَّعَ فِي الدَّارَيْنِ وَاسْتَوْجِبَ الثَّنَا

فَإِنْ خَالَفَ الْإِعْلَانُ سِرًّا فَمَا لَهُ • عَلَى سَعْيِهِ فَضْلٌ سِوَى الْمَكْدِ وَالْعَنَا

يَا خَالِصَ الدِّينَارِ فِي السُّوقِ نَافِقٌ • وَمَغْشُوشَ الْمُرْدُودِ لَا يَقْتَضِي الْمُنَا

وَقَالَ مَعَارِيَةُ بْنُ قُرَّةٍ : مَنْ يَدَانِي عَلَى بَكَاءٍ بِاللَّيْلِ بِسَامٍ بِالنَّهَارِ . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الرَّاهِدِيُّ يَقُولُ : أَلْهِى عَامَلْتُ النَّاسَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَعَامَلْتُكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بِالْخِيَانَةِ (فَاَلْمَاشِي عَلَى هُدُوهِ) بَضْمَتَيْنِ وَقَدْ يَدْعُمُ فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَدًى بَفَتْحٍ فَسَكُونُ
وَمَعْنَاهُمَا عَلَى سَكُونٍ فِي الظَّاهِرِ (وَأَنْتَ خَلَا الْبَاطِنُ) أَيْ بَاطِنُ الْمَاشِي (عَنْ الْوَقَارِ) أَيْ
السَّكُونُ وَالثَّبُوتُ (غَيْرُ صَادِقٍ) فِيمَا بَيْنَهُ مِنَ الْإِظْهَارِ (وَوَرَدَ فِيهِ) أَيْ فِي حَقِّ الصَّادِقِ
فِي الْعَمَلِ (أَنْتَ تَكُونَ سِرِّيَّتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ) أَيْ عِلَانِيَتُهُ يَعْنِي عَلَى نِيَّتِهِ ، وَأَوْحَى
اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ صَدَقَنِي فِي سِرِّيَّتِهِ جَهِدْتُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ فِي عِلَانِيَتِهِ

ثُمَّ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ فِي الْخَوْفِ بِصُفْرَةِ الْوَجْهِ وَقَلَقِ الْبَاطِنِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي
وَاللَّذَاتِ وَأَقَامَةِ الطَّاعَاتِ وَعَلَى هَذَا فِي غَيْرِهِ وَالصَّدِّيقُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الْمُتَصِفُ بِالْجَمِيعِ
وَضَدُّهُ الرِّيَاءُ

((ثم)) أى ثم الصدق ((فى مقامات الدين)) من أحوال أهل اليقين اعلى ((ففى الخوف))
أى صدقه فيه يتحقق ((بصفرة الوجه وقلق الباطن)) أى اضطرابه فى الحالات ((وترك
المعاصى واللذات)) أى المناهى والشهوات التى فيها الشبهات ((واقامة الطاعات)) فى
أنواع العبادات ((وعلى هذا)) القياس ((فى غيره)) أى غير الخوف من سائر المقامات
كالرضا فهو بعدم الخوف بفوت شىء من الجاه والمال والنفس ومن الأولاد والاتباع من
الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الأحوال ((والصدق المطلق هو المتصف
بالجميع)) أى بجميع أنواع الصدق عند أهل الحق . وقال بشر بن الحارث : من عامل
الله بالصدق استوحش من الخلق . وقال أبو سليمان : اجعل الصدق مطيتك والحق
سيفك والله غاية طلبك ، وقال رجل للحكيم : مارأيت صادقا ، فقال : لو كنت صادقا
لعرفت الصادقين . ويؤيده قوله تعالى : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال الثورى
فى قوله تعالى : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) قال هم الذين
ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين . وقال محمد بن سعيد المروزى : إذا طلبت الله تعالى
بالصدق أفادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة .
وقال أبو بكر الوراق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الخلق والرفق فيما بينك وبين
الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد الى اصلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينا مذبذبين خيارى • نطلب الصدق مالىه سبيل

فدعواوى الهوى تخف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقل

وعن الجنيد فى قوله تعالى : (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال يسأل الصادقين عند
انفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم ((وضده))
أى الاخلاص ((الرياء)) أى رؤية الخلق ، وفى معناه السمعة وان كان فى اصل المادة
فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع . وفى الصحيحين من
حديث جندب بن عبد الله « من رأى رأى الله به ومن سمع سمع الله به » وللطبرانى
من حديث ابن عمر بلفظ « من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصرفه »

وَهُوَ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ حَرَامٌ فَيَخْتَصُّ بِعَمَلِ الظَّاهِرِ
أَمَّا نَحْوُ قَصْدِ الْحِمَّةِ فِي الصَّوْمِ وَالتَّبَرُّدِ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّفَرُّجِ وَالتَّوَحُّشِ عَنِ
الْأَهْلِ وَالتَّجَارَةِ فِي الْحَجِّ وَالْخَلَّاصِ عَنِ الْمُؤَنَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ فِي الْعِتْقِ فَغَيْرُهُ
وَيَفُوتُ بِهِ الْإِخْلَاصُ وَيَكُونُ بِالْبَدَنِ

وكذا لاحد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو (وهو) أى الرياء (طلب
المنزلة) أى الوجاهة والمرتبة بالرؤية أو السمعة (عند غيره تعالى بالعبادة) أى لا
بالأمور المباحة وفق العادة (وهو حرام) لقوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون) وقوله (والذين يمسكرون السيئات لهم عذاب
شديد) قال مجاهد : هم أهل الرياء . ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد
عن رافع بن خديج : ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك
الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العبيد بأعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » (فتختص)
الرياء (بعمل الظاهر) أى بما تتعاق به الرؤية أو السماع وذلك لا مكان نظر الخلق
اليه وإطلاعهم عليه ، دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه . قال عكرمة : ان الله يعطى
العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيه (اما نحو قصد الحمية) أى
الاحتماء بترك ما يضره عن الأكل (فى الصوم) مع قصد التقرب (والتبرد) أى
وقصد تبرد الأعضاء (فى الوضوء) وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب
(والتفرج) أى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتزهر (والتوحيش)
أى الملالة (عن الأهل) أى القرابة أو أهل القرية صداقة أو عداوة ، وكذا قصد
صحبة المزاج فى السفر (والتجارة) أى وقصدها (فى الحج) أى ادائه مع التقرب
(والخلاص) أى قصده (عن المؤنة) أى مؤنة نفقة المملوك (وسوء الخلق)
من المالك أو المملوك من جهة التربية (فى العتق) أى عتق عبد أو جارية (فغيره)
أى فغير الرياء لعدم تعلق نظر الخلق اليه (ويفوت به) أى يقصد المذكورات
(الإخلاص) فى تلك العبادات لازفيه شوب نفع نفسه وحفظ نفسه والإخلاص
تجريد النية عن شوب الارادة النفسية (ويكون) الرياء (بالبدن) أى من جهة

وَالْهَيْئَةُ وَالزِّيَّ وَالْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَغَيْرَهَا كَظَهَارِ النُّحُولِ وَابْقَاءِ أَثَرِ السُّجُودِ وَلُبْسِ
الصُّوفِ وَالْوَعْظِ وَتَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَكَثْرَةِ التَّلَامِيذِ وَمَا طُلِبَ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ ككَثْرَةِ
الْمَالِ وَحِفْظِ الْأَشْعَارِ فَخَارِجٌ لَا يَحْرُمُ إِذَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى رَذِيلَةٍ كَالْتَكْبُرِ كَمَا سَبَقَ فِي الْجَاهِ

البدن باظهار الخشوع واكثر الحزن (والهيئة) أى السمات الصالح (والزى) أى لبس الصلحاء (والقول) أى نقل كلام الأولياء (والعمل) أى وأعمال الأصفياء (وغيرها) كالمال والاتباع والبيوت وأنواع الاستمتاع (كاظهار النحول) هذا وما بعده نشر للف المتقدم مرتبا ، والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل ، وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الأمر ، ولذا قال عيسى عليه السلام : اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه ، وكذا روى عن أنى هريرة وكذا قال ابن سعد : اصبحوا صياما مدهنين (وابقاء أثر السجود) على الجبهة ، واطراق الرأس في المشية والهدؤ في الحركة (ولبس الصوف) وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق ، وقصر الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترفيع . ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها ، وقد يلبس الأصواف الرقيقة من الأصناف المنبوعة اذا كان يدخل عند الأغنياء أو على الأمراء ، فقيمة ثوبه قيمة الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء ، فيلتبس القبول عند الفريقين في مقام الرياء ، ولو ظف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبيح (والوعظ) أى التذكير والنصيحة والنطق بأنواع الحكمة وحفظ الأخبار وآثار الأخيار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها (وتطويل الصلاة) بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين ، وكذا في الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات (و كثرة التلاميذ) للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الأجانب والأقرباء (وما) مبتدأ أى والرياء الذى (طلب بغير العبادة ككثرة المال) والانصار من الرجال (وحفظ الأشعار فخارج) عن حد الرياء كما سبق في تعريفه لمخينئذ (لا يحرم) طلب تلك المنزلة (اذالم يؤدالى رذيلة) أى خصلة مذمومة (كالتكبر) على الناس (كما سبق في الجاه) أى في ذمه وهو قوله

وَكُذَّاءُ التَّزِينِ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْإِخْوَانِ وَالتَّحَامِي عَنْ مَلَالَتِهِمْ وَالْمَرْوِيُّ
 مِنْ تَزِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَةً لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدَّعْوَةِ فَلَوْ اسْقَطَ نَفْسَهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَمَّا
 حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَآفَاتُهُ التَّلْبِيسُ بِإِرَادَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ الدُّنْيَوِيِّ حَرَامٌ
 فَبِالدِّينِيِّ أَوْلَى، وَالِاسْتِهْزَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى بِإِثَارِ رِضَاءٍ غَيْرِهِ

هناك فحرام ، أى فالجاء حرام ان كان بار تكاب ذنب كالسكذب وههنا أيضا كذلك
 ((وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان)) حال مخالطتهم ((والتحامى)) أى السلامة
 ((عن ملالتهم)) والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس
 مراعاة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وعلى هذا فقس كل تجعل للناس
 وتزين لهم ((والمروى)) لابن عدى فى الكامل عن عائشة ((من تزينه عليه السلام))
 أى حين اراد ان يخرج الى اصحابه الكرام ، فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته
 وشعره ، فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم « ان الله يحب من العبد ان يتزين
 لايخوانه اذا خرج اليهم » فهذا كان منه عليه السلام ((عبادة لانه)) حينئذ ((مأمور
 بالدعوة)) أى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق ((فلو
 اسقط نفسه عن قلوبهم)) بسقوطها عن أعينهم بترك تزينه لهم ((لما حصل المقصود))
 ولم يرغبوا فى اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان
 يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدر به اعينهم فى اقباله ، فان أعين الخلق تمتد الى
 الظواهر دون السرائر ((وآفاته)) أى الرياء ((التلبيس)) أى المكر والتدسيس
 الحاصل من وسوسة ابليس ((بارادة ما ليس فيه)) متحقق فى الخارج موجود فى الواقع
 لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك ((فهو)) أى
 التلبيس ((بالامر الدنيوى حرام)) أيضا ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
 متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لأنهم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر
 والخديعة بخلاف ما اذا أنفق الرجل ماله على جماعة من الأغنياء لافى معرض العبادة والصدقة
 ولكن ليعتقد الناس انه سخي فمذهم راءة وليس بحرام وكذا امثاله ((فبالدينى أولى)) أى
 فالتلبيس بالامر الدينى أولى ان يكون حراما لانه محض العبادة ((والاستهزاء عليه تعالى))
 أى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو ((بايثار رضاء غيره)) أى اختياره

عَلَى رِضَاهُ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهِ فِي الْقُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ تَعَالَى وَالْإِحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ

﴿على رضاه﴾ أى على إظهار رضاه سبحانه وتعالى . والمعنى انه مهما قصد بعبادة الله رضاه ما سواه فهو مستهزئ بالله ، ولذا قال قتادة اذا رأى العبد قال الله الملائكة انظروا اليه كيف يستهزئ به . ومثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه للاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فان هذا استهزاء بالملك ، إذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته ، بل قصد عبدا من عبيده ، فإى استخفاف يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهل ذلك الا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله رآه أولى بالقرب اليه من الله اذا أثره على ملك الملوك لجملة مقصود عبادته ، رأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى ﴿وتعظيم نفسه﴾ أى وبإظهار تعظيمها ﴿فى القلوب على تعظيمه تعالى﴾ أى تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن فيه الا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية ، فانه إذ لم يقصد التقرب إلى الله تعالى فقد قصد غير الله ، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود والكفر كفر اجليا ، الا ان الرياء هو الكفر الخفى ، لان المرأتى عظم فى قلبه الناصر ، فاقتضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناصر هم المعظمون بالسجود من وجه ، فهم ازال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق فى الشهود كان ذلك قريبا من الشرك الممهور ، الا أنه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده ، باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا . وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع آماله أكثر مما يملكه الله تعالى ، فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ، ولو وظه الله سبحانه اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافأة له على صنعه ، فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم ، وهذا فى الدنيا فكيف فى العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا ولود هو جاز عن والده شيئا ، بل تقول الانبياء فيه : نفسى نفسى ، فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة كل ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس ، فلا ينبغي ان يشك فى ان المرأتى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل ، وهذا معنى قوله ﴿والاحتراز﴾ أى وبإظهار المرأتى الاحتراز ﴿عن مقت غيره﴾ سبحانه ﴿عليه﴾ أى على الاحتراز

فَمِنْ مَقْتِهِ وَرَدَّ الْعَمَلُ فَوْرَدَ «أَنْ لَا أَقْبَلَ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِي، وَاللَّوْمُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَوْرَدَ يُقَالُ عِنْدَ صُعُودِهِمْ بِالْعَمَلِ رَدُّهُ إِلَى سَجِينٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَرُدَّنِي، وَفِي الْقِيَامَةِ فَوْرَدَنِي نَدَائِهِ فِيهَا يَا كَافِرُ يَا فَاجِرُ يَا غَادِرُ يَا خَاسِرُ، وَالْحَرَمَانُ عَنِ الْآجْرِ فَوْرَدَ يُقَالُ التَّمَسُّ الْآجَرَ مَنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ لَمْ يُوسَّعْ عَلَيْكَ فِي الْمَجَالِسِ لَمْ تَكُنْ رَئِيسَ الدُّنْيَا

(من مفته) تعالى ، فقد سأله رجل سعيد بن المسيب فقال : احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويؤجر ، قال له : اتحب ان يمقتك الله ؟ قال لا ، قال : اذا عملت لله عملا فاخلصه (ورد العمل) اي ومن آفاته عدم القبول (فورد) اي في الحديث القدسي (اني لا اقبل الا ما كان خالصا لي) لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد معناه وهو ما رواه مالك من حديث ابى هريرة «يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له ظهوا ما اغنى الاغنياء عن الشرك» ويؤيده قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) (واللوم) اي ومن آفاته الملامة (بين الملائكة فورد) في الحديث الانسي (يقال عند صعودهم بالعمل) المخلوط بالرياء (ردوه الى سجين) لقوله تعالى (ان كتاب الفجار لفي سجين) وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين ، وقبل هو كتاب اعمال المشركين (فانه لم يردني) اي بعمله خالصا له الدين. ولا بن المبارك في الزهد ، ومن طريقة ابن ابى الدنيا وابي الشيخ في حديث طويل «ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين» (وفي القيامة) اي ومن آفاته الملامة والندامة يوم القيامة (فورد في ندائه) اي المرائي (فيها) اي في القيامة (يا كافر) حقيقة او حكما بكفران النعمة (يا فاجر) اي يا فاسق بترك الاخلاص في الطاعة (يا غادر) اي يا مكر للخلق او للحق ايضا على زعمه الباطل (يا خاسر) اي الذي خسر الدنيا والآخرة ، والحديث رواه ابن ابى الدنيا : من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم «ان المرائي ينادي يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرک اذهب فخذ اجرک من عملت له فلا اجرک عندنا» (والحرمان عن الاجر) اي ومن آفاته حرمان ثواب العمل (فورد يقال) اي للمرائي يوم القيامة (التمس الاجر) اي اطلب الثواب (من كنت

أَلَمْ يُرَخَّصْ يَعْكَ أَلَمْ تُكْرَمْ، وَالْعَذَابُ فَوْرَدَ أَهْلُ الرِّيَاءِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ
وَالْأَفْشُ بِاعْتِبَارِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُرِيدَ الثَّوَابَ أَصْلًا وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمَقْتِ ثُمَّ مَا فِيهِ
إِرَادَتَانِ وَالرِّيَاءُ غَالِبٌ

تعمل له) من الخلق كما تقدم) الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا
الم يرخص يبعك الم تكرم) اى بالقيام والسلام وانواع من الاكرام، وقد روى عن
على ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السمر الم تكونوا
تبدون بالاسلام الم تقض لكم الحوائج ، وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم
والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها في الدنيا فلم يبق
لك اجر في العقبى كما قال تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون) (والعذاب) اى ومن اتفاته عذاب الآخرة) (فورد
اهل الرياء يعذبون في النار) لم اره بهذا اللفظ ، وللترمذى وابن ماجه من حديث
ابى هريرة استمعيدوا بالله من جب الحزن قبل وما هو ؟ قال واد في جهنم اعد للقراء
المرائين) (والافش) مبتدا اى الاغاظ والاشد في الرياء) (باعتبار نفسه) اى
نفس الرياء واصلة، ولهذا الرياء اربع درجات) (ان لا يريد الثواب اصلا) اى لا يكون
مراده الثواب قطعا كالذى يصلى بين الناس ولو انفرده كان لا يصلى بل ربما يصلى من
غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء) (وهو) اى المرائى) (في غاية المقت)
من الله وغضبه، وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب
ولو خلى بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الامن المناق فالنفاق يبطل العمل من
اصله والرياء يوجب رده، والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا، وعند بعض المشايخ
يطلان اضعافا. واما الندامة فتحبط العمل في قولهم جميعا، والعجب يذهب اضعافا،
والتهاون يخفف العمل فيذهب رزاقته) (ثم ما فيه ارادتان) ارادة الاجر والرياء
(والرياء غالب) وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة كان لا يفعله، ولا يحمله
ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل،
كم يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لاتنهضه عليها، فاتفق بحى جماعة عنده
نظهر داعية الرياء في قلبه مع بناء ارادة وجه الله فانفض عليها، ولو لم يكن الرياء ما كان

وَهُوَ يَقْرَبُهُ ثُمَّ مَا اسْتَوِيَ فِيهِ فَأَلْمَرُجُو أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ لَكِنْ اِطْلَاقُ الْاِخْذِ فِي
الْأَدَلَّةِ يَشْمَلُهُ ثُمَّ مَا تَرَجَّعَ فِيهِ قَصْدُ الثَّوَابِ فَالْمُظَنُّونُ فِيهِ النُّقْصَانُ لَا الْبُطْلَانُ أَوْ
الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بِحَسَبِ الْقَصْدَيْنِ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْمِيلِ

ينمضه مجرد ارادة رجه الله ، ولولم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنمضه
(وهو يقربه) اى هذا النوع من الرياء يقرب الالحش وهو الاول الذى ليس فيه
ارادة الثواب اصلا ، فهذا يقرب ما قبله في المقت ، لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب
لا يستقل بحمله على العمل ولا ينفى عنه المقت والاثم (ثم ما استويا) اى ثم الالحش
باعتبار نفس الرياء ما استوى الارادتان او القصدان (فيه) اى فى ذلك العمل بحيث
لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة ،
او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل ، فهذا قد افسد مثل ما اصلاح
(فالمرجو) اى المأمول من فضل الله وكرمه (ان لا يكون له) اى لصاحب الارادتين
المستويتين تقع وثواب (ولا عليه) ضر وعقاب ، بل يسلم رأسا برأس او يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ، ويؤيده ما روى عن معاذ قال : لما اتل رسول
الله ﷺ (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) شق على القوم واشتد عليهم
فقال افلا فرجها عنكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال هي مثل الآية التى فى الروم (وما
آتينم من ربوا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله) فقال عليه السلام « من عمل
رياء لا يكتب له ولا عليه » كذا فى الجامع الكبير للسيوطى (لكن اطلاق الاخذ فى
الادلة يشمله) اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له
الاثم ويدل على انه لا يسلم (ثم) اى ثم الالحش باعتبار نفس قصد الرياء (ما ترجع
فيه قصد الثواب) بان يكون طلب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا
لنشاطه ، ولولم يكن لما كان يترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما اقدم (فالمظنون)
اى الذى نظنه والعلم عند الله سبحانه (فيه) اى فى هذا النوع (النقصان) اى
نقصان الثواب (لا البطلان) اى لانحكم على العمل ببطلانه بالكيفية لان العبرة بالغلبة
فى الاحكام الجزئية (او الثواب) اى على قدر ما اخلص فى نيته (والعقاب) على
قدر الرياء (بحسب القصدين) اى المتقدمين (والاصل ان القرب منه تعالى بالميل

إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْبُعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ وَمَا وَرَدَنَا أَغْنَى الْإِغْنَاءِ عَنِ الشَّرِكِ وَنَحْوَهُ
فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَا بِهِ رِيَاءٌ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ وَهُوَ أَغْلَظُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ
وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ ثُمَّ بِأَصْلِ فَرَائِضٍ سِوَاهُ

إِلَيْهِ تَعَالَى (أَيْ بِسَبَبِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالْحُضُورِ لَدَيْهِ) (وَالْبُعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ)
أَيْ الْغَفْلَةُ عَنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فَرَطًا) (وَمَا وَرَدَ) أَيْ فِي حَدِيثٍ (أَنَا أَغْنَى الْإِغْنَاءِ عَنِ الشَّرِكِ) وَفِي نَسْخَةِ
مِنَ الشَّرِكَاءِ (وَنَحْوَهُ) أَيْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْبُطْلَانِ (فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ) أَيْ مِمَّا لَا يَرِيدُ
الثَّوَابَ أَصْلًا أَوْ عَلَى مَا تَسَاوَى الْقَصْدُ أَنْ أَوْ كَانَ قَصْدُ الرِّيَاءِ أَرْجَحُ فَإِنْ لَفْظَةُ الشَّرِكَةِ
مُطْلَاقَةً لِلتَّسْوِيَةِ (وَبِاعْتِبَارِ مَا بِهِ رِيَاءٌ) أَيْ وَالْإِخْشَاقُ مِنَ الرِّيَاءِ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَّبِعُ بِهِ الرِّيَاءُ
مِنَ الْعِبَادَاتِ هُوَ الرِّيَاءُ (بِأَصْلِ الْإِيمَانِ) وَقَبْلُ هُوَ بَدَلُ مَنْ قَوْلُهُ بِهِ بِإِعَادَةِ
الْجَارِ . وَمَقْدَرْنَاهُ أَوْ لِي بِالْإِعْتِبَارِ ، وَذَلِكَ بَأَن يَظْهَرُ ظَلَمَتِي الشَّهَادَةَ بِاللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ
تَصَدِيقٍ بِالْجَنَانِ ، لَكِنَّهُ يَرَانِي أَحْيَا بِمَا لَظَاهِرُ الْأَمْرِ فِي بَعْضِ الْأَرْدَانِ (وَهُوَ أَغْلَظُ أَبْوَابِ
الرِّيَاءِ) كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ الْأَقْلِيَالُ مَذْهَبِينَ بَيْنَ
ذَلِكَ) أَيْ مُتَحِيرِينَ هُنَاكَ (لَا إِلَى هَؤُلَاءِ) الْمُسْلِمِينَ (وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) الْمُشْرِكِينَ (وَمَنْ
يُضَالِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) أَيْ مَخْلَصًا وَدَلِيلًا ، فَلَمْ يَكُنْ مَخْلَصًا بَلْ يَكُونُ دَائِمًا حَقِيرًا
ذَلِيلًا (وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ) فِي دَارِ الْبَوَارِ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ كُفْرِ الْبَاطِنِ وَتَفَاقٍ الظَّاهِرِ لِحَالِ هَؤُلَاءِ
أَشَدَّ مِنْ حَالِ الْكُفَّارِ الْمَجَاهِرِينَ وَلِأَنَّهُمْ ضَرَرُهمَ لِلْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ ضَرَرِ الْمُشْرِكِينَ .
وَكَانَ التَّفَاقُ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ يَكْثُرُ مَنْ يَدْخُلُ فِي ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ وَيَعْمَلُ بِبَعْضِ الْأَحْكَامِ
لِغَرَضٍ فَاسِدٍ أَوْ غَرَضٍ كَاسِدٍ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَقِلُّ فِي زَمَانِنَا حَيْثُ لَا يَبَاعُثُ عَلَيْهِ هُنَاكَ ،
وَلَكِنْ يَكْثُرُ تَفَاقُ مَنْ يَنْسِلُ عَنِ الدِّينِ بَاطِنًا فَيَجْعَلُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالْأَدَارَ الْآخِرَةَ مِيلًا
إِلَى قَوْلِ الْمَلَا حِدَةٍ ، أَوْ يَعْتَقِدُ طَيِّبَ بَسَاطَةِ الشَّرْعِ وَالْأَحْكَامِ مِيلًا إِلَى أَهْلِ الْإِبَاحَةِ ، أَوْ
يَعْتَقِدُ كُفْرًا أَوْ بَدْعًا وَهُوَ بَظُهُرِ خِلَافِهِ ، فَهَؤُلَاءِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمَرَاتِنِ الْمُخْلَدِينَ فِي النَّارِ
وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الرِّيَاءِ رِيَاءٌ (ثُمَّ) أَيْ ثُمَّ الْإِخْشَاقُ بَعْدَ الرِّيَاءِ (بِأَصْلِ فَرَائِضٍ
سِوَاهُ) أَيْ غَيْرَةِ الْإِيمَانِ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَكُونُ مَالٌ لِرَجُلٍ فِي يَدَيْهِ غَيْرُهُ فَيَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ
خَرَفًا مِنَ الْمَذْمَةِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ بَاطِنُهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي يَدِهِ لَمَّا أَخْرَجَهَا ، أَوْ يَدْخُلُ وَقْتُ

وَفِيهِ الْمَقْتُ ثُمَّ بِأَصْلِ السُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ وَفِيهِ نِصْفُهُ لَا يَثَارُ رِضَاءٌ غَيْرُهُ تَعَالَى
عَلَى رِضَاهُ سُبْحَانَهُ دُونَ إِثَارِ الْإِحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَقْتِهِ
تَعَالَى، ثُمَّ بِالْأَوْصَافِ

الصلاة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلاة في الخلوة ، وكذا يحضر الجمعة ولو لا
خوف المذمة لما كان يحضرها ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق
ليفطر ، ، او يصل رحمه او يبر والده لا عن رغبة ولكن خوفا من المذمة ، او يغزو
او يحج كذلك ﴿ وفيه المقت ﴾ اي اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس
بكافر عند اهل السنة والجماعة ، وذلك لانه مرآة في الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد
ان الله لا معبود سواه ، ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما عداه لم يفعل ، ولكنه
يترك العبادات للنكسل الطارى في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات ،
فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس
اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمد تهتم اشد من رغبته في مشيئة الله . وهذا
غاية الجهل بالرب وما الجدر صاحب هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ﴿ ثم ﴾ اي
ثم الافحش بعده الرياء ﴿ باصل السنن ﴾ المؤلدة ﴿ والنوافل ﴾ المستحبة التي لو تركها
لا يعصى ، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ، ولا يثار لذة الكسل على
ما يرجي من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة
وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت ، وكالتجهد بالليل وصيام يوم عاشوراء
ونحوه ، فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا من المذمة او طلبا للمجدة ، ويعلم الله تعالى من
ضميره انه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء فرائضه ، فهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال
﴿ وفيه ﴾ اي في هذا النوع من الرياء ﴿ نصفه ﴾ اي نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت
أحواله في الرغبة باعماله وذلك ﴿ لا يثار رضاء غيره تعالى على رضاء سبحانه دون ايثار
الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه ﴾ اي على المرائي ﴿ من مقته تعالى ﴾ فان الذي
قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون
ذم الخالق ، فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الخالق ، وأما هذا فلم يفعل ما فعل ذلك
لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلذا عقابه
نصف عقابه فتأمل ﴿ ثم بالوصاف ﴾ اي ثم الافحش بعده الرياء بالوصاف العبادات

فَبِالْوَاجِبِ كَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ ثُمَّ الْمَكْمُلِ كَتَطْوِيلِهَا وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ ثُمَّ الزَّائِدِ
كَالْبُكُورِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَصْدِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَالِهِ

لاباصولها من الفرائض المهمات (فبالواجب كتعديل الاركان) من الركوع
والسجود والقومة بتسكين الجوارح والأعضاء فيها حتى يطمئن ، فانه يرائي بفعل
ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه
الناس احسن أفعالها وهد القعود بين السجدين وأمثالها ، فقد قال ابن مسعود : من
فعل ذلك فهي استهانة يستهين بهاربه ، يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما
في الجلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلاة ، ومن جلس بين يدي انسان متربعا أو
متكئا فدخل غلامه فاستوى في الجلسة واحسن كان ذلك تقديم الغلام على السيد واستهانة
بالسيد لا محالة ، وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلا ، وكذا الذي
يعتاد لإخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا
من الملامة ، وكذا الصائم يصوم صومه عن الغيبة كمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة
فهذا أيضا من الرياء المحذور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول
التطوعات كذا في الأحياء . والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض ،
لان أصول التطوعات دون أصول الواجبات ، وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا
يجوز ترك الواجبات أصلا . نعم بترك الفرائض تبطل العبادات ، بخلاف ترك الواجبات
فانه يوجب الاثم والنقصان في وصف العبادات (ثم المكمل) أي ثم الافحش بعده
الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه لكن فعله في حكم التكملة والتسمة لعبادته فهو ما كان
وجوده خيرا من عدمه (كتطويلها) أي الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام
وطالة القراءة (وتحسين الهيئة) في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر
بتحسين الطرية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس في الحالات ليستدل بذلك
على غاية خشوعه ونهاية خضوعه ، وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى
طبعه ومراعاة شرعه (ثم الزائد) أي بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا
(كالبكور في المسجد) أي كمحضور الجماعة قبل القوم (وقصد الصف الأول)
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الأحكام . وكل ذلك مما يرائي به الانام ،
ويعلم الملك العلام انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالي ابن وقف ومتى حضر (وباعتبار ماله)

قَصْدُ الْمَعْصِيَةِ كَتَقْلُدِ الْوَقْفِ لِلْمَدَاهِنَةِ ثُمَّ الْمَبَاحِ كِنَطَاحِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ التَّمْيِيزِ عَنِ
الْعَامَّةِ وَقَدْ يَخْفَى كَالْفَرَحِ بِاطْلَاعِ الْغَيْرِ

أى والافش باعتبار ما يقع الرياء لاجله ماله فيه (قصد المعصية) وقبل انه بدل من ضمير ماله ، والاولى ما قدرناه لحسن ماله ، وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته (كتقليد الوقف للمداهنة) أى كالذى يرانى بالعبادات ويظهر التقوى والورع بآثرة النوافل من الطاعات والامتناع عن أكل الشبهات ، وغرضه أن يعرف بتأدية الامانات فيؤتى تولية القضايا أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها ، أو يسلم اليه تفرقة الزكاة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها فى الحاجات ، أو يودع الودائع فيأخذها ويجمعها فى بعض الحالات ، وهؤلاء أبغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم (ثم المباح) أى قصده بالرياء (كنكاح الشريفة) أو المرأة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو جمال ، فيظهر الحزن بالبكاء ويشغل بالو دظ فى الصباح والمساء لتبذل له الاموال وترغب فى نكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه (ثم التمييز عن العامة) بالمشى والذى وترك اكل اللحم ونحوه كى يبعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من أهل البلاد ، فيظهر عبادته لالقصد نيل حظ دنيوى من مال أو نكاح بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة ، كالذى يمشى مستعجلا فى طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار والسكون ، وكذلك الذى يسبق اليه الضحك أو يدر منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لابهين الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول : ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه ، والله يعلم منه انه لو كان فى خلوة هنالك لما كان يشغل عليه ذلك (وقد يخفى) أى الرياء فانه كما تقدم اخفى من ديب التلمة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء (كالفرح باطلاع الغير) على طاعته قرب عبد مخاص فى عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتمم العمل كذلك ، ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح

والتعريض للاظهار وتحسين الأداء في الخلاء لئلا يخالف في الملاء وللتزين بظهور
الخشوع في الاعضاء وتأثيره انه اذا هجم بعد التمام بالفرح على الظهور او
الاظهار لا يبطل لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى وفيه الثواب والعقاب
وحمل ما ورد ما صمت ولا افطرت فيمن قال صمت دائما على كراهة صوم الدهر

السرور منه (والتعريض للاظهار) يعنى ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع
ولم يقابل ذلك بكراهيته فيصير ذلك قوتا وغذاء للمرق الخفى من الرياء فيتقاضى
تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام غرضا بالاظهار .
وقد حكى ان رجلا اضاف الثورى واصحابه ، فقال لاهله : هاتوا الطبق الذى جئت به
في الحجة الاولى ، فنظر سفيان وقال : مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه (وتحسين الاداء
في الخلاء) وجعله عادة له (لئلا يخالف في الملاء) ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الرياء
ولم يعرف انه يتكرر منه الرياء في الخلاء والملاء (وللتزين) كذا في النسخ ، والظاهر
ان يقول والتزين في الاعين اى عين اهل الملاء (بظهور الخشوع في الاعضاء)
كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وآثار الدمع وغلبة النعاس
الدال على طول التهجد . والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على
عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء ، وقد روى « لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون
الخلاق عنده كالاباعر » (وتأثيره) اى الرياء في العمل بالاحباط والاثبات (انه
اذا هجم) اى غلب الرياء (بعد التمام) اى تمام العمل الخالص (بالفرح) متعلق
بهجم اى بفرحه (على الظهور) من غير قصده (او الاظهار) بقوله (لا يبطل)
ثواب العمل المؤدى بالاخلاص (لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى)
اى الحادث بعده (وفيه الثواب) على عمله الذى مضى (والعقاب) على مرأاته
بطاعة الله بعد الفراغ منها (وحمل ماورد) اى في الحديث من نفى العمل تغليظا
(ما صمت ولا افطرت فيمن قال صمت) اى فى حق من قال صمت (دائما)
والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ، ثم المعروف فى مسلم من حديث ابى قتادة « قال
عمر : يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر ؟ قال لا صام ولا افطر ، فهذا حمل (على
كراهة صوم الدهر) اى لا على ابطاله بالرياء لاظهار اعماله ولانه يكون فى قوله نوع

لِدُخُولِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ فِيهِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنْهَا فَيَمَنْ قَالَ قَرَأْتُ
الْبَارِحَةَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ عَلَى عَدَمِ خُلُوقِ الْقَلْبِ عَنْهُ حَالَةَ الْقِرَاءَةِ بِدَلَالَةِ الْإِظْهَارِ
وَإِذَا هَجَمَ فِي الْإِثْنَاءِ مُتَجَرِّدًا وَبَعَثَ عَلَى الْعَمَلِ وَخَتَمَ بِهِ كَمَا لَوْ تَذَكَّرَ ضَالَّةً
أَوْ حَدَثَ نَضَارَةً فَأَتَمَّ الْعَمَلَ لِحُضُورِ الْغَيْرِ عِنْدَهُ لَوْلَاهُ لَقَطَعَ يَبْطُلُ فِي عَمَلٍ ذِي
أَرْكَانٍ يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

لَذَبَّ ((لدخول العيدين)) أي عيد الفطر والاضحى ((والتشريق فيه)) أي في قوله
صمت الدهر ، وصوم هذه الأيام الخمسة حرام باتفاق الأئمة الأربعة . واخرج ابن
جرير كما في الجامع الكبير « عن أم كلثوم قالت قيل لعائشة تصومين الدهر وقد نهى
عليه السلام عن صيام الدهر ؟ قالت نعم سمعت رسول الله ﷺ نهى عن صيام الدهر
ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر ، وقال بعضهم : إنما قال عليه
السلام زجراله عن اظهاره ((وما جاء)) أي وحمل ماورد عن ابن مسعود ((ذلك))
أي اظهارك ((حظك)) ولفظ الاحياء حظه ((منها)) أي من القراءة ((فيمن قال
قرأت البارحة)) أي الليلة المتقدمة ((سورة البقرة دلي)) أي حمل على عدم خلو
القلب عنه)) أي عن الرياء ((حالة القراءة)) لأنه هجم بعد تمامها ((بدلالة الاظهار))
كيف ما كان ، فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله ﷺ أو من ابن مسعود استدلالا
على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن دقة الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به ، اذ
يبعد ان يكون ما يطرؤ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية . نعم يبطل كمال ثوابه
في القضية ((واذا هجم)) أي غلبه الرياء ((في الاثناء)) أي اثناء العبادة ((متجردا))
عن الاخلاص في قصد الثواب ((وبعث على العمل)) أي على اتمامه ((وختم)) العمل
((به)) أي بالرياء المتجرد عن قصد الثواب ((لما لو تذكر ضالة)) في اثناء الصلاة
((او حدث نضارة)) أي فرجة ونزعة في اثنائها ((فاتم العمل لحضور الغير عنده
لولا)) وفي نسخة لولا هو أي ذلك الغير ((لقطع)) ذلك العمل وطالب الضالة
او تفرج على النضارة ((يبطل)) جواب اذا هجم ، أي يبطل هذا الرياء ثواب العمل
لكن ((في عمل ذي اركان)) أي اجزاء ((يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلاة والصوم
والحج)) والظاهر ان الغز وكذلك لكن قال الطبري : اذا كان الباعث او لاءلاء

فَوَرَدَ «الْعَمَلُ كَالْوَعَاءِ إِذَا طَابَ أَوَّلُهُ طَابَ آخِرُهُ - مَنْ رَأَى بِعَمَلِهِ سَاعَةً حُبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ» دُونَ غَيْرِهِ كَالصَّدَقَةِ وَالتَّلَاوَةِ أَذْكَلَّ جُزْءٍ مُنْفَرِدٍ وَالطَّارِئُ لَا يُبْطَلُ الْمَاضِي وَإِذَا لَمْ يَتَجَرَّدْ بَلْ غَلَبَ كَغَلَبَةِ الْفَرَحِ بِاطِّلَاعِ الْغَيْرِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْفَسَادُ إِنْ انْقَضَى رُكْنٌ

اللمة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطي في حاشية البخاري. ﴿فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره﴾ هكذا في الاحياء ، ورواه ابن ماجه من حديث معاوية بن ابي سفيان ، اذا طاب اسفله طاب اعلاه ، وعلى كل تقدير فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث لما لا يخفى ﴿من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله﴾ كذا في الاحياء قال مخرجه : لم اجده بهذا اللفظ ، وللشيخين من حديث جندب بن سماعة عن سمع الله به ومن رأى رأى الله به ﴿دون غيره﴾ اي بخلاف عمل ليس بذي اركان يتعاق صلاح بعضها ببعض ﴿كالصدقة والتلاوة﴾ وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء ﴿اذ كل جزء﴾ من كل منهما ﴿منفرد﴾ اي من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعاق له بغيره . فعن بعض الصالحين قال : كنت ليلة وقت السحر في غرفة لي اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محووا ولم ارتحتها شيئا ، فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارها ثوابا ولم ارها اثبت ، فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا اناسمنا مناديا ينادي من قبل العرش احوها واسقطوا ثوابها فحوناها ، قال فبكيت في منامي بكاء شديدا وقلت : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها . وهذا يدل على ان الرياء في الاوصاف يبطل لثواب العمل رأسا ﴿والطارئ﴾ اي الحادث من الرياء ﴿لا يبطل الماضى﴾ من العمل بل يبطل الباقي ، وفيه مخالفة لما روي عن ان الشخص اذا ذكر العمل السري مرة ينقل الى العلانية ، واذا ذكره ثانيا ينقل الى الرياء ﴿واذا لم يتجرد﴾ الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب ﴿بل غلب﴾ الرياء عليه ﴿كغلبة الفرح باطلاع الغير﴾ اي بمشاهدة غيره اليه ﴿فالغالب فيه﴾ اي الظن الغالب في هذا النوع من العمل ﴿الفساد ان انقضى﴾ على حالة الرياء ﴿ركن﴾ من اركان ذلك العمل

وَلَمْ يُعَاوِدْهُ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ لِلصَّلَاةِ لِأَنَّا نَسْتَصْحِبُ نِيَّةَ الْبِدَاءِ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَطْرَأَ
مَا لَوْ قَارَنَ ابْتِدَاءَ الْمَنْعِ وَإِنْ اِحْتَمَلَ الْجَوَازَ لِبَقَاءِ قَصْدِ الثَّوَابِ الْمَوْجُودِ حَالِ الْعَقْدِ

مع غلبه قصد الرياء ((ولم يعاوده)) أى العامل الر بن أو المصلى ((الباعث الاصلى للصلاة))
وهو الاخلاص ((لانا نستصحب نية البداية)) أى تعطى النية السابقة التى كانت خالصة
لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال، والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المال
((بشرط ان لا يطرأ)) أى لا يحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل من الرياء اللاحقة ((ما))
أى الرياء ((لو قارن ابتداء المنع)) الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص ((وان احتمل))
أى ولو احتمل ((الجواز)) أى صحة العمل ((لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد)) من
التحرمة المقررة بالنية . وتوضيحه ما فى الاحياء . اذا كان واراد الرياء بحيث لا يمنعه
من قصد الاستتمام لاجل الثواب . كما لو حضر جماعة فى اثناء صلاته فترجع بحضورهم
فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لمكان يتمها
أيضا ، فهذا رياء قد اثر فى العمل وانتفض باعنا على الحركات ، فان غلب عليه حتى انمحق
معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا يذنبى ان
يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند
الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ، ويحتمل ان يقال : لا يحبط العبادة نظرا
الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله أعلم
بالصواب . وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى أمر أهون منه ، قال : اذا لم يرد
الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال : وقد
اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى
حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بنجاته ، ثم قال : ولا اقطع عليه
بالحبط ان لم يزد فى العمل ولا آمن عليه ، وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالأغلب
على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم قال : فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هما
صورتان فان كانت الاولى لله لا تضره الثانية وقد روى « أن رجلا قال يا رسول الله أسر
عملى لا أحب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال : لك أجران اجر السر واجر العلانية »
رواه البيهقى . والترمذى . وابن حبان . من حديث أبى هريرة . ثم تكلم المحاسبى على الاثر
والخبر فقال : اما الحسن فانه أراد بقوله اى لا تضره : أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة

وَأَنْ اتَّصَلَ بِالْعَقْدِ مُتَجَرِّدًا وَأَتَمَّ عَلَيْهِ يُعِيدُ اتِّفَاقًا وَإِنْ رَجَعَ قَبْلَ التَّمَامِ
فَكَذَلِكَ لَفَقْدِ الْإِنْعِقَادِ وَضَعْفِ الْقَوْلِ بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الْأَفْعَالِ لِفَسَادِهَا دُونَ
التَّحْرِيمَةِ فَهِيَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءُ خَطَرَةٌ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْإِنْعِقَادِ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الْفَاسِدَةَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ زَائِدَةٌ فِيهَا فَبُطِّلَتْهَا، وَبِوُجُوبِ الْإِسْتِغْفَارِ

وهو يريد الله ، ولم يقل إذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره : وأما الحديث
فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه : احدها انه يحتمل انه أراد
بظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ ، وثانيها انه أراد انه يسر به لا قتداء
الداس به ونحوه من سرور محمود لا سرور ابحسب حب المحمودة والمنزلة بدليل انه جعل
له به اجرا ، ولا ذهاب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه
فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران ، وثالثها انه قال : اكثر من يروى
هذا الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة ، بل اكثرهم بوقفه على أبي صالح السمان
وفيه من يرفعه ، فالحكم بالعمومات الواردة أولى (وان اتصل) الرياء (بالعقد)
أى بالتحريم وابتداء النية (متجردا) من قصد الثواب (واتم) العمل حتى سلم
(عليه) أى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب (يعيد) ذلك العمل (اتفقا) أى
وهو آتم اجماعا (وان رجع) المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده (قبل
التمام) أى تمام العمل (فكذلك) يعيد ذلك العمل اتفقا (لفقد الانعقاد) على
الاخلاص (وضعف القول) أى وضعف قول القائل (بوجوب إعادة الافعال)
الصادرة عن الرياء (لفسادها) أى لبطلان تلك الافعال (دون التحريم) أى من
غير وجوب أعادتها (فهى) أى التحريم (عقد) له ثبوت واستقرار (والرياء
خطرة لا تخرجها) أى التحريم (عن الانعقاد) والمعنى أن قول المصلى أصلى لله
تعالى عقديته على الاخلاص لله لا إقرار باللسان عقد ثابت ، والرياء خطرة لا تبطل
العقد بل ان إقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى الدنيا
فكذا هنا ، فقوله فهى عقد الخ دليل وجوب الاعادة : وأما دليل القول الاول المضعف
لثانى فقوله (لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود) اذا لم تصح فهى (زائدة
فيها) أى فى الصلاة (فبطلها) أى تلك الافعال الصلاة (و بوجوب الاستغفار)

قَلْبًا وَالْإِتْمَامِ مُخْلِصًا لِاعْتِبَارِ الْحَتْمِ كَمَا لَوْ خَتَمَ بِالرِّيَاءِ وَابْتَدَأَ بِالْإِخْلَاصِ
وَكَوْنِ الْعَمَلِ لَهُ تَعَالَى وَالْإِلْكَافَرُ، وَزَوَالَ عَارِضِ الرِّيَاءِ بِالتَّوْبَةِ لِأَنَّهُ قَادِحٌ
فِي النِّيَّةِ وَحَالَةِ الْبَدَاةِ أَوَّلَى بِالرَّعَايَةِ

أى ولضعف القول بوجوب الاستغفار (قلبا والاتمام) أى وبوجوب اتمام العمل
(مخلصا) أى متجردا عن الرياء (لاعتبار الحتم) تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام
مخلصا أى لا اعتبار بخاتمة العمل (كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالإخلاص) لكان
يفسد عمله (وكون العمل) أى ويكون العمل أو لا اعتبار بكون العمل (له تعالى)
لغيره (والا) أى فلو لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره (لكفر) كما كفر
من يسجد للصنم ونحوه (وزوال عارض الرياء) أى وبزواله أو ولا اعتبار بزواله
(بالتوبة لانه) دليل لضعف وجوب الاستغفار، والمعنى لان الرياء (قادح في
النية وحالة البداءة) أى الأولى (أولى بالرعاية) في الاخلاص من الحالة الثانية
لان المدار عليها في الأفعال الباقية بقدرات ذلك فيبطل العمل وتجب الاعادة، وتوضيحه
ما في الأحياء من أن الرياء الذي يقارن حال العقد بان يبتدىء الصلاة على قصد الرياء فان
تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يهصى ولا يعتد بصلاته، وان ندم عليها في أثناء صلاته
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه : قالت فرقة : لم تنعقد صلاته مع
قصد الرياء فليستأنفه، وقالت فرقة يلزمه اعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد
أفعاله دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه عقدا، وقالت فرقة : لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقبليه ويتم العبادة على
الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالإخلاص وختمها بالرياء لكان
يفسد عمله، وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان
كافرا، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد
الناس وذمهم فتصح صلاته، قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لان الركوع والسجود
اذا لم يصحها صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة، وكذا قول من يقول لو ختم
بالإخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدر في النية . وأولى
الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح، فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

وَأِنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ قَفِيماً لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ الصَّدَقَةُ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ فُورِدَ (فَنْ يَعْمَلُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الْآيَةُ، وَفِي غَيْرِهِ كَالصَّلَاةِ لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ
الْإِقْتِدَاءُ وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلْ قَصْدُ الثَّوَابِ وَإِنْ اسْتَقِلَّ

إِنْ كَانَ بَاعَثَهُ مَجْرَدُ الرِّيَاءِ فِي ابْتِدَاءِ الْعَقْدِ دُونَ طَلَبِ الثَّوَابِ وَامْتِثَالِ الْأَمْرِ لَمْ يَنْعَقِدِ
الْإِفْتِتَاحُ وَلَمْ يَصِحَّ مَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ فِيمَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ لَمْ يَصِلْ فَهَذِهِ الصَّلَاةُ لَا نِيَّةَ فِيهَا
إِذَا نِيَّةٌ عِبَارَةٌ عَنْ إِجَابَةِ بَاعِثِ الدِّينِ وَهَذَا لَا بَاعِثَ وَلَا إِجَابَةَ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَوْلَا
النَّاسُ أَيْضًا لَكَانَ يَصِلُ إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ الرِّغْبَةُ فِي الْمَحْمَدَةِ أَيْضًا فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ (وَإِنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ) الرِّيَاءُ مِنْ قَصْدِ الثَّوَابِ (فَقَفِيماً لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ) وَهُوَ الْعَمَلُ
الَّذِي لَيْسَ بِذِي أَرْكَانٍ (كَالصَّدَقَةِ) وَالْقِرَاءَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ (يُثَابُ) عَلَى قَصْدِ
الْإِخْلَاصِ حَيْثُ اطَّاعَ بِإِجَابَةِ بَاعِثِ الثَّوَابِ (وَيُعَاقَبُ) عَلَى قَصْدِ الرِّيَاءِ حَيْثُ عَصَى
بِإِجَابَةِ بَاعِثِ الرِّيَاءِ وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الثَّوَابِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (فَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) أَيْ يَرِجْزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَى (الْآيَةُ) أَيْ (وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ) فَلَهُ ثَوَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الصَّحِيحِ وَعَلَيْهِ عِقَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الْفَاسِدِ وَلَا يَحْبُطُ
أَحَدُهُمَا الْآخَرُ (وَفِي غَيْرِهِ) أَيْ وَفِي غَيْرِ مَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ فِيمَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ
عَمَلُ ذَوِ الْأَرْكَانِ (كَالصَّلَاةِ) فَانْهَاقِبِلُ الْفَسَادَ بِطَرِيقِ خُلَلِ إِلَى النِّيَّةِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْفَرَضِ
وَالنَّفْلِ حَيْثُ قَالَ (لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْإِقْتِدَاءُ) وَالْمَعْنَى أَنَّ حُكْمَهُ أَيْضًا حَكْمُ
الصَّدَقَةِ فَقَدْ عَصَى مِنْ وَجْهِهِ وَاطَّاعَ مِنْ وَجْهِهِ ، إِذَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِهِ الْبَاعِثَانِ ، وَلَا يُمْكِنُ
أَنْ يُقَالَ صَلَاتُهُ فَاسِدَةٌ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ بَاطِلٌ ، حَتَّى أَنْ مِنْ صُلَى التَّرَاوِيحَ وَتَبَيَّنَ مِنْ قَرَأَتِ
حَالَهُ أَنَّ قَصْدَهُ الرِّيَاءَ بِإِظْهَارِ حَسَنِ الْقِرَاءَةِ وَلَوْلَا اجْتِمَاعُ النَّاسِ خَلْفَهُ وَخَلَا فِي الْبَيْتِ
وَحْدَهُ لَمَا صُلِيَ لَا يَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ فَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى هَذَا بَعِيدٌ جَدًّا بَلْ يَظُنُّ بِالْمُسْلِمِ أَنَّهُ
يَقْصِدُ الثَّوَابَ أَيْضًا بِطَوَّعِهِ فَتَصَحُّ بِإِعْتِبَارِ ذَلِكَ الْقَصْدِ صَلَاتُهُ وَيَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ
(وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلْ قَصْدُ الثَّوَابِ) بَانَ اقْتِرَانُهُ بِقَصْدِ آخَرٍ هُوَ عَاصٍ
بِهِ فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِلُّ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ الْإِنْبِعَاطُ بِمَجْمُوعِهِمَا ، فَمِنْ
لَا يَسْقُطُ الْوَاجِبُ عَنْهُ ، لِأَنَّ الْإِجَابَ لَمْ يَنْتَهِضْ بِإِعْثَا فِي حَقِّهِ بِمَجْرَدِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ
(وَإِنْ اسْتَقِلَّ) أَيْ قَصْدُ الثَّوَابِ بِمُقْتَضَى ظَاهِرِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ ، وَالْإِظْهَارُ أَنَّ اسْتَقْلَالَ
كُلِّ مِنَ الْفَصْدَيْنِ الْبَاعِثَيْنِ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ الرِّيَاءِ لِأَدَى الْفَرَضِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ

فَوَجْهَانِ السُّقُوطُ بِالنِّيَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ وَعَدَمُهُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَإِنْ كَانَ فِي
 الْمُبَادَرَةِ فِيهِ قُوَّةُ الْفَضِيلَةِ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ أَمَّا الْمَغْلُوبُ الْغَيْرُ الْمُؤَثِّرُ مَثَلًا كَمُجَرَّدِ
 الْفَرَحَةِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْجَوَازُ لِعَدَمِ اعْتِبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثِّرِ وَاحْتِمَالِ أَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ
 الْخَالِصُ وَالْمُخْلَطُ غَيْرُ مُؤَدٍّ وَمِنْ ثَمَّ تَوَقَّفُ الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ مَثَلًا إِلَى الْفَسَادِ
 وَقِيلَ بِالْفَسَادِ بِأَقْلٍ خَطَرَةٌ مُطْلَقًا

الفرض لانفساً صلاة التطوع لاجل الرياء ﴿ فوجهان ﴾ اى فيه احتمالان احدهما
 ﴿ السقوط ﴾ اى سقوط الفرض واعتباره للامثال ﴿ بالنية المستقلة ﴾ واقتران
 غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى فى دار مخصصة فانه وان كان عاصياً
 بايقاع الصلاة فى الدار المخصصة فانه مطيع بامثال الصلاة وسقط للفرض عن نفسه
 ﴿ وعدمه ﴾ اى وثانيتها نفى سقوط الفرض ﴿ لان الواجب ﴾ فى تأدية الفرض
 ﴿ هو الخالص ﴾ من الرياء لقوله تعالى : (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)
 وقد فات ذلك باتصال الرياء ﴿ وان كان ﴾ باعث الاخلاص مستقلاً ثم تعارض
 الاحتمال فى تعارض البواعث انما هو فى اصل الصلاة وان كان اتصال الرياء ﴿ فى
 المبادرة ﴾ مثلاً دون اصل الصلاة مثل من بادربالصلاة فى اول الوقت لحضور الجماعة
 ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ، ولو خلا لآخر الى
 وسط الوقت او آخره ، ولولا الفرض لكان لايتبدى صلاة لاجل الرياء ، فهذا بما
 يقطع بصحة صلانه وسقوط الفرض عن ذمته ﴿ فنية فوت الفضيلة ﴾ وهى تصحيح
 النية فى المبادرة ﴿ والمعصية لقصد الرياء ﴾ فى المبادرة ﴿ اما المغلوب ﴾ من الرياء
 ﴿ الغير المؤثر ﴾ اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل كالذى لم يحمله على تطويل
 الصلاة ﴿ مثلاً كمجرد الفرحة ﴾ باطلاع الغير ﴿ فالغالب ﴾ من جهة الظن ﴿ فيه ﴾
 اى فى ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر ﴿ الجواز ﴾ اى صحة العمل ﴿ لعدم اعتبار
 غير المؤثر ﴾ دفعا للخرج ﴿ واحتمل ان الواجب ﴾ على العبد ﴿ هو الخالص ﴾
 من العمل عن الرياء ﴿ والمخلط ﴾ بالرياء ﴿ غير مؤدى ﴾ حق الاداء ﴿ ومن ثم
 توقف الحارث المحاسبي ماثلاً الى الفساد ﴾ اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما
 قدمناه ﴿ وقيل بالفساد بأقل خطرة ﴾ فيما كان من اركان العمل ﴿ مطلقاً ﴾ اى

حِرْصًا فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْمَسَآلَةِ غَامِضَةً وَالْعِلْمُ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَالْعِلَاجُ قَلْعٌ حُبُّ الْجَاهِ
وَالْمَدْحِ وَكَرَاهَةُ الذَّمِّ وَالطَّمَعِ بِمَا سَبَقَ وَاخْفَاءُ الْعَمَلِ مُتَكَلِّفًا وَذِكْرُ فَوَائِدِ

سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل ام لا . وقيل مطلقا اي رياء كان او غيره
(حرصا) لطلبه الرب (في تصفية القلب) عما عداه سبحانه لاسيما جال العبادۃ
هو مذهب الثوري والجنيد (والمسألة) اي مسألة الرياء (غامضة) اي مشككة
من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا من
ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها ، بل حملهم الحرص
على تصفية القلوب ومرادها ، وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر
والارادات (والعلم عنده تعالى) في جميع الحالات والمقامات . وما يؤيد القول
بابطال الرياء في جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس) الآية ، ورواية ابي داود من حديث ابي
هريرة « ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا
من عرض الدنيا ، فقال عليه السلام : لا اجر له ، وللنساء من حديث ابي امامة باسناد
حسن « ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله ؟ فقال لا شيء له ، فاعادها ثلاث
مرات يقول له لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى
به وجهه ، نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم (والعلاج) اي دواء داء
الرياء اربعة (قلع حب الجاه والمدح) اللذين هما سببه (وكراهة الذم والطمع)
فيما في ايدي الناس ، اي وقلع كراهتهما والطمع (بما سبق) ذكره من الاشياء .
وما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى « ان اعرابيا
سال النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ، ومعناه انه ياتق ان
يقهر او يذم بانه مقهور . مغلوب قال : والرجل يقاتل لذي مكانة ، وهذا هو طلب
لذة الجاه . والرجل يقاتل للذكر ، وهذا هو طلب الحمد باللسان » فقال عليه السلام :
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا متفق عليه . وعنه عليه السلام : « من غزا لا يبغي
الاعقالات له مانوى » رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع (و اخفاء العمل متكلفا)
اي مجتهدا مبالغا فيه بان يعبد نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السيئات (وذكر فوائد

الْإِخْلَاصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ فَمَا أَقْبَحَ مِنْ لَا يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى
سَاعَةِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلَالِهِ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ فَوَرَدَ . (لِتَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الْآيَةُ، وَمَنْ بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَإِنَّهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَيْعِهِ
بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ فَوَرَدَ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)
وَذَكَرَ مَا وَرَدَ فِيهِ، وَيَحْمَدُ الْفَرَجَةَ بِالظُّهُورِ عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى

الْإِخْلَاصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ (ع) عَلَى مَا تَقْدِمُ هـ

وَالْحَاصِلُ أَنَّ قُوَّةَ الْمَعْرِفَةِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَنُورِ الْإِيقَانِ، وَضَعْفُ الْمَعْرِفَةِ
بِسَبَبِ حُبِّ الدُّنْيَا، وَحَسَبِ الْغَفْلَةِ وَنَسْيَانِ الْعَقَبِيِّ، وَقِلَّةِ التَّفَكُّرِ فِيمَا عِنْدَ الْمَوْلَى مِنَ
الدرجات، وَعَدَمِ التَّأَمُّلِ فِي آفَاتِ الدُّنْيَا وَعَظَمِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ طَلَبُ حُبِّ
الدُّنْيَا وَغَلَبَةُ الشَّهَوَاتِ فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَمَنْبَعُ السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّ حِلَاوَةَ حُبِّ الْجَاهِ
وَالْمَنْزِلَةِ وَنَعِيمِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ هِيَ الَّتِي تَغْمُرُ الْقُلُوبَ وَتَمِيلُهُ عَنِ الرَّبِّ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
التَّفَكُّرِ فِي الْعَاقِبَةِ الْبَاقِيَةِ، وَالِاسْتَبْصَارِ بِنُورِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ، وَأَنْوَارِ الْعُلُومِ
النَّافِعَةِ وَاسْتِرَارِ الْأَعْمَالِ الرَّافِقَةِ (فَمَا أَقْبَحَ مِنْ لَا يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ
الْمَعْيُوبِ (ع) عِنْدَهُ (وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلَالِهِ (ع) أَيْ جَلَالَةِ قُدْرِهِ وَعَظَمَةِ شَأْنِهِ (ع) يَكْتَفِي
بِنَظَرِهِ (ع) أَيْ بِنَظَرِ عَبْدِهِ وَتَأَمُّلِهِ فِي خَلْقِ سَمَائِهِ وَارْضِهِ وَنَزُولِ أَمْرِهِ (فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) لِتَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الْآيَةُ) (ع) أَيْ (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (وَمَنْ) (ع) أَيْ
وَمَا أَقْبَحَ مِنْ (ع) بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَإِنَّهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَيْعِهِ بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ (ع) مَنْ نَفِيسٍ
بَاقٍ لَيْسَ لَهُ ثَانٍ (فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فَابْتَاطَهُمَا مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّهُ لَا يُوْجَدُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عِنْدَ غَيْرِهِ (وَذَكَرَ
مَا وَرَدَ فِيهِ (ع) أَيْ فِي الْإِخْلَاصِ مِنَ الْفَضِيلَةِ وَفِي ذَمِّ الرِّيَاءِ مِنَ الرَّذِيلَةِ، وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ
قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا) وَالْإِخْبَارُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ وَالْآثَارُ شَهِيرَةٌ (وَيَحْمَدُ الْفَرَجَةَ بِالظُّهُورِ)
أَيْ بِسَبَبِ ظُهُورِ الطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ قَهْدٍ فِي إِظْهَارِهَا (ع) (عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى) هـ أَيْ شُكْرًا

بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ وَأَظْهَارِ الطَّاعَاتِ، فَوَرَدَ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أَوْ دَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ فَوَرَدَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» وَأَوَّانَهُ يَقْتَدِي بِهِ فِيضَاعُفُ الْأَجْرِ أَوْ أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ الْآخِرُ بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ «لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ» فَيَمْنُ قَالَ أَخْفَى الْعَمَلَ فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحَ

(بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ) أَي سِتْرِ السَّيِّئَاتِ (وَأَظْهَارِ الطَّاعَاتِ فَوَرَدَ) فِي التَّنْذِيلِ (قَالَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) مِنَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أَي لَا بَغِيرَ مَا ذَكَرَ (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ . وَفِي الدُّعَاءِ يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ (أَوْ دَلَالَتِهِ) أَي أَوْ يَحْمَدُ الْفَرَحَ بِالظَّاهِرِ عَلَى دَلَالَتِهِ (عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ) مِنْ أَظْهَارِ الْحَسَنَاتِ وَسِتْرِ السَّيِّئَاتِ (فِي الْآخِرَةِ) أَي آخِرَ الْحَالَاتِ (فَوَرَدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» وَفِي مَعْنَاهُ انْشَدُوا ۞

لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى ۝ كَذَلِكَ يَحْسُنُ فِيمَا بَقِيَ

فَيَكُونُ الْأَوَّلُ فَرَحًا بِالْقَبُولِ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ مِلَاحَظَةٍ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَالثَّانِي التَّفَاتُ إِلَى حَالِ الْمَآلِ وَحَسَنِ الْمَنَالِ (أَوَّانَهُ) أَي يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ أَوْ بِالظَّاهِرِ عَلَى أَنَّ مَنْ ظَهَرَ عَمَلَهُ (يَقْتَدِي بِهِ فِيضَاعُفُ الْأَجْرِ) بِسَبَبِ ظُهُورِهِ (أَوْ) أَي أَوْ يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ عَلَى (أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ) أَي بِمَحَبَّةِ صَاحِبِ الْعَمَلِ (وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ) فِي مَقَامِ رِضَاةِ فَضْلِ الْخَيْرِ وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ (وَيَعْرِفُ الْآخِرُ) وَهُوَ صَدَقَ دَعْوَى فَرَحِهِ بِإِثَابَةِ النَّاسِ أَوْ فَرَحِهِ بِاِقْتِدَائِهِمْ فِي عَمَلِهِ (بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ) فَانَّهُ حِينَئِذٍ دَلَّ عَلَى أَنَّ فَرَحَهُ بِمَحْمُودٍ لَا مَذْمُومٍ مُرَدُّودٍ (وَمِنْهُ) أَي وَمِنْ الْفَرَحِ بِمَحْمُودٍ (مَا وَرَدَ لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ فَيَمْنُ قَالَ) عَلَى طَرِيقِ السُّؤَالِ (أَخْفَى الْعَمَلَ) خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ (فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحَ) بِظُهُورِ الثَّنَاءِ، فَلْيَبْهَتِ فِي شَمْسِ الْإِيمَانِ «عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ أَسِرَ الْعَمَلَ لَا أَحِبُّ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيَّ فَيُطْلَعَ عَلَيْهِ فَيَسْرِفَنِي» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ

وَالْأَظْهَارَ لِلتَّرْغِيبِ فَوْرَدَ «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَبِهِ أَمْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيَبَالِغُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ الرِّيَاءِ وَيَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَوْ قَدَّرَ اقْتِدَاءُ النَّاسِ بغيرِهِ وَعَرَفَانُهُ بِاسْتِوَاءِ أَجْرِ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِمَا رَغِبَ

من رواية أبي هريرة، ولفظه «قال قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي دخل علي رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها، فقال عليه السلام: رحمتك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السر وأجر العلانية» والحديث في المشكاة (والأظهار) أي ويحمد أظهار العمل (للتغيب) أي لتغيب غيره فيه (فورد) في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (من سنة حسنة) أي فعل بها كما في رواية «(فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)» وسبب وروده أن أنصارا جاءوا بصرة فتابع الناس بالعطية لما رواه البيهقي من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء» وله من حديث أبي الدرداء «ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا» وله من حديث عائشة «يفضل أويضاعف الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا» (وبه) أي وبالأظهار (أمر الأنبياء عليهم السلام) ويفهم منه أنه يحسن الأظهار (بشرط أن يكون) المظهر (من يقتدى به) من العلماء والصلحاء لنتم فائدة الأظهار الذي دون الأسرار. قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين، ولكن في الأظهار أيضا قد تكون فائدة فلذا اتنى الله على السر والعلانية فقال تعالى: (ان تبدوا الصدقات فتنها هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قلت وقد قال أيضا (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) الآية قال علي رضي الله عنه: تصدقت بدينهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا وآخر علانية عملا بالآية وما فيها علانية (ويبالغ) أي وبشرط أن يبالغ (في الاحتراز عن الرياء) ليصل إلى مقام أهل الاختصاص من الاخلاص، وربما يكون فيه رياء في غاية الخفاء فيدعوه إلى الأظهار بعذر الاقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك (ويعرف) احترازه أو يعرف المظهر للتغيب دون الرياء، (بأنه لو قدر) أي فرض (اقتداء الناس بغيره) من العلماء في عمله حال ظهوره (وعرفانه) أي وقدر معرفته هذا المظهر (باستواء أجر السر والعلانية) فضلا عن كون عمل السر أفضل (لما رغب) (

فيه، والذكر بعده وهو لمن قوى باطنه وتم إخلاصه وخطره أصعب لحفة المؤنة
وزيادة المبالغة ولذة النفس وأخف لأن اللاحق لا يبطل السابق وكتمان
المعاصي لأن يعتقد فيه العمل رياء بل للتخاي عن الهتك ففيه خوفه في الآخرة

المظهر (فيه) أى فى اظهار عمله ، لان غرضه حصل من عمل غيره ، فهما وجد
النقل فى نفسه اورغب فى اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب فى دعواه
طالب بمقتضى هواه (والذكر) أى ويحمد ذكر العمل (بعده) أى بعد فراغ
العمل ليقضى به كقول عثمان : مات غيت ولا تميت ولا مسست ذكرى يمينى منذ بايعت
بها رسول الله ﷺ ، كذا فى الاحياء . ولا بى يعلى الموصلى فى معجمه من رواية
انس عنه فى اثناء حديث « وان عثمان قال يا رسول الله ، قد كره بلفظ منذ بايعتك
قال هو ذاك يا عثمان ، او تحداث بنعمة ربه (وهو) أى الذكر انما جاز (لمن قوى باطنه)
فى المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله (وتم إخلاصه) عن الرياء (وخطره)
أى خطر الذكر بعد العمل (اصعب) من خطر الظهور (لحفة المؤنة) أى الكلفة
فى ذكره ببعض الكلمة (وزيادة المبالغة) أى ولزيادتها فى ذكر العمل بان يقول
ماتمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس (ولذة النفس) فى
اظهار الدعاوى (واخف) أى اهن على المظهر فى التأثر وان يترك فى الذكر
بعد العمل (لان اللاحق) من ذكر العمل (لا يبطل السابق) من نفس العمل
مع الاخلاص (وكتمان المعاصي) أى ويحمد كتمان الذنوب وكرامة اطلاق الناس
على العيوب (لا) أى لا يحمد (لان يعتقد فيه) أى فى الكاتم (العمل رياء
بل) يحمد ثمانية اشياء (للتخاي عن الهتك) أى للمحافظة على هتك ستره
وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجبرتها عليها ، فان
النفس متى ألفت ظهور الذنوب زادانها كها واسترسلت فى شهواتها بارتكابها وما بالت
بعدم اجتنابها (ففيه) أى فى الهتك فى الدنيا (خوفه) أى خوف العبد او خوف
الهتك (فى الآخرة) أى فى القيامة بالكرة الآخرة عكس ما تقدم فى قوله

كما احسن الله فيما مضى . كذلك يحسن فيما بقى

أَوْ لَأَنَّ السِّرَّ مَأْمُورٌ بِهِ فَوَرَدَ «مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلَيْسَتْ بِسِرِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِهَا مِنْ الْغَيْرِ أَوْ لَثَلًا يَتَأَلَّمُ بِالذَّمِّ فَهُوَ مُبَاحٌ لَكُونِهِ جَبِيلًا وَالتَّرْكَ كَالْأَوْ لَأَنَّ النَّاسَ شُهَدَاؤُهُ فَوَرَدَ «مَنْ اثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ اثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثًا أَوْ لَأَنَّ الذَّامَّ يَصِيرُ عَاصِيًا وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةٍ

(أولان السِّر) أي كتمان المعاصي (وأمور به) أي في باب استحبابه (فورد) في حديث «من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة» باعتبار مفهومه وكذا (من ارتكب شيئا من هذه القاذورات) أي السيئات (فليستر بسِر الله تعالى عليه) رواه الحالم (ويعرف) صحة هذا المقام (بكرَاهة ظهورها) أي المعاصي (من الغير) ففي الخبر «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخره ما يحب لنفسه» (أولثلا يتألم بالذم) أي بدم الناس فإن الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا للإنسان بعاص (فهو) أي التألم (مباح) كونه جبيلًا أن الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فإذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع في العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه (والترك) أي ترك التألم (كالم) فإن كمال الصدق في أن تزول عنه رؤية الخلق فيستوى عنده ذممه ومادحه لعله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد ظلم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه ، فللترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ «قام رجل فقال إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال كذبت ذاك الله» ولا حمد من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات (أولان الناس شهداؤه) أي شهداء الله تعالى كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق (فورد) في مسند أحمد والصحاحين والنسائي عن أنس (من اثْنَيْتُمْ) أيها الصحابة أوابها الأمة (عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن اثْنَيْتُمْ عليه شرا وجبت له النار) أتم شهداء الله في الأرض ثلاثا (أي قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه) (وكذلك جعلنا لِمَ أمة وسطا) أي عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (أولان الذام يصير عاصيا) أي بسبب ذمه ولو بالمعاصي أو بتجاوزه عن الحد في الذم فيذم بما ليس فيه (ويعرف) تصحيح هذا المقام أو يعرف هذا الكتمان (بتسوية

ذَمُّهُ وَذَمُّ غَيْرِهِ أَوْ الْخَوْفُ أَنْ يُقْصَدَ بِسُوءٍ أَوْ لِلْحَيَاءِ فَهُوَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ وَوَرَدَ
«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلِّهِ الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ، أَوْلَانُ لَا يَقْتَدِي بِهِ الْغَيْرُ وَحُبُّ
مَحَبَّتِهِ النَّاسُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى فَمَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ مَحْبُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ
ثُمَّ الطَّاعَةُ الَّتِي يُلْتَذُّ بِهَا الْعَامَّةُ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ يَتْرُكُ بِمَحْضَرِ الْغَيْرِ أَنْ هُجِمَ الرِّيَاءُ
فِي الشَّرْعِ

ذمه وذم غيره) يعنى لما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذي قبله
ان هذا يوجد فى الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره أيضا لما يوجد اذا ظهرت منه ،
والذى قبله انما يوجد فى الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره (او الخوف ان يقصد
بسوء) من محتسب وغيره وهذا وراى الم الذم ، فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه
وان كان بمن يؤمن شره ، وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه (او
للحياء فهو من كرم الطبع) ولا يلزم منه الرياء (وورد الحياء خير كله) مسلم من
حديث عمران بن الحصين (الحياء شعبة من الايمان) متفق عليه من حديث أبى هريرة
وفى الخبر « الحياء لا يأتى الا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن الحصين . ويعرف
السكران للحياء بعدم السكران فيمن لا يستحي منه كالأجانب بخلاف باقى الأسباب فان
صاحبها يحب السكران فى الأجانب والأقارب (أولان لا يقتدى به الغير) فى معصيته
فينبغى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبداه أيضا (وحب) أى ويحمد حب
(محبته الناس) فان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول
مخذوف أى اياه ، لكنه قلب الكلام وقال محبته الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها
(لان يعلم منه) أى من حب الناس له (محبته تعالى) رياء (فمن أحبه تعالى جعله محبوبا
فى قلوبهم) أى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا) ولقوله عليه السلام « اذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال
انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبه
فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض » الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة
(ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم) والصدقة (يترك بمحضر الغير ان
هجم الرياء) متجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص (فى الشرع) أى فى ابتداء

حَتَّىٰ تُدْفَعَ الرِّيَاءُ وَيُشْرَعَ مُجَاهِدًا إِنْ هَجَمَ بَاعِثَانِ وَيُتِمُّ كَذَلِكَ إِنْ هَجَمَ بَعْدَهُ
وَلَا يَتْرُكُ لِأَنَّهُ مُوَافِقُ الشَّيْطَانِ وَلِأَنَّ الْأَشْتِهَارَ بِاخْفَائِهَا يُعَلِّمُ اخْلَاصَهُ رِيَاءً
وَالِاحْتِرَازَ عَنِ النَّسَبَةِ إِلَى الرِّيَاءِ رِيَاءً وَتَرْكُ النَّخْيِ التَّلَاوَةَ لِدُخُولِ شَخْصٍ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالِاشْتِغَالِ بِهِ لِيَكُونَ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَأَنْ زَادَ عَلَى الْمُعْتَادِ بِحُدُوثِ
النَّشَاطِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مُتَعَبِّدًا فَإِنْ كَانَ غِبْطَةً لَزَوَالِ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ

شروعه في العمل ﴿ حتى اندفع الرياء ﴾ أي إلى أن يندفع الرياء ويظرب أباغث الاخلاص
﴿ ويشرع ﴾ في العمل ﴿ مجاهدا ﴾ نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة
والدواء ﴿ ان هجم باعثن ﴾ في وقت الشروع ﴿ ويتم ﴾ أي مجاهدا ﴿ كذلك ﴾ أي
كما أتم في هجوم باعثن ﴿ ان هجم ﴾ باعث الرياء ﴿ بعده ﴾ أي بعد الشروع ﴿ ولا يترك ﴾
أي رياء الشروع في العمل مع هجوم الرياء لوجهين ﴿ لأنه موافق الشيطان ﴾ فإنه يحب
ترك العمل من أصله ، فإنه يدعوك أولا إلى ترك العمل ، فإذا لم تجبه واشتغلت بالعمل
فدعوك إلى الرياء ، فإذا لم تجبه ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مزاء
وتعيبك ضايغ فاي فائدة لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى يدلك على ترك العمل
بخوفك ، فإذا تركته حصلت غرضه ، بل يجب عليك حينئذ أن تعمل العمل وتطلب
الاخلاص من الله تعالى فإن الرياء فتنة الاخلاص ﴿ ولأن الاشتهار باخفائها ﴾ أي
الطاعة ﴿ ليعلم اخلاصه رياء والاحتراز عن النسبة إلى الرياء رياء ﴾ كما قال الفضيل : العمل لغير
الله شرك ، وترك العمل لأجل الخلق رياء ، والاخلاص أن يخلصك الله منها ﴿ وترك النخعي
التلاوة لدخول شخص ﴾ لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل ﴿ لما علم أنه يحتاج إليه بالاشتغال به ﴾
فبادر إلى ترك التلاوة قبل دخوله ﴿ ليكون ﴾ أي التبادر ﴿ أبعد من الرياء ﴾ فرأى أن عدم
اشتغاله بالقراءة أبعد من الرياء ، وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليها بعد ذلك
والحاصل أن تركه لم يكن لهجوم الباعثن عند الشروع أو هجوم باعث الرياء بعد الشروع
﴿ وان زاد ﴾ أي الماصل مثلا ﴿ على المعتاد ﴾ في ورده كمية أو كيفية ﴿ بحديث النشاط ﴾ في
العبادة ﴿ عند رؤيته متعبدا ﴾ أي عند رؤيته متعبدا آخر فإن للصحة تأثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة
والجماعة ﴿ وان كان ﴾ ما زاد على المعتاد ﴿ غبطة ﴾ في العبادة ﴿ لزوال الغفلة والكسل

بِمُشَاهَدَتِهِ فَيَفْعَلُ الزِّيَادَةَ دَافِعًا وَسُوسَةً أَنَّهُ رِيَاءٌ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ نَشَاطًا لَا سِتْمَالَةَ
قَلْبِهِ وَيَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَوْ رَأَى بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ رَغِبَ فِيهِ أَمَامًا تَلْتَذُّ بِهِ الْعَامَّةُ فَلَا أَعْلَى الْخِلَافَةِ
فَوَرَدَ «لَيَوْمٍ مِنْ أَمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ سِتِينَ سَنَةً» وَخَطَرُهَا
أَعْظَمُ لِتَحْرِيكِهَا الْبَاطِنَ فِي مَحَبَّةِ الْجَاهِ وَالْإِفْضَاءِ إِلَى ارْتِكَابِ الذَّنْبِ لِمَنْوَرِهِ

بِمُشَاهَدَتِهِ) أى المتعبد (في فعل الزيادة) على العادة وأن ظن أنه رياء دافعًا وسوسة أنه رياء
(بمخالفة ما إذا كان نشاطًا لاستمالة قلبه) أى قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لأنه رياء
محض لا ثواب فيه بل عقاب عليه (ويعرف) هذا المقام وهو النشاط لأجل الغبطة (بأنه)
أى إن العابد الذى يزيد على المعتاد غبطة (لورأى) أى المشط المتعبد (بحيث لم يره)
المتعبد المنشط (رغب) العابد (فيه) أى فى العمل الزائد فإنه حينئذ يصدق أنه مخلص
وباعت الزيادة حصول الغبطة (امامًا تلتذ به العامة) من الطاعة (فلا على الخلافة)
أى الإمامة الكبرى (فورد) فى الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس (لיום)
من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة) وفى رواية عامًا، وللأصفهاني
فى الترغيب والترهيب من حديث أبى سعيد الخدرى «أقرب الناس منى مجلساً يوم
القيمة امام عادل» (وخطرها) أى آفة الخلافة (أعظم لتحريكها) أى الخلافة
(الباطن فى محبة الجاه) وهو أعظم بلاء الدنيا فلاحمد، واليزار وأبى يعلى والطبرانى
من حديث أبى هريرة «ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه
لا يفكها الا اذا ففرله، وفى الصحيحين من حديث معقل بن يسار «ما من عبد يستريحه
الله رعية لم يحطها بنصيحة الامم يرح رائحة الجنة» وعن الحسن ان رجلاً ولأه النبي
عليه السلام فقال خلى يا رسول الله قال اجلس رواه الطبرانى ورواه ايضا من حديث
ابن عمر بلفظ «الزم بيتك» وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة «لا تسأل
الامارة» وللبخارى من حديث أبى هريرة «انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة
يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ورواه ابن حبان «فبئست
المرضعة وبئست الفاطمة» وفيهما من حديث أبى موسى «انا لأتولى امرئاً من
سألنا» (والإفضاء) أى واتصال الخلافة وانجرارها (الى ارتكاب الذنب لمَنْوَرِهِ)
أى لزيادة الجاه، فان كل ما نجا جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبية

وَمَنْ ثُمَّ احْتَرَزَ عَنْهَا الْإِتْقِيَاءُ فَيَحْتَرِزُ عَنْهَا الضَّعِيفُ دُونَ الْقَوِي لِعَدَمِ
تَأْثِيرِهَا فِيهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْقَوِيُّ الْإِنْقِلَابَ عِنْدَ التَّقْلِيدِ فَالصَّحِيحُ فِيهِ الْإِحْتِرَازُ
إِذَا النَّفْسُ خِدَاعَةٌ يُخَافُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْجَزْمِ بِالثَّبَاتِ فَعِنْدَ الْخَوْفِ أُولَى وَالْإِمْتِنَاعُ
أَهْوَنُ مِنَ الْعَزْمِ، ثُمَّ الْقَضَاءُ ثُمَّ الْوَعْظُ وَالدَّرْسُ وَالْفَتْوَى فِي الْفَضْلِ وَالْخَطَرِ
وَأَشْرَاطُ الْقُوَّةِ وَمُدَافَعَةُ السَّلَفِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ ،

عنده فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان
كان حقا (ومن ثم احترز عنها) اي عن الخلافة (الاتقياء) من ائمة الامانة لكن
لا بد لاحد ان يقوم بامرها (فيحترز عنها الضعيف) اي العاجز عن السياسة (دون
القوى) القادر على الرياسة (لعدم تأثيرها) اي تأثير الخلافة أو عجة الجاه (فيه)
اي في القوى (الا اذا علم القوى) اي خافه (الانقلاب) ه عن حالة القوة الى
حالة الضعف (عند التقليد) اي عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة (فالصحيح)
الاحوط (فيه) اي في هذا الحال من خوف الانقلاب (الاحتراز) اذ النفس
خداعة يخاف عليها عند الجزم (اي عند عزمها وجزمها) بالثبات فعند الخوف (من
عدم الثبات) (اول) ان يخاف عليها (والامتناع) عن المنصب (أهون
من العزل) كما هو المشاهد في اهل العدل ويشير اليه ما في حديث البخاري «نعمت
المرضعة وبشت الفاطمة» (ثم القضاء) وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ، ولمسلم
من حديث ابي ذر «لا تؤمرن على اثنين ولا تلين مال يتيمة» ولاصحاب السنن من
حديث بريدة «القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق ف قضى به
فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في
الحكم فهو في النار» ولهم من حديث أبي هريرة «من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين»
وفي رواية «من ولي القضاء» واسناده صحيح (ثم الوعظ) ه للناس (والدرس)
للطلبة (والفتوى) لارباب الحاجة (في الفضل) لانها عبادات متعدية (والخطر)
لانساع الجاه فيها وعظم القدر بها لخطرها فيها عظيم بقدرها (واشتراط القوة) ه بان
يحول التعليم خالصا لوجه الله الكريم (ومدافعة السلف) مبتدأ (فيها) اي في
المد كورات (مشهورة) قال بعضهم : كان السلف يتدافعون اربعة أشياء : الامانة

وَتَعْرِفُ الْقُوَّةَ بِعَدَمِ كَرَاهَةِ ظُهُورِ آخَرٍ يَتَقَلَّدُهُ فَإِنْ عُدِمَ الْقَوِيُّ الْكَامِلُ يَتَعَيَّنُ
أَقْوَى النَّاسِ مُجْتَهِدًا فِي الْإِحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْخَطَرُ خَطَرَانِ خَطَرُ الْفَسَادِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّفْوِيزِ

والوديعة ، والوصية ، والفتوى (وتعرف القوة) في كل منهم (بعدم كراهة ظهور
آخر) أحسن منه علما وعملا (يتقلده) أي بالقيام في أمره (فان عدم القوى) في مقام
التقوى (الكامل) في العلم بالفتوى (يتعين أقوى الناس مجتهدا) أي حال لونه مبالغا
(في الاحتراز عن آفاته) أي آفات ما ذكر من الخلافة وغيرها في جميع حالاته ومقاماته
وبالجملة ما يتماق بالخلق من الطاعة والنفس فيه لذة فهو مثار الآفات ومنبع البليات ،
فلا حب للقوى ان يعمل ويدفع الآفة بالعلم ، فان عجز فليظرو وليجتهد وليستفت قلبه
وليستخر ربه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ، ليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشرع
دون الميل اليه بالطبع اذ ما يجده اخف على قلبه راهون اليه يكون في الاكثر اضر عليه ،
لان النفس لا تشير الا بالشر فلما تشير بمحض الخير ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على
تفاصيلها بنفى واثبات نظرا الى تعاليها ، بل هي موكلة الى اجتهد القلب المشحون
بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريه الى ما لا يريه . ومن جرب آفات
مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولايات والحكومات اشبه ،
وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم . والله سبحانه أعلم .

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه)

أي اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة (بسم الله الرحمن الرحيم) وافوض أمري
الى ربى الكريم (الخطر) وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق
القدر (خطر ان) أي نوعان أحدهما (خطر الفساد) بان لا يستيقن فيه الصلاح
(ويحتاج فيه الى التفويض) أي التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فيما أراد من
الصلاح والفساد ، فان المراد للعباد ثلاثة ، مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب
والحجاب ، وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك .
ومراد يعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم

وَهُوَ ارَادَةُ حِفْظِهِ تَعَالَى لِلْفَوْضِ فِيهَا لَا أَمْنٌ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ قِيلَ هُوَ مَا يَكُونُ
دُونَهُ نَجَاةً وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَامِعَهُ ذَنْبٌ فَيَخْتَصُّ بِالنَّوَافِلِ وَالْمُبَاحَاتِ وَقِيلَ مَا يُمْكِنُ
أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ أَوَّلَى، فَيَعْمُ الْفَرَضُ

لا موضع للتفويض فيه اذا لخطر فيه ، ومراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا أم فسادا
فمذا موضع التفويض ، فليس لك ان تريد اقطاعا الا بالاستثناء أو شرط الخير والصلاح ،
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو مذموم
ومنهى عنه ، فموضع التفويض إذا كل مراد فيه الخطر وهو أن لا يستيقن صلاحك
فيه (وهو) أي التفويض (ارادة حفظه تعالى للتفويض فيها) أي في عمل (لا امن
فيه من الفساد) وقال بعض المشايخ : هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر
العالم بمصالح العباد من صلاح والفساد ، وعبارة الشيخ السنجري : هو ترك اختيارك
للمخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ، ويؤيده كلام الامام الشاذلي :
لا تخترفان تخترفا فاختران لا تختار فربك يخاف ما يشاء ويختار ، ومن هنا لما قيل لا يزيده
ما تريد . قال أريد ان لا أريد ، وقال الشيخ أبو عمر : هو ترك الطمع أي من الحق ، والطمع
ارادة الشيء المخاطر بالحكم . وعن الشاذلي : اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
لك . فهذه عبارات القوم . وما ذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالي بعينه وهو
ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك
(قيل هو) أي العمل الذي لا أمن فيه من الفساد (ما يكون دونه نجاة) قال ايمان ليس
لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات (ويمكن أن يجامعه ذنب) فالاستقامة التي
هي حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة
لا يجامعها ذنب اذا السنة لا يجامعها بدعة ، لان البدعة الذميمة هي التي تزاحم السنة
الكريمة (فيختص) التفويض (بالنوافل والمباحات) دون الواجبات والمحرمات
والمكروهات (وقيل) المراد بالعمل الذي لا أمن فيه من الفساد (ما) أي عمل (يمكن ان
يعترض عليه) أي يطارأ ويحدث على شروعه (ما يكون الاشتغال به أولى فيعم
الفرض) أي ونحوه . واكثر المشايخ واختيار الامام في منهاج العابدين : ان الفرض
ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال في هذه المسألة : ان الذي افترض الله
عز وجل على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا محالة

اذ من قصد أداء صلاة ضاق وقتها وعنده غريق أو حريق يمكن إنقاذه فهو أولى
ولا بد منه لا طمئنان القلب في الحال وحصول الصلاح في الاستقبال فلا
يفعل في المفوض الفساد فورد (وأفوض أمري إلى الله - إلى - فوقاه الله) الآية
وأما الأصلح فربما لا يفعل حتى نام عليه السلام مع أصحابه

وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى، وقال بعضهم . ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء
الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ، ولا يضيق عليه فعلا فرضا يث لا يعدل عن
ذلك الا وفيه صلاح له ، وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احد الفرائض
اولى من الاشتغال بالآخر ، فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا
الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى اولاً (اذ من قصد أداء صلاة ضاق وقتها
وعنده غريق أو حريق) او اعنى او صغير يريد ان يرتقى في بئر (يمكن انقاذه) اى
تخليصه بترك أداء الصلاة أو بقطعها وتأخيرها (فهو اولى) من ادائها وانما هما
لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت (ولا بد منه) اى من التقويض
لامرين (لا طمئنان القلب في الحال) فان الامور اذا كانت خطيرة مهمة لا يدري
صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس في مرادها لا يدري يقع
في صلاح او فساد ، فاذا فوض الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تقع الا في خير
وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنا من الخطر والآفة والخافة مطمئن البال في الحال ،
وهذه الطمانينة والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة في المنال ، فكان يقول بعض
المشايع في مجالسه كثيرا : دع التدبير الى من خلقك تستريح (وحصول الصلاح)
اى الخير والنفع (في الاستقبال) وذلك لان الامور بالعواقب مهمة ، فكم من
شر في صورة خير ، ولم من نفع في حلية ضر ، ولم من سم في طينة شهد ، وانت
جامل بالعواقب واسرار المراتب . واما اذا فوض الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت
نفسك لديه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك (فلا يفعل) رب العباد (في المفوض)
اى في امر المفوض للمراد (الفساد) بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح
والسداد (فورد) في التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون (وافوض أمري الى
الله الى فوقاه الله الآية) اى (ان ابصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق
بآل فرعون سوء العذاب) فالمرجو المتيقن هو الصلاح (واما الأصلح) للعبد
(فربما لا يفعل) الله في المفوض (حتى نام عليه السلام مع أصحابه) الكرام

عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَلَهُ اخْتِيَارُ الْاَفْضَلِ كَقَوْلِ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ اجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ
السُّكَّرِ لَا مَاءَ الشَّعِيرِ اِذَا كَانَ الصَّلَاحُ فِيهِمَا مَعَ الرِّضَاءِ بِالْمَفْضُولِ اِنْ اخْتِيرَ لَهُ بِخِلَافِ
الْاَصْلَحِ فَهُوَ مَجْهُولٌ وَضِدُّهُ الطَّمَعُ وَهُوَ مَحْمُودٌ

(عن صلاة الفجر) حين عرس عليه السلام وقت سحر في حال سفر، والحديث في
الصحيحين بطوله (وله) اي وللمفوض (اختيار الافضل) اي في طلبه من الله
بغير استثناء منه وهو لا يقدر في تفويضه الذي هو كمال تسليمه (كقول المريض)
المفوض (للطبيب) الذي بمنزلة الحبيب (اجعل دوائى ماء السكر لا ماء الشعير اذا كان
الصلاح فيهما) بحسب التدبير (مع الرضاء بالمفضول) وهو ماء الشعير (ان
اختير له) اي اختار الطبيب المفضول (له) للمريض بحسب التقدير، وانما قيد
يكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل حينئذ هو
الفاضل (بخلاف الاصلح فهو مجهول) اي لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح
وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد. وتوضيحه ما في الاحياء فان قيل: هل
يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الاجاب مستحيل في حق الله تعالى،
ولا يجب لعباده عليه شيء، وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة في فعله،
الا ترى انه قدر للنبي عليه السلام واصحابه ان ناموا طول الليل في بعض الاسفار حتى
قاتهم صلاة الفجر، والصلاة افضل من النوم، وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في
الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبى، ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج
وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير، فالمقصود للعبد النجاة
من الهلاك لان الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك. فان قيل فلما كان للعبد ان
يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح؟ فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد به الحكم، ثم معنى اختياره
الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره
هنالك، لان للعبد تحكما في شيء لقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) فهذه جملة
من دقائق هذا العلم وامراره وحقايقه وانواره، ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا
بالايراد عليه، لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة ونحن في ساحل علوم المعاملة (وضده)
أي ضد التفويض (الطمع) من الحق بمعنى الرجاء (وهو) اي الطمع (محمود)

إِن قَيْدَ بَشَرِ الصَّلَاحِ أَوْ بَابِ الْخَطَرِ فَوْرَدَ . (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي - إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) وَالْأَفْذَمُومُ فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ
إِلَى مَنْفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ وَخَطَرُ عَدَمِ الْكُونِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قَصْرِ الْأَمَلِ وَهُوَ أَنْ
لَا يُرَادَ أَمْرٌ يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ إِلَّا بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِذِكْرِ الْمَشِيشَةِ أَوْ الْعِلْمِ قَلْبًا فَوْرَدَ «إِذَا

ان قيد بشرط الصلاح) فيما لا امن فيه عن الفساد (ارباين) اى ان فارق المطموع
(الخطر) اى خطر الفساد (فورد) فى التنزيل حكاية عن ابراهيم (و الذى
اطمع ان يغفرلى خطيئتي) يوم الدين ، وعن السحرة (اما نطمع ان يغفرلنا ربنا
خطايانا) ان كنا اول المؤمنين ه وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: (ومالنا
لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) فالطمع
الوارد فى هذه الآيات مثال ما بين الخطر (والافذموم) اى وان لم يقيد بشرط
الصلاح اولم يبين الخطر فالطمع مذموم، فى الخبره اياكم والطمع فانه فقر حاضر ه
وقيل . صلاح الدين الورع وفساده الطمع (فهو) اى الطمع المذموم (سكون
القلب الى منفعة مشكوكه) وقبل هو ارادة الشئ المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل
التفويض لا غير فاعلم ذلك . واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد منها ، وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر
والامتناع من الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك، فالمرأظة على هذين الذكرين
تحمالك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن
ارادتها الا بشرط صلاحها ، وهذا غاية التحقيق والله ولى التوفيق (وخطر عدم
الكون) بالرفع عطف على قوله فى اول الباب خطر الفساد ، اى الخطر خطر ان:
خطر الفساد وخطر عدم الكون اى عدم وجود الامر (ويحتاج فيه) اى فى خطر
عدم الكون (الى قصر الامل) اى وتقريب الاجل وتكثير العمل (وهو) اى
قصر الامل (ان لا يراد امر يشك فى كونه) اى وجوده (الا بالاستثناء بذكر
المشيئة) اى بقيد ان شاء الله كما قال تعالى: (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله) (او العلم) اى او بذكر علم الله فيقول: ان علم الله انى افعل ذلك الفعل
فأفعل (قلبا) اى يكفى فى الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ، ولا يلزم
فيها النطق باللسان فى عالم البيان (فورد) فى قصر الامل خطايا لابن عمر (اذا

أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ
وَالْأَمَلُ هُوَ الْإِرَادَةُ بِالْحُكْمِ وَفِيهِ التَّفَاوُتُ مِنْ أَمَلِ الْبَقَاءِ أَبَدًا وَإِلَى الْهَرَمِ وَالسَّنَةِ
وَالْفَضْلِ وَالشَّهْرِ

أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ﴿أي بادراكه﴾ وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح ﴿وتمامه﴾ وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبد الله
لا تدري ما اسمك غداً و صدر الحديث « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وعد نفسك من أصحاب القبور ، رواه ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر ،
ولا بن أبي الدنيا من حديث علي مرفوعا قال «ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع
الهوى وطول الأمل ، فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق ، واما طول الأمل فانه يورث
الحب للدنيا ، ثم قال الا ان الله يهطى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا أحب عبدا أعطاه
الايمان ، الا ان للدنيا أبناء وللدين أبناء فكونوا أبناء الدين ولا تكونوا أبناء الدنيا الا ان الدنيا
قدارتحات مولية ، الا ان الآخرة قد اظلت مقبلة ، الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ،
الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل ، ﴿والأمل﴾ أي وضد
التفويض الأمل أيضا ﴿هو الارادة﴾ أي ارادة أمر يشك في كونه ﴿بالحكم﴾ أي
بالقطع لا بالاستثناء رقيد المشيئة ﴿وفيه﴾ أي في الأمل ﴿التفاوت من أمل البقاء أبدا﴾
كما للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو
يعمر ألف سنة) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنين
طول الحياة وحب المال ، ﴿والى الهرم﴾ أي الكبر وهو حال الأكره ﴿والسنة﴾ وهو
قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله
﴿والفصل﴾ من الفصول الأربعة ﴿والشهر﴾ فلا بن أبي الدنيا والطبراني وأبي نعيم
والبيهقي عن أبي سعيد « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر
فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ، ان أسامة
لطويل الأمل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان جفنى لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى اقبض ، ولا لقيت لقمة الا
ظننت أنى لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا
أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ، ولا بن

المبارك وابن أبي الدنيا والبخاري من حديث ابن عباس « كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فيقول الماء منك قريب ، فيقول ما يدريني لعل لا أبلغه » وكان عليه السلام يقول في دعائه « اللهم اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ، ابن أبي الدنيا من رواية حوشب ، وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لحشيت على ذهاب عقلي ، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتت أرواحنا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق . وقال بعضهم : لولا الحمقى لخربت الدنيا ، وقال الثوري : الزهد في الدنيا بقصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولبس العباء . وقيل للحسن : ألا تغسل قميصك . قال الأمر أعجل من ذلك ، ورأى وهب بن منبه في حجر منقور : ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في زيادة عملك ، ولعصرت عن حرصك وجهك إنما يلقاك غدا ندمك ، لو قد زلت قدمك ، واسلك أهلك وحشمك ، وفارقك الوالد والقريب ، ورفضك الولد والنسب ، فلانك إلى دنياك عائد ؛ ولا في حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، وعن داود الطائي : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو مشؤم ، وإن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور ، إنما يدعون على ما يخلفون ، ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور فاهل الدنيا عليه يقتلون ، وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون ، وروى أن معروف الكرخي أقام الصلاة فقال لاحمد بن أبي توبة تقدم فقال : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غير ها فقال معروف : وانت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل . وكان الحسن يقول في موعظته : المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حسبت انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله تعالى عز وجل ، رحم الله عبداً انظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية (إنما نعذ لهم عدا) يعني الأنفاس آخر العد خروج نفسك عن نفسك ، واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهداً شديداً ، فقيل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجاريها أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من عمري أقل من ذلك ، فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته : شدي رحلك فليس على جهنم معبر ، وقال ابن عمر « خرج عليه السلام والشمس على أطراف السعف ، وقال ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا إلى ما مضى منه » ابن أبي الدنيا والترمذي وحسنه . وعن أنس قال عليه السلام « مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي معلقاً بخيط

وَالْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ وَيَظْهَرُ بِالْإِدْخَارِ وَالْتَّاهِبِ، وَأَفَاتُهُ تَرُكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلِ

في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع » رواه ابن أبي الدنيا . و مر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما بادر خروج روحى . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : (وَاكْنُكُمْ فَبِمَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) قال بالشهوات واللذات (وتربصتم) قال بالتوبة (وارتابتم) قال شكيحكم (حتى جاء امر الله) قال الموت (وغركم بالله الغرور) (واليوم) فمن عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأق في أرزاقكم ، وان لم يكن من آجالكم لا تهتموا لآجال غيركم . وهو يؤخذ من قوله تعالى (وما تدرى نفس إذا تكسب غدا) (والساعة) النجومية واللغوية الشاملة للحظة والفضة . ويؤخذ هذا من قوله تعالى (اذا جاء أجالهم لا يستأخرون ساعة) ومن قوله (ولن يؤخر الله نفسا) أى ولو نفسا (اذا جاء أجلها) وفى الأحياء : ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره . وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع . وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما سأله عليه السلام عن حقيقة إيمانه فقال « ما خطوات خطوة الاظننت انى لا اتبعها اخرى » رواه ابو نعيم فى الحلية . و نقل عن الاسود وهو الحبشى انه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا ، فقال قائل : ما هذا ؟ قال انتظر ملك الموت من أى جهة يأتينى ، يعنى وفى أى صفة يحضرنى ، وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال ، تخوف الرجال من هذا الحال لامن انتهاء الآجال . وفى منهاج العابدين قال : اكثر علمائنا ان الأمل ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم ، وقصر الأمل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه فى الذكر ، او بشرط الصلاح فى الارادة ، فاذن ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل ، وذلك معصية اذ هو حكم على الغيب ، وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله وان علم الله انى اعيش بعد خرجت عن حكم الأمل ؛ وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثانى قطعا فانت آمل ، وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الأمل ووصفت بتقصير الأمل حيث تركت الحكم فى ذكر البقاء وارادته ، والمراد بالذكر ذكر القلب . ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على ما هنالك (ويظهر) هذا التفاوت (بالادخار) أى بوضع ذخيرة الارزاق (والتأهب) أى التهيؤ لاسباب المعاش فى الارفاق (وآفاته) أى آفات الأمل وهو ضرابه ستة (ترك الطاعة) رأسا (والكسل) فى العبادة . والميل

والتَّسْوِيفُ وَالْحَرَصُ وَنِسْيَانُ الْآخِرَةِ وَالْقَسْوَةُ فُورَدَ (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ - وَيَلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ) وَالسَّبَبُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَعِلَاجُ كُلِّ مَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ وَذِكْرُ فُجَاءَةِ الْمَوْتِ فَذِكْرُهُ يُوجِبُ التَّأَهُبَ لَهُ وَالتَّجَافِيَّ عَنْ دَارِ الْغُرُورِ فُورَدَ «نَعَمْ مِنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً

(والتسويق) أي تأخير العمل بأن يقول سوف أعمل (والحرص) على الدنيا (ونسيان الآخرة) وما فيها من لقاء المولى (والقسوة) أي قساوة القلب ومنه قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله سبحانه (فويل للفاسية قلوبهم من ذكر الله) ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة (فورد) في التنزيل (الم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل (فطال عليهم الأمد) أي زمان الاجل (فقست قلوبهم) بسبب طول الأمل، وفي آية أخرى (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا) (ويلههم الأمل) أي يشغلهم الأمل عما خلقوا له من العمل (فسوف يعلمون) غاية جهلهم في طول أمدهم وقصر عملهم وتوهم تأخير أجلهم (والسبب) أي سبب الأمل شيان (حب الدنيا) فانه يوجب كراهة مجيء الاجل (والجهل بالحقائق) أي حقائق ما يرد على الإنسان من موت الفجاءة وقتل البغته، ومن مقدمات الموت كالحى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الا غفلة، قال تعالى (ولم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا وهم قائلون) أي اوهم قائلون أي مستريحون بالقيولة (وعلاج كل) من سببه (ما عرف في موضعه وذكر فجاءة الموت) أي ومن علاجه تصورهما في الجنان وتقريرها باللسان (فذكره) أي الموت مطلقا (يوجب التأهب له) أي يقتضى التهيؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه (والتجافى) أي التباعده عن دار الغرور (وهي الدنيا فانها غدارة مكاره كما قال تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى (فورد) في الحديث (نعم من يذكّر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة) والظاهر ان يقول في كل ساعة: اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت. ويحتمل ان يذكره في اليوم عشرين مرة وفي الليلة عشرين مرة أو في اليوم عشرة وفي الليل عشرة متوالية أو متفرقة، والمقصود

حِينَ قِيلَ هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشَّهَدَاءِ أَحَدٌ؟

منها الكثيرة (حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد) والحديث تقدم . وقال المخرج لم اقف له على اسناد ، قلت روى الطبراني في الاوسط « عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله : قال يا عائشة ان شهداء امتي اذن لقليل ، من قال في يوم خمسا وعشرين مرة : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد » وفي السنن الاربعة عن ابي هريرة « اكثروا ذكرها ذم اللذات الموت » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت يسليك عما سواه » وفي رواية « اكثروا ذكرها ذم اللذات فانه لا يكون في كثير الا نمللة ولا في قليل الا جزاء » وفي رواية « فانه لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ، ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه ، وفي رواية « اكثروا ذكر الموت فانه يحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكر تموه عند الغنى هدمه ، وان ذكر تموه عند الفقر ارضاهم بعيشكم ، واليهقى في الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اظلمت منها سمينا ، ولا بن ابي الدنيا عن عطاء الخراساني مرسل انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال : « شربوا مجلسكم بذكر مكر اللذات قالوا وما مكر اللذات ؟ قال الموت » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اكثروا من ذكرها ذم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما اظلمت بضحكتهم قايلا وليكنتم كثيرا » رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر ، وفيه ايماء الى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر « كفى بالموت واعظا ، وفي رواية ، فرقا ، قال ابن عمر آتيت النبي ﷺ عاشر عشرة : فقال رجل من الانصار : من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله ؟ قال « اذرهم ذكرا للموت ، واشدهم استعدادا له اوائلهم الا كياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ان ابي الدنيا بسند جيد . وقيل في تفسير قوله تعالى : (ايهم احسن عملا) ايهم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الفوت . وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تمنى فيها الموت ولا تجده . وقال كعب . من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقالت صفية : ان امرأة شكت الى عائشة قساسة قلبها فقالت اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، وقال عبيد الله بن ثعلبة تضحك

وَحَقُّهُ أَنْ يُذَكَّرَ رَغْبَةً إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى وَبَعْثًا لِلْخَوْفِ الْمَوْجِبِ سُرْعَةَ التَّدَارُكِ
دُونَ التَّاسُّفِ عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ مَبْعُدُ عَنْهُ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ
أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار (وحقه) أي وحق ذكر الموت (ازيد كر رغبة) أي ميلا ومحبة (الى لقاءه تعالى) في الجنة (وبعثا) أي تحريضا وحشا (للخوف الموجب سرعة التدارك) أي تلافى ما فات منه من الطاعات (دون التأسف) أي الحسرة (على فوات الدنيا) أي من لذاتها وشهواتها (فهو) أي التأسف المذكور (مبعد عنه تعالى) لقوله عليه السلام «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة» أخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمرو (فورد) في الحديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (رواه الشيخان وغيرهما) وفي رواية زيادة والموت دون لقاء الله. والمراد بلقاء الله المصير الى دار الآخرة وطلب ما عند الله من المراتب الفاخرة، وليس الغرض به الموت لاراد لا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن اختارها وآثرها وركن اليها كره لقاء الله لانه انما يصل اليه بالموت. وقوله والموت دون لقاء الله يبين لك ان الموت غير اللقاء ولمكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو الوصول الى قرب المحبوب، فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل الى الفوز باللقاء كذا في النهاية. وفي شرح مسلم للنزوي: ليس معنى الحديث ان حبهم لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم، ولان كراهتهم سبب لكراهته، بل الغرض بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم. انتهى، وتوضيحه ان المحبة صفة الله، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار. ويؤيده ما روى انه عليه السلام قال «إذا أحب الله عبدا عشقه عليه» وفي تقديم محبهم على محبونه في القرآن إشارة اليه ودلالة عليه، فمعنى الحديث: من أحب لقاء الله فهو سبب للاخبار بان الله يحب لقاءه، اذ اقنا الله حلاوة محبته وفاقنا بمزيد عنايته. كذا في شرح المشرق فالاول صفة المحبين، والآخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين او صفة الكافرين، والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصاييح ان الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث، فقالت عائشة: انا لنكره الموت قال عليه السلام «ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت

وَالْمُرَادُ بِالْمَحَبِّ الْعَارِفُ الْمُشْتَاقُ إِلَيْهِ فَلَمُوتُ مَوْعِدُهُ وَبِالْكَارِهِ الرَّاعِبُ إِلَى الدُّنْيَا
بِخِلَافِ الْخَائِفِ هُجُومُهُ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الزَّادِ فَهُوَ أَنَّمَا يَكْرَهُ فُوتَ اللَّقَاءِ

بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، وفي القرآن يشير إلى المقامين حيث قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمُ الْمَلَائِكَةَ لَاتَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) الآيات . وقال عز وجل (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) (والمراد بالمحبة) أي لقاء الله في الحديث إنما هو (العارف) بذات الله وصفاته وبدائع مصنوعاته (المشتاق إليه) لزيادة مآلديه (فآلموت موعده) إذ لا يتصور لقاءه دونه ، كما في حديث مسلم « أنكم لن تروه حتى تموتوا » وهذا يحمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام (لن تراني) أي في الدنيا بالعين الفانية وإنما تراني في العقبى بالعين الباقية ، وهذا يحمل قوله عليه السلام « تحفة المؤمن الموت » ابن أبي الدنيا والطبراني والحارثي من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن . وعلامة المحبة العارف أن لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطنه . محبة الموت ومحبة مجيء ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين ، لما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا أفطم من ندم ، اللهم أن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى ، والسقم أحب إليّ من الصحة ، والموت أحب إليّ من العيش ، فسهل علي الموت حتى ألقاك . فإذا التائب معذور في كراهة الموت . وهذا مشكور في حب الموت . وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله نصار لا يحب لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه حبه إلى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضاء وهو غاية المنتهى ، وهو معنى قول المصنف فيما يأتي (وبالكاره) أي والمراد بالكاره لقاء الله (الراغب إلى الدنيا) مالا وجاها ومنا لا لما قدمنا (بخلاف الخائف هجومه) أي هجوم الموت ومآناه بغته (قبل تمام التوبة) وتدارك أوقات الغفلة في الحوبة (وإصلاح الزاد) أي يوم المعاد (فهو إنما يكره فوت اللقاء) أي لا نفس اللقاء ، وعلامة صدق هذا أن يكون دائم الاستعداد لا يشغل له سوى أعداد الزاد للمعاد . قال

وَالْأَعْلَى تَرْكُ الْاِخْتِيَارِ وَالتَّقْوِيضُ، وَيُفَرِّغُ الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِ الْمَوْتِ وَيَتَفَكَّرُ دَائِمًا
تَفَكَّرَ الْعَازِمُ عَلَى السَّفَرِ

الققعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو اتاني ما احببت تأخير شيء منه . وقال الثوري : رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول : انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ، ان نزل بي او اتاني ما امرته بشيء ولا هيته عن شيء ، ولا لي على احد شيء ، ولا لي عند احد شيء . (والاعلى) اي اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر من الموت وسائر المناقب (ترك الاختيار) اي في امر الالفيا اراد الله منه ان يختاره (والتقويض) بالرفع اي وتقويض امره وتسليمه الى المدير المختار بقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وفي الاخبار عن سيد الاختيار وسند الابرار « لا يتمنين احدكم الموت فان فعل ذلك لاحالة فليقل اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وطول العمر في العباداة من كمال السعادة (ويفرغ القلب) اي وان يفرغ قلبه عن غير الموت) اي استعداده قبل الموت (ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر) هائما من خوف البحر والبر . و اوضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقربائه الذين قضوا قبله ، ويتذكرهم صرهم تحت التراب ، ويتفكر صورهم في مناصبهم ومقام حضورهم ، وكيف تبددت الآن اجزاؤهم في قبورهم ، وكيف ارموا نساءهم وايتموا بناتهم وابنائهم ، وضيعوا اموالهم ، ونقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ، ومساجدهم وآثارهم ، مع ما كان بهم من طول املهم للعيش والبقاء ، ونسيانهم للموت والفناء ، وانخداعهم بمواساة الاسباب ، وزكونهم الى القوة والشباب ، وميائهم الى الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع ، وانه كيف كان يتردد ، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعقبانه ، وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال ، فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم في عاقبة امره . قال ابو الدرداء : اذا ذارت الموتى فعد نفسك كاحدكم ، وقال ابن مسعود : السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز . الاترون انكم تجهزون غدا يا ورائحا

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِتْبَاهُ وَهُوَ خِلَافُ الْغُرُورِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى
وَالشَّبْهَةُ فُورِدَ (فَلَا تَغْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ

إلى الله عز وجل ، تضعونه وقد توسد التراب ، وخلف الاحباب ، وقطع الاسباب ،
وراجه الحساب ، ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ، ثم قال :
والله لولا الموت لكنت بك مسرورا . (والأصل فيه) أى فى ذكر الموت (الابتاه)
أى استيقاظ القلب من نوم الغفلة (وهو) أى الابتاه (خلاف الغرور) أى
ضده ، ولذا قيل : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وهو) أى الغرور (سكون النفس)
واطمنانها ، وهى قوة فى الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى (ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) فمن (الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة) ويخالف
الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع . واما اذا اجتمع
الهوى والهدى فهو نور على نور ، وسرور على سرور ، ولذا قال تعالى (ومن اضل
عن اتباع هواه بغير هدى من الله) (فورد) فى التنزيل (فلا تغرنكم الحياة الدنيا)
فانها غدارة مكاره ، غرارة سحارة . فقول : انها اسحر من هاروت وماروت (ولا يغرنكم
بالله الغرور) أى الشيطان المغرور . وفى الترتيب : تنبيه نبيه على ان من احب الدنيا
يضل الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان ، بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على
هدايته جميع الانبياء ، ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء .
وقال عز وعلا (وغرنكم الاماني حتى جاء امر الله وعرنكم بالله الغرور) وفى الحديث
« حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيرون سهر الحقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من
صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين ، كذا فى الاحياء ، وهو من
قول ابى الدرداء بنحوه لما رواه ابن ابي الدنيا ؟ وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث
شداد بن اوس د الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه
هو اها ويتمنى على الله ، (وانواعه) أى انواع الغرور (كثيرة) واكثرها كبيرة
لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل ، اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على
خلاف ما هو به ، فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور ، بل يستدعى الغرور
مغرورا فيه مخصوصا ، ومغرورا به وهو الذى يغره ، فمن اعتقد انه على خير امانى
العاجل او فى الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور . واكثر الناس يظنون

كَأَيَّارِ الدُّنْيَا لَكُونَهَا نَقْدًا حَاضِرَةً عَلَى الْآخِرَةِ لَكُونَهَا نَسِيبَةً لِأَنَّ النِّسِيبَةَ الْكَثِيرَةَ رَاجِحَةٌ وَإِنْ شَكَّ فِيهِ وَالْمَرِيضُ يَتْرُكُ اللَّذَاتِ لِيَصِحَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّاجِرُ يُخَاطِرُ الْأَمْوَالَ لِيَرْبَحَ فِيهِ فَالْآخِرَةُ أَوْلَى لِلتَّيَقُّنِ بِهَا وَعَدَمِ نَسِيبَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا شِدَّةٌ وَدَوَامًا

بأنفسهم الخير الآن غرور بعضهم اظهر ، وأشدّها غرور الكفار وغرور الغصاة والفجار (كأيثار الدنيا) أى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور . ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها (لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيبة) أى متأخرة غائبة وذلك جمل وغرور (لان نسيبة الكثيرة راجحة) على النقد القليل (وان شك فيه) أى فى حصول النسيبة الكثيرة وانما يرجع مع وجود الشك فيه (والمريض يترك اللذات) التى هى نقد الحالات (ليصح) زمانا طويلا (فى المستقبل) من الاوقات (والتاجر يخاطر الاموال) أى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبة فى البحر وسفره فى البر وتحمله شدائد الاحوال (ليربح فيه) أى فى زمان الاستقبال (فالآخرة اولى) بالاختيار من الدنيا (للتيقن بها) أى بالآخرة (وعدم نسبة الدنيا اليها) أى الى العقبى (شدة ودواما) أى كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى (والآخرة خير وابقى) بل قيل لو كانت الدنيا ذهابا فانها والآخرة خرفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة ، فكيف والامر بالعكس . ولكن غرته الحياة الدنيا فان اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ، فلا يترك اليقين بالشك . وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال (ايا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان ، اما الاول فهو ان يصدق الله فى قوله (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقوله (وما عند الله خير وابقى) وقوله (والآخرة خير وابقى) وقوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) واما الثانى فيعلم بما تقدم . والله اعلم . وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين : ان كنت ماقلت حقا فقد تخلصت وتخلصنا ، وان كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلك . وما قال على هذا عن شك منه فى الآخرة ، ولكن ظلم الملحدين على قدر عقله فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل - وهى منتهى العمر - قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة ، فان كان ما قيل

فيه كذبا فما يفوتني الا التمتع ايام حياتي، وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم
فاحسب اني بقيت في العدم، وان كان ما قيل صدقا فابقي في النار ابد الآباد، وهذا
لا يطاق فيه العباد ولدا قال ابو العلاء المعري :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات قلت اليكما

ان صحت قواكما فليست بخاسر اوضح قولي بالخسار عليكما

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم : ان كان الله من معاد
فنحن به احق من غيرنا، ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال
الرجلين المتحاورين اذ قال (وما ظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقلبا) وجملة امرهما كما قيل في التفسير : ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار،
واشترى بستانا بالف دينار، وخرجا بثلث دينار بثلث دينار، وفي ذلك
كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا وبستانا بخرب وبقي، الا اشتريت قصرا وبستانا
في الجنة لا يفنى، واشتريت خدما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت خدما
لا يموتون وازواجا من الحور العين لا يفنون، وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول:
ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب، وان كان ليكون لي في الآخرة خير من
هذا، وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول (لاوتين مالا وولدا) ورد
عليه بقوله (اطعم الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا) وروى « عن الحباب بن الارت
انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني، فقلت اني آخذه
في الآخرة، وقال اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه، فانزل
الله تعالى (افرايت الذي ~~كفر~~ باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) رواه الشيخان.
وقال عز وجل (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما ظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) الآية، وذلك انهم ينظرون
تارة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة، وتارة الى تأخر العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة ويقولون لما اخبر الله عن بعضهم (لولا يعذبنا
الله بما نقول) الآية، واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غير فيزدرونهم
ويستحقرونهم ويقولون (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ويقولون (لو كان خيرا
ما سبقونا اليه) ولم يعرف هذا المغرور « ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما
يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه » كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم
وصححه من حديث قتادة بن النعمان . وكان ارباب البصائر اذا قبلت عليهم الدنيا حزنوا

وَالْاعْتِمَادَ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ فَوَرَدَ (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ) (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لِفِي خُسْرٍ) السُّورَةُ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ كَرِيمٌ

وقالوا ذنب عجالت عقوبته، وإذا قبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين. فالمغرورون إذا قبلت عليهم الدنيا ظنوا أنها كرامة عند الله وإذا صرفت عنهم ظنوا أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن كلا) بين أن ذلك غرور من كل منهما، فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا، يقول ليس هذا بكر امتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي غنيا كان أو فقيرا، والمهان من أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا ﴿والاعتماد﴾ بالجر، أي وكالات اعتماد ﴿على مجرد الإيمان﴾ مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فإنه من أعظم الغرور في الحالات ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ عن الشرك والكفران ﴿وآمن﴾ بالقلب واللسان ﴿وعمل صالحا﴾ لسائر الأعضاء والأركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات ﴿ثم اهتدى﴾ بالاستقامة في الحالات إلى الممات، فالمغفرة مقيدة بهذه الطاعات. وكقوله تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين) في العبادات. وقيل للحسن قوم يقولون: نحن نرجو الله ويضعون العمل فقال: هيئات هيئات، تلك أمانيتهم، من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هربه ﴿والعصر﴾ أي أقسم بصلاة العصر التي هي الصلاة الوسطى، أو بصبر المصطفى، أو بالدهر الذي هو منبع الخير والشر، ومعدن النفع والضر ﴿إن الإنسان﴾ أي جميع أفرادہ ﴿إني خسِر﴾ أي خسارة فيما عندهم من تجارة ﴿السورة﴾ أي (الذين آمنوا) كالصديق (وعملوا الصالحات) كالغاريق (وتواصوا بالحق) لذى النورين (وتواصوا بالصبر) كالمرتضى ﴿وعلى﴾ أي وكالات اعتماد على ﴿أنه تعالى كريم﴾ مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات، فيغفر لي في الآخرة بكرمه وفضله ويدخلني في الجنان. ومنشأ هذا قوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) حيث لقنه بأن يقول غرني ربك كرمك. وقد قيل أنه تعالى كما أنه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب، فقد قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) وقد قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيتهم)

فُورِدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْإِمَّاسَعَى) وَفِيهِ الْعَكْسُ بِتَرْكِ التَّعْوِيلِ فِي الدُّنْيَا مَعَ
وُرُودِ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ وَالتَّفَكُّرُ *

(فورد) في التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحظور (وان ليس للانسان) نفع في العقبى (الاماسعى) من خير في الدنيا (وان سعيه سوف يرى) قليلا او كثيرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وفيه العكس) اى وفي هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد (بترك التعويل) اى الاعتماد على المولى (في الدنيا) اى في امورها ومهماتنا (مع ورود من) وفي نسخة وورد من (يتوكل على الله فهو حسبه) وحاصله ان الغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه في امر الدنيا مع ورود وعدا في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعى ، ويعتمد في باب الآخرة على كرمه مع ان وعدا مقيد بالسعى والعمل ، وتوضيحه انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم في الدنيا والآخرة ، فماله لم يعتمد على المولى في الدنيا من غير السعى مع انه سبحانه ما ظفه بكسبه ويترك العمل في الآخرة مع انه عز وجل ظفه به ولم يرض عنه بتركه؟ (والعلاج) اى علاج الغرور (العلم) بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه . وتوضيحه ما في الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد ، اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهرات الدنيا مبعث عن الله ، ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله يدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء ، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة . واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله ، وقد قال تعالى (أبحسبون انما نمدهم به من حال وبين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال (ستستدرجهم من حيث لا يعلمون) قيل في تفسيره : انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ايزيد غرورهم . وقال تعالى (فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم ملبسون) وقال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والاخبار (والتفكر) في احوال الماضين من الامة ، والمراد بالتفكر احضار القلب العارف ، فاذا اجتمعت فيه وازد وجت على ترتيب مخصوص اتج ذلك العلم

(الباب الخامس عشر في نفي الخواطر والرياضة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اللَّهُمَّ إِصْلَحْ الْقَلْبَ لِنَظَرِهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَتَعَلُّقِ صَلَاحِ الْجَسَدِ بِصَلَاحِهِ فَوَرَدَ أَنَّ فِي الْجَسَدِ لِمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ» وَسَعَادَةُ الْآبِدِ بِسَلَامَتِهِ

ضروريا . وصورته كمن يعلم مثلا ان الاتي بالا يثار اولى ، ثم يعلم ان الآخرة خير وابقى ، فينتج ان اختيار الآخرة اولى . بلغنا الله المقام الاسنى .

(الباب الخامس عشر في نفي الخواطر والرياضة)

اي نفي الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الرديّة لتَهْدِبَ بِالْإِخْلَاقِ الْبِهِيَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ السَّنِيَّةِ ، وتدرج فيه عجائب القلب من غرائب خالق الرب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) استعين به على كل خالق كريم (اللهم) في امر الدين الاتم (اصلاح القلب) وحفظه عما يفسده ثمانية عشر وجها (لنظره تعالى اليه) واقباله عليه ، لما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخالق اليه (فورد) في الحديث لما تقدم (ان الله لا ينظر) اي نظر عناية ورعاية (الى صورهم واملوكم) ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم (وفي رواية واعمالكم ، وفي اخرى واحوالكم ، ويشير اليه قوله تعالى (انه علم بذات الصدور) فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث «لا يسعني ارضي ولا سمانى ولكن يسعني قاب عبيد المؤمن» فواجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذي هو منظر الخالق ولا يهتم بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه (وتعلق صلاح الجسد بصلاحه) اي لتوقفه ظاهرا على تحفته باطنا ، وكذا تعلق فساد الجسد بفساده (فورد) في الحديث كما تقدم (ان في الجسد لمضغة) اي قطعة لحم مجوفة كانها مضوغة (اذا صلحت) بضم اللام وتفتح (صاح الجسد كله) تمامه «واذا فسدت فسدت الجسد كله» (الا) للتنبيه (وهي) اي تلك المضغة (القلب) اي محل تعلقه وسريره ملكه ، فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع ، فاذا صلح المتبوع صلح التبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية ، ولذا قيل : الناس على دين ملوكهم . (وسعادة الابد) اي وسيادة السرمد (بسلاّمته) اي بسلامة

فورد. (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) . وَكَوْنَهُ مَعْدِنَ
النَّفَائِسِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ وَقَصْدِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ

القلب من نحو الكفر والغل والحقده والحسد (فورد) في التنزيل (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) أى من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق
والشقاق والاعراض الدنيوية والاعراض الدنية . وقيل هو ما لا يخطر فيه الاشهرود
الرب (وكونه) أى ولكون القلب (معدن النفائس) بمنبع الفواضل المستوهة
(من العلم والمعرفة) أى علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التى هى اجل انواع النعمة
(وسائر الفضائل) المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين الشماثل *

والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق له ان يحفظ ويحرس عن الآفات ، ويكرم
ويجبل بضروب الكرامات . ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذى فضله الله على سائر
خلقه باستعداده من بين عبادته لمعرفة ربه التى هى فى الدنيا جماله وغره وفى الآخرة كماله
وعدته وذخره ، وانما استعداد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو آخر من اركانه ، فالقلب
هو العالم بالله ، وهو العامل لله ، وهو الساعى المتقرب الى الله ، وهو المقرب اليه والمشهود
عليه والمكاشف بما عند الله ولديه ، وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجوارح
يستخدمها القاب فى خدمة الرب استعمال الملك للعبيد ، واستخدام الراعى للرعية ،
والصانع للآلة . والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن
الله اذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب ، وهو المخاطب ، وهو المعاتب ، وهو
المعاقب وهو الذى يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ، وهو الذى يخيب ويشقى
اذا دنسه ودساه ، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وانما السارى الذى ينتشر على الجوارح
من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله سبحانه ، وانما الطارى على الاعضاء من
الفواحش آثاره . وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، اذ كل اناء
يرشح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد
عرف ربه ، وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه
ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل . فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه التى هى مظاهر الرب
أصل الدين وأساس طرق المجتهدين (وقصد العدو اليه) أى ولقصد الشيطان الذى هو
أكبر أعدائه دائما الى اغرائه (كما ورد به) أى بقصد العدو الى القلب (الخبر) وهو

وَكثْرَةُ شُغْلِهِ فَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَقْلِ وَالْهَوَى وَكَثْرَةُ الْعَوَارِضِ لَوُرُودِ الْخَوَاطِرِ مَعَ
الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ، وَسُرْعَةِ الْأَنْقِلَابِ

قوله عليه السلام « ان الشيطان لجاثم » وفي رواية « واضع خطمه على قلب ابن آدم
فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وعلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه » ابن
ابى الدنيا وابو يعلى وابن عدى ((وكثرة شغله)) اى وكثرة اشتغال القلب واحواله
وترتب ما عليها من افعال الانسان وافعاله ((فهو)) اى القلب ((معترك العقل والهوى))
اى موضع عراكهما وقتالهما وهلاكهما ، فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله
خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل ويدلوعلم الهدى ، واخرى يغلب
الجهل فترتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال . وقد قال الملك المتعال (وتلك الايام
نداوها بين الناس) وقد قيل :

فيوم علينا ويوم لنا • ويرم نساء ويوم نسر

وفي الحديث « رجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر » ومنه قوله تعالى (والذين
جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا) ((وكثرة العوارض)) اى وكثرة الامور الطارئة
والاحوال السارية ((لورود الخواطر)) الدنية فى القلوب الفواتر الردية من حب
الدنيا والرياسات . وحصول اللذات والشهوات والاهوات ((مع العجز عن المنع))
اى مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك ، فان الخواطر كالسهام لاتزال تقع فى
القلب كالمنزل لاتزال تنزل عليه ليلا ونهارا لاتقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع ،
وليس بمنزلة العين التى هى بين الجفنين حتى تغض وتسترىح ، واللسان الذى هو
 وراء الشفتين حتى تطبق وتضم .

والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس
ماثلة اليها وهى محبوبة لديها ((وسرعة الانقلاب)) اى وسرعة تقلب القلب فى الطاعة
والمعصية للرب ، وسمى بالقلب لتقلبه فى احواله ، ولذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه
« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحام
من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو
« اللهم • صرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وفى رواية قالوا وتخاف يا رسول
الله ؟ قال وما يؤمننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » وللنسائى

فورد أنه «مثل العصفور ينقلب في كل ساعة» وفيه الانشراح والانفساح عند عدم

النقصان والحجاب

في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان «امن قلب الابن اصبه من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه» (فورد) من حديث أبي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب (انه) اي القلب (مثل العصفور) وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير (ينقلب في كل ساعة) اي الى جهة ، فكذا القلب تارة يميل الى طاعة وبيعة ، واخرى الى معصية وغفلة . ولاحد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود «مثل القلب في قلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا» وفي رواية لها «قلب المؤمن اشد تقبلا من القدر في غليانها» والطبراني والبيهقي من حديث أبي موسى الاشعري باسناد حسن «مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا ابطن» (وفيه) عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القلب ، ومحل من الصدر (الانشراح) اي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح (والانفساح) اي الاتساع والانفتاح (عند عدم النقصان) اي نقصان القلب بارتكاب المخالفة ، بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة . فللحاكم في مستدرکه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) «اهذا الشرح فقال : هو التوسعة . ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح» والمعنى اتسع القلب لتجلى الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ، ولذا قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . ونعم ما قال بعض الابرار :

من اطلعوه على سرفهم به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(والحجاب) عن رب الارباب ، وهو اشد العذاب والحجاب عن الاكتساب ، فهو بالجر عطف على النقصان ، اي عند عدم حجاب الملائكة ونقاب المناهي . ويجوز رفعه على الانفساح اي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المترتبة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب ، فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلاله فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في اثباته ، وقد قال أبو سليمان الداراني : اذا اعتادت النفوس ترك

وَالْمُهْلِكَاتِ وَالْإِنْصِرَافِ إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

الآنم جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطريق الحكمة ، ويؤيده حديث «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء» رواه أحمد من حديث أبي هريرة (والمهلكات) التي هي ضد المنجيات (والانصراف) أي عند الانصاف والاعتراف (الى العلم) أي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة ، والمراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه ما يرد عليه . وإنما زاد الانصراف الى العلم التوحيدى لحصول الانشراح والانفساح ، ولم يكتف في ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حالاته من طاعته وعبادته وان كان قلبه صافيا عن لهوانه وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح ، بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها أو من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها . وأما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدى المتعاق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات (وهو) أي العلم المترتب عليه العمل (المراد بالامانة التي حملها الانسان) أي قبلها بقابليته لتحمل التكليف الشرعية . من تصحيح العقائد الدينية الاصلية . وارتكاب الفرائض الفرعية . واجتناب الامور المنهية . وفي الاحياء : فيه اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال . وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد : وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطبق لها في الاصل انتهى . ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هنالك كما حقق في قوله سبحانه : (وان من شيء الا يسبح بحمده) وغير ذلك من الآيات والحديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة بصانعها . وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال . فالأظهر أن يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا تنأى منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة . والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة ، فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ، ولذا ورد : لو لم تذنبوا لجم الله

وَزِيَادَةُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ

يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ، وفي قوله تعالى (بنى عبادى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) ايماء الى ذلك وفي قوله (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) ائذلك . ثم من أفراد هذا الانسان من يكون على الشان مع أنه خاق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة في ميدان التيان ، ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان ، فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن ، والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) فنعوذ بالله من دار البوار . وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه (انا عرضنا الامانة) اى حملها من غير الخيانة (على السموات والارض والجال) اى ذواتها أو ما فيها من سكانها ومتصرفاتها (فاين ان يحملنها واشفقن منها) لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها (وحملها الانسان) مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خاق له (انه كان ظلوما) على نفسه بتحملة (جهولا) لعاقبة امره وتحمله . وهذا حكم عايه باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده فى ما آله كما اشار اليه بقوله (لعذب الله المنافقين) الآية (وزيادة اليقين) اى وفى القلب مزية الايقان فى امر الدين (والايمن) اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان ، وباعث على الاسلام والاحسان فلهما درجات فيها مناقب ادناها التقليد كما لعوام المؤمنين وأوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين ، واعلاها ، المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ، ومثاله كمن اخبر صادق بوجود زيد فى الدار فصدقه من غير شهوده ، ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ، ثم رآه وشاهده ، فالمشاهدة نتيجة المجاهدة . ثم المشاهدة ايضا على مراتب ، كمن يشاهد السلطان جالس على سريره من وراء الحائط او حجاب ستره ، ثم من يشاهده من داخل داره . ثم من قريب فى مزاره ، ثم من هو جالس فى مجلسه ، ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفى عن غيره ، وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم

وَدَرَجَاتُ الْعِلْمِ وَالنُّورِ الْمَسْئُولُ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ وَالطَّبْعِ وَالرَّيْنِ عِنْدَ الْإِتِّصَافِ
بِالرِّذَائِلِ وَتَرَاكُمُ الظُّلَامِ وَالْإِحْتِجَابِ مِنْهُ تَعَالَى وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
الْعَارِفُ الْعَالِمُ الْمُخَاطَبُ الْمُطَالَبُ

فَانْهَمِ إِذَا بَلَغُوا سَنَ التَّمْيِيزِ سَمِعُوا وَجُودَ اللَّهِ وَعِلْمَهُ وَارَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَبَعَثَةَ الرَّسُولِ وَصَدَقَهُ
فِيمَا جَاءَهُ ، وَكَمَا سَمِعُوهُ قَبْلَهُ وَثَبَتُوا عَلَيْهِ وَاطْمَأْنَنُوا إِلَيْهِ ، وَهَذَا الْإِيمَانُ سَبَبُ النِّجَاةِ فِي
الْآخِرَةِ عِنْدَ جَهْدِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَاهْلَهُ مِنْ أَوَائِلِ رُتَبِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَلَيْسَ وَاهِنْ الْمَقْرَبِينَ
لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر نور اليقين . وقلوب اليهود والنصارى
أيضاً مطمئنة بما سمعوا من آباءهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنه القى اليهم الخطأ ،
والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم ظلمة الحق (وردجات
العلم) أي وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، أو المراد به علم
الشريعة التي هي متعلقة بالأعمال الظواهر ، وعلم الطريقة التي هي مطلوبة في الأخلاق
السرائر ، وعلم الحقيقة التي هي المواجه بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب
ولطائف المراتب (والنور) أي وفيه النور (المسؤل في الدعاء المأثور) « اللهم
اجعل في قلبي نورا » رواه مسلم وغيره (والطبع) أي وفيه الختم قال تعالى (ونطبع على
قلوبهم) و (ختم الله على قلوبهم) (والرَيْن) أي وفيه السر الذي يعلمو الفؤاد (عند
الاتصاف بالذائل) والخلو عن الفضائل (وتراكم الظلام) أي وتكاثف الظلمات
الناتجة عن الظلم وسائر السيئات (والاحتجاب منه تعالى) بعدم توفيق الحسنات وهو
ما أخذ من قوله تعالى (كلا بل ران) أي غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي عن رحمته وأوروثته ، وفي الحديث « ان المؤمن
إذا اذنب كانت نكته سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإذا
زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون) أخرجه البيهقي في تفسيره بإسناده (والتحقيق) عند أهل
التوفيق (انه) أي القلب (هو ذلك الانسان العارف) أي المدرك للجزئيات (العالم)
بالكليات (المخاطب) بالأمر والنهي (المطالب) باكتساب المأمورات واجتناب
المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب في دار الجزاء والحساب (فمن ثقلت موازينه
فأولئك هم المفلحون) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَلْبِ لِتَعَلُّقِهِ بِهِ بَلَا وَاسْطَةً وَبَسَائِرِ الْحَوَاسِّ بِوَاسِطَتِهِ كَمَا يُطْلَقُ

عَلَى الْمُضْغَةِ الْمَكِّيَّةِ

خالدون) (يطلق عليه) أى على الانسان (اسم القلب) أى مجازاً (لتعلقه) أى الانسان (به) أى القلب (بلا واسطة) أى من غير واسطة شىء آخر (وبسائر الحواس) أى ولتعلقه بباقيها (بواسطته) أى القلب (كما يطلق) أى القلب (على المضغة المكيفة) وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف؛ وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه كذا فى الأحياء تبعاً للحكماء، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود لليت الهائم، وأما قول سهل التستري: القلب هو العرش، والصدر هو الكرسي فراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي، وعن كعب الأحبار قال دخلت على عائشة فقلت: الإنسان عيناه هاد، ووأذناه قمع أى واعر، ولسانه ترجمان، ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده، فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول. وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب: إن الله تعالى فى أرضه آية وهى القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفها وأصلبها ثم فسره فقال: أصلبها فى الدين وأصفها فى اليتيم وأرقها على الإخوان يعنى المرافقين، وهو إشارة إلى قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) قال أبى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه، وقوله (أو كظلمات فى بحر لجى) مثل قلب المنافق الفاسق، وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: (فى لوح محفوظ) هو قلب المؤمن وفى الحديث «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وائظاً من قلبه» الحديثى من حديث أم سلمة باسناد جيد، ولأحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد «القلوب أربعة: قلب أحر دفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان وتفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل التفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والصديد، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها» وفى رواية ذهبت به. وفى الحديث القدسى والكلام الإنسانى «لم يسعنى أرضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوداع»، كذا فى الأحياء. وقال نخرجه لم أر له أصلاً، وتبعه بعض الحفاظ بأنه رواه عبد الله بن

احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ « ان الله فتح السموات لحز قیل حتی نظر الى العرش فقال حز قیل : سبحانك ما اعظم شأنك يا رب . فقال الله : ان السموات والارض ضعفت عن ان يسعني ووسعني قلب عبدی المؤمن الوادع اللين ، انتهى ولا يخفى ان هذا من الآثار فلا ينافي مانقاه المخرج من الاخبار . وفي الخبر « قيل من خير الناس فقال كل مؤمن محوم القلب ، فقيل وما محوم القلب ؟ فقال هو التقى النقى الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا حسد ، رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملوك فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات والارض ، لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة ، واما عالم الملوك وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلانهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالإضافة الى علم الله تعالى لانهاية له . وجملة عالم الملك والملوك اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ، ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله من مصنوعاته ؛ وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلالته وقد افلح من زكاه ، ومراده بتزكيته حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة ، وفى الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعاق عجيب وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان ، وهى المدركة للعالم العارفة من الانسان ، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب ، ولها علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحيرت عقول اكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته . وان تعلقوا به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاصناف بالوصفات انتهى . ومن هنا قيل معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، تعجيز . وفيه تنبيه على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها بالمال انه هذا وفى اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه فى ميدان التبيان ، بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى : (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية ، فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير

وَأَسْمُ النَّفْسِ فَقَسَمَهَا التَّنْزِيلُ إِلَى مُطْمَئِنَّةٍ

إليه قوله تعالى (ألم يسير وافى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) والفرق بين القلب والنفس والعقل أن القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب في قبول أحدهما ويتردد في خاطرهما ، ويترب عليهم صلاح الجسد وفساده ، والنفس غالباً مائلة إلى الشهوات واللذات كما يشير إليه قوله سبحانه (وفيها ما تشهيه الأنفس) من المأولات والمشروبات والمشعومات والمسموعات وسائر الملهذوذات ثم النفس المذهومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات ، ومنه قوله سبحانه (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) - (وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى) والعقل الجزئي مشترك بين الحيوان والصيدان وسائر الإنسان ، والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيوياً وآخرين ، وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين ، فهذا عقل المطبوع وهو لا ينفع بدون عقل المشروع ، ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم الناقصة وإن ادعوا كما لها عن متابعة الأنبياء زعماء منهم إن الرسل أرسلوا للعامة وأنهم من الخاصة فصاروا أجمل من كل جاهل ، فإن المقلد قبل إيمانه وفاز بتقليده في درجات جنانه ، والحكيم بعقله تنزل في دركات نيرانه (وأسم النفس) أي ويطلق على الإنسان اسم النفس لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) فالنفس جسم كثيف ، والروح جسم لطيف له سريان شريف في سائر الأعضاء ، لطيف لطافة سريان الهواء في البدن ، وقوله (كل نفس ذائقة الموت) و (علمت نفس ما قدمت وأخرت) و (علمت نفس ما أحضرت) وكالزبد في اللبن ، والدهن في الجوز واللوز ، وماء الورد في الورد . والقلب داخل النفس وهو أطف وأضوء من النفس والسر نور رحمانى آلة للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة مالم يكن السر عنده والحاصل أن النفس هنا عبارة عن الهيكل الإنسانى المركب من الجسد الجسمانى والروح الربانى إذا المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام (فقسمها) أي النفس (التنزيل) أي القرآن بعد إطلاقه النفس على آدم ونحوه وما يتعاقب به من الأجزاء (إلى مطمئنة) حيث قال تعالى (يا أيها النفس المطمئنة) أي بذكر الله سبحانه وهي النفس المؤمنة ولذا قال (أرجعني إلى ربك راضية مرضية) الآية وهو يحتمل أن يراد بها الهيكل المركب الإنسانى فالمراد بقوله (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) أي مع عبادي الصالحين

وَلَوَْامَةٌ وَأَمَارَةٌ كَمَا تُطْلَقُ عَلَى مَا يَجْمَعُ الرِّذَائِلَ فَسَمَاهَا الشَّارِعُ لَعَدَى الْأَعْدَاءِ
وَأَسْمَ الرُّوحِ فَوَرَدَ (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين (توفنا مسلمين) (والحقنا بالصالحين) وأدخلنا الجنة آمنين ويشير إليه قوله سبحانه (لَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ويحتمل أن يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله (فادخلني في عبادي) أي في اجسادهم وعلى كل تقدير أريد بالنفس الجنس (ولوامة) حيث قال (ولأقسم بالنفس اللوامة) أي كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيامة إن كانت عملت خيرا قالت فلا زدت ، وإن عملت شرا قالت ليتني لم أفعل ، وهو قول الفراء ، نهى شاملة للنفس البرة والفاجرة . وقيل تلوم على الخير والشر والنفع والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . وقال الحسن : هي النفس المؤمنة ، فإن المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ؟ ما اردت باكلتي ؟ وإن الفاجر يعضى عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها . وقال مقاتل هي النفس الكافرة فإن الكافر يلوم نفسه في العقب على ما فرط في أمر الله في الدنيا ، وهو يحتمل الاحتمالين السابقين ((وامارة)) حيث قال تعالى (إن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) أي الامدة رحمة ربي بي ، أو الامن رحم ربي به ، ولا يخفى انه لا يصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف ، وفي بعض النسخ هنا زيادة - وماهمة - وهي نسخة مهمة اذ لم يعرف في آية متروكة ((ما تطلق)) أي النفس ((على ما يجمع الرذائل)) من سوء الشرائع ((فسماها الشارع لعدى الأعداء)) لما اخرج به يهقي عن ابن عباس بسند ضعيف «لعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية ، فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان ، فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكبتها ((واسم الروح)) أي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده ، وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم ، فإن الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما واستدلالة بقوله ((فورد)) في التنزيل ((قل الروح من امر ربي)) ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان ، فإن كل موجود ذي كمية ومقدار فهو من عالم الخلق ، وكل موجود منزوع عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر ، كذا قيل والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق ، وكل ما خلقه بمجرد الامر وهو بتعلق الارادة ، او بلفظ كن على

كَأَيْطَلْقُهُ الْأَطْبَاءُ عَلَى الْجِسْمِ الْمَكْيِفِ، وَأَسْمُ الْعَقْلِ فَوَرَدَ وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ
وَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ» الْحَدِيثَ

اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)
وقال عز وجل (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) الى ان قال
(الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين) (كأى يطلقه) أى الروح (الاطباء) من
الحكماء (على الجسم المكيف) والصواب التوقف فى سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول
الله ﷺ على ما قاله ابن مسعود كما فى الصحيحين ، وما لم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم
فيه ، وقد قال تعالى (وما او تيتم من العلم) أى به وبغيره (الا قليلا) لان علم جميع
الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر . والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة وبفقد
المات ، والا قرب فى تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحانى ربانى منبعه تجويف قلب
جسمانى ، ويتشر بواسطة العروق الضواري الى اجزاء البدن ، ثم جريانه فى البدن
وفىضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهى فىضان
النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به ،
فالحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثاله السراج ، وسريان الروح
وحركاتها فى الباطن مثاله مثال حركات السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه ، واما
قوله تعالى (فتفخت فيه من روحى) فالمراد به اضافة تشریف لان الروح من جملة
مخلوقاته ، وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالقي عام . واول الارواح روح
خاتم الانبياء ، وكذا قوله (وروح منه) أى من عنده او من امره ، وانما اطلق الروح
على جبريل الا من لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح متجردة ، ولتخصه بنزول
القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى (يلقى الروح من امره
على من يشاء من عباده) وقال (او من كان ميتا فأحييناه) وسمى جبريل ايضا بالروح
المقدس أى المنزه عن النقصان فى تبليغ امر الحق الى رسل الانسان ، والله المستعان
(واسم العقل) أى ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق ، وما ذكره من الاستدلال
بغير المطابق حيث قال (فورد اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث) أى
فما قبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزنى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على
منك بك آخذ وبك اعطى وبك اتيب وبك اعاقب ، الحديث كذا فى الاحياء ، وقال

كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ الْمَكِّيَّةِ

مخرجه رواه الطبراني في الكبير واللاوسط من حديث ابى امامة وابونعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى . وقال ابن تيمية وتبعه الزركشى انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم ، وتعقبه الحافظ السيوطى بما رواه عبد الله ابن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسل بسند جيد بلفظ لما خاق الله العقل الخ . وفي الحديث دليل على ان العقل غير العلم ، فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ، ولانه لا يمكن الخطاب معه ((كما يطلق)) اى العقل ((على الصفة المكيّة)) اى الوصف الذى يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان ، وهو الذى استعداد به لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الخفية المكرية ، وهو الذى اراده الحارث بن اسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل : انه غريزة يتبها بها درك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب فى تعريفه ، ونظيره ان الحياة غريزة يتبها الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، ثم العقل كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام والا كوان فى حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها فى تلك الحالة وهى الصقالة وبها اتصفت بالآلة ، فعن ابن عباس مرفوعا : لكل شىء آلة وعدة وان آلة المومن العقل . رواه ابن المحبر . وكذلك العين تفارق الجبهة فى هيئات وصفات بها استعدت للرؤية ، فنسبة هذه الغريزة التى هى العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر ، وعن على رضى الله عنه :

رأيت العقل عقليْن ۝ فطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع ۝ اذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ۝ وضوء العين ممنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه السلام « ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل » كما اخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعل « اذا اكتسب الناس من انواع البر ليقرّبوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة » رواه أبو نعيم فى الحلية ، وهو المراد أيضا بقوله عليه السلام لا يدرى الدرداء « اذا ازددت عقلا ازددت

من ربك قريبا فقال بآبي أنت وأمي فكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنزل بها من ربك القرب والعز، رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب «ان عمرو وأبي بن كعب وإياهم هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال العاقل: قالوا من أعبد الناس؟ فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس؟ قال العاقل قالوا ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام: (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ان للعاقل هو المتقى وان كان في الدنيا خسيسا. دنیا رواه ابن الجبير، وله من حديث أنس من حديث ابن سلام سأل النبي عليه السلام في حديث طويل في آخره، وصف عظم العرش وان الملائكة قالت: يا ربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل، قالوا وما بلغ من قدره؟ قال هيئات لا يحاط بعلمه، هل لكم علم بعيد الرمل؟ قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حشيتة ومن الناس من أعطى حشيتين ومنهم من أعطى الثلاث ومنهم الأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك، ورواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا، ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالفهم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور ودقائقها بدون التعاليم (يكاد يزيتها يضيء ولو لم تمشه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الاولياء الكرام ويعبر عن الاول بالوحي وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عليه السلام «يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله من عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا ياكم واياهم فانهم من الخاسرين، رواه داود بن المحير أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود. عن أنس قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام وان الاحق يصيب بحمقه أكثر من فجور الفاجر، وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات زاني

من ربه على قدر عقولهم» رواه ابن المحبر بن تيمية والحكيم الترمذي مختصرا. وعن عمر مرفوعا «ما اتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يردّه عن ردى. واثم ايمان عبدا ولا استقام دينه حتى يكمل عقله، ابن المحبر، وعنه الحارث بن أبي امان، وعن أنس سعيد مرفوعا «لكل شيء دعامة أي عماد ودعامة المؤمن عقله، فيقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، ابن المحبر، وعنه الحارث. وقال عليه السلام «ان الرجل ليذكر بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك يتم له ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس» ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به. والحديث عند الترمذي مختصرا دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه «وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا؟ فقال بالعقل قلت ففى الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم؟ فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل، فيقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم، ويقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والحكيم الترمذي نحوه. وقال عليه السلام «ثامنكم عقله اشدكم لله خوفا واجمنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا ولن كان اقلكم تطوعا» ابن المحبر من حديث ابي قتادة. وفي الاحياء: اما العلوم الدينية فهي المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما، وبه كمال صفة القلب في معرفة الرب، وبه سلامته عن الاعراض والاعراض والادواء والامراض. فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب. فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور. فإياك ان تكون من احد الفريقين، وكن جامع بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية، والعلوم الشرعية كالادوية، والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فانه الدواء، وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية. وهى وظائف العبادات والاعمال التي رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب، فمن لا يدلوى قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية والتقى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء. ثم قال: والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية، والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله، وهما علمان متنافيان، يعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه تصرت بصيرته عن الآخر

ثُمَّ الْخَوَاطِرُ آثَارُ تَحَدُّثٍ فِي الْقَلْبِ تَبَعَتْ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّرُوكِ فَإِنْ نَفَعَ فِي الْآخِرَةِ
فَخَيْرٌ وَالْإِعَانَةُ عَلَيْهِ تَوْفِيقٌ وَإِنْ ضَرَّ فَشَرٌّ وَالْإِعَانَةُ خِذْلَانٌ وَالْفَارِقُ الشَّرْعُ، ثُمَّ
الْفَارِقُ عَمَلُ الصَّالِحَاءِ فَالْمُوَافِقُ خَيْرٌ وَالْمُخَالَفُ شَرٌّ وَلَوْ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ ثُمَّ النَّفْسُ فَمَا
تَنَفَّرَتْ عَنْهُ نَفَرَةٌ طَبَعَ لَاخْشِيَّةٌ خَيْرٌ

ضرورة على الأكثر، ولذا ترى الإلحاح في علوم الدنيا جهالاً في أمور الآخرة، والإلحاح في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا، لأن قوة العقل لا تنفي بالأمرين جميعاً في الغالب فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذا قال عليه السلام: «ما لثراهم الجنة البله» رواه الدارمي من حديث انس . وقال الحسن: «أدركنا أقواماً لو رأيتهم لقاتم مجانين ولورأوكم لقالوا شياطين . وقال تعالى (يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) فالدنيا والآخرة لا يجتمعان فهما ضربتان إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى . ومن هنا قال عليه السلام « من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى » (ثم الخواطر آثار تحدث في القلب) وهي التي تعرض فيه من الأذكار والأفكار (تبعث على الأفعال) أي تارة (والتروك) أي وعليها تارة، فإن الخواطر هي المحركات للارادات، فبدأ بالأفعال الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء، والخواطر المحركة تنقسم إلى قسمين (فان نفع) أي الخاطر وما يخطر فيه أو الفعل أو الترك (في الآخرة خير) محض (والإعانة عليه توفيق) أي لطف وهداية من الله سبحانه (وإن ضرر) ذلك في الآخرة (فشر والإعانة) أي عليه كما في نسخة (خذلان) أي ترك نصرته منه وإغراء، فالإعانة الثانية وقعت بطريق المشاطلة (والفارق) بين الخير والشر (الشرع) ولا عبرة بالطبع (ثم الفارق عمل الصالحاء) أي من العلماء (فالموافق خير والمخالف شر ولو) كان (برخصة أو شبهة) لأنه لا ينفع في الآخرة إذا التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة. والرخصة ما يستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضرط مال الغير وترك الخائف على نفسه الأمر بالمعروف، وحكمه أن الأخذ بالعزيمة أولى (ثم) الفارق (النفوس) فما تنفرت عنه نفرة طبع لا خشية (أي مخافة من مخالفة غير الله) خير (وقيل نفرة

وَمَا مَالَتْ إِلَيْهِ مَيْلَ طَبَعٍ لَّا رَجَاءَ شَرِّ ثُمَّ مِنَ الْمَلِكِ إلهَامٌ وَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ وَهُوَ شَرٌّ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا كَمَا يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفْضُولِ بِالشَّغْلِ عَنِ الْفَاضِلِ وَالْجُرِّ إِلَى ذَنْبٍ لَا يَفِي خَيْرُهُ كَالْعَجَبِ فَوَرَدَ « إِنَّ الْقَلْبَ مَفْتُونٌ بِمَلِكٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَدْعُوَانِهِ »

الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما، ونفرة الخشية كنفرة عن الحيوانات المؤذية، فاذا خطر له أن يطوى ميلا الى ثلاثة ايام في الصوم ولكن يجد في نفسه نفرة وكراهة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لانه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا (وما مالت اليه ميل طبع لارجاء) من الله سبحانه (شر) مثلا خطر الخاطر أن يخرج من البيت ويتفرج على المكان الفلاني ولا يخطر منه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة أخ في الله أو عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (ثم) الخاطر الصادر (من الملك إلهام وليس) ذلك الخاطر (سوى الخير) لانه مرشدنا صرح هنالك لم يرسل الا لذلك (ومن الشيطان وسواس وهو شر) محض غالبا (وقد يكون) الوسواس (خيرا) في الصورة وقصده منه شر (كما يدعوه الى المفضول بالشغل) أى بسبب اشتغاله بالمفضول بمتنعه (عن الفاضل) كمن يلقى في قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذى هو أفضل منها مع الجهل (والجر) عطى على الشغل أى ولما يدعوه الى خير بسبب جره (الى ذنب لا يفي خيره) أى لا يعدل نفعه بشره وضرره (كالعجب) أو غيره من طلب جاه ونحوه (فورد إن القلب مفتون) أى بمتنحه (بملك أو شيطان يدعوانه) أى الى خير وشر، والحديث لم أجد له أصلا، فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخيروا فادة العلم، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، كما قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الوساطة، فان رؤية الاسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وورده القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن

وَمِنْهُ ابْتِدَاءُ خَاطِرٍ هَاطِقٍ

ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يريغه أزاغه، قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون (ربنا لا تنزع قلوبنا بعد اذهبتنا) الآية وقال عليه السلام « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، و لمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليستد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا : الشيطان يعدم للفقر، الآية. رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد . وقال الحسن : إنما هما هذان يحولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو، فرحم الله عبدا وقف عنده همه فما كان من الله أمضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه . ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين ورد « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » أي بين صفتي الجمال والجلال، أو تمثيل بسرعة تقلب القلب وتردده بالشئ المأخوذ بين الاصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لا جرم لا يخلو قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذا قال عليه السلام « ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا أن الله اعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بالخير » رواه مسلم عن ابن مسعود .

ثم القلب الخالي عن الهوى لا يدخله للشيطان ولذا قال تعالى (ان عبادة ليس لك عليهم سلطان) وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى (أفأريت من اتخذ الهه هواه) وقال جرير بن عبد الله : شكوت الى العلاء بن ربيعة ملاجدا في قلبي من الوسواس فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمويه اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والامضوا وتركوه، ومن هنا قيل : المفلس في امان الله . وقال عثمان ابن ابي العاص : يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال ذلك شيطان يقال له خنزير فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه ولا تقبل من سيارك ثلاثا، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني . رواه مسلم . ولابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب : ان للوضوء شيطانا يقال له الوطشان فاستعيذوا بالله منه . والحاصل أنه لا خلاص من الشيطان الا بالاتجاه الى الرحمن والتبري من الحول والقوة للانسان، وظهور المعجزة في ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان، وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه (ان الذين اتقوا اذا مضى منهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (ومنه) أي من الوارد من عنده تعالى (ابتداء خاطر مطلق)

وَهُوَ أَمَّا خَيْرٌ أَعْتَاءَ وَإِمَّا شَرٌّ ابْتِلَاءَ وَمِنَ النَّفْسِ هَوًى وَلَيْسَ الْهَوَى سِوَى الشَّرِّ
وَقِيلَ كَالْوَسْوَسةِ وَقِيلَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً فَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسُ
الْمُسَمَّى بِخَاطِرِ الْقَلْبِ

وَأَمَّا قَالَ ابْتِدَاءَ لِأَنَّ حَدُوثَ الْخَوَاطِرِ جَمِيعُهَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ مِنْ اللَّهِ حَقِيقَةً ،
لَكِنْ إِذَا حَدَّثَتْ عَقِيبَ دَعْوَةِ الْمَلِكِ تَنْسِبُ إِلَيْهِ وَتُسَمَّى الْهَامَا ، وَإِذَا حَدَّثَتْ عَقِيبَ
دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ تَنْسِبُ إِلَيْهِ وَتُسَمَّى وَسْوَسةً ، وَإِذَا حَدَّثَتْ مُوَافِقًا لِلطَّبْعِ يُقَالُ لَهُ هَوًى
النَّفْسِ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا حَدَّثَتْ مِنْ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ ابْتِدَاءً بِلا واسطة للملك والشَّيْطَانِ
وَلَا مُوَافِقًا لَطَّبِعِ الْإِنْسَانِ يُسَمَّى خَاطِرًا مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِالْوَاسِطَةِ وَالرَّابِطَةِ (وَهُوَ
أَمَّا خَيْرٌ أَعْتَاءَ) أَيْ عِزَايَةً وَرِعَايَةً لِعَبْدِهِ (وَأَمَّا شَرٌّ ابْتِلَاءَ) أَيْ اِمْتِحَانًا لِعَبْدِهِ (وَمِنْ
النَّفْسِ هَوًى) أَيْ وَالْوَارِدُ مِنْهَا يُسَمَّى هَوًى وَهُوَ ضِدُّ هُدًى (وَلَيْسَ الْهَوَى سِوَى
الشَّرِّ) كَمَا أَنَّ الْهُدَى لَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ (وَقِيلَ كَالْوَسْوَسةِ) أَيْ مِنَ الشَّيْطَانِ يَدْعُو
إِلَى الشَّرِّ غَالِبًا وَقَدْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ الْيَسِيرَ لِيَجْرَهُ بِهِ إِلَى الشَّرِّ الْكَثِيرِ ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ
أَحْمَدُ بْنُ أَرْقَمِ الْبَلْخِي : نَازَعَنِي نَفْسِي بِالْخُرُوجِ إِلَى الْغَزْوِ فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَقُولُ (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وَهَذِهِ تَأْمُرُنِي بِالْخَيْرِ لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا ، وَلَكِنَّهَا
اسْتَوْحِشْتَ فَارَادَتْ لِقَاءَ النَّاسِ لِتَرْوِحَ إِلَيْهِمْ ، وَتَتَسَامَعَ النَّاسُ فَيَسْتَقْبِلُونَهَا بِالتَّعْظِيمِ
وَالْتَّكْرِيمِ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : لَا أَنْزِلَكَ الْعِمْرَانَ وَلَا أَنْزِلَكَ عَلَى ذِي مَعْرِفَةٍ فَاجَابَتْ ، فَاسَأَلْتُ
الظَّنَّ بِهَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَصْدَقُ ، فَقُلْتُ أَقَاتِلِ الْعَدْرَ حَاسِرًا أَيْ بِلا سِلَاحٍ فَكَوْنِي أَوَّلَ
قَتِيلٍ فَاجَابَتْ ، فَاسَأَلْتُ الظَّنَّ بِهَا ، فَعَدَّ أَشْيَاءَ بِمَا أَرَادَهَا فَاجَابَتْ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ
يَا رَبِّ نَبِّهْنِي لَهَا فَإِنِّي مُتَّهِمُهَا وَمُصَدِّقُكَ ، فَكَرَّشْتُ كَأَنَّهَا تَقُولُ : يَا أَحْمَدُ تَقْتُلْنِي كُلَّ
كُلِّ يَوْمٍ يَمْنَعُكَ إِيَّايَ مِنْ شَهْوَاتِي مَرَاتٍ وَبِمُخَالَفَتِكَ لِي كَرَاتٍ : وَمَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ أَحَدٌ ،
فَإِنْ قَاتَلْتَ فَقَاتِلْ مَرَّةً وَاحِدَةً نَجُوتَ مِنْكَ ، وَتَتَسَامَعُ فَيَقَالُ اسْتَشْهِدْ أَحْمَدَ وَيَكُونُ لِي
شَرَفٌ وَذِكْرٌ ، فَقَعَدْتُ وَلَمْ أَخْرُجْ إِلَى الْغَزْوِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ . فَانْظُرْ إِلَى خِدَاعِ النَّفْسِ وَغُرُورِهَا
تَرَأَى النَّاسَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِعَمَلٍ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ . وَلَقَدْ صَدَّقَ الْقَائِلُ :

تَوَقَّ نَفْسَكَ لَا تَأْمَنِ غَوَائِلَهَا فَالنَّفْسُ شَرٌّ مِنَ السَّبْعِينَ شَيْطَانًا

(وَقِيلَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ) النَّفْسُ (مُطْمَئِنَّةً) بِذِكْرِ اللَّهِ (فَلَيْسَ) خَاطِرُهَا
(سِوَى الْخَيْرِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسُ) مِنَ الْخَوَاطِرِ (الْمُسَمَّى بِخَاطِرِ الْقَلْبِ)

فورد «استفت قلبك أما الفرق في الخير يعرف الخاطر بكونه مصمما ومحدثا عقيب الطاعة إثابة فورد (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وطاريافي الأصول والأعمال الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها وتنبيهها فورد «اللهم نبهنا عن نومة الغافلين والالهام بكونه مترددا ومبتديا وطارئافي الفروع والأعمال الظاهرة وحثا على الطاعة فورد (ويفعلون ما يؤمرون) والوسوسة

لقوله تعالى (الابذكر الله تطمئن القلوب) يعني ولا تميل ايذا الى الذنوب والعيوب ﴿فورد استفت قلبك﴾ تمامه وان افتاك المفتون، فالخطاب للمتعق فان قلبه لا يخطئ، ومن هنا قيل: حكي قلبي عن ربي ﴿اما الفرق﴾ بين الخواطر في الخير والشر ﴿ففي الخير يعرف الخاطر﴾ المطابق الذي يرد من الله ﴿بكونه مصمما﴾ اي ثابتا على حالة واحدة دائما ﴿ومحدثا﴾ اي وبكونه واقعا ﴿عقيب الطاعة اثابة﴾ اي جزاء والكراما ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ بالطاعة ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا. ففي الخبر «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم» وهو معنى قوله سبحانه (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) ر قوله (واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) اي الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى في الدنيا والعقبى ﴿وطاريافا﴾ عطف على مصمما اي عارضا ﴿في الأصول﴾ اي الاعتقادات ﴿والاعمال﴾ اي العبادات ﴿الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها﴾ فهو عليهم بذات الصدور وخفايا الامور ﴿وتنبيهها﴾ عطف على اثابة اي للتنبيه عن نوم الغفلة في مقام الاثابة على فعل الطاعة، ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذكر المصدر وارادة الفاعل؛ اي منها على الغفلات عن عمل الخيرات ﴿فورد﴾ في الدعاء ﴿اللهم نبهنا عن نومة الغافلين﴾ لم ار له اصلا ﴿والالهام﴾ الملاكى يعرف ﴿بكونه﴾ اي الخاطر ﴿مترددا﴾ بين الفعل وتركه غير قوى في حكمه، وقيل مترددا الى بحى مرة ويذهب اخرى ﴿ومبتدئا﴾ اي لا يحدثا بعد عمل عبادة ونحوه ﴿وطاريافا﴾ اي عارضا ﴿في الفروع﴾ العلمية والعملية ﴿والاعمال الظاهرة﴾ الاخرى وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم ﴿وحثا على الطاعة﴾ في الامور الدينية ﴿فورد﴾ في التنزيل (لا يعصون الله ما امرهم ﴿ويفعلون﴾ اي الملائكة ﴿ما يؤمرن﴾ لانهم جبلوا على الطاعة ﴿والوسوسة﴾ من

بَكُونَهَا مَعَ عَجَلَةٍ وَنَشَاطٍ دُونَ خَشْيَةٍ عَلَى اِتِّمَامِهِ وَآدَانِهِ عَلَى وَجْهِهِ وَقَبُولِهِ تَعَالَى
 آيَاهُ وَبَصِيرَةٍ أَنَّهُ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ وَفِي الشَّرِّ يَعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكُونِهِ مُصَمِّمًا وَمُحَدِّثًا عَقِيبَ
 الذَّنْبِ عُقُوبَةً فَوْرَدَ (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وَالْهَوَى بِكُونِهَا
 مُطَالِبَةً لِلشَّهْوَةِ فَوْرَدَ (مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ)

الخواطر تعرف ((بكونها مع عجلة)) لامع تأن لقوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) وفي الحديث
 «العجلة من الشيطان والالانة من الله» رواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد
 وقال عز وجل (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى بك وحيه) ((ونشاط)) أى فرح
 وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مثوبة
 ((دون خشية)) أى من غير مخافة ((على اتمامه)) أى اتمام العمل انتهاء ((وادائه على وجهه))
 أى وجه العمل وحقه ابتداء ((وقوله تعالى آياه)) أى العمل وصاحبه اذ لا عبرة لما سواه
 ((وبصيرة)) أى ودون بصيرة ((انه)) أى ذلك العمل ((خير)) يرجى عليه الثواب ((او
 شر)) يخاف عليه العقاب رقىل: المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان تبصر وتتحقق وتيقن انه
 خير ورشد، ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب، والله اعلم بالصواب هـ
 والحاصل انك ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لامع
 خشية، ومع عجلة لامع تأن، ومع امن لامع خوف، ومع عى عن العاقبة لامع
 بصيرة فاعلم انه من الشيطان. وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية
 لامع نشاط، ومع تأن لامع عجلة، ومع خوف لامع امن، ومع بصيرة لامع عى
 فاعلم انه من الله تعالى او من الملك. وهذا الفرق فى الخواطر فى الخير كله ((وفى الشر
 يعرف الخاطر)) المطلق الذى هو من الله سبحانه ((بكونه مصمما)) أى قويا ((ومحدثا))
 واقعا ((عقيب الذنب عقوبة)) أى للعقوبة على المعصية ((فورد)) فى التنزيل ((بل ران))
 أى غلب وعلا ((على قلوبهم ما كانوا يكسبون)) من السيئات الواقعة بعضها عقيب
 بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكم ذنوبهم، ومنه قوله تعالى (واما
 من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أى الطريقة العسرى الموصلة
 الى مثاها فى الدنيا والاخرى ((والهوى)) أى ويعرف خاطر هوى النفس ((بكونها
 مطالبة للشهوة)) أى للذة التى فيها الشهوة ((فورد)) فى التنزيل ((ما تشتهى أنفسكم)) حيث

وَمُصْرَعَةً عَلَىٰ مَعِينٍ فَإِنَّمَا لَا تَأْكُلُ دُونَ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَالْوَسْوَسَةِ بِكُونِهَا مُبْتَدَأَةٌ
فِي الْأَكْثَرِ وَمُتَرَدِّدَةٌ فَالشَّيْطَانُ كَلْبٌ إِذَا طُرِدَ مِنْ جَانِبٍ دَخَلَ مِنْ آخَرَ، وَبَاعِثَةٌ
عَلَىٰ غَيْرِ مَعِينٍ فَعَرَضُهُ نَفْسُ الْإِغْوَاءِ، وَهُوَ سَوَّلَةٌ لِّلْمَعْصِيَةِ فَوَرَدَ (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ)

نسب الاشتباه الى النفس التي هي منبع الهوى (ومصرعة على معين) اي وبكونها مصممة
على شهوة معينة على وجه معين وطريق معين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا (فالنفس
لا تسكن دون قضاء الشهوة) اي من غير عرضها التي تريده كما قيل :
تريد النفس ان تلتقي مناعها . ويأبى الله الا ما يريد

(والوسوسة) تعرف (بكونها مبتدأة) اي ليست دقب طاعة ولا معصية
(في الاكثر) اي اكثر الاحوال او اكثر الوسوس (ومتردة) فتارة تدعو
الى معصية واخرى الى اخرى فهي غير مصممة على حالة واحدة (فالشيطان
طلب) او ذئب (اذا طرده من جانب دخل من آخر) اي جانب آخر لما يشير اليه قوله تعالى
(فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن أيمانهم وعن شمائلهم) والمراد طرق المعاصي جميعها ، فعن ابن مسعود : خط
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : وأن
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، (وباعثة) اي
وبكونها محرضة (على غير معين) من انواع المعاصي (فعرضه نفس الاغواء) من
اي جهة كان من الاعمال والاحوال (ومسولة) اي وبكونها مزينة ومسهلة (للمعصية)
من المعاصي غير متعين (فورد) في التنزيل (الشيطان سول لهم) اي زين لهم
سوء اعمالهم (واملى لهم) اي املهم ببطء آجالهم ، او اتقى في قلوبهم ما يندمون عليه في
ما آلمهم . قال الحسن : بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري
بالاستغفار ، فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء ، وقد
صدق المعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون

وَمَنْدَفَعَةً بَذَرَهُ تَعَالَى فَوَرَدَ فِيهِ «إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسُوسَ

منها؟ ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية، والخصومات الدنيوية. وقال عبد الله بن مسعود: قعد قوم يذكرون الله عز وجل، فاتاهم الشيطان ليقسمهم من مجلسهم فيفرق بينهم لم يستطع، فأتى رفقه اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم، فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجلسهم ذلك مراد الشيطان منهم ((ومندفعة)) اي وبكونها مندفعة ((بذكره تعالى)) ولو بذكر خفي ((فورد)) في الحديث ((فيه)) اي في حق الشيطان ((اذا ذكر)) العبد ((الله خنس)) اي تأخر الشيطان ((واذا غفل وسوس)) قال مجاهد في معنى في قوله تعالى (من شن الوسواس الخناس) قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه، فالتطارد بين ذكر الله وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار. ولتطاردهما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانسى ذكر الله) وعن انس قال عليه السلام «ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله النقم قلبه» ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن حدى. هذا وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه. ولذا قال عليه السلام «ان الشيطان ليحرق من ابن آدم بحرق الدم فضيقوا بحرقه بالجوع» وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوة المانعة عن الطاعات، وفيه تنبيه على انه لا يتخلص احد من الشيطان مادام حيا، نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته، كما قال عليه السلام «ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احد لم يعيره في السفر» اي يهزله ويضعفه، رواه احمد من حديث أبي هريرة. وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول، وقال قيس: قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل المصفور، فقلت ولم ذلك؟ قال تذيبني بكتاب الله عز وجل. وقال ابو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فاذا شيطان الكافر سمى دهن كاس، واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك؟ فقال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا، واذا شرب سمى الله فاظل عطشا، انا، واذا ادهن سمى الله فاظل اشعث، واذا لبس سمى الله فاظل عريانا، فقال شيطان الكافر لكني مع رجل

وَقِيلَ يَتَعَذَّرُ التَّمْيِيزُ الْإِبْنُورِ التَّقْوَى وَالْمَعْرِفَةُ

لا يفعل شيئاً مما ذكرت ، فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه . وفي النسائي من حديث سيرة باسناد صحيح « ان الشيطان قعد لابن آدم في طريقه ، فقدم له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه رجاهد ، فقال عاياه السلام : فن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة ، واذا عرف هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن أصله ونسله ومجمله ، فقد قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عز و علا (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) (وقيل يتعذر التمييز) بين الخواطر بشي ء من الاشياء (الابنور التقوى والمعرفة) بصفات المولى كما قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) أى رجعوا الى نور العلم (فاذا هم مبصرون) أى انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال وأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غلظه ويعجل هلاكه وهو لا يشعر به ، وفي مثلهم قال تعالى (وبداهم من الله مالم يكونوا يحاسبون) قبل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات : وفي الاحياء ينبغى ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، وإلى ما يعلم انه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاما ، وإلى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان . فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض ، واكثر العباد به يهلكون ، فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير . ولذا روى : ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب ، فأتى بها الى الراهب فابى ان يقبها ، فلم يز الوابه حتى قبها ، فكانت عنده ليعالجها ، فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربته ، فلم يزل به حتى وقع عليه الخبلت منه ، فوسوس اليه وقال : الآن تفتضح

وَاخْتُلَفَ فِي الْأَخْذِ بِالْخَوَاطِرِ وَالتَّحْقِيقِ

يأتيك أهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فاتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم والقي في قلوبهم انه احبها ثم قتلها ودفنها ، فاتاه أهلها فسألوه فقال ماتت ، قالقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده ففتشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه ، فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت في قلوب أهلها فاطعنى اخلاصك منهم ، قال بما ذا قال اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فقال له الشيطان انى برىء منك ، فهو الذى قال الله تعالى : كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك . الآية والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى مكائد الشيطان ، وابن مردويه فى تفسيره من حديث عبيد بن رفاعه مرسلا ، وللحام نخوة موقوفا على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ، ووصله مطين فى مسنده من حديث على ، وذكره البغوى فى تفسيره عن ابن عباس ، وذكر ان الراهب اسمه برصيصا ، وتعلل بعد قتلها بان جنمها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها . فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطرارة الراهب الى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة . وهو امرهين فى المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنه وملاطفة فى المرافقة وحسن عشرة فى المخالفة ، فيحسن ذلك فى قلبه ، ويخفى الهوى فى نفسه ، فيقدم اليه كالراغب فى الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ، ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا للخلاص عن الامر المذكور فنغوذ بالله من تضييع اوائل الامور ، واليه الاشارة بقوله عليه السلام « من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه » متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير « (واختلف فى الاخذ) » أى فى المؤاخذة « (بالخواطر) » فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا ، واستدل بقوله عليه السلام « يقول الله تعالى اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها » وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) « (والتحقيق) » التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر ، كالموخطر له مثلا صورة امرأة واسما وراء ظهره فى الطريق بحيث لو التفت اليها ليرأها ويسمى حديث النفس ، والثانى هيجان النفس فى الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع ، والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف ، فانه قد يمنعه خياء أو خوف

عَدَمُهُ فِيمَا لَا اخْتِيَارَ لَهُ كَحَدِيثِ النَّفْسِ وَمِيلِ الطَّبَعِ لَا مَتَاعَ التَّكْلِيفِ فِيهِ وَوَرَدَ
عَنْ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُنَا . وَأَنَّمَا هُوَ فِي الْعَزْمِ وَالْهَمِّ فَوَرَدَ (وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تَخَفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ)

من الله تعالى عن الالتفات ، وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال
من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل ، والرابع تصميم العزم وجزم
النية ، وقيل الارادة ميل الباطن . نحر المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج
المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ما له فاذا عرفت
هذا فالتحقيق عند أهل التدقيق وأرباب التوفيق (عدمه) أي عدم الأخذ بمعنى
المؤاخظة (فيما لا اختيار له كحديث النفس) مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها
(وميل الطبع) أي الجبلي الذي لا اختيار لصاحبه في الميل اليه ، وأنت عرفت أن
حديث النفس وميل الطبع متغايران . وقيل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذي
ما نجر الى العزم والهم (لامتاع التكليف فيه) أي فيما لا اختيار فيه فانه تكليف
مالا يطاق وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (وورد) في الحديث (عفى
عما حدثت به نفوسنا) وهو معنى حديث الصحاح الست عن أبي هريرة «ان الله تجاوز
لامتي عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به» وعن أبي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «يقول الله اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكثروا
عليه سيئة فان تركها من أجلى فاكثروا حسنة، واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكثروا
حسنة فان عمل فاكثروا عشرة» رواه الشيخان (وانما هو) أي الاخذ والمؤاخظة (في
العزم) أي حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل (والهم) أي المصمم فهو عطف
تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما انضى الى مباشرة الفعل لما نفع من الشرع
او العقل أو غيرهما ، فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما ، أو الثاني اخص
من الاول فتأمل (فورد) في التنزيل (وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله) أي ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المعصية او تخفوه يحازكم به كما قال:
(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ولما نزلت الآية جاء ما من من الصحابة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ظفنا ما لا نطبق ، أن احدا لا يحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ الْآيَةَ . أَمَّا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى الْإِخْذِ
بِالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ بَعْدَ الْعَزْمِ لَهُ تَعَالَى فَيَمْحُوهُ لِرُجْحَانِ
تَأْثِيرِ الْإِمْتِنَاعِ فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ الطَّبْعَ عَلَى تَأْثِيرِ الْقَصْدِ فِي تَسْوِيدِهِ
لِأَنَّهُ يُوَافِقُهُ

في قلبه ثم يحاسب بذلك ، فقال عليه السلام « لعلمكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا » فانزل الله الفرج بقوله (لا يكلف الله نفسا الا
وسعها) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . وابن عباس . فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلوب لا يؤخذ به ، قال تعالى (ان السمع والبصر الآيات) أي (والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتسبها فانه آثم
قلبه) وقال (لا يؤخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم)
(انما يحشر الناس على نياتهم) رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما ، وله من
حديث أبي هريرة « انما يبعث الناس على نياتهم » ، واسنادها حسن وفي الاحياء ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فمات تلك الليلة مات مصرا
ويبعث على نيته . والدليل القاطع فيه حديث « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار . قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه » رواه الشيخان (ووقع الاجماع على الاخذ) أي المواخضة (بالكبر والعجب
والرياء) وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر (الا ان يمتنع)
عن العمل السوء (بعد العزم) أي القصد والجزم على الفعل (له) أي يكون امتناعه
لاجله (تعالى) رجاء أو خوفا (فيمحوه) أي فيمحوا الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة
عليها (لرجحان تأثير الامتناع) عن العمل لاجله تعالى (في تنوير الباطن لانه) أي
الامتناع (يخالف الطبع) ويوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) أي قصد المعصية
والعزم عليها فيكون . وثرا (في تسويده) أي تسويد الباطن وتغييره (لانه يوافق)
أي لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلائم الشرع .

وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعي أكيد
وما كان جده أشد وسعيه أهم كان تأثيره أكمل وأتم فثبت بهذا ان تأثير الامتناع
في تنوير الباطن أشد من تأثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعي

وورد فيه «إن تر كها فكتبوها حسنة» ثم الواجب الاحتراز عن الشيطان لأنه
عدو كما نطق به القرآن ولأن العابد يغايظه فتشتد معاداته إياه

بليغ، ولما كان جده واجتهاده أقل كانت التأثير أنقص فتأمل، وفي الخبر «أفضل
الطاعات أحزها» أي أشقها وأصعبها (وورد) في الخبر (فيه) أي في الامتناع
(ان تركها) أي العبد السيئة (فكتبوها حسنة) وقد تقدم، ولابن أبي
الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلًا قال ثابت: لما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاؤهم فقالوا
ماندري، قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه
وسلم، قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي عليه السلام فيصرفون خائبين
فيقولون ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم
فيهمجى أثر ذلك فقال إبليس رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيرون
حاجتكم منهم، وبما يدل على أن حديث النفس لا يؤخذ به ما روى عن عثمان بن
مظعون حيث قال «يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من
سنتي النكاح، قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال مهلا خصاء أمتي ذروب
الصيام، قال نفسي تحدثني أن أترهب، قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج، قال
نفسى تحدثني ان اترك اللحم، قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله
لاطعمني، رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلًا
(ثم الواجب الاحتراز) أي الاحترام (عن الشيطان) وما فيه من الوسواس
(لأنه عدو كما نطق به القرآن) حيث قال (ان الشيطان لكم عدو مبين) وقال
(ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) الآية (ولان العابد) العالم (يغايظه)
أي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله (فتشتد معاداته) أي الشيطان (إياه)
أي ذلك العابد، ولذا ورد «لنقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» ثم
من عداوته للانام أمره لهم بالآثام ووعدهم الامان من عذاب الله وعدم حسابه
واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلا عن حجة، ويخوفهم بالفقر في إعطاء الزكاة ويحشهم
على الانفاق في المحرمات، ويخيل لهم حصر اللذات في الشهوات واللذات، ويدعوهم
له أزواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة في غاية كمال إلى زنا من ليس لها ذلك
في الاحوال، ويأمر الامراء بالظلم في اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء مع

وَالطَّرِيقُ الْإِسْتِعَاذَةُ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا «وَلَاَنَّ الْكَلْبَ أَنْ حَارِبْتَهُ تَعِبْتَ وَرَبَّمَا
غَلِبْتَ فَالْرَجُوعُ إِلَى رَبِّهِ أَوَّلَى» وَالْمُجَاهِدَةُ بِالرَّدِّ

وفورها لهم ، ويقتل النفس بآدنى خيال مع تمكنهم من الدفع في الحال والاستقبال ، وله
ابواب فيها اطناب (والطريق) أى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى
(لأنه) أى العبد والاستعاذة (مأمر بها) فى قوله تعالى (واما ينزغك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله) الآية وسائر الآيات والاخبار الواردة . وكان محمد بن واسع يقول
كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا بعبوبنا
مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقييله من حيث لانراهم ، اللهم فآيسه منا كما آيسته من
رحمتك ، وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك
انك على كل شىء قدير ، وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : كان شيطان يأتى النبى
صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ
فلا يذهب ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : قل « اعوذ بكلمات الله التامات التى
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرا وبرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ، وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن فتن الليل والنهار ، وطوارق الليل والنهار الاطارقا
يطرق بخير يا رحمن » فقال ذلك نطفئت شعلته وخر على وجهه ، رواه ابن ابي الدنيا
فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ، ولما لك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا
ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرار
عن عياش الشامى عن ابن مسعود ، ورواه احمد والبخارى من حديث عبد الرحمن
ابن حبيب (ولأن الكلب ان حاربته تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه أولى)
فى الخلاص عن البلوى . ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك ، فاذا لم يكن بين
يديك لحم أو خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه ، وان كان بين
يديك شىء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام . فالقلب الخالى
عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر ؛ فأما الشهوة اذا غلبت على القلب رفعت
حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويدها فيستقر الشيطان
فى سويدها القلب . ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لا يخاص لاحد منه
لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه هممة صاحبه من داخل
خيمته فيفتر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بالرد) أى يرد الوسوسة

وَقَلْعُ الْمُهْلِكَاتِ فَهُوَ أَنْمَا سُلِّطَ لِلْامْتِحَانِ وَأَدَامَةُ ذِكْرِهِ تَعَالَى لِسَانًا وَقَلْبًا لَمَّا سَبَقَ

ودفعها في الحالة الآنسة ﴿وقلع المهلكات﴾ أي وازالتها من أصلها، وهي الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين في اثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام، والطمع في الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال، وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين، ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة ﴿فهو﴾ أي الشيطان ﴿انما ساط﴾ على الانسان ﴿للامتحان﴾ في ميدان الطاعة والعصيان فحينئذ يكرم المرء أو يهان ﴿وادامة ذكره تعالى لسانا﴾ خفية اوجهرها ﴿وقلبا﴾ فهو افضل واكثر تأثيرا واجمع بينهما اكل ﴿لما سبق﴾ من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر. وفي الخبر «ما سلك عمر بن الخطاب اى طريقا - الا سلك الشيطان في غير فجء، رواه الشيخان من حديث سعد بن ابى وقاص . قال في الاحياء: وهذا لان قلبه هذا كان طاهرا عن رعى الشيطان وقوته وهى الشهوات، فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا، كن طمع في أن يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة، ويطمع في أن ينفعه الدواء كما نفع الذى يشربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة . فالذكر دواء والتقوى احتماء، فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بتزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة، فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان، قلنا ان عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين . فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان انتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله، فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، وكيف يهربك فى أودية الدنيا وممالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك فلا تزدهم الشياطين على قلبك الا اذا صليت، والصلاة محك القلوب فيها مساوئها ومحاسنها . فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لاتطرد عنك الشيطان، بل ربما يزيد عليك الوسواس فى ذلك الزمان كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فى الداء، فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم

وَالْاِسْتِخْفَافُ بِدَعْوَتِهِ فَالْكَلْبُ اِنْ اَعْرَضَتْ عَنْهُ سَكَتَ وَاِنْ اَشْتَغَلَتْ مَعَهُ اتَّبَعَكَ
وَمَعْرِفَةُ مَكَائِدِهِ فَالْلُّصُّ اِنْ عَلِمَ اَحْسَاسَ صَاحِبِ الدَّارِ فَرَّ وَهِيَ كَالْمَنْعِ عَنِ الْعَمَلِ
وَالْتَّسْوِيفُ وَالْعَجَلَةُ وَالرِّيَاءُ وَالْعُجْبُ وَرَجَاءُ الْاِظْهَارِ مِنْهُ تَعَالَى وَعَدَمُ الْحَاجَةِ
اِلَى الْعَمَلِ بِنَاءً عَلَى قِسْمَةِ الْاَزَلِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالرَّدِّ بِالْحَاجَةِ لِلزُّودِ
وَهُجُومِ الْاَجَلِ وَرُجْحَانِ

طائف من الشيطان تذكرها فاذا هم مبصرون) فالشرط في الذكر تقدم التقوى
او قال الحضور في ذكر المولى، ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيها بشيء
من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقد قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر أى مطيع له في الباطن . وقال بعضهم : يا عجبا لمن
يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه . وعن بعض
الحكماء الشيطان ياتى ابن آدم من قبل المعاصى ، فان امتنع اتاه من قبل النصيحة
حتى يلقيه في البدعة ، فان أبى أمره بالتخرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام ، فان
أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم ، فان أبى خفف عليه أعمال البر
حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يملكه وعنده يشتد
لجاجة فانه آخر درجاته ويعلم أنه لو جاوزها مات منه الى الجنة) (والاستخفاف بدعوته)
أى الاستهتار وادم الاعتبار بدعوة الشيطان) (فالكلب ان أعرضت عنه سكت)
عنك) (وان اشتغلت معه) بالدفع) (اتبعك) بالعواء) (ومعرفة مكائده) الآتى بيانها
(فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر) أى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن
من القرار) (وهى) أى المكائد سبعة) (كالمنع عن العمل) من أصله) (والتسويق) أى
التأخير عن محله) (والعجلة) فى فعله) (والرياء) فى قصده) (والعجب) بعد فراغه
(ورجاء الاظهار منه تعالى) للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى
(وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة) وهذا لف
فى العبارة ونشر بالاشارة فى قوله) (والرد) أى رد المكائد المذكورة) (بالحاجة)
الى العمل) (للزود) أى لزاد المعاد فى يوم التداد ، فقد قال تعالى) (وتزودوا فان
خير الزاد التقوى) (وهجوم الاجل) أى مجئته بغتة قبل حصول العمل) (ورجحان

الْقَلِيلِ التَّامُّ عَلَى الْكَثِيرِ النَّاقِصِ وَ كِفَايَةُ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ فِي الْإِظْهَارِ
وَالْإِخْفَاءِ وَفَرْضِيَّةُ امْتِثَالِهِ وَحَقِّقَةُ وَعْدِهِ الْأَدْنَى ثُمَّ الْإِقْتِصَارُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَتَرْكُ
الْجِدَالِ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ الزِّيَادَةُ فِي ضِدِّهِ فَفِيهِ اغْضَابُهُ وَاخْتِلَافُ
فِي أَمْنِ الْأَقْوِيَاءِ

الْقَلِيلُ (من العمل) (التام) (أى الكامل) بالتأني (على الكثير) (من العمل) (الناقص)
بالعجلة (وكفاية رؤيته تعالى) لقوله سبحانه (ألم يعلم بأن الله يرى) وقوله عز
وجل (ليس الله بكاف عبده) (وذكر منته والتفويض إليه) (أى التسليم بين يديه
(فى الإظهار والإخفاء) فى العبادة ، بل ينبغى أن يميل إلى الإخفاء لأنه أبعد من
الرياء . وفى الخبر « افضل أمتى الاتقياء الإخفاء » (وفرضية امتثاله) (أى امتثال
أمره على عبده ، ثم ان كنت شقيا فانا محتاج إلى العمل ليلا لئلا ألوم نفسى يوم القيامة
فانى لو ادخلت النار وانا طمع احب إلى من ان ادخلها وانا عاص لحقة العذاب ، وان
كنت سعيدا فانا محتاج إلى زيادة الثواب (وحقية وعده الأدنى) (أى الأقرب بالاثابة
على الطاعة والاجابة) (ثم) (افضل) (الإقتصار على التكذيب) (أى تكذيب الشيطان
فيما يوسوسه) (وترك الجدال) فانه يردد قلب العبد ويشوشه . ولان المجادلة شاغلة عن
العبادة الكاملة (ثم الاستمرار على ما كان عليه) من العبادة والاستقرار من غير تكذيب
ولاجدال لان التكذيب ايضا شاغل بالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلى
هو الحضور مع المولى (ثم الزيادة) (أى زيادة الاجتهاد) (فى ضده) (أى اضداد ما ذكر
من المكائدا وفى ضد كيد الشيطان) (ففيه اغضابه) (أى اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن
كما حكى عن ابراهيم بن ادم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان
هذه بادية مهلكة هاوية ولا زاد معك ولا سبب ولا راوية ، فعزم على نفسه ان يقطع
البادية على تجرده ذلك ، وان لا يقطعها حتى يصل إلى ألف ركعة تحت كل ميل من اميالها
هنالك ؛ وقام بما عزم عليه من المهمة وبقي عليه فى البادية اثنتى عشرة سنة . ويروى عن
الفضيل بن غزوان انه قيل له : ان فلا تاذرك بسوء ، فقال : والله لا غيظن من أمره
قيل من أمره ؟ قال الشيطان ، ثم قال : اللهم اغفر له انى لا غيظنه بان اطيع الله فيه . ومهما
عرف الشيطان من عبده هذه العادة ككف عنه خيفة ان تزيد فى حسناته وهو خلاف
ماله من الارادة (واختلاف) (أى اختلاص العلماء) (فى أمن الأقوياء) كالانبياء

مِنْهُ وَالْحَقُّ عَدَمُهُ لِقِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَرْدَانِهِ لِيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَفِي مُنَافَاةِ التَّرْصُدِ
التَّوَكُّلِ وَالْحَقُّ عَدَمُهَا فَأَخَذَ السَّلَاحَ وَجَمَعَ الْعَسْكَرَ وَحَفَرَ الْحَنْدَقَ مَا قَدَحَتْ فِي
تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي كَيْفِيَةِ الْحَذَرِ

والأصفياء من الأولياء (ومنه) أي من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومحفوظون
عنه لقوله سبحانه (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله (إلا عبادك منهم المخلصين)
(والحق) من الأقوال (عدمه) أي عدم أمنهم من الشيطان في جميع الأحوال (لقصة
آدم عليه السلام) في أكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام حيث قال
(وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به ربه فتاب عليه وهدى) ولقوله تعالى (وأما ينزغوك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روى أنه عليه السلام
نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال «شغاني عن الصلاة» ولقوله سبحانه
(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) أي قرأ (القي الشيطان في أميته) أي
قراءته (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) (وورد) في صحيح مسلم وغيره (أنه)
أي الشيطان (ليغان) أي ليحجب (على قلبي) فيمنعني عن ذكر ربي مع أن شيطانه أسلم فلا
يأمر إلا بخير وتمام الحديث «واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفيه أنه ليس في هذا
الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فإن المراد بالغين حجاب يقع من
كثرة مشاهدة غبار الغير في مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب
اللائق به، فإن سيئات المقر بين الأحرار حسنات المطيعين الأبرار، وما دمت في هذه الدار
لا تستغرب وقوع الأكدار (وفي) أي وكذا اختلف في (منافاة الترصد) أي
التحفظ للحذر من الشيطان (التوكل) بالنصب مفعول منافاة (والحق) من الأقوال
المختلفة (عدمها) أي عدم المنافاة (فأخذ السلاح) من الدرع والمغفر وسائر الأسلحة
(وجمع العسكر) للمقاتلة (وحفر الحندق) في المقابلة (ما قدحت في توكله) أي وما
طعنت في توكله (عليه السلام) وأصحابه الكرام، بل ورد الأمر من الله سبحانه بأخذ السلاح
في قوله تعالى (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم) وقال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل) وفي الحديث «إلا أن القوة الرمي» (وفي) أي وكذا اختلف في (كيفية
الحذر) عن الشيطان فقوم قالوا إذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا أن نستغرق في ترصده
ولا يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره وفكره. وقال قوم: لا ينبغي لنا أن نجتمع بين ذكر الله

فَالْأُولَى تَقْرِيرُ عَدَاوَتِهِ عَلَى الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْرَاقُ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى بِجَمْعِ الْهَمَّةِ
وَالِاسْتِغْثَالُ بِالْدَّفْعِ عِنْدَ الْإِتْبَادِ بِوُرُودِهِ أَمَّا الْاسْتِغْرَاقُ فِي التَّرْصُدِ فَيَنَاقِ الذِّكْرَ وَهُوَ
أَسْرَارُهُ وَالْجَمْعُ يَنْقُصُ الْحُضُورَ وَوَرَدَ (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وَعَنِ
النَّفْسِ فَعَلَّاجُهَا أَعْسَرُ

سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالباً، ففي الخبر «من احب شيئا اكثر ذكره»
وقال قوم: غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما سيأتى له
البيان ﴿فالأولى تقرير عداوته﴾ أى احكام عداوة الشيطان واثباته ﴿على القلب﴾
فاذا تقررت عداوته فى القلب لزم ترك الالتفات اليه ﴿والاستغراق فى ذكره تعالى﴾
أى وتمام التوجه الى ذكر الرب ﴿بجمع الهمة﴾ من غير الالتفات الى ذكر
الشيطان ومكره بسبب حضور القلب فى طاعة ربه ﴿والاشتغال بالدفع﴾
أى بدفع الشيطان ﴿عند الانتباه بوروده﴾ أى بدخول الشيطان فى القلب بالسواس
ونحوه لدخوله فى الانسان مجرى الدم فى لحمه ﴿أما الاستغراق فى التردد﴾ أى فى
التحفظ عن الشيطان للحذر ﴿فينا فى الذكر﴾ المطلوب لذاته ﴿وهو﴾ أى الاستغراق
المذكور ونفى الذكر ﴿اسراره﴾ أى ايقاع الشيطان فى السرور واثاره، لانه مراده
فى مقام اختياره ﴿والجمع﴾ أى ويناقى جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع، وهو
ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا تحجب الوحدة عن الكثرة، والجمع بين ذكر الرحمن
وبين ترصد الشيطان ﴿ينقص الحضور﴾ فى ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال
القلب بذكر الشيطان، فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره ﴿وورد﴾
فى التنزيل ﴿قل الله﴾ أى ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الاياه ﴿ثم ذرهم﴾ أى اترك
الخلق من الشيطان وغيره فهم ﴿فى خوضهم﴾ أى اباطيلهم من الاشتغال بغير الحق
﴿يلعبون﴾ كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال فى موضع آخر (ذرهم باطلو او يمتنعوا
ويلهمهم الامل فسوف يعلمون) أى جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه (وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون) أى ليوحدون اولاً، ثم يطيعون ثانياً، ثم يذكرون على الدوام ثالثاً،
ثم يعرفون حق المعرفة رابعاً ﴿وعن النفس﴾ عطف على قوله عن الشيطان أى ثم الواجب
الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء ﴿فعلاجها
اعسر﴾ من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعضل الداء، وداؤها اشكل الدواء

لأنها محبوبة والحب يعمى عن رؤية العيب ويصم عن سماع الملامة وعدو
داخلي فلص البيت تعز فيه الحيلة ولا تنفك إلا بالموت ولا تندفع بالذکر وتشكو
النفس يوم القيامة عمن وافقها في الدنيا ومنها نشأ ذنب إبليس بالكبر والحسد

لاربعة أمور (لأنها محبوبة) لصاحبها مع أنها أعدى عدوه (والحب يعمى) العين
(عن رؤية العيب) في محبوبة (ويصم) الأذن (عن سماع الملامة) في مطلوبه،
ففي الخبر «حبك الشيء يعمى ويصم» رواه أحمد وغيره عن أبي الدرداء
والحاصل أن للإنسان عى عن عيب محبوبة لا يكاد يبصر عيباً في مطلوبه، لما قال
قائل في شعره :

وعين الرضا عن كل عيب ظيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فإذا استحسن الإنسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول
انه مبيع، وهى فى عداوته مستقرة، وفى غوايته مستمرة، فما اوشك ان توقعه فى هلاك
وفضيحة، ويتوهم انه خلاص ونصيحة، وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضله
وكرمه (وعدو) أى ولأنها عدو (داخلي) أى باطنى (فلص البيت) أى من
يدخل فيه ويخرج منه (تعز فيه الحيلة) أى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال
تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً) (ولا تنفك) أى النفس عن الإنسان
(إلا بالموت) بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة والمجاهدة (ولا تندفع) النفس
وشرها (بالذكر) أى بذكر الله، بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث
«اذا ذكر الله خنس» (وتشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها فى الدنيا) فلاحالم عن
انس مرفوعاً عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يا رب أليس وعدتني ان لا تظلمني؟
قال بلى؛ قال فاني لا اقبل على شهادة شاهد الا من نفسى، فيقول اوليس كفى بي شهيداً
وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانها بما كان يعمل، فيقول
بعد الكن وسحقاً فعنكن كنت اجادل، وامامانى الاحياء من انه عليه السلام قال: وكف
اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيلزم
بعضك بعضاً الا ان يعفو الله ويستر، فقال مخرجه لم اجده بهذا السياق (ومنها) أى
من النفس (نشأ ذنب إبليس بالكبر والحسد) حيث قال (انا خير منه) وامتنع عن حكم

وَقَايِلَ بِالشَّحِّ وَهَارُوتَ بِالشَّهْوَةِ وَالطَّرِيقُ مَنَعَ الشَّهَوَاتِ فَالْحُرُونُ يَلِينُ بِنَقْصِ
 الْعَلْفِ وَحَمْلِ أَعْيَاءِ الْعِبَادَةِ فَالْحِمَارُ يَنْقَادُ بِزِيَادَةِ الْحَمْلِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى فُورِدَ
 (إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) وَالْأَصْلُ فِيهِ الرِّيَاضَةُ

ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه ففرق في بحر الضلال بعد عبادة ثمانين
 ألف سنة في بعض الأقوال، ولم يكن هناك دنيا ولا خاق ولا شيطان آخر بل كانت النفس
 وحدها فعلت ما عملت من جهدها (وقاييل بالشح) أي بسبب بخله على أخيه في اخته،
 فانكر على أبيه فوقع في الكفر بسببه لا بسبب قتل أخيه (وهاروت) وصاحبه ماروت وقعا
 فيما وقعا من البلية (بالشهوة) التي أدت إلى الزنا ونحوه من المعصية قيل: وآدم وحواء
 بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس (هل أدلكما على شجرة الخلد وملك
 لا يبلى) فسقطا بذلك من جوار المولى إلى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدية الفانية، ولقى
 أولاده من الأمور المهلكة، ثم هلم جرا إلى يوم القيامة لا تجد في الخاق فتنة ولا فضيحة
 ولا عنة ولا ضلالا ولا معصية إلا واصلها النفس وهواها والا كان الخاق في سلامة وخير
 في مبدأ الأمور ومتنهاها، وإذا كان العدو بهذا الضرر فحق على العاقل أن يهتم بامرأته في
 حقه . فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال : (والطريق) أي طريق تذلل
 النفس وتكسر هواها، أو طريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة (منع الشهوات)
 ودفع اللهوات، ورفع اللذات عنها (فالحررون) أي الصعب من الدواب (يلين بنقص
 العلف) عن عاداته مع حبسه في مربوطه (وحمل أعباء العبادة) أي اثقالها واشغالها
 (فالحمار) الجوح (بنقاد بزيادة الحمل) على ظهره (والاستعانة به تعالى) والتضرع
 إليه ليهون أمرها عليه والأفلا مخلص لديه (فورد) في التنزيل (إن النفس لامارة
 بالسوء إلا ما رحم ربِّي) أي من رحمه أو مدة رحمته (والأصل فيه) أي في طريق الاحتراز
 أو في طريق تذلل النفس (الرياضة) أي وفق الشريعة المرضية ففى تحفة الملوك: لا تحمل
 الرياضة بتقليل الأكل إلى أن يضعف عن أداء العبادة، ولو واصل أربعين يوما فمات
 مات عاصيا، ولو مرض وترك المعالجة توكلنا على الله فمات لم يمت عاصيا، والتنعيم بأنواع
 الفاكهة يباح وتركه أفضل، والجمع بين الأطعمة حرام أي ممنوع ومكروه كراهة
 تنزيهية أو حرام في طريق الصوفية ثم الأصل المهم المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة،

وَهِيَ تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ فَوَرَدَ «أَنْى رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ فَجَاءَ حَسَنُ الْخُلُقِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» أَثْقَلَ مَا يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ حَسَنُ الْخُلُقِ «وَهُوَ ضَبْطُهُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَهُوَ مُمْكِنٌ لِصِرْوَرَةِ الصِّدِّ الْوَحْشِيِّ أَهْلِيًا وَالْجَمُوحِ مُنْقَادًا وَالْكَلْبِ مُعَلَّمًا

فاذا عزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله فينبغى ان يصبر عنها ويستمر عليها ، فانه ان عود نفسه كسر العزم ألفت بعد ذلك عدم الجزم وفسدت لفقد الجزم ، واذا اتفق منه بعض العزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه (وهى) فى الرياضة او المقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق (تهذيب الاخلاق فورد) فى الحديث (انى رأيت البارحة عجبا) أى امرا غريبا (رأيت رجلا من امتى جائيا) أى جالسا على ركبتيه (وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق) من باب (فادخله على الله تعالى) من غير حساب ولا عقاب . والحديث رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة (اثقل ما يوضع فى الميزان حسن الخلق) رواه ابو داود ، والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء . ولابى داود والترمذى من حديث ابى الدرداء « ما من شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق » وللطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر « حسن الخلق خاق الله الاعظم ، ولا حمد والحالم واليهقى من حديث ابى هريرة « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ولا حمد من حديث عائشة والشوم سوء الخلق ، ولا بن حبان وغيره ، سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وللخرايطى فى مكارم الاخلاق من حديث عائشة « المؤمن حسن الخلق » وللطبرانى فى الصغير من حديث عائشة « ما من شئ الاوله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه » وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطى حديث « أحسن الحسن الخلق الحسن » رواه الحسن عن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن بسند حسن (وهو) أى حسن الخلق (ضبطه) أى حفظه وربطه (تحت الشرع والعقل) فى قضية الطبع (وهو) أى تحسين الاخلاق (ممكن) بالاتفاق (لصيرورة الصيد الوحشى اهليا) كالظبي والحمام (والجموح منقادا) كالفرس والبعير (والكلب معلما)

وَوَرَدَ حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ،

وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد في مقام القيد (وورد) في الحديث (حسنوا اخلاقكم) رواه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ وباه معاذ حسن خلقك للناس ، ولاحمد من حديث عائشة ، اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى ، وللطبراني من حديث جابر « ان اقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا ، هذا ، والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ، ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا ، وأن كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا . وكما أن حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا في الباطن أربعة ارکان لابد من الحسن في جميعها ، وهي قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه الثلاثة . ويعبر عن حسن القوة الفضية بالشجاعة ، وعن حسن قوة الشهوة بالهفة . والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط ، فان الامر المحمود في كل شيء هو التوسيط . فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان ، والشر والجوع مشغلان . وقد ورد « خير الامور اوساطها » رواه البيهقي في شعبه . وقال تعالى في ذم التبذير والتقتير (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محمورا أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وقال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) فالاعتدال مطلوب في جميع الاحوال ، فان العقيدة الحميدة هي المتوسطة بين التشديد والتعطيل ، وبين القدر والجبر ، وبين النصب والرفض . وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذي لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض ، بل هو ادق من الشعر وأحدم من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط المستقيم في العقبى ، وقال ما ينفع العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ، اعني الوسط حتى

فَالْأَسْرَعُ عِلَاجًا مَنْ غَفَلَ عَنْ اعْتِقَادِ وَتَمَيُّزِ شَيْءٍ مِنْ عَرَفِ الْقَبِيحِ ثُمَّ مِنْ اعْتِقَادِهِ
حَسَنًا وَهُوَ أَصْعَبُ، وَالطَّارِقُ عِنْدَ فَقْدِ الْكَمَالِ الْفَطْرِيِّ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَالْجَذْبَةُ

لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ، فكذا لا ينفك
عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى (وان منكم الا واردة
كان على ربك حتما مقضيا) ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو
الله في كل يوم سبع عشرة مرة بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ومن هنا قال
عليه السلام « استقيموا ولن تحصوا » أي وان تطبقوا حق الاستقامة وهي الموصوفة
بنعت الاستقامة فينبغي للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ، والمقصود بحز الانسان كما يشير اليه قوله
تعالى (كلا لما يقض ما أمره) هذا ، وقال يحيى بن معاذ : في سعة الاخلاق كنوز الارزاق
وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الكنانى : التصوف خلق لمن زاد عليك
في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة
الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ، ثم قال الحسن : حسن الخلق
بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الاذى . وقال الواسطى : هو ان لا يخاصم ولا يخاصم
من شدة معرفته بالمولى . وقال الحسين بن منصور : هو ان لا يؤثر فيك حياء الخلق بعد
مطالمتك للحق (فالأسرع علاجاً) أي الاهون مداواة (من غفل عن اعتقاد وتميز)
من جهة اعتماد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة التركان ، ومن هنا ورد
« اكثر اهل الجنة البله » (ثم من عرف القبيح) أي واعتقده سيئا فاه قابل للعلاج في
تركه (ثم من اعتقده) أي القبيح (حسنا) وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى (أفز زين
له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (وهو اصعب)
لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ، وفي مثله قيل : من التعذيب
تهذيب الذيب (والطريق) مبتدأ أي طريق تهذيب الاخلاق (عند فقد الكمال
الفطرى) أي الجبلى الذى لا يحتاج الى التكلف الطيعى (كما للانبياء عليهم السلام)
وكذا لبعض الاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام (والجذبة) أي وعند فقد

الْإِلَهِيَّةَ كَمَا لِلْسَّحَرَةِ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّكَلُّفُ فِي اعْتِيَادِ الْإِضْدَادِ بِالتَّدرِيجِ
وَالْمُجَاهِدَةِ فِيهِ حَتَّى يَعْتَادَ الطَّاعَةَ وَيَلْتَذَّ بِهَا التَّذَاذَ الْمَرِيضَ بِالطَّعَامِ بَعْدَ الْعِلَاجِ
وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْعِلْمِ عَلَى الدَّوَامِ لَا أحيانًا

الجذبة ((الإلهية كما للسحرة)) أى سحرة فرعون ((وعمر رضى الله عنه)) فإنه آمن
بغته ((التكلف)) خبر المبتدأ أى تكلف السالك ((فى اعتياد الاضداد)) أى تعود اضداد
الاخلاق السيئة ((بالتدرج)) أى بالتأني فى المعالجة ((والمجاهدة)) بالرفع عطف على
التكلف ويجوز جره عطفا على التدرج ، أى المبالغة فى المعالجة ((فيه)) أى فى الاعتياد
((حتى يعتاد)) السالك ((الطاعة)) بوصف الدوام ((ويلتذ بها)) أى بالطاعة ((التذاذ
المريض بالطعام بعد العلاج)) أى بعد علاج المريض ((والمتعلم)) أى والتذاذه ((بالعلم
على الدوام)) متعاق بالتكلف كذا قيل ، والظاهر انه متعلق يلتذ ((لا احيانا)) أى
متساوية ، نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان فى اكثر الاحوال الواردة ، وقد مثل عدم
افادة بعض الاوقات فى الذكر والفكر والطاعات بإيقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور
ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات .

هذا وقد توهم عبارة المصنف أن صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة ، وليس
كذلك ، فان الجهاد لا بد لجميع العباد ، غاية ما فى الباب ان ارباب السلوك على نوعين :
منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ، ومنهم مجذوب سالك وهو قليل
من بين المرادين ، ويشير الى الطائفتين قوله تعالى : (الله يجتبي اليه من يشاء ويهdy
اليه من ينى) واختلفوا فى ايها افضل ؟ والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل .
هذا والانبياء عليهم السلام أيضا فى مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة
لكمال المشاهدة فقد قال تعالى (وقل رب زدنى علما) وفى دعائه عليه السلام « اللهم
كما حسنت خلقى فحسن خلقى » أى زد فى تحسين خلقى ، والا فكان عليه السلام خالق
على خلق عظيم ، ثم كان خاتمة القرآن وقد قال له تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلين) وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن
ظلمك . وكان من دعائه عليه السلام « اللهم اهدنى لاجسن الاخلاق لا يهدينى لاجسنها
الا انت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت » رواه مسلم من حديث

فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ رُسُوخُ حُبِّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَقَلْعُ حُبِّ الدُّنْيَا عَنْهُ وَهُوَ بِالْإِسْتِفَادَةِ
مِنْ شَيْخٍ بَصِيرٍ بِالْعُيُوبِ مُطَّلِعٍ عَلَى الْخَفَايَا وَهُوَ غَزِيرُ الْوُجُودِ

على (فالماقصود منه) أي من حسن الخلق أو من رياضة الخلق (رسوخ حبه تعالى) أي ثبوته (في القلب وقلع حب الدنيا عنه) أي عن القلب فانهما لا يجتمعان بإشیر اليه قوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وورد من احب آخرته اضر بدنياء ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما ينفي ، وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت الاخرى ، وبكفتي الميزان اذا اثقلت واحدة خفت الاخرى ، وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس ، فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب الشيء لكونه معيناله على حب الله ودينه ، قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) قال على رضي الله عنه : الايمان يبدو لمعة في القلب بيضاء وكلما ازداد الايمان ازداد ذلك الياض ، فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء ، فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد ، فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله ، وفيه تنبيه على ان الخلق الحسن من نتيجة الايمان والعرفان ، والسقى من ثمرة النفاق والكفران .

ثم أعلم أن اصل الاشياء وموجدوها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى ، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكأنه لم يعرف شيئاً ، وعلامة المعرفة المحبة ، فمن عرف الله أحبه ومن أحبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات ، كما قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) الى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) الآية ، فمن كان عنده شيء احب اليه من الله ورسوله فقلبه مريض ، كما أن كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة الى الدواء (وهو) أي الطريق الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه او التكلف باعتبار الاضداد أنما يحصل بخمسة اشياء (بالاستفادة من شيخ) أي ولو شاب تائب من الذنوب (بصير بالعيوب) أي الظاهرة والباطنة (مطلع على الخفايا) من أحوال المرید كالعجب والرياء (وهو غزير الوجود) في ميدان الشهود لما يشير اليه قوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقوله (وقليل من عبادي الشكور) وورد

أَوْ صَدِيقُ يَنْبِهِ عَلَيْهَا كَمَا رَوَى عَنِ السَّلَفِ أَوْ عَدُوٌّ فَعَيْنُ السَّخَطِ تَبْدِيهَا أَوْ مَخَالَطَةُ النَّاسِ وَتَرَكَ مَا رَأَى مَذْمُومًا .

«الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة» واخبر تقيه « وقال الشاعر »

أَتَمْنَى عَلَى الزَّمَانِ بِحَالَا أَن تَرَى مَقْلَتَايَ طَلْعَةَ حَرِّ

والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه، فالأطباء هم العلماء، وقد استولى المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم، فلا يفيد السالك التردد اليهم، بل ادرس هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلمية، واقبل الخلق على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات. نعم كان يكثر وجودهم في الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسري، والجنيد، والشبلي رضى الله عنهم اجمعين وقد قال الشبلي للحصيري: ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تأتي شيء غير الله عز وجل فحرام عليك ان تأتيني (او صديق) أى صاحب صديق (ينبه) صديقه (عليها) أى على عيوبه (كما روى عن السلف) ومنهم عمر رضى الله عنه حيث قال: رحم الله من أهدى إلى بعيوتى. وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه، وقال: ما الذى بلغك عنى مما كرهته؟ فاستغنى، والح عليه فقال: سمعت انك جمعت بين اداين على مائة، وان لك حلتين: حلة بالنهار وحلة بالليل، فقال هل بلغك غير هذا؟ فقال: اما هذان فقد كفيتهما. وكان يسأل حذيفة ويقول: أنت صاحب سر رسول الله فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق؟ وقد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال بعضهم كن مع الله، فان لم تطق فكن مع من يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقل فى الاصدقاء من يترك المداينة فيخبر بالعيوب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب، ولذا كان داود الطائى قد اعزل عن الناس فقل له لم لا تخالط الناس؟ فقال: ما اصنع باقوام يخفون عنى عيوتى، فكان شهوة ذوى الدين من السلف المجتهدين ان يشبهوا على عيوبهم تنبيه غيرهم، وقد آل الامر الى امثالنا، ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوب احوالنا، ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التى ثمرتها كثرة العصيان، واصل ذلك ظه ضعف الايمان (او عدو) حاذق عاقل (فعين السخط) بفتحتين وبضم فسكون أى عدم الرضاء (تبديها) أى تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم فى قول الشاعر »

فعين الرضا عن كل عيب ذليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فلعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه (او مخالطة الناس) اماما او ماموما (وترك ما رأى مذموما

أَوِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ الْإِنْفَعُ، وَالْأَصْلُ تَرْكُ التَّمَتُّعِ بِمَا لَا يَنَالُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا بِقَدْرِ
الضَّرُورَةِ لئَلَّا يَحْصَلَ الْإِنْسَانُ بِالدُّنْيَا الْمَوْدَى إِلَى حُبِّهَا فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ۝

لئلا يكون مذموماً ، وما يراه محموداً يطالب نفسه به ليصير مسعوداً فان المؤمن مرآة
المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس ظلمهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن ودب لانفسهم ، وقيل ليسى عليه السلام من ادبك ؟ فقال : ما ادبني احد . رأيت جهل
الجاهل فجانبته (او الكتاب والسنة) اى العمل بهما (وهو) اى الاعتصام بهما (الانفع)
بل هو النافع ، ويؤيده قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وحديث من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم (والاصل) في تهذيب الاخلاق اوفى رسوخ حبه
سبحانه (ترك التمتع بما لا ينال) اى لا تحصل منفعة (في القبر) الذى هو البرزخ بين
الدنيا والاخرى ، فيذبح ان لا يتمتع (الا بقدر الضرورة) في معيشة الدنيا من اللقمة
والخرقة ونحوهما ، ويتعين ترك التمتع بالذات والشهوات من غير الضرورات ، فقد قال
وهب بن منبه . ما زيد على الخبز . فهو شهوة ، وقال يزيد الرقاسى : السلام على الماء البارد
مادمت في الدنيا لعل لا احرمه في الاخرى وقال السرى : منذ اربعين سنة : تطالبنى
نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعتها (لئلا يحصل الانسان بالدنيا المودى الى
حبها) والى نسيان الاخرى ، وذلك انه اذا تمع بشئ منه انس به و ألفه ، واذا مات تمنى
الرجوع الى الدنيا بسببه ، ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له في الاخرى
(فهو) اى حب الدنيا (رأس كل خطيئة) كما رواه البيهقى عن الحسن البصرى
مرسلاً ، وقال تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قيل نزع عنهم محبة شهوات
الدنيا . وقال عليه السلام : « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق
يغضه ، كافر يقتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » رواه ابوبكر بن لال من حديث
انس ، وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر ، فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس ، رواه
البيهقى في الزهد ، والترمذى في اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد
« المجاهد من جاهد نفسه » وقال سقيان الثورى ، ما عالجت شيئاً اشد على من نفسى مرة على
ومرة على . وكان ابو العباس الموصلى يقول يا نفس لا فى الدنيا مع ابناء الماوك تتنعمين ، ولا
فى الآخرة مع طاب العباد تجتمدين فان بك بين الجنة والنار تحبين الا يا نفس ما تستحين ،

وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة ، والرياضة على أربعة اوجه . القوة من الطعام ، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، واحتمال الاذى من الانام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفوة الارادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات . وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفا . والصبر على الاذى ، فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وما جت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهمجد وقلة المنام ، وضربتها بايدي الخول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها في سائر الأيام وتضيئها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتنا ، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ، ونورانية حقيقة ، فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسلك الطاعات والمبرات ، كتالفارس الفار في الميدان والملك المتزهر في البستان . وقال ايضا أعداء الانسان ثلاثة : دنياه . وشيطانه ، ونفسه ، فاحترس من الدنيا بالزهد في نعمتها ، ومن الشيطان بمخالفتها ، ومن النفس بترك شهواتها . وقال جعفر بن حميد اجتمع العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم ، وقال ابو يحيى الوراق : من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات . وقال وهب بن الورد : من اراد شهوات الدنيا فليتها للذل في العقبى . وقال الجنيد : ارق ليلة فقممت الى وردى فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها ، فاردت ان انام فلم اقدر فقممت فلم اطق القعود ، فخرجت فاذا رجل ملتف في عبادة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة . فقلت يا سيدي من غير موعد . قال بلى سألت الله يحرك القلوب ان يحرك الى قلبك ، قلت قد فعل فما حاجتك ؟ قال متى بصير داء النفس دواءها ؟ فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داءها دواءها . فاقبل على نفسه فقال اسمعني قد اجبتك بهذا سبع مرات فاييت ان تسمعيه الامن الجنيد . قال فانصرف وما عرفته ، وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهي قال لنفسه : اصبري فوالله ما امنعك الامن لرامتك على . وقال ابراهيم الخواص : كنت في جبل لكاهم فرأيت رمانا فاشتيمته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فضربت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزناير ، فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم ، فقلت كيف عرفني ؟ قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء ، فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميمك من هذه الزناير ؟ قال : وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميمك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان اله

في الآخرة، ولدغ الزناير يجد الانسان المله في الدنيا . فان قيل التمتع بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله ؟ فيقال هذا خيال ضعيف ، او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا « وحب الدنيا رأس كل خطيئة » كما وردو كذا يؤيده حديث « اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى » وللطبراني في الكبير وابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس « ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة » وللدبلي من حديث ابي هريرة مرفوعا « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع » ولاحد والحالم والبيهقي باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاروماً الى بطنه باصبعه وقال : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك ، وللبهقي في الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها « اياك والاسراف فان الطين في يوم من السرف » ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا « ايما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » ثم اعلم أن الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهاً باعتبار ، وورد « من نوقش في الحساب عذب ، كما في الصحيحين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى : فترك الشهوة يثقل على المريد في البداية ، ثم يتنعم في النهاية . ونظيره الطفل في الطعام عند الرعاية . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال : ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبيهة . وقال حاتم الاصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والامل . والمؤمن آيس من كل احد الا من الله ، والمنافق راج كل احد الا الله . والمؤمن آمن من كل احد الا من الله ، والمنافق خائف من كل احد الا من الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء ويضحك . والمؤمن يحب الوحدة والخلوة ، والمنافق يحب الخلطة والجلوة . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقطع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة . وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى . ومن شكى من سوء خاق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق . وقال عيسى عليه السلام : جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم : وقال سهل : ماصار الابدال ابدال الا بربع خصال : اخلاص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس . وقد قيل في صفة الابدال : أن اكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة .

﴿البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَّطَةِ وَالتَّقْوَى﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * التَّوْبَةُ تَنْزِيهِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ، وَقِيلَ الرَّجُوعُ
مِنَ الْبَعْدِ إِلَى الْقُرْبِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ لَوُرُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ) وَدِلَالَةِ الْإِجْمَاعِ

﴿البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَّطَةِ وَالتَّقْوَى﴾

قد ورد «التوبة ندم» رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ومعنى التوبة ندم أى معظم اركان التوبة الندامة كما ورد «الحج عرفة» والافن اركانها ترك المعصية مباشرة ، والعزم على ان لا يعود اليها ابدا ، والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المستعان به فى امر الدنيا والاخرى ﴿التوبة﴾ فى اللغة الرجعة ، وفى الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة ، وقال بعضهم هى (تنزيه القلب عن الذنب) أى عن اختياره ﴿وقيل الرجوع من البعد﴾ أى من كل ما يبعد العبد عن المولى ﴿الى القرب﴾ أى الى قرب الرب فى الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله ، وبالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله فى دنياه وآخريته ، فيعم الذنوب الظاهرة والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة ، وقيل فى حد التوبة : ذوبان الحشا لما سبق من الخطاء . وقيل هو نار فى القلب تلهب وصدع فى الكبد لا ينشعب . وقيل هو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة فكأنه اخذ من قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فارثك يبدل الله سيئاتهم حسنات) على ما ذهب اليه بعض المفسرين . ومن معانيها ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال ، وتدارك ما سبق من التقصير فى ماضى الاحوال ﴿وهى﴾ أى التوبة ﴿واجبة﴾ أى فريضة لازمة لكل من المكلفين ﴿لورود قوله تعالى توبوا الى الله﴾ أى (جميعا يها المؤمنون لعلكم تفلحون) وفى نسخة (توبة نصوحا) أى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة ، والامر فى الآيتين للوجوب بناء على اصله ﴿ودلالة الاجماع﴾ المنعقد من الامة على ان

وَالْعَقْلُ فَالْوَاجِبُ مَا تَعَلَّقَ بِفَعْلِهِ السَّعَادَةُ وَبِتَرْكِ الشَّقَاوَةِ، وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فِيهَا
وَجَدَّوَاهَا حُبُّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، التَّائِبُ حُبُّ اللَّهِ وَالتَّوْفِيقُ

التوبة من المعصية فريضة ﴿ والعقل ﴾ أى ودلالة العقل ﴿ فالواجب ﴾ من طريق العقل مع قطع النظر عن ورود النقل ﴿ ماتعلق بفعله السعادة ﴾ العظمى ﴿ وبتركه الشقاوة ﴾ الكبرى ، اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى ﴿ وهو ﴾ أى التعلق بهما ﴿ متحقق فيها ﴾ أى ثابت فى التوبة بلا خلاف عند العقلاء ﴿ وجدواها ﴾ أى فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها ونتيجتها اربعة اشياء ﴿ حبه تعالى إياه ، فورد ﴾ فى التزويل ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ وفى الحديث ﴿ التائب حبيب الله ﴾ رواه ابن أبى الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ « أن الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن احمد فى زوائد المسند من حديث على « ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب » ولأحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر « يعجب ربك من الشاب ليست له صبرة » ولابن ماجه من حديث ابن مسعود « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس « لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليه طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فانه اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » زاد مسلم فى حديث انس « ثم قال من شدة الفرح : اللهم انت عبدى وانا ربك » أخطأ من شدة الفرح . هذا وأيضاً من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قال عبد الله بن المبارك .

تعصى الاله وانت تظهر حبه . هذا لعمري فى الفعال شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويشير اليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبك الله) ويفيد أيضاً الملازمة بين المحبين كما يومى اليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة ﴿ والتوفيق ﴾ أى جعله تعالى اسباباً موافقة

عَلَى الطَّاعَةِ فَقَيْدُ الذُّنُوبِ يَمْنَعُ عَنْهَا وَلَآنَ الْإِصْرَارَ يُقْسِي الْقَلْبَ وَيَجْرُ إِلَى
الشَّقَاوَةِ الْكُبْرَى وَلَآنَ الْمُتَلَطِّحَ بِالنَّجَاسَةِ لَا يَقْرُبُ فُورَدًا إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَنَحَّى
الْمَلَكَانَ عَنْ تَنَنِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَحَلَاوَتَهَا فَالْمُصْرُ لَا يَجِدُهَا وَقَبُولُهَا قَرَبُ الدِّينِ
لَا يَقْبَلُ هَدِيَّةَ الْمُدْيُونِ الْمَاطِلِ

للاعانة (على الطاعة) في كل وقت وساعة (فقيد الذنوب) التي بمنزلة القيود
والاغلال من العيوب (يمنع عنها) أي عن الطاعة وتوفيقها (ولان الاصرار)
أي الإقامة على المداصي من غير تخال التوبة بالرجوع الى الرب (يقسى القلب) أي
يسوده ويشدده (ويجر الى الشقاوة الكبرى) فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى
(والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (ولان المتلطخ بالنجاسة) أي
المتلوث بنجاسة المعصية (لا يقرب) الى بساط الرب بل يبعد ويحجب (فورد اذا كذب
العبد) وهو من اهون اسباب البعد (تنحى الملكان) أي يبعد اللذان معه من الكرام
الكاتبين من عنده اكمل نزاهتهما وجمال طهارتهما (عن تنن ما يخرج من فيه)
أي من فمه وهو الكذب. والحديث رواه الترمذي وحسنه ، وابو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر ولفظه «اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلان تنن ما جاء به» (وحلاوتها)
أي لذة الطاعة التي لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح
الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة كما
يشير اليه قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
افمن كان مؤمنا فمنا كن كان فاسقا لا يستوون) الآية ، وفي الخبر القدسي «أعددت لعبادي
الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وتقسيم هذه اللذة
لا يكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اولها مرة كانقطاع الصبي ثم تصير حلوة بعد ما صبر
على مرارة العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس قابلة ما عودتها تتعود
(فالمصر لا يجدها) أي تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هي اللذة
الباقية (وقبولها) أي قبول الطاعة قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) (قرب
الدين لا يقبل هدية المديون الماطل) الممتنع من اداء الدين فن الفضول تضيق الاصول

وَلَا نَ الْغَضَبَ يُنَافِي الْقَبُولَ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكُلِّ فِي كُلِّ حَالٍ لِعُمُومِ
الْأَدَلَّةِ وَعَلَى الْفَوْرِ لَوْجُوبِ الْإِتِّهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي كَذَلِكَ وَحُرْمَةِ التَّسْوِيفِ

(ولان الغضب) المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال (ينافي
القبول) اي قبول طاعته المترتب عليه بالاثواب الوارد عن تجلي نعمت الجلال (وهي)
اي التوبة (واجبة على الكل) من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم
عليه السلام حيث قال تعالى : (وتصحي آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه قتاب عليه وهدى)
بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه مالم يتبدل السنة
الالهية التي لا مطمع في تبديلها . فالرجوع في حق كل انسان يكون ضروريا نيبا كان
او غيا ولما او غويا . قال ابو تمام :

فلا تحسبن هذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

وبشير اليه حديث : كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، كما رواه احمد في غيره
عن انس (في كل حال) اي على الدوام (لعموم الأدلة) كقوله تعالى : (وتوبوا
الى الله جميعا) وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه
الانبياء والاخبار كما ورد في القرآن والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم ، فان خلا
احد في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب ،
فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله ، فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله ،
وكل ذلك نقص وله اسباب ، وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق
الى ضده ، وانما يتفاوتون في مقادير النقصان لافي اصله (وعلى الفور) واجبة
من غير تراخ ومهلة (لوجوب الاتهاء) اي الامتناع (عن المعاصي كذلك)
اي على الفور من غير التراخي (وحرمة التسويف) اي وحرمة تأخير التوبة
(فورد) في التنزيل (وليست التوبة الآتية) اي (للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن) (اكثر صياح اهل النار من
التسويف) لـ هذا في الاحياء ، وقال مخرجه : لم اجده اصلا ، وقال لقمان
لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ، فكل ايمان لم يثبت في اليقين أصله
ولم ينتشر في الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك

فَوَرَدَ (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ) الْآيَةُ أَكْثَرُ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ وَهِيَ مَقْبُولَةٌ
فَوَرَدَ (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ) الْآيَةُ

الموت وسائر الاهیوال ، وخيف علیه سوء الخاتمة ، الاماسقى بماء الطاعات علی
توالی الايام والساعات . وأما قول العاصی للمطیع : أنى . ومن كانك . ومن ، فهو كقول
شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنى شجرة وأنت شجرة . وما احسن جواب الصنوبر اذ
قالت ستعرفین اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع
اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فی اسم الشجر مع الغفلة عن
اسباب نبات الاشجار .

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة نسال الله العافية ؛ ولقد صدق ابو سليمان الداراني فی قوله :
لولم يلك العاقل فيما بقى من عمره الاعلى فوت ماضى منه فی غیر طاعة الله وأمره لكان
خائفا أن يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل ماضى من
جهله فيما سبق من الحياة ، وقال بعض العارفين : أن ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلم انه
قد بقى من عمره ساعة وانك لانستأخر عنها طريقة عين ، فيبدو للعبد من الاسف
والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذا فيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة
اخرى ليستعد فيها ويتدارك تفریطه فلا يجد اليه سيلا . وهو اول ما يظهر من معانى
قوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتمون) واليه الاشارة بقوله سبحانه (وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى أجل قريب فاصدقوا كن
من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) أى ولا تنفسا . هذا وما مثال المسوف
الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرأها قوية لاتنقلع الا بمشقة شديدة جليلة ، فقال
اوخرها سنة ثم اعود اليها ، وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو
كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذ يحزم مع قوته عن
مقاومة ضعيف ، فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف (وهى)
أى التوبة اذا استجمعت شرائطها (مقبولة) لا محالة (فورد) فى التزليل (وهو
الذى يقبل التوبة الآية) أى (عن عباده) فوعده حق وقوله صدق لا يجوز خلفه ولا

(قَابِلُ التَّوْبِ) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَيْضًا

يتصور تبدله (قَابِلُ التَّوْبِ) فهو من صفاته كقوله (غَافِرُ الذَّنْبِ) (إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) وفي الاحياء، وأن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، قال مخرجه رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، الحديث، وفي رواية الطبراني «لمسيء الليل ان يتوب بالنهار»، وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذا طالب ابلغ من القابل، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل، ولا بن ماجه من حديث ابي هريرة «لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء، ثم نبتم لتاب الله عليكم، اى قبل توبتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة، ولا بن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا» ان العبد ليزنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائباً منه فاراح حتى يدخل الجنة، ولا بن نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة «ان العبد ليزنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له» الحديث ولا احمد وابي يعلى والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد «ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالى لا ازال اغفر لهم ما استغفروني» وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى : (انه كان للاولين غفورا) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين، ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتي وجلالى لئن عدت لاعذبتك، فقال يا رب أنت أنت وانا انا، وعزتك لئن لم تعصمني لا عودن، فعصمه الله. وقال بعضهم : ان العبد ليزنب الذنب فلا يزال نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس باليتنى لم اوقعه في الذنب، يعنى لاهلكه بالعجب. ويروى انه كان في بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المراة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك، ثم قال : الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص : احببتنا، فاحبيناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك، وقد قال تعالى : (وان عدتم عدنا) وورد «ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة» (وايضا) اى وفي العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لا محالة

تَزُولُ ظِلْمَةُ الذَّنْبِ عِنْدَ سَطْوِ نَوْرِ التَّوْبَةِ زَوَالِ الدَّنَسِ بِالصَّابُونِ وَالصَّدَاءِ بِالصِّقْلِ
وَأَنَّمَا يَشْكُ التَّائِبُ لَشَكِّهِ فِي تَحْقِيقِ الشُّرُوطِ وَالْأَرْكَانِ فَهِيَ دَقِيقَةُ شَكِّ شَارِبِ الْمُسْهَلِ

فانها ﴿ تزول ظلمة الذنب ﴾ ومخارها ﴿ عند سطوع نور التوبة ﴾ وآثارها ﴿ زوال الدنس ﴾ أى كزوال الوسخ والدرز من الثوب والبدن ﴿ بالصابون ﴾ ونحوه من الاشنان ﴿ والصداء ﴾ أى وكزوال صدأ الحديد من المرءاق ونحوها ﴿ بالصيقل ﴾ وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب، ونور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه. فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون فى جواره، فكما ان استعمال الثوب فى الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول، كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول. والقبول له حسب القضاء السابق الازلى مبذول.

والحاصل أن من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع، وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وظله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله، ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً على القلب، فثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد ثبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب. هذا وقد ورد « ان للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار، رواه الحكيم الترمذى. وابن عدى عن انس. ثم لما كان المصنف استشعر سؤالاً وهو ان يقال لا ينبغي ان يجوز الشك فى القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله ﴿ وانما يشك التائب ﴾ فى قبول توبته وحصول اوبته ﴿ لشكه فى تحقيق الشروط ﴾ المعتبرة فى باب التوبة ﴿ والاركان ﴾ اللازمة فى حصول الاوبة كما سيأتى بيانها فى محامها اللائق بها، ومجملاها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم ﴿ فى ﴾ أى الشروط والاركان ﴿ دقيقة ﴾ ادراكها فلا يجوز بكونها حقيقة ﴿ شك ﴾ أى مثل شك ﴿ شارب المسهل ﴾ فى حصول شروط الاسهال فى الدواء باعتبار الوقت والحال،

بِخِلَافِ الْقَصَارِ اِذَا شُرُوطُهُ جَلِيَّةٌ وَالذَّنْبُ مَا يَخَالِفُ اَمْرَهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلٍ اَوْ تَرْكِ
وَيَنْقَسِمُ اِلَى حَقِّهِ تَعَالَى وَحَقِّ الْعَبْدِ وَهُوَ اَغْلَظُ فَوْرَدَ اَنَّهُ لَا يُتْرَكُ وَاَيْضًا اِلَى كَبِيرَةٍ
وَصَغِيرَةٍ وَوَرَدَ فِي الْبَعْضِ اَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ

وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقره وادويته ، والا فلا شك في تأثيره وخاصيته
(بخلاف القصار اذ شروطه) من الماء والصابون والدلك (جلية) وايست في
نظر صاحبه خفية . ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته
واذا كانت التوبة واجبة فان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة ،
ولذا قال المصنف (والذنوب ما يخالف امره تعالى من فعل) للطاعات (او ترك)
للسيئات (وينقسم الى حقه تعالى) وهو اقرب الى العفو كترك الصلاة والصوم
ونحوهما (وحق العبد) اى الى حقه كترك الزكاة وقتل النفس واما لهما (وهو)
اى حق العبد (اغلظ) اى اشد ، وعن العفو ابعد (فورد) في الحديث (انه)
اى حق العبد (لا يترك اى لا يعفى الا ان العبد يرضى ولذا قيل : حق الكافر اشد
من حق المسلم واغوى ، وحق الحيوان اشد من الكافر كما لا يخفى . ولا حمدوا الحاكم
وصححه من حديث عائشة ، الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان
لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، واما الديوان
الذى لا يغفر فالشرك ، واما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد اى لا بد ان يطالب
بها حتى يتخاص عنها (وايضا) ينقسم (الى) معصية (كبيرة وصغيرة) كما جاء
في القرآن (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (وورد في البعض)
(انه) اى ذلك البعض (من الكبائر) في البخارى من حديث عبد الله بن عمرو
مرفوعا « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هي
قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال
اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، ولهما من حديث
ابى بكر « الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور . وقول
الزور » ولهما من حديث ابن مسعود « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنوب

وَاخْتَلَفَ فِي حَصْرِهَا عَلَى مَا نَهَى مَخْصُوصًا فَالْتَحْصِصُ لِلتَّعْظِيمِ وَمَا أُوْعِدَ عَلَيْهِ
بِالنَّارِ لِعَظَمِ الْعُقُوبَةِ

اعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ؛ قلت ثم أي ؟ قال أن تزني بحليلة جارك ، وللطبراني من حديث سلمة بن قيس « إنما هي أربع لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرفوا » وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس « الخمرام الفواحش واكبر الكبائر » وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن ، أن رجلا قال ما الكبائر قال الاشراك بالله ، والاياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، وللمحاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه « الكبائر تسع ، فذكر منها استحلال البيت الحرام . وللطبراني من حديث واثلة « أن من اكبر الكبائر أن يقول الرجل على : ما لم اقل » وله ايضا من حديثه « أن من اكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده ، ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولأبي داود من حديث سعيد ابن زيد « أن من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « أنه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير ، اما احدهما فكان يمشي بالنميمة ، واما الآخر فكان لا يستترى من بوله » الحديث ، ولاحد في هذه القصة من حديث أبي بكرة « اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس ، الحديث . ولأبي داود . والترمذي من حديث انس « عرضت على ذنوب أمتي فلم اردنبا اعظم من سورة من القرآن او آية او آية رجل ثم نسيها ، وللدليعي من الكبائر السببان بالسبة » وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى إحدى عشرة فما فوق ذلك . قال ابن مسعود هي أربع . وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع . وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع « واختلف » على اقوال « في حصرها » أي الكبائر « على ما نهى » أي على ذنب ورد عنه نهى نهيا « مخصوصا فالتخصيص » بالذكر في القرآن « للتعظيم » أي لتعظيم العصيان . وقد قال ابن عباس : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، ويشير اليه قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اذا كانت الاضافة بيانية « وما » أي وعلى ذنب « اوعد » أي ورد الوعيد « عليه بالنار لعظم العقوبة »

وَمَا وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَالتَّعْجِيلُ لِلتَّغْلِيظِ وَمَا اسْتُصْفِرَ كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ
فَوَرَدَ «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْأَصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ» وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا مَبْهَمَةٌ
كَلِمَةُ الْقَدْرِ وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهَا مَا لَا يَكْفُرُهُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فَوَرَدَ «الصَّلَوَاتُ
الْخَمْسُ يُكَفِّرْنَ مَا يَنْهَنُ» إِنْ اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ.

فَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كُلُّ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ فَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ (وَمَا) أَيْ
وَعَلَى ذَنْبٍ (وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ) مِنْ رَجْمٍ وَجُلْدٍ وَقَتْلٍ وَقَطْعٍ (فَالْتَّعْجِيلُ) لِعَقُوبَةِ
الْمُذْنِبِ (لِلتَّغْلِيظِ) فِي حَقِّهِ ذَنْبٌ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَا وَجِبَ الْحَدُّ فِي
الدُّنْيَا فَهُوَ كَبِيرَةٌ (وَمَا) أَيْ وَعَلَى ذَنْبٍ (اسْتُصْفِرَ) أَيْ اسْتَحْقَرَ وَعَدَّ صَغِيرًا
وَحَقِيرًا (بِمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ) أَيْ عَدَّ عَظِيمًا وَكَبِيرًا (فَوَرَدَ لَا صَغِيرَةَ مَعَ
الْأَصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ) رَوَاهُ الدِّيلِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ مَرْفُوعًا وَعَنْ
أَنَسٍ مَوْقُوفًا. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «أَنْكُمْ
لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ لَنَا نَعْدُهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِبَائِرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ بَرَكَةَ وَصَحِيحُ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَمَّا سُئِلَ
عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: اقْرَأْ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى رَأْسِ ثَلَاثِينَ آيَةً مِنْهَا عِنْدَ قَوْلِهِ
(أَنْ تَحْتَبِرُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) فَكُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ
السُّورَةِ إِلَى ههنا كَبِيرَةٌ. وَقَالَ قَاتِلُونٌ: لَا صَغِيرَةَ، بَلْ كُلُّ مُخَالَفَةٍ لِلَّهِ فِيهِ كَبِيرَةٌ.
بِوَضْعِ هَذَا الْقَوْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَنْ تَحْتَبِرُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ) وَقَوْلِهِ (الَّذِينَ
يَحْتَبِرُونَ كِبَائِرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ) أَيْ الصَّغَائِرَ. وَفِي الْحَدِيثِ «إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
فَاغْفِرْ جَمَاهُ فَإِنَّ عَبْدَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَيْ الْكَبِيرَةُ (مَبْهَمَةٌ) إِذْ رَجَا
قَصْدُ الشَّرْعِ بِإِبْهَامِهَا كَوْنُ الْعِبَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا (كَلِمَةُ الْقَدْرِ وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ)
وَكَذَا الصَّلَاةِ الْوَسْطَى لِيُعْظِمَ جَدُّ النَّاسِ فِي طَلِبِهَا وَعَدَمُ الْإِكْتِفَاءِ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا
(لِأَنَّهَا) أَيْ وَالْأَدِلُّ عَلَى كَوْنِ الْكَبِيرَةِ مَبْهَمَةً أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا (مَا) أَيْ ذَنْبٌ (لَا يَكْفُرُهُ
الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) أَيْ وَنَحْوُهَا مِنَ الْمَكْفُرَاتِ لِلْسَيِّئَاتِ (فَوَرَدَ) فِي الْحَدِيثِ
(الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يَكْفُرْنَ مَا يَنْهَنُ) أَيْ مِنَ الصَّغَائِرِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ
حِينَئِذٍ (أَنْ اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ) وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ اجْتِنَابَ الْكِبَائِرِ شَرْطٌ لَكَوْنِ الصَّلَوَاتِ

أَوْ إِلَّا الْكَبَائِرُ وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ فَلَا بُهَامُ أَوْلى تَحْذِيرًا عَنِ الْكُلِّ وَلَا تَكْلِيفَ
فُوجِبَاتُ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ وَرَدَّ الشَّهَادَةُ

ونحوها تكفر الصغائر ، بل أن كان عند الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والافتخاف الكبائر ، وأن كان محفوظا من الكبائر والصغائر فتكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلزلات الغالية (أو الاالكبائر) شك من الراوى او اختلاف الروايات فالأخير رواية مسلم. ولما حكم من حديث أبي هريرة وصححه الصلاة الى الصلاة كفارة ، ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث : اشراك بالله ، وترك السنة ، ونكث الصفة ، قيل وما ترك السنة ؟ قال الخروج من الجماعة ، ونكث الصفة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقائله ، (وهو) أى حكم الكبيرة أو التكفير وهو الاظهر (يتعلق بالآخرة فلا بهام اولى) (تحذيرا عن الكل) أى كل المعاصى لئلا يقع أحد فى مخالفة المولى لاحتمال أن يكون كل ذنب أقدم عليه بارتكابه كبيرة فينخلص من الكبائر والصغائر جميعهما ، ومطلوب الرب من العبد أن لا يقع فى مطاق الذنب ليحصل له كمال القرب ، وتوضيحه أن كل ما لا يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الا بهام (ولا تكليف فيها) أى لا تكليف بما لا يطاق فى معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هى دار الدنيا ، والكبيرة على الخصوص لاحكم لها فى الدنيا من حيث أنها كبيرة بل لها تعلق فى حكم العقبي (فوجبات الحدود معلومة) باسميها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها . وفى الاحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة ، كن يتمكن من امرأة ومن مواععتها فيكف نفسه عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها ، فان مجاهدة نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدمامه على النظر من اظلامه ، فهذا معنى تكفيره . فان كان غنيا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز ، او كان قادرا وامكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا ، فكل من لا يشتهى الخمر لطبعه ولو ابيع له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملامى والاوزار ، نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها فى السماع ، فمجاهدة النفس بالكف ربما يحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع (ورد الشهادة) فى الحكومة

لَا يَخْتَصُّ بِهَا فَاَلَّا كُلُّ فِي الطَّرِيقِ يُوجِبُهُ مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا اسْمٌ أَضَافِيٌّ
وَالْمُطْلَقُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْجَمْعُ فِيهِ أَوْرَدَ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كِبَائِرَ الْإِثْمِ)

(لَا يَخْتَصُّ بِهَا) أَيُ بِالْكَبِيرَةِ بِلَ وَلَا بِالصَّغِيرَةِ (فَاَلَّا كُلُّ فِي الطَّرِيقِ) مِنْ السُّوقِ وَنَحْوِهِ (يُوجِبُهُ) أَيُ رَدُّ الشَّهَادَةِ (مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا) وَفِي الْأَحْيَاءِ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ مَنْ يَسْمَعُ الْمَلَاهِي وَيَلْبِسُ الدِّيَابِجَ وَيَخْتَاتِمُ الذَّهَبَ وَيَشْرَبُ مِنْ أَوَانِيِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَكُلُّ الذُّنُوبِ تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ إِلَّا مَا لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ عَنْهُ غَالِبًا لِلضَّرُورَةِ بِحَارِي الْعَادَاتِ كَالْغِيَةِ وَالتَّجَسُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْكَذِبِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَسَمَاعِ الْغِيَةِ وَتَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَكْلِ الشَّيْءِ وَسَبِّ الْوَلَدِ وَالْغُلَامِ وَضَرْبِهِمَا بِحُكْمِ الْغَضَبِ زَائِدٌ عَلَى حُكْمِ الْمَصْلَاحَةِ وَآكَرَامِ السُّلَاطِينِ الظُّلَّةِ وَمَصَادَقَةِ الْفُجْرَةِ وَالتَّكَاسُلِ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَهَذِهِ ذُنُوبٌ لَا يَنْفَكُ الشَّاهِدُ عَنْ قَلِيلِهَا أَوْ كَثِيرِهَا إِلَّا بَانَ يَسْتَزِلُّ النَّاسَ وَيَتَجَرَّدُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَيَجَاهِدُ نَفْسَهُ مَدَّةً بِحَيْثُ يَبْقَى عَلَى سَمْتِهِ مَعَ الْخَالَطَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ يَقْبَلِ الْإِقْرُولُ مِثْلَهُ لَعَزَّ وَجُودُهُ وَبَطَلَتْ الْأَحْكَامُ وَالشَّهَادَاتُ، وَإِسْ لِبَسِ الْحَرِيرِ وَنَحْوِهِ مِنْ قَبِيلِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَيُ الْكَبِيرَةِ (اسْمٌ أَضَافِيٌّ) بِأَنَّ الزَّنا كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعَاقَةِ مَعَ التَّجْرِيدِ عَنِ الثِّيَابِ فِي الْجَانِبَيْنِ، وَالْمَعَاقَةُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّمَسِ، وَاللَّمَسُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ، وَالنَّظَرُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَمِّ وَالْعَزِيمَةِ، وَقَطَعَ يَدُ الْمُسْلِمِ كَبِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَرْبِهِ وَصَغِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَتْلِهِ (وَالْمُطْلَقُ) أَيُ الْفَرْدِ الَّذِي إِذَا أُطْلِقَ الْكَبِيرَةُ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ (هُوَ الْكُفْرُ) إِذَا كَبِيرَةٌ فَوْقَهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (أَنْ الشَّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ) وَلِهَذَا لَا يَغْفَرُ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ الذَّنْبِ الْمُطْلَقُ، وَالْكَفْرُ وَبَاقِي الذُّنُوبِ مُقِيدٌ بِالْإِضَافَةِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَفِيدُ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ إِلَّا الْكُفْرَ وَهُوَ مُفْرَدٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِإِقْظِ الْجَمْعِ قَالَ فِي دَفْعِ هَذِهِ الْأَشْكَالِ (وَالْجَمْعُ) مُبْتَدَأٌ أَيُ وَقُوعُ لَفْظِ الْكَبِيرَةِ جَمْعًا (فِيهِ أَوْرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ) وَقَدْ قُرِئَ كَبِيرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْكُفْرَ أَوْ أَرِيدَ بِهِ الْجَنْسُ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ)

لَتَنُوعِهِ أَوْ تَعَدُّدِ الْمُخَاطَبِ فَالْمَغْفَرَةُ تَتَعَلَّقُ بِالشَّيْءِ لَا بِغَيْرِهِ، فَوَرَدَ (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ثُمَّ هُوَ يَعْظُمُ بِالْأَصْرَارِ لِأَنَّهُ سَبَبُ تَرَائِكُمُ الظَّلَامِ فَوَرَدَ لِالصَّغِيرَةِ مَعَ الْأَصْرَارِ وَالْمُبَاهَاةِ وَالِاسْتِحْقَارِ فَهُمَا سَبَبُ التَّأَلُّفِ وَوَرَدَ الْمُنَافِقُ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَأَطَارَهُ»

لتنوعه) خبر المبتدأ أى لوقوع أفراد الكفر أنواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها (أو تعدد المخاطب) فوقع مقابلة الجمع بالجمع أولان كفر زيد غير كفر عمرو (فالمغفرة) للصغيرة والكبيرة وهى العفو من غير التوبة (تتعلق بالشيء لا غير) أى لا غيرها من الأشياء المكفرة (فورد) فى التزيل (ويغفر ما دون ذلك) أى غير الشرك والكفر بجميع أنواعه (لمن يشاء) أى لمن تعلقت معيئة الله تعالى بمغفرته . وكان مطرف بن عبد الله يقول : اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله . والخاصل أن الرضاء يتعلق بالطاعة . والعفو والمغفرة بالمعصية (ثم هو) أى الذنب ولو صغيرة (يعظم) فى الكيفية حتى يهبط كيرة بسبب أربعة أشياء (بالاصرار) وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار (لانه) أى الاصرار (سبب تراكم الظلام) أى ظلمات الآثام فى قلوب الانام (فورد لا صغيرة مع الاصرار) وتماهه ولا كبيرة مع الاستغفار ، وقد تقدم فكيرة واحدة تنهزم ولا تتبعها بمثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها الآن الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلبا يزنى الزانى بغتة من غير مرادة ومطالبة ومطالعة ، وقلبا يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة ، فمكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة (والمباهاة) أى وبالمباهاة والمفاخرة (والاستحقار) بعدم المبالاة (فهما) لقان ونشرهما مرتبا (سبب التألف) أى تألف الذنب . والالفة شديدة الاثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمهدور تسويده بالسيئات ، فكما غلبت حلوة الصغيرة عند العبد ككبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها فى تسويد القلب (وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) أى عن نفسه . وتماهه « والمؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن

وَنَسِيَانِ حِلْمِهِ وَكَرَمِهِ تَعَالَى فَهُوَ سَبَبُ الْأَمْنِ مِنَ الْمَكْرِ وَوَرَدَ (أَنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
 إِثْمًا) وَالْإِظْهَارُ فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى ذُنُوبٍ أُخَرَ كَهَيْتِكَ السَّيِّئِ وَتَرْغِيبِ الْغَيْرِ وَوَرَدَ
 «كُلُّ النَّاسِ مُعَافُونَ إِلَّا الْمُجَاهِرَ بِالذَّنْبِ»

يقع عليه، رواه البخاري من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً.
 ولا يخفى أن هذا الحديث يصلح أن يكون شاهداً لعدم المبالاة لا بوجود المباحة
 فكان حقه أن يؤخر عن قوله ﴿وَنَسِيَانِ حِلْمِهِ﴾ وهو بالجر عطف على التألف أي وسبب
 نسيان حليمه ﴿وكرمه تعالى﴾ وستره وعدم كشف حاله ﴿فهو﴾ أي ما ذكر من النسيان
 ﴿سبب الأمن من المكر﴾ الإلهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبعثة للنعمة
 ﴿وورد﴾ في التنزيل ﴿أَنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ﴾ أي نملهم إياها ﴿ليزدادوا إثماً﴾ أي آثاماً
 وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد لبت كل شيء عملته مثل هذا فأنما يعظم الذنب
 في القلب لعله بمظنة الرب، فإذا نظر إلى جلال من عصي رأى الصغيرة كبيرة. وقد
 أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء، لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر
 إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
 الأبرار: لا صغيرة، بل كل مخالفة فهي كبيرة. وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم
 من الجاهل، ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن المخالفة
 تكثر بقدر معرفة المخالف كما يشير إليه قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ الْفَاحِشَةَ
 فَبِمِثْلِ مَا عَمَلَ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ومن يقنت منكم لله ورسوله
 وتعمل صالحاً نؤتيها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً (فوزرهن مضاعف
 كاجرهن) ومن هنا قال تعالى خطاباً لعلماء أهل الكتاب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) وقال: (الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِأَنبِيَائِهِ
 وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ) (الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ آمَنُوا)
 ﴿والإظهار﴾ أي وبإظهار المعاصي للفجار ﴿فهو﴾ أي الإظهار ﴿يؤدى إلى ذنوب
 آخر كهتك الستر﴾ بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الستر ﴿وترغيب الغير﴾ إلى مثل
 فعله فيكون عليه ذنب التسبب في عمله، ففي حديث مسلم من حديث جرير بن عبد
 الله «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» الحديث ﴿وورد كل الناس
 معافون﴾ بضم الميم وفتح الفاء يقربون إلى العفو ﴿إلا المجاهر بالذنب﴾ فإنه

وَحَقُّهَا أَنْ يَتَنَدَّمَ فُورِدَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»

بعيد عن العفو ، وتماحه « يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه » والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظه كل امتي وقال بعضهم : لا تذهب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذهب ذنبتين ، ولذا قال تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقال بعض السلف : ما انتك المرء من أخيه حرمة اعظم من أن يساعده على معصية ثم يمونها عليه ، فسبحان من يظهر الجليل ويستر القبيح . وقال تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) والآثار ما يكتب بعد انقضاء العمل والعامل فإذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ المال الحرام ويدخل على الظلمة من بين الأمام طمعا في المناصب العظام ~~تت~~ثر له الآثام . وطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوز به الى غيره . فعن ابن عباس « ويل للعالم من الاتباع تزل بركة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ، وقال بعضهم : مثل زلة العالم . مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق أهلهما وفي الاسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الإصلاح دهرا ، فأوحى الله الى نبيهم أن قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قذاض ملت من عبادي فادخلتهم النار ؟ (وحقها) أي حق التوبة على صاحب المعصية (ان يتندم) أي يظهر الندامة في القلب (فورد) في الحديث لما تقدم (الندم) وهو توجع القلب بمخالفة الرب (توبة) أي معظم أركانها هي الندامة على فعل المعصية من حيث أنها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قلع المعصية في الحال والعزم على تركها في الاستقبال . وفي الاسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته في مقام السعادة ، فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فلا بد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فينتدبترك اللذة ، ويشير اليه قوله عليه السلام « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، الحديث وينبغي أن يجدمثل هذه المرارة في جميع الذنوب وأن لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع . فتكون المعصية عند كالمسم والطاعة كالعسل هذا ، وفي حديث « الندم

وَقِيلَ هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَيَتَدَارَكُ وَهُوَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ مُحْتَاطًا

توبة ايماء الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى: (وتوبوا) والافيون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه وعدمه (وقيل هو) أي الندم (غير مقدور) للبشر ولا يدخل تحت التكليف فلا يكون توبة بل هو الباعث فاستعير لها وفي الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب را علم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والارادة والقدر للقادر والكل من خالق الله وقوله (والله خالقكم وما تعملون) هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا ضلال (ويتدارك) أي وحق التوبة أن يتدارك ويتلافى ما فات من الطاعة وما سبق له من المعصية (وهو) أي التدارك (في حقه تعالى القضاء) بدل الاداء (والكفارة) بدل المعصية وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت (محطاً) أي حال كونه محطاً في امره من اوله الى آخره بردفكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتمال، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهر اشهر او يوماً يوماً ونفساً نفساً، وينظر الى الطاعات ما الذي تصر عليه فيها، وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها، فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس، او صلاها بنية غير صحيحة، او ترك فيها شيئاً من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيه من آخرها، فان شك في عدد ما فات منها حسب من مدة بلوشه وترك القدر الذي يستيقن أنه اداه ويقضى الباقي، وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحرى والاجتهاد، وكذا امر الصوم والزكاة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات. وأما بحثه عن السيئات فيفكر من أول بلوغه الى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته، وينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلاً وكثيراً وصغيراً وكبيراً، ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعاق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلهة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها *

وَفِي حَقِّ الْعَبْدِ رَدُّ الْمَالِ مُحْتَاطًا إِلَى الْمَالِكِ أَوْ الْوَارِثِ مُبَالِغًا فِي التَّبْلِيغِ بِالطَّوْفِ
فِي الْبِلَادِ أَنْ أَمَكَنَ لَهُ وَالْأَفَلَتَّصَدَّقُ أَوْ الصَّرْفُ إِلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ أَوِ التَّسْلِيمِ
إِلَى الْقَاضِي الْأَمِينِ وَالْدِّيَّةُ وَالْقِصَاصُ فِي النَّفْسِ

ثم اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، واثرا اتباع الدنيا في القلب
السرور بها والالفة لها والحنين إليها، فلا جرم أن كل اذى يصيب المسلم ثم يذو
بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لداء القلب يتجا في بالغموم عن دار الهموم،
فورد « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » وفي لفظ آخر الا الهم بطلب
المعيشة رواه الطبراني في الاوسط وابر نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة . ولاحد
من حديث عائشة « اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ابتلاه الله
بالحزن فيكون كفارة لذنوبه » ويقال الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلمة الذنوب والهم بها . وروى « أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام في السجن فقال له يوسف : كيف تركت الشيخ الكتيب ؟ فقال قد حزن عليك
حزن مابه ثكلى ، قال فماله عند الله ؟ قال اجر مائة شهيد » والطبراني والحاكم عن أبي
الدرداء مرفوعا « ان الله يحب كل قلب حزين » (وفي حق العبد) أى والتدارك
في حق العباد ثلاثة اشياء (رد المال محتاطا) أى وفي قدره (الى المالك) ان كان
حيا (او الوارث) ان كان ميتا (مبالغا) أى غاية الاجتهاد (في التبليغ) أى
اتصال حق العباد (بالطوف) أى السير والتردد (في البلاد) رجاء ان يلقى المالك
هنالك فيرد اليه حقه او يستحل منه (ان امكن له) السفر (والا فالتصدق) على
الفقراء والمساكين (او الصرف الى مصالح المسلمين) من بناء مسجد وعمارة وجسر
ومدرسة (او التسليم الى القاضى الامين) ليصرفه في امور الدين (والدية)
عطف على رد المال ، أى وفي حق العباد داء الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع
خطأ (والقصاص) اذا وقع عمدا (في النفس) وكذا في الاطراف ، فيجب
عليه ان يعترف عند ولى الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ،
ولا تسقط عهده الا بهذا ، ولا يجوز له الاختفاء ، وليس هذا كاللوزنى او سرق
او شرب او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله ، فانه لا يلزمه في التوبة ان

وَالِاسْتِعْفَاءُ نَفْسًا كَانَ أَوْ مَالًا وَعِنْدَ الْعِجْزِ فَتَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ بِحَسَبِ الْمَظَالِمِ وَفِي
نَحْوِ الْغِيْبَةِ وَالسَّبِّ وَالْإِيْذَاءِ فَالِاسْتِعْفَاءُ وَالذِّكْرُ الْمُفَصَّلُ إِلَّا أَنْ يَزْدَادَ التَّأْذِي
بِالْإِظْهَارِ فَالْمُبْهَمُ تَحَامِيًا عَنْ ذَنْبٍ آخَرَ وَالْجَبْرُ بِالْحَسَنَاتِ كَمَا لَوْ كَانَ مِيتًا أَوْ غَائِبًا
وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْإِسْتِعْفَاءِ

يفضح نفسه ويبتك ستره ويلتمس من الوالى استعفاء حق الله ، بل عليه ان يستر
بستر الله و يقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة ، فان رفع امره الى الوالى حتى اقام
عليه الحد وقع في موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله (والاستعفاء)
اى طلب العفو ، والاستحلال عند العجز عن رد المال او الدية والقصاص (نفسا كان)
حق العبد (او مالا وعند العجز) اى عدم القدرة على الاستعفاء (فتكثير الحسنات)
متعين (بحسب المظالم) اى مراتبها في مقام السيئات ، وذلك بان يحسب مقدارها
من حيث الكثرة ومن حيث المدة ، ويحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول
يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة ، ويناقش نفسه قبل ان يناقش .
وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى الفجار فانهم لا يقدرّون على طلب المعاملين ظلمهم ولا على
طلب ورثتهم ، ولكن على كل منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق
الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته فتوضع في موازين
ارباب المظالم ، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل
من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره (وفى) اى والندارك
فى (نحو الغيبة) وكذا النيمة (والسب) اى الشتم واللعن (والايذاء) باللسان او
بالاركان ، ومنه الزنا بحليلة المسلم او جارته او بقرابته (فالاستعفاء) متعين لعدم وجوب
المال وجواز القصاص في امثالها (والذكر المفصل) بفتح الصاد او كسر ها بان يذكر الغيبة
ونحوها مبينة معينة (الا ان يزداد التأذى) اى لصاحب الحق (بالاظهار فالمبهم) اى
فالاستعفاء المبهم متعين (تحاميا عن ذنب آخر) فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب
عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول (والجبر) اى جبر نقصان
الاستعفاء بالمبهم (بالحسنات) ولو كان حيا ، وجودا حاضرا (كما لو كان) صاحب
الحق (ميتا او غائبا) لم يمكن الاجتماع به (والمبالغة) اى حيثئذ (فى الاستعفاء

بِالتَّلَطُّفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْإِحْسَانِ فَإِنْ عَفَا وَالْأَفِيحَاسِبُ فِي مُقَابَلَتِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
وَيَتَّبِعُ الْحَسَنَةَ بِحَسَبِ السَّيِّئَةِ فَسَمَاعُ الْمَلَاهِي بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْقَعُودُ فِي الْمَعْصِيَةِ
بِالْإِعْتِكَافِ وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِالتَّصَدُّقِ بِشَرَابِ حَلَالٍ لِذِي الْقَتْلِ بِالْإِعْتِاقِ وَالْغِيْبَةِ بِالثَّنَاءِ
وَالْغَضَبِ بِالصَّدَقَةِ وَنَحْوِهَا

بالتلطف) في طريق المحو (والتودد) اي اظهار المحبة بالقيام والاكرام
(والاحسان) بالهدية والضيافة والانعام لا بالالراء والابرار فانه غير مفيد عند الله
(فان عفا) اي صاحب الحق ، وفي نسخة فان عفى اي عن المذنب بالاستعفاء فيها
(والافيحاسب) في القيامة بحسناته (في مقابله) اي مقابلة سيئاته كما قدمنا (فالكل
مأثور) وعن السلف مذكور .

والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من تفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب
قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله ، فان ابى الاصرار فليكن
تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنائته وليكن
قدر سعيه في فرجه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم أحدهما
الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كن اتف في الدنيا ما لا يجاء
بمثله رامت من هوله عن القبول وعن الابرار فان الحائم يحكم عليه بالقبض والابرار عنه
شاء ام ابى ، فكذلك يحكم الله في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين (ويتبع)
وهو مرفوع وقيل منصوب ، اي وحق التوبة ان يتبع (الحسنة بحسب السيئة) اي بقدرها
كيفية (فسماع الملاهي) من انواع الاوتار المناهى يتبع (سماع القرآن)
ومجالس الذكر الالهى (والقعود في المعصية) كقعود في المسجد جنبا (بالاعتكاف)
فيه مع الاشتغال بالعبادة ، وكذا مس الصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة
تقبيله ، وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا (وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال
لذيذ) اي حلوا بارد (والقتل بالاعتاق) اي وقتل النفس عمدا او خطأ باعتاق
رقبة لان ذلك نوع احياء ، اذ العبد مفقود بنفسه موجود بسيده ، فالاعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منة فيقابل الاعداء بالايجاد (والغيبة) ونحوها من الايذاء
(بالثناء) على صاحب الحق او على اهل الدين والخير في الحضور والغيبة (والغضب
بالصدقة ونحوها) عطف على سماع الملاهي اي وكذا نحو المذكورات فعد جميع

فَوَرَدَ (انَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا وَيَسْتَغْفِرُ فَوَرَدَ
«مَا أَصْرَمَ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَأَنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَالسَّيِّئَاتُ أَحَبُّ وَلَوْ أَقْرَبَ لَأَقَامَ الْحَدَّ
فَلَا قَدْحَ فَوَرَدَ فِي مَا عَزَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قَسِمَتْ بَيْنَ الْأُمَمِ لَوْ سَعَتَهُمْ،
وَيُؤْكَدُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ

المماضى غير ممكن في العبادات ، والعاقل يكفيه بعض الاشارات ، والمقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا
يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هي المتناسبات ، فكذا ينبغي
أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها ، فان البياض يزال بالسواد
لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدرج والتحقيق من التاطف في طريق المحو ، فالرجاء
فيه اصدق ، والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان
ذلك ايضا مؤثرا في المحو ، هذا وسلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له
في الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة (فورد) في التنزيل (ان الحسنات)
اي جميع الطاعات (يذهبن السيئات) اي تمحوها (اتبع السيئة) اي وورد ؟
انق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة (الحسنة تمحوها) رواه
الترمذي من حديث أبي ذر وصححه . ولليهنى في الشعب من حديث معاذ واذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تكفرها ، السر بالسرو العلانية بالعلانية ، (ويستغفر) اي وحق
التوبة ان يستغفر (فورد ما أصرم من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة) رواه
ابو داود والترمذي عن ابى بكر (والسبتر احب) اي من الاظهار في حق الله (ولو اقر
لاقامة الحد) اي في حقوق الله الخالصة (فلا قدح) اي لازم ولا منع لما تقدم
(فورد في ما عز رضى الله عنه) حيث اعترف بالزنى ورجم (لقد تاب توبة لو قسمت
بين الامم) وفي رواية بين الخلائق (لو سعتهم) اي لكفتهم وهو عبارة عن كثرة
ثوابها . والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب ، وكذا حديث الغامدية
واعترافها بالزنا ورجمها . وقوله عليه السلام : « لقد تاب توبة لو تابها صاحب مدرس
لغفر له » (ويؤكد العزم) اي وحق التوبة ان يشدد العزم ويقوى الجزم (على
ان لا يعود) بمثل الذنب الذى تاب منه ابدا ، قال بعضهم : من صدق في ترك شهوة

وَيُخْلِصُ النَّيَّةَ فَمَنْ تَرَكَ لَذَهَابَ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عَدَمَ اسْبَابٍ لَا يَكُونُ تَائِبًا ثُمَّ أَنْ
يَغْسِلَ الثِّيَابَ وَيَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ وَيَضَعُ الْوَجْهَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ وَلِلتَّذْكَرِ بَدْمَعَ حَارٍّ وَقَلْبَ حَزِينٍ وَصَوْتَ عَلَى وَيَذْكُرُ الذُّنُوبَ
وَاحِدًا وَاحِدًا وَيُلُومُ النَّفْسَ وَيُوبِخُهَا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يتبل بها . وقال آخر : من تاب من ذنب فاستقام
عليه سبع سنين لم يعد إليه أبداً (ويخلص النية) أى وحققها أنت يصحح
النية ويخلص الطوية في ترك المعصية الجلية والخفية (فمن ترك) المعصية
(لذهاب مال) كما في القمار ونحوه (أوجاه) من سقوط اعتباره عند الخلق
(أو عدم اسباب) معينة له على المعصية (لا يكون تائباً) وقيل من المعصية
ألا تقدر (ثم) أى بعد ذلك حق التوبة على التائب (أن يغسل الثياب) التى عصى الله
فيها (ويغتسل) فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن ، وفي رواية ويتوضأ
واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل (ويصلى اربع ركعات) تنبيهها على
جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى : (يومئذ نخبرها بان ربك
أوحى لها) (فى موضع خال) عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمة فى بال (ويضع
الوجه) أى وأن يضع جبينه (على الارض) تراضعا لله (والتراب) لزيادة
الخشوع عند رب الارباب (وللتذكر) أى اصله ورجعه فى هذا الباب كما يشير إليه
قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (بدمع حار) أى
مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ، ولذا
ورد قرءة عين وقرى عينا (وقلب حزين) على ما سبق له من المعصية (وصوت
على) أى رفيع فى البكاء ، والا فالنداء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء (ويذكر
الذنوب) أى وان يتذكر ذنوبه (واحداً واحداً) جنساً وفرداً (ويلوم النفس)
أى وأن يعيبها ويذمها (ويوبخها) أى يثربها ويقرعها (ويرفع يديه) الى
كتفيه او اذنيه حتى يرى بياض ابطينه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه
(ويحمد الله) على آلاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول : الحمد لله على
كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار (ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم)

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ . إِذَا أَتَبَعَ الذَّنْبُ بِعَزْمِ
التَّوْبَةِ وَخَوْفِ الْعِقَابِ وَرَجَاءِ الْعَفْوِ وَأَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاسْتِغْفَارِ سَبْعِينَ
مَرَّةً وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ مِائَةً مَرَّةً وَالتَّصَدُّقِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً وَصَوْمِ يَوْمٍ فَالْعَفْوُ أَرْجَى

لأنه شفيع المذنبين (ويدعو لنفسه) لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة (ولو لوالديه)
فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (وللمسلمين) فيقول (رب اغفر لي ولو اذى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ويكثر الاستغفار لاسيما ما ورد عن سيد البرار نحو
قوله (رب ظلمت نفسي وعملت سويا فاغفر لي ذنوبي) وكذا يكثر من سيد الاستغفار
(وجاء في الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة) أي بالتوبة على وجه العزم والجزم
(وخوف العقاب) عند مناقشة الحساب (ورجاء العفو) من رب الارباب (واداء
ركعتين في المسجد) فانه افضل الاماكن واشرفها ، ويشهد له بما عرفه (والاستغفار
سبعين مرة) لما ورد في بعض طرق الاحاديث ولو زاد حتى صار مائة مرة فهو
افضل واكمل (والتسبيح والتحميد مائة مرة) أي كل واحد منهما او يقول
سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، وينبغي ان يكون التكبير والتهايل كذلك
لتجتمع الباقيات الصالحات ، بل ويضم اليها لاحول ولا قوة الا بالله كذلك (والتصدق
سرا وعلانية) وكذا نهارا وليلا ليدخل في قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلم يجزهم عند ربهم) وليكون تصدقه مذكرا لجميع
انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية (وصوم يوم) فانه
من جملة الحسنات المكفرات للسيئات (فالعفو) عن الذنب حينئذ (ارجى)
أي اكثر رجاء . وفي الاحياء ان في الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع
بثانية اعمال كان العفو عنه مرجوا ، اربعة من اعمال القاب وهي التوبة او العزم على
التوبة ، وحب الاقلاع عن الذنوب ، وخوف العقاب عليها ، ورجاء المغفرة لها ، واربعة
من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ، ثم يستغفر الله بهما
سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، ثم يتصدق بصدقة ثم
يصوم يوما ، وفي بعض الاخبار يصلي ركعات . قال مخرجه : اثران من مكفرات
الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين ، رواه اصحاب السنن

وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا وَقُبْحُ الذَّنْبِ وَشِدَّةُ الْعُقُوبَةِ وَضَعْفُ النَّفْسِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ

من حديث أبي بكر الصديق « ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الاغفر الله له » هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا . وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال : « كان رجل يهوى امرأة - الحديث - وفيه » فلما رآها جالس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صلى اربع ركعات فانزل الله عز وجل (اقم الصلاة طرفي النهار) الآية » واسناده جيد . وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين ، صحيحة وفي الصحيحين « ان رجلا قال يا رسول الله اني عالجت امرأة فاصيت منها كل شيء الا المسيس فامض علي بحكم الله فقال عليه السلام او اصيلت معنا صلاة الغداة فقال بلى ، فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على ان مادون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام « الصلوات الخمس كفارة لما يذهبن الا الكبائر ، كذا في الاحياء . وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله او اصيلت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث انس ، وفيه « هل حضرت معنا الصلاة قال نعم » ومن حديث أبي امامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم » الحديث (والطريق) الموصل الى التوبة عشرة اشياء (ذكر ماورد فيها) أي من الكتاب والسنة في فضل التوبة لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) وكقوله عليه السلام « ايتمنين اقواما لو اكثرنا من السيئات الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات » رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، وهو مقتبس من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاؤتلك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (وقبح الذنب) فعن ابن مسعود : ينسى المرء بعض العلم بالمعصية ، وتلا آية (فسوا حظه بما ذكروا به) ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب وآخره كفر ، وكذا قضية قاييل وبلعام بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة (وشدة العقوبة) أي وذكر شدتها الناشئة عن غضب الله وسخطه الذي لا طاقة لاحد به (وضعف النفس عن الاحتمال) أي تحمل احوال يوم القيمة فقد قال تعالى (فما اصبرهم على النار) فان من لا يحتمل حر شمس واطمة شرطى كيف يحتمل غدا حر نار

وَشَرَفَ الْآخِرَةَ وَخَسَّاسَةَ الدُّنْيَا وَقُرْبَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُنَاجَاةَ ، وَخَوْفَ
الْأَمَلَاءِ بَعْدَ الْأَخْذِ الْحَالِيِّ وَالْإِسْتِدْرَاجَ بِالْإِحْسَانِ بَعْدَ الْإِرْتِكَابِ وَقَلْعَ اسْبَابِهِ
وَهِيَ الْغُرُورُ وَحُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ بِمَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ تَرَادُفَ
الْمَعَاصِي سَبَبٌ تَرَاكُمُ ظِلَامِ الْقَلْبِ وَبِهِ يَحْصُلُ

جهنم ، وضرب مقامع الزبانية ، ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت ، وعقارب
كالبعال خلقت من النار في دار الغضب والبوار ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من
سخط الواحد القهار (وشرف الآخرة) أى وذكر شرفها فانها خير وابقى
(وخساسة الدنيا) من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها
(وقرب الموت) كما قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه هـ
كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شرك نعله

(ولذة المعرفة) فانها لا تجتمع المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من عصى الله
فهو جاهل (والمناجاة) لانها تختص باهل العبادات والمناذاة (وخوف الاملاء)
بالرفع عطف على ذكر ، أى وخوف الامهال (بعدم الاخذ الحالى) بتشديد الياء
نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال ، فقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما)
(والاستدراج) أى وخوف الاستدراج (بالاحسان) أى باحسان الرب (بعد
الارتكاب) أى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية (وقلم
اسبابه) عطف على ذكر ماورد ، أى وقطع اسباب الذنب (وهى) أى اسبابه ثلاثة
(الغرور) قال تعالى (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . فلا تغرنكم الحياة الدنيا)
وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى
غفور ، فهذا ثمن وغرور ، بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاء والحضور أو الجنة
والحور والقصور (وحب الدنيا) فانه رأس كل خطيئة كما ورد (وطول الامل)
فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل ، فقلم اسبابه (بما فى موضعها) من
علاج هذه الاشياء بتمامها (والتحقيق) فى وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة وفى
قلم الاسباب عليك (ان ترادف المعاصى) أى ترادها وتتابعها باصرارها من غير
تخلل توبة فى اثنائها (سبب تراكم ظلام القلب) أى تكاثف ظلماته (وبه يحصل

الرَّيْنُ وَالطَّبْعُ وَهُوَ دَاءٌ عَضَالٌ وَاخْتَلَفَ فِي صَحَّتْهَا عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْحَقُّ إِفَادَةُ
نَقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا بِحَسَبِ الذَّنْبِ دُونَ النِّجَاةِ لِأَنَّهَا بِتَرْكِ الْكُلِّ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ

الرَّيْنُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (وَالطَّبْعُ) أَيْ الْخَتَمُ
فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ (أَنْ لَوْ نَشَاءُ لَأَصْبَغْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ) وَقَالَ بِجَاهِدٍ : الْقَابُ مِثْلُ الْكَفِّ الْمَفْتُوحَةِ طَبَا أَذْنِبَ ذَنْبًا انْتَبَضَتْ أَصْبَعُ
حَتَّى تَنْقَبُضَ الْأَصَابِعُ كُلُّهَا فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ فَذَلِكَ هُوَ الْقِفْلُ يَعْنِي فِيمَا قَالَ تَعَالَى
(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وَقَالَ بَعْضُ السَّافِ : لَيْسَتْ اللَّعْنَةُ
سِوَادًا فِي الْوَجْهِ إِنَّمَا اللَّعْنَةُ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِهِ أَوْ اشْرَمَنَهُ . وَقَالَ
أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَا يَفُوتُ أَحَدًا صَلَاةُ جَمَاعَةِ الْأَبْدَنْبِ يَذْنِبُهُ وَفِي الْخَيْرِ « مَا انْكَرْتُمْ
مِنْ زَمَانِكُمْ فِيمَا تَرَكْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ
(وَهُوَ) أَيْ تَرَادَفُهَا (دَاءٌ عَضَالٌ) أَيْ صَعَبٌ فِي غَايَةِ أَشْكَالٍ عَجَزَ عَنْهُ أَطْبَاءُ الْقُلُوبِ
إِلَّا أَنْ يَرِيدَ دَوَاءَهُ عِلَامُ الْغُيُوبِ (وَاخْتَلَفَ فِي صَحَّتْهَا) أَيْ التَّوْبَةُ (عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ)
فِي الْأَحْيَاءِ : وَمِنْ مَهْمَاتِ التَّائِبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ
وَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْكِنَهُ الْإِسْتِقَامَةُ ، ثُمَّ أَنْ لَمْ يُوَثِّرِ الْعِزْلَةَ لَمْ تَتِمَّ لَهُ الْإِسْتِقَامَةُ
الْمُطْلَقَةُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ، كَالَّذِي يَتُوبُ عَنِ الشَّرْبِ وَالزُّنَى وَاللُّوَاطَةِ
وَالْغَضَبِ مِثْلًا دُونَ غَيْرِهِ ؛ وَلَيْسَتْ هَذِهِ تَوْبَةً مُطْلَقَةً . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : أَنَّ هَذِهِ
التَّوْبَةَ لَا تَصَحُّ ، وَقَالَ قَائِلُونَ تَصَحُّ وَلَكِنْ لَفْظُ الصَّحَّةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَجْمَلُ (وَالْحَقُّ)
أَيْ الَّذِي لَا يَحْصِي عَنْهُ أَنْ فِي التَّوْبَةِ عَنْ بَعْضِ الْمَعَاصِي (إِفَادَةُ نَقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا)
أَيْ الْعُقُوبَةُ (بِحَسَبِ الذَّنْبِ) كَثْرَةً وَقَلَّةً (دُونَ النِّجَاةِ) أَيْ دُونَ إِفَادَةِ النِّجَاةِ
مِنَ النَّارِ (لِأَنَّهَا) أَيْ النِّجَاةُ إِنَّمَا تَحْصُلُ (بِتَرْكِ الْكُلِّ) أَيْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَتَوْضِيحُهُ
أَنْ يُقَالَ لِمَنْ قَالَ لَا تَصَحُّ أَنْ عَنِيَتْ بِهِ أَنْ تَرَكَ بَعْضَ الذُّنُوبِ لَا يَفِيدُ أَصْلًا بَلْ وَجُودُهُ
كَعَدَمِهِ فَمَا عَظُمَ خَطَاؤُكَ ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْعِقَابِ وَقِلَّتُهَا سَبَبٌ
لِقِلَّتِهِ . وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ تَصَحُّ أَنْ أَرَدْتَ بِهِ أَنَّ التَّوْبَةَ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ تَوْجِبُ قَبُولَهَا
بِوَصْلِهَا إِلَى النِّجَاةِ أَوْ الْفَوْزِ فَهَذَا أَيْضًا خَطَأٌ بَلْ النِّجَاةُ وَالْفَوْزُ بِتَرْكِ الْجَمِيعِ هَذَا حَلْمُ
الظَّاهِرِ فَلَسْنَا نَتَكَلَّمُ فِي خَفَايَا اسْرَارِ عَفْوِ اللَّهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ (فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ)
أَيْ لَيْسَ مِرَادُ الْقَائِلِ الْأَوَّلِ بِعَدَمِ الصَّحَّةِ عَنِ الْبَعْضِ إِلَّا تَرَكَ بَعْضَ الذَّنْبِ وَهُوَ شَرِبُ الْخَمْرِ

لَكُونَهُ ذَنْبًا لَا بَعِيْنَهُ وَهُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ عَنْ الْبَعْضِ قُلْتَ يَجُوزُ التَّرَكُّ
لَكُونَهُ أَفْحَشَ وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ أَصْعَبُ أَوْ التَّدَارُكُ أَشَقُّ أَوْ مِيلَ النَّفْسِ إِلَيْهِ أَقْلُ

مثلاً ((لكونه)) أى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب ((ذنباً لا بعينه))
أى لا لكونه شرب الخمر بذاته ((وهو)) أى كونه ذنباً أو علة تركه ((مشترك فيه))
أى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى ، لأن من ترك الخمر لكونها
معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه أن يترك سائر المعاصى لكونها معصية
وتوقعه فى العقوبة ((فكيف تتصور)) التوبة ((عن البعض)) دون البعض ، فإذا
ثبت أنها لا تصح عن البعض بهذا المعنى فوجب أن يتوب عن الجميع دون البعض
((قلت)) التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون من الكبائر دون الصغائر أو بالعكس
أو عن كبيرة دون كبيرة أما الأول فإنه ممكن ويقال ((يجوز الترك)) لبعض الذنوب ((لكونه))
أى ذلك البعض ((أفحش)) أى اغاظ وأعظم وأجاب لسخط الله وغضبه ((والعقاب
عليه أصعب)) أى أشد وأقوى وأبقى ، والصغيرة أقرب إلى طرق العفو إليه فلا يستحل
ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب
دابته اظن أن السيد ربما يسامحه فى ذلك ، وكالمريض يحذره الطبيب عن أكل الحلو
تحذيراً شديداً فيتوب المريض عن العسل دون السكر. وأما الثالث وهو أن يتوب عن
بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد عند الله
من بعض كن ترك شرب الخمر مثلاً لكونه مفتاح الشر ، ولأنه إذا زال عقله ارتكب سائر
المعاصى فيجتنبها دون الزنا ((أو التدارك)) أو يكون تدارك ذلك البعض ((أشق)) أى
أععب كالذى يترك القتل أو النهب ومظالم العباد لعلمه أن التدارك فيه أصعب ، ولأن ديوان
العباد لا يترك يوم المعاد ، ويرتكب ما يئته وبين الله كترك الصلاة فإنه يتسارع العفو إليه
وأما الثانى وهو أن يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة فيعلم أنها كبيرة وهذا أيضاً
ممكن كالذى يترك الغيبة أو النظر إلى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب
الخمر لأن ميل النفس إليها أكثر ((أو ميل النفس إليه)) أى إلى ما ترك من الصغائر
((أقل)) فيكون تركه أهون وأسهل. ووجه امكان ذلك أنه مأمون ومن الا وهو خائف
على المعاصى نادم على فعله ندماً ضعيفاً أو قوياً ، ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقرب
من ألم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ، لاسباب توجب

هَذَا وَلَمْ يَشْتَرِطِ الْكُلَّ فِيهَا وَفِي صَحَّتْهَا عَنْ الْعَاجِزِ كَالْعَيْنِ عَمَّا زَنَى قَبْلَ
 الْعَنَةِ وَالْأَقْرَبُ الْعَدَمُ لَا مِتْنَاعِ التَّرْكِ فِي غَيْرِ الْمَقْدُورِ لَكِنْ لَوْ تَنَدَّمَ وَتَأَلَّمَ الْقَلْبُ
 بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ الشَّهْوَةُ لَقَهَرَهَا فَالرَّجَاءُ الْقَبُولُ عَلَى حَسَبِ إِطْلَاعِهِ تَعَالَى
 عَلَى الضَّمَائِرِ

قوة الشهوة ، فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب ، فان سلم من شهوة
 هي اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه ، فهو أى ذلك الخوف الضعيف ملك
 الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها ، وان لم يسلم من شهوة هي اقوى منه كشرب الخمر
 لم يقدر على الدفع ، فمثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى ، فاذا
 واجه الضعيف غلب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ، ولان التوبة على حسب
 المعصية ، وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب آخر ، وهذا لان توبة ذنب احسان
 في العبودية. وتوبة ذنب آخر احسان آخر ، وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان آخر
 (هذا) هو التحقيق ، او خذ هذا على طريق التوفيق (ولم يشترط الكل) أى لم يشترط
 التوبة عن جميع المعاصي (فيما ورد) من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى (ان الله
 يحب التوابين) حيث لم يقل عن جميع الذنوب ، وكقوله عليه السلام « التائب من
 الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله : « الندم توبة » ولم يقل عن
 جميع المعاصي ، وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث
 لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا (وفي صحتها) أى وكذا اختلف في صحة
 التوبة (عن العاجز) الذى لم يقدر على المعصية (كالعنين) بوزن ساكنين وهو من
 لم يقدر على الجماع (عمأزنى) أى كتوبته عمأقارفه (قبل العنة) أى حدوثها (والاقرب
 أى القول الاقرب الى الصحة او الصواب) (العدم) أى عدم صحتها (لا متناع الترك
 فى غير المقدور) لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ،
 واما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه (لكن) قد يقال (لوتندم)
 العنين (وتألم القلب) بالزنى (بحيث لو فرضت الشهوة) أى قدرت شهوة الزنى
 (لقهرها) أى لغلبها وتركها (فالرجاء) أى المأول من كرمه سبحانه (القبول)
 أى قبول توبته (على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر) أى على ما يخفى على غيره من

كَمَا لَوْ تَابَ قَبْلَ طَرِيَانِ الْعَنَةِ وَمَاتَ قَبْلَ هَيْجَانِ الشَّهْوَةِ وَتَيَسَّرَ سَبَابُ قَضَائِهَا وَفِي
 « أَنْ الْأَفْضَلَ مَنْ يَجَاهِدُ شَهْوَتَهُ أَوْ مَنْ انْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ » وَالْحَقُّ أَنَّ الثَّانِيَّ أَسْلَمَ مُطْلَقًا
 وَأَفْضَلَ أَنْ كَانَ انْقِطَاعُهَا لِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَسَبَقَ الْجَاهِدَةُ فَالْمُظْفَرُ أَوَّلَى مِنَ الْمُجَاهِدِ وَأَنْ
 كَانَ لَضَعْفِهَا فِي نَفْسِهَا فَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ لِأَنَّ التَّرِكَ بِالْجَاهِدَةِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَاسْتِئْلَاءِ الدِّينِ

السر اثر (كما لو تاب) العنين عن الزنى (قبل طريان العنة) أى حدوثها (ومات قبل هيجان
 الشهوة) أى شهوة الزنى أو الجماع (وتيسر اسباب قضائها) أى قضاء الشهوة ومباشرتها
 لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تقدم بما تقدم لكان من التائبين أيضا حيث لا فرق
 بينهما (وفى) أى واختاف أيضا فى (أن الافضل من يجاهد شهوته) ويمنع معصيته
 (أو من انقطعت شهوته) وسكنت نفسه عن الميل الى معصية ، فقال أحمد بن أبى الحوارى
 وأصحاب أبى سليمان الدارانى : أن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده
 ما أخرجه الامام أحمد فى الزهد عن مجاهد أنه قال كتب الى عمر يا أمير المؤمنين رجل
 لا يشتبهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتبهى المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب
 عمر ان الذين يشتبهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى لهم مغفرة وأجر كبير ويقويه ان جنس البشر أفضل من جنس المالك لما
 تقدم والله أعلم ، وقال علماء البصرة ذلك الأجر أفضل لانه لو فتر فى تربته كان أقرب
 الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة القصور عن المجاهدة (والحق ان الثانى أسلم
 مطلقا) سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة أو ضعف البنية (وأفضل) أى
 الثانى مقيدا بقيد وهوانه (ان كان انقطاعها) أى الشهوة (لقوة اليقين) فى مقام
 المشاهدة (وسبق المجاهدة) مع النفس فى دفع الشهوة على سبيل المعصية (فالماظفر)
 أى المنصور على العدو (أولى من المجاهد) المشغول فى صف القتال ولا يدري كيف
 يسلم فى الاستقبال (وان كان) انقطاعها (لضعفها) أى لفتور الشهوة (فى نفسها)
 أى فى أصل خلقتها (فالأول) وهو الذى يجاهد شهوته (أفضل) (لأن الترك بالمجاهدة
 من قوة اليقين واستيلاء الدين) ولقد زل فى هذا البحث فريق فظنوا أن الجهاد هو
 المقصود الأقصى ، ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وعلائقها
 الشاغلة عن المولى ، وظن آخرون ان قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود بالذات

وَفِي نَفْعِ الْاِسْتِغْفَارِ مَعَ الْاَصْرَارِ وَالْحَقُّ النَّفْعُ لِمَا سَبَقَ وَكَوْنُهُ حَسَنَةً تَصْلَحُ لِلتَّكْفِيرِ
وَعَدَمُ ضِيَاعِ الْاَجْرِ فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفُهَا
وَمَا وَرَدَ أَنَّ الْمُسْتَغْفِرَ بِلسَانِهِ الْمَصْرَعِ عَلَى ذَنْبِهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ
مِنَ الْغَفْلَةِ دُونَ الْاِبْتِهَالِ وَالصَّدْقِ فِي السُّؤَالِ

حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه، فقال : هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل
الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات ، وكل ذلك جهالة وضلالات (وفي) أى وكذا
اختلف في (نفع الاستغفار) باللسان (مع الاصرار) على الذنوب الكبار أو الصغار
(والحق النفع) لثلاثة أوجه (لما سبق) من الاخبار في فضل الاستغفار من غير قيد
بعدم الاصرار (وكونه) أى ولكون الاستغفار باللسان (حسنة تصالح للتكفير) أى
لتكفير العصيان (وعدم ضياع الاجر) أى ولعدم ضياع اجر عامل عبده سبحانه
(فورد) في التنزيل (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) (ولا يضيع اجر من احسن عملا)
(وان تك حسنة يضاعفها) تمامه (ويؤت من لدنه اجرا عظيما) وقال : (فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (وما ورد) مبتداً أى وما جاء في حديث (ان المستغفر بلسانه
المصر على ذنبه) أى بجنانه (كالمستهزئ بربه) وفي الاحياء بلفظ المستغفر من الذنب
وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله قال مخرجه : هو حديث ابن عباس عند ابن أبي الدنيا .
ومن طريق البيهقي في الشعب ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
بربه « (محمول عليه) خبر المبتدأ أى حمله العلماء على الاستغفار (بحكم العادة من
الغفلة) عن الارادة (دون الابتهاال) أى التضرع في الحال (والصدق في السؤال) أى
سؤال المغفرة في الاستقبال ، فهذا حسنة تصالح ان تدفع بها السيئة . وكذا ما نقل عن
بعضهم انه كان يقول : استغفر الله من قولي استغفر الله ، وقبل الاستغفار باللسان توبة
الكذابين ، وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه شركة العمل .
وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ، فلا تظن انها تدم حركة
اللسان من حيث انه ذكر الله بل تدم غفلة القلب ، فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه
لا من حركة لسانه ، فان من سكت عن الاستغفار باللسان أيضا يحتاج الى استغفار من
لا الى استغفار واحد : فمكذا ينبغي ان يفهم حمداً يحمده وذم ما يذمه ، والاجهات معنى

قول القائل الصادق : حسنات الابرار سيئات المقربين ، فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة ، بل ينبغي ان لا يستحق ذرات الطاعات والسيئات . ولذا قال الامام جعفر الصادق : ان الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل رضاه فيه ، وسخطه في معاصيه ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل غضبه فيه ، وخبياً وليه في عبادته فلا تحقروا من عباد الله احداً فله ولي الله . وزادوا وخبياً اجابته في دعائه واسمائه ، فلا تتركوا شيئاً منهما فربما كانت الاجابة فيه . وقال سهل : لا بد للعبد في كل حال من مولا . فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شئ بما قدره وقضاه ، فان عصاه قال يارب استر علي ، فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة ، واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل مني . وسئل أيضاً عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال : اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة ، فالاستجابة اعمال الجوارح ، والانابة اعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولا به بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجمل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ، ثم التنقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب ، ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاتة ، ثم محادثة السرو هو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غداً والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل عن معنى قوله عليه السلام « التائب حبيب الله » فقال : انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى (التائبون العابدون) الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه . وفي الاحياء : فايالك ان تستحق ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعلل بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد ، فتقول وأي غنى يحصل في خيط واحد ؟ وما وقع ذلك في الثياب ؟ ولا تدري المعترة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً ، وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة ، فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلاً ، بل اقول : الاستغفار باللسان ايضاً حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه ، فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه ، وانما يكون نقصاناً بالاضافة الى عمل القلب ، ولذا قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي : ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكور والقرآن وقلبي غافل ، فقال اشكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكور ، ولم يستعمله في الشر ولم يعودها الفضول .

وَفِي نِسْيَانِ الذَّنْبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْأَوَّلَى لِلْبَيْتِدَى تَحَامِيًا عَنْ تَحْرِيكِ الْمِيلِ
وَمَا رَوَى مِنْ كَثْرَةِ نُوحِ الْمُتَّهِينَ وَبُكَائِهِمْ فَلَا يُقَاسُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحَدَّادِينَ وَأَفْضَلُ
التَّائِبِينَ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى الْمَوْتِ مُبَالِغًا فِي اجْتِنَابِ غَيْرِ الزَّلَّاتِ فَهُوَ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

انتهى . فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتمتر رغبتك في العبادات ، فهذه
مكيدة روجها الشيطان بلعبه على المغرورين ، وخيل اليهم أنهم أرباب البصائر واهل
التفطن في الخبايا والسرائر ، فإى خير في ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان (وفي)
أى وكذا اختلف في (نسيان الذنب) وذكره (بعد التوبة) أيها أولى ، وإنما قيد
بما بعد التوبة فإن النسيان قبلها مذموم اجما عاقل تعالى : (ونسى ما قدمت يداه) فقال
قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى
ذنبك (وهو) أى نسيان الذنب (الأولى للمبتدىء تحاميا عن تحريك الميل) أى
احتراسا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولأن المذنب
إذا نسيه لم يكسر احتراقه ، ولا تقوى ارادته وانما حائل سلوك الطريق لان ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله ، فهو بالاضافة الى الغافل لئلا ، ولكنه
بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق (وما روى)
مبتداً أى وما نقل (من كثرة نوح المنتهين) من الانبياء والمرسلين والاولياء
والصالحين (وبكائهم) حال كثرة دعائهم والخير (فلا يقاس) فى سلوك طريق
الدين (الملائكة بالحدادين) فان صدور البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء
انما كان لتعظيم امتهم حتى لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء . هذا وقد اخرج ابن
المبارك وابن أبى حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول : يا ابن آدم اذا عملت
حسنة فانه عنها فانها عند من لا يضيعها ، واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك (وافضل
التائبين المستقيم) على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات (الى الموت) أى
انقضاء الحيا من غير نقصان القوت (مبالغا في اجتناب غير الزلات) التى لا ينفك
البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات ، وانما المبالغة مطلوبة
فى جانب المحظورات لما ورد اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم
عن شىء فاجتنبوه (فهو) أى المستقيم (سابق بالخيرات) ومسارعا الى المبرات

وَالنَّفْسُ مُطْمَئِنَّةٌ وَيَزْدَادُ الْفَضْلُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَالْمُجَاهِدَةِ فَوَرَدَ «أَفْضَلُ السَّادَاتِ طُولُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» وَالسَّلَامَةُ بِقَرَبِ الْمَوْتِ ثُمَّ الْمَعَاوِدُ فِي بَعْضِ الذُّنُوبِ الْمَجْدُودِ لِلتَّوْبَةِ مَبَالِغًا وَهُوَ الْمَفْتَنُ الثَّوَابُ وَالنَّفْسُ لَوَامَةٌ

• يستبدل لسيئاته بالحسنات . وفي الكلام إيماء الى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا التائب الموصوف بهذه الصفات (مطمئنة) راضية مرضية في رياض التوبة ، واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم في القوة ، فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك ضراعتها ، ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها . ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثُر . ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في أمره ، وتكثر حسناته وتستمر استقامته . ومنهم من يقصره عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره في الطاعات وقصوره ، وهذا معنى قوله (ويزداد الفضل) أى فضل التائب (بطول العمر) أى ان طال عمره في مكابدة الطاعة (والمجاهدة) مع النفس في العبادة (فورد افضل السعادات طول العمر في طاعة الله) أى في العبادات ، والحديث لم يعرفه . وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، رواه الطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن بسر (والسلامة) عطف على الفضل ، أى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملازمة (بقراب الموت) وقصر العمر وتتمام الامر ونقصان الاجر . وقد طلب بعض الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة ، وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة ، والتسليم اسلم ، وفي الدعاء المأثور « اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل الحياة زيادة لي في كل خير » (ثم المعاوِد) عطف على المستقيم أى ثم الافضل المعاوِد (في بعض الذنوب المجدد للتوبة) رجوعا الى الرب (مبالغا) في تجديد التوبة (وهو) أى كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة (المفتن الثواب) أى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خيار لم كل مفتن ثواب ، (والنفس) أى نفس هذا التائب المعاوِد في بعض الذنوب (لوامة) تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التي فيها سلامة وهو المقتصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي اغلب احوال التائبين لان الشر

ثُمَّ التَّائِبُ عَنِ الْبَعْضِ الْمُسَوِّفِ فِي الْآخِرِ الْمُتَدِمُّ بَعْدَ الْإِرْتِكَابِ الْقَاصِدُ لِلتَّوْبَةِ
فَهُوَ الْمَخَاطُ وَالنَّفْسُ مُسَوَّلَةٌ وَهُوَ عَلَى الْخَطَرِ فِي الْخَاتِمَةِ فَإِنْ مَاتَ تَائِبًا فَازَ وَالْأُ
فَقِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِخِلَافِ الْأَوَّلِينَ فَهُمَا فَائِزَانِ، وَأَمَّا الْمُرْتَكِبُ الْمُصِرُّ النَّاسِي
لِلتَّوْبَةِ وَعَزَمَهَا فَهُوَ الْغَافِلُ

معجون في طينة البشر ، وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يشغل ميزانه فترجع
كفة الحسنات . واما ان تخلو عنه بالكافة كفة السيئات فذلك في غاية العبد من حيث
العادات ، فهو لاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه (الذين
يحتسبون ككبار الاثم والفواحش الا اللهم) أى الصغائر (ان ربك واسع المغفرة)
وفي الخبر .

ان تغفر اللهم فاعف رحما . وأى عبد لك لا الما

وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله) الآية ، فأتى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسرهم (ثم التائب)
عطف على المعاوذ والمستقيم أى الانضل بعدهما التائب (عن البعض) أى بعض
الذنوب (المسوف) أى المؤخر بالتوبة (فى الآخر) أى فى البعض الآخر من
الذنوب (المتدم) أى مظهر الندامة (بعد الارتكاب) أى اكتساب المعصية
القصيدة (أى النوى) (للتوبة فهو المخاط) الداخل فيمن قال الله فى حقه
(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليهم) وهو ظالم لنفسه (والنفس) أى نفس هذا الغافل (مسولة) أى
مزينة للمعصية ومساهة لتأخير التوبة وقد قال تعالى (أولئك هم الغافلون لاجرم
انهم فى الآخرة هم الخاسرون) فالحسارة مترتبة على الغفلة (وهو على الخطر
فى الخاتمة فان مات تائبا فاز) بالجنة وظفر بالمثوبة (والا) أى وان لم يتب ومات (ففى
مشيئة الله تعالى) ان شاء عفا عنه باطمه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه (بخلاف
الاولين) أى صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة (فهما فائزان) بالجنة
والسلامة فى العاقبة (واما المرتكب) للمعصية (الماصر) عليها من غير التوبة (الناسى
للتوبة) أى التارك لها نفسها (وعزمها) أى والعزم عليها (فهو) الذى اسمه (الغافل)

وَالنَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يُخْشَى عَلَيْهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ وَيَجُوزُ شُمُولُ الْعَفْوِ إِيَّاهُ كَنِيلِ
الْكَنْزِ بِلاَطَلَبٍ لَكِنِ التَّوَقُّعُ حِمَاقَةٌ فُورِدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي
« ان الله ملكا ينادى في كل يوم و ليلة ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده ، الحديث وفيه
« ليت الخلاق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا الماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فيتذاكروا ،
الحديث (والنفس) أى نفسه (اماره) أى كثيرة الامر (بالسوء) أى بالمعصية
(يخشى عليه سوء الخاتمة) من الموت على الفسق والكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك
(ويجوز شمول العفو) من الله (اياه) أى الغافل ولكنه نادر لا يقع فى الاغلب
بلا سبب (كنيل الكثر) أى كوصوله للكنز (بلا طلب) من يحصل له العلم الدنى
بمجرد الجذب الالهى (لكن التوقع) للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان
الطاعة (حماقة) أى غرور وجهالة (فورد) فى التزويل (وان ليس للانسان
الا ما سعى) وفق ما قدره الله له وقضى ، فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية
او الرجوع عنها بالتوبة ، والا فعاقبة خطيرة ، فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره
فى المشيئة ، فان تداركه الله بالرحمة وادتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ،
وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه
من القول الاول فى قضاء الازل ، لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن
شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين ، فيضعف
الرجاء فى حقه من ذلك الحين ، واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على
انه سبق له فى الازل ان يكون من جملة العالمين ، فكذا ارتباط سماعات الآخرة ودرجاتها
بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب ، كارتباط المرض والصحة بتناول
الاغذية والادوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى تستحق به المناصب العلية فى الدنيا
بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم ، فكما لا يصح لمنصب
الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة النفس صارت فقيمة بطول التفقه ، فلا يصح
لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول
التزكية والتطهير ، هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال
تعالى (ونفس وما سواها فاهمها فخرها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب

وَلَا يَتْرُكُهَا لَخَوْفِ الْعَوْدِ لَجَوَازِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ وَغُفْرَانِ السَّالِفَةِ فَوَرَدَ «خِيَارُكُمْ
 الْمَفْتَتِنُ التَّوَّابُ» أَي كَثِيرُ الْإِبْتِلَاءِ بِالذَّنْبِ وَكَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَسَبَبُ الْإِسْتِقَامَةِ
 الرِّيَاضَةِ وَالْمُرَابَطَةِ فَوَرَدَ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

من دساها) فالخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خائفة ما قبله ، اذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والالوقع في المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج من دار الغرور فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا المخلصون . والمخلصون كلهم على خطر عظيم ﴿ ولا يتركها ﴾ اي التوبة ﴿ لخوف العود ﴾ اي لخافة الرجعة الى المصيبة ﴿ لجواز الموت قبله ﴾ اي قبل عوده الى ذنبه ﴿ وغفر ان السالفة ﴾ اي السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب الى ربه . وهذا الترك من خدوع الشيطان ، فانه من اين له هذا العلم ، فعسى أن يموت تائباً عن الذنب ويصير حبيباً للرب مع أن الخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه منفعة ، فعلى العبد العزم والصدق في الجزم ، وعلى الله الاتمام من باب الفضل والا لكرم ، فان اتم فهو المطلوب الاعلى ، وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى ، فالعبد من التوبة ابدأ بين احدي الحسينين ﴿ فورد ﴾ عن علي مرفوعاً ﴿ خياركم المفتتن ﴾ بصيغة المجهول . وفي رواية المفتتن بالادغام ﴿ التواب ﴾ رواه البيهقي في شعبه ﴿ اي كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه ﴾ اي طاعة الرب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا ، رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث انس . وللبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسنة ولا بد للعؤمن من ذنب يأتيه العمية بعد الفية ﴾ اي الحين بعد الحين . فالفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخائق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من العثرات ومقارفة السيئات المختطفات ، فالتزمذي والحالم وصححه من حديث انس وكل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، والطبراني والبيهقي من حديث جابر والمؤمن زواه واقع فسد عيدهم من مات على رقعه ، اي واه بالمعصية والملامة واقع بالتوبة والندامة ﴿ وسبب الاستقامة الرياضة ﴾ وهي تهذيب الاخلاق ﴿ والمرابطة ﴾ وهي الاقامة بالمجاهدة والاستدامة ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات وعن السيئات ، وفي المصيبات ﴿ وصابروا ﴾ اي وغالبوا

وَرَابَطُوا أَيُّ أَنْفُسِكُمْ بِالْمُشَارَطَةِ وَهُوَ وَصِيَّةُ النَّفْسِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ نَحْوُ أَنْ لَا بَضَاعَةَ
لَكَ سِوَى الْعُمَرِ وَالْأَنْفَاسِ مَعْدُودَةٍ وَالْمَاضِي لَا يَعُودُ وَالْوَقْتُ ضَيِّقٌ وَالتَّمَنَّى غَيْرُ
نَافِعٍ وَتَوْظِيفُ الْعَمَلِ وَشَرْطُ الشُّرُوطِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ
فَالْأَعْلَى أَنْ يَصِيرَ مَغْلُوبًا بِالْإِسْتِغْرَاقِ بِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ

الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر ووحدة الامر (وربطوا أي انفسكم بالمشارطة)
أي مع النفس بالمداومة على الطاعة والمواظبة على العبادة في كل يوم وساعة خوفا
عليها من ضياع البضاعة . والتحقيق ان المراقبة ربط النفس على الارتحال والفناء ؛
والقلب على اغتنام العبادات والتأهب ليوم الجزاء ، وهو معنى قوله (وهو) أي ربطها
بالمشارطة ثلاثة اشياء : منها (وصية النفس) أي وصيته بها (في أول النهار) بل في
كل نفس من الاعمار (نحو ان لا بضاعة لك) أي ليس لك رأس مال (سوى العمر)
وهو ايام غير معدودة (والانفاس) أي والحال أن انفاسه (معدودة) لا تزيد
ولا تنقص (والماضي لا يعود) في الوجود (والوقت ضيق) في ميدان الشهود (والتمنى)
بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا لعمل عملا صالحا ، او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب
الدنية والعمالة (غير نافع) بعد الورود (و) منها (توظيف العمل) بان يجعل في
كل وقت عملا ينفعه في المعنى او يعينه على الطاعة في الدنيا (و) منها (شرط الشروط
عليه) أي على نفسه فحذف لفظ النفس فاقى الجار على ضميره فصار عليه ، ولا يبعد
أن يكون الضمير راجعا الى العمل ، والمعنى يقول لها : ان كذبت فعليك صوم
ثلاثة ايام ، وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما (ثم) المراقبة (بالمراقبة)
وهي مشاهدة كونه سبحانه رقيقا بحاله عالما بفعاله (في الحركات والسكنات) فلا يتحرك
ولا يسكن الا بما يرضاه الحق في تلك الساعات من العبادات والطاعات (فالأعلى) أي
أعلى انواع المراقبة (ان يصير) العبد (مغلوبا بالاستغراق به) من ذكره وفكره
(تعالى وعدم الالتفات الى ما سواه) أي سوى الله وما عداه ، وهذا مراقبة المقربين
من الصديقين ، وهو مراقبة التعظيم والاحلال . بان يصير القلب في جميع الاحوال مستغرقا
بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ، ومنكسرا
تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة ، فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج

ثُمَّ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ الشَّرْعِ فَيَنْظُرُ قَبْلَ الْعَمَلِ فِي أَوَّلِ خَاطِرٍ فَيَتِمُّ مَا هُوَ لَهُ
تَعَالَى وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ وَيَنْظُرُ عِنْدَهُ فِي الطَّاعَةِ يَخْلُصُ النِّيَّةَ وَيُرَاعِي الْأَدَبَ وَفِي
الْمَعْصِيَةِ يَسْتَحْيِي وَيَتُوبُ وَيُكْفِرُ وَفِي الْمُبَاحِ يُرَاعِي النِّيَّاتِ وَالْآدَابَ ثُمَّ بِالْمُحَاسَبَةِ
فِي آخِرِ النَّهَارِ وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ الْعَمَلِ فَوَرَدَ «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا» لِلْعَاقِلِ
أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا ثُمَّ بِالْمُعَاقَبَةِ فَبِالْجُوعِ أَنْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهَرِ

إِلَى الْمَجَاهِدَةِ، وَهَذَا الَّذِي صَارَ هَمُّهُ وَاحِدًا وَكَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هَمِّهِ أَبَدًا، وَمَنْ نَالَ هَذِهِ
الدرَجَةَ مَعَ الْحَقِّ فَقَدْ غَفَلَ عَنْ مِرَاقَبَةِ الْخَلْقِ، فَلَا يَبْصُرُ مَنْ يَحْضُرُ لَدَيْهِ وَهُوَ فَاتِحُ عَيْنَيْهِ،
وَلَا يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ مَعَ أَنَّهُ لَا صَمَّ فِي أِذْنَيْهِ (ثُمَّ) الْأَعْلَى مِنْ أَنْوَاعِ الْمِرَاقَبَةِ (أَنْ يَكُونَ
تَحْتَ حُكْمِ الشَّرْعِ) خَارِجًا عَنْ تَحْكُمِ الْهَوَى وَالطَّبْعِ، وَهَذِهِ مِرَاقَبَةُ الْوَرَعِيِّينَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ (فَيَنْظُرُ) وَيَتَأَمَّلُ وَيَتَفَكَّرُ (قَبْلَ الْعَمَلِ فِي أَوَّلِ خَاطِرٍ) بِخَطَرِ (فَيَتِمُّ
مَا هُوَ لَهُ تَعَالَى) وَفِيهِ رِضَاهُ (وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ، وَيَنْظُرُ) أَيْضًا (عِنْدَهُ) أَيْ عِنْدَ الشَّرْعِ
فِي الْعَمَلِ طَاعَةً أَوْ غَيْرَهَا (فَقِي الطَّاعَةَ بِخُلُوصِ النِّيَّةِ) وَيَصِفِي الطَّوْبَةَ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ غَيْرِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ لِمُشَاهَدَةِ الرَّبِّ كَمَا وَرَدَ وَالْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ
كَأَنَّكَ تَرَاهُ، (وَيُرَاعِي الْأَدَبَ) فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ وَيَحْفَظُ نَفْسَهُ عَنِ النِّشَاطِ فِي بَسَاطَةِ
الْإِنْبِسَاطِ (وَفِي الْمَعْصِيَةِ يَسْتَحْيِي) مِنَ الرَّبِّ (وَيَتُوبُ) مِنَ الذَّنْبِ (وَيُكْفِرُ)
بِمَا يَنْسِبُهُ أَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ (وَفِي الْمُبَاحِ يُرَاعِي النِّيَّاتِ) فَإِنَّ الْمُبَاحَاتِ بِتَحْسِينِ النِّيَّاتِ تُصِيرُ
عِبَادَاتٍ (وَالْآدَابَ) بِأَنْ لَا يَتَجَاوَزَ عَنِ الضَّرُورَاتِ (ثُمَّ) مِرَابِطَةُ النَّفْسِ (بِالْمُحَاسَبَةِ فِي
آخِرِ النَّهَارِ) أَوْ فِي آخِرِ كُلِّ نَفْسٍ وَسَاعَةٍ (وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ الْعَمَلِ) مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
(فَوَرَدَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا) وَهُوَ أَثَرُ عَنْ عَمَرٍ كَمَا تَقْدِمُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (لِلْعَاقِلِ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ
يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا) أَيْ وَسَاعَةٌ يَنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَفْضِي فِيهَا إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
الَّذِينَ يَبْصُرُونَهُ بِعُيُوبِهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ تَقْدِمُ (ثُمَّ) مِرَابِطَةُ
النَّفْسِ (بِالْمُعَاقَبَةِ) لَهَا (فَبِالْجُوعِ) بِعَاقِبَتِهَا (أَنْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهَرِ) أَيْ وَبِعَاقِبَتِهَا

أَنْ نَظَرَ حَرَامًا وَنَحَوَهُ فَلَوْ سَاهَلَ سَهْلًا عَلَيْهِ الرَّجُوعُ ثُمَّ بِالْمُجَاهِدَةِ بِإِدَاءِ الْوَرْدِ عِنْدَ
 اسْتِثْقَالِ النَّفْسِ بِلِزَّيَادَةِ كَاحْيَاءِ لَيْلَةٍ عِنْدَ التَّوَانِي عَنْ حِفْظِ جَمَاعَةٍ أَوْ إِدَاءِ نَافِلَةٍ . ثُمَّ
 بِالْمُعَاتَبَةِ بِمِثْلِ يَأْنَفُسُ إِلَّا تَسْتَحِينُ مِنْهُ تَعَالَى الْكَ طَاقَةُ بَعْذَابِهِ الْأَلِيمِ وَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
 وَالْأَصْلُ الْإِسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى مُتَضَرِّعًا بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى مُتَبَرِّئًا عَنِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ،
 قِيلَ مَنْ جَاهَدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ لَا يُبْتَلَى ثَامِنَةٌ وَقِيلَ مَنْ اسْتَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ لَا يَعُودُ

بالسهر (انظر حراما ونحوه) بان رقد عن التهجيد (فلو ساهل) التائب في هذه
 المماقبة (سهل عليه الرجوع) اي المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة ، فقد
 عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض
 كانت له قيمتها مائتا الف درهم ، وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة
 و آخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع او كبان فاعتق رقبتين (ثم) المراقبة (بالمجاهدة)
 وهى مخالفة النفس (باداء الورد) من انواع الطاعات والعبادات (عند استثقال
 النفس) عن بعض المأمورات (بل بالزيادة) على المواظفات (كاحياء ليلة) في عبادة
 (عند التواني) اي التساهل والتكاسل (عن حفظ جماعة) كان يحفظها (او اداء
 نافلة) كان يفعلها (ثم) المراقبة (بالمعاتبة بمثل يأنفس) بالضم او بالكسر اي
 يأنفسى (الاستحسين منه تعالى) في ترك طاعته او فعل معصيته (الك طاقه بعذابه
 الاليم) المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم (والكل) اي جميع ما ذكر من
 انواع المراتبات (مأثور) عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس ، والرياضات
 في مقام الطاعات (والاصل) الاعتبار في تحصيل الاستقامة (الاستعانة به تعالى)
 والاستعانة بكرمه سبحانه (متضرعا بين يديه تعالى) اي حال عبادته وطاعته (متبرئا عن
 الحول والقوة) من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى (اياك
 نعبد و اياك نستعين) ف اياك نعبد تفرقة و اياك نستعين جمع وفي الجملة الاولى رد على
 الجبرية وفي الثانية على القدرية (قيل) اي في باب الاستقامة (من جاهد) في ترك المعصية
 (سبع مرات لا يتلى) بالذنب (ثامنة) اي مرة ثامنة ، وبه تحصل الاستدامة
 (وقيل من استقام) على التوبة (سبع سنين لا يعود) الى المعصية في جميع عمره

ثُمَّ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَوْرَدَ (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ)
وَالْإِنَابَةُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَهِيَ لِلْمُقَرَّبِينَ فَوْرَدَ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وَالْأَوْبَةُ مِنْ رُؤْيَا
التَّقْصِيرِ وَهِيَ لِلرَّسَالِينَ فَوْرَدَ (نَعَمْ الْعَبْدُ أَنَّهُ أَوَّابٌ) ثُمَّ التَّقْوَى أَعْمٌ مِنْهَا فَالْمُتَمَتِّعُ
عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ قَبْلَ مُتَقٍ لَا تَائِبٌ *

وهو قول فرقد السنجي (ثم التوبة) في عرف المحققين (من الذنب وهي للمؤمنين) خاصة حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أو عامة (فورد) في التنزيل (توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) لعلمكم تفاحون (والإناية من الغفلة) إلى الحضور (وهي للمقربين فورد) في التنزيل (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقوله خر راعيا وأواب (والأوبة من رؤية التقصير) في الطاعة (وهي للمرسلين فورد) في التنزيل (وهبنا لداود سليمان) (نعم العبد أنه أواب) وكذا في حق أيوب (أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب) وقد يستعمل في حق المؤمنين المقربين كقوله تعالى (إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) (ثم التقوى أعم منها) أي من التوبة وهي أخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا (فالمتمتع عن ذنب لم يرتكبه قبل) أي قبل وقته (متق لا تائب) والمتمتع بعد ارتكابه تائب ومتق، أما أونه تائبا فظاهر، وأما كونه متقيا فلأنه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح أن يقال للنبى أنه متق ولا يجوز أن يقال أنه تائب. والله سبحانه أعلم. وأما ما في الأحياء من أنه يجب على كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد أن يعلم أهله دينهم، ويميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما يشغلهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه، فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلعون واحدا بعد واحد فيرشدونهم، فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذى ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره. وهذا فرض عين على العلماء كافة فقيه أن هذا غير معروف في الكتاب والسنة أنه فرض عين

بل ولا فرض كفاية وإنما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوه لاهله وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال تعالى (فستلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقال (واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) لتبينته للناس ولاتكتمونه واما معنى قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة . هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضى بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ، ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهي الدهياء المعضلة والعلماء العالمون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسأل الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء .

ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء ، وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصني ، فقال انا اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والآخرة ، فقال : كيف لي بذلك ؟ فقال الزم الزهد في الدنيا ، وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبني كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك ، اما بعد فاني سمعت رسول الله عليه السلام يقول : من التمس رضى الناس بسخط الله وظه الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، والسلام عليك . والحديث رواه الترمذي والحالم ، وكتبت اليه مرة اخرى : اما بعد فاتي الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام . وهو مقتبس من قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وايهاكم اتقوا الله) ومن قوله سبحانه (انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا) وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وانفق فضول كسبك لاخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا ، وعلى اعناق الرجال كلا ، وصم صوما تكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم . وقال ايضا يا بني لاتضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ، ولا تسأل عما لايعنيك ، ولا تضع مالك . وتصالح مال غيرك فان مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما خلفت . يا بني من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يائس ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني ، فقال : كل الوجاءك الموت عليه فرأيت غنيمة فالزمه ، وكل الوجاءك الموت عليه فرأيت نصيبة

(البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الصَّبْرِ وَالرَّضَاءِ وَالشُّكْرِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصَّبْرُ ثَبَاتٌ بِاعْتِ الدِّينِ فِي مُقَابَلَةِ بَاعِثِ الْهَوَى

فاجتنبه. وقال رجل لحامد اللفاف . اوصني، فقال: اجعل لديك غلافاً كغلاف المصحف
لئلا تدنسه الآفات. قال : وما غلاف الدين؟ قال : ترك طلب الدنيا الى ما لا بد منه ، وترك
كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه ، وكتب الحسن الى عمر
ابن عبد العزيز . اما بعد نخف ما خوفك الله ، واحذر ما حذرك الله وخذ ما في يدك لما
بين يدك ، فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز : اما بعد فان الدنيا دار عتوبة، ولها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم
عنده ، فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداري جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف
من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن اوطاة : اما بعد فان الدنيا عدوة
اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله ، اما اولياء الله فغمتهم ، واما اعداؤه فغرتهم. وبجمل
الكلام في هذا المقام من المرام أن من اعطى قلبه حسن الاصغاء ، واستشعر الخوف
واتقى ، وانتظر المثوبة الاسنى ، وصدق بالحسنى ، فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى ،
وامان بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ، ثم لا يغنى عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى ، وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى ، وانما
لله الآخرة والاولى .

(البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الصَّبْرِ وَالرَّضَاءِ وَالشُّكْرِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الذي نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على ثلاثة
وابتلاؤه ، والرضاء بحكمه وقضائه ، والشكر على نعمائه وآلائه . وقد اجتمع الثلاثة
في حديث عطاء عن ابن عباس « لما دخل عليه السلام على الانصار فقال اؤمنون انتم؟
فسكتوا ، فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامة ايمانكم؟ فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر
على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه السلام : مؤمنون ورب الكعبة » رواه الطبراني
في الاوسط (الصبر) وهو حبس النفس عن الامر (ثبات باعث الدين) من قصد
الامثال، ثم خوف النار، ثم طمع الجنة، ثم رجاء اللقاء، وهذا كله طريق أهل الهدى وهو
اسم لجميع ما يقرب العبد الى المولى (في مقابلة باعث الهوى) من الاغراض الفاسدة
والاعراض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد

فَأَمَّا بِالْجَسَمِ عَنِ الشَّاقِّ كَالْعِبَادَةِ أَوْ عَنِ الْمَصَائِبِ وَأَمَّا بِالنَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ فَعَنِ
الشَّهَوَاتَيْنِ عَفَّةً وَعَنِ أَحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ صَبْرٌ مُطْلَقًا

هوى النفس والطبع، وقيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو صبر النفس
على ما تكره، وصبر الخواص وهو تجرّع المرات من غير تعب، وصبر اخص الخواص
وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء، وقيل
الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات على الولاء وتلقى مراقضته بالرحب
والسعة على احكام الكتاب والسنة، وينقسم اقساماً صبر لله وهو الثبات على اداء
اوامره وانتهاء زواجره، وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائره
وضرائره، وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شئ من أمره حلوه ومره وصبر
عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذموم كما قيل :

الصبر يحمّد في المواطن كلها الاعليك فانه مذموم

أى الاعنك وقد يحمّد اذا وصل الى مقام الرضاء في جميع ابواب القضاء كما قيل
اريد وصاله ويريد هجرى فترك ما اريد لما يريد

وقال الجنيد : المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب
الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد وحكى عن
بعض العارفين أنه سئل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله فقال لا قال الصبر
لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فإى شئ، قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى
صرخة، كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا)
اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله تقاء
والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء * وانشد

الصبر عنك مذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود

(فاما) أن يكون الصبر (بالجسم عن) الامر (الشاق) على البدن (كالعبادة
او عن المصائب) البدنية (وأما) أن يكون الصبر (بالنفس) طلباً للثواب أو هرباً
من العقاب (عن الشهوة) أى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما (فعن
الشهواتين) المذكورتين يقال له (عفة وعن احتمال المكروه) بموت الاقارب
ونحوه يقال له (صبر مطلقاً) أى وهو الفرد الكامل في هذا الباب كما اطلق

وَصَدَّ الصَّبْرُ الْجَزْعَ وَالْهَلْعَ وَفِي الْغِنَى ضَبْطُ النَّفْسِ وَضَدَهُ الْبَطْرُ وَفِي الْحَرْبِ
شَجَاعَةٌ وَضَدَهُ الْجَبْنُ وَفِي كَظْمِ الْغَيْظِ حِلْمٌ وَضَدَهُ التَّهَوُّرُ وَفِي نَوَائِبِ الزَّمَانِ سَعَةٌ
الْصَّدْرِ وَضَدَهُ ضَيْقُهُ وَالتَّضَجُّرُ وَالتَّبَرُّمُ وَفِي اخْفَاءِ الْأَمْرِ كَتْمَانٌ وَضَدَهُ الْإِظْهَارُ
وَفِي فَضُولِ الْعَيْشِ زُهْدٌ وَضَدَهُ الْحِرْصُ وَفِي الْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

في نزل الكتاب (وبشر الصابرين) الآية فاقصر حيثنذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم
خاص ((وضد)) أى تقيض ((الصبر الجزع)) وهو محرّكة الجزع ((والهلع))
بفتحين الخش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الحدود وشق الجيوب ونحوها
ومنه قوله تعالى (أن الانسان خلق هلولاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير
منوعاً) وظاهر الآية أن الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما ((وفى الغنى)) أى ويقال
فى احتمال الغنى وتحمّله من البلوى ((ضبط النفس)) تحت الشرع والعقل
والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى ((وضده البطر)) يفتحين وهو الطغيان
بالنعمة ومنه قوله تعالى (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ((وفى الحرب)) أى
والصبر فى مواطن الحرب يقال له ((شجاعة)) وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة ((وضده
الجبْن)) وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقاتلة ((وفى كظم
الغَيْظِ)) أى تحمل الغضب ((حلم)) ودفر ((وضده التهوُّر)) صوابه ما فى الاحياء
من جمل ضده سفها وأما التهوُّر فهو التجاوز عما يقتضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم
فى الشريعة قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فان الخلق الحسن هو المتوسط
بين طرفى الافراط والتفريط (والتدمر) وهو المترتب على التهوُّر هو قبول الدمار
وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شىء بامر ربها ((وفى نوائب
الزمان)) أى حوادث الدهر وآفات الدوران ((سعة الصدر)) وهو كناية عن ثل
التجمل فى الامر ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى (الم نشرح لك صدرك)
((وضده ضيقه)) أى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) قرئ
بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) فالثلاثة الفاظ مترادفة او متقاربة ((وفى اخفاء
الامر كتمان وضده الاظهار)) والافشاء ((وفى فضول العيش زهد)) وهو عدم الرغبة
وقلة المحبة ((وضده الحرص)) على الزيادة ((وفى اليسير من الدنيا)) أى فى القليل من فضول

قَنَاعَةٌ وَضِدَّةُ الشَّرِّ وَوَرَدَ (اِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الْإِيمَانُ هُوَ
الصَّبْرُ وَهُوَ لِدُخُولِ أَكْثَرِ أَخْلَاقِهِ فِيهِ الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَهُوَ لَا طَّلَاقَ عَلَيْهِ عَلَى الْمَعَارِفِ

الدُّنْيَا (قَنَاعَةٌ وَضِدَّةُ الشَّرِّ) بَفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ الْحِرْصُ عَلَى طَلَبِ الْكَثِيرِ (وَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ
(اِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وَقَالَ تَعَالَى وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَقَالَ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتُ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، وَكَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ نَعَمْ الْعَدْلَانِ
وَنَعَمْ الْعُلَاوَةُ لِلصَّابِرِينَ يَعْنِي بِالْعَدْلَيْنِ الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْعُلَاوَةُ الْهُدَى وَالْعُلَاوَةُ
مَا يَحْمِلُ فَوْقَ الْعَدْلَيْنِ عَلَى الْبَعِيرِ، وَقَدْ وَجَدَ فِي رِسَالَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ صَبْرٌ إِنْ أَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِ الصَّبْرُ
فِي الْمُصِيبَاتِ حَسَنٌ وَأَفْضَلُ مِنْهُ الصَّبْرُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ إِذَا قَرَأَ
هَذِهِ الْآيَةَ أَنَا وَجَدَنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ الْعَبْدُ أَنَّهُ أَوَّابٌ بَكَى وَقَالَ وَاعْجَبَاهُ أَعْطَى وَآتَى أَيْ
هُوَ الْمَعْطَى لِلصَّبْرِ وَهُوَ الْمِثْنَى عَلَيْهِ بِإِشِيرَةِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ)
(الْإِيمَانُ) أَيْ مَعْظَمُ خِصَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ (هُوَ الصَّبْرُ) لَمْ أَعْرِفْهُ وَفِي رِوَايَةِ الدَّبَلِيِّ
عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمِثْلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ
مَوْقُوفًا وَلَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ وَالْإِيمَانُ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ (وَهُوَ) أَيْ كَوْنُ الْإِيمَانِ هُوَ
الصَّبْرُ (لِدُخُولِ أَكْثَرِ أَخْلَاقِهِ) أَيْ اخْتِلَاقِ الْإِيمَانِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ رَعْدَمِ
الْجُزْءِ فِي الْمَعْصِيَةِ (فِيهِ) أَيْ فِي الصَّبْرِ وَلِلَّ كَثْرَةِ حُكْمِ الْكُلِّ أَمْرٌ مَقْرُورٌ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ
أَقْسَامَ ذَلِكَ وَسَمَّى الْكُلَّ صَبْرًا فَقَالَ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ أَيْ الْمَعْصِيَةِ وَالضَّرَاءِ أَيْ الْفَاقَةِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أَيْ الْمَجَارِبَةِ (الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ وَالْخَطِيبُ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلِلدَّبَلِيِّ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ عَنْ أَنَسٍ «الْإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفُ صَبْرٍ وَنِصْفُ
شُكْرِ، وَفِي النِّهَايَةِ أَرَادَ بِالصَّبْرِ الْوَرَعَ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ قِسْمَانِ : نَسَكَ وَوَرَعَ، قَالَ نَسَكَ
مَا مَرَّتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَالْوَرَعَ مَا نَهَتْ عَنْهُ . انْتَهَى ، وَالْحَدِيثُ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى
(أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) أَيْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ . وَفِي تَقْدِيمِ الصَّبْرِ عَلَى الشُّكْرِ
إِيمَاءٌ بِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ وَأَتَمَّ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ كَمَا تَقَدَّمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (وَهُوَ) أَيْ وَكَوْنُ
الصَّبْرِ نِصْفَ الْإِيمَانِ (لَا طَّلَاقَ) أَيْ الْإِيمَانِ (عَلَى الْمَعَارِفِ) الْيَقِينِيَّاتِ مِنَ الْأَعْتِقَادَاتِ

وَالْأَعْمَالُ وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِثَبَاتِ بَاعِثِ الدِّينِ فَهُوَ نَصْفُ الْإِيمَانِ وَلَا طَلَّاقَهُ
عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُثْمِرَةِ لِلْأَعْمَالِ وَإِنْ مَا أَصَابَ أَمَّا نَافِعٌ وَأَمَّا ضَارٌّ وَفِيهِمَا الشُّكْرُ
وَالصَّبْرُ فَهُمَا نَصَفَانِ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِبِتْنَاءِ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ فَالدُّخُولُ فِيهَا لِقَمْعِ النَّفْسِ
وَالْإِتْمَامِ أَشَدُّ وَلِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَحَنَةٍ وَالْجَزَعُ شَاغِلٌ وَلِأَنَّ طَلَبَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ ابْتِلَاءً
فَوَرَدَ «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْآنِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ»

(وَالْأَعْمَالُ) الصالحات من العبادات (وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ) للمجتهدين (الاثبات
باعث الدين) من الهدى في مقابلة باعث الهوى (فهو) أى الصبر (نصف الإيمان)
بهذا الاعتبار، والترتيب بين النصف الأول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع
(و) أيضا (لا طلاقه) أى الإيمان (على الأحوال) من استيلاء تلك المعارف وهى
الرضا والهبة والانس والشوق (المثمرة للأعمال) لأعلى المعارف والعوارف من
مقامات الرجال . وفي الأحياء : أن جميع مقامات الدين ومنازل السالكين إنما يتنظم من
ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال ، فالمعارف هى الأصول فهى تورث الأحوال ،
والأحوال تثمر الأعمال ، فالمعارف كالاشجار ، والأحوال كالأغصان ، والأعمال كالثمار
(وَأَنْ مَا) أى لا جل أن ما (أصاب) السالك من النعم الدنيوية (أما نافع) فى الدنيا
والآخرة كالطاعات والمباحات (وَأَمَّا ضَارٌّ) فهى كالمصائب والسيئات (وفيهما) أى
النافع والضار (الشكر) للعبد بالاضافة الى ما ينفعه (والصبر) بالنسبة الى ما يضره
وهما لا يحصلان الا بتلك الأحوال (فهما نصفان) لتلك الأحوال باعتبار ما ذكر
من الأقوال (ولا بد) لا مبد (منه) أى من الصبر (لابتناء العبادات) من الصلاة والصوم
وسائر أسباب السعادة (عليه) أى على الصبر (فالدخول فيها) أى فى العبادات (لقمع
النفس) لتكيلها ونفها (والإتمام) أى إتمام العبادات بعد الدخول فيها (أشد)
من دخولها فى باب الإرادة والقمع والإتمام إنما يتأتى بالصبر فى المقام (ولأن الدنيا
دار محنة) فمن كان فى الدنيا فلا بد له من الابتلاء بشدائد ومصائبها والصبر على
جميع مراتبها لتحصل العبادات ومناقبها (والجزع شاغل) عن العبادات التى هى غاية
المنحة (ولأن طلب الآخرة أشد ابتلاء فورد: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء)

ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلَ وَهُوَ عَنِ الْحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَنِ الْمَكْرُوهِ نَقْلٌ ثُمَّ هُوَ فِي النِّعَمِ
الدُّنْيَوِيَّةِ بِتَرْكِ الْمَيْلِ وَرِعَايَةِ حَقِّهِ تَعَالَى وَهُوَ الشُّكْرُ

ثم الامثل (كالمعلم) فالامثل (كالمعلم) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح وصححه
ابن حبان والحاكم ، لكنه بدون لفظ الاولياء . وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال
بعض الاعراب من المسلمين : هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ، فاخبر به عليه السلام
فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام « رحم الله اخي موسى قداوذى باكثر من هذا فصبر »
متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه السلام « صل من قطعك وأعط من حرملك
واعف عن ظلمك » وقد تقدم . وقال عيسى عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل - يعنى فى التوراة -
ان السن بالسن والعين بالعين والامين بالانف بالانف ، وانا اقول لكم : لا تقاوه والشر بالشر ،
بل من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن ومن اخذ رداك فاعطه ازارك
ومن سخر لك لتسير معه ميلافسر معه ميلين . انتهى . ولا يخفى ان عيسى عليه السلام كان
مظهرا للجمال ، كما ان موسى عليه السلام كان مظهر للجلال ، ونبينا ﷺ
كان مظهرا للكمال المنضم للجلال والجمال ، واحكامه فى غاية الاعتدال ، والله سبحانه
اعلم بحقائق الاحوال (وهو) اى الصبر (عن الحرام واجب) اى فرض لازم
(وعن المكروه) اى كراهة تنزيه (نقل) بل مستحب ، اما عن المكروه كراهة تحريم
فواجب ، وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم . وفى الاحياء ان الصبر ينقسم ايضا
باعتبار حكمه الى فرض ونقل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعن المكروه
نقل ، والصبر على الاذى المحظور محذور كمن يقطع يده او يبدل لده وهو يصبر عليه ساكتا
وكن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيهبج غيرته فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على
مايجرى على اهله فهذا الصبر محرم ، والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة
مكروهة فى الشرع فليكن الشرع يحك الصبر الذى هو نصف الايمان ، ولا ينبغي ان يخل
اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع مخصوصة (ثم هو) اى الصبر (فى النعم
الدنيوية) انما يحصل (بتترك الميل) اليها ويعرف بتترك ارتكاب المحرم والمكروه
فى تحصيلها (ورعاية حقه تعالى) فيها لصرفها الى طاعته وعبادته (وهو الشكر)
اى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل .

ثم اعلم ان جميع ما يباح العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والاخر مالا يوافقه بل يكرهه ، وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد

وَفِي الطَّاعَةِ بَصَوْنُ النِّيَّةِ وَالْأَدَاءِ وَالثَّوَابِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَاسُلِ وَالْإِفْشَاءِ وَنَحْوَهَا
وَفِي الْمَعْصِيَةِ بِالرِّيَاضَةِ وَفِي مُصِيبَةٍ مُمَكِّنِ الْمَجَازَةِ بِالتَّحْمَلِ بِتَرْكِ الْمُكَافَاةِ قَوْلًا وَفِعْلًا

منها والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمسال
والجاء وكثرة النشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع
ملاذ الدنيا ، وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور ، فانه ان لم يضبط نفسه
عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجته ذلك
الى البطر والطغيان ، ويجرانه الى أنواع من العصيان كما قال تعالى (كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى) وقال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية
لا يصبر عليها الا صديق . ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا : ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا ؛ وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وقال عليه السلام « الولد مبخلة بمحنة
محزنة » رواه ابو يعلى الموصلى من حديث ابي سعيد ، ولما صاحب السنن من حديث
بريدة باسناد حسن انه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر في قميصه
نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال . صدق الله (انما اموالكم واولادكم فتنة) انى لما
رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ، ففى ذلك عبرة لاولى الابصار (و) الصبر
(فى الطاعة) أى العبادة (بصون النية) أى بحفظها عن السمعة والرياء فى حال
الابتداء (والاداء) أى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص أو عن الغفلة
ودراعى الفترة فى الاثناء (والثواب) أى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء
فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ، ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال
(عن الرياء) وفى معناه السمعة ولو فى الخلاء (والتكاسل) أى وعن التماثل فى الاعضاء
(والافشاء) بالاملاء فى الملاء (ونحوها) من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ،
ورؤية الحول والقوة ، والامن من مكر الله ، واستدراجهم وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد
بقوله تعالى (نعم اجر العاملين الذين صبروا) أى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل
واخلاصه عن الآفات (و) الصبر (فى المعصية) المبتلى بها (بالرياضة) أى برياضة
النفس عن مخالفة هواها (و) الصبر (فى مصيبة) من شأنها انها (يمكن المجازاة) أى يمكن
فيها المكافاة (بالتحمل) أى الحلم والعفو (بترك المكافاة) أى المجازاة ولو بالمائلة
فى المعاقبة (قولا) كمن سبه (وفعلًا) كمن ضربه ، ومنه قوله تعالى (وان عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وَفِي غَيْرِهَا بَتَرَكَ الْجَزَعَ وَالشَّكَايَةَ وَاسْتَمَرَّارَ الْعَادَةِ فِي الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ أَمَّا النَّالُ
وَجَرِيَانُ الدَّمْعِ فَلَا يُنَافِيهِ لِعَدَمِ الدُّخُولِ تَحْتَ الْإِخْتِيَارِ وَالْكَامِلِ تَرْكُ مَا يَشْغُلُ عَنْهُ
تَعَالَى وَجَاءَ الصَّبْرُ عَلَى الْفَرَائِضِ ثَلَاثُمِائَةَ دَرَجَةٍ وَعَنْ

واصلح فاجره على الله) وقد قال بعض الصحابة : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم
يصبر على الأذى . وقال تعالى حكاية عن الأنبياء (وانصبرن على ما آذيتن مونا) وقال تعالى
(ودع اذا هم وتوكل على الله) وقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)
وقال (واقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) وقال (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
(وفي غيرها) أى وفي مصيبة غير ممكن المجازاة (بترك الجزع) والجزع (والشكاية)
الى الخالق (واستمرار العادة) أى وباستقرارها على حالها (فى الطعام واللباس) وكذا
الكلام مع الناس وقد قيل : ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره .
وقال داود عليه السلام . ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه
ان البسه لباس الايمان فلا انزع عنه أبدا ، وقال نبينا عليه السلام من اجل الله ومعرفته
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك . ذكره فى الاحياء . وقال مخرجه لم أجده مرفوعا .
وأما رواه ابن أبي الدنيا من رواية سفيان عن بعض الفقهاء ، قال من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى . وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والافواج والصدقة ،
وفى الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات ، فاذن مجازى الصبر ثلاثة الطاعة
والمعصية والى من جهة الخالق او الخالق (أما النال) أى الحزن للقلب (وجريان الدمع)
من العين (فلا ينافيه) أى الصبر (لعدم الدخول تحت الاختيار) بل هما مستحبان لما
ورد عن سيد الابرار أنه بكى عند موت ولده وقال « القلب يحزن والعين تدمع وأنا على
فراقك يا ابراهيم محزونون » رواه الشيخان من حديث أنس (والكمال) أى كمال الصبر
(ترك ما يشغل عنه) أى عن الله (تعالى) من أمور الدنيا فمن غفل عن الله ولو فى
لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن)
الآية ، وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصاب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو ؟
قال : هى نفسك ان لم تشغلها شغلتك (وجاء) فى الاثر عن ابن عباس (الصبر على
الفرائض) أى اداؤها (ثلاثمائة درجة) أى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل (وعن

المَحَارِمُ سِتْمَانَةٌ وَفِي الْمَصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى تِسْعَانَةٌ وَالطَّرِيقُ تَضْعِيفُ بَاعِثِ الْهُوَى بِالرِّيَاضَةِ

المحارم ستمانة) لانه اصعب على النفس ، فان في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية (وفي المصيبة عند الصدمة الاولى) أى فورتها وشدتها وحدثها (تسعمائة) لانه اقوى واشق على النفس ، فلا بن أب الدنيا في كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز : أفضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ، والحديث الذى فى الملقن رواه ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب عن على مرفوعا بلفظ « الصبر ثلاثة . فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرضين الى منتهى الأرضين ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرضين الى منتهى العرش » فالحديث يدل على أن الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر رضى الله عنه حيث قال الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وأما « الصبر عند الصدمة الاولى » فحديث رواه البزار وأبو يعلى عن أبى هريرة مرفوعا وفى رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفى رواية البخارى فى تاريخه عن أنس : « الصابر الصابر عند الصدمة الاولى » (والطريق) فى تحصيل الصبر بعد التوفيق منها ثلاثة (تضعيف باعث الهوى) أى تقييله (بالريضة) الكثيرة بان يقول داعى الهدى ويقهر داعى الهوى ولا يبقى لها قوة المنازعة فى الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة . وعند هذا يقال : من صبر ظفر . والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون ولا جرم هم الصديقون والمقربون (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهم ولا يلزموا الطريق المستقيم واستوا على الصراط القويم . وأما من يغلب عليه دواعى الهوى ويضعف عنده بواعث الهدى فهم هؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم شهوتهم ، وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففخسرت صفقتهم وماربحت تجارتهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الحق كما قال عليه السلام : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى . وفى رواية « والعاجز » يدل الاحق كما رواه أحمد والترمذى

وَذُرْ قَلَّةَ قَدْرِ الشَّدَّةِ وَوَقْتُهَا وَاضْرَارَ الْجَزَعِ وَتَقْوِيَةَ بَاعِثِ الدِّينِ بِذِكْرِ فَضَائِلِ
الْمُجَاهِدَةِ ثُمَّ أَنْ كَانَ يَتَعَبُ قَوِيَّ فَتَصْبِرُوا

وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس . ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذى وغيره
من العلماء . واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من
المجاهدين الذين قيل فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) واما النار كون للمجاهدة
فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون) وقال بعض الشعراء :

دع المسكرم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
وقد قال تعالى (اوائك كالانعام بل هم اضل) اذ البهيمة لم تتخاق لها المعركة والقدرة
التي بها يجاهد مقتضى الشهوة ، وهذا قد خاق له وعطله فهو الناقص حق والمدير يقينا
وصدقا ولذا قال أبو العتاهية :

ولم ارفى عيوب الناس عيبا كنفص القادرين على التمام
وهو مقتبس من قوله عليه السلام « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب
العلم في الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علما فانتفع به دونه ، رواه ابن عساكر . وأما من علم
وعمل وعلم فيدعى في الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام (و) منها (ذكر قلة قدر
الشدة) في مخالفة النفس حال المجاهدة لأن شدائد الدنيا وأحوالها سهل بالنسبة الى
شدائد الآخرة وأحوالها (و وقتها) أى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى
(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) ولذا قيل : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ،
(واضرار الجزع) أى وذكر اضرار الجزع والفرع من غير حصول الدفع والنفع
(و) منها (تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة) الواردة في الكتاب والسنة
في حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)
وقوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
وكان الله غفورا رحیما) وقوله عليه السلام « المجاهد من جاهد هواه ، رواه النسائي
« ورجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبير » وقد تقدم (ثم ان كان) الصبر والتحمل
او ذلك الثبات والتحمل حاصل (بتعب قوى) أى شديد وجهد جهيد (فتصبر) أى
فيقال له تصبر لان صاحبه . متكلف في الصبر كما يقال زاهد ونزهة وصوفي ومتصوف (وأن

كَانَ يَسِيرٌ فَصَبْرٌ وَإِنْ كَانَ دُونَ جَهْدٍ فَرَضَى وَوَرَدَ «أَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى الرِّضَاءِ
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَإِنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ فَشُكْرٌ وَهُوَ
بِالْغَيْبَةِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ وَالشُّهُودِ مَعَهُ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ «أَنْىَ أَيْتٌ عِنْدَ رَبِّى
يُطْعِمُنِى هُوَ وَيَسْقِينِى، وَعَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْإِلْمِ وَاللَّذَّةِ

كان) ما ذكر واقعا (يسير) أى بتعب سهل وغير عسير (فصبر) أى فينخص باسم الصبر
فاذا دام التقوى وقرى الصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى
(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (وان كان) الصبر (دون
جهد) أى من غير تعب (فرضى) أى فهو رضى بما يفعل المولى (وورد اعبد
الله على الرضاء) فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم (فان لم تستطع) على
عبادته فى مقام الرضاء من غير جهد (البلاء ففى الصبر على ما تكره) بمقتضى
البشرية (خير كثير) فى الامور الدنيوية والاخروية، فاعبده على الصبر فان ما
لا يدرك كله لا يترك كله، والحديث رواه الترمذى من حديث ابن عباس. وقال
ابو سليمان: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره (وان كان)
الصبر على البلاء يتلذذ كتلذذ النعماء (فشكر) أى فهو شكر ينشأ عن كمال المحبة
والصدق وغاية الرضاء عن الحق، فقد قال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث
مقامات. الاولى ترك الشكوى وهذه درجة الثائبين، والثانية الرضاء بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين (وهو)
أى التلذذ بالبلاء انما يكون بسنة أشياء (بالغية عن حظوظ النفس) ولذات الهوى
(والشهود) أى وبالحضور (معه تعالى) ليلا ونهارا (كما ورد) عنه عليه السلام
انه قال (انى ايت عند ربى) أى حاضر اليه كالواقف بين يديه (يطعمنى هو)
أى لا غيره (ويسقنى) أى يغنىنى عن الطعام والشراب ويقوينى بدلها بما يلذ به
الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لقناء حظوظ نفسى وشهود قلبى مع ربى،
فهذا المعنى يصلح ان يكون استئناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب
الاسباب. واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقنى من طعام الجنة وشرابها فلا
يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على اولى الالباب (وعدم التمييز) أى وبعدم
الفرق (بين الالم واللذة) الطيبين. ولقد قال بعض المحبين

كَافَى حَدِيثَ حَارِثَةَ مَا أَبَالَى عَلَى أَىِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتُ عَلَى غَنَى أَوْ فَقْرٍ وَالْأَعْلَى التَّمْيِيزُ
وَاخْتِيَارُ الْأَلَمِ فِي مُوَافَقَتِهِ تَعَالَى وَالْإِلْتِذَاذُ بِهِ «فُورِدَ» «اخْتَارُ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا
وَجَاءَ يَاحِبْدًا الْمَكْرُوهَانَ الْمَوْتَ وَالْفَقْرَ»

فليس لي في سواك حظ • فكيف ما شئت فاخترني

لكن لما كان في هذا شائبة من الدعوة ابتلى بنوع من البلوى (كافي حديث حارثة
ما أبالي على أي الحالين) أي المقامين (وقعت) أي سقطت وثبت (على غنى أو
فقر) وكذلك صحة أو مرض، وسدا وصل أو هجران • وقيل • الفقر بلاء ومحنة •
والغنى هم ومشقة • وكل ذلك قاذح في كمال الرضاء والمحبة • بل ينبغي أن يفوض
التدبير لما لكها • ويسلم الأمر إلى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضي الله
عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، وفيه إشارة إلى قوله
(ن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا) وفي الحديث
القدسي «ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر • ومنهم من لا يصلحه الا الغنى»
الحديث وقد قال عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالتسليم أسلم والله اعلم (والأعلى) أي أعلى مراتب
الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة إلى عدم التمييز كحال أهل السكر (التمييز)
بين النفع والضرر والحلو والمر (واختيار الألم في موافقته تعالى) حيث جعله مختارا
(الالتذاذ به) أي بالامر فهو الأولى (فورد) عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وثر كها
بأن يكون مائكا نبيا أو عبدا نبيا فقال : (اختر ان أكون عبدا نبيا) وفي رواية
زيادة (أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر) ليفوز بالمقامين ويجمع بين الأمرين
لانه كان في غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال
(وجاء) في الخبر (يا) قوم (حبذا المكروهان) أي نعم المكروهان
في طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان (الموت) على الايمان (والفقر)
لمقرون برضى الرحمان رواه ابن أبي الدنيا وغيره • واخرج احمد وسعيد بن منصور في
سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «اثنان يكرهما
ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»

ثُمَّ الرِّضَاءُ بِتَرْكِ الْإِعْتِرَاضِ وَقِيلَ تَرَكَ السَّخَطَ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِلْفَرَاحِ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّحَامِي
 مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَالتَّعَبِ فِيهَا وَغَضَبِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ
 يَصْبِرْ عَلَيَّ بَلَاءِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ»

(ثم الرضاء بترك الاعتراض) بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث
 حدث : لولم يحدث لكان أولى ، أولو حدث في غير هذا الموضع كانت أحسن
 وأعلى ، اذ ليس في الامكان ابداع ما كان كما في الاحياء . واعتراض عليه من لم يفهم
 معناه من العلماء (وقيل ترك السخط) أي الكراهة وهو ضد الرضاء ، والرضاء
 غاية الغايات ونهاية العناية ، ففي الحديث «ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
 فيقولون رضاك» ويؤيده قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أي من النعيم
 الذي يتم فيه ، فهذا فضل رضى الله ، وهو ثمرة رضى العبد ، كما يشير قوله تعالى
 (رضى الله عنهم) أولا (ورضوا عنه) أخرا (ولا بد) للعبد (منه) أي من
 الرضاء عن الله تعالى لاربعة اشياء (للفراغ) أي فراغ الخاطر (للعباداة) وقد
 وردت نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ ، (والتحامى) أي
 والتحافظ (من هموم الدنيا) بالقلب (والتعب) ومن غموم النصب بالبدن
 والقلب (فيها) أي في الدنيا ، وقد وردت من جعل الهموم هما واحداً في الاخرة كفاه
 الله هم الدنيا والاخرى (وغضبه) أي التحامى من غضبه (تعالى فورد) في الحديث
 القدسي والكلام الانسي (من لم يرض بقضائي) في احكام ارضى وسماني (ولم يصبر على
 بلائي) أي ابتلائي في سراتي وضراتي وفي رواية زيادة ولم يشكر على نعمائي (فليطلب ربا
 سواي) أي غيري وما عداي من اعدائي «وروى أنه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه
 الكرام فقال ما انتم؟ فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة ايمانكم؟ قالوا نصبر على البلاء ونشكر
 عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفي لفظ آخر أنه قال «حكاه
 علماء كادوا من فقهم أن يكونوا انبياء» وفي مناجاة موسى عليه السلام قال يا رب أي
 خلقك أحب اليك؟ قال من اذا اخذت عنه محبوبة سامني ، قال فأي خلقك أنت ساخط
 عليه؟ قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي ، وفي الخبر «قدرت المقادير
 ودرت التدابير من رضى فله الرضاء مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني»

وَيَحْصُلُ رِضْوَانُهُ فُورَدَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

في الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقت له للشر واجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف » وفي الاخبار السالفة « أن نيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصاب الا ما اراد ، ثم اوحى الله اليه لم تشكو؟ هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ، او يكون ما تريد فوق ما اريد ، وعزتي وجلالي ائن يابح هذا في صدرك مرة أخرى لا محونك من ديوان النوة » ويروى « ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام : يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد ، فان سلمت لما اريد كفيبتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ، والله در من قال من أهل المزيد :

تريد النفس أن تلقى منهاها وبأبي الله الا ما يريد

(ويحصل رضوانه) أى ويحصل رضا الله عنه (فورد) في التنزيل (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فعلامة رضى العبد عن الله رضا الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضى الله في المرتبة الاولى ويسبق رضا في الازل الاعلى . وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضاء بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته . وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ؛ وحسن الرضاء فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات . وروى عن بعضهم قال مررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى وبه رفق فقلت له : اسقيك ماء ؟ فقال : جرتى قليلا الى الاعداء واجعل الماء فى الترس فانى صائم فان عشت الى الليل شربته ، وفى الخبر « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » وفى خبر آخر « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وللترمذى « من سعادة ابن آدم رضا بما قسم الله ، وفى خبر آخر « ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » وفى اخبار موسى عليه السلام : أن بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى : الهى قد سمعت ما قالوا ، فقال يا موسى قل لهم : يرضون عنى حتى ارضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن ينظر ماله

وَالسَّبَبُ اِدْهَاشُ غَلْبَةِ الْحُبِّ عَنِ الْاِحْسَاسِ بِالْاَلَمِ كَمَا بِالْعَاشِقِ وَالْحَرِيصِ

عند الله فليُنظر ما الله عز وجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه ، وفي اخبار داود عليه السلام : ما لا وياثي والهيم بالدنيا ان الهيم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ، يا داود ان علامة محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يقيمون ، وروى ان موسى عليه السلام قال : يارب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله ، فاوحى الله اليه ان رضائي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره ، قال يارب دلني عليه ، فقال ان رضائي في رضاك بقضائي . وعن عمر بن عبد العزيز : ما بقى لي سرور الا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ؟ قال ما يقضى الله تعالى (والسبب) لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئا من أحدهما (ادهاش غلبة الحب) أي اغماؤها واغفالها (عن الاحساس بالالم) في المحن وأحوالها (كما بالعاشق) بالدنيا (والحريص) في جمع مالها وأحوالها ، وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقبل له في ذلك ، يقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وقال الجنيد : سألت سريسا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وأن ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخولها . وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف صوت في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لاني عاشق . فقلت ولم سكت ، قال لان معشوقتي كان يحذاني ينظر الي ، قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر ، فزعت زعقة وخر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي : اذا نظر أهل الجنة الى الله سبحانه ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر : قصدت عبادان في باديتي فاذا أنا برجل اعشى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت رأسه فوضعتة في حجرى فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي دخل بيني وبين ربي ، لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانككرتها . وروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دلني على اعبد اهل الارض ، فدلني على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول : الهسي متعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت

وَالْعِلْمُ بِحَزَالَةِ الثَّوَابِ

وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا واصل : ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعشى أبرص مقعد ، مضروب الجبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذلم وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه ، صروفا عنك ؟ فقال بأروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال صدقت ، هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنه ما كان به وصحب عيسى وتبعه معه ، وقطع عروة بن الزبير رجلاه من ركبته من آلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذي أخفني مني واحدة وأبقى أخرى ، لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة . وقال أبو سليمان الداراني : قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضاء ، فما لي منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق ظهرا إلى الجحيم وادخلني النار كنت راضيا . ولما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وكان قد كتف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوا لهذا ولهذا ، وكان يجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قاريء أهل مكة ؟ قلت نعم ، فذكر قصة قال في آخرها فقلت له : يا نعم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصرى : وقال بعض السلف : ولو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول شيء قضاء الله ليته لم يقضه (والعلم) أي وثانيهما المعرفة بشيئين (بحزالة الثواب) أي عظمت وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد ينال الجزاء في الدنيا أيضا قبل العقابي كما روى (عن الرميضاء أم سليم) أنها قالت : توفي ابن لي وكان زوجي أبو طلحة غائبا ، فقامت فسجنته في ناحية من البيت ، فقدم أبو طلحة فقامت فهايات له افطاره لجمل يأكل ، فقال كيف الصبي ؟ فقلت في أحسن حال بحمد الله ومنه ، فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ، ثم تصنعت له باحسن ما كنت أتصنع من قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ؟ فقال وما لهم ؟ فقلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال بش ما صنعوا ، فقلت مكنا أبلك كان عارية من الله تعالى وإن الله قبضه إليه لحمد الله وأثني عليه واسترجع

كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ وَالسَّفَرِ وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ
حِكْمَةٌ يَتَعَجَّبُ الْذَاهِلُ عَنِ السَّرِّ كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَا يَرِدُ
التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُغْضِ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَالْمَعْصِيَةَ مُقْضِيَةٌ وَلِأَنَّ
الرِّضَاءَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُقْضَى لَا يَنَافِي الْبُغْضَ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ

ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام: اللهم بارك لهم في ليلتهم
قال الراوى فاقدر أيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن، رواه
الطبرانى فى الكبير من طريق أبى نعيم فى الحلية ، والقصة فى الصحيحين من حديث
أنس مع اختلاف ، وللنسائى فى الكبرى بإسناد صحيح من حديث جابر «دخلت
الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة» فقد روى أن امرأة فتح الموصلى عثرت فقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدى من الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبى
حرارة وجهه وعذابه . وقد ورد فى الترمذى وغيره حديث •

«هل أنت إلا اصبع دميت • وفى سبيل الله ما لقيت»

وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها والله در المتنبى اذ يقول •

أن كان سر لم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أَرْضَانَا الم

(كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ) الْمُسَافِرِ (الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ) رَجَاءَ اللَّصْحَةِ (وَالسَّفَرِ)
أَيُّ وَمَحْنَتِهِ طَمَعًا لِلزِّيَادَةِ (وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ حِكْمَةٌ) كَمَا قَالَ تَعَالَى (صُنْعَ اللَّهِ
الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) وَقَالَ (صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَا أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً) بَلْ حِكْمًا كَثِيرَةً
(يَتَعَجَّبُ الْذَاهِلُ) الْغَافِلُ (عَنِ السَّرِّ) أَيُّ سِرِّ تِلْكَ الْحِكْمَةِ فِي تِلْكَ الصَّنْعَةِ وَمَا
يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْحُكْمِ (كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا
مِنَ الْمَلَامِ وَالْكَلَامِ فِي تَحْقِيقِ الْمَقَامِ وَتَدْقِيقِ الْمَرَامِ (وَلَا يَرِدُ التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ) أَيُّ بَيْنَ
الرِّضَاءِ بِالْقَضَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ اسْأَلْكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ ، (وَبَيْنَ بُغْضِ
الْمَعْصِيَةِ) الْوَاقِعَةِ بِحُكْمِ الْقَضَاءِ (لِأَنَّ الرِّضَاءَ) إِنَّمَا هُوَ (بِالْقَضَاءِ) الَّذِي هُوَ فِعْلُ
الرَّبِّ وَخَلْقُهُ (وَالْمَعْصِيَةُ مُقْضِيَةٌ) عَلَى الْعَبْدِ صَادِرَةٌ عَنْ فِعْلِهِ وَكَسْبِهِ ، وَلَوْ كَانَ بِتَقْدِيرِ
الرَّبِّ وَحُكْمِهِ ، وَلِأَنَّ قَضَاءَ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍّ ، أَنَّمَا الشَّرُّ هُوَ الْمَقْضَى فَلَا يَكُونُ الرِّضَاءُ
بِالشَّرِّ ، وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ مَعْنَى الْخَبَرِ «الْخَيْرُ كُلُّهُ يَدِيكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (وَلِأَنَّ الرِّضَاءَ)
بِالْقَضَاءِ (مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُقْضَى لَا يَنَافِي) أَيْضًا (الْبُغْضَ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ)

وَهُوَ لَا يُوجِبُ تَرْكَ الْأَسْبَابِ وَتَحْقِيقَهُ يَأْتِي فِي التَّوَكُّلِ وَلَا الدُّعَاءَ بِشَرَطِ الصَّلَاحِ
 قَلْبًا فُورَدَ «اللَّهُمَّ زِدْنَا فِي اللَّبَنِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ فِي غَيْرِهِ

فالحشية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة ، كالولد العاق يجب من حشية
 الولدية ويغض من جهة العقوبة (وهو) أى الرضاء بالقضاء (لا يوجب ترك
 الاسباب) أى اسباب البقاء وغيره من الابواب (وتحقيقه) أى تحقيق ترك الاسباب
 (يأتى فى التوكل) الموضوع لهذا الباب (ولا الدعاء) أى ولا يوجب الرضاء
 ترك الدعاء لقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء
 مع أنه فى أعلى مقامات الرضاء (بشرط الصلاح قلبا) ولولم يشترط لسانا (فورد
 «اللهم زدنا ، فى اللبن » اللهم ارزقنا خيرا منه ، فى غيره) والحديث رواه الترمذى
 فى الشائل عن ابن عباس أنه عليه السلام قال : من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم
 بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاء الله ابنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا
 منه قال وقال عليه السلام : ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن ،
 هذا ، وقد قال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء ، وقال الفضيل :
 اذالم تصلح على تقدير الله فلم تصلح على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : وليس
 الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ، ولا فى لبس الصوف والشعر ، لكن الشأن
 فى الرضاء بالقضاء والقدر . وقال عبد الله بن مسعود : لئن أحس جرة أحرق ما أحرق
 وأبقت ما أبقت أحب إلى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن ، أو لشيء لم يكن
 ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال : أنى لارحمك من هذه
 القرحة ، فقال انى لا شكرها منذ خرجت اذلم تخرج فى عيني . وقال الثورى يوما عند
 رابعة العدوية : اللهم ارض عنا ، قالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضاء وأنت
 عنه غير راض : فقال استغفر الله . فقال جعفر بن سلمان : متى يكون العبد راضيا عن
 الله ؟ قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ، وعن الفضيل إذا استوى
 عنده المذم والعطاء فقد رضى عن الله تعالى ، عن احمد بن أبى الحوارى قال أبو
 سليمان الداراني أن الله من كرمه قدرضى من عبيده بما رضى به العبيد من مواليهم قلت كيف
 ذلك ؟ قال ليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاة قلت نعم ، قال أن محبة الله
 من عبيده أن يرضوا عنه ، وقال بعض السلف : من حسن الرضاء بالقضاء ان لا

ثُمَّ الشُّكْرُ يَجْمَعُهُ عِرْقَانِ النَّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ وَالْفَرَحُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ

يقول هذا يوم حار أو يوم بارد في معرض الشكاية . وقول القائل : الفقر بلاء ومحنة ، والعيال هم وتعب ، والاحتراف كد ومشقة وكل ذلك قادح في كمال الرضا بالقضاء ، فمن عمر رضى الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدرى ليهما خير لي . وعن ابن مسعود أنه قال الفقر والغنى مطبتان لا أبالي أيهما ركب إن كان الفقر ففيه الصبر ، وإن كان الغنى ففيه البذل وانما لم يقل ففيه الشكر إيماء إلى أن الفقر أنضل من الغنى وإشارة إلى أن الغنى من غير البذل مذموم عند أهل الفضل والعدل هذا وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل المقامات الثلاثة : رجل يحب الموت شوقا إلى الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وأرضى بما يختاره الله لي . ورفعت هذه المسألة إلى بعض الفارسيين فقال : صاحب الرضاء أفضل لأنه أقلمهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط ، فقال سفيان الثوري : كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم ، واليوم وددت أني مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال : لما اتخرفت من الفتنة ، فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال : لم لي اصادف يوما اتوب فيه ، وأعمل صالحا . فقال لو هيب أي شيء تقول ؟ قال : أبا لا اختار شيئا ، أحب ذلك إلى الله أحبه إلى فقيل الثوري بين عينيه فقال : روحانية ورب الكعبة . ويؤيده الدعاء المأثور اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر ، (ثم الشكر يجمعه) ثلاثة أشياء (عرفان النعمة من المنعم) وهذا علم يصدر عن اعتقاد أن كل ما في العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وفي دعائه عليه السلام « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » (والفرح به) أي بالمنعم الحاصل بالنعمة لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الأدنى ، بل من حيث أنها وسيلة إلى القرب من المولى والنظر إلى وجهه الأعلى ، فهذا هو الرتبة العليا ، وعلامته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ، ويحزن بكل نعمة تلميه عن طريق الهدى وهذا حال (واستعمالها) أي صرف النعمة (في طاعته) أي طاعته دون معصيته للمنعم ، وهذا عمل . وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لأروية النعمة . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة . وقال الخواص : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهي رتبة

وَلَا يَدُّ مِنْهُ لَا سُدَامَةَ النِّعْمَةِ فَوَرَدَ (فَكَفَّرْتَ بِالنِّعْمِ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وَإِنْ النِّعْمَ أَوْ أَيْدٍ فَقِيدُوا بِالشُّكْرِ وَاسْتِزَادَتْهَا فَوَرَدَ
(لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ - وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى)

لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات ، وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات ،
فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة القويم الا بذل الله ومعرفة من حيث الذات
والصفات ، وأما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بكل الطين
ويختاره على السكتنجبين ، وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء
المررة حتى قيل :

ومن يك ذا فم مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

(ولا يد) للعبد (منه) أى من الشكر (لا سدامة النعمة) أى لطلب دوام النعمة
وبقائها (فورد) فى التنزيل (وكفرت) صوابه فكفرت كما فى نسخة وصدر الآية
(وضرب الله مثلا قرية) أى مكة (كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقا رغدا) أى واسعا (من
كل مكان فكفرت) أى أهلها (بانعم الله) أى بتكذيب رسوله (فأذاقها الله لباس الجوع)
أى القحط سبع سنين (والخوف) أى الرعب من المسلمين (بما كانوا يصنعون
وان) أى وورد فى الحديث (أن النعم اوابد) أى وحشيات متفرات كصيد شوارد
(فقيدوها بالشكر) وقد قيل الشكر قيد النعمة المرجودة وصيد المنحة المفردة، كما
يشير اليه قوله (واستزادتها) أى واطلب زيادة النعمة (فورد) فى التنزيل (لن
شكرتم لازيدنكم) تمامه (ولن كفرتم أن عذابي لشديد) (والذين اهتدوا)
بالايمان وترك الكفر واداء الشكر (زادهم هدى) أى هداية على هدايتهم ،
وعناية على رعايتهم .

ثم أعلم أن لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكر ايلق به من عمل
الطاعة وترك المعصية ، واعظمها شكر الجنان ، واظهرها شكر اللسان . وقد قال عليه السلام
لرجل : كيف اصبحت؟ فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال فى الثالثة بخير
أحمد الله واشكره ، فقال عليه السلام هو الذى اردت منك ، رواه الطبرانى فى الدعاء من
رواية الفضل بن عمرو مرفوعا ، وهذا معضل . وفى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن

وَأَيْضًا إِذَا أَرْسَلَ مَلِكٌ فَرَسًا وَثُوبًا وَزَادًا إِلَى عَبْدٍ لِيَجِيءَ إِلَيْهِ وَيُنَالَ حَظَّ الْقُرْبَةِ
مَعَ اسْتِغْنَاءِ الْمَلِكِ عَنْهُ فَاسْتَعْمَلَ فِي الْبُعْدِ عَنْهُ أَوْ أَهْمَلَ أَوْ مَكَّنَ عَبْدًا عَلَى بَسَاطِ
الْقُرْبَةِ فَاشْتَغَلَ الْعَبْدُ عَنْ خِدْمَتِهِ مُلْتَفِتًا إِلَى خَسِيسٍ فِي حَرْفَتِهِ يَسْأَلُهُ

عمر ووايس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك . وكان السلف يتساءلون ويتهم استخراج
الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، فكل عبد يسأل عن
حاله فهو بين ان يشكرو بين ان يشكو ، وبين ان يسكت ، فالشكر طاعة صحيحة ، والشكوى
معصية قبيحة . وكيف لا تقبح الشكوى من المولى وهو مالك الملوكة ؛ ويده كل شيء
الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالا حري بالعبد أن لم يصبر على البلوى ويفضيه
الضعف الى الشكرى أن تكون شكواه الى المولى ، فهو المبلى وهو القادر على ازالة
البلاء ؛ وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى الى غيره ذل ، واظهار الذل للعبد مع كونه
عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فقد روى ان
وقدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر الكبير الكبير ، فقال
يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسنة لكان في المسلمين من هو اكبر منك ، فقال تكلم ، فقال
لسنا وفدا لرغبة ولا وفد للرغبة ، اما الرغبة فقد اوصلها اليها فضلك ، واما الرغبة فقد آمتنا
منها عدلك . وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان ونصرف (وايضا) بما يدل
على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل
مثال ، وهو ان يقال (اذا ارسل ملك) عظيم (فرسا وثوبا وزادا الى عبد) بعيد
عن قرب (ليجيء اليه) راجيا لابس منعه عليه (وينال حظ القربة) اي ويلقى حظ
قرب الملك لديه (مع استغناء الملك عنه) وكمال احتياج العبد منه (فاستعمل) الفرض
والزاد (في البعد عنه) أي عن حكمه وفي سفر المخالفة من قرب (او أهمل) أمره
ونسى قدره ، وجلس في محله ، ولم يستعمل لافي قرب ولا في بعده (او مكن) اي واذا
اقدر (عبدا على بساط القربة) وامكنه من الانبساط في بساط عدم الكربة (فاشتغل
العبد عن خدمته) اي خدمة الملك وعن المآتي الى حضرته (ملتفتا الى خسيس في
حرفته) من دباغ وكناس . وسيس دابة (يساله) اي يطالب العبد من ذلك الخسيس

كِسْرَةٌ رَغِيفٌ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ وَسَلْبُ النِّعَمَةِ

(كسرة رغيف) باظهار فاقتة وحرقة في حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منها (يستحق المقت) اى كمال الغضب (و) يقتضى (سلب النعمة) وجلب النعمة وادامة العقوبة والطرده عن الخدمة والبعد عن الحضرة. وتوضيحه ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة ، وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك ان تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان ، أحدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى فى خدمته ، والثانية ان لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه ، بل حضوره لا يزيد فى ملكه ، فكان غيبته لا تنقص من ماله ، فيكون قصده من الانعام عليه بالمر كوب ونحوه ان يحظى العبد بالقرب منه فى مقابلة خدمته ، وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به بانتفاعه . فتنزل العباد من الله فى الميزة الثانية لا فى الميزة الاولى ، فان الاولى محال على الله والثانية غير محال .

ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقوم بخدمته التى ارادها الملك منه ، وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا أو كافرا ، فيكون شكره بان يستعمل ما انفعده اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه ، وكفره بان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ، فهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه ، اذا استعمل نعمته فى سبيل محبته اى فيما احبه لعبده لالنفسه ، وأن ركبته واستدير حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لالنفسه ، وان جلس ولم يركب لافى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون ماله بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل أبدانهم بها فيعبدون عن حضرة بسببها ، وإنما سعادتهم فى القرب منه ، فاعد لهم من النعم ما يقدرون

وَالْفَارِقُ يَنْ مَحْبُوبِهِ تَعَالَى وَمَبْغُوضِهِ لِلْفَعْلِ وَالتَّركُ الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
وَالِاسْتَبْصَارُ وَالضَّابِطَانِ الْمَوْصِلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ مَحْبُوبُ اللَّهِ وَالشَّاعِلُ عَنْهُ
مَبْغُوضُ اللَّهِ ثُمَّ النِّعْمَةُ أَمَادِنِيوِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السُّوِيَّةِ وَالْمَلَاذُ الشَّهِيَّةُ وَصَرْفُ الْمَفَاسِدِ
وَالْمَضَارِّ وَأَمَّا دِينِيَّةٌ كَالْتَوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْحِفْظِ

على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى فقال (لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) الآية فاذا انعم الله بالات يترقى بها العبد عن اسفل سافلين خلقها
الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادات القرب ، والله سبحانه غنى عنه قرب أو بعد
منه ، والعبد فيه بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين
أن يستعملها في المعصية فقد كفر لاقتحافه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فان الله
لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وان عطاها فلم يستعملها لا في طاعة ولا في
معصية فهو أيضا ككفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما
خلقها آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب من المولى ، فكل مطيع
فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملتها ، وكل كسلان ترك
الاستعمال ، أو عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله ،
فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لا تشتملها المحبة والكرامة بل رب مراد محبوب ورب
مراد مكروه ووراد بيان هذه الدقة سر القدر الذي منع من افشائه صونا للحقيقة (والفارق
بين محبوبه تعالى ومبغوضه) عزو علا (للفعل) محبوبا ومبغوضا (والتارك)
كذلك العلم بالكتاب والسنة فانها كفتا ميزان العدالة (والاستبصار) أى برؤية
كما في نسخة ، أى والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتامل في النقل (والضابط)
لما يحبه الله وما يبغضه (أن الموصل) للعبد (الى معرفته) أى الله تعالى (ومحبه محبوب
الله) فينبغى استعمال النية فيه (والشاغل عنه) أى والمانع عما ذكر من المعرفة
والمحبة (مبغوض الله) فيجب عدم استعمال النية فيه (ثم النعمة أَمَادِنِيوِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السُّوِيَّةِ
وَالْمَلَاذُ الشَّهِيَّةُ) من المطالبات النفسية (وصرف المفسد والمضار) البدنية
بالات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر أو بهرب من الشر (وأَمَادِنِيَّةٌ
كَالتَوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ) في حق الانبياء (والحفظ) في حق الأولياء

عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ لَا يَصَالُهَا إِلَى السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الشَّقَاوَةِ
السَّرْمَدِيَّةِ وَاشْتِرَاكِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَوِيَّةِ وَاعْتِنَامِ الْإِبْرَارِ زَوَالَهَا وَطَلَبِ الْإِحْصَاءِ
تَوْقِعِ الْمَحَالِ فُورَدَ (وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) وَالطَّرِيقُ الْمَعْرِقَةُ وَالتَّفَكُّرُ
فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى وَالنَّظَرُ إِلَى الْآدَنِيِّ فُورَدَ «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي
الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا وَشَاكِرًا»

(عَنِ الْمَعْصِيَةِ) مَعَ الْقُدْرَةِ أَوْ عَدَمِهَا فَإِنَّ مِنَ الْعَصِيَةِ أَنْ لَا يَقْدِرَ (وَهِيَ) أَيِ
النِّعْمَةِ الدِّينِيَّةِ (أَعْظَمُ) قَدْرًا مِنَ النِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ (لَا يَصَالُهَا) أَيِ لِتَبْلِيغِ النِّعْمَةِ
الدِّينِيَّةِ (إِلَى السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ) الَّتِي لَا غَايَةَ لَهَا (وَالْإِنْجَاءَ) أَيِ الْخِلَاصَ (عَنِ
الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ) الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا (وَاشْتِرَاكِ الْكُفَّارِ) مَعَ الْإِبْرَارِ (فِي
الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدُّنْيَا مَبْغُوضَةٌ لِسُرْعَةِ فَنَائِهَا وَكَثْرَةِ غَنَائِهَا وَخَسْفِ شَرَفَاتِهَا) (وَاعْتِنَامِ الْإِبْرَارِ
زَوَالَهَا) أَيِ فَقْدِ النِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ خَوْفًا مِنْ تَقْصَانِ النِّعْمَةِ الْآخِرِيَّةِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُجْتَهِدِينَ:
وَرُودُ الْفَاقَاتِ أَعْيَادُ الْمُرِيدِينَ وَ (طَلَبِ الْإِحْصَاءِ) لِنِعْمِ اللَّهِ وَعَدَهَا (تَوْقِعِ الْمَحَالِ) وَتَمَنِّيَةِ
لِعَدَمِ طَاقَةِ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ الْمَحَالِ (فُورَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (وَأَنْ تَعْدُوا) أَيِ تَرِيدُوا أَنْ تُحْصُوا
(نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) أَيِ لَا تُطَبِّقُوا إِحْصَاءَهَا وَعَدَهَا فَضْلًا عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا مِنْ شُكْرِهَا.
وَقَدْ قِيلَ: الْإِنْفَاسُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ نَفَسًا، وَفِي كُلِّ نَفَسٍ نِعْمَتَانِ فِي حُصُولِهَا
بِاعْتِبَارِ طُلُوعِهَا وَنُزُولِهَا (وَالطَّرِيقُ) الْمَقْصُودُ إِلَى الشُّكْرِ ثَلَاثَةٌ (الْمَعْرِقَةُ) لِنِعْمِهِ
سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ أَوَّلُوهُ أَمِنْ النَّظَرِ فِي أَحْوَالِهِ لَرَأَى مِنْ اللَّهِ نِعْمَةً أَوْ نِعْمًا كَثِيرَةً
تَخْصُهُ لَا يَشَارِكُ فِيهَا عَامَّةُ النَّاسِ، بَلْ يَشَارِكُهُ عَدَدٌ يَسِيرُ مِنْهُمْ، وَرَبَّمَا لَا يَشَارِكُ فِيهَا
أَحَدٌ (وَالتَّفَكُّرُ فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى) مِنَ الْإِنْفَسِيَّةِ وَالْإِفَاقِيَّةِ، وَاحْسَانَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ (وَالنَّظَرُ إِلَى الْآدَنِيِّ) فِي الْمَرْتَبَةِ الْمَعِيشِيَّةِ وَالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ (فُورَدَ
مِنْ نَظَرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونَهُ) فِي الْمَرْتَبَةِ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ (وَنَظَرَ فِي الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ)
مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ (كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا) بِالنَّظَرِ الثَّانِي (وَشَاكِرًا) بِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ
فَتَأْمَلْ . وَالحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو، وهو في الصحيحين بلفظ
«انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
عليكم»، أي لا تحقروها . وللعسكري عن أنس مرفوعاً «من نظر إلى ما في أيدي الناس

طال حزنه ولم يشف غيظه » وحكى عن بعضهم أنه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما أعطاه من نعمه، فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد الله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة، لاسيما من خص بالسنة والايامن والعلم والقرآن، ثم بالفراغ والصحة والامان، ولذا قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيع به في دينه ثم في دنياه اقبالا

فلينظرن الى من فوقه ورعا لينظرن الى من دونه مالا

وقال عليه السلام « أن القرآن هو الغني الذي لا غنى بعده ولا فقر معه » رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس . وقال عليه السلام « من آتاه الله حفظ كتابه نظر أن احدا اوتي أفضل مما اوتي فقد صغرا عظم النعم » رواه البخاري في تاريخه . منه « فقد استهزا بآيات الله » وعن الصديق « من اوتي القرآن نظر أن احدا اوتي أفضل منه فقد حقر عظيمًا وعظم حقيرا » وقال عليه السلام « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أي لم يستغن ، وقد سبق . والكل مقتبس من قوله سبحانه (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم) وقال بعض السلف : يقول الله أن عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد آتممت عليه نعمتي ، عن سلطان يأتيه - فيه احتمالان - وطبيب يداويه ، وعما في يداخيه ، وعبر الشاعر عن هذا بقوله :

إذا القوت عندك والصحة والامن هـ وأصبحت محزوننا فلا فارقك الحزن

بل أنصح العبارات وأماح الاشارات **ك**لام أنصح من نطق بالاضاد ، حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله « من أصبح آمنا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا » أي جمعت . والحديث قد تقدم . قال في الاحياء : وهما تأملت الناس ظهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراه هذه الثلاث ، مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والمالك العظيم ، بل البصير يذبح أن لا يفرح الا بالمعرة واليقين والايامن ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال وأتباع وأنصار ، وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به الى قربه سبحانه في الآخرة ، بل لو قيل له : لك ما ترجوه في الآخرة بديها له فخذ هذه الازيات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمَكِّنُ الشُّكْرُ وَالْعَبْدُ يَعْبُرُ عَنْهُ الْإِبْتَوَافِيَّةَ وَهُوَ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا
إِلَى أَنْ يَتَسَلَّلَ قُلْتُ التَّحْقِيقُ لِمَنْ بَلَغَ مَقَامَ الْفَنَاءِ أَنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمَشْكُورُ فَوَرَدَ « لَا
أَحْصَى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »

به قبل العقبي لكان لا يأخذه ، لعلمه بازمنة العلم دائمة لا تنقطع ، وثابتة لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقلع ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها
ناقصة مكدره مشوشة لا يقي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بالمها ، ولا فرحها بغمها
هكذا يرى إلى الآن ، وهكذا يكون إلى آخر ما بقي من الزمان ، اذ ما خلقت لذات
الدنيا إلا لتخدع بها العقول الناقصة ، حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليهم
واستهنت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزين للشباب العشيق ، الغبي حتى
اذا تعاقب بها قلبه احتجبت عنه ، فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم ، وكل ذلك
لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ، ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم
في جميع عمره ، فهكذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغي أن يقول
أن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها
وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها . وتألم المعرض عنها يفضي إلى
اللذة في الأخرى وتألم المقبل عليها يفضي إلى العسر في المعاقبة . فليقرأ المعرض عن الدنيا
على نفسه قوله تعالى (ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون) ،
(فان قلت كيف يمكن الشكر) لله (والعبد يعجز عنه) أي عن شكر
الله (الا بتوفيقه) لشكره (وهو) أي والحال ان توفيقه لشكره (نعمة تستدعي
شكراً) آخر (الى ان يتسلسل) فيصير الشكر محالاً (قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء
عن نفسه والبقاء بربه) (أن الشاكر) الذي (هو) الشكور (المشكور) وأن المثني
هو المثني عليه (فورد) في الحديث المشهور (لا احصى ثناء عليك) أي لا اطيق
الحمد والشكر على نعمك (أنت كما أثنت على نفسك) وحاصله أن الاعتراف بالعجز عن
الشكر عين الشكر ، وأنشد العجز عن درك الادراك ادراك :

كما حقق في توحيد الذات حيث قال تعالى : (ولا يحيطون به علماً) (ليس كمثل
شيء) وقال علي : ما خطر ببالك فالله غير ذلك . وقالت الملائكة (سبحانك لا علم
لنا إلا ما علمتنا) ويوم يجمع الله الرسل فيقول ما اذا اجبتم قالوا لا علم لنا) وقيل

في معنى قول بعض السلف : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أى من عرف نفسه
بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . وتوضيح
السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذى هو
لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب : هو أن جميع ما تعطاه
باختيارنا من أنواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هى نعمة اخرى من الله تعالى
وبالشكر اخرى ، اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر أمورنا التى
هى اسباب سكوتنا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه ، فكيف نشكر
نعمته بنعمته ، ولو اعطانا الملك مركباً فاخذنا مركباً آخر له وركبناه ، او اعطانا
مركباً آخر لم يكن الثانى شكراً للاول منا ، بل كان الثانى يحتاج الى شكر آخر يحتاج
الاول ، ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى ، فيؤدى الى أن يكون الشكر محالاً في حق الله
تعالى من هذين الوجهين ، ولسنا نشك في الامرين ، وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع ؟
فاعلم أن هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليهما السلام فقال : يا رب
كيف اشكرك وانا لا استطيع أن اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك ، وفي لفظ آخر وشكرى
لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك ، فارحم الله تعالى اليه : اذا عرفت هذا
فقد شكرتني . وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضية بذلك منك شكراً والتحقق
في مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين : نظراً بعين التوحيد المحض ، وهذا
النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من
عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك الا وجهه ، ومن هنا قول لبيد

الابل شيء ما خلا الله باطل

وقول بعض ارباب الشهود : سوى الله والله ما في الوجوده وقول بعض الابرار
ليس في الدار غيره ديار

وذلك أن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود
له بل هو محال ان يوجد ، اذ الوجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام
فليس له بنفسه وجود ، بل قائم بغيره فهو موجود بغيره ، فان اعتبر ذاته ولم يلتفت
الى غيره لم يكن له وجود البتة ، وانما الموجود هو القائم بنفسه ، والقائم بنفسه هو الذى
اذا قدر عدم غيره بقى موجوداً . فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو
قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت في هذا المقام علمت
ان الكل منه مصدره ، واليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكّر ، وهو المحب

وهو المحبوب ، ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ
 (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) فقال واجياه اعطى وأثنى . اشار الى انه اذا اثنى
 على عطائه فعلى نفسه اثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه ، ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد
 الميمنى حيث قرىء بين يديه (يحبهم ويحبونه) فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم
 فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه ، اشار به الى ان الحب هو المحبوب ، وهذه رتبة
 عالية ومنزلة غالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ، فيقال ان المصنف اذا
 احب تصنيفه فقد احب نفسه ، والصانع اذا احب صنيعته فقد احب نفسه ، وكل
 ما فى الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنيعته ، فان أحبه فما احب الا نفسه
 واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب . وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق
 التفريد . وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه عن غير الله
 فلم يرفى الكون الا الله ، وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية لنص المعية
 كما بينته فى رسالة المرتبة الشهودية فى المنزلة الوجودية ، فهذا احد النظريين وأما النظر
 الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ، ولو
 عرف اعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث أوجد
 لا من حيث وجد ، وفرق بين الموجد وبين الموجد . وليس فى الوجود الا موجود
 واحد وموجد . فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل ، والموجود قائم
 وقيوم ، والموجد هالك وفان ، فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال
 والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة فى مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين
 داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ، ومعناه ان لا ترى الا الله الواحد
 القهار . فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون ، والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى
 غائلون كما قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اذ عبدة الاوثان قالوا
 ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زافى) ركانوا داخلين فى اوائل التوحيد دخولا ضعيفا .
 والمتوسطون وهم الكثيرون ففهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح لهم
 حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا
 ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل :

كل الى شأو العلا حرثاته ولكن عزيز فى الرجال ثباته

ولما أمر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه (واسجد واقترب) قال فى سجوده
 « اعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك لا احصى ثناء

وَاخْتَلَفَ فِي وُجُوبِهِ فِي الْمَصَائِبِ وَالْحَقُّ الْوُجُوبُ عَلَى أَنْ لَا يُصِيبَ أَكْبَرَ مِنْهَا
وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي الدِّينِ

عليك أنت كما أثبت على نفسك « فقله عليه السلام : أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن
مشاهدة فعل الله فقط ، وكان له لم ير الا الله و أفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ، ثم اقترب ففنى
عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات ، فقال : أعوذ برضاك
من سخطك ، ثم رأى ذلك نقصا ما فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات
الى مشاهدة الذات فقال : أعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ،
ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ، ومستعيذا به ومثليا عليه ، ففنى عن مشاهدة نفسه
اذ رأى ذلك نقصا ما فى مقام أنسه فاقترب فقال لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك ، فقله : لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها وقله أنت كما أثبت
على نفسك بيان أنه هو المثنى وهو المثنى عليه ، وأن الكل منه بداو اليه يعود ، ولقد كان
عليه السلام لا يرقى من مرتبة الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية
فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ، كما قال : أنه ليغان على قلبي فى اليوم والليلة حتى
استغفر الله سبعين مرة ، فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض فى مقام
الوحدة ومشاهدة الاثر : هذا وما من مقبول الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب
من تسلط العلم والخوف عليه ، وما من مخدول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسلط
الغفلة والغرور عليه ، فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار
قهرا ، ولا قاهر الا الله الواحد القهار ، ولا قادر الا الملك الجبار . وهذا معنى قوله : خلقت
هؤلاء للجنة ولأبالي و خلقت هؤلاء للنار ولأبالي » (واختلف فى وجوبه) أى الشكر
(فى المصائب والحق الوجوب) بناء على ستة اشياء (على أن لا يصيبا كبر منها)
أى من تلك المصيبة التى أصابته اذ مقدورات الله لا تنتهى فلو ضعفها الله
وزادها ماذا كان يردّها عما ارادها . وكان يقول شيخنا العالم النقى على المتقى : اذا اخذ
عمامتك فتصدق بالخلاصة بسلامة رأسك . فالمصيبة المالية أهون من المصيبة
البدنية (وأن لا تكون) المصيبة (فى الدين) فقد قال رجل لسهل : دخل اللص
بيتى وأخذ متاعى ، فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد
ماذا كنت تصنع وقد ورد فى دعائه عليه السلام « لا تجعل مصيبتنا فى ديننا » وقال عمر

وَأَنْ تَعْجَلَ عِقُوبَتَهَا وَلَا تُدَخِّرَ لِلْآخِرَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ آتِيَةً فَفَرَّغَ مِنْهَا وَأَنْ ثَوَابَهَا خَيْرٌ مِنْهَا

رضى الله عنه : ما ابتليت ببلاء الا كان لله على فيه أربع نعم : اذ لم تكن في ديني، ولم تكن اعظم منها واذ لم أحرم الرضاء واذ رجوت الثواب عليها (وان تعجل عقوبتها) بصيغة المجهول أى عقوبة المصيبة في الدنيا (ولا تدخر للآخرة) فلعلذاب الآخرة أشد وأبقى، اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى . اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية في الآخرة عن الممدين . وأيضا مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة ، ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانية في العقبى لقوله عليه السلام « اذا اذنب ذنبا فاصابه شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم أن يعذبه ثانيا في العقبى » كذا في الاحياء . وقال طحرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث علي « من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده » ولاحمد والطبرانى بإسناد صحيح من رواية الحسن البصرى « عن عبد الله بن مغفل أن رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلما هم تركها ، فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فآثر في وجهه ، فأتى النبي عليه السلام فاخبره ، فقال عليه السلام : اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا ، وقال علي كرم الله وجهه : الا أخبركم بارجى آية في كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى فقرأ عليهم (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) والله در القائل

لعمرك ما كالشكر دافع زيادة ولا عوضا فالصبر عند المصائب

(وانها) أى ولان المصيبة الماحية (كانت) في التقدير (آية) لا بد من وصولها اليه وقد وصلت (ففرغ منها) وتخلص عنها فهي نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) (وأن ثوابها) أى المصيبة (خير منها) أى من عدمها فاما من شيء يقع للعبد الا ويتصور أن يكون له فيه ذخيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبتليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلاء اذ اثاروا ثواب البلاء ويتمنوا أنه كان يقرض ابدانهم في الضراء فقد روى أن رجلا قال له عليه السلام اوصني ، فقال « لاتهم الله في شيء قضاء عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة . وقال عليه السلام وعجا لامر المؤمن أن أمره كله

وَأَنَّهَا تُنْقِصُ مِنَ الْقَلْبِ حُبَّ الدُّنْيَا فَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ نَعَمٌ إِذَا لَا تَخْلُو عَنْ تَكْفِيرِ
لِلْخَطِيئَةِ أَوْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ أَوْ رَفْعِ لِلدَّرَجَةِ وَقِرَاءَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ
لِطَلْبِ الْقَنَاعَةِ أَوِ الْعِدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ دُونَ وَسْعَةِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا قُرِئَتْ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ

له خير وليس ذلك لاحد الا للؤمن ان اصابته سرا مشكرك فكان خير الله وان اصابته ضررا صبر
فكان خيرا له ، رواه مسلم (وانها) أى ولان المصيبة (تنقص من القاب حب الدنيا)
فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد في الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، رواه مسلم
من حديث ابي هريرة (فهي) أى المصائب (في التحقيق نعم) يجب لاهل التوفيق
الشكر عليها (اذ لا تخلو) المصيبة (عن تكفير للخطيئة) ان كان من المتبتئين
(اورياضة للنفس) لما فيها من المحنة والبليّة ان كان من المتوسطين (ارفع للدرجة)
ان كان من المنتهين . والاعبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله
عليه السلام : من يرد الله به خيرا يصيب منه ، رواه البخاري من حديث ابي هريرة
: ولان ابي الدنيا من حديث ابي سعيد الخدري : ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي
وسقم جسدي ، فقال : لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ، ان الله تعالى اذا
أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ، ولان داود : ان الرجل لتكون له الدرجة عند
الله لا يبالغها بعمل حتى يتلى بيلاه في جسمه فيبلغها بذلك ، (وقراءة سورة الواقعة)
مبتدأ (في ايام العسرة) ظرف والخبر (لطلب القناعة) أى قناعة القلب ، وهو ان
لا يشغله شاغل عن حضرة الرب : وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم بالشكر
على المصيبة وأثبتتم انها في التحقيق من النعمة ، فقرأة السلف سورة الواقعة كل ليلة
في ايام العسرة لاى معنى كانت ؟ فاجاب بما تقدم . وقد اخرج ابن عسار في فضائل
القرآن . وأبو يعلى وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في شعب الايمان عن ابن
مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه الفاقة ، واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أنه قال : سورة الواقعة سورة الغنى فاقربوها واعلموها اولادكم ،
(او العدة) أى الاستعداد (على العبادة دون وسعة الدنيا) لان السلف لم يكونوا
محبين لوسعتها (وانما قرئت) السورة (لما ورد فيها) أى في فضلها (من الاخبار

وَالْآثَارَ وَالْأَفْلَاقَ بِحَمْدِهِ تَعَالَى بِالشَّدَةِ فَهُمْ كَانُوا يَغْتَمُونَهَا وَأَمَّا نِدَاءُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلِيَّانِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الصَّبْرِ وَجَزِيلِ جَزَائِهِ لِقَرِينَةٍ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَوْ لِبُلُوغِ الْمَرَضِ إِلَى الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ الْمَقُوتِ لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ أَوْ الْعَجْرِ عَنْ أَقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ لَانْقِطَاعِ الْوَحْيِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَمَّا وَرَدُ الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَالنَّهْيِ عَنْ سُؤَالِ الْبَلِيَّةِ

وَالْآثَارَ (الآثار) كما سبق (والأفلاق) أي وأن لم يحمل على ما تقدم (فلا مبالاة بحمده تعالى) للسلف (بالشدة) أي بالبلاء والمحنة (فهم) أي السلف (كانوا يغتمونها) أي الشدة والبلاء أكثر مما كانوا يغتمون الراحة والذهاب (وأما نداء أيوب عليه السلام) (رب اني مسني الضر) (فليان الشكر) واظهاره (على نعمة الصبر) لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك لحدث) (وجزيل جزائه) أي وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه (لقريته) وأنت أرحم الراحمين (وذلك لأن الله تعالى ساطع بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة أصفياه فهو أفضل من الله ومن جملة عطائه، فشكر عليه وتبجح لديه وأشار إليه بقوله مسني الضر الذي تخص به أنبياءك وأوليائك بلا استحقاق مني بل بكرم منك فانك أرحم الراحمين) (أولبلوغ المرض إلى العقل) أي القلب (واللسان المقوت) ذلك المرض (للمعرفة) بالجنان (والذكر) باللسان (أو العجز عن إقامة الصلاة) بتمام أركانها (أولا نقطاع الوحي أربعين يوما) ومقام الفترة في غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام أن يرمى نفسه عن الصخرة، ولذا قيل: الحجاب أشد العذاب (وأما ورد الأمر بسؤال العافية) في الأحاديث الثابتة الوافية لما رواه الترمذي من قوله عليه السلام «ما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسئل العافية» ولا بن ماجه عن انس مرفوعا «سئل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت» ولاحمد والترمذي عن أبي بكر وسئلوا الله العفو والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية (والنهي عن سؤال البلية) فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين فقال «أما هؤلاء كانوا يسألون الله العافية» رواه الترمذي، وقال علي رضي الله عنه: اللهم أني أسئلك الصبر، فقال عليه السلام

لَآنَ الْاَوَّلَى سُوَالُ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابِ الشُّكْرِ فِي الْآخِرَةِ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى
عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الْاَجْرَ الْجَزِيلَ عَلَى الشُّكْرِ مَا يُعْطَى عَلَى الصَّبْرِ، وَأَمَّا مِثْلُ :

فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ * فَكَيْفَ مَاشَيْتَ فَاخْتَبَرْنِي

وَقَوْلِ الْآخِرِ: أَرِيدُ وَصَالَهِ وَيُرِيدُ هَجْرِي * فَأَتْرُكُ مَا أَرِيدُ لَمَّا يُرِيدُ

فَكَلَامُ الْعُشَّاقِ فِي حَالِ الْغَلْبَةِ وَهُوَ يُطْوَى وَلَا يُرَوَى

« لقد سألت الله البلاء فسله العافية » رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى باسناد جيد
عن أبى بكر الصديق أنه عليه السلام قال « سلوا الله العافية فما أعطى عبد أفضل
من العافية الا اليقين » وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك ، فعافية
القلب اعلى من عافية القالب (لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا) فان تمامها
بعافية البدن فيها (وثواب الشكر) أى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء (فى الآخرة
لقدرته تعالى على أن يعطى الاجر الجزيل على الشكر) على نعمة رفع البلاء (ما يعطى
على الصبر) على محنة البلاء ، ومن هنا قال عليه السلام « ولكن عافيتك اوسع » كما رواه
ابن أبى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف . وقال طريف بن عبد الله :
لان اعا فى فاشكر احب الى من أن ابلى فاصبر . (وأما) ما يرد على قوله والنهى
عن سؤال البلية (مثل) قول سمنون المحب :

فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَ مَاشَيْتَ فَاخْتَبَرْنِي

وَقَوْلِ الْآخِرِ أَرِيدُ وَصَالَهِ وَيُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أَرِيدُ لَمَّا يُرِيدُ

(فكلام العشاق فى حال الغلبة) من الاشواق (وهو) أى مثل هذا الكلام
حين يجرى (يطوى ولا يروى) لان صاحب الحال لا يقتدى به .

ومن اللطائف ما حكى أن فاختة كانت يرادها زوجها فتمنعه ، فقال ما الذى بمنعك
عنى ولو اردت أن اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك ، فسمعه سليمان
فاستدعاه وعاتبه على ما جرى ، فقال يابى الله : كلام العشاق يسمع ولا يحكى .

ثم اعلم أنه حكى أن سمنون بلى بعد هذا البيت بعلقة الحصر ، فكان بعد ذلك يدور
على أبواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعنكم الكذاب ، ومن هذا القليل ما قال

وَفِي أَنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلُ أَمِ الصَّابِرِ ؟

بعضهم : اودان أكون جسراً على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار ، لأن محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق غير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلوزايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها فما أيسر الدعوى وما أيسر المعنى ، وأما قول الشاعر : أريد وصاله البيت فهو أيضاً محال اذ معناه اني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذي لم يردده كذا قرره الامام حجة الاسلام ، ولا يبعد أن يقال في البيت الثاني انه أراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله ، وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصلاً او هجراً قريباً او بعيداً كما يشير اليه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) وقول السلف : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي هذا المقام قال أبو يزيد البسطامي لما قيل له ماتريد : أريد ان لا اريد غاية انه قال صاحب منازل السائرين : هذه ايضاً ارادة ، ونوقش بان هذه ارادة مطلوبة وبانها داخلة في قوله لا اريد . والحاصل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء ، وأما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ، ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شظية لذة ولو كان في ضمن الدعوى لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة ((وفي)) أي واختلف أيضاً في ((ان الشاكر)) الغنى ((افضل أم الصابر)) الفقير ، وأما الفقير الصابر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقاً فقد قال قائلون : الصبر افضل من الشكر ، وقال آخرون : الشكر افضل من الصبر ، وقال جماعة : هما سيان لقوله عليه السلام : الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويا ان اذالعلم خير من العمل . وقالت طائفة : يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منها واختاره الجلال السيوطي والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم : ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ، ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم ، وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عاياه اشياء تالم صفته وتمتصها وتلذذها والفقير ان يصحبه فيما عاياه اشياء تالم صفته وانقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنان قائمين بالله عز وجل بشروط

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ أُريدَ مَا كَانَ بَتَلَذُّ فَلَا تَعُدُّ وَهُوَ عَلَى الْبَلَاءِ خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى الرَّخَاءِ
وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَفْضَلِ مَا أَوْتِيَهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ «يُوتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِأَشْكَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَجْزِيهِ اللَّهُ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَيُوتَى بِأَصْبَرَ أَهْلِ
الْأَرْضِ فَيَقَالَ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ نَجْزِيكَ كَمَا جَزَيْنَا هَذَا الشَّاكِرَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ
فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَّ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ فَشَكَرُوا بِتِلْكَ فَصَبَرْتَ لِأَضْعَفَ لَكَ الْأَجْرَ

ما الذي كان آلم صفته وازعجها أتم حالا بمن متع صفته ونعمها . ويقال كان
أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك فقال : الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر ،
فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قبل أولاده وتلف أمواله وزوال
عقله أربع عشرة سنة ، ويقول دعوة الجنيد أصابني ورجع إلى تفضيل الفقير
الصابر على الغنى الشاكر . هذا والشاكر الذي يشكر على الموجود ، والشكور الذي
يشكر على المعبود ، ومن هنا قوله سبحانه (وقليل من عبادى الشكور - انه كان عبدا
شكورا) وقوله عليه السلام «أفلا أكون عبدا شكورا» وأما الشكور من اسمائه
عز وجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل (والحق) فى المسألة (انه)
أى الشأن (ان أريد) بالصبر (ما كان) من الصبر (بتلذذ فلا تعدد) كما سبق بيانه
ان الصبر حيث هو الشكر (وهو) أى الصبر المطابق من غير التلذذ الملاحق (على البلاء
خير منه على الرخاء) كما مر فى كلام الجنيد من طريق الأئمة (وهو) أى وهذا
الصبر هو (المراد بما ورد من افضل ما أوتيتهم اليقين وعزيمة الصبر) وقد تقدم (يوتى
يوم القيمة بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكر بن ويوتى بأصبر أهل الأرض
فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول نعم رب، فيقول الله عز و علا
أنعمت عليه) وفى نسخة الاحياء كما أنعمت عليه (فشكر وابتليتك فصبرت
لاضعف لك الاجر) كذا فى الاحياء . وقال مخرجه : لم أجد له أصلا له لكن معناه
صحيح مستفاد من قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى
«يوتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الاجر
بغير حساب حتى يتمنى أهل العاقبة فى الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض

وَالَا فَالشُّكْرُ لَا بُتْنَاهُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَهِيَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ

(الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء)

عما يذهب به أهل البلاء من الفضل كذا في تفسير اليعقوبى (والا) أى وإن لم يرد بالصبر ما كان بتلذذ (فالشكر) الذى يضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة أفضل من الصبر (لا بتناؤه) أى الشكر هذا (على المحبة وهى) أى المحبة (أعلى المقامات) وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذى غير تام ، والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ ، وأما قوله عليه السلام : الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ، لما ذكره الترمذى من حديث أبى هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ، ومن المعلوم ان المشبه به ينبغي ان يكون أعلى رتبة فى القدر . وما يدل على فضيلة الفقر ما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل : يدخل الانبياء عليهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة بأربعين عاما ، وروى البزار من حديث انس : وآخر من يدخل الجنة من اغنياء أمى عبد الرحمن بن عوف ، هـ

(الباب الثامن عشر فى الخوف والرجاء)

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كئود ، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا لالرجاء الا ازمة الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الاسياط التخويف وسطوات التعنيف ، وقد دخل عليه السلام على رجل وهو فى النزاع فقال عليه السلام : كيف تجدك فقال اجدى اخاف ذنوبى وارجو رحمة ربى ، فقال عليه السلام : ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اذ ظاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف ، رواه الترمذى وغيره باسناد جيد ، ومن هنا قال تعالى : (نبيء عبادى أنى انا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) ليكونوا بين الرجاء والخوف هـ وفى تقديم الرجاء ايماء الى أن الوصول به ارجى كما لا يخفى ، وكذا قوله تعالى (وأن ربك لذ ومغفرة للناس على ظلمهم وأن ربك لشديد العقاب) فكان حق المصنف أن يقدم الرجاء ، وانما اخره كما فى الاحياء لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام أهل الانتهاء . وما يدل على استواء الامر بين حديث : القلوب بين اصبعين هـ وما يدل على ترجيح الرجاء حديث : غلبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ خَاطِرَانِ فَلَا تَكْلِيفَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَاتِهِمَا
مَبْنِيَّانِ عَلَى اتِّظَارِ مَا يَسْتَقْبِلُ فَالْمُسْتَغْرِقُ بِذِكْرِهِ تَعَالَى ابْنُ الْوَقْتِ فَبَعْدَهُمَا

رحمتي غضبي هـ وفي الجملة لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما. فلا بن
حسان في صحيحه ، والبيهقي في شعبه ، وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلا
« لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين » هـ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ رجاء كل خائف من العذاب الاليم ﴿ الخوف ﴾ للساثرين
﴿ والرجاء ﴾ للطاثرين في منازل السالكين ﴿ خاطران ﴾ عاطران ، وفي اصلهما
عارضان ، وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين ، وإنما يسمى الوصف مقاما
اذا ثبت ؛ واقام ؛ وإنما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زوالا ، فالذى هو غير ثابت يسمى
حالا لانه يحول عن القلب على القرب ، وهو جار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه
بتقليب الرب . ثم اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله
احبهم له ، والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه
والآخر رجاء ثوابه ؛ واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما
﴿ فلا تكليف الا في مقدماتهما ﴾ وهي ذكر الآيات والاحاديث التي تبعث الانسان على
الخوف والرجاء ، فقدمات الخوف اربع : ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي
لا طاقة للانسان بها في العاقبة ، وذكر ضعف النفس عن احتمالها ، وذكر قدرة الله على
الانسان متى شاء وكيف شاء في احوالها ، ومقدمات الرجاء اربع ايضا . ذكر سوابق
الفضل اليك من غير العمل ، وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في باب
دون استحقاقك اياه بالخدمة في جنابه ، وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى ، وذكر
سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه ، فهو بالرجاء أولى واخرى ثم هما ﴿ مبنيان على
انتظار ما يستقبل ﴾ من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجاء
فرح يلحق لتوقع المحبوب ﴿ فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت ﴾ بل ابو الوقت ،
فانه الغالب عليه ، وإنما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه ، والحاصل انه مشتغل
بما هو أولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت ﴿ فبعدمهما ﴾ أى

فَالرَّجَاءُ الْفَرَحُ لَا نَتَظَّارُ مَحْبُوبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ فَإِنْ حَصَلَ أَكْثَرُ الْأَسْبَابِ
فَالْأَصْدَقُ اسْمُ الرَّجَاءِ كَتَوَقُّعِ الْحَصَادِ مَنْ أَلْقَى بَذْرًا جَيِّدًا فِي أَرْضٍ صَالِحَةٍ يَصِلُهَا
الْمَاءُ وَإِنْ فَقَدَ فَالْغُرُورُ وَالْحَمَاقَةُ كَمَا لَوْ أَلْقَى بَذْرًا فِي غَيْرِ صَالِحَةٍ لَا يَصِلُهَا الْمَاءُ وَإِنْ
شَكَّ فِيهَا فَالْتَمَنَى كَمَا إِذَا صَلَحَتِ الْأَرْضُ وَلَا مَاءَ

الخوف والرجاء، وفي نسخة فبفقدتهما ﴿ قال رجاء الفرح لا نتظار محبوب فلا بد
من سبب ﴾ وباعث لتحقيق انتظار المطلوب ﴿ فان حصل اكثر الاسباب ﴾ اي اسباب
حصوله لديه ﴿ فالاصدق اسم الرجاء ﴾ ووصوله عليه كتوقع الحصاد ممن القى
بذرا جيدا ﴿ نقيا غير عفن ولا مسوس ﴾ في ارض صالحة ﴿ للزراعة بان تكون
غير مبيخة ﴾ يصلها الماء ﴿ على سعة ﴾ وان فقد ﴿ اكثر الاسباب ﴾ فالغرور والحماقة ﴿
اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه في هذا الباب ﴾ كما لو القى بذرا ﴿ تالفا ﴾ في غير
صالحة ﴿ من ارض ﴾ لا يصلها الماء ﴿ الا مرة ﴾ وان شك فيها ﴿ اي في كثرة
الاسباب للحصول بان حصل بعضها دون بعضها ﴾ فالتمى ﴿ اصدق عليه من اسم
الرجاء ﴾ كما اذا صلت الارض ﴿ مع القاء البذر الجيد ﴾ ولا ماء ﴿ لاحتمال وصول
ماء من السماء : وتوضيحه أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالارض ، والايمان
كالبذر ، والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها .
والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرها كالارض السبخة التي
لا ينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احدا الا ما زرع ولا ينمو زرع
الامن بذرا الايمان ، وقل ما ينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى
العصيان ، فاذا ناسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه
الداخلية تحت اختيار العبد ، ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله
بصرف القواطع والمفاسد والموانع . فالعبد اذا بذر بذرا الايمان ، وسقاه بماء الطاعات ،
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تربيته على ذلك الى
المات ، وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره
رجاء حقيقيا ، وأن قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات ، وترك القلب مشجونا
بالاخلاق السيئات ، وانهمك في طلب اللذات والشهوات واللهاوت ، ثم انتظر المغفرة

فَوَرَدَ (أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) وَكَأُورَدَ «الْآحِقُّ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَمَّا حَسَنُ الظَّنِّ

وعلم الدرجات فانتظاره حق وغروره في الحالات (فورد أن الذين آمنوا والذين هاجروا) السيئات والذات (وجاهدوا في سبيل الله) بتكثير الطاعات (أولئك يرجون رحمت الله) أي هم الذين يستحقون أن يرجوا رحمة ربهم ، بخلاف من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع إليه ، فرجاؤه المغفرة حق وغروره كما قيل : الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى . مخفرتها عز وجل . (وكأ ورد : الآحق من اتبع نفسه هواها) وتابعها في طلب مشتتهاها (وتمنى على الله) أن يدخل الجنة وما أواها . والحديث تقدم . وقال يحيى بن معاذ الرازي . من اعتظم الاغترار عندى التماذى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة بئذ النار ، وطاب دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء من غير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع الافراط فى الامل . قال عبد الله بن المبارك الحنظلى .

ما بال دينك ترضى أن تدنسه . وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها . إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقد ورد أن زيد الخيل الذى غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام وقال : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ، فقال كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أحب الخير وأدله وإذا قدرت على شئ منه سارعت إليه وإيقنت بثوابه ، وإذا فاتنى شئ منه حزنت عليه وحزنت إليه ، فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولوهياك للآخرى هياك لهاثم لا يبالى فى أى أوديتها هلك « رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود . فمن ارتجى أن يكون مرادا للخير من غير هذه العلامات فهو غرور فى وادى الملامات . وعن على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة تبطل عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات (أما حسن الظن) بالله حيث يقول وأنا عند ظن عبدى بنى ، كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان وفليظن بى ما شاء ، وعنه عليه السلام ولا يموتن أحدا الا وهو يحسن الظن بالله » كما رواه مسلم من حديث جابر ، أنما يكون

بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِّلْسَالِكِ فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ
وَيَهْوِي أَسْفَلَ حَتَّى يَلْقَى الْمَشَقَّةَ وَالْقَنُوطَ كَقَرِّ فُورَدٍ (لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ) وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِهِ

(بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِّلْسَالِكِ) أى من حسن الظن وغلبة
الرجاء (فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ) وترك المعصية (وَيَهْوِي أَسْفَلَ حَتَّى يَلْقَى الْمَشَقَّةَ) في ورود المصيبة
والمحنة (وَالْقَنُوطَ) وهو ضد الرجاء (كَقَرِّ فُورَدٍ) قال تعالى (لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)
وقال (وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) وهو بمعنى اليأس (فُورَدٍ) في التنزيل
(لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) وورد أنه عليه السلام قال « لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لو خرجتم إلى الصعدات تلذذون صدوركم وتجارون
إلى ربكم ، فهبط جبريل فقال : أنت ربك عز وجل يقول : لم تقنط عبادي ؟
فخرج إليهم فرجاهم وشوقهم » رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ؟
وأوله متفق عليه من حديث أنس . وقال علي كرم الله وجهه لرجل أخرجه الخوف
إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وعنه رضى
الله عنه : إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله .
وللبیهقي في الشعب عن زيد بن أسلم « أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم ، قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أويسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها ، وفي الخبر « أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب
من يحبني وحببني إلى خلقي ، فقال يارب كيف أحبيك إلى خلقك ؟ فقال اذكرني بالحسن
الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا بالجميل ، ولا بن
أبي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث أنس مرفوعا « أن رجلا يدخل النار فيمكث
فيها ألف سنة ينادى يا حنان يا منان ، فيقول الله تعالى لجبريل أذهب فأتني بعدى ، قال
فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك ؟ قال فيقول شر مكان كان فيقول
بما قدمت يدك وما أنا بظلام للعبيد ردوه إلى مكانه ، قال فيمشي فيلتفت إلى ورائه
فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت ؟ فيقول رجوت أن لاتعيدني إليها بعد
أن أخرجتني منها ، فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة » فدل هذا على أن رجاءه أنجاه
(وَالطَّرِيقُ) الموصل إلى تحصيل الرجاء ذكر ستة أشياء (ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِهِ) في إيجاد

دُونَ شَفِيعٍ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزِيلٍ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقٍ وَمَا أَنْعَمَ بِمَا يُدْفِعُ فِي الدَّارَيْنِ دُونَ سُؤَالٍ وَسِعَةِ الرَّحْمَةِ وَسَبْقِهَا الْغَضَبِ فَوَرَدَ «رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِثْلُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) الْآيَةِ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

العبد وأمداده من جوده وكرمه ﴿دون شفيع﴾ أي بلا شفيع من عنده ﴿وما وعد الله من جزيل ثوابه﴾ في كتابه ﴿دون استحقاق﴾ سابق في بابه مع أنه لا استحقاق للمملوك على المالك بشيء من حسابه ﴿وما أنعم﴾ على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة ﴿بما يمد﴾ نفعه ﴿في الدارين﴾ من عنده ﴿دون سؤال﴾ أي من غير مسألة سابقة من عبده ﴿وسعة الرحمة﴾ قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ﴿وسبقها الغضب فورد رحمتي سبقت غضبي﴾ وفي رواية غلبت. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي تغلب غضبي، ﴿وما ورد فيه﴾ أي في فضل الرجاء من الكتاب والسنة ﴿مثل لا تقنطوا من رحمة الله الآية﴾ أي (أن الله يغفر الذنوب جميعا) وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث أسماء بنت أبي يزيد وحسنه ﴿أنا عند ظن عبدي بي﴾ كما تقدم والله أعلم وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: انتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انتهى وذلك لما ذكر في تفسيره أنه عليه السلام قال «لا يرضى محمد واحد من أمته في النار» أي مؤبدا. وكان بعض العارفين يرى آية المداينة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقليل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا ظمأ قليل، ورزق الإنسان فيها قليل، والدين من رزقه قليل، فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليهتدي بها عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعقباه، وروى في تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أن الله أوحى إلى نبيه عليه السلام اني أجعل حساب أمتك اليك، فقال لا يارب أنت خير لهم مني فقال اذن لا أخزيك فيهم، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

وَالْخَوْفُ وَهُوَ الْحُزْنُ لَا تَنْتَظِرُ مَكْرُوهٍ

حسن الظن بالله تعالى . ولليهيقي في شعبه من رواية عقبة بن الوليد « ان الخليل قال يوما يا كريم العفو، فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه، ولا بن أبي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتناول لها رجاء ان تصيبه»، وفي الصحيحين «من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها، وتعطف البهيمة على ولدها، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه، وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك» وللترمذي من حديث أنس وصحبه وابن ماجه من حديث جابر «شفاعتي لاهل الكبار من امتي» وقال الثوري: ما احب أن يجعل حسابي الى ابوي، لاني اعلم أن الله تعالى ارحم بي منهما . وقال ابن ادهم: خلا لي المطاف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقف في الملتزم عند الباب، فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا، فتهفها تف من البيت: يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك، فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر، ويؤيده حديث «لولم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بخاق آخر يذنبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم» رواه مسلم من حديث أبي هريرة وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قعه بالذنوب، ويؤيده حديث «لولم تذبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب، فقبل ما هو؟ قال العجب» رواه البزار وابن حبان والبيهقي من حديث أنس. وقال الجنيد: أن بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين . ويؤيده قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال يحيى بن معاذ في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص، وكيف احرزها وانا بالآفة معروف . واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجرود موصوف . وكان بعض السلف يقول في دعائه: يا رب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابعة، وارزاقك عليهم دارة سائغة، سبحانك ما احلمك، وعزتك أنك تهصي ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك يا ربنا أنما تطاع، وسبحانك ما احلمك تهصي وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكأنك يا ربنا لا تنضب ((والخوف)) عطف على الرجاء ((وهو الحزن لا تَنْتَظِرُ مَكْرُوهٍ)) وهو تألم

فَأَمَّا مَنْ الْعِلْمَ بَعْدَ مَبَالَاةٍ تَعَالَى فَوَرَدَ هُوَ لَاءَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَ لَاءَ فِي النَّارِ
وَلَا أَبَالِي مَنْ مَلَامَةٌ أَحَدٌ أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ لَعْدَمِ تَأْثِيرِ الْإِثَابَةِ وَالتَّعْذِيبِ فِي
زِيَادَةِ مُلْكِي وَنُقْصَانِهِ

الغاب واحتراقه بسبب توقع مكروهه في الاستقبال وامان انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام ، وصار ابرز وقته ويشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء . بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زما مان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها ، ولهذا اشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال أيضا : اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها نضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر . ويؤيده ظاهر قوله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام ، وأما بالنسبة الى الصالحاء من العوام فعناؤه لا خوف عليهم بلحق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى ، وبالجملة فالحب إذا شغل قلبه في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصا في شهوده ، واما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات ، لكن الكلام الآن في اوائل الحالات ، فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال (فاما من العلم بعدم مبالاة تعالى) فانه وعز وجل لا يسأل عما يفعل ، ومن عزته في صفاته أنه لو أدرك العالمين لم يبال من أحد ولم يمنعه مانع لوحدة ذاته (فورد) في حديث مشهور : ان الله تعالى لما خاق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال (هؤلاء في الجنة ولا ابالي) قبض اخرى فقال (هؤلاء في النار ولا ابالي) أي لا ابالي (من ملامة أحد) اذ لا يجب على الله شئ . لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي (أو من الطاعة والمعصية) أي او المعنى لا ابالي من طاعة . مطيع ولا من معصية عاص ، فانه لما ورد « لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عاد لا في حكمه غير ظالم في امره » (أو) لا ابالي (لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه) كما في حديث مسلم عن أبي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه « يا عبادي انكم ان تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتفعدوني ، يا عبادي لو ان اواكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي

أولاًني متصرف في مالي أو متفضل غير مائل عادل غير جائر أو الجهل بالخاتمة
وهو للمتقى أغلب والأعلى من سابقة الأزل وإمام المعاصي

لو أن أولكم وآخركم وأنتم وكنتم كانوا على فجر قلب رجل واحد منكم ما نقص
ذلك من مالي شيئاً (أو) لا ابالي (لاني متصرف في مالي) افعل ما اشاء وأحكم
ما اريد بالعدل (أو) لاني (متفضل غير مائل) فادخل الجنة (عادل غير جائر) في
ادخال النار لما تقدم (أو الجهل) أي أو الخوف هو الحزن للجهل (بالخاتمة وهو)
أي خوف الخاتمة (للمتقى أغلب) لانه بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال
الله وقدرته ، فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ، ولذا قال عليه السلام :
« والله اني لآخشا لله واتقاكم له » ، رواه البخاري من حديث انس وللشيخين من حديث
عائشة « والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية » ، وقد قال تعالى (انما يخشى الله من
عباده العلماء) (والأعلى) من انواع الخافة وادلها على كمال المعرفة ان يكون الخوف
(من سابقة الأزل) لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة . فالخاتمة في هذا الباب
تظهر بما سبق به القضاء في ام الكتاب ، فالالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى
بتوقيفه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد بعد ما كان في حيز العدم ، واليه
اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال « هذا كتاب الله
كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لايزاد فيهم ولا ينقص ، وليعملن أهل
السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كانوا منهم وهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل
الموت ولو بفواق ناقة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كانوا منهم
بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفراق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله
والشقي من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم » ، رواه الترمذي من حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية « السعيد من سعد في بطن أمه
والشقي من شقى في بطن أمه » ، رواه البزار وغيره بسند حسن ، ومن هنا خوف الكماين
حيث لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى
(فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي قوله عز وجل (فمنهم شقى وسعيد) وقوله
عز وجل (فمنكم كافرون ومن) وقوله سبحانه (اأرأأما كافرين) (واما) بالكسر
تطف على قوله اما من العلم الخ ، والمعنى أن الحزن لا تظار مكروه اما من جهة المعرفة
بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظمتة واما (من المعاصي) أي من جهة

وَيَخْتَصُّ بِمَوْضِعِ الْغُرُورِ عِنْدَ الْمَوَاطَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَمَّا مِنَ السُّؤَالِ

كثيرة المعصية الصادرة عن العبد في حال غفلته وغرته () ويختص () الخوف من المعصية () بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الأول () أي يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الأول وهو عدم المبالاة بأن يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم أن هذا كان من المعاصي لامن عدم المبالاة لأن خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند المواظبة على الطاعة () وتوضيحه أن هذا انقسام الخائفين إلى من يخاف من معصيته وجنابته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلالته فهذا أعلى رتبة وأعلى منزلة ، ولذا يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين ، وأما الآخر فهو في عرضة الغرور والأمن أن واطب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله ، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابته ، بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته ، إذ لو لا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ، ولا سبق قبل الطاعة وسيلة تيسر بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبل القربات ، فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى فكذا المطيع حسب ما قدره الله وقضى . فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل شهوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله فإن من أطاع الله أطاع بأن ساط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة ، وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى لأنه ساط عليه إرادة قسرية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وما الذي أوجب إهانة الآخر وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه ، وكيف يحال ذلك على العبد وينسب إليه . وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مرید طالب للمزيد () ثم () الخوف عند سكرات الموت وشدة وما بعده () أمّا من السؤال () في القبر من منكر ونكير ، أو عند

أَوِ الْعَذَابِ أَوْفَتْ الْجَنَّةَ وَنَحْوَهَا، وَتَخْتَلِفُ الْآثَارُ فَمَنْ خَافَ اسْتِیْلَاءَ الْعَادَةِ وَاطَّابَ
عَلَى تَرْكِهَا وَمَنْ خَافَ اِطْلَاعَهُ تَعَالَى اشْتَغَلَ بِتَنْقِيَةِ السَّرِّ فَاعْتَبَرَ وَيُؤْثِرُ فِي الْبَدَنِ بِالْهَزَالَةِ
وَالصُّفْرَةِ وَالضَّعْفِ وَالْبُكَاءِ وَإِذَا كَمَلَ يُودَى إِلَى الْجُنُونِ وَالْمَوْتِ وَهُوَ شَهَادَةٌ لَكِنْ
الْأَفْضَلُ مَنْ عَاشَ وَجَاهَدَ

الموقف من تقيير وقطمير (أو العذاب) في القبر ، أو من هول المظلم ، أو هيبة الموقف ،
والحياء من كشف السر ، أو من مزالة الصراط ، أو وحدته وكيفية العبور عليه باختلاف
الاحوال ، أو العذاب في النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال (أو فوات الجنة)
دار النعيم والملك المقيم (ونحوها) من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات ، وأعلامها
رتبة هو خوف الفراق والحجاب ، فإنه أشد العذاب عند آراب الالباب ، وهو خوف
العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين . والصالحين والزاهدين و كافة العاملين . ومن لم
تكمل معرفته ، ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق ، فإذا ذكر له
أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا في باطنه
وتعجب منه في نفسه . قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت
في بحر لجي (وتختلف الآثار) للخوف بحسب اختلاف أنواعه في الاسرار (فمن
خاف استيلاء العادة) في اتباع الشهوات المألوفة بالارادة (واظب على تركها) وداوم
على خلافها (ومن خاف اطلاقه تعالى) على السرائر (اشتغل بتنقية السر)
وتطهير القلب من الوسوس في الضمائر (فاعتبر) وقس على هذا مخاوف اخروهي
من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ، ومن خاف مجرم الموت قبل التوبة بادر
اليها (ويؤثر) الخوف (في البدن بالهزالة) أي التحول باذابة اللحم والشحم
(والصفرة) باللون المصحوب بالكدر (والضعف) في القوى (والبكاء) الصادر
عن الخشية (وإذا كمل) الخوف (يؤدي الى الجنون) بأن يصعد الى الدماغ فيفسد
العقل (و) يقوى فيورث القنوط واليأس أو يقضى الى (المرات) بأن تنشق به المراتبة
(وهو) أي الموت من خوف الله (شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد) لقوله
عليه السلام : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، وقد تقدم . وأعلم أن معنى لونه شهيدا
أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت ، لا بسبب الخوف

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خَافُهُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فُورِدَ «أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفِرُّ
 مِنْ ظِلِّ عُمَرَ، وَالْأَعْلَى أَنْ يَدْمَشَهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَمْ تَوَثِّرْ فِيهِ لِلْغَيْبَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ حَيْثُ قَصَدَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَاحْتَرَقَ فَلَا يَدُّ

فرو بالاضافة اليه فضيلة ، واما بالاضافة الى بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك
 سبيل امره فليس بفضيلة ، بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المجاهدة
 في كل لحظة رتبة شهيد ، ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح
 مداد العلماء » ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل ، او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة
 نبي او منزلة ولي يموت حتف انفه ، وهو محال . والحاصل ان اقصى درجات الخوف
 ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه منسع لغير الله ، وذلك مع بقاء
 الصحة والعقل ، فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه
 ان كان قدرة لديه ، ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة
 : احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل . ويؤيده ما اشتهر في لسان العامة :
 ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذ له لعله ، وكذا يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن
 السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ، ولذا قيل :
 ليس الخائف من ييكي ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه .
 وقال ابو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه . وقيل
 لذى النون : متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتجى مخافة طول
 السقام (ومن غلب عليه) خوف الله (خافه كل شيء) مما سواه . ولا بد للشيخ بن
 حيان وابن ابي الدنيا حديث « من خاف الله خافه كل شيء » (كما كان) هذا المقام
 المعمر (لعمر رضى الله عنه فورد : ان الشيطان ليفر من ظل عمر) كما مر ، وكذا
 يؤثر في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
 كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها اذا عرف سما فيه (والاعلى) في مراتب
 الخوف (ان يدمشه) الخوف يذهله (عن الاشياء) اي رؤيتها ويفقه عما يجري على
 الاعضاء من حر كبتها (فلم توتر) الاشياء (فيه) اي في الخائف (للغيبة عنها)
 اي لغيبة الخائف عن الاشياء والغفلة عنها (كما كان له عليه السلام حيث قصده
 الشيطان وهو في الصلاة فاحترق) اي الشيطان فاذا كان الامر كذلك (فلا بد)

مِنْهُ فَهُوَ يَزْجُرُ النَّفْسَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَيَنْفِي الْعُجْبَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْأَمْنُ كُفْرٌ فُورِدَ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ الْآيَةَ وَالطَّرِيقُ النَّظَرُ فِي صِفَاتِهِ تَعَالَى وَأَفْعَالِهِ

للسالك (منه) أى من الخوف هنالك (فهو) أى الخوف (يزجر النفس) ويمنعها (عن المعصية) وارتكابها (وينفي العجب) ويدفعه (عن الطاعة) واكتسابها فاقبل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال المورثة للآحوال أن يمتنع من المحظورات، ويسمى الكف الحاصل عن ارعاع، فإذا زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف عما لا يتيقن أيضا تحريمه، ويسمى ذلك تقوى، فإذا التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يصرف إلى غير الله نفسا من أنفاسه، فالصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا، وأما الخوف الذى يجرى مجرى رقة النساء كما يخاطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء، وكذا عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة عن خوف الرب، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى. وهذا حال الناس كلهم إلا العارفين والعلماء الراسخين. ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور، بل العلماء بآيات الله وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وذلك بما قد عز وجوده الآن كالكبريت الأحمر في سالف الزمان ولذا قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فانك أن قلت لا كفرت وأن قلت نعم كذبت. وأما الخوف المفرط وهو الذى يجاوز حدا الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط فهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل، والمراد من الخوف هو الحمل على العمل، وإذا تحقق اليأس له فهو كفر لانه اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في زلته (والامن) وهو ضد الخوف (كفر) أيضا لانه يدل على عتقاد عدم قدرته وفقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته (فورد) في التنزيل (فلا يأمن مكر الله الآية) أى (إلا القوم الخاسرون) أى الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة بالكفر والمعصية (والطريق) الموصل إلى تحصيل الخوف شيان (النظر في صفاته تعالى) الجلالية كالتقهار والمنتقم والجبار (وأفعاله) في مصنوعاته من معاملاته مع طوائف الكيفار، فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشيته

فَوَرَدَ (أَنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشَاكُمْ لَهُ وَذَكَرَ الذُّنُوبَ
وَالْخُصُومَ وَشِدَّةَ الْعَذَابِ وَضَعْفَ النَّفْسِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ

بمشاهدة عظمة الله وعزته (فورد) في التزويل (أَنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) لأنهم
العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته (أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشَاكُمْ لَهُ) حديث
متفق عليه (وذكر الذنوب) السابقة (والخصوم) المتعلقة به يوم القيامة في الأحوال
اللاحقة (وشدة العذاب) بعد مناقشة الحساب (وضعف النفس) عن العقاب
والجباب (وما ورد فيه) أي في نضل الخوف من الكتاب والسنة وأقوال السلف
وأحوالهم في هذا الباب، أما الكتاب فقوله تعالى (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)
(رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
(وخافوني أن كنتم مؤمنين) (سيدكر من يخشى) (وهم من خشية ربهم مشفقون) هـ
وأما السنة فقوله عليه السلام «رأس الحكمة مخافة الله» رواه البيهقي في شعبه من
حديث ابن مسعود وقوله لعائشة لما قالت: يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة: هو الرجل يسرق ويزني، قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف
أن لا يقبل منه، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقوله عليه السلام «ما من مؤمن
تخرج من عينه دمة وأن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا
من حر وجهه إلا وحرمه الله على النار» رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
ابن مسعود، وقوله «إذا أشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما تحات
عن الشجرة ورقها» رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس وقوله «لا ياج
النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» رواه الترمذي وقال حسن
صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سأل: ما النجاة يا رسول الله قال «أمسك عليك
لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» وقد تقدم. وقوله «ما من قطرة أحب إلى
الله من قطرة دم جرت من خشية الله، أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله» رواه الترمذي
من حديث أبي أمامة وحسنه، وقوله «اللهم ارزقني عينين تطالين تسقيان بذروفي
الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جمرًا» رواه أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر بإسناد حسن وقوله «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم «رجلا
ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه» رواه الشيخان؛ وعن حنظلة قال «كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا
أنفسنا فرجعت الى أهلى فدنيت منى المرأة وجرى بيتنا من حديث الدنيا فانسيت ما كنا
عليه عنده عليه السلام وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت فى نفسى
قد نأقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقه ، فخرجت وجعلت انادى
نافق حنظلة ، فاستقبلنى أبو بكر فقال كلام لم تنافق ، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا
اقول نافع حنظلة نافع حنظلة ، فقال عليه السلام كلام ينافق حنظلة ، فقلت يا رسول
الله كنت عندك فوجدنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ،
فرجعت الى أهلى فآخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك ؛ فقال يا حنظلة
لو أنتم أبدا على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ؛ ولكن يا حنظلة
ساعة فساعة ، رواء مسلم . وأما الآثار فقال أبو بكر الصديق : من استطاع أن يبكى
فليبك ومن لم يستطع فليتبك . وكأنه اخذه من قوله تعالى (فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا) ومن قوله (يكون ويزيدهم خشوعا) ومن قوله (أفن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ومن قوله (خروا سجدا وبكيا) وكان محمد بن المنكدر
إذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعاً مسته
الدموع ؛ وقد تقدم فى الحديث ما يساعده . وقال عبد الله بن عمرو : ابكوا فإن لم تبكوا
فتباكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم أحدكم ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته ،
وصلى حتى ينكسر صلبه ، وقال أبو سليمان الداراني : ما تغرغرت عين بمائها من خشية
الله الا لم يرهق وجه صاحبها قط ولا زلة يوم القيامة ، فان سالت دموعه انظفاً بازل
قطرة منها بحار من الزيران ، ولو ان رجلاً بكى فى أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال كعب
الاحبار : والذى نفسى بيده لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على
وجنتى أجب الى من أن اتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر : لان ادمع
دمعة من خشية الله أحب الى من ان اتصدق بالف دينار . وقال الفضيل : من خاف الله
تعالى دله الخوف على كل خير ، أى وحفظه عن كل شر وضير . وقال الشبلي : ما خفت الله
يوماً الا رأيت له باباً من الحكم والعبر ما رأيته قط . وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه
واشتد لله حبه وصح له به أى عقله . وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف ابلى من
الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف
الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين ،
وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الناس غدا ؟ فقال أشدهم خوفاً اليوم . وقال سهل

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ الرَّجَاءَ أَفْضَلُ أَمْ الْخَوْفُ وَالْحَقُّ عَدَمُ الْإِنْفِكَالِ إِذَا لَوْ عَدِمَ أَحَدُهُمَا
لَصَارَ أَمْنًا وَقَنُوطًا فَشَرَطَهُمَا عَدَمُ الْقَطْعِ فَلَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ وَأَخَافُ هُجُومَ
الْأَجَلِ وَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فَهُوَ طَرِيقُ الْمَحَبَّةِ وَوَرَدَ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي

لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا
الآخر (واختلف في أن الرجاء) للعبد (أفضل) من الخوف (أم الخوف) أفضل
له من الرجاء (والحق) من القول (عدم الانفكالك) أي انفكالك أحدهما عن الآخر (إذ
لو عدم أحدهما لصار أمنا) عند عدم الخوف (أو قنوطا) عند عدم الرجاء فان الرجاء
بلا خوف امن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن والحق
الاعتدال في غالب الاحوال وأيضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد أن
يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى (يدعوننا رغبا ورهبا) (ويدعون ربهم خوفا
وطمعا) نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب
بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لففته عنه (فشرطهما) أي شرط وجودهما
(عدم القطع) في كليهما فالامن والقنوط ينافي عدم القطع (فلا يقال أرجو طلوع
الشمس وأخاف هجوم الأجل) لأن أمرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر
لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه فلا
يطاق اسم الرجاء والخوف الاعلى مشكوك بتردد منه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف
فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لاحالة تقدير وجوده يروح القلب
وهو الرجاء وتقديره عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لاحالة يتقابلان نعم
أحد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك
سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى
الخوف بالاضافة وكذا بالعكس (والرجاء أفضل من حيث هو) أي مع قطع
النظر عن صاحبه انه في أي مقام هو من مقامات المبتدئين والمتهين من المريدين
في طريق المجتهدين أو المريدين في أمر الدين (فهو) أي الرجاء (طريق المحبة) وسبيل
الحبين وهو أفضل المقامات وأكمل الحالات (وورد سبقت رحمتي غضبي) وقد تقدم،
وفيه تنبيه نبيه على أنه ينبغي أن يكون الرجاء أغلب على الخوف وتوضيحه أن الخوف
والرجاء دواء ان تداوى بهما القلوب فقضاءهما بحسب الدواء الموجود فان كان الغالب

وَهُوَ الْأَفْضَلُ إِنْ أَمْتَنَعَتِ النَّفْسُ عَنِ التَّوْبَةِ لَكثْرَةِ الْمَعَاصِي أَوْ اقْتَصَرَتْ عَلَى الْفَرَائِضِ
أَوْ ضَعُفَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ لِمَوْتٍ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ إِنْ غَلَبَ التَّمَنَّى
وَأَعْتَادَ الْمَعَاصِي وَالْإِعْتِدَالَ إِنْ اتَّقَى ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ وَلَا يُعْرِضُ بِمُعَارَضَةٍ
كَثْرَةَ سَبَابِ الرَّجَاءِ فَكَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ الْوَاحِدُ

على القلب داء الأمن من مكر الله والاعتذار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب على
العبد هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف
أفضل لأن الاغترار اغلب على القلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل
لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله
ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرب
وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضى العنف والنقمة فلا تمازجه
المحبة تمازجه الرجاء (وهو) أى الرجاء (الأفضل) من الخوف والمفهوم من الأحياء
أنه الأصلح كما في بعض النسخ هنا ولعله المصلح وإنما يكون الرجاء أولى من الخوف
(إن امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي) المرجية لليأس والقنوط من الرحمة
(واقصرت) النفس (على الفرائض) دون الواجبات والسنن المؤككات
(أضعف) بالمرض والكبر (وأشرف على الموت) أى قاربه الموت فإن الأفضل
حيث هو الرجاء (لموت) بزيادة وصف الرجاء (على المحبة) الناشئة من كثرة
الرجاء (والخوف) أفضل وأصلح وأولى من الرجاء في مقام الدواء (إن غلب التمنى
واعتاد) صاحبه (المعاصي) لقلة خوفه (والاعتدال) بين الخوف والرجاء أنسب
وأقرب (أن اتقى ظاهر الإثم وباطنه) أى جليه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لا اعتدلا، وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا
ترى أنك لو أتيت به بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وأرج الله رجاء ترى أنك لو أتيت به
بسيئات أهل الأرض غفرها لك (ولا يعرض) من الأعراض أى ولا يعدل المتقى
المذكور عن الاعتدال (بمعارضة كثرة أسباب الرجاء) من الأعمال (فكان عمر رضى
الله عنه) مع كمال تقواه وكثرة أعماله لله (يقول لو لم يدخل الجنة الواحد) من

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا وَاحِدٌ أَخَافُ أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَتَعَسَّرَ
التَّحَرُّزُ عَنِ الْمَعَاصِي الْبَاطِنَةِ حَتَّى كَانَ عُمَرُ يُسَالُ حَذِيفَةَ عَنْ وَجُودِ أَثَرِ النِّفَاقِ
فِيهِ وَاحْتِمَالِ زَوَالِ الْأَسْبَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَوَرَدَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

المؤمنين ﴿ أرجو أن أكون آياه ﴾ أى ذلك الرجل ﴿ ولو لم يدخل النار الا واحد ﴾ من
الخلق ﴿ أخاف أن أكون آياه ﴾ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتداهما مع
الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغي أن يساوى
خوفه رجاءه فاما العاصي اذا ظن أنه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا
على ما فيه من الاغترار ﴿ وتعسر التحرز ﴾ عطف بالمعنى لان الفاء في قوله فكان عمر لتعليل
المعنى فالتقدير لانه كان عمر ولتعسر الاحتراز ﴿ عن المعاصي الباطنة ﴾ ويجوز عطفه على
قوله بما رضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر لا ينبغي
أن يساوى خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب رجاءه خوفا فاشار الى أن شروط صحة الايمان
على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب أن يكون نظيفا من الشرك الخفى والنفاق
والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها من اللذات واللهوات كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما تلفت
اليها في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه
لا محالة كما يحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت
الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاءه فاما أن يغلب رجاءه فلا ولقد كان عمر يبالغ
في تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصي حتى كان يقول رحم الله من أهدى الى
بعيوب نفسه وكذا يخاف من النفاق وخصال أهله ﴿ حتى ﴾ غاية التعسراى الى أن
﴿ كان عمر يسأل حذيفة ﴾ بن النيمان ﴿ عن وجود أثر النفاق فيه ﴾ أى عمر اذ كان حذيفة
قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين، وكان يسمى صاحب سر النبي عليه السلام
﴿ واحتمال زوال الاسباب ﴾ أى ولا احتمال زوال اسباب الرجاء ﴿ في المستقبل ﴾ من الزمان
﴿ فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ﴾ وفي الاحياء زيادة خمسين سنة ﴿ حتى لا يبقى
بينه وبين الجنة الا شبر ﴾ قال في الاحياء وفي رواية الا قدر فواق ناقة ﴿ فيسبق عليه

الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه أما بالشك أو الجحود

الكتاب) أى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى اللوح المحفوظ او عند تولده فى صحائف الملائكة المولدة على حفظه (فيختم له بعمل أهل النار) فيدخل النار وكذا من يعمل عمل أهل النار، والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة أن الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وللإبزار والطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن، وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود « أن احدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع » الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة (ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه) أى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وأن اعتقد نقاء قلبه وصفاء قلبه عن مثله فمن يائس من مكر الله بتبليس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذا اقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر، فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلاح لهم غلبه الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجانى عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة ذوى الاستبصار، وقال مكحول النفسى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صدق ثم سوء الخاتمة (اما بالشك) والتردد فى قبول الايمان (او الجحود) أى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران

عند النزاع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدها تقليداً أو تعويلاً على مجادلته الكلام فهو حالة الانكشاف واعتقاد بطلان كل ما اعتقده أو شكّه لهذا السبب

(عند النزاع) أى نزاع الروح حال سكرات الموت وظهور أهواله الموجبة لتغير أحواله فتقبض روحه في حالة شك القاب أو جحود الرب وذلك يقتضى البعد الأبد والعذاب المخلد وذلك الشك أو الجحود إنما يقع (لظهور بطلان بدعة) يعتقدها في ذاته سبحانه أو صفاته أو أفعاله في مصنوعات أو يتأولها في آية من آياته (كان يعتقدها) أى البدعة (تقليداً) من هذا حاله (أو تعويلاً) أى اعتماداً (على مجادلته الكلام) أى مجادلاته الخصام بما يعول عليه من أصول علم الكلام ويغتر به فيما بين الأنام (فهو) أى وقت النزاع (حالة الانكشاف) أى انكشاف كل شيء على ما هو عليه كما قال تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فقوله هو علة لظهور بطلان البدعة، وأما قوله (واعتقاد بطلان كل ما اعتقده) فمبتدأ وقوله (أو شكّه) بالجر عطف على بطلان الثاني ، وقوله (لهذا) خبر المبتدأ أى واعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة أو اعتقاد شك كلها لهذا (السبب) وهو ظهور النزاع أى صار هذا الظهور سبباً لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة ، أو سبباً لاعتقاد شك الجميع . ويجوز كون قوله أو شكّه مرفوعاً عطفاً على قوله واعتقاد ، قيل وهو الأرجح يعنى اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب أو شك الجميع لهذا الباعث . والظاهر عندي أنه فعل ماض عطفاً على اعتقده فتأمل ، ثم حاصل كلامه أنه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال ، فإن قلت : ظهور بطلانها بما يوجب الشك أو الجحود في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار إنما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة أو الشك فيها كلها ، فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما في بدعة واحدة ؟ فاجيب بما تقدم . وتوضيحه : إن المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجائه فيه إلى رأيه الكاسد وعقله الفاسد ، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو باعثاً لشكّها فيها ، فإذا اتفق زهوق روحه في

وَوَرَدَ (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) الْآيَةَ وَالْمُعَامَلَةَ لَا تُنَافِيهِ وَالْبَلَهُ بِمَعَزِلٍ عَنْهُ وَمَنْ ثُمَّ وَرَدَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَلَهُ

هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه ، فمؤلا . هم المرادون بقوله تعالى : (وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) (وورد) في التنزيل (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الْآيَةَ) أي (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (والمعاملة) أي حسنها (لا تنافيه) أي لا تعارض سوء الخاتمة وأراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الأعمال الصالحة فانها لا تكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الا الاعتقاد الحق (والبله) جمع الابله (بمعزل عنه) أي عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر أيمانا بجملا راسخا لا عراب والعجائز وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر العقلي استدلالا ، ولم يشروعوا في الكلام استقلالاً ، ولا اصغوا إلى أصناف أهل الكلام في تقايد آرائهم المختلفة التي تقتضي ضللا واضلالا (ومن ثم ورد أكثر أهل الجنة البله) رواه البزار من حديث أنس ، ولذا منع السلف الدرام من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتأم ، وأمروا الخاق أن يقتصر على أن يؤمنوا بما أنزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد في التشبيه ، ومنعواهم من الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كثر ومسالكة وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القى اليها في ابتداء النشوء آلفة وبه متعلقة والتعصبات النائرة بين الخاق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنة آخذة وعن تمام الفكر صارقة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالرأي والمعقول وفي تفاوت الناس في قرائنهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال والاحاطة بـ كنه ذى الجلال انطاعت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعاق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وأنسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت

أَوْ بِمَعَادَاتِهِ تَعَالَى لَعَلَّهُ بِتَفْرِيقِهِ تَعَالَى أَيَّامَهُ وَتَأْلَمُ الْقَلْبَ بِفَوَاتِهَا وَكَانَ يَسْتَوِي
حُبًّا عَلَيْهِ وَلِضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى فِيهِ الْإِحْدِيثُ النَّفْسُ وَهُوَ
أَسْوَدُ مَنْ تَرَامُ ظَلَامَ الرِّذَائِلِ فَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ)
الْآيَةُ أَوْ بِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ كَانَ يُحِبُّهُ فَاحْتَجَبَ عَنْهُ تَعَالَى شُغْلًا بِهِ

سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم
ولكن الآن قد أسترخى العنان ونشا الهذيان وترك كل جاهل على ما وائق طبعه بظن
وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنهم صفو إيمان وعرفان ويظن أن
ما تقع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين وتعلمين نبأه بعد حين كما قيل
سوف ترى إذا أنجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار
وينشد في حق هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل ما فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد
تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما في الأحياء (أو) سوء الخاتمة يقع (بمعاداته
تعالى) وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله (لعله) أي لمعرفة العبد (بتفريقه تعالى
أيامه) أي للعبد من الدنيا (وتألم القلب) أي ولتوجعه (بفواتها) أي بفوات الدنيا
ولذاتها (وكان يستولى حبها عليه) أي على قلبه (ولضعف إيمانه) بالله وبمالديه (ولا يكون
من ذكره تعالى فيه الإحديث النفس) المحذور إليه (وهو) أي والحال أن قلبه
(أسود من ترالم ظلام الرذائل) من سوء الأخلاق والشماثل فإن اتفق زهوق وجهه في
تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمدًا وهلك هلاكًا مؤبدًا
ولا يظلم ربك أحدا (فورد) في التنزيل (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
الآية) أي وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتكموهن وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صوابا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين (أو) سوء الخاتمة يحصل (بأمر دنيوي كان
يحببه) العبد (فاحتجب عنه تعالى شغلا) لذلك العبد (به) أي بالأمر الدنيوي

فَمَا اعْتَادَوْتَرَسَّخَ فِي الْقَلْبِ لَا يُنْسَى كَمَا فِي النَّوْمِ وَهُوَ لِكثْرَةِ الْمَعَاصِي مَعَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ
أَوْ قَلَّتْهَا مَعَ ضَعْفِهِ وَهَذَا لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ وَمِنْ ثَمَّ تَكَرُّهُ الْفَجَاءَةُ لِحُجُوزِ اتِّفَاقِهَا
عَلَى خَاطِرِ سُوءٍ وَتَغْبِطُ الشَّهَادَةُ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّهِ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ

(فما اعتادو ترسخ) أي ثبت (في القلب لا ينسى كما في النوم) ويعرف هذا بمثال وهو لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فإن المراق الذي لم يحتمل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذين مضى عمره في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذي مضى عمرهم في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بأسباب التجارة أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر له في حالة النوم ما حصل له من مناسباته مع القلب بطول الألف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم، وأما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي بذلك تذكّر المألوقات من الطاعات أو السيئات أو اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والصالحات وقد قيل كما تعيشون تموتون ولما تموتون تحشرون ويشير إليه قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) وطول المواظبة على الخير وتخليّة الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه، ولذا قيل عن بقال كان يلقي عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة أربعة زيادة (وهو) أي الاحتجاب المذكور وسائر الأمور (لكثرة المعاصي مع قوة الإيمان أو قلتها مع ضعفه) أي لقلة المعاصي مع ضعف الإيمان (وهذا) الاحتجاب المذكور أو القسم المسطور من أقسام سوء الخاتمة (لا يوجب الخلود في النار) بخلاف الأولين من أقسام سوء الخاتمة فانه ما يوجب الخلود في دار البوار (ومن ثم) أي ومن أجل أن سوء الخاتمة يتحقق عند النزاع (تكره الفجاءة) من الموت والبلغته المقتضية لبعض الفوت (لجواز اتفاقها) أي اتفاق وقوع الفجاءة (على خاطر سوء) يكون سببا لسوء الخاتمة (وتغبط الشهادة) أي تحب وتتمنى (لاستيلاء حبه تعالى) حينئذ (على القلب)

وَأَعْرَاضَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ لِمَنْ يُخَالِصُ وَلَا يَقْصُدُ الْغَلْبَةَ وَالْغَنِيمَةَ وَالصَّيِّتَ
وَالْعِلَاجَ الْمَعْرِفَةَ وَلِزُومِ الطَّاعَةِ وَتَعْجِيلِ التَّوْبَةِ وَالنُّومِ عَلَى الطَّهَارَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
وَتَنْقِيَةِ الْقَلْبِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَلَا مَرُ صَعْبٍ وَمِنْ ثَمَّ يَرَوِي
عَنِ السَّافِ كَثْرَةَ النَّوْحِ وَالْبُكَاءِ .

وأعراضه عن الدنيا (واقباله بملكه على الرب (وهو) أي هذا المقام (لمن يخلص) في الآخرة (ولا يقصد الغلبة) من اخذ البلاد وفتح العباد (والغنيمة) من الأموال النفيسة والخدام الانيسة (والصيت) بالجاء والرياء والسمعة (والعلاج) للخلاص عن سوء الخاتمة (المعرفة) التامة من العلم النافع (ولزوم الطاعة) من العمل الصالح (وتعجيل التوبة) عن المعصية (والنوم على الطهارة ظاهرا) وهو طاهر (وباطنا) بأن لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد (من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا) رواه ابن السني عن أنس (وتنقية القلب) أي تصفيته وتخليته عن حب غير الرب (وتلاوة القرآن) غيا ونظرا مع مراعاة المباني وملاحظة المعاني (وطلب العلم النافع) من التفسير والحديث والفقه والتصوف (فلا ممر) أي امر سوء الخاتمة (صعب) أي شديد ومر (ومن ثم يروى عن السلف) من الصحابة والتابعين (كثرة النوح والبكاء) مع زيادة التضرع والدعاء في السراء والضراء فقد قال الحسن البصري: يخرج رجل من النار بعد ألف عام باليتى كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك لخرف سوء الخاتمة ، وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا أذكرى أحدا غير رسول الله ولا أرى الذي ولدني فثارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل علي ومناقبه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يكماخوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم تبكيان فقد امتكيا فقالا ومن يأمن مكرك رواه الطبراني وغيره وكأنهما إذا علما أن الله علام الغيوب وأنه لا ووقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله فقد امتكيا ابتلاء لهما وابتحانا ومكرا بهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكروما وفيما يقولهما هذا ، ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين أذ روح قلوبهم بروح الرجاء لا احترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم وأسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه ، وكان أبو الدرداء يحلف بالله

والأحد أن على أيمانه أن يسلب عند الموت الأسلبة، وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال (وقلوبهم وجلة) ولما احتضر سفيان جعل يبكي ف قيل يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان اتقى الله بامثال الجبال من الخطايا، وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فالآن بكوا على الاسلام، وكان سهل يقول المرید يخاف ان يبطل بالمعاصي والعارف يخاف ان يبطل بالكفر، وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين اتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر، وفيه تذييه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتقد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل، وقد قيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلافي ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خايلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، وعن الحسن لو أعلم اني بريء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، وقد قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ومنسى كونها منكرات بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة : ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا اني لاسمعه من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد، وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد عليه السلام من الكبائر رواه البخاري وغيره، وقال بعضهم علامة النفاق ان تذكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق، وقيل من النفاق انه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد عليه السلام رواه احمد، وسمع رجلا يذم الحجاج ويقم فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد عليه السلام، واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما أنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نمد هذا نقا على عهدك عليه السلام، وكان حذيفة يقول أنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرزة وبأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغرزة، ولعلمهم ما عنوا به النفاق الذي هو ضد الآيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الآيمان من بعض العصيان، والحاصل أن العارف بين الالتفات إلى السابقة وإلى الخاتمة اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي الذي نفسى يده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا من دار الآجنة أو النار ذكره البيهقي وغيره، وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم أن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل ويروى عن الصديق أنه قال لطائر ليتني كنت مثلك يا طائر ولم اخفق بشيء، وقال أبو ذر رددت لو أني لشجرة تعضد وكذا قال طلحة، وقال عثمان رددت أني إذا مت لم أبعث وقالت عائشة رددت أني كنت حيضة ونسيانسيا وروى أن عمر كان يسقط من الحرف فإذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاديا ما واخذ يوما تبة من الأرض وقال ياليتني كنت مثل هذه التبة ياليتني لم أك شيئا مذكورا ياليتني كنت نسيانسيا ياليت أمي لم تلدني وكان في وجهه عمر خيطان أسودان من الدموع ولما قرأ عمر (إذا الشمس كورت) فأنهى إلى قوله (وإذا الصحف نشرت) خر مغشيا عليه، ومريوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى (أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) نزل عن حمائه واستند إلى حائط فبكث زمانا ورجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يعرفون مرضه، وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقاب يده لقد رأيت أصحابه عليه السلام فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقيامًا يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا وذكروا مآدوا كما تميد الشجرة في يوم الريح فهملات أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كائن بالقوم باتوا غافلين يعني من حره ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ماجم، وقال عمران بن حصين لوددت أني كنت رمادا تسفني الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح رددت أني كبش فيذبحني

أهل فيأكلون لحمي ويحتسون مرقى ، وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدي من اريد أن اقوم، وقرأ مضر القارى يوما (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا) الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه وقال وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدى ابدا فاعنى بتوفيقك على طاعتي ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على أن يسمع القرآن من شدة خوفه واقد كان يقرأ عنده الحرف او الآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشقي شهقة فلاحق بالآخرة ، وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ (فاذا نقر في الناقور) خر مغشيا عليه لحمل ميتا ، ومثل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر أمامنا والقيامة موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ، وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله ، وقال الفضيل انى لا اغبط نبيا مرسل ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء يعاتبون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق، وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام : جهزوا ميتكم فان الفرق من النار فتت لبده ، رواه ابن ابي الدنيا والبيهقى في الشعب من حديث سهل بن سعد ، وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب المضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر ، وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال تسألني عن حالى ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فدملق كل انسان منهم بخشبة على أى حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم ، وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة اوفى النار، وقال معاذ بن جبل أن المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسرجه من وراءه وخلاصة الكلام في هذا المقام أن غلبة الخوف حال الصحة أصالح ليعثه على ترك الغفلة وغلبة الرجاء في تلك الحالة أصالح لانه اجلب للمحبة، ولذا قال عليه السلام: « لا يموتن

﴿البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْفَقْرُ فَقْدٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنْ فَرِحَ بِالْفَقْدِ وَكَرِهَ
الزَّائِدَ عَلَى الضَّرُورَةِ فَزَاهِدٌ وَإِنْ لَمْ يَكْرَهُ

أحمد لم الأوهو يحسن الظن بربه، رواه مسلم من حديث جابر، ومن هنا لما حضر
الوفاة سألهم أن التيمي قال لابنه يابني حدثني بالرخص واذكري الرجاء حتى ألقى الله
حسن الظن به، وكذلك لما حضر الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله
يرجونه، وقال الامام أحمد عند الموت لابنه اذكري الاخبار التي فيها الرجاء وحسن
الظن، والمقصود من ذلك أن يحبب الله إلى نفسه وأن يموت مع المحبة التي هي مقام
أنسه رزقنا الله من فيض قدسه ۝

﴿البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ﴾

الفقر نفي الانبياء وذر الاولياء والزهد زاد الاتقياء، وقدم الفقر على الزهد بناء
على تقدم وجود أصله في كل مخلوق ونسله كما يشير إليه قوله تعالى (والله الغني وأنتم
الفقراء) والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضمر لوصل نيله ﴿بسم
الله الرحمن الرحيم﴾ افتقر إلى غنى ربي الكريم وأزهد عن غير لقاء مولاي
العظيم ﴿الفقر﴾ عند الصوفي ﴿فقد ما يحتاج إليه﴾ في ظن الفاقدين بالديه أما فقد
ملا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن
المحتاج إليه فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله سبحانه
فهو فقير لانه محتاج إلى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من
فضل الله وجوده وأن كان في الوجود وجود ليس وجوده مستفاد منه من غيره فهو الغنى
المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الواحد فليس في الوجود الا غنى واحد
وكل ما عداه محتاج إليه في إيجاده وامتداده، وإلى هذا الحصر أشير في قوله تعالى (والله
الغني وأنتم الفقراء) وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال
على الخصوص والافتقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر ﴿فان فرح﴾
السالك ﴿بالفقد﴾ المذكور أو بمحصول ما يحتاج إليه ﴿وكره الزائد على الضرورة﴾
فيما لديه ﴿فزاهد﴾ أي فهو زاهد وهذه الحالة حالة علياء ﴿وان لم يكره﴾

وَلَمْ يَرْغَبْ فَرَأَى وَوَرَدَ يَامَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَعْطُوا اللَّهَ الرِّضَاءَ مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ
فَقْرِكُمْ وَأَنْ تَرَكَ الطَّلَبَ مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَهُ أَحَبُّ فَقَانِعٌ وَأَنْ رَغِبَ وَتَرَكَهُ
لِلْعَجْزِ فَخَرِيصٌ وَأَنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ وَفَقَدَهُ فَمُضْطَرٌّ وَالْأَعْلَى تَسْوِيَةُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

الزائد على الضرورة كراهة يناذى بوصوله ﴿ ولم يرغب ﴾ في الزائد على الضرورة
رغبة يفرح بمصوله ﴿ فراض ﴾ أى فاسمه راض ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه
انكار على الله ولا كراهة فى فعله . ولاء تلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر فى
عقباه ﴿ وورد يامعشر الفقراء ﴾ أى جماعتهم ﴿ اعطوا الله الرضاء من قلوبكم تظفروا
بثواب فقركم ﴾ وتامة الحديث والا فلا رواه الديلى عن أبى هريرة، ويكاد مفهوم
الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة فى فضل
الفقر والقناعة والزهد تدل على أن له ثوابا فاعل المراد بعدم الرضاء هو الكراهة بفعله
سبحانه فى حبس الدنيا عنه ﴿ وأن ترك الطالب ﴾ أى طلب الزائد على الضرورة وهو
قادر على طلبه ولكن تركه ﴿ مع أن الوجود ﴾ أى وجود المال الزائد ﴿ عنده أحب ﴾
من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يكون من طلبته بل أن اتاه عفوا
صفوا اخذه وفرح به وان افتقر إلى تعب فى طلبه لم يشتغل به ﴿ فقانع ﴾ أى فىقال له
قانع اذ قنع نفسه بالوجود حتى ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة فى
الوجود ﴿ وان رغب ﴾ فى الزائد ولو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ﴿ وتركه للعجز ﴾
أى وترك الطالب لعجزه عن طلبه أو هو مشغول بالطالب وتعبه ﴿ فخرىص ﴾ اسمه ﴿ وأن
اضطر إليه ﴾ أى افتقر إلى ما يحتاج إليه ﴿ وفقده ﴾ أى وفقده ضرره عليه كالجائع الفاقد
للخبز والعمارى الفاقد للثوب ﴿ فمضطرب ﴾ وصفه كيف ما كانت رغبته فى الطلب
ضعيفة او قوية وقل ما ينفلك صاحب هذه الحالة عن الرغبة فى الجملة ﴿ والأعلى ﴾
من الفقراء ومن الزهد أو أعلى الأحوال الخمس ﴿ تسوية الوجود ﴾ أى وجود ما يحتاج
إليه من المال ﴿ والعدم ﴾ أى ونقد ما يحتاج إليه فان وجدته لم يفرح من ثباته ولم يتأذ
عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة اذ اتاها مائة ألف درهم من العطاء فاخذته
وفرقته من يومها فقالت خادمتها لوابقيت منها درهما تشتري لنا به لحما فطر به فقالت
لو ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بخذا فيزها فى يده وخزائنها فى تصرفه

فَهُوَ اسْتِغْنَاءٌ دُونَ الْغِنَى لِاخْتِصَاصِهِ بِهِ تَعَالَى وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْفَقْرِ

لم تضره اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال (فهو استغناء دون الغنى) المطلق (لاختصاصه) أي الغنى المطلق (به) أي بالحق (تعالى) شأنه ويذبح أن يسمى صاحبه المستغنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا، وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس، ثم هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدها لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين أصبهين من أصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الاجازا (وهو) أي الاستغناء (المراد بما ورد) من الكتاب والسنة (في فضل الفقر) والفقراء كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين) الآية (وللفقراء الذين أحصروا) الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمجرة والاحصار، وكقوله عليه السلام لبلال، ايا الله فقيرا ولا تلقه غنيا، رواه الحاکم من حديث بلال والطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ فقيرا ولا تمت غنيا، وقوله يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح، وقوله الفقر أزين بالماؤن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس، وقوله اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجحيم محبسون وقوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيفة الشيرازي في شرف الفقراء، والديلمي من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، وقوله آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رأته دخل الجنة زحفا، والديلمي عن أبي الدرداء مرفوعا

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقير مقبلاً فقل مرحباً بشعار
الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجأت عقوبته، وروى أن عيسى عليه السلام
مر في سياحته برجل نائم ملتف في دباءة فابقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله فقال ما تريد
منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نعم اذن حبیبى نعم، وقال موسى عليه السلام يا رب
من احباؤك من خلقك حتى احبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل أن يكون الثانى تأكيدا
وان يكون المراد به شديد الفقر، وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له
يا مسكين، ولابى الشيخ من حديث انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا منى احبابى
فتقول الملائكة ومن احباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول ايمانى لم ازوال الدنيا
عنكم به وان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمنوا على
ما شئتم، ولابى نعيم في الحلية من حديث الحسين بن على اتخذوا عند الفقراء ايدى فان لهم
دولة يوم القيامة وللطبرانى من حديث أبى امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامى
فنظرت فاذا بلال فنظرت الى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها
فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقات يارب ما شأنهم قال أما النساء فاضرتن الاحمران
الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب فتفقدت اصحابى فلم أر
عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقات ما خلفك عنى فقال أما والله
يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات نظنت أنى لا اراك قلت لم قال كنت
احاسب بمالى ، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبر لم عن ملوك الجنة قالوا
بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله
لا بره، والترمذى من حديث عائشة أنه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بى
فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه، وعن ابن
عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقير، وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا خلقان
ثيابه فان ربك ورب واحد، وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين
وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين،
وقال المؤمل ما رأيت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجلس
الثورى، وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب
المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أبى
هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفا فالابن ماجه من حديث أنس
ما من أحد غنى ولا فقر الا رد يوم القيامة أنه بان اوتى قوتا فى الدنيا، وللدبلى يقول الله

أَمَّا مَا وَرَدَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَنَحْوِهِ فَمَحْمُولٌ عَلَى الْإِضْطِرَّارِ، وَاخْتِلَافٌ فِي أَنَّ
الْفَقْرَ أَفْضَلُ أَمْ الْغِنَى؟

تعالى يوم القيامة ابن صفوتي من خاقي؟ فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء
المسلمين القانعين ببطاقي الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فدخلونها وبأطون
ويشربون منها والناس في الحساب يترددون ﴿أما ما ورد أعوذ بك من الفقر﴾ كمال الناس
من حديث أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام كان يقول أعوذ بالله من الفقر والفاقة
وفي رواية للحاكم من الفقر والكفر ﴿ونحوه﴾ من حديث كاد الفقر أن يكون كفرا
وقد تقدم ﴿فمحمول على الإضطرار﴾ بلا انضمام زهد في الاختيار وهو أن يضطر
إلى الشيء ويفقده لأن هذه الحالة لا شك أنها مشوشة أو محمولة على فقر القلب فمن
ذو النون أقرب الناس إلى الكفر ذوقا لاصبر له ، وفي الجملة كل ما هو شاغل عن المولى
فهو شؤم في الدنيا والآخرة ، ومن هنا ورد أعوذ بك من شرفة الفقر وشرفة
الغنى فإن الفقير يكون منسياً لما أن الغنى يكون مطغيا هذا وسند كرفضل الزهد في عمله الآتي
وأما الآثار في الرضى والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه أن الطمع
فقر والياس غنى وأنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع بما في يده استغنى عنهم وفي
دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه ، وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم أن الغنى من استغنى عن الناس

وقال ابن مسعود ما من يوم الأولئك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك ، وقال أبو الدرداء ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين في دمه عمره ثم لا يحزنه
ذلك ويح ابن آدم ما ينفع ما يزيد وعمر ينقص ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة
تمنيك ورضاك بما يكفيك ، ومر رجل بعاصم بن عبد القيس وهو يأكل ما حيا وبقلا
فقال له يا أبا عبد الله أَرْضيت من الدنيا بهذا فقال أفلا أدلك على من رضى بشر
من هذا؟ قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن المعنى ، وروى أن الله عز وجل قال
في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت
فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها إلى غيرك فانا محسن إليك ﴿واختلاف
في أن الفقر﴾ مع الصبر ﴿أفضل﴾ من الغنى مع الشكر ﴿أم الغنى﴾ مع الشكر أفضل

وَالْحَقُّ الْإِخْتِلَافُ بِحَسَبِ الْأَشْخَاصِ فَالْفَضْلُ بِقَدْرِ الْفَرَاغِ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْدُّنْيَا
إِنَّمَا حَذَرَ عَنْهَا

من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والا كثرون إلى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء
كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب
فانقطع ولم ينطق في هذا الباب، واجيب أيضا بان التكبر من صفات الحق فينبغي أن
يكون أفضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لان صفات العبودية
أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينزع فيها لما ورد
الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيما قصته، وقال سهل حب العز والبقاء
شرك في الربوبية ولا منازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى
(والله الغنى وانتم الفقراء) ثم التحقيق ان الفقر والغنى إذا اخذا مطلقا لم يشك
من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير
صابر ليس بحريص على الطالب بل هو قانع وراض بالاضافة إلى غنى ينفق ماله
في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى الملتف ماله في
الخير خير من الفقير الحريص انفاقا واما الاول فربما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما
تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا
هو الذى ظنه ابن عطاء في غالب الظن فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا
يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما سيأتى من سؤال الفقراء عما يورثهم
ترجيح الاغنياء (والحق الاختلاف بحسب الاشخاص) بل وتفاوت الاحوال كما يشير
اليه قوله تعالى (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)
وفي الحديث القدسي « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان
من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » وفي دعائه عليه السلام « اللهم
وسع لى فى رزقى عند كبر سنى » ومن هنا قيل التسليم أسلم ومقام الرضاء انم والله أعلم
ويؤيده قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) (فالفضل) أى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن
الشواغل) أى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) أى عن حبها

لِلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ شَغَلَتْهُ وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمْ تَشْغَلْهُ كَسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَمَّا فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ فَالْفَقْرُ أَذْهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْأَنْسُ
بِالدُّنْيَا وَالْقُدْرَةُ عَلَى الشَّهْوَةِ

(لِلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى) بسببها وتوضيحه أن ما لا يرا د بعينه بل يرا د لغيره فينبغي أن يضاف
إلى مقصوده أذبه يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عاتقة عن الوصول
إلى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لأن فيه فقد المائق عن الله سبحانه (وكم
من فقير شغلته) الدنيا وحبها وكسبها وصبره الفقر عن المقصد فكثير أبناء الدنيا
(وكم من غني لم تشغله) الدنيا ولوا أثر في ماله وأجاهها (كسليمان عليه السلام)
وداود وإبراهيم (وعبد الرحمن بن عوف) وعثمان بن عفان وذلك لأن غاية المقصد
في الدنيا هو حب الله والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة
مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل
كما يشير إليه قوله عليه السلام «أعزذ بك من شرفة الفقر وشرفة الغنى» كما تقدم وإنما
الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع معه حب الله في القلب، والمحبة للشيء مشغول به
سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون في الوصال
أكثر. والدنيا ممشوقة للغافلين، فالمحروم منها مشغول بطلبها، والقادر عليها مشغول بحفظها
والتمتع بها (أما في حق الأكثر فالفقر) أفضل (أذ هو أبعد عن الخطر) في الشغل عن
المولى (والأنس) أي وعن الاستيناس (بالدنيا والقدره) أي وعن القوة
(على الشهوة) أذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا تقدر، ولذا
الصحابة: بليذا بفتنة الضراء فصبرنا، وبليذا بفتنة السراء فلم نصبر. ومن هذا قال عيسى
عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم. وفي
الخبر «إن لكل أمة عجلا وعجلا هذه الأمة الدينا والدرهم» رواه الديلمي من طريق أبي
عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة. وكان أصل عجل قوم موسى عليه السلام من
حلية الذهب والفضة أيضا، فاستوا المال والماء والذهب والحجر إنما يتصور للأنبياء
والأولياء، ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك كان عليه السلام
يقول للدنيا «إليك عنى إليك عنى» إذ كانت تتمثل له بزيتها، رواه الحارث. وكان

الآفِي الْمَضْطَرُ لِأَنَّهُ يَمُوتُ جَبْرًا وَالْوَاحِدُ يَحْصُلُ الْمَعْرِفَةَ الْأَمَنَ لَا يَتُوبُ عَنِ الْمَعَاصِي
فَالْمُوتُ خَيْرٌ لَهُ وَكَذًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَوَرَدَ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَأَمِتْنِي مَسْكِينًا
وَأَحْشِرْنِي فِي زَمْرَةِ الْمَسَاكِينِ بَلِّغْ عَنِّي الْفُقَرَاءَ أَنَّ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ
لَيْسَتْ لِلْأَغْنِيَاءِ أَمَّا الْخِصْلَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ
الْأَرْضِ إِلَى بُحُورِ السَّمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ فَقِيرٌ أَوْ شَهِيدٌ فَقِيرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ وَالثَّانِيَةُ

على كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري غري ، يا بيضاء غري غري ، وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه (الآفِي
المضطر) فليس الفقراء أفضل في حقهم (لانه) أي المضطر (يموت جبرا) أي خاليا
عن الخير قهرا ، وقد يكون ذلك كفرا (والواحد) بالنصب عطفًا على الضمير وبالرفع
على أنه مبتدأ خبره (يحصل المعرفة) والجملة حال (الأمن) استثناء من المستثنى
أي الامضطر (لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له) أي فالفقر الموجب للموت خير له ،
اذ تقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن ألم الاضطرار (وكذا في نفس الامر)
أي وبما أن الفقر أفضل في حق الأكثر فكذا هو أفضل في نفس الامر (فورد اللهم
أحيني مسكينا وأميتني مسكينا واحشرنني في زمرة المساكين) رواه الترمذي من حديث
انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد ، وفيه مبالغة عظيمة
في مدح المساكين حيث لم يقل واحشروهم في زمرة ، وهو أمتواضع منه عليه السلام وأما
إرادتهم الانبياء والمرسلين ، لأن غالبهم كانوا فقراء ومساكين ، وفي رواية للترمذي زيادة
يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال : « انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين
خريفاء » (بلغ عني) خطاب منه عليه السلام بأن جاء برسالة (الفقراء) من أصحابه الكرام
والمعنى اخبر من قبل الفقراء تسليية لهم حيث ما جعلوا اغنياء (أن لمن صبر) على الفقر
(واحتسب) أي طلب من الله الاجر (منكم) ومن أمثالكم (ثلاث خصال) مختصة
لكم (ليست للاغنياء) واحدة منها فضلا عن جميعها (أما الخصلة الواحدة فإن في الجنة
غرفا) أي قصورا عالية (ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى بحور السماء لا يدخلها
إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير) وهو من لا يكون صاحب نصاب (والثانية

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِمِائَةٌ عَامٌ وَالثَّلَاثَةُ إِذَا قَالَ
 الْغَنِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَقَالَ الْفَقِيرُ مِثْلَ ذَلِكَ لَمْ
 يَلْحَقْ الْغَنِيُّ بِالْفَقِيرِ وَأَنْ أَنْفَقَ مَعَهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلِّهَا مَنْ جَاءَ
 بِرِسَالَةِ الْفُقَرَاءِ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِمِائَةٌ عَامٌ (وهذه الجملة رواها
 الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه) (والثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير وان انفق معها عشرة
 آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها من جاء) متعلق ببلغ غنى أى قال النبى عليه
 السلام لمن جاء (برسالة الفقراء ان الاغنياء) يجوز فتح أن وكسرهما (يحجون ويعتَمرون
 ويتصدقون) بفضول أموالهم (ونحن عاجزون عن ذلك) فى تمام أحوالهم وفى الأحياء :
 روى فى الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء
 بالخيرات والصدقات ، والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات فى التسبيح وذا رلهم أنهم ينالون بها
 فوق ما نال الأغنياء فعلم الأغنياء بذلك فكانوا يقولونه ، فعادوا إلى رسول الله ﷺ
 فاخبروه فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » قال مخرجه متفق عليه
 من حديث أبي هريرة ونحوه انتهى . وقال فى الأحياء أيضا : وقد استشهد ابن عطاء
 بهذا أيضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك
 وهو أن ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى ، وأن فوزهم بذلك الثواب هو
 (فضل الله يؤتيه من يشاء) فقد روى زيد بن اسلم عن أنس قال « بعث الفقراء رسولا
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنى رسول الفقراء إليك ، فقال
 مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله ، قال قالوا يا رسول
 الله أن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر عليه ، ويعتَمرون ولا تقدر عليه ، وإذا
 مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال عليه السلام بلغ عنى الفقراء ، الحديث
 قال مخرجه : لم أجده هكذا بهذا السياق . والمعروف فى هذا المعنى ما رواه ابن ماجه
 من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما فضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال يا معشر الفقراء ألا ابشركم أن فقراء المهاجرين

وَلَاَنَّ الْغِنَى سَبَبُ طُولِ الْحِسَابِ وَالْغُرُورُ فَإِنَّ عُرُضَ بَانَ الْغِنَى صِفَتُهُ تَعَالَى
وَالْتَخَلُّقُ بِاخْلَاقِهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ وَبَانَ الْغِنَى قَادِرٌ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ دُونَ الْفَقِيرِ لَمْ
يَعْتَرِضْ لِأَنَّ الْغِنَى بِالْأَسْبَابِ وَالْأَعْرَاضِ لَيْسَ مِنْ خُلُقِهِ تَعَالَى كَالْتَكْبِيرِ دُونَ اسْتِحْقَاقِ

يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام () ولان () عطف على
ورد فهو دليل ثان على أن الفقر أفضل في نفس الامر وذلك لان () الغنى سبب
طول الحساب () وهو نوع من العذاب ، ولذا قال أبو الدرداء : ما أحب أن لي حانوتا على
باب المسجد ولا تخطئني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم أربعين دينارا ، واتصدق بها في
سبيل الله ، قيل وما تكره ؟ قال سوء الحساب . ومن هنا قال شقيق : اختار الفقراء
ثلاثة أشياء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفة الحساب . واختار الاغنياء ثلاثة
اشياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب () والغرور () أي وسبب طول
الغرور في الامور الموجبة للحجاب ، فقد قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو في طاب
الدنيا كمثل من يطأ النار بالخلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسملك ، وقال أبو سليمان
الداراني : تنفس فقير في شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني الف عام ، وعن
الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتبه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف
دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل . وقال رجل لبشر بن الحارث : ادم الله
لي فقد أضرتني العيال ، فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز قادع الله
لي في ذلك الوقت فان دعائك افضل من دعائي . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل
روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجواهر على جيد الحسناء . وقد
كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء () فان عورض () ما ذكره من ادلة تفضيل
الفقر على الغنى () بان الغنى صفة تعالی والتخلق باخلاقه مندوب اليه () كما ورد : تخلقوا
باخلاق الله ، () وبان الغنى قادر على العبادات المالية () من الزكاة والحج والعمرة
() دون الفقير () أي بخلافه () لم يعترض () أي لم يقبل اعتراضه في الامرين فهما الف
ونشرهما مرتبا قوله () لان الغنى بالاسباب والاعراض () الواقعة ، من غير الاسباب
() ليس من خلقه () أي صفة () تعالی كالتكبر () بهما () دون استحقاق () للغنى والكبرياء
وذلك لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفاته

وَالْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ إِنَّمَا تُوجِبُ الثَّوَابَ لِمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا كَالْتَوْبَةِ لِمَنْ تَرَكَ الذَّنْبَ فَلَوْ فَضَّلَ
 الْغَنَى عَلَى الْفَقِيرِ لَفُضِّلَ الْعَاصِي عَلَى الْمُتَّقِي وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ
 تَعَالَى بَلْ يَتَقَلَّدُ مِنْهُ الْمَنَّةُ كَتَقَلَّدِ الْمُحْجُومِ مِنَ الْحَاجِمِ وَالْأَيَّامُ وَيُسْتَرَاهُ—
 بِالتَّجَمُّلِ وَالتَّعَفُّفِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

اللائقة بذاته كما أوضحناه فيما تقدم (وَالْعِبَادَةُ) أى ولان العبادة (الْمَالِيَّةُ) إِنَّمَا
 تُوجِبُ الثَّوَابَ (فِي الْعَقَبِ) (لِمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا) (الاشتغال بخدمة المولى) (كَالْتَوْبَةِ) (فِي الدُّنْيَا)
 تُوجِبُ التَّوْبَةَ فِي الْآخِرَى (لِمَنْ تَرَكَ الذَّنْبَ) (أى عِثَارَةُ الْمَوْلَى) (فَلَوْ فَضِّلَ الْغَنَى عَلَى
 الْفَقِيرِ) (بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ) (لَفُضِّلَ الْعَاصِي عَلَى الْمُتَّقِي) (أى الطَّائِعِ مِنَ الْإِبْرَارِ وَهُوَ لَا يَصِحُّ
 عِنْدَ أَوَّلَى الْإِسْتِبْصَارِ) (وَحَقُّهُ) (أى حَقُّ الْفَقِيرِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ عَشْرُونَ حَقًّا) (أَنْ لَا يَكْرَهُهُ)
 أَى الْفَقْرَ (مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ تَعَالَى) (شَرَعًا وَأَنْ كَانَ كَارَهَا لِلْفَقْرِ طَبْعًا، كَالْمُحْجُومِ يَكُونُ
 كَارَهَا لِلْحِجَامَةِ وَلَا يَكْرَهُ فِعْلَ الْحِجَامِ إِلَّا كَارَهَا لِلْحِجَامَةِ) (بَلْ) (رَبَّمَا) (يَتَقَلَّدُ مِنْهُ)
 سَبْحَانَهُ (الْمَنَّةُ كَتَقَلَّدِ الْمُحْجُومِ) (أى كَتَقَلَّدِهِ الْمَنَّةُ) (مِنْ الْحَاجِمِ) (ثُمَّ عَدَمُ الْكِرَاهَةِ
 مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ وَاجِبٌ وَتَقْيِضُهُ حَرَامٌ وَمَحْجُوطُ ثَوَابِ الْفَقْرِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ) (وَالْأَيَّامُ)
 أَى وَأَنْ لَمْ يَحِبَّهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ تَعَالَى يَأْتِمُّ لِعَدَمِ الرِّضَاءِ بِالْقَضَاءِ وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادَةِ شَرَعًا
 وَأَنْ كَانَ الْفَقْرُ مَكْرُوهًا عِنْدَهُ طَبْعًا وَارْفَعَهُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ أَنْ لَا يَكُونَ كَارَهَا لِلْفَقْرِ بَلْ يَكُونَ
 رَاضِيًا بِهِ وَارْفَعَهُ مِنْهُ أَنْ لَا يَكُونَ طَالِبًا لَهُ وَفَرَحًا بِهِ لِعِلْمِهِ بِغَوَائِلِ الْغَنَى وَيَكُونُ مَتْرُكًا فِي بَاطِنِهِ
 عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاثْقَابَهُ فِي قَدَرِ ضَرُورَتِهِ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الرِّزْقُ لَا مُحَالَةً عِنْدَ الْمَوْلَى، وَيَكُونُ كَارَهَا لِلزِّيَادَةِ
 عَلَى الْكَفَافِ، وَقَدْ قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهٌ: أَنْ لَمْ يَكُنْ عَقُوبَاتٌ لِلْفَقْرِ وَمَثُوبَاتٌ بِالْفَقْرِ، فَمِنْ عِلَامَةِ
 الْفَقْرِ إِذَا كَانَ مَثُوبَةً أَنْ يَحْسُنَ عَلَيْهِ خَلْقُهُ وَيَطِيعَ بِرَبِّهِ، وَلَا يَشْكُو حَالَهُ، وَيُشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى
 عَلَى فَقْرِهِ. وَمِنْ عِلَامَتِهِ إِذَا كَانَ عَقُوبَةً أَنْ يَسُوءَ عَلَيْهِ خَلْقُهُ وَيَعْصِي رَبَّهُ وَيَكْثُرُ الشَّكَايَةُ وَالتَّسَخُّطُ
 بِالْقَضَاءِ، وَهَذَا آدَابُ بَاطِنِهِ مَعَ رَبِّهِ (وَيُسْتَرِ) (أى وَحَقُّ الْفَقِيرِ فِي آدَابِ ظَاهِرِهِ أَنْ يُسْتَرِ
 (أَمْرَهُ) وَيَكْتُمَ فَقْرَهُ وَيُسْتَرِ أَيْضًا سِرَّهُ فَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: سِتْرُ الْفَقْرِ مِنْ كُنُوزِ الْبَرِّ. وَرَوَى مَنْ
 كُنُوزِ الْبَرِّ كَتِمَانُ الْمَصَائِبِ، (بِالتَّجَمُّلِ) (أى بِإِظْهَارِ الْجَمَالِ) كَأَنَّهُ صَاحِبُ الْمَالِ قَالَ صَاحِبُ
 هَذَا الْحَالِ: وَإِذَا تَصَلَّيْتُ خُصَاصَةً فَتَجَمَّلُ ۝ ۝ وَقَالَ سَفِيَّانٌ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ التَّجَمُّلُ
 عِنْدَ شِدَّةِ الْأَحْوَالِ (وَالْتَعَفُّفُ) (عَنِ السُّؤَالِ وَإِظْهَارِ الْحَالِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ
 أَصْحَابَ الصِّفَةِ مِنْ لَدُنِ الرِّجَالِ بِقَوْلِهِ) (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) (أى إِظْهَارِ

فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ وَلَا يَتَوَاضَعُ لِكُنْيٍ لِلْغَنِيِّ فَوَرَدَ فِيهِ
 «مَنْ تَوَاضَعَ لِكُنْيٍ ذَهَبَ ثَلَاثُ دِينِهِ» بَلْ يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ فَوَرَدَ أَنَّهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَتَوَانَى فِي الْعِبَادَةِ
 وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ فَوَرَدَ فِيهِ «أَنْ دَرَاهِمًا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ»

العفة حال المحنة (فورد ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال) رواه ابن ماجه من
 حديث عمر بن الخطاب (ولا يتواضع) أى وحق الفقير ان لا يتواضع (لكني) بالمال
 (للكنى) أى لاجل ماله من مال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والاعمال
 (فورد فيه) أى في ذمّه (من تواضع لكني) لاجل غناه (ذهب ثلاثا دينه) رواه البيهقي
 وغيره . وروى الديلمي عن حديث أبي ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لكني من اجل ماله
 من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه ، انتهى . وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان
 وجوارح ، وفي تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح ، وفيه تنبيه عليه على
 أنه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه (بل) حق الفقير ان (يترفع عليه) أى على
 الغنى استغناء بربه الغنى المكنى (فورد أنه) أى التكبر على الغنى المتكبر (صدقة) أى
 ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه في باب الفقر ، وفي رواية ته
 مع التامى فانه صدقة . وعن علي كرم الله وجهه : ما احسن تواضع الغنى للفقير
 رغبة في ثواب الله ، واحسن منه تبه الفقير على الغنى ثقة لله ، فهذه رتبة واكل منها
 أن لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك مبادى الطمع . قال النورى :
 إذا خاطب الفقير الاغنياء ورغب في مجالستهم فاعلم أنه مرأى ، وإذا خاطب السلطان
 فاعلم أنه اصر . وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته ، فإذا
 طمع فيهم انقطعت عصمته ، وإذا سكن اليهم ضل سعيه ومحتته (ولا يتوانى) أى
 وحقه أن لا يفتقر عن الطاعة ولا يتكاسل (في العبادة) بسبب فقره وقلة صبره (ويتصدق
 بالفاضل) أى وحقه أن لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى
 عورته ويدفع عنه حره وبرده ، ويبت يكرهه ويستتره فان ذلك جهد المقل ، وفضله اكثر من
 أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى (فورد فيه) أى في حقه (ان درهما) من الفقير
 (افضل من مائة الف) أى مائة الف درهم من الغنى ، وفي رواية «سبق درهم مائة
 الف درهم» وعن أبي هريرة قال عليه السلام «درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة

وَيَسْتَقْرِضُ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ تَعَالَى لَا تَعْوِيلًا عَلَى السُّلْطَانِ الظَّالِمِ فَيَقْضِي أَنْ وَجَدَ
حَلَالًا وَلَا يَقْضِيهِ تَعَالَى وَيَرْضَى الْخُصْمَاءَ وَيَكْشِفُ الْحَالَ عَنِ الْمَقْرَضِ وَلَا يَخْذَعُ
بِالْمَوَاعِيدِ وَيَجِبُ الْقَضَاءُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَالصَّدَقَاتِ وَلَا يَسْأَلُ فَهُوَ فِي الْأَصْلِ
حَرَامٌ لَتَضْمَنِهِ الشُّكَايَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَاذْلَالَ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةَ لغيره

الف ، قيل وكيف يا رسول الله ؟ قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق
بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، انصار صاحب الدرهم
افضل من صاحب المائة الف ، رواه النسائي (ويستقرض) أي وحقه أن يستقرض
(تحسینا للظن به تعالی) أن يقضيه من خزائن كرمه وجوده (لا تعويلا) أي اعتمادا
(على السلطان الظالم) وأعوانه وجنوده (فيقضي) دينه بنفسه (ان وجد حلالا)
بعده (والا) أي وان لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ (يقضيه تعالی) في الدنيا
(ويرضى الخصماء) في العقبى اما بفضله أو بعدله بأن يغطي الخصم بثلة يرضى
بها عن حقه (ويكشف الحال) أي وان يظهره ولا يخفيه (عن المقرض) لئلا يدخل تحت
وعيد « من غشنا فليس منا » (ولا يخدع) أي وان لا يخدع المقرض (بالمواعيد) الكاذبة
(ويجب القضاء) أي قضاء دين الفقير حيث صرفه في الطاعات (من بيت المال)
الموضوع لمهمات المسلمين من الملمات (والصدقات) أي الزكاة (ولا يسأل) أي وحقه
أن لا يسأل من الناس أصلا (فهو) أي السؤال من الخلق (في الأصل) أي أصل وضع
الشرع (حرام) وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة أو حاجة مهمة قريبة من
الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما كان الأصل فيه التحريم لثلاثة أمور محرمة
(لتضمنه الشكاية منه تعالی) اذ السؤال اظهار للفقر وفقد المال وذكر لقصور نعمة الله عنه
في الحال ، وهو عين الشكوى من المولى وذا أن العبد المملوك اذا سأل غير سيده كان
سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغي أن يحرم
ولا يحل الا لضرورة لا لتحل الميتة الا لضرورة (واذلال النفس) أي ولتضمنه اهانة
النفس (المؤمنة لغيره) سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو أين الطريق وورد « لا يحل
لمو من أن يذل نفسه » يعني لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه
فقد قال تعالی (والله العزة والرسوله والبر مدين) فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي

وَإِذَا الْمَسْئُولُ فَرُبَّمَا يُعْطَى حَيَاءً فَوَرَدَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْفَوَاحِشِ غَيْرَ مَسْأَلَةِ النَّاسِ

أن يذل لهم الا اضرورة في أحواله ففي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسئول ، ومن دعاء الامام أحمد : اللهم لما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك (وايذاء المسئول) اي ولتضمنه ايذاءه غالباً لانه ربما لا تسمح نفسه بالذل عن طيب قلب منه (فربما يعطى حياء) من السائل اورياه اذا كان السؤال في المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحي وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما وذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا اضرورة (فورد) في كون السؤال في الاصل حراما (ما احل من الفواحش غير مسألة الناس) ولفظ الاحياء مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجده اصلا انتهى ، فورده من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه دظم يتقعقع ليس عليه لحم » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا ، وللشيعين من حديث ابن عمر « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ، ولا صحاب السنن من حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه ، ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعي « انه عليه السلام بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ، ولقد كان بعضهم يقبح السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناوله ولا يقول لاحد ان يناوله » ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث أبي سعيد الخدري « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب الينا » وللبخاري والطبراني من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بثوص السواك » واسناده صحيح ، وفي رواية فتغنموا ولو بحزم الخطب . فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الالفقير . قال في الاحياء : وتقديره عسير اذ ليس الينام وضع التقدير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقرير ، وقد ورد في الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا وما هو ؟ قال غدا يوم وعشاء ليلة » كذا في الاحياء قال مخرجه : هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه ؟ قال ما يغنيه اوعيشه » ولاحمد من حديث علي باسناد حسن « قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته » وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية . وفي حديث آخر « من سال وله خمسون درهما

الْأَلْضُرُورَةُ تُمِيتُ أَوْ تَمْرُضُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْكَسْبِ أَوْ اسْتَغْرَقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
أَوْ تَعَبَ وَفِيهِ التَّرْكُ أَوَّلَى

او عدلها من الذهب فقد سال الحافا، وفي لفظ آخر واربعون درهما، راعل هذه الاحاديث
محركة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب او البيت ونحوهما من
ضروريات معيشته . وقيل يجوز للسائل ان يسال معيشة سنة لاسيما اذا كان معيلا او لا
يعطى العطاء الا في وقت واحد ، والله سبحانه اعلم (الا) أى وحقه ان لا يسال
احدا الا (لضرورة تميت) أى تقتله (او تمرض) أى تجعله مريضا او تجعله عريانا
ونحوها فالسؤال حينئذ مرخص فيه لكن (لمن عجز عن الكسب) بحرفة ونحوها
(او استغرق) وقته (في طلب العلم) الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى ، لا من استغرق
في طلب العبادة ، فان تقع هذا قاصر ونفع ذلك متعدد ، ولان زيادة العبادة نافذة وزيادة
العلم فريضة (او تعب) أى او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة (وفيه) أى فى
حصول التعب (الترك) للسؤال (اولى) مع جواز السؤال وفي الجملة ورد ما يدل على
الرخصة في السؤال حيث قال عليه السلام « للسائل حق وان جاء على فرس » رواه أبو داود من
حديث الحسين بن علي ، ولابي داود والترمذي وقال حسن صحيح « ردوا السائل ولو بظايف
محرق ، وقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام . وروى : أن بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده ويسأل الناس
في بعض المواطن ، قال فاستعظمت ذلك واستعجبته له ، فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك ، فان الثورى لم يسأل الناس لتعظيمهم ، انما يسألهم ليثيبهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث لا يشعرون ، ثم قال الجنيد : هات الميزان فوزن مائة درهم ، ثم قبض
قبضة والقاها على المائة ، ثم قال احملها اليه ، فقلت فى نفسى : انما يوزن الشئ . ليعلم
مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم ، فاستحييت ان اسأله ، فذهبت بالبصرة
الى الثورى ، فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه ، وقال : قل له انا لا اقبل منك
انت شيئا ، واخذ ما زاد على المائة ، قال فزاد تعجبي ، فسأله فقال : الجنيد رجل حكيم
يريد أن ياخذ الحبل بطرفيه ، وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه ، قال فرددتها الى الجنيد
فبكى وقال : اخذ ما له ورد ما لنا والله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم ،
وكيف خلاصت لله أعمالهم ، حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير

وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشَّكَايَةِ فَيَقُولُ أَنِّي مُسْتَغْنٍ لَكِنِ النَّفْسُ تُرِيدُ الشَّهْوَةَ وَعَنِ الْإِذْلَالِ
فَيَسْأَلُ قَرِيبًا أَوْ كَرِيمًا لَا يَمْنُ بَلْ يَقْبَلُ الْمَنَّةَ وَعَنِ الْإِذَاءِ فَلَا يَسْأَلُ فِي الْجَمْعِ إِلَّا
عَمَّنْ يَسْتَحْيِ عَنِ الرَّدِّ فَيَحْرُمُ أَنْ أُعْطِيَ حَيَاءً مِنْهُ أَوْ مِنْ حَاضِرٍ كَأَنَّهُ لَوْ أَخَذَ عُنْفًا وَالْفَارِقُ
الْقَرَأْنُ وَفَتْوَى الْقَلْبِ وَيَشْكُرُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ الْقَبْضِ بِالشَّغَالِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِيهَا

مناطقة باللسان ، ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار ، وذلك نتيجة اكل الحلال ،
وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة (ويحترز) أى وحقه
أن يحترس (عن الشكاية) من الله فى سؤاله (فيقول) قائما لحاله (أنى مستغن)
بالقاب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال (لكن النفس تريد الشهوة) فتوقفى فى السؤال
(وعن الإذلال) أى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنبيا لثما من ارباب
الاموال (فيسال قريبا) أى ذا قرابة حميما من اهل الكمال من وصفه أنه لا ينقصه ذلك
فى عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه ، فكان ابراهيم النخعى يسال اصحابه
الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذه (او كريما) من ذوى الجمال
من نعتة أنه (لا يمن) على السائل بالعطاء والنوال (بل يقبل المنة) للسائل عليه فى
اخذ المال ولو بالسؤال . فقد قال بشر الحافى : ما سالت احدا قط شيئا الا السرى السقطى
لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا . فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
عوناله على ما يحب (وعن الايذاء) أى ويحترز عن ايذاء المسؤل (فلا يسال فى الجمع
الا عمن يستحي عن الرد) والمنع وأن لم يكن فى الجمع (فيحرم) حيثما اخذ (ان
اعطى) المسؤل (حياء منه) أى من السائل (او من حاضر) آخر (بالواخذ عنفا)
أى غصبا ، اذ لا فصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء ، بل ضرب الباطن
اشد نكاية عند العقلاء . (والفارق) بين عطاء الله او حياء من الخلق (القرائن) الموجودة
فى تلك الحالة (وفتوى القلب) الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ،
أن يلقي الكلام تعريضا فى الصحبة بحيث لا يقدم على البذل المتبرع بصدق الرغبة ،
وأن لا يعين شخصا للسؤال لتلايشوش له البال (ويشكره) أى وحق الفقير أن يشكر
الله (سبحانه بعد القبض) أى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء (بالاشتغال بالطاعة)
قولا أو فعلا مثل أن يقول الحمد لله او يصلى ركعتين لله (والانفاق فيها) أى وبصرف

فَهُوَ الْأَحَبُّ أَوْ فِي الْمُبَاحِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِ الْفَقْرِ وَشُكْرُ الْمُعْطَى بِكَوْنِهِ سَبِيحًا فُورِدَ مِنْ
 لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ وَيَدْعُو لَهُ فُورِدَ مِنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ
 فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ وَلَا يَسْتَصْغِرْ وَلَا يَفْزَعْ بِالْمَنْعِ وَيَحْتَرِزْ عَنِ الشَّبْهِةِ فُورِدَ
 (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)

العطاء في طاعة المولى (فهو) أى الاتفاق في الطاعة (الاحب) أى الافضل من غيره
 المستفاد من قوله (او في المباح) ينفق مثل فضول الحلال (ومعرفه فضل الفقر)
 أى وبمعرفة المثمرة لترك التواضع المفرط للمعطي (وشكر المعطى) أى وبشأنه لجزائه
 (بكونه سبياً) في عطائه (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذى
 وحسنه عن أبى سعيد ، وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله ، أما اذا غفل عن الله فى
 اخذ العطاء أو اتنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حيثئذ شكرا لله
 (ويدعوه) أى وحقه أن يدعو بالخير للمعطي فيقول : طهر الله قلبك فى قلوب الابرار ،
 وزى عمالك فى عمل الاخيار : او يقول : بارك الله لك فيما اعطيت وفيما بقيت (فورد
 من اسدى) أى أوصل (اليكم معروفاً) أى احساناً (فكافته) أى جازوه بمثله
 لقوله تعالى (هل جزاء الاحسن الا الاحسان) (فان لم تستطيعوا) على المكافاة فى العطاء
 (فادعوا له) باظهار الثناء واسرار الدعاء ، فللترمذى والنسائى وابن حبان عن اسامة
 بن من صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء ، وللشيرازى
 عن ابن عباس « من اسدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب ،
 ولا بن عساكر عن على « من صنع الى أحد من اهل بيتى يدا كافاته عليها يوم
 القيامة ، (ولا يستصغر) أى وحقه أن لا يستحق العطاء ولا يترك الدعاء والثناء ؛
 لحديث « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ،
 رواه عبد الله بن احمد فى زوائد المسند عن عثمان بن بشير (ولا يفزع) أى وان لا يجرع
 (بالمنع) فان العطاء والمنع والضر والنفع بيد الله سبحانه . فورد « لا مانع لما اعطيت
 ولا معطى لما منعت » وفى الحكم لابن عطاء : ربما اعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك
 وقال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وما منع
 عبد عن باب الاوفى له عن ابراب (ويحترز) أى وحقه أن يحترز (عن الشبهة)
 أى تناوها (فورد) فى التثريب (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من الشدائد

ويزقه من حيث لا يحتسب) ولا يأخذ أكثر من قوت يومه وليلته فهو العزيمه
والرخصة قوت سنة لتجدد سبب الدخل بعدها وكان عليه السلام لا يأخذ للعيال أكثر
منه بل يؤثر شيئاً منه حتى ينتهى قبل مضي السنة وهو الوسط المرضي من الروايات
فورد أربعون أو خمسون ونصاب الزكاة وقيمة الضيعة أو البضاعة المحصلة للغنى

الديوية والاخرية ، و يجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا (ويزقه
من حيث لا يحتسب) رزقا حلالا طيبا من غير حساب (ولا يأخذ) أى وان لا يقبل
(أكثر من قوت يومه وليلته) ان كان من الاقوياء (فهو) أى اخذ قوت اليوم (العزيمه)
التي يأخذها الانبياء والاولياء (والرخصة) للضعفاء ومن له العيال والنساء (قوت سنة
لتجدد سبب الدخل) وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعتة (بعدها) أى بعد
تمام سنته (وكان عليه السلام لا يأخذ) أى لا يدخر (للعيال أكثر منه) أى من قوت
سنة (بل يؤثر شيئاً منه) أى من قوت سنة للفقراء (حتى ينتهى) أى يفرغ ما ادخره
(قبل مضي السنة وهو) أى ادخار قوت السنة (الوسط) أى الافضل المتوسط بين
الحالات (المرضي من الروايات ، فورد أربعون) يوما (أو خمسون) يوماً في مدة جواز
الادخار ، والشك او التنويع (ونصاب الزكاة) وهو عشرون دينارا او اربعمائة
درهم (وقيمة الضيعة) أى المزرعة فيستغنى بها طول عمره ، وفي معناها قيمة البيوت
والحوانيت المستقلة لفوائد الغلة (او البضاعة) أى قدر رأس مال التجارة (المحصلة
لغنى) بسبب الربح الكافي للمعيشة ، فيتجر بها ويستغنى عن غيرها . وفي الاحياء :
ان في الادخار ثلاث درجات : أحدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة
الصادقين . وثانيها ان يدخر لاربعين يوما ، فاما زاد عليه دخل في طول الامل . وقد
فهم العلماء ذلك من معاد الله لموسى عليه السلام ، فقهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين
يوما . وهذه درجة المتقين ، ثالثها ان يدخر لسنة وهى أقصى المراتب ، وهى رتبة
الصالحين . ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية ، فغنى الصالح الضعيف لطا نذرة قلبه في قوت سنة ، وغنى
الخصوص في أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة . وقد قسم النبي
عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

وَيَسْتُرُ تَحَامِيًّا عَنْ هَتِكِ الْمُرُوءَةِ وَكَشَفِ الْحَاجَةِ وَالْحَسَدِ وَالْغِيْبَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ
وَعَنْ اِعْلَانِ عِبَادَةِ الْمُعْطَى وَمَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فَمَوْ حَرَامٍ وَشَبْهَةِ الشَّرِكَةِ فَوْرَدَ
مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شَرَكَاؤُهُ فِيهَا وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِ أَخْذِ
غَيْرِهِ كَأَخْذِهِ

حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة ، منهن عائشة وحفصة ، وقد سكت عنه مخرجه ﴿ ويستر ﴾ أى وحقه ان يستر السؤال او اخذ النوال ويكتمه فيسال في الخلاء دون الملاء ﴿ تحاميا عن هتك المروءة ﴾ أى تحفظا عن خرق الفتوة فانها تقتضى عدم السؤال فى حال يوجب الايذاء ، او مروءة المسؤول ان رد السائل مع القدرة والقوة ﴿ وكشف الحاجة ﴾ أى وتحميا عن اظهار الفقر والفاقة وقد تقدم ان من كنوز البر كتمان الفقر ﴿ والحسد ﴾ أى وعن اظهار الحسد الذى لا يخلو من الجسد ﴿ والغيبة ﴾ بالطعن عليه بالغيبة ﴿ وسوء الظن به ﴾ فى كونه غنيا ، ويظهر الفقر الذى يقتضى خلقا دنيا ، وهذا كله من الكبائر فصياتهم عن هذه الجرائم أولى ، وذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ كما لا يخفى ﴿ وعن اعلان عبادة المعطى ﴾ فان الاخفاء افضل فى الصدقة لقوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفى ستر السؤال واخذ النوال اعانة للمعطى على اسرار والعمل واخفائه الذى هو الالكل والاعانة على اتمام المعروف معروف عند الكمل ﴿ وعن اعلان ﴾ مَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فَمَوْ حَرَامٍ ﴿ من غير الضرورة ﴾ (وشبهة الشراكة) أى وتحاميا عنها ﴿ فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم ﴾ او احد ﴿ فهم شركاؤه فيها ﴾ والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه وية فقدون اموره ، لا كل من كان جالسا فى ذلك الوقت عنده كذا فى اصول الترهذى . والحديث رواه الطبرانى من حديث الحسن بن على بلفظ « لجلساؤه شركاؤه فيها » وعليه البخارى بصيغة تميم . قال السيوطى : واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى . واما حديث « الهدايا تشترك » فلا أصل له وكذا « الهدية لمن حضر » الامن حيث المعنى من غير اعتبار المبنى ﴿ ويعرف ﴾ من ستر سؤاله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة الى آخره ﴿ بكرامة ظهور اخذ غيره كاخذه ﴾ أى ككرامة ظهور اخذ نفسه : فورد « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه »

وَيُظْهِرُ قَصْدَ الْإِخْلَاصِ وَاسْقَاطَ الْجَاهِ وَهَضْمَ النَّفْسِ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ فَوَرَدَ (وَأَمَّا
 بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَعْرِفُ بَارَادَةَ ظُهُورِ عَطَاءِ
 السَّاتِرِ لَهُ كَعَطَاءِ الْمُظْهِرِ لَهُ وَأَمَّا أَنْ بَلَغَ حَدًّا يَسْتَوِي فِيهِ السِّرُّ وَالْعِلَانِيَةُ فَكَبَرِيَّتُ
 أَحْمَرُ وَيَتْرَكُ مَا فِيهِ السُّمْعَةُ وَالرِّيَاءُ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْأُولَى أَنْ
 لَا يَأْخُذَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ

ويذكره لآخيه ما يكره لنفسه (و يظهر) أى رحمة أن يظهر السؤال واخذ النوال (قصد
 الإخلاص) فى تصحيح الحال ، والمعنى أن من ترك السؤال فى الملائلا يعيب عليه
 الخلق فى الخلاء فهذا نوع من الرياء ، فيصح له أن يظهر اخذ العطاء ليتخلص من
 شائبة الرياء (واسقاط الجاه) واسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا (وهضم النفس) أى
 ولرياضتها فى طريق المولى النافعة له فى العقبي (واداء الشكر) أى ولادائه لنعمة
 الفقر (فورد) فى التنزيل ابيان مدح اظهاره (وأما بنعمة ربك فحدث) وليبان ذم
 اسراره (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وهذا أنما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلاء
 كما يتلذذ غيره بالسعة والنعماء بل يكون ممن يقتدى به الصالحاء ، وينفق على فضله العلماء
 فيظهر الشكر على الفقر ، ليعلم أن موجب فضله الفقر المقرون بالشكر (ويعرف) من
 يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر فى نعمة الفقر (بارادة ظهور عطاء الساتر له) أى
 المدعى (كعطاء المظهر له) بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق
 الاظهار عكس فعل بعض الابرار (وأما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلانية)
 فى حقه (فكبريت أحمر) أى فهو كبريت أحمر عزيز الوجود فى دائرة الشهود بل
 كعنفاء مغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم (ويترك) أى وحقه أن يترك (ما)
 أى سؤال ما أو اخذ ما يدخل (فيه) أى عطائه (السمعة والرياء) وكذا المنفعة والايذاء
 (تحاميا عن الاعانة على الاثم) قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان) وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
 افتخارا به لاخذت ، وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتية من صلة قال : انما ارد
 صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم ، لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب
 اموالهم وتحبط اجورهم ، وتفسد احوالهم (والاولى أن لا يأخذ الا للحاجة

إِلَيْهِ فَوَرَدَ مَا الْمُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ أَمِنْ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ أَوْ التَّفْرِيقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيُعْجَلُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِنْسِ بِالدُّنْيَا أَوْ الْآخِذِ فِي الْمَلَأِ وَالرَّدِّ فِي الْخَلَاءِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ وَيَخْتَارُ التَّطَوُّعُ أَنْ شَكَّ فِي شَرَائِطِ الْوَاجِبِ أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّقُ

(إليه) فيما لا بد منه ، وهو مفسر في حديث رواه الترمذى وصححه عن عثمان مرفوعا « لاحق لابن آدم الألف ثلاث : جلف الخبز والماء ، وثوب يوارى عورته ، وبیت يسكنه » ويمكنه فإزاد فهو حساب « (فورد ما المعطى من سعة) في ماله « (بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان) الآخذ « (محتاجا إليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر « (أو التفريق) أى أو لا يأخذ إلا لاجل تفريقه « (على الفقراء) المحرومين من خيرات الأغنياء « (فيعجل) في التفريق ولا يهمل « (تحاميا عن الانس بالدنيا) فلا يدخر فإن أمساكه ولو لولاية واحدة فيه اختبار وقتنة ، فربما يحلو في قلبه فيمسه . ولا يحد من حديث عائشة بسند حسن أنه قال في مرضه الذى مات فيه « يا عائشة ما فعلت بالذهب ؟ فجاءت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقاها بيده ويقول : ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عذره ؟ انفقها « وفي رواية سبعة او تسعة دنائير . وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو ساهم الوجه - أى متغيره - قالت لحديث ذلك من وجع ، فقلت يا نبي الله مالك ساهم الوجه ؟ فقال من اجل الدنانير السبعة التى اتانا أمس ، أمسينا وهى في خصم الفراش « وفي رواية « أمسينا ولم تنفقهها ، « (أو الآخذ) أى ولا يأخذ إلا لاجل أخذه « (في الملاء والرّد في الخلاء فهو أقرب إلى السلامة) من السعة والرياء ، ومن خباله الاغنياء وما يحصل لهم من الايداء ، وأما أن أخذه في الملاء وفرقه في الخلاء فهو مقام الصديقهين من الاولياء ، وهذا أمر شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمانت نفسه بالرياضة . هذا ويجوز له أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو احوج إليه منه ، أو يأخذ العطاء ويرصه إلى من هو احوج إليه من الفقراء فيعمل كلاهما في السر أو كلاهما في الملاء « (ويختار التطوع) أى وحقه أن يختار أخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكاة والفطرة « (أن شك) الفقير « (في شرائط الواجب) أى في وجود شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة أم لا ، فإن اشتبه الأمر عليه فهو محل الشبهة « (أو علم) الفقير « (أنه) أى الغنى « (لا يتصدق) بصدقة

عَلَى غَيْرِهِ أَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَوْ قَصَدَ التَّوَسُّعَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْوَاجِبُ أَنْ قَصَدَ الْإِعَانَةَ عَلَى
أَدَائِهِ أَوْ مُوَافَقَةَ الْفُقَرَاءِ أَوْ هَضْمَ النَّفْسِ فَمِثَالُهُ يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّةِ

التطوع (على غيره أن لم يأخذ) الفقير بعينه (أو قصد) الفقير (التوسيع على الفقراء) بإثار مال زكاة الأغنياء فإنه يختار أخذه فإنه محض الخير وتفع الغير (والواجب) أي ويختار أخذ صدقة الواجب (أن قصد الإعانة على أدائه) أي أداء الواجب وقضائه (أو) قصد (موافقة الفقراء) ومراعاة الضمائم (أو هضم النفس) أي رياسته في مقام الابتلاء (فأمثاله) أي أمثاله اذكر (يختلف باختلاف النية) أي نيات الصالحين وجاءت إلى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما، فقال: حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: من أتاه رزق من غير مسألة فرده قائما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما. وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا، ولكن حمل إليه رجل كبشا ورزمة من دقيق فرد ذلك وقال: من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذالقى الله عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق. وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء، وكان الحسن يقبل من أصحابه، كذا في الأحياء. وقال مخرجه حديث عطاء لم أجده مرسلًا بكذا. ولاحمد وأبي يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني: من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده قائما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه، وجاء خراساني بمال إلى الجنيد وسأله أن يأخذه ويأكله، فقال أفرقه على الفقراء، فقال ما أريد هذا، قال ومتى أعيش حتى آكل هذا؟ فقال ما أريد أن تنفقه في الحل والبقل، بل في الحلوى والطيبات قبل ذلك منه، فقال الخراساني: ما أجده ببغداد آمن على منك، فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك. وقيل من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط. قال العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره. وفي الأحياء قال بعض العلماء المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للاتفاق في سبيل الله، فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول: بصوت خفي. جئت كما ترى، عريان كما ترى، فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى. فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه، فقلت في نفسي لا أجده لدراهمي أحسن من هذا، لحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم فقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم انفقته ثلاثا، ولا حاجة لي إلى الباقي

ثم الزهد عزوف القلب عن الدنيا الى الآخرة طوعاً

فرده ، قال فرأيتُه اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ وعليه مئزران جديدان فمَجِس في نفسى منه شئ . قالت فت
الى واخذ ييدى فاطمى معه سبعة كل شوط منها فى جوهر من معادن الارض
تنخشش تحت اقدامنا الى الكعبين ، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ،
ولم يظهر للناس ، فقال هذا كله اعطانيه ربي فزهدت فيه وَاخذ من ايدى الخلق لان هذه
اثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود أن الزيادة على الحاجة
أنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك
فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا) وعن مرسى عليه السلام انه قال : يارب جعلت رزقى هكذا
على ايدى بنى اسرائيل يغدنى هذا يوما ويعشنى هذا ليلة ، فارحى الله تعالى اليه
هكذا اصنع باوليائى ، اجرى ارزاقهم على ايدى الباطلين من عبادى ليؤجروا
فيهم ، فلا ينبغي ان يرى المعطى الامن حيث أنه مسخر مأجور . وقيل فى تفسير قوله
تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عايه رزقه فلينفق بما آناه الله) معناه
ليبيع أحد ثوبيه ، وقيل ليستقرض بجاهه فذلك بما آناه الله . وقال بعضهم : لله عباد
ينفقون على قدر بضائعهم ، والله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم . ومات
بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف : الاقوياء والاسخياء والاغنياء ، فقيل من هؤلاء ؟
فقال : أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله ، وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن
بالله ، وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله . وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء
ثلاثة : فقير لا يسأل وان أعطى لا ياخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين ، وفقير لا يسأل
وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس ، وفقير يسأل عند الفاقة
فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق البلخي حين
قدم عليه من خراسان . كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم ان أعطوا
شكروا وان منعوا صبروا ، وظن انه لما وصفهم بترك السؤال اثنى عليهم غاية الثناء .
فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا . فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم
يا أبا اسحق ؟ فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال :
صدقت يا استاذ (ثم الزهد عزوف القلب) أى ميله وانصرافه (عن الدنيا
الى الآخرة طوعاً) أى اختياراً وجعله طاعة ، فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة

وَلَا يُعْبَأُ بِالْيَدِ لَوْ جُودَهَا لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَوْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْلَى

يَدًا مِنْ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أى باعوه طمعا فى أن يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك أحب عندهم من يوسف ، فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد فى الآخرة ، لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل ، واسم الخفيف بمن يميل الى الحق وأن كان الكل بمعنى الميل فى وضع اللسان ، فالذى يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو أيضا زاهد لكن دون الاول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس ، او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجميل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ، ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين ، وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة ، لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض . ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ، ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، ويشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، ولذا قيل لابن المبارك : يا زاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، أما انا فقيما ذا زهدت . وقال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : الا ترى الى هذا ابن الحائك لا تنفى فى مسألة الارد علينا يعنى ابا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا ادرى اهو ابن الحائك أو ما هو ، ولكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها انتهى . فمن عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى ، وإلى هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبا باليد) أى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة إذا حصل الزهد فيها (لوجودها) أى الدنيا جاها ومالا (لسليم عليه السلام) مع أنه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) أى واكونه (عليه السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم

مع أنه أفضل وهو يشرُّ المكاشفة كما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه

مع أنه أي نينا (أفضل) وزهده أتم وأدل ، على أنه لا بدع أن يوجد في المفضل بعض ، لا يوجد في الأفضل . فتأمل . ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك أهل الترهيب ، وأمانينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع امته أن يتبعوه ، ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحاء ، وليس في دينه من حرج ، ولكونه مظهرا لمرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله : اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع أن الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبي . ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وأبقى ، لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا . اما الضعف عليه ويقينه بالمآل ، واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال ، واما لاغتراره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف . يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت . والى تعريف خسارة الدنيا اشار قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والى تعريف تفاسد الآخرة قوله تعالى (وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) واما قول ابن مسعود : ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فرواه البيهقي في دلائل النبوة بإسناد حسن ، لكن حمل على أن منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبي ، ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتير . تركك الدنيا أبر . (وهو) أي الزهد (بشر) خمسة أشياء (المكاشفة) لآحوال الآخرة (كما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه) أما حديث التجاني فهو أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) فقيل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا دخل القلب إنشرح له الصدر وانفسح قبل يارسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال نعم التجاني عن دار الغرور والاناة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، رواه الحاكم ، وأما حديث حارثة فهو أنه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال : وما حقيقة إيمانك ؟ قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وظاني بالجنة عن يميني والنار عن يساري ، وكانني بعرش ربي بارزا ، فقال عليه السلام « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان »

وَالْفَرَاغَ لِلْعِبَادَةِ فَوَرَدَ مِنْ أَحَبِّ آخِرَتِهِ أَضْرِبِ دُنْيَاهُ وَتَعْظِيمِ قَدْرِهَا فَوَرَدَ «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالَمٍ زَاهِدٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَحُبَّتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ فَهَمَّا

رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك (والفراغ) أي ويثمر الزهد فراغ خاطر أرباب الإرادة (للعبادة) التي هي سلوك سبيل السعادة (فورد من أحب آخرته اضرب دنياه) تمامه ومن أحب دنياه اضرب آخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى» رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى (وتعظيم قدرها) أي ويثمر تعظيم مقدار العبادة (فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر) لم أجده أصلا بهذا السياق، وإنما هو لابن مسعود موقوفا، وللشيرازي في الألقاب عن علي مرفوعا «ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله»، وللديلمي عن أنس «ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط»، ولابن النجار عن محمد بن علي مرسلا «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وقد صحح لفيقه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد (ومحبته تعالى) أي ويثمرها الزهد، فقد ورد في الخبر «أن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا»، رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» (ومعرفته) أي ويثمرها، ففي الخبر قد ورد «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة»، رواه ابن ماجه من حديث أبي خالد، وقد قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ولذا قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. كذا في الأحياء وقد وجد معناه من حديث «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه»، رواه أبو نعيم من حديث أبي أيوب: ومن المعلوم أنه لا يكون العبد عابدا مخلصا إلا إذا كان زاهدا. وفي الخبر أيضا «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، وأنطق بها لسانه»، وعرفه داء الدنيا ودواها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام، رواه ابن أبي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا، ولابن عدي من حديث أبي موسى «من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (فهما) أي المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد

لَا يَحْصُلَانِ إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ الْمُتَمَتِّعِينَ مَعَ الشَّغْلِ بِالدُّنْيَا

(لا يحصلان الا بدوام الذكر) اي ذكر المولى (والفكر) لزاد العقبي (الممتنعين مع الشغل بالدنيا) وقد قال تعالى (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير ، وقال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) قيل معناه ايهم ازهد فيها . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) وقال عز وعلا (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن « من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها - اي ابتلى - بثلاث : شقاء لا ينفذ عنه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وامل لا يبلغ انتباه » وللدبلي من رواية علي بن ابي طلحة مرسل « لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرتة » وله من حديث أنس « من زهد في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقه في الدين ، وعن عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ، ولابن حبان من حديث علي « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن يرقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » وجاء في الآثار « لا تزال لاله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبألوا بما نقص من دنياهم » وفي لفظ « ما لم يؤثر واصله دنياهم على دينهم » فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال تعالى : كذبتم لستم بها صادقين ، وعن بعض الصحابة قال : تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابغ من زهد في الدنيا ، وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا خيرا منكم ، قيل ولم ذلك؟ قال كانوا ازهد في الدنيا منكم . وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد . وقال ابن سعد : كفى به ذنبا أن الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها : وقال رجل لسفيان : اشتهى أن ارى عالما زاهدا ، فقال ويحك تلك ضالة لا توجد . وقال يوسف ابن اسباط . اني لاشتهى من الله ثلاث خصال ، أن اموت حين اموت وايسر في ملكي درهم ، ولا يكون علي دين ، ولا يكون علي عظمى لحم ، فاعطى ذلك كله ، ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء الجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة

ثُمَّ الْأَدْنَى بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ يَجَاهِدَ فِيهِ لِمِيلِ النَّفْسِ إِلَى الدُّنْيَا وَهُوَ تَزَهُدٌ ثُمَّ أَنْ يَتَنَفَّرَ
عَنْهَا فَهُوَ زَهُدٌ ثُمَّ عَدَمُ الْمِيلِ وَالتَّنَفُّرُ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ سَرَقَةِ مَالِهِ وَمَالٍ غَيْرِهِ ثُمَّ عَدَمُ

الْإِعْتِبَارِ بِزُهُدِهِ

آلاف درهم فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد وأنت على حالتك هذه
فبكي الفضيل وقال : أتدرون ما منلى ومثلكم لثقل قوم كانت لهم بقرة يحرثون
عليها فلما هربت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبري سني
موتوا يا أهلي جوعا خيرا لكم من أن تذبحوا فضيلا (ثم الأدنى) من مراتب الزهد
(باعتبار نفسه) أي نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه ومأمنه وفيه
كآسيا (أن يجاهد فيه) أي في تحصيل الزهد (لميل النفس إلى الدنيا) والتفاتها
إليها ولكنه يجاهد ما ويكفها عنها (وهو تزهد) وهو مبدأ الزهد في حق
من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والجهد (ثم) الأعلى منه (أن يتنفر) طبعه
(عنها) أي عن الدنيا لعدم ميل نفسه إليها (فهو زهد) فالمتزهد في الدنيا
يذيب أولا نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة
لا في الصبر على مفارقتها والمتزهد على خطر لأنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته
فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليلها أو كثيرها (ثم) الأعلى منه (عدم
الميل) إليها (و) عدم (التنفر) عنها وذلك بأن يترك الدنيا طوعا ولا استحقارها إياها
بالإضافة إلى ما طمع فيه من غيرها خيرا منها ، ولكن هذا الزاهد يرى لأحواله
زهده ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ، ويظن بنفسه أنه ترك شيئاً له
قد رآه هو أعظم قدراً منه ، وهذا أيضا نقصان عند من له عرفان (ويعرف) صاحب
هذا المقام (بتسوية سرقة ماله ومال غيره) لعدم ميله إلى كل منهما ، ولقوله
عليه السلام لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ويكره لآخيه ما يكره
لنفسه بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره (ثم) الأعلى
(عدم الاعتبار بزهده) لغنائه في الله وبقائه به ، فقد انطوى في نظره وجود كل شيء
فضلا عن زهده ، وهي المرتبة العليا بأن يزهد في الدنيا طوعا ، وبزهدي زهده أيضا
فلا يرى زهدا أصلا ، إذ لا يرى أنه ترك شيئاً ما إذ عرف أن الدنيا لا شيء ، وسببه كمال

وَبَاعْتَبَارِ مَا مَنَّهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ ثُمَّ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ لِاقْتِضَائِهِ الْمَحَبَّةَ ثُمَّ
مِنْ رَفْعِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ تَعَالَى وَبَاعْتَبَارِ مَا فِيهِ فِي بَعْضِ الدُّنْيَا كَالْمَالِ دُونَ
الْجَاهِ وَهُوَ كَالْتَوْبَةِ

المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، ومن هنا قال أبو يزيد
لابي هوسى عبد الرحيم : فى أى شىء تتكلم ؟ قال فى الزهد ، قال فى أى شىء ؟ قال فى الدنيا ،
ففرض يده وقال : ظننت أنك تتكلم فى شىء الدنيا لا شىء أى شىء تزهد فيها ، فاذن
لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه
إلا لأنه يراه شيئاً معتداً به ، ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته ، فسبب نقصان
الزهد نقصان المعرفة (وباعتبار ما منه) أى والادنى فى الزهد باعتبار ما منه
الزهد أن يكون زهده للنجاة (من خوف النار) وما فيها من أنواع العقاب (ثم) الأعلى
أن يكون زهده (من أجل الرجاء إلى الجنة) وما فيها من أنواع الثواب ، وأنما يكون
أعلى مما قبله (لاقتضائه المحبة) أى زيادتها ، والمحبة أعلى المقامات كما سيأتى فى خاتمة
الكتاب (ثم) الأعلى أن يكون زهده (من رفع الالتفات) لخوابره (إلى ما سواه
تعالى) فلا تكون له رغبة إلا فى الله وفى لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد
الخلاص منها ، وإلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله
تعالى ، وهو الذى يصبح وهمهم واحد ، وهو الموحّد الحقيقى الذى لا يطلب
غير الله ، ومن طالب غير الله فقد عبده ، سواء وجدته أو فقدته . وهذا زهد المحبين وهم
العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ولا تظن أن أهل الجنة عند
النظر إلى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم فى قلوبهم ،
بل تلك اللذة بالإضافة إلى نعيم الجنة ككلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف
الأرض ورقاب الخاق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ،
فاطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة الملك
وذاك لقصوره عن إدراك لذة الملك لالان اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى والذمن
الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخاق ، ومن هنا روى « أكثر أهل الجنة البله
وعليون لاولى الإلباب » (وباعتبار ما فيه) أى أدنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد
أن يكون زهده (فى بعض الدنيا كالمال دون الجاه) أو عكسه (وهو كالتوبة

عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ثُمَّ فِي كُلِّهَا ثُمَّ فِي سِوَاهُ تَعَالَى

عن بعض الذنوب () وقد اختلف في صحتها ، لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم ، بخلاف الزهد فانه لا خلاف في صحة بعضه (ثم) الاعلى أن يكون زهده (في كلها) أى في جميع الدنيا ماله وجاهها (ثم) الاعلى وهي المرتبة العليا أن يكون زهده (فيما سواه تعالى) حتى يزهد في نفسه أيضا وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم أجمله في آية أخرى ورده إلى خمسة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) إلى أن قال (وهى الحياة الدنيا الامتاع الغرور) ثم رده إلى اثنين فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا) وقال في موضع آخر (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا ، واذا رغب عنها لم يرد لها ، ولذا لما كتب عليهم القتال (قالوا ربنا لم كتب علينا القتال ؟) لولا اخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى لستم تريدون البقاء الامتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون ونضج المنافقون . أما الزاهدون المحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسينين ، وكانوا اذا دعوا الى القتال يستشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : لم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة ، والآن أموت موت العجائز ، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات . وأما المنافقون فقروا من الزحف خوفا من الموت ، فقل لهم (إن الموت الذى تفرون منه فانه ملائكم) الآية هذا . واجمع ما قيل في حد الزهد قول أبي سليمان الداراني : قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرأ

وَبِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَرْضُ وَهُوَ فِي الْحَرَامِ ثُمَّ السُّنَّةُ وَهُوَ فِي الشُّبْهَةِ ثُمَّ النَّفْلُ
وَهُوَ فِي فَضُولِ الْمُبَاحِ

أبو سليمان قوله تعالى (الامن اتى الله بقلب سليم) فقال: هو القلب الذى ليس فيه غير الله، وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرى (وباعتبار الحكم) أى والزهد الأدنى باعتبار حكم الزهد (الفرض) أى يجب على السالك أن يزهد فيه (وهو) أى الزهد الفرض أن يكون زهدا (فى الحرام) وهو لا بد منه لكمال الاسلام وجمال الاجكام (ثم السنة) أى الزهد الذى يسر للبريد أن يزهد فيه (وهو) أى الزهد السنة أن يكون زهدا (فى الشبهة ثم) الزهد (النفل) المندوب المستحب (وهو) أى الزهد النفل أن يكون زهدا (فى فضول المباح) وقال قوم: الزهد فى الحلال لافى الشبهة والحرام، فليس ذلك من درجاته فى شيء. ثم رأوا انه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن، ويؤيده قول الحسن: رايت سبعين بدرية كانوا فيما احل الله لهم ازهد منهم فيما حرم الله عليكم. وفى خبر آخر: كانوا بالبلاء اشد فرجا منهم بالرخاء، وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: اخاف ان يفسد على قلبى، فمن كان له قلب فهو لاحتالة يخاف على فسادة، والذين قد أمات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) وقال تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال عز و علا (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة، فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم، فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا، ولا يتصور ذلك الا مع البقاء والابقاء الا بضرورات النفس فهما اقتصر ب فى الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله، فان ما لا يترصل الى الشيء الا به فهو منه، كذا فى الاحياء. وقد يقال المراد بالاشتغال بالمولى أن يكون بالقلب دون القلب، فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الأمور، فقلوبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة

وَيُخْرِجُ عَنْهُ الْقَصْدُ إِلَى الْكَسْبِ أَنْ كَانَ لِلذَّهْنِ دُونَ الْعُدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِدْخَارِ أَنْ
زَادَ عَلَى قُوَّةِ السَّنَةِ الْإِيمَانُ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الْإِيْدِي كَدَاوِدَ الطَّائِي وَهُوَ مَلِكٌ
عِشْرِينَ دِينَارًا قَنَعَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً

كما يشير إليه قوله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية كما أن قلب
أهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قلبهم في المسجد والطاعة والقراءة ونحوها
بل أهل القلوب لكامل ذكرهم وفكرهم لو أرادوا أن يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدرُوا
على ذلك لما أن أهل الغفلة لو اجتهدوا أن يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك
بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما أشار إليه العارف ابن الفارض بقوله:
ولو خطرت في سواك ارادة هـ على خاطري يوما حكمت بردتي
فالماضون على الدوام هم الأنبياء عليهم السلام والاولياء من اتباعهم الكرام والغافلون
الكاملون هم الكافرون المشبهون بالأنعام، وأما المخلطون فهم في أحوالهم مختلفون
فقارة يحضرون وأخرى يغفلون وهم الذين قال الله تعالى فيهم (وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) الآية (ويخرج) السالك (عنه) أي عن الزهد
ويدخل في حب الدنيا خمسة أشياء (القصد إلى الكسب أن كان) القصد (للذة) أي
بشهوة النفس بالمكسوب (دون العدة) أي بخلاف ما إذا كان القصد من الكسب
الاستعداد والاستعانة (على العبادة) التي هي المندوب والمطلوب ، وهذا يحمل قول
أبي سليمان الداراني : من تزوج أو سافر في طلب المعيشة ، أو كتب الحديث فقد ركن
إلى الدنيا ، وذلك لأنه نقل عنه أيضا أنه قال : كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو
عليك شؤم (والإدخار) يخرج السالك عن الزهد أيضا (أن زاد) الإدخار (على
قوت السنة) كما ثبتت الرخصة في السنة (الإمان لا يكسب) أي لا يقدر على الكسب
لعدم حرفة أو لا اشتغاله بتحصيل وجوه معرفة (ولا يأخذ من الأيدي) مع هذه
الحالة أيضا فإنه لا يخرج به الإدخار عن الزهد وأن كان زائدا على قوت السنة (كداود
الطائي وهو ملك عشرين دينارا) ورثها من أبيه (قنع بها عشرين سنة) ثم اعلم
أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك ، فإن ترك المال وأظهر الخشونة سهل
على من أحب المدح بالزهد ، بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا في مقام الكمال
هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف ، وآخرون بالتكلف ، ومن الخواص قوم ادعوا

الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس إيهدي اليهم مثل لباسهم ؛
ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ،
ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة ، وأن الاشياء داخله عليهم وهم
خارجون منها ، وأن ما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طوابعوا بالحقائق والجثوا إلى
المضائق . وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين ، لم يعاؤوا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب
أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالاً لهم ، فهم مائلون
إلى الدنيا متبعون الهوى ، فهذا كله كلام الخواص ، فاذا معرفة الزهد مشكل حتى على
الراهد نفسه ، فينبغي أن لا يتعبد بلبس خاص موافقاً للسنة ، وإن يعول في باطنه
على ثلاث علامات . الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أى لا تحزنوا حزن فزع ولا
تفرحوا فرح بطر ولا فلا يتخلو تأثيرهما في النفس باعتبار أصل الطبع ، ثم الكمال أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب وجود صحة الحال . والثانية أن يستوى
عنده ذامه ومادحه ، بل يذنبى أن يفرح بدمه ويحزن بمدحه . والثالثة أن يكون أنسه
بالله ونسيانه عما سواه ، ولذا قيل لبعضهم : إلى ماذا أنضى بهم الزهد فقال إلى الانس
بالله ، وأما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان ظلماء والهواء في القدح ، فالما إذا دخل
خرج الهواء وقد قال أهل المعرفة : إذا تعاقب الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة
جميعاً وعمل لهما ، وإذا بطن الايمان سوا يده القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم
يعمل لها ، ولذا ورد في دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك إيماناً يباشر قلبي وقال
أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس ، وهذا مقام العابدين . ومن شغل بربه شغل
عن نفسه ، وهذا مقام العارفين . وقال السرى : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ،
ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصر ابادى : الزاهد غريب في الدنيا
والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك الخلد والخردل ، والعارف
يشمك المسك والعنبر ، ثم لا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده في مقام
الكمال ، كما لداود الطائي ، فان مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها . وقد قال الفضيل .
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد فيها (والتغذى) بالذال المعجمة أى الأكل (من بر) أى دقيق

مَنْخُولٍ وَالْمُوَاطَّيَّةُ عَلَى الْإِدَامِ وَاتِّخَاذُ ثَوْبَيْنِ وَأَثَاثَيْنِ، وَجِنْسٍ رَفِيعٍ

حنطة (منخول) يخرج من الزهد أيضا (والمواطبة على الادام) تخرجه أيضا منه (و) كذا (اتخاذ ثوبين) كقميصين (وأثاثين) أى متاعين من أمتعة البيت كصحنين وأبريقين أحدهما زائد عن استعماله (وجنس رفيع) أى مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاثاث : والاولى فى المقام الاعلى عدم التقيد بالادنى والاعلى كما كان طريق المصطفى . وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوته ما وجد ، وابسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدركه المساء ، الدنيا سجنه ، والقبر ضجعه ، والخلة بجلسه ، والاعتبار فكرته . والقرآن حديثه . والرب أنيسه . والذكر رفيقه . والزهد قرينه . والحزن شعاره . والحياء دثاره ، والجوع ادامة ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمة ، والصبر معتمده ، والتوكل حسيبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه ان شاء الله وحده .

ثم اعلم ان المهمات الضرورية فى الامور الدنيوية ستة : المطعم ، والملبس ، والمسكن والاثاث ، والمنكح ، وما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة : أما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما ورد فى حده ، واقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخالة ، واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول واقل ادامة الملح او البقل او الخل ، واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم . وذلك فى الاسبوع مرة او مرتين ووقته الاقل فى ثلاثة ايام واوسطه فى اليوم والليلة مرة واتصاه فى اليوم والليلة مرتين ، ويشير اليه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وكان يعيش عليه السلام بالاسودين أى التمر والماء وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفى رواية عند عليه السلام أنه قال : من ظلم الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير ، وكان عيسى عليه السلام يقول : يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى ، وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره . ولما أتى عليه السلام اهل قبا أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فودح فى يده وقال « أما انى لست احرمه ، ولكنى اتركه تواضعا لله ، وأما الملابس فاقبل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستتر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال ، واقل جنسه المسوح الخشنه واوسطه الصوف الخشن ، واعلاه القطن الغليظ . قال ابو بردة : اخبرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا

وقالت قبض عليه السلام في هذين ، رواه الشيخان . ولا بن ماجه من حديث ابي ذر
باسناد جيد . ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه » وقد اشترى
عليه السلام سروا لا بأربعة دراهم لما رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة . ولا بن الشيخ
من رواية عروة بن الزبير مرسل . « كان ردائه عليه السلام أربعة اذرع وعرضه ذراعان
ونصف » وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة « كان له ازار من نسج عمان طوله
اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر » وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي
تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل ، فلما نظر اليها بكى وقال « يا فاطمة تجرعى
مرارة الدنيا لنعيم الابد » فانزل الله سبحانه (واسوف يعطيك ربك فترضى) وقال
عليه السلام لعائشة « ان اردت اللحوق بي فايك ومجالسة الاغنياء ، ولا تنزعى ثوبا حتى
ترقعيه » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة . ولا بن نعيم والحاكم والبيهقى
في شعبه « ان من خيار امتي فيما انبأني اللى الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ،
ويبكون سرا من خوف عذابه ، وثقتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخفاف ، ويتبعون الرهبان ، اجسامهم في الارض وانشدتهم عند العرش ، وعد على قيص
عمر اثنى عشر رقعة بعضها من ادم . واشترى دلي كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو في الخلافة ، وقطع كفيه من الرسفين وقال : الحمد لله الذى كسانى هذا
من ريشه . وقال بعضهم : قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم واربعة دنانير . ولا احمد
من حديث معاذ « ان عبادا لله ليسوا بالمتنعمين ، واما المسكن فالاعلى ان يقنع بزاوية
من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية
اما بشرى او كراء . وللطبرانى من رواية ابي العالية « ان العباس بنى غرفة فقال له عليه
السلام اهدوها » ولا بن داود من حديث انس بسند جيد « رأى عليه السلام قبة مشرفة
فقال لمن هذه ؟ قالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل
الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبره بذلك فذهب فهدمها فمر عليه
السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فندعاه بخير ، ولا بن حبان في الثقات
وابن نعيم في الحلية عن الحسن مرسل . « مات رسول الله ﷺ ولم يضع لينة
على لينة ولا قصبة على قصبة » وقال عبد الله بن عمرو « مر علينا عليه السلام ونحن نعالج
خصا ، فقال ما هذا ؟ فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك » رواه ابو
داود والترمذى وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت
من قصب قد مال عليه ثقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله

ولابن داود من حديث أنس بن سعيد « كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا ، يعني ما لا بد منه ، وكان في السلف من يبنى داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه ، وكان منهم إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده ، قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوتهم عليه السلام ضربت يدي إلى السقف . وقال عليه السلام للرجل الذي شكاه إليه ضيق منزله : اتسم في السماء ، يعني في الجنة رواء أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني . وقال ابن مسعود : يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ، يصلون إلى قبلكم ويموتون على غير ملتكم ، وأما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام إذا كان لا يصحب إلا مشطا وكوزا ، فرأى أنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط ، ورأى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز . ثم الظرف ينبغي أن يكون من الخرف ولو مكسور الطرف ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء متعددة كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ، وقالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاعة أي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف ، رواء أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة : ان فراشه عليه السلام كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف ، ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترافهته ، وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلني به إلى فلان ، رواء الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها ، وقال الحسن : أدركت سبعين من الخيار ما لا حدهم الا ثوبه ، وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان إذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وأما المنكح فقال قائلون لازهد في أصل النكاح ولا في كثرته ، وإلى هذا ذهب سهل بن عبد الله ، وقال قد حبيب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقهن ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله أربع نسوة وبضع عشرة سرية ، والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شؤم ، وهو مستفاد من قوله تعالى : (لا تألهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقوله (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة ، وقال الجنيد : أحب للبريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حالة الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لانه أجمع لعمه وأما ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة فهو المال والجاه أما الجاه فانه قد يفتقر إلى خادم له فينفعه ، وقد يحتاج إلى دفع ظلم

وَالْأُولَى الْمُبَالَغَةُ فِي التَّشْدِيدِ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِنْسِ بِالْدُّنْيَا وَطُولِ الْمَكْثِ لِلْحِسَابِ
وَالْحَبْسِ عَنِ الْجَنَّةِ وَاللَّوْمِ وَالتَّعْيِيرِ وَالْحَرَمَانِ عَنِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْمَأْثُورُ

عن نفسه أو غيره، والغالب أن من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الأذى، ولو كان بين الكفار فكيف بين الأبرار، وأما المال فقدرة الضرورة كاف في المعيشة، فإذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي أن يتركه ويشتغل بأمريهم، وقد قال أبو سليمان لا ينبغي للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد، بل يدعوهم إليه فإن أجابوه والتركهم وفعل بنفسه ما شاء. وروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه، فرجع مبهوما فأوحى الله إليه لو سألت خليلك لأعطاك، فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفضت أن أسألك شيئا منها، فأوحى الله إليه ليس الحاجة من الدنيا. فتبين من هذا أن تحصيل قدر الحاجة من أمر الدين (والأولى المبالغة في التشديد) أي التضييق على نفسك أن كنت من المریدین المجتهدین (تحاميا) أي تحافظا عن ستة أشياء (عن الأنس بالدنيا) ونسيان المعقبي والاشتغال بغير ذكر المولى (و) (عن طول المكث للحساب) المتضمن لعذاب الحجاب (و) (عن الحبس) والتوقف (عن الجنة) وما فيها من الثواب (واللوم) أي وعن الملامة في اكتساب السيئات (والتعير) أي التوبيخ في تقصير الطاعات (والحرمان عن الدرجات العالية) والمقامات العالية (وهو) أي المبالغة على المنهج المذكور كله ورد فيه (المأثور) عن الساف الصالحين. فمن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقل له: لو خفضت لملت الجنة أيضا، فما هذه الشدة؟ يقال: كيف لا أشدد على نفسي وقد ورد أن جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور أسنانها فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين؛ فتودوا أن أرفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها «وأما ما حكي أن داود الطائي كان له جب مكسور فيه ماؤه، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار، ويقول: من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا، فله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفته النفس في شهوته، والافئدة من الزهد البارد لانه عليه السلام كان يستعذب الماء ويقول في دعائه «اللهم أجعل حبك أحب إلي من حب الماء البارد» وقد دخل بستانا فقال لصاحبه: «أن باني عندك ماء بارد في شين والأكبر عنا فاني به فشرب» وكان

وَوَرَدَ «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً،
الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ . ثُمَّ الْحَالَاتُ الَّتِي قَبْلَ الْمَوْتِ دُنْيَا وَالَّتِي
بَعْدَهُ آخِرَةٌ لَكِنِ الْعِبَادَةُ وَمَا لَا يَدُّ مِنْهُ فِيهَا مَعْدُودَةٌ مِنَ الْآخِرَةِ بِخُرُوجِهَا عَمَّا جَمَعَ
فِيهَا وَرَدَ (أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)

بعض العارفين يقول: اذا شربت الماء البارد أحد الله من صميم قلبي. وأيضا أنما خلق
الله اللذات الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخرية وقد قال تعالى: (قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعبدوا ان الله لا يحب المعتدين) أى المتجاوزين
عن الحد فى أمر الدين كالرهبانيين (وورد) فى الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله)
أى تساوى وتمثل (جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذى من
حديث سهل بن سعد . ورواه ابن ماجه بلفظ وزن بدل تعدل ، وقال قطرة ابدا بدل
شربة ماء رواه الحارث وصححه (الدنيا ملعونة ملعون (وفى نسخة وملعون (ما فيها الا
ما كان لله) وهو العبادة وما يعين عليها . وفى رواية الطبرانى من حديث أبى الدرداء
« الا ما يتغنى به وجه الله عز وجل » واسناده لا بأس به ورواه الترمذى من حديث أبى
هريرة وحسنه. ولفظه « الا ذكر الله وما والاياه وعالما ومعلما » يعنى وما يجرى مجراه فانه
سبحانه خالق الاشياء كلها لعباده لما يشير اليه قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض
جميعا) وخلق عباده لعبادته لما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فشكر
نعمته أن يصرفها فى طاعته، وكفرانها أن يصرفها فى معصيته او غفلته (ثم الحالات
التي قبل الموت) خير او شر تسمى (دنيا والتي بعده) أى بعد الممات تكون (آخرة)
فان من مات فقد قامت قيامته . وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه
الواسطة بين الدنيا والاخرى (لكن العبادة وما لا بد منه فيها) ما يعين عليها كالاكل
والشرب واللباس والنوم والمخاططة ونحوها بقدر الضرورة (معدودة من الآخرة
بخروجها عما جمع) من أمورها (فيما ورد) فى التنزيل (أنما الحياة الدنيا لعب
وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له ، وهو فعل الصبيان والمجانين (ولهو)
وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل أهل الغفلة من الشباب

الآية ٥ فهي الدنيا بجمعها ومتاعها ما جمع فيما ورد (زين للناس حب الشهوات)
 الآية والشغل بها حب حظوظها باطنا وتحصيلها ظاهرا وعلاج حبها معرفة الرب
 والنفس وشرف الآخرة وخساسة الدنيا

وارباب المال والعجاء، كما يشير إليه قوله تعالى (الهيكم الثكاير حتى زرتم المقابر) (الآية ٦)
 أي (وزينة) وهي الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء (وتفاخر بينكم وتكاثر
 في الأموال والاولاد) وهو حال اكثر أهل الدنيا من الاغنياء والامراء (نهى)
 أي الاشياء التي جمعت في الآية السابقة (الدنيا بجمعها) أي بتمامها (ومتاعها)
 مبتدأ خبره (ما جمع) من أنواعها (فيما ورد) في التثريب (زين للناس حب
 الشهوات) أي اللذات (الآية ٦) أي (من النساء والبنين) أي دوز البنات ولذا قيل
 في قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات) ان البنات داخلة
 في الباقيات الصالحات (والقناطير المقنطرة) أي الجمول الكثيرة (من الذهب والفضة)
 وقد ورد ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب
 ويتوب الله على من تاب (والخيل المسومة أي المعلمة او المرسلة) (والانعام) من الابل
 والبقرة والغنم (والحرث) للزراعة والاشجار والاثمار والازهار (ذلك متاع الحياة الدنيا)
 أي (وما الخيرة الدنيا الا متاع الغرور) (والله عند حسن المسأب) وجزيل الثواب
 (وما عند الله خير للابرار) (والشغل بها حب حظوظها) أي لذاتها وشهواتها
 (باطنا وتحصيلها ظاهرا) واما الانبياء والاصفياء فاختر الله لهم الدرجات العليا
 في العقبي والمحن والبلايا في الدنيا، فمن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
 «لقد كان الانبياء قبل لييتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء، وان كان احدهم لييتلى
 بالقمل حتى يقتاهم القمل، وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم» رواه ابن ماجه باسناد
 صحيح، وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه
 من الهزال «(وعلاج حبها معرفة الرب) فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع
 مع حب غيره كما يشير إليه قوله سبحانه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ولانه
 سبحانه انه يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها (والنفس) أي ومعرفة قدرها حتى
 لا يضيعها في طلبها الدنية، ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية (وشرف الآخرة)
 ودرجاتها العالية الباقية ونفاضة مراتبها الرفيعة الخيعة (وخساسة الدنيا)

(البَابُ العُشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ . وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَذْنَى رُتَبِ التَّوْحِيدِ مَحْضُ الْقَوْلِ وَهُوَ النِّفَاقُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَلَا يُفِيدُ إِلَّا عَصْمَةَ الدِّمِ وَالْمَالِ فَوَرَدَ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ثُمَّ التَّصَدِيقُ كَمَا لِلْعَامِيِّ وَالْمُتَكَلِّمِ

من خمسة شركائنا وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ، ويكفيك في ذمها ماورد في حقها من « ان الدنيا جيفة وطلائها كلاب » فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي موقوفا والدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب ، واخرج الديلمي عن علي مرفوعا داوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا مثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتح ان تكون كلبا مثاهم فتجرهمهم ، ولا حمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات والدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن « ثم الدنيا فتنة وبليّة كما في صحيح مسلم « الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون » وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى ، وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم هـ

(البَابُ العُشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقربون الموقنون (اذنى رتب التوحيد) من مراتبه الاربع (محض القول) بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به او منكر له كتوحيد المنافق (وهو) اى قوله (النفاق والعياذ بالله منه) اى من النفاق وما يقترب عايه من الخلاف والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد في الحال (الاعصمة الدم والمال) اى حفظ دم الموحّد وماله (فورد) في الحديث الصحيح وصدره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، (فاذا قالوها) اى ظلمة التوحيد (عصموا مني دماءهم وأموالهم) تمام الحديث « لا يحقها وحسابهم على الله » (ثم التصديق) معه وهو أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده (كما للعامى) اى كما هو اعتقاد العوام (والتكلم) وهو الخائض

فَهُوَ لَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ الدَّافِعَةِ لِتَشْوِيشِ الْمُبْتَدِعَةِ وَيُفِيدُ النَّجَاةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي
النَّارِ ثُمَّ مُشَاهِدَةَ صُدُورِ الْكُلِّ مِنْهُ تَعَالَى وَيُفِيدُ اعْتِمَادَ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَانْقِطَاعَهُ عَمَّا
سِوَاهُ وَهُوَ السُّتُورُ كُلُّ

في علم الكلام (فهو) أي المتكلم (لا يتميز) عن العامى في هذا المقام (الاباحيلة) أي
الصنعة الجدلية (الدافعة لتشويش المبتدعة) المانعة من انخراط قواعده أهل السنة
والجماعة (ويفيد) التصديق الجناني مع الاقرار اللساني (النجاة من الخلود
في النار) ولو كان صاحبه من الفساق والفجار (ثم مشاهدة صدور الكل) أي
ظهور جميع ما يقع في الكون (منه تعالى) وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال
في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف
بواسطة نور الحق لتووير الاسرار وهو مقام المقربين الأبرار وذلك بان يرى أشياء كثيرة
ظاهرها الاغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار ، فيقول المشاهد
حينئذ ليس في الدار غيره ديار (ويفيد) هذا التوحيد (اعتماد القلب عليه) في أمور
الدنيا والاخرى (وانقطاعه عما سواه) فلا يرى أحدا يضر وينفع أو يهطى ويمنع
الاياه (وهو التوكل) أي الاعتماد على الله وعدم الالتفات إلى ما عداه، وتوضيحه
أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع وضر
ونفع، وحلو ومر، وخير وشر، وغنى وفقر، وحياة ومات، الى غير ذلك مما ينطق عليه
اسم الوجود في دائرة الشهود فالمفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه
لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خرفك واليه رجائك
وبه ثقنك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وما سواه مسخرون
لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض ، وإذا انفتح لك ابواب
المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر . وأما يصدق الشيطان
عن هذا التوحيد في مقامين ، ويتغنى به أن يتطرق إلى قلبك شائبة الشرك بشيئين:
أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثاني الالتفات إلى الجمادات . أما الالتفات
إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه ، وإلى الغيم في نزول
المطر ، وعلى البرد في اجتماع الغيم ، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله

ثُمَّ رُؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ وَيُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ

شرك في التوحيد وجهل بحقائق أمر التفريد ، ولذا قال تعالى (فاذا ركبوا في العلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما انجوا . ومن انكشف له أمر العالم بما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك ، وكذا يحركه وهكذا ينتهي إلى المحرك الاول الذي لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه ، ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وأما الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ، فان شاء اعطاك وأن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه ، وهو قادر عليك أن شاء حز رقبتك وأن شاء عفا عنك ، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده ؟ فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين ، فشاهدوا بنور البصائر أن جميع ما في السموات وما في الارض من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر ، وكل حيوان وملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية ؛ والقوة السبحانية الربانية .

ثم اعلم أنه سبحانه قال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وأجمع السلف على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد أو لم يشأ فليست المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب ، فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض ، وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ، ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع ، فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبرا مختارا اجيب بانه لو كشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور ، لانه عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين . لا تختار فان كنت تختار فاختر ان لا تختار ، وربك تخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم رُؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ) أي مشاهدته بجنب وجود مولاه ، فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو شهادة الصديقين الاحرار (وَيُفِيدُ) هذا التوحيد (الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى) أي بشه رده (وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ) أي الغفلة عن وجود غيره

وَهُوَ الْفَنَاءُ

(وهو) عند الصوفية (الفناء) في التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد لان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤية فناءه ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له البقاء في مشاهدة اللقاء ، فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف واللسان ، والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وافتتاح لسانه ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظار شهوده غير الواحد الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا تنجزه الكثرة عن الوحدة ولا تنحجب الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للساكنين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطابق . فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام «لو تعلمون ما اعلم» وقالوا ايضا : افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الاشارة الى كشف ما فيه ستر بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار ، وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وأعضائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد . ولم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق ، وكأنه في عين الجمع والمتنعت الى الكثرة في تفرقه ، فكذا كل ما في الوجود من الخلق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير . ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والنوام نادر عزيز يغلب في المجاذيب وإلى هذا المقام أشار الحسين بن منصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا أنت ؟ قال ادور في الاسفار لا صحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين

فقال الحسين : قد افيت عمر ك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد؟ فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد . فان قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ؟ اذ معنى التوحيد أن لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ؟ وأن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وأن كان له معنيان ويكون الفعل مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض ، كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ، لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر ، فمعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد أن خلق الله فيه الارادة ، بعد أن خلق الله فيه العلم ، ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة إلى الملائكة واخرى إلى العباد ، ونسبها بعينها مرة إلى نفسه فقال تعالى (قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (ثم توفته رسالنا) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه مارميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا فانهم الغتان مختلفتان فالمعنى ومارميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خاق فيك قوة الرمي أو خاق في رمى الوصول إلى عين العدو . وقيل مارميت خلقا اذ رميت كسبا ، ولكن الله قدر رميك ازلا . وكذا ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (اولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف ، فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله بعده ، وهذا طريق المريد السالك . ولم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله ، وهذا ملك المريد المجذوب

ومن هنا قال من قال عرفت ربي بربي ، ولو لا ربي لما عرفت ربي .

فالخلاصة أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعاني اذا فهمت حقائق المعاني ، ولذا قال عليه السلام للذي ناوله التمرة : خذها لو لم تأتها لانتك ، دارواه ابن حبان والطبراني فاضاف الايتان اليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان به اليها ، وكذا لما قال ذلك الثائب : اتوب إلى الله ولا اتوب إلى محمد قال عليه

وَالْإِنْفَاتُ إِلَى الْغَيْرِ إِمَّا لِلضَّعْفِ الْيَقِينِ لِتَطَرُّقِ الشَّكِّ وَعَدَمِ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْقَلْبِ
وَأَمَّا لِلضَّعْفِ الْجَبَلِيِّ كَالْجَبَانِ مُطِيعِ الْوَهْمِ لَا يُطِيقُ الْبَيْتُوتَةَ فِي بَيْتٍ خَالَ أَوْ فِيهِ مَيِّتٌ

السلام « عرف الحق لاهله » وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله ، ومن اضاف الى غيره فهو المتجاوز في مراده المستعير في كلامه ومن هنا قال عليه السلام « اصدق بيت قالته العرب قول لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطله » متفق عليه من حديث ابي هريرة . والمعنى ان ما لا اقوام له بنفسه وانما اقوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذن لاحق بالحقيقة الا الحى القيوم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وكما قال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ومن هنا قال سهل : يا مسكين كان ولم تكن ، ويذكرن ولا تكون ، فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كائن لم تكن ، فانه اليوم كما كان . وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء ، وهو الآن على ما عليه كان . هذا واذا ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الاحاد وان ليس وراء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ، لا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة انكل لا محالة فليك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ، ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ، فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة (والالتفات الى الغير) حينئذ لاحد الامرين (اما الضعف اليقين) وذلك (لتطرق الشك) وخطوره في امور يجب عدم الالتفات اليها (وعدم الاستيلاء) اى ولقلة غلبة اليقين واستعلائه (على القلب) ودخول اليقين في سويدائه (واما للضعف الجبلى) اى الخلق الطبعى وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد يتزعج تبعا للهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله (كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة في بيت خال او فيه ميت) فلو تاف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جمادى في الحال ، وان سنة الله مطردة بان لا يحشره الا الآن

وَأَدْنَى رُتَبِ التَّوَكُّلِ أَنْ يَعْتَمِدَ اعْتِمَادَ الْمُوَكَّلِ عَلَى الْوَكِيلِ لِلْعِلْمِ بِشَفَقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ
وَعَلَيْهِ ، ثُمَّ اعْتِمَادَ الطِّفْلِ عَلَى الْأُمِّ وَتَفَارِقُ الْأُولَى بِعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ عَلَى الْاعْتِمَادِ

ولا يحويه، ولو أحياء لعاد كما كان واحبه وإبقاه وعانقه وارتضاه، لما أن سنته سبحانه
مطرده بان القلم الذي في يده لا يقبله حية وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا
اليقين فليفر قلبه عن مضاجعة الميت في فراش بل الميت معه في بيت ولا يفر عن
سائر الجمادات، وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قل ما يخلو الانسان عن شيء
منه وان قل، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع
اغلاق الباب واحكامه . فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانينه ، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم
من يقين لا طمانينه معه كما قال تعالى (اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فالتمس
أن يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين .

هذا وقد قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا) فالانسان بطبعه مشغوف بسمع تخويف الشيطان، ولذا قيل: الشفيق بسوء الظن
مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب وشاهدة المتكافين على الطلب والكسب
غلب سوء ظنه وضعفت قوة توكله . وعنه عليه السلام : أن الله عز وجل بحكمته وجلاله
جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وادنى
رتب التوكل) على الله (ان يعتمد) عليه (اعتماد الموكل) من المخلوق (على الوكيل)
مثله (للعالم) أي لعلم الموكل (بشفقته تعالى وقدرته وعلمه) كما قدمناه وهذه الدرجة
الاولى . (ثم) التوكل الاعلى منه أن يعتمد عليه سبحانه (اعتماد الطفل على الام)
فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع أمه ، فانه لا يعرف غيرها ولا يفرع إلى أحد سواها
ولا يعتمد الاياها ، فاذا راحا تعاق في كل حال بذلها ولم يتركها ، وأن نابه أمر في غيبتها
كان اول سابق الى لسانه يا أمه يا أمه واول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفرعه وقد
وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فمن كان تالها إلى الله ونظره إلى مولاه
واعتماده عليه في دنياه واخراه كلف به لما تكلف الصبي بأمه بل أقوى منه ، فانه
سبحانه أرجم الراحين فيكون متوكلا حقا لما أن الطفل متوكل على أمه صدقا
(وتفارق) هذه الرتبة الثانية الدرجة (الاولى) بشيئين (بعدم الالتفات على الاعتماد

اسْتَغْرَاقًا بِالْأَمِّ وَتَرَكَ التَّدْيِيرَ فَلَيْسَ تَنَافِيهِ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَسَمَهُ الْوَكِيلُ ثُمَّ
أَنْ يَكُونَ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَسَّالِ

استغراقا بالام) في باب الاستناد اذا الصبي اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف أن المتوكل ما هو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فنى في توكله عن توكله اذ ليس ياتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه فقال ترك الاماني قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه (وترك التدبير) أي وتفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان في مقام الحضور (فترك) الرتبة الاولى (لاتنافيه) أي أصل التدبير (بالطريق الذي رسمه) أي بينه (الوكيل) به وعينه بان يفعله تصرّحا أو تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التي مارسها بها ولا كلفه في تحصيلها ، وذلك كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله أو التدبير الذي عرف من عاداته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول لست أنكلم الا بحضورك فيشتغل بالحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا منا قضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحاجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله أن يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم بعاداته واطراد سنته فهو ان يعلم من عاداته أنه لا يحتاج الخصم الا من السجل ، فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعاداته ووفائه بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذن لا يستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ونحوه من الشهود في الامور (ثم) أعلى رتب التوكل على الله تعالى (أن يكون) المتوكل بين يدي الله سبحانه في حركاته وسكناته (كالميت بين يدي الغسال) حال قلبه وسائر تصرفاته لا يفارقه الا في أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية لما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي

وَتَفَارِقُ الثَّانِيَةَ بِتَرْكِ السُّؤَالِ مُطْلَقًا فَتِلْكَ أَيْمًا تُنَافِيهِ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى وَهِيَ أُنْدَرُ

وُقُوعًا وَبَقَاءً ثُمَّ الثَّانِيَةُ ثُمَّ الْأُولَى

قوى يقينه بأنه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات ، وأن
كله يحدث جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه (وتفرق) هذه المنزلة
الثالثة الدرجة (الثانية بتترك السؤال مطلقا) سواء كان السؤال من الله أو من غيره
في جميع الاحوال كما روى عن الخليل أنه لما قال له جبريل لك حاجة قال أما إليك فلا
وأما الى الله فلي ، فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولاء ، فقال حسبي
من سؤالي عليه بحالي *

وحاصله أن صاحب هذا المقام يفارق الصبي فيما له من المرام ، فان الصبي
يفزع إلى أمه ويصيح وراءها ، ويتماق بذيلها ويعدو خلفها ، بل مثال هذا مثال صبي
فرض أنه يعلم أنه وإن لم يزغق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم
تحمله وأنه وإن لم يطلب منها اللبن فالأم تبتدى وترضعه . وهذا المقام في التوكل يشترط
الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وأنه يعطى ابتداء افضل مما يسأل
فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى (وَأَنَا كَمُ مِنْ كُلِّ
مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (فتلك) أي الرتبة الثانية (انما تنافيه) أي
السؤال (من غيره تعالى) فقط (وهي) أي الدرجة الثانية (اندر) أي اقل (وقوعا
(اعز) (بقاء ثم الثانية ثم الاولى) لذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة
والاسباب طبع ، وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم ، فاذا
رجع حال المتوكل الى التبري من الحول والقوة ، وهذا هو تحقيق معنى لاحول ولا
قوة الا بالله حقا صدقا ، وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعى انه تدقق في الرأي والمقول حتى يشق الشعر بحدة نظره
فهو مهلكة خطيرة ، ومزمنة قدم عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا
وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
فقد علت رتبته ، وعظمت نسبته ، ورفعت درجته ، وارتفعت همته ، وهو الذي يصدق
بمعنى قوله : لاحول ولا قوة الا بالله . وعن بعض العارفين انه قال ما مضونه : اسأت

وَلَا بُدَّ مِنْهُ فُورِدَ (وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) « وَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ »

بالذنوب واعتذرت منه الى الرب ، مع ان اعتذارى عند قلبي اسوأ من ذنبي لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل . وهذه كلها مخصوصة بربي (ولا بد منه) اى من التوكل فى امر الرزق وغيره لثمانية اشياء (فورد) فى التنزيل (وعلى الله) اى لا على ما سواه (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) كاملين ، اواذا صرتم مؤمنين والامر للوجوب . وفى آية اخرى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه فيما تمناه وقال (أليس الله بكاف عبده) فمن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الآية . وقال (ان الله يحب المتوكلين) وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضع من لاذ بجانبه والتجأ الى حماه وزمامه وبابه ، حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص (ولو توكلتم) وفى رواية لو انكم تتركلون (على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) تمامه « تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عمر وهو مقتبس من قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واما لم وهو السميع العليم) وفى رواية زيادة « ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » وفى رواية لليهقى « لو عرفتم الله حق معرفته لزال بدعائكم الجبال » وعن ابن مسعود مرفوعا « اريت الامم بالموسم فرأيت امتى قد ملأت السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيئاتهم ، فقيل لى افرضيت ؟ فقلت نعم ، فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين لا يكتبون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون . فقال عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال اللهم اجعله منهم . فقال آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة ، رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس . وللاحكام وغيره من حديث ابن عباس « من سره أن يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله ارثق منه بما فى يديه ، وللطبراني وغيره من رواية

الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسم منه أنه قال عليه السلام «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب» ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها، ويروى أنه لما قال جبريل لأبراهيم الخليل ألك حاجة فقال أما إليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل انزل الله فيه (وأبراهيم الذي وفى) وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام «ما من عبد يعتصم بي من دون خلقى فيكده أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا» وقال سعيد بن جبيرة: لدغتنى عقرب فأقسمت على أمي لتسترقني فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما كتبه الله لك. وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أين تأمرني أن أكون؟ فأوماً إلى الشام، فقال هرم كيف المعيشة بها فقال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطتها الشكوك فما تنفعها الموعظة. وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكلا وجدت إلى كل خير سبيلا، وقال أبو موسى الديلمي قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ فقلت إن أصحابي يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك، فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال في الأحياء مما ذكره أبو موسى خير عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وإن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغصن أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قل ما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات، وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الأول من التوكل، فقد احترز الصديق في الغار إذ سد منافذه، إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره، أو يقال إنما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه، وإنما يزول التوكل بحركة سره ولغيره لا أمر يرجع إلى نفسه. وللنظر في هذا مجال لأن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض أحوال التوكل، فإن حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن لا يخاف تسلط الحيات، إذ لا حول للحيات ولا قوة إلا بالله. وإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير، ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى لموسى (لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وقال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنا أنزلناك إنا أنزلناك في المنظر

وَأَيْضًا فِيهِ التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ، وَأَيْضًا لَا يَتَغَيَّرُ الْمَقْدَرُ الْمَقْسُومُ فَوَرَدَ
«الرَّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوعٌ»

الاعلى (وأيضاً) أى كما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل (فيه التفرغ
للعبادة عن الالتفات) الى تحصيل الاقوات كالمنع عن ارادة طريق السعادة ، فقد
سئل ذوالنون المصرى عن التوكل فقال : خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة
الى علوم التوحيد ، وقطع الاسباب الى الاعمال فى مقام التفريد ، فقل له زدنا فقال القاه
النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية ، يعنى بالتبرى من الحول والقوة (وأيضاً)
لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم (لا يتغير المقدر المقسوم) قال تعالى (نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) الآية وقد سئل حدون القصار عن التوكل فقال : إن كان
لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ، وإن
كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء فلا تيأس من الله أن يقضيها
عنك ، ويقرب منه قول صاحب المنازل : ما يدى لم اعرف يصيب من وما يصيبنى لم اعرف
يد من ، وفى هذا إشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات
اسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروغ) ليس
له أصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى . فليبهقى فى الشعب مرفوعاً
عن أم الدرداء « ان الرزق ليطالب العبد كما يطلبه أجله » ويشير اليه قوله سبحانه
(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم) بل فيه تنبيه نبيه على أن مابقى له شيء
من رزقه لم يتأت له طلب أجله . وقد قال بعض العلماء : لو هرب العبد من رزقه
لطلبه لما لو هرب من الموت لادركه ، وأنه لو سأل الله أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصياً ، ويقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، وإذا قال ابن عباس :
اختلف الناس فى كل شيء الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا
ميت الا الله . وقال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا
تدخر والله يرزقها يوماً بيوم . فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش
كيف قبض الله لها الرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم :
العبيد كلهم فى رزق الله لكن بعضهم يا كل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار

أَرْبَعٌ فَرِغَ مِنْهُنَّ الْخَلْقُ وَالْأَجَلُ وَالرِّزْقُ» وَأَيْضًا الْمَطْلُوبُ هُوَ الْعِدَّةُ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِهِ لِسَبَبٍ حَاصِلٍ بِالطَّلَبِ أَوْ دُونَ السَّبَبِ

كالتجار ، وبعضهم بامتهان كالصناع ، وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ، ويشير الى هذا المقام قوله تعالى : (والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) الى أن قال : (والله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون) (أربع فرغ منهن الخلق) بالفتح (والخلق) بالضم (والاجل والرزق) رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وانفذه فرغ الى ابن آدم من أربع : الخلق والخلق والرزق والاجل ، ورواه أحمد والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ « فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره - أي عمله - ومضجعه - أي محل موته - وشقى أو سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون .

جرى قلم القضاء بما يكون • فسيان انتحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق • ويرزق في غشاوته الجنين

﴿وايضاً﴾ لا بد من التوكل اذ ﴿المطلوب﴾ من العبد ﴿هو العدة﴾ أي الاستعداد ﴿على الطاعة﴾ لزيادة المعاد ﴿وهو تعالى قادر على اعطائه لسبب حاصل بالطلب او دون السبب﴾ أي او حاصل بغيره من انواع الكسب ، فقد قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عليه السلام للسائل بعد اعطائه الثمرة « خذها ولو لم تأتها لإتتك » وقد تقدم مبناه وما يؤيده من معناه . وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال . فقال السائل : زدني فقال ترك كل سبب موصل الى سبب حتى يكون الحق المتولى لذلك . فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة ، والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة ، وهو متل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا ، اذ كان سؤاله سبباً يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له ، فتركه ثقة بأن الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك . وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره ، وهو حال عزيز في نفسه ، ودوامه ان وجد أبعد منه وأعز

وَالْمَوْتُ جُوعًا مُقَدَّرًا أَيْضًا كَالْمَوْتُ شَبَعًا

(والموت جوعاً مقدرًا أيضاً كالموت شبعاً) فلا بد من التوكل سواء كان شبعانا أو جوعانا، وقد قال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، فالاول إشارة إلى فزع العبد إليه وابتئاله وتضرعه بين يديه ، والثاني إشارة إلى كمال توكله عليه . فعن أبي علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، والمفوض يرضى بحكمه .

ثم اعلم أن الشخص إذا كان بطالا فعليه أن يصير ذسبا وعمالا ، ولا معنى للتوكل في حقه الا ما يليق بمقامه وفق مرامه ، فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين ، إما من العلماء الزاهدين وإمامان الصالحين العابدين ، فما للبطل والانتكال وإذا كان مشغلا بالله وملازما لمسجده أو بيته ، ومواظبا على علمه وعبادته بتحسين نيته وتزيين رعايته فالحمد لله سبحانه يقرر حبه في قلوب خلقه حتى يحملوا إليه فوق كفايته ، فما روى إلى الآن من قديم الزمان عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وتعالى وهو في وسط الديار من القرى والامصار فمات جوعا بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يعوله لقدر عليه ، فمن كان الله كان الله له ، لكن ينبغي أن يكون نظره إلى مسبب الاسباب لا إلى الاسباب . نعم لا يطعم في الحلوى والطير السمانى والنياب الرفيعة والبيوت المنيفة مع انه لو قدر له شيء من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك كما يشير إليه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) (و ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وفي الخبر أبي الله أن يرزق عبده المؤمن الامن حيث لا يحتسب . فالاهتمام الكثير بأمر الرزق قبيح من ذوى الدين ، وهو أقبح من العلماء المجتهدين ، لان من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة الا اذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لا تقي بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ، ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالبا فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ المولى واعانة للعطى على نيل الثواب في العقبى ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولا على كد الاكتساب ولذا سأل بعض الاكاسرة حكما عن الاحق المرزوق والعاقل المحروم فقال : اراد الصانع أن يدل

وَإِيضاً الصَّلَاحُ مُسْتَوْرٌ، وَإِيضاً أَنَّهُ ضَمِنَ الرِّزْقَ بِلَا تَعْلِيْقٍ فَوَرَدَ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) فَمَا أَقْبَحَ مِنْ يَتَّقُ عَلَى سُوقِي بَعْدَ الْإِقْرَاضِ أَوْ الضِّيَافَةِ وَلَا يَتَّقُ عَلَى ضِمَانِهِ تَعَالَى

على نفسه ، اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن أن العقل رزق صاحبه ، فلما رأوا خلافه علموا أن الرزق من غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم ، فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا : نطلب الرزق فقال ان علمتم في اى موضع هو فاطلبوه ، فقالوا نسأل الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه ، فقالوا ندخل البيت وتوكل على الله تعالى وننظر ما يكون ، فقال التوكل على التجربة شك ، قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فناننى جوع شديد فغلبتنى نفسى ان اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين ، فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول :

وتزعم انه مننا قريب وانا لانضيع لمن اتانا
ويسألنا القوي جهدا وصبرا كأننا لانراه ولا يرانا

(وايشا) لا يد من التوكل اذ (الصلاح) في الامور (مستور) لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اى الاسباب خيره لما قال عمر رضي الله عنه : لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايها خير لي (وايشا) لا بد من التوكل حيث (انه) اى الله سبحانه (ضمن الرزق بلا تعايق) اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب (فورد) في التنزيل (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) اى ولو لم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه ، فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من ابن تاكل ؟ فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربى مرة من اين يطعمنى (فما ابح من يثق) اى يعتمد (على سوقى) مع أن الغالب عليه الكذب وخالف الوعد (بعد الاقراض او الضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى) مع كمال صدقه وجمال وعده . وقد قيل : مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله ، رواه ابو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكى عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الامام بالمسجد لو اكتبته

وَأَيْضًا لَفَائِدَةٌ فِي الطَّلَبِ إِلَّا الْمَدْلَةُ وَضِيَاعُ الْوَقْتِ؛ وَأَيْضًا الْحَيَاةُ فِي الْإِسْتِقْبَالِ
مَشْكُوكٌ وَالْمَوْتُ مُتَيَقَّنٌ وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمُتَيَقَّنِ أَوْلَى بِخِلَافِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
لُورُودِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَعْلِيْقِهِمَا عَلَى الْعَمَلِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ) فَالْعِلْمُ وَالثَّوَابُ أَوْ هُوَ أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ وَلَا يُنَافِيهِ الْكَسْبُ لِأَنَّهُ عَمَلُ الْبَاطِنِ

كان أفضل لك . فلم يجبه حتى أعادها ثلاثا ، فقال في الرابعة : يهودى فى جوار المسجد
قد ضمن لى كل يوم رغبين ، فقال إن كان صادقاً فى ضمايه فعدوك فى المسجد خيراً لك ،
فقال : يا هذا لو لم تكن إماماً اتقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد
بخير لك ، يعنى فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى للرزق (وأيضاً) لا بد من
التوكل اذ (لا فائدة فى الطلب) حيث لا يزيد بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة فى طلبه
(الا المدلة) لمخلوق مثله ، ولا يحل لماؤ من أن يذل نفسه (وضياع الوقت) أى وتضييع العمر
فى غير عبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر (وأيضاً) لا بد من التوكل اذ (الحياة
فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن) مسلوكة (والاستعداد للمتيقن اولى) من الاستعداد
للمشكوك (بخلاف الثواب والعقاب) فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب ،
لكن لا بد للانسان أن يسعى فى اكتساب ما يوجب الثواب وفى اجتناب ما يقتضى العقاب
(لورود الاوامر والنواهي) فى الكتاب (وتعليقهما على العمل) حيث قال (ومن يعمل
من الصالحات) (ومن عمل صالحاً) الآيات . وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)
(وأن ليس للانسان الا ما سعى) (وأما ما ورد) فى التثريب (وابتغوا من فضل الله) فقد
يتوهم منه أن المعنى اطلبوا من رزق الله ، وليس كذلك (فالعلم والثواب) هما المرادان
من فضل الله (او هو امر اباحة) بقدر الحاجة ، او امر بطلب الحلال دون الشبهة
هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على
الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على
المتوكلين ولا ينال بمحذور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله (ولا ينافيه) أى التوكل
اربعة اشياء منها (الكسب لانه) أى التوكل (عمل الباطن) فيجتمع مع عمل الظاهر
بلى هو اتم عند بعض ارباب السرائر ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب

فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ مَقْطُوعًا بِهِ بَارْتِبَاطُ الْمُسَبَّبِ لِسُنَّتِهِ تَعَالَى كَمَا أَلَدَ لِلطَّعَامِ وَالْوَقَاعِ
لِلْوَلَدِ وَبَثَّ الْبَذْرَ لِلْحَصَادِ فَالْتَرَكُ خَطَا فُورِدَ (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)
وَإِنْ كَانَ مَظْنُونًا بَعْدَ حُصُولِ الْمُسَبَّبِ دُونَهُ غَالِبًا كَحَمْلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الْبَوَادِي
فَكَذَلِكَ لِأَنَّهُ

(فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ مَقْطُوعًا بِهِ بَارْتِبَاطُ الْمُسَبَّبِ) بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب
(لِسُنَّتِهِ تَعَالَى كَمَا أَلَدَ لِلطَّعَامِ) أى لا طه (وَالْوَقَاعِ) أى وكالجماع (لِلْوَلَدِ)
أى لخلق (وَبَثَّ الْبَذْرَ لِلْحَصَادِ) بالفتح والكسر أى لقطعه (فَالْتَرَكُ خَطَا)
بل جنون محض (فُورِدَ) فى التنزيل (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (وَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) وتوضيحه أنه إذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج
إليه ولكنك لست تمد اليد إليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ، ومد
اليد إلى الطعام سعى وحركة ، وكذا مضغه بالأسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك
على أسافله ، فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل فى شيء ، فانك إن
انتظرت أن يخلق الله شعبا دون أهل الخبز ، أو يخلق فى الخبز حركة إليك أو يسخر
ملكاً ليضغه ويرسله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض
وطمعت أن يخلق الله نباتا من غير بذر ، أو تلد الزوجة من غير وقاع فإنا
ولدت مريم ، فهذا وامثاله جنون وليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالعلم
والحال أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة
وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك وأما الحال فهو أن يكون سكون
قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك
وربما تجف فى الحال . وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك
ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضورها لطعام وربما يسلط الله عليك من
يقلبك عليه . وإذا كان هذا عمله وحاله فليمد اليد إليه فانه متوكل على الله ومعتمد عليه
(وَإِنْ كَانَ) السبب (مَظْنُونًا) أى مشكوكا فيه (بَعْدَ حُصُولِ الْمُسَبَّبِ دُونَهُ)
أى من غير السبب (غَالِبًا كَحَمْلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الْبَوَادِي) التى لا يطرأ فيها الناس
إلا نادرا (فَكَذَلِكَ) تركه خطا وجنون وإيقاع للنفس فى التهلكة (لِأَنَّهُ)

سَنَةُ الْاَوَّلِينَ لَكِنَّهُ يَجُوزُ اِنْ ارْتَاَضَتِ النَّفْسُ وَصَبَرَتْ عَنِ الطَّعَامِ اُسْبُوعًا
اَوْ مَا قَرُبَ مِنْهُ دُونَ الشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَقَدَّرَتْ عَلَى الْاَقْتِيَّاتِ بِالْحَشِيشِ

أى حمل الزاد فى السفر (سنة الاولين) أى عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف
الصالحين من الصحابة والتابعين (لكنه) أى ترك حمل الزاد (يجوز) ولذا
كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة إلى العوام القاء للنفس فى التهلكة
وهو حرام وإنما يجوز (إن ارتاضت النفس) فى مقام المرام (وصبرت عن الطعام
اسبوعا) أى سبعة ايام (او ما قرب منه) أى من الاسبوع . واقوله أن يكون ثلاثة
ايام ولياليها . وقد روى عن أبى تراب النخشي رأى صوفيا مديده إلى قشر بطيخ ليأكله
بعد ثلاثة ايام ، فقال له : لا يصالحك التصوف ، أى لا تصوف الامع التوكل ولا يصح
التوكل الا لمن يصبر على الطعام اكثر من ثلاثة ايام ، وعن أبى على الروذبارى : إن قال
الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ، ومروه بالعمل والكسب (دون الشغل
عنه تعالى) بان يعبد من غير ضيق قلب وتشويش خاطر ، كما حكى أن رجلا قال دخل
أبو تراب النخشي مكة طيب النفس ، فقلت اين ائت ايها الاستاذ ؟ فقال اكله بالبصرة
والكله بالباجرا كله ههنا ، كذا فى الرسالة القشيرية (وقدرت) أى وإن قدرت وظاهر
كلام الاحياء أن يقال او قدرت (على الاقتيات بالحشيش) فبعدهذين الشرطين لا يخلو غالبا
ما يخلو فى البوادي فى كل اسبوع من أن يلقاه آدمى ، او ينتهى إلى قرية او إلى حشيش يكون سببا
لحياته . وقد يكون له ثبات على الرضى هنالك إلى الموت إن لم يتيسر شيء من ذلك
فإن الذى يحمل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضل بغيره فيموت جوعا . فذلك ممكن مع الزاد
كما أنه ممكن مع فقده . وأما لو انحاز إلى شوب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا
طريقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع فى اهلاك نفسه كما روى : أن زاهدا
من الزهاد فارق الامصار واقام فى سفح جبل وقال لا اسأل أحدا شيئا حتى ياتينى
ربى برزقى ، فقعد سبعا فكاد أن يموت ولم يات شيئا ، فقال يارب : إن أحييتنى فائتنى برزقى
الذى قسمت لى والافاقبضنى ، فارحى الله تعالى اليه : وعزنى لا ارزقنك حتى تدخل
الامصار وتقعدين الناس ، ندخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل وشرب ، فاوجس فى نفسه من ذلك ، فاوحى الله تعالى اليه . اردت أن تذهب حكمتى
برزحك فى الدنيا أما علمت أن ارزق عبدى بيد عبادى أحب إلى من أن ازرقه بيد
قدرتى . فاذن التباعد عن الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة

وَأَمَّا مَا وَرَدَ وَتَزَوَّدُوا فَزَادُ الْآخِرَةِ بِقَرِينَةٍ (فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) أَوْ هُوَ أَمْرٌ
لِقَوْمٍ يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى النَّاسِ وَيُؤْذُونَ بِالْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ
وَالْإِفْحَرَامِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ وَإِنْ كَانَ مُوْهُومًا كَالِاسْتِقْصَاءِ فِي دَقَائِقِ
التَّدْبِيرِ فَهُوَ يُنَافِيهِ لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرِصِ وَيَسْتَفْتِي الْعَزْبُ قَلْبَهُ فَيَخْتَارُ الْكَسْبَ بِنِيَّةِ
التَّصَدُّقِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّحَامِي عَنِ الشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى بِالْإِلْتِهَاتِ إِلَى غَيْرِهِ

﴿رَأَى مَا وَرَدَ﴾ في التنزيل ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ وهو أمر بطلب الزاد أو اخذ الزاد ﴿فَزَادُ الْآخِرَةِ﴾
هو المراد ﴿بِقَرِينَةٍ﴾ ما بعده ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ النافعة في المعاد ﴿أَوْ هُوَ﴾ أى
تَزَوَّدُوا ﴿أَمْرٌ لِقَوْمٍ﴾ خاص من أهل اليمن وغيرهم ﴿يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى
النَّاسِ﴾ أى اعتمادا على إعطائهم من أزوادهم ﴿وَيُؤْذُونَ﴾ الناس ﴿بِالْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ﴾
ومنهم جمع يدعون أنهم متوكلون والحال أنهم متاكلون ﴿وَالَا﴾ أى وإن لم تراض النفس ولم
تصبر عن الطعام ﴿فَحَرَامٌ عَلَيْهِ﴾ ترك السبب من الكسب والطالب ﴿لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ﴾
للبدن والله لا يحب الفساد ورؤف بالعباد ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ السبب ﴿مُوْهُومًا كَالِاسْتِقْصَاءِ
فِي دَقَائِقِ التَّدْبِيرِ﴾ من أمر الزراعة والتجارة وسائر أنواع الصناعة ، ومنه السكى
والرقية والطيرة ﴿فَهُوَ﴾ أى الاستقصاء في هذا الباب ﴿يُنَافِيهِ﴾ أى التوكل عند أولى
الآلِباب ﴿لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرِصِ﴾ ونهاية الاتكال على الأسباب ، فمن سهل التوكل ترك
التدبير . وقال : إن الله تعالى خالق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه ، وإنما حجبهم تدبيرهم
﴿وَيَسْتَفْتِي الْعَزْبُ قَلْبَهُ﴾ أى دون المعيل فانه يتعين عليه طلب الحلال لأجل العيال ،
فانهم لا يكلفون بالتوكل وفق ماله من الحال ﴿فَيَخْتَارُ﴾ العزب ﴿الْكسْب﴾ بسبب
ثلاثة أشياء ﴿بِنِيَّةِ التَّصَدُّقِ﴾ بما فضل عن قوته على سائر الفقراء لاسيما ذوى القربى
﴿وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبِرِّ﴾ أى للمساعدة على أهل المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى (وتعاونوا
على البر والتقوى) ﴿وَالْتَحَامِي﴾ أى المحافظة ﴿عَنِ الشَّغْلِ عَنْهُ﴾ أى عن ذكره وفكره
﴿تَعَالَى بِالْإِلْتِهَاتِ إِلَى غَيْرِهِ﴾ سبحانه ولو من حوله وقوته ، فاذا كان المكتسب مكتسبا
لعياله أو لتفريق مال من ماله فهو يبدى به مكتسب ومتفع ، وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله في مقام

وَالْتَرَكَ لِشَغْلِ الْكَسْبِ عَنْهُ تَعَالَى وَانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بَعْدَ التَّغْيِيرِ لِفَقْدِ
الْمَالِ وَكَذَا التَّزَوُّدُ وَنَحْوُهُ وَيَكْتَسِبُ الْمَعِيلُ بِمَا رَوَى عَنِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كأله (والترك) أى ويختار العزب ترك الكسب (لشغل الكسب عنه تعالى) أى عن
القيام بحقه كما هو حقه (وانقطاعه إليه) أى ولكمال انقطاع العبد إلى حضور سيده
عملاً بقوله تعالى (وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً)
والحاصل أن الكسب لا ينافى حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه
الحال والمعرفة (ويعرف) صاحب هذا الحال (بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود
ونحوه) من الادخار للاستقبال ، ومن النكاح واختيار العيال اختياراً وترطفاً فيختاره
بنيّة التصديق والاعانة ويتركه لشغله عن الحق والعبادة (ويكتسب المعيل) لأجل العيال
(كما روى عن الصديق رضى الله عنه) أنه لما بوع للخلافة أصبح فاخذر زمة متاعه
تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، فكره المسلمون ذلك ، فقالوا كيف
تفعل هذا وقد ائمت الخلافة النبوة ؟ فقال لا تشغلونى عن عيالى فانى ان اضعتهم كنت
لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهلهم من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم
وتطبيب قلوبهم واستغراق وقت لمصالح المسلمين أولى ، ويستحيل أن يقال لم يكن أبو بكر
فى مقام التوكل فمن أولى بهذا منه . فدل على أنه ما كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب
والسمى ، بل باعتبار قطع الانشغالات إلى قوته وكفايته . والعلم بأن الله هو يسر الأكتساب
ومدير الأسباب ، وبشروط كان يراعيها من طريق الكسب من الأكتفاء بقدر الحاجة
من غير استكثار وتفاخر وادخار ، ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم
غيره . فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا
ومحب لها ، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد فى الدنيا . نعم يصح الزهد دون التوكل
فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من
المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق ، كنت أكتسب فى كل
يوم دينارا لأبيت منه دانقاً ، ولا أستريح منه إلا قيراطاً أدخل به الحمام بل أخرجه
كله قبل الليل . وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته ، وكان يقول : استحي أن
أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى .

والحاصل أن التوكل مقام شريف ومرام لطيف ، ولذا قال أبو سليمان الداراني
لاحمد بن أبى الحواري : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فانى

وَلَا يُكَلِّفُ الْعِيَالُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِدَهُ وَلَا الْأَدَّخَارُ مَا دُونَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعَزْبِ
وَإِخْتِلَافٍ فِيهِ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْفَضْلَ لِقَصْرِ الْأَمَلِ

ما شئت منه راحة . هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه . ولعله أراد أقصى ادراك
وهو مشاهد ان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه ، وان كل ما يقدره مولاه على عبده
من فقر وغنى ، وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه . وقال الخواص - وقد سئل
عن أعجب شيء رآه في أسفاره - فقال : رأيت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتى
ولكننى فارقتة خيفة ان تسكن اليه تقضى فيكون نقصا فى توكلى (ولا يكلف العيال)
بالاتكال (الا ان تساعده) فباله من الحال بالتوكل مع عدم المال ، ولا فيجب
عليه الكسب بقدر نظام المال . فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على
السنة ، ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد ، فسيحان من أقام العباد
فيما أراد . ومع هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال ،
فقد قال الحسن البصرى : وددت أن أهل البصرة فى عيالى ، وأن حبة بدينار ، وقال
وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقى لظننت
أنى مشرك بربى (ولا الادخار) أى ولا ينهى التوكل وضع الذخيرة (لما دون
الاربعين) يوما (من المزب) وللسنة من المعيل كما سيأتى (واختلاف فيه)
أى فى الادخار هل يكون منافيا للتوكل أم لا ، فذهب سهل الى أنه يخرج به عن
التوكل مطلقا ، وذهب الخواص الى أنه لا يخرج عن التوكل بأربعين يوما ويخرج
بما زاد على الاربعين . وقال أبو طالب المدنى : لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة
على الاربعين أيضا ، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار كما فى الاحياء
على ما سيأتى بيانه فى الاثناء (والتحقيق) فى مقام التوفيق (أن الفضل) فى
قلة الادخار (لقصر الأمل) فى التعاق بهذه الدار ، وتوضيحه أن كل ثواب موعود
على مقام محود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه مما يوافقه وينافيه ، ثم تلك الرتبة لها
بداية ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين
اللاحقين . ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعلى درجات
أصحاب اليمين اللاحقين تلاصق أسافل درجات السابقين ، كما قيل : نهاية الاولياء
بداية الانبياء ، فلا معنى للتقدير فى مثل هذا التقرير ، بل التحقيق أن التوكل بترك
الادخار لا يتم الا بقصر الأمل وتجويز قرب الاجل . وأما عدم أمل البقاء فيبعد

وَمِيقَاتُ الْكَلِمِ لَيْسَ لِلْأَمَلِ بَلْ لَاسْتِحْقَاقِ نَيْلِ الْمَرَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا هُوَ السَّنَةُ
الْإِلَهِيَّةُ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ كَمَا فِي صَيْرُورَةِ الْجَنِينِ نُطْفَةً وَعَلَقَةً وَهَضْغَةً، وَوَرَدَ
« نَخَرَتْ طِينَةُ آدَمَ يَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » وَمِنْهُ يُؤْخَذُ فِي الرِّيَاضَةِ وَلِلْسَنَةِ
مِنَ الْمُعِيلِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الضَّعْفَاءِ كَمَا هُوَ الْمَرْوِيُّ

اشتراطه ولو في نفس ، فان ذلك كالممتنع وجوده ، ثم الناس متفاوتون في طول
الامل وقصره ، وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات ، وأقصاه
ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات ، وبينهم ما درجات لاجصر لها في الاوقات
فمن لم يامل أكثر من شهر اقرب الى المقصود ومن يامل سنة في الوجود (وميقات الكلم)
اي ميعاد موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى (وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة)
(ليس الامل) اي لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل ؛ فان تلك الواقعة
ما قصد بها بيان ما يرخص فيه الامل (بل لاستحقاق نيل المرام) اي وصول موعود
موسى (عليه السلام) بعد اربعين يوما الى مقام الكلام (على ما هو السنة
الالهية) السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية (في تدبير الامور) الانسانية
(كما في صيرورة الجنين) اي تطوير الطفل في بطن امه من الاطوار الانسانية
الاجنادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية (نطفة) اربعين يوما (وعلاقة)
كذلك (وهضغة) كذلك (وورد : نخرت طينة آدم يدي) اي بصفتي من
نعت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على وجه الكمال (اربعين صباحا)
رواه الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف ، وذلك لان
استحقاق تلك الطينة لتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر (ومنه) اي بما
ذكر من الكتاب والسنة (يؤخذ في الرياضة) على اختيار المشايخ الاربعين ويؤيده
حديث « من اخاص الله اربعين يوما ظهرت له ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »
وقد تقدم « ومن حفظ على أمي اربعين حديثا حشر مع العلماء » وله طرق يقوى بعضها
ببعض فيصير حسنا (وللسنة) اي ولا ينافي التوكل الادخار للسنة الكاملة (من
المعيل) اي صاحب العيال من الاطفال والنساء (تطيبيا لقلوب الضعفاء كما هو
المروى) في سنة سيد الانبياء ، ففي الصحيحين انه عليه السلام ادخر لعياله قوت

بِخِلَافٍ مَا فَوْقَهَا وَيَتْرُكُ الْمُضْطَرِبُ طَرِيقَ الْمُتَوَكِّلِ بِالْإِدْخَارِ لِأَنَّ الْغَرَضَ
صَلَاحُ الْقَلْبِ

سنة ﴿ بخلاف ما فوقها ﴾ فان ما وراء السنة لا يدخر له الا يحكم ضعف القلوب والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والكسب ﴿ ويترك المضطرب ﴾ أي المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر ﴿ طريق المتوكل ﴾ غير المضطرب ﴿ بالادخار ﴾ فان كان يصالح قلبه بالادخار فهو أولى في الاختيار ، بل لو أمسك صنعة يكون دخاها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا برعايته فذلك أولى في مقام عنايته ﴿ لأن الغرض ﴾ وهو مدار المقصود ﴿ صلاح القلب ﴾ في عبادة الرب المعبود قرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله عده لحصول شتات البال ، والمحذور ، يشغل العبد عن الحضور والا لجميع ما في الدنيا ليس في عينه محذور ، ولا في وجودها وعدمها محذور ، ولذا بعث الله رسوله الى اصناف الخلق ومنهم أهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات ، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ، ولا المزارع بترك زراعته ، ولا المحترف بترك حرفته ، ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته وارشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال في عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته . كما ان صواب القوى ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت سنة . ونهى أم ايمن وغيرها أن تدخر شيئا لغد كما تقدم ، ونهى بلالا عن الادخار وقال « اتفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ، رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة ، وذلك حين دخل عليه النبي عليه السلام وعنده صبر من تمر والطبراني والحام من حديث أبي سعيد أنه عليه السلام قال لبلال « الق الله فقيرا واذا سئلت فلا تمنع ، واذا أعطيت فلا تخبأ ، وقد أخبر عليه السلام « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما رواه أحمد وغيره من حديث عمر تطايبا لقلوب الضعفاء حتى لا يأتي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور عابهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقرباء ، فما ارسل سيد الانبياء الراحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ، واذا فهمت هذا علمت أن الادخار

وَلَا مُبَاشَرَةَ أَسْبَابٍ تَدْفَعُ الضَّرَرَ إِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِهِ أَوْ مَظْنُونًا كَالْتَحَرُّزِ عَنِ
النَّوْمِ فِي مَكْمَنِ السَّبَاعِ وَمَرِّ السَّيْلِ وَتَحْتَ الْحَائِطِ الْمَائِلِ

قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي ، أن بعض
أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين
في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان « رواه أحمد وكان غيره من المسلمين يموت
ويخلف أموالا فلا يقول ذلك في حقه ، فهذا يحتمل وجهين لأن حاله يقتضى امرين
أحدهما أنه أراد كيتان من النار ، كما قال تعالى (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)
وذلك إذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس منه فهو نوع تلبيس ،
وثانيهما أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النصان عن درجة حاله لما ينقص
عن جمال الوجه أثر كيتين في الوجه . فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان
لدرجة في العقبى ، اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره في الاخرى .
واما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل
فيشهد له ما روى عن بشر ، قال الحسين المغازى من أصحابه كنت عنده ضخوة من
النهار فدخل عليه رجل كمل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال ما رأيته قام
الى أحد غيره ، قال ودفع الى كفاه من دراهم وقال : اشتر لنا بها من اطيب ما تقدر
عليه من الطعام والطيب ، وما قال قط مثل ذلك قال لجئت بالطعام فوضعتة فأكل
معه وما رأيته أكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه
الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له ، فقال لى
بشر لعلك أنكرت فعله ؟ قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن ، فقال ذلك أخونا
فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل ، وانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم
يضر منه الادخار . والله سبحانه أعلم بحقائق الاسرار (ولا مباشرة أسباب) أى
ولا ينفى التوكل مباشرة أسبابه (تدفع الضرر) المتعرض للخوف في نفس أو
مال (ان كان) الضرر (مقطوعا به أو مظنونا كالتحرز عن النوم في مكمن السباع) أى
في الارض المسبغة (ومر السيل) أى وفي مجرى السيل من الوادى لا سيما في الليل
فانه أدعى للويل (وتحت الحائط) أى الجدار (المائل) الى السقوط وكذا السقف
المنكسر الذى يخاف منه الهبوط

لَآنَ التَّعَرُّضِ لِلْهَلَاكِ مَنِّهِ عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ فَوَرَدَ فِي وَصْفِ الْمُتَوَكِّلِينَ
لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ إِلَّا فِي أَذَى النَّاسِ فَالْأَوَّلِيُّ فِيهِ الصَّبْرُ فَوَرَدَ (فَاتَّخِذْهُ
وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ) بِخِلَافِ أَذَى السَّبَّاحِ فَيَأْخُذُ السَّلَاحَ فَوَرَدَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

لأن التعرض للهلاك منى عنه في فكل ذلك منى عنه وصاحبه قد عرض نفسه
للهلاك بغير فائدة منه (بخلاف الموهوم) أى بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما
فان مباشرته تنفي التوكل ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهى التى نسبتها
إلى دفع الضرر نسبة الكى والرقية ، فان الكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما
يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ما وقع (فورد في وصف المتوكلين)
انهم (لا يكتوون ولا يسترقون) على ما تقدم فاصفهم عليه السلام الابتك
الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة
والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع (الا فى اذى الناس) استثناء من قوله : ولا مباشرة
اسباب تدفع الضرر ، أى الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ، ويكون
بما لا اثر له فى الخارج كالشتم والملامة والتعير والتوبيخ والمذمة فانه اذا أمكنه الصبر
والتحمل وامكنه الدفع والنشقى (فالاولى فيه الصبر) وترك اسباب تدفع الضرر ،
وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب الاحياء : فشرط التوكل الاحتمال والصبر
(فورد) فى التنزيل (فاتخذ وكيلًا واصبر على ما يقولون) تمامه (واحجرهم هجرا
جميلا) (وانصبرن على ما آذيتموننا) آخره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)
(ودع اذاهم) أى اترك مدافعتة ومعاقبته فى الحال ، او مكافأته ومجازاته فى الالة قبال
(وتوكل على الله) فان من توكل عليه كفاه (بخلاف اذى السباع) فانهم
مجبولون على الاضرار ، وفى معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب
والحيات ليس من التوكل فى الدرجات ، اذ لا فائدة فيه فى حال من الحالات
(فياخذ) المتوكل (السلاح فورد) فى التنزيل (وليأخذوا اسلحتهم)
فى صلاة الخوف وهو أمر ايجاب او استحباب ، وقد اختفى عليه السلام عن اعين
الاعداء فى الغار خوفا من ضرر الكفار ، وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : (فاسر

وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ فَوْرَدَ أَعْقَلَهَا وَتَوَكَّلَ وَيَسُدُّ الْبَابَ غَيْرَ مُسْتَقْصٍ فِي الْحِفْظِ وَلَا يَحْفَظُ
مَتَاعًا يَحْرُصُ فِيهِ السَّارِقُ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا لَا بَدَمَنَّهُ كَكُوزٍ وَرَكُوعَةٍ وَجَرَابٍ وَسِلَاحٍ
وَيَغْتَمُّ إِنْ سَرَقَ لِمَعْصِيَةِ السَّارِقِ وَتَعَرَّضَهُ لِلْعِقَابِ لَا لِنَقْصِ الْمَالِ بَلْ يَفْرَحُ بِهِ لِمَافِيهِ مِنْ
صَلَاحِهِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ وَيَشْكُرُهُ تَعَالَى عَلَى جَعْلِهِ مَظْلُومًا لَا ظَالِمًا وَنَقْصَ دُنْيَاهُ لَا دِينَهُ

بعبادى ليلا) فهذا وما قبله ظه في حق النفس ، وأما في حق المال فأشار بقوله (ويعقل البعير) أى يربط رجله لئلا يفارق رحله (فورد) أنه قال عليه السلام للاعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله (اعقلها وتوكل) أى على الله ، رواه الترمذى من حديث أنس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد بالفظ قيدها (ويسد الباب) أى يغلقه (غير مستقص) أى مبالغ (في الحفظ) كالتماسه من الجيران حفظه مع وجرد غلقه ، وجمعه اغلاقا كثيرة في محله ، فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلا بشرط ويقول : لولا الكلاب ما شدته ، وفيه لطافة إذ الدنيا جيفة وطلابها كلابها لما ورد وقد تقدم (ولا يحفظ متاعا يحرص فيه) أى فى اخذه (السارق) ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث مصيبته ، أو يكون امساكه موجب هيجان رغبته (بل يقتصر على ما لا بد منه ككوز) يشرب منه (وركوة) يتطهر بها (وجراب) يضع زاده فيه (وسلاح) إذا كان من أهل الجهاد ، أو سلاح كل أحد بحسب مقامه ووفق مراده ، كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء ، والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء . وكان بعض المتجردين لم يكن فى خلوته شئ . فاذا دخلها أغلقها وإذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما هدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لي اليها ، قال لم ؟ قال يوسوس الى العدو أن اللص قد اخذها ، فكانه احترز من أن يعصى السارق ، ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها فى اللاحق ، ولذا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها (ويغتم) المتوكل (إن سرق) أى جعل مسروقا (لمعصية السارق وتعرضه للعقاب) اللاحق (لا) يغتم (لنقص المال بل يفرح به) أى بنقص المال (لما فيه من صلاحه) أى لما فى نقص المال من ثل مال صلاح الحال (تحسينا للظن به) فيما قدره وقضاه من أزل الآزال (ويشكره تعالى على جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه) من ماله (لا دينه) الذى من ثاله ، فقد

وَلَا يَبَالِغُ فِي الطَّلَبِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَعْفُو وَيَحِلَّ فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنْ كَانَ فَقِيرًا وَإِلَّا فَأَغْنَاهُ لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَمَلٍ بِمَا وَرَدَ أَنْصَرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

شكى بعض الناس الى عالم انه قطع الطريق عليه واخذ ماله ، فقال : إن لم يكن غمك أنه صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما تصحب المسلمين . وسرق من على بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبیت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن ، فقال له أعلى الدنيا تبكي ؟ فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولم تكن له حجة . وقيل لبعضهم : أَدع على من ظلمك ، فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه (ولا يبالغ في الطلب) أي طلب المسروق أو السارق (وسوء الظن بالمسلم) أي وفي التهمة للجيران أو غيرهم من أقاربه وأصحابه (والأولى أن يعفو) أولا (ويحل) ثانيا (فهو) أي ما ذكر من العفو والاحلال (صدقة إن كان) السارق (فقير أو لا) أي وإن لم يكن السارق فقيرا (فأغناه له عن المعصية) التي هي السرقة (وعمل بما ورد أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) وتوضيحه ما في الأحياء فإن قلت : كيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه ، وذلك لأنه إن كان لا يشتهي ولا يريد له لم أمسكه لديه واغلق الباب عليه ، وإن أمسكه لأنه يشتهي حاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقدده وقد حيل بينه وبين ما يشتهي ؟ فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذا كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه مارزقه الله ولما أخطاه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه أن ذلك مدين له على أسباب دينه ، ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن يكون خيرته في أن يبطل لفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر ، فلما أخذ الله بتسليط الأمر تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به . فيقول لولا أن الله علم لي الخيرة الآن في عدمها لما أخذها مني ، فيمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث أنها الأسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الأسباب عناية به ولطفه ، وهو كالمريض بين يدي الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله ، فإن قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قر به الى ، وإن أخذ عنه الغذاء فرح أيضا وقال : لولا أنه عرف أن الغذاء يضرني لما حال بيني وبينه ، فكل من لا يعتقد في لطف الله ما يعتقد المريض في الوالد المشفق

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التبركل أصلاً ، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فاني لا أدري أيهما خير لي ، فلذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو ببقائه فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا ولا في الآخرة . فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان ولم من غنى يتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيراً أو يتمناه أن ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت ، فينبغي أن ينوي عند خروجه منه الرضا بما يقضى الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ، ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل أو هو في سبيل الله أو ان كان فقيراً فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو أولى ، ويكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير ، إحداهما أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده ، وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل ، والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداءً لمال مسلم آخر . ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، على ما في الصحيحين وتاممه : قيل كيف انصره ظالماً قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصرة ، فنصرة الظالم منعه عن الظلم ، وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له . والتحقيق أن هذه النية لا تنصره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الا زلى السابق ، ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لانه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامر ان يكون في هذا المقام متوكلاً على الله سبحانه بالعلم والحال : اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل يدفع الله سبحانه اياه كما سبق في الكتاب . فكم من بيت يغلق ولا ينفع ، ولم من يعير بعقل ويموت او يفلس . ولم من أخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلاً على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب . واما الحال فهو ان يكون راضياً بما يقضى الله تعالى به في نفسه وبيته ، ويقول : اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او ودعة فتستردها ، ولا ادري انها رزقي قبل خلقى او سبقت مشيئتكم في الازل انهار رزقي غيري ، وكيف ما قضيت فانا راض به ، وما اغلقت الباب تحصنا من قضاائك وتسخطابه على بلائك بل جرياً على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب . ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون

وَيَنْوِيهِ لِيُثَابَ وَإِنْ لَمْ يُسْرِقْ كَمَا فِي تَرْكِ الْعَزْلِ فَوَرَدَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَدٌ كَبِيرٌ وَقُتِلَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَأْخُذُ لَوْ أَتَى بِهِ وَإِنْ جَازَ الْأَخْذُ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا تُخْرِجُ الْمَلِكَ

ذلك عنده نعمة جديدة من الله ، وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده
راضيا او فرحا بذلك عالما بانته ما اخذ الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ايزيد رزقه في العقبى
فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه ، وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له
انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد الا لمن
لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه ، بل قد يكون على العكس من
ذلك فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم
يكثر سعيه في الطاب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه وأكثر
الشكوى بأسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السرقة معيبة له في دينه من حيث
انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبته في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي
ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بحمل غرورها فانها خداعة اماراة
بالسوء مدعية للخير في ادورها (وينويه) اي العفو ابتداء (ليثاب وان لم
يسرق) انتهاء (كما في ترك العزل) فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل
الله يثاب به ولو لم يولد (فورد فيه) اي في ترك العزل (ثواب ولد كبير
وقتل في سبيل الله تعالى) وفي الاحياء كما روى عن رسول الله ﷺ فيمن ترك
العزل واقر النطفة قرارها : ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في
سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الوقاع ، واما الخلق
والحياة والرزق والبقاء فليس اليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم ،
فكذلك امر السرقة ، لكن مخرجه قال لم اجده اصلا . هذا واذا جعله في سبيل
الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه (فلا يأخذ)
اي فالاولى ان لا يقبله (لو أتى به) اي بالمال المسروق (وان جاز الاخذ) والقبول
فانه ملكه في ظاهر العلم (لان النية) بمجرد ما (لا تخرج الملك) عن يد المالك
لكن أخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى أن ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته
فطلبها حتى اعياى ثم قال في سبيل الله ، فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال
يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ، ثم قال استغفر الله
وجلس ، فقيل له الاتذهب فتأخذها؟ فقال إني كنت قلبت في سبيل الله . وكذا من

وَلَا إِزَالَهَ الضَّرَرَ الْمَقْطُوعَ بِهِ كَالشَّرْبِ لِدَفْعِ الْعَطَشِ وَالْمَظْنُونِ كَالْحِجَامَةِ وَالْإِسْهَالِ
بِخِلَافِ الْمُوهُومِ كَالرُّقِيَّةِ وَالطَّيْرَةِ

أخذ رغيفا مثلا يعطيه فقيرا فغاب عنه كره له أن يرده إلى البيت بعد إخراجِه منه فيعطيه فقيرا آخر، وحكى عن رجل من العباد بمكة أنه كان نائما بجانب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه فيه فقال له لم كان فذكره فحمله إلى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه بأنهم كانوا أخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو وأصحابه إليه فردوا الذهب إليه فأنى عليهم وقال خذوه حلالا فما كنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابنه وجعل يصره ضرا ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم أقل درجات التوكل أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاختلاف فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده، وفي الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي رواية أن العبد يظلم المظلم فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم، وحكى أن الربيع بن خيثم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا ورقا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطالبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما انى كنت قد رأيته وهو يحمله قيل فما منعك أن تزجره؟ قال كنت فيما هو أحب إلى من ذلك يعنى الصلاة في مقام الاحسان ومال التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه، وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له الاتدعو على ظالمك فقال ما أحب أن اكون عوناً للشيطان عليه قيل افرأيت لو ردت عليك السرقة؟ قال لا أخذها ولا انظر إليها لاني كنت قد أحملتها له، وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازیده شرًا (ولا ازالة الضرر) أي ولا ينفي التوكل دفع الضرر (المقطوع به) أي بالسبب المقطوع به (كالشراب لدفع العطش) وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد (والمظنون) أي والضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك (كالجعاة والقصد والاسهال) أي شرب الدواء المسهل وسائر أسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة (بخلاف الموهوم) وهو الطرف المرجوح من المشكوك (كالرقية والطيرة) والكي فروي أن عمران بن الحصين اعتل فإشاروا عليه بالكي فامتنع فلم

وَالْتَرَكُ حَرَامٌ فِي الْمَقْطُوعِ بِهِ دُونَ الْمَظْنُونِ

يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتبوا فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم على الملائكة فلما اكتبوا قطع ذلك عني وكان يقول اكتبونا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك واتاب الى الله فرد عليه ما كان يجده من امر الملائكة، وقال لمطرف بن عبد الله الم ترالى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد ردها الله على بعد أن كان قد اخبره بفقدها (والترك) لمباشرة السبب (حرام في المقطوع به) عند خوف الموت (دون المظنون) فان تركه ليس بحرام، واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذا وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الكى وتليه الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية ففى البخارى «وانهى امتى عن الكى» وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة ثم الطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها فى هذا الباب غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويندب على أن التدارى غير مناقض للتوكل من فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله لحديث «ما من داء الاوله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام - يمنى الموت» رواه الطبرانى وغيره وحديث «تداوا واعباد الله» رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن شريك وسئل عليه السلام عن الدوام والرقى هل ترده من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله، رواه الترمذى وصححه وابن ماجه، والحديث المشهور «ما مرت بملاء من الملائكة الا قالوا مر املك بالحجامة» رواه الترمذى من حديث ابن مسعود، وحديث «احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيخ بكم الدم فيقتلكم» رواه الترمذى من حديث ابن عباس، فذكر أن تبيخ الدم سبب الموت وأنه قاتل باذن الله تعالى، وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الالهاب وبين اخراج المقرّب من تحت الثياب. واما امره عليه السلام فقد أمر غير واحد من أصحابه الكرام بالتداوى والحمية، وقطع لسعد بن معاذ عرقا أى فصدّه كذا فى الاحياء، ورواه مسلم من حديث جابر قال «رمى سعد فى الحلة لحسمه النبى عليه السلام يده بمشقة» الحديث، وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبرانى. ويؤخذ منه أن سبب الكى

فترك الدواء أيضا ماثور

إذا كان موهوما قالوا لى تركه ، فينافى التوكل فعله . وقد قال لعلى كرم الله وجهه
وكان وجع العين « لا تأكل من هذا » يعنى الرطب « وكل من هذا فانه اوفق لك ،
يعنى الساق الذى طبخ بشعير . وقال لصهيب وقد رآه آخرى يأكل التمر وهو وجع العين
« اناكل التمر وأنت رمد ؟ فقال انما آكل بالجانب الآخر ، فتبسم عليه السلام » وأما
فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق أهل البيت « أنه كان يكتحل كل ليلة ،
ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة » رواه ابن عدى من حديث عائشة
وقال أنه منكر انتهى . وحديث الاكتحال ثابت فى الترمذى كما لا يخفى للطبرانى بإسناد
حسن « أنه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس » الحديث وله فى الاوسط
« عن انس أنه عليه السلام كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء
وعسلا » ولابى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر « أن النبى عليه
السلام احتجم بعد ماسم » وللبخارى وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « أنه عليه
السلام كان اذا نزل عليه الوحى صدعه رأسه فيغلفه بالخناء » وللترمذى وابن ماجه
من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء » فكما أن التداوى مروي ومشهور
(فترك الدواء أيضا ماثور) عن السلف مسطور . فروى عن الصديق أنه قيل له :
لو دعونا لك طبيا فقال قد رآنى الطبيب ، وقال لى افعل ما أريد . وقيل لابى الدرداء
فى مرضه : ما تشكى ؟ قال ذنوبى ، قيل فما تشمى ؟ قال رحمة ربى . قالوا : ألا ندعوا لك
الطبيب قال الطبيب أمرضى . وقيل لابى ذر - وقد رمدت عيناه - لو داويتهما ؟ فقال :
انى مشغول عنهما ، قيل لو سألت الله ان يمايك ؟ فقال أسأله فيما هو أهم على منهما ، وكان قد
اصاب الربيع بن خيثم فالج فقبل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود . وقرونا
بين ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا
من الداء . وكان أحمد بن حنبل يقول : احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق أن يترك
التداوى من شرب الدواء وغيره ، وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : اذا
دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله ، وينظر الى
قيام الله تعالى . فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام تداؤوا توسعة للانام
ورخصة فى الاحكام ، وتركه بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة
لما لهم من المقام ، والا فالتداوى لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق

لَمَعْرِفَةِ عَدَمِ النَّفْعِ بِالْمُكَاشَفَةِ أَوْ لَكُونَ الْمَرَضِ مُزْمِنًا وَالْعِلَاجِ مَوْهُومًا كَالْكَيِّ
أَوْ لِلشَّغْلِ عَنْهُ بِخَوْفِ الْعَاقِبَةِ وَعَلَيْهِ تَعَالَى أَوْ لِقَصْدِ تَطْوِيلِهِ لِنَيْلِ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ

الدواء ، فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث أنه جعله الله سببا لنفعه ، كما
لا يرى الماء مرويا ، ولا الخبز مشبعاء ، وفي الأحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه
السلام وأفعال التاركين من الأعلام الا بحصر الصوارف عن التداوى في ذلك المقام
فترك الدواء المذكور والمأثور انما هو لاحد اسباب سبعة (لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة)
وهو أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بأنه قد انتهى أجله وأن التداوى
لا ينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحس وظن ، وتارة بكشف
محقق ، ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال
لعائشة في أمر الميراث انهما أختاك ، ولم يكن لها الا أخت واحدة ، ولكن كانت امرأته
حاملا فوضعت انثى فعلم أنه قد كوشف بانها حامل بانثى . ولا يبعد أيضا أن يكون قد
كوشف بانتهاء أجله والا فلا يظن به إنكار التداوى ، وقد شاهدته عليه السلام تداوى
وامره كذا في الأحياء . و الفرق بين إنكار التداوى وعدم مباشرته كما لا يخفى (أو لكون
المرض مزمنا والعلاج موهوما) في النفع (كالكى) والرقية ونحوهما وعليه
حمل كلام الربيع (أوللشغل عنه) أى لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه
وينافيه (بخوف العاقبة وعليه تعالى) بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك ألم الأمراض
اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله وتأملا في مآله وعليه يدل كلام أبى
الدرداء وأبى ذر في ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفا من ذنبه أكثر من تألم بدنه من
حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، أو كالحائف الذي يحمل إلى
ملك من أجل سياسته اذا قيل له ألا تأكل وانت جائع فيقول إني مشغول عن الأكل
وعن ألم الجوع بما هو أهم منه . ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له
ما القوت ؟ فقال هو الحى القيوم فقيل له إنما سألتك عن القوام ؟ قال القوام هو العلم ،
قيل سألتك عن الغذاء ؟ قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك
والجسد دمع من تولاه أولا يتولاه أخرا ، اذا دخلت عليه علة فردته الى صانعه أما رأيت
الصنعة اذا عابت ردها الى صانعها حتى يصلحها (أو لقصد تطويله) أى لارادة استبقاء
المرض (لنيل الأجر بالصبر) على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يذكر

أَوْ تَكْفِيرِ الذَّنْبِ

ذكره ومن ذلك « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بال نار ، فمنهم من يخرج كالابريز ، ومنهم من يخرج دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا »
 رواه الطبراني من حديث أبي أمامة . وقال ابن مسعود . تجد المؤمن من أصبح شيء قلبا وأمراضه جسما ، وتجد المنافق من أصبح شيء جسما وأمراضه قلبا ويشير إليه قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتتموه وتركوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ، ويقاسي العلة ويرضى بحسبكم الله تعالى وما فيه من الحكمة . ويعلم أن ذكر الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع المرض جوارحه ، وعلما أن صلاتهم من قعود مثلامع الصبر على قضائه سبحانه من العلة أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة . وكان سهل يقول : ترك التداوي وإن ضعف عن الطاعات أفضل من التداوي لأجل القوة على العبادات . وكانت به علة عظيمة ولم يتداو لها وكان يداوي الناس منها ، وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء قائما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف هو من لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء وإن كان هو الماء البارد يسأل عنه لم أخذت ذلك ؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم أن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان الله غالبا مدهشاه . وقال سهل : عال الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة (أو تكفير الذنب) بأن يرى طول المرض تكفيرا لخطاياهم فلا ينبغي وأبى يعلى وابن عدي من حديث أبي هريرة « لا يزال الحى والصداع بالعبد حتى يمشی على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة » وللطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه . وله في الاوسط من حديث أنس « مثل المريض إذا صح وبرى من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها » وللقضاعي من حديث ابن مسعود « حى يوم كفارة سنة » وفي رواية « حى ليلة » ولاحد وأبى يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد « أن رجلا من المسلمين قال : يا رسول الله أرأيت هذه الامراض التى تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال : كفارات » قال أبى وإن قلت قال وإن شوكه فما فوقها ، قال فدعا أن لا يفارقه الوعاء حتى يموت » الحديث . والروعاء الحى لو شدة ألمها . والطبراني في الاوسط من حديث

أَوْ امْتَحَانِ النَّفْسِ أَوْ طُغْيَانِهَا فِي الصَّحَّةِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِالتَّنَعُّمِ وَتَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ
لِتَطْوِيلِ الْأَمَلِ

أبي بن كعب أنه قال : يا رسول الله ما جزاء الحمي ؟ قال تجري الحسنات على صاحبها ما يحتاج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، فقال : اللهم إني أسألك حتى لا تمنعني خروجي في سبيلك ولا خروجي إلى بيتك ولا مسجد نبيك ، الحديث . وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطايا به ؛ وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه ، فقال كيف أرحمه بما به ارحمه ؟ أي به كفر ذنوبه وازيد في درجته ﴿ أو امتحان النفس ﴾ أي لتجربتها في القدرة على الصبر في المحنة بعدم الجزع والهزاع والشكاية فقد ورد « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء » ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عليه البلاء » رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه ﴿ أو طغيانها ﴾ أي تجاوز النفس عن حدها ﴿ في الصحة ﴾ أي في أيام الصحة والعافية ﴿ بتضييع الوقت بالتنعم ﴾ في الشهوات واللذات ﴿ وتأخير الخيرات ﴾ أي وتأخير الطاعات والعبادات والمبرات ﴿ لتطويل الأمل ﴾ وتبديد الأجل وتوضيحه أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من أن يماجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الأمل وتسويق العمل بتأخير الخيرات والمبرات ، فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها يذهب الهوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي والسيئات ، وأقلها أن تدعو إلى التنعم في المباحات وهو تضييع الأوقات وإهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، فاذا أراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالأمراض والمصائب ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة وروى أن الله تعالى يقول الفقر سيجني والمرض قيدي أحبس به من أشاء من خلقى . وقال بعض العارفين لانسان : كيف كنت بعدى ؟ قال في عافية ، قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية ، فان كنت عصيته فأى داء أدوى من المعصية ؟ ما عوفى من عصي . وعن علي كرم الله وجهه أنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذي أظروه ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لنعصى الله فيه فهو لنا عيد وما أحسن من قال من أرباب الحال وليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن أمن من الوعيد ، وقال تعالى : (كلا

وَالْأُولَى الْإِخْفَاءُ صَبْرًا وَرِضًا وَتَحَامِيًا عَنِ الشُّكَايَةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لِقَصْدِ
الْعِلَاجِ لِلطَّبِيبِ أَوْ تَعْلِيمِ حُسْنِ الصَّبْرِ بِالشُّكَايَةِ وَهُوَ مِنَ الْمُقْتَدَى بِهِ أَوْ إِظْهَارِ
الْعَجْزِ عَنِ الصَّبْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ الْقَوَى

أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى (قيل أى بالعافية ، وقال بعضهم انما قال فرعون
(أنا ربكم الاعلى) لطول العافية لانه لبث أربعمئة سنة لم يصدع له رأس ولم
يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول
الدنيوية فضلا عن دعوى الألوهية ، وروى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تعرض
فطلقها ، وفي الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم
أن يتزوجها ، فقبل لها انها ما مرضت قط فقال « لا حاجة لي فيها »

رواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد : وذكر عليه السلام الامراض والاوراجاع
كالصداع وغيره فقال رجل ما الصداع ما عرفه ؟ فقال عليه السلام « غنى اليك من اراد
أن ينظر الى رجل من أهل النار فلي نظر الى هذا » رواه أبو داود وذلك لما ورد أن الحى حظ
كل مؤمن من النار » رواه أحمد من حديث أبى امامة . ولابن ماجه من حديث أبى
هريرة أنه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال له ابشر ان الله عز وجل يقول هي
نارى اساطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى العقبى » (والاولى الاخفاء)
أى اخفاء مرضه وسوء حاله (صبرا) على بلائه تعالى (ورضا) بقضائه سبحانه
(وتحميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية) وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض (المقصد العلاج
للطبيب) اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به عال لا يخبر
بها الطبيب اذا سأله عنها ، وتارة يخبر بامراض يجهلها ويقول : انما اصف قدرة الله فى (أو
تعليم حسن الصبر) أى او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره (بالشكاية)
على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بأن يظهر أن المرض بلية يصبر عليها أو نعمة
يشكر لديها فيتحدث به لما يتحدث بالنعمة ، وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى
وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (وهو) أى صاحب هذا المقام يكون (من
المقتدى به) فى أمر الرعاية (أو اظهار العجز) والافتقار (عن الصبر اليه تعالى وهو)
انما يستحسن (من القوى) فى مقام الصبر كما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى
مرضه كيف أنت ؟ فقال بشر فظن بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه
شكاية فقال أتجلد على الله فاحب أن يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة

والاقتدار ((فالنِّية)) أى تحيينها واصلاحها ((مرخصة)) لظهور علله واسبابها أو المعنى أن النية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الأعمال بالنيات وأما من ترك التداوى توكلًا فلا وجه له للاظهار أصلاً فان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الانشاء، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام (انما أشكوا بشي وحزنى الى الله) وقيل فى معنى قوله (فصبر جميل) لا شكوى فيه، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك؟ قال مر الأزمان وطول الأحزان فارجى الله تعالى اليه تفرغت بشكواى الى عيىدى فقال يارب أتوب اليك، وروى عن طاووس ومجاهد أنها قالت لا يكتب على المريض أنينه فى مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهر معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب أبليس من أيوب عليه السلام الا أنينه فى مرضه لجعل الانين حظه منه ولعله محمول على انين كان يمكنه أن لا يظهر عند عواده والافقد سبق أنه تسبيح ويثاب عليه مع أنه أمر طيىم لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وإن كان شكاً وذكر شراً قالاً كذلك يكون وإنما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية فى المقام وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابهم فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض. وهيب بن الورد. وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول: اشتهى المرض بلا عواد، وقال لا أكره العلة الا لاجل العواد. هذا وما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجىء الرزق وفق الرفق ان يسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحب التوكل فى سائر الاوقات، كما روى عن حذيفة المرعى وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم ف قيل له: ما اعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقيت فى طريق مكة اياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فأتينا الى مسجد خراب فظفر الى ابراهيم بن ادهم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقالت هو ما رأى الشيخ، فقال على بدواة وقرطاس، فجئت بها فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى. وقال:

انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائم انا عارى

هى ستة فأنا الضمين لنصفها فكأن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من لهيب النار

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعاق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلاقك ،
فخرجت قائل من لقيني كان على بغلة ، فناولته الرقعة فاخذها ، فلما وقف عليها بكى ،
وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو في المسجد الفلاني ، فدفع الى صرة فيها
سنة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن راكب البغلة فقال هذارجل نصراني ،
فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة ، فقال لا تمسها فانه يحرق الساعة ، فلما كان بعد ساعة
دخل النصراني وأكب على رأس ابراهيم بقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الا قطع البصري :
جمعت بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفا فحدثني نفسي بالخروج ، فخرجت الى الوادي
لعل اجد شيئا يسكن ضعفي ، فرأيت شاة حمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها
وحشة ، وكان قائلا يقول لي : جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك شاة حمة . تغيرة
فرجعت ودخلت المسجد وقعدت ، فاذا انا برجل أعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي
ووضع قطرة وقال هذالك ، فقلت كيف خصصتني بها ؟ فقال أعلم انا كناني البحر منذ
عشرة أيام واشرفت السفينة على الفرق ، فذرت إن خلاصني الله أن اتصدق بهذه
على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت اول من لقيته ، فقلت افتحها
فتفتحها فاذا فيها لعك سميد مصرى ، ولوز مقشر ، وسكر كعاب ، فقبضت قبضة
من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا ، وقلت رد الباقي الى صديائك هدية متى لهم
وقد قبلتها ، ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه في الوادي
وقال ممشاد الدينوري : كان على دين فاشتغل قلبي بسببه فرأيت في النوم كأن قائلا
يقول يا بخیل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذو علينا العطاء ، فما
حسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم ، وحكى عن بنان الجمال قال : كنت في طريق
مكة اجيء من مصر ومعى زاد ، فجاءتني امرأة وقالت : يا بنان أنت حامل تحمل على
ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل ،
فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي أحمله حتى يحرق صاحبه فرمى يعطينى شيئا
فأرده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت : أنت تاجر تقول عسى يحرق صاحبه فاأخذ
منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت : انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ،
وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا اذا
جاء النفير فنشترى ما يوافقك ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها
تصلح له ، وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية ؟ فقال انها ليست للبيع ، فألحوا عليه ، فقال

انها لبنان الخمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند ، فحملت الى بنان و ذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أهلكته مت . فوكل الله به ملكا
فقال ان أهلكه فارزقه ، وان لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه الى أن
مات ولم يأكله وبقي القرص بعده . ويقرب منه ما في حياة الحيوان أن دودة أكلها
التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه ، وكذا طير على ساحل البحر
يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء ، وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة فسرت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أني سكنت
واتكملت على غيره سبحانه ، فالتيت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل اليها فحفرت
لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها ، فسمعوا صوتا علانيا في نصف الليل :
يا أهل المرحلة ان الله وليا حبس نفسه في الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فاخرجوني
وحملوني الى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل حتى اختفه
عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا ؟ فقال اني
قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وآل عمر ، فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه ؟ قال وجدت فيه
(وفي السماء رزقكم وما ترعدون) فقلت رزقي في السماء وانا أطلبه في الارض فبكي عمر وقال
صدقت ، وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه ، وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين
فبينما أنا أمشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعني نفسي أن أستغيث ، ثم قلت لا والله لا
أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البشر رجلا فقال أحدهما تعال حتى نسد رأس
هذا البشر لئلا يقع فيه احد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا البشر على رأسه فهممت ان اصيح
ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذ انا بشيء . كشف عن
رأس البشر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في مهمة له كنت اعرف له ذلك ، فنعلت
به فاخرجني فاذا هو سبع فر وتركتني فتهف بي هاتف فقال : يا ابا حمزة اليس
هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فشيت وانا أقول :

اهابك ان ابدى اليك الذي اخفى	وانت علم ما يلاحظه طرفي
نهاني هواي منك ان اكنم الحيا	واغنييتي بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فابديت شاهدي	الى غائبى والمطف يدرك باللطف
ترأيت لي بالغيب حتى كائنما	تبشرني بالغيب انك في الكهف
اراك وبني من هيبتي لك وحشة	فتروني بالاطف منك وبالعطف

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْيَقِينُ. وَوَرَدَ مَنْ كَانَ غَرِيزَتَهُ الْعَقْلُ وَسَجِيَّتُهُ الْيَقِينُ لَمْ تَضُرَّهُ الذُّنُوبُ.
مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَتْهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيْمَةُ الصَّبْرِ.

وتحبي محبا كان في الحب حقه وذاعجب كون الحياة مع الحنف
فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من الفوت. وفي هذا المقام قال من
قال : دع نفسك وتعال ، وبيان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك
بالموت ان لم ياتته رزقه علما بان رزقه هو الموت . والجوع وان كان نقصانا
في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى ، فيرى انه سبق اليه من خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه
خير الرازقين لما انه احسن الخالقين (والاصل) الذي عليه مدار امر الدين خصوصا
(فيه) اي في التوكل هو (اليقين) وقد قال تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)
اي عين اليقين فانه بان عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين ، ولذا تفسيره
بالموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين . وقال عز وعلا (هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب) الى ان قال (وهم بالآخرة هم يوقنون) وقول على كرم الله وجهه :
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا
غيبيا ، كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار
بانه انسان في صورته وهياته ، بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته .
والحاصل انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتبار الظهور والعيان فينتقل
من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين ، ونظيره ان خبر
الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك ، فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت
من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تأييد ثم اذا قبل الحجر الاسحمر والتزم الملتزم انتقل الى حق
اليقين في الحرم المحرم ، والله سبحانه اعلم (وورد) عنه صلى الله عليه وسلم (من كان غريزته
العقل) اي طبيعته (وسجيته اليقين) اي خلقته وطوبته (لم تضره الذنوب) اي ارتكابها
لانها يدعو الى سرعة التوبة عن اكسابها ، والتائب من الذنب كن
لا ذنب له في اجتنابها (من افضل ما اوتيتم اليقين) في امر الدين (وعزيمة الصبر)
في مقام المجتهدين ، قال تعالى (وان تصبروا واتقوا فان ذلك من عزم الامور)
وقال : (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ولا بني نعيم في الحلية واليهقى عن
ابي سعيد مرفوعا « ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله ؛ وان تحمدهم

وَهُوَ عَدَمُ الشَّكِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْقَلْبِ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ قِيلَ ضَعْفُ
يَقِينُ فَلَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ الشَّكِّ فِيهِ وَقَوَى فِي الرِّزْقِ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ وَبِحَاجَةِ
كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَالْأُصُولُ . التَّوْحِيدُ وَبُلُوغُ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءُ وَاطِّلَاعُهُ
تَعَالَى عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْجُدْوَى عَدَمُ الِاتِّفَاتِ إِلَى الْمُسَخَّرَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ
مَعَ تَرْكِ التَّأْسِفِ عَلَى الْفَوَاتِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الطَّاعَاتِ

على رزق الله وان تذهبهم على ما لم يؤتكم الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص
ولا يردده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضاء
واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وهو) اي اليقين (عدم الشك) في
امر الدين (عند المتكلم) اي في علم الكلام (والاستيلاء) للامر (على القلب) باستعلاء
الرب (في علم الآخرة) المنتج للعمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة
والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا
(قيل) لمن جزع وقت الموت (ضعف يقين فلان عند الموت) كان الاظهر ان يقال في
الموت اي في حال وقوعه (مع عدم الشك) لاخذ من المسلم والكافر (فيه) اي في وجود
الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك (وقوى في الرزق) اي ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة
الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب قوى فلان في امر الرزق (مع الشك فيه)
اي في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في مقامه (وبحاجته) اي بحال اليقين
وبحاليه (كل ما جاء به الشرع) المبين (والاصول) لليقين اربعة (التوحيد) للحق
(وبلوغ الرزق) للخلق (والجزاء) على الاعمال (واطلاعه تعالى على الاحوال) سرا
وعلانية فانه يعلم السر واخفى (والجدوى) اي فائدة اليقين اربعة ايضا (عدم الالتفات الى
المسخرات) من العاويات والسفليات (والاجمال في الطلب) اي طلب الرزق في الحديث
واجملوا في طلب الدنيا فان كلاما ميسر لما كتب له منها، رواه ابن ماجه وغيره من حديث أبي حميد
الساعدي والمعنى اكسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح
النيات في المقامات (مع ترك التأسف على الفوات) قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)
اي من الدنيا وورد «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن
أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة» اخرجه البزار في مشيخته
عن أبي عمرو (والاقدام على الطاعات) اي واكتساب العبادات

مَعَ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ۝

(الْخَاتِمَةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالسُّلُوكِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»

(مع الامتناع عن المعصية) أي مع الاجتناب عن جميع السيئات (والمبالغة في اصلاح الظاهر والباطن) بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل ۝
(الخاتمة في المحبة والسلوك)

أي وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ، ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة . وقال لا معنى لها الا المواظبة على الطاعة ، ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق ، والمحور والصحو ، والفناء والبقاء ، والقبح والبسط ، وسائر لوازم المحبة وترابع المودة ، وسائر مقامات أهل المعرفة . وسيجيء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة ۝

(بسم الله الرحمن الرحيم) تنجلي الامور وتشرح الصدور . والامة مجمعة على أن الحب لله ورسوله فرض ، فكيف يفترض ما لا وجود له ، وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب (وورد) في التنزيل ما يقوى هذا التأويل (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) أي تدعون محبته (فاتبعوني) فاني رئيس المحبين في سلوك المودة (يحببكم الله) كما احبني وسماني حبيب الله ، وللا اتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع . وما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) ثم في قوله سبحانه (والذين آمنوا أشد حبا لله) دليل على إثبات الحب ومناقبه والتفاوت في مراتبه (لا يؤمن أحدكم) إيماننا كاملا او إيماننا أصلا (حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) من الولد والوالد وما عداهما . والحديث رواه الشيخان من حديث أنس بلفظ لا يجحد احد حلاوة الايمان حتى ، الحديث . وعن أبي رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله ما الايمان؟ قال : الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وفي الصحيحين من حديث أنس أيضا : لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده ووالده والناس اجمعين ،

وفي رواية لها «ومن نفسه» ، وللبخاري من حديث عبد الله بن هشام «قال عمر يا رسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا نفسي» ، فقال لا والذي نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك ، قال عمر أنت الآن والله أحب الى من نفسي ، فقال الآن يا عمر ، يعني آمنت وهو خبر ، ويحتمل أن يكون استفهاما . ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يأتي الله بامرهم) فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار ، والقصد به الاثبات والاقرار ، ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه» ، واحبوني لحب الله إياي» فأشار الى أن محبة الله اصله ومحبة عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية . ويروى «أزرجلا قال يا رسول الله إني أحبك قال فاعد للفقر تجفافا» رواه الترمذي وحسنه ، وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه السلام نظر الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام : انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبيوين يغذايانه باطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون ، رواه أبو نعيم في الحلية باسناد حسن . وفي الصحيحين من حديث أنس وابن مسعود وأبي موسى «قال اعرابي يا رسول الله متى الساعة ؟ قال ما أعددت لها ؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله» ، فقال له عليه السلام : المزمع مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك» وقال الصديق : من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر أي من أرباب الدنيا . وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها . والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني . إن من خاق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . ويروى : أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحت أبدانهم وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الخوف من النار ، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً ، فقال ما الذي بلغكم الى ما أرى ؟ فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون . ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرأيا من النور ، فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الحب لله

وَالْحَبَّةُ أَكْثَرُ الْمَقَامَاتِ وَأَهَمُّ الْمَهْمَاتِ وَهِيَ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَوَافِقِ

عز وجل ، فقال أتم المقربون أتم المقربون أتم المقربون . وقال هرم بن حيان اذا عرف المؤمن ربه أحبه واذا أحبه أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : عفوهُ يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ، وحبه يدهش العقل فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، وقال أيضا : إلهي اني مقيم بغنائك مشغول بثنائك أخذتني اليك وسربتني بقربك وامكنتني من لطفك وتقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترتني وتوبتني وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقينى من حياضك وتحملنى فى رياضك ، ملازما لأمرك مشغوبا بقولك ، ولما طر شاربي ولاح طائلى فايف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ، ولى ما بقيت حولك دندنة ، وبالصراعة اليك همهمة لأنى أحبك ، وكل حبيب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف ﴿ والمحبة أعظم المقامات وأهم المهمات ﴾ فقل : المحبة محو المحب بصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة إثبات المحبوب على المصحوب . وقيل مشاهدة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك فى مقام المطلوب . وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراك نهايته وتمنع الألسن عن عبارتها وقال الجنيد : حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال : كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة ، وعن ذى النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تركز إلى غير الله ﴿ وهى ﴾ أى المحبة ﴿ ميل النفس الى الموافق ﴾ أى الى ما يوافق هواها ولا ينافى مشتهاها ، وتوضيحه ان المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلذذ ويلتزمه والى ما لا ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه باي لام ولا التام فكل ما فى ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان فى ادراكه ألم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة وألم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها ، فاذا نكل لذيق محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ، ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملائم ، فان تأكد ذلك الميل وقرى سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة

وَلَاذَّةَ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، فَالْأَدْنَى الْمَطْعَمُ ثُمَّ الْمَنَكُحُ ثُمَّ الْجَاهُ ثُمَّ
الْعِلْمُ ، وَيَعْرِفُ بِتَرْكِ الْأَدْنَى وَاسْتِحْقَارِهِ عِنْدَ وَجْدَانِ الْأَعْلَى

الطبع عن المؤلم المتعب ، فاذا قوى سمى مقتا . ويقال سحقا ، ثم لما كان الحب تابعا
للدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس ، فكل حاسة
نوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك
اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، قلذة العين في الأبصار وادراك
المبصرات الجميلة والصور الحسنه المايحة ، ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ،
ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة ، ولذة اللمس في اللينة
والنعومة ، ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب
فاذا قد بطل خاصية الانسان وما يميز به عن الحيوان من الحس ، السادس الذي يعبر
عنه إما بالعقل وإما بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها
وهيمات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه (فانها
لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب أشد ادراكا من العين
ولذا قال تعالى : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) و (لا من أتى الله بقلب سليم) وجمال المعاني
المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار ولذا قال تعالى (وتلك
الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) و (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون)
فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجبوا
عن ادراكها الحواس ابلغ واتم ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم
اليه اقوى واهم ، ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ولا لذة أعظم من محبته
تعالى ومعرفته) فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم
غفلا ، فلم يجاوز ادراكه الحواس أصلا (فالأدنى) من اللذات (المطعم) أى لذة
الاكل والشرب من المستلذات (ثم المنكح) من المشتبهات ، وذلك بالنسبة الى المكلف
والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته للهو واللعب (ثم الجاه) الصورى (ثم العلم)
بالامر الضروري (ويعرف) الترقى (بترك الأدنى واستحقاره عند وجدان
الأعلى) واستقراره ، كما ان المرأة الثيب إذا ارادت زوجا فخيرت بين غنى عني
وفقر رجول فالغالب انها لا تختار الغنى ، لاسيما اذا كانت غنية ولها قوة شهية . فعلم أن

وَاسْتَكْرَاهُ الْبَعْضُ لِلْعِلْمِ لِلنَّقْصِ كَاسْتِكْرَاهِ الْمَرِيضِ الْمَطْعَمَ وَالصَّبِيَّ الْمَنَكْحَ ، وَالْعِلْمُ بِهِ تَعَالَى أَشْرَفُ الْعُلُومِ فَشَرَفُهُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ الْفَتَاوَى أَشْرَفَ مِنَ الْخِيَاطَةِ ، وَالرُّؤْيَا لَهُ سُبْحَانُهُ الذِّمَّةُ لَزْدِيَادِ الْكَشْفِ فِيهَا ، فَالَّذَةُ بِاعْتِبَارِ هَذَا وَسَيِّئِهَا الْكَمَالُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ طَبْعًا وَمِنْ ثَمَّ أَحَبُّ الْعَالَمِ وَالصَّالِحُ

لذة المنكح أعلى من لذة المطعم. ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم ، وفرض أن الرجولية زالت من الناس الا من ارادهم كالكناسين والدباغين فالغالب أنها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا ، فعلم أن لذة الجاه أعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس في البلد عالم الا من اراد ان يقوم المذكورين فالغالب أنه لا يهتف أن يحضر في مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم ، فعلم أن لذة العلم أعلى من لذة الجاه ، وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى حسن الصورة علم به أن الصور الجميلة عنده الذم الروائح الطيبة ، وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشرط نج علم أن لذة اللعب عنده أقوى من لذة الاكل (واستكراه البعض العلم للنقص) في مثاله (كاستكراه المريض المطعم) لعله في حاله (والصبي المنكح) لعدم بلوغ مثله ، والا فلا يتخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشرطي ونحوه من الكيمياء والسيمياء وأمثاله يفرح به ، والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه . ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلوم (والعالم به تعالى اشرف العلوم فشرفه) أي العلم (بشرف المعلوم) ولایت شعري هل في الوجود شيء أجل واعلى واكمل واغلى من خالق الاشياء ومكملها ، ومزينها ومبديها ، ومعيدها ومديرها ومرتبها فالذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وتديره في ارضه وسنواته (ومن ثم تكون الفتوى) بل الكتابة (اشرف من الخياطة) ونحوها من الصياغة والصباغة (والرؤية له سبحانه الذمته) أي من العلم به (لازدياد الكشف) في معرفة ذاته وصفاته (فيها) أي في الرؤية حال تجلياته (فاللذة باعتبار هذا) المعلوم وازدياد الكشف المفهوم (وسببها) أي موجب المحبة وباعثها (الكمال) في الجمال (فهو) أي الكمال (محبوب طبعاً) ولو في زيادة الجاه والمال (ومن ثم أحب العالم) لما له كمال في العلم (والصالح) لما له كمال في العمل لا لصورتهما

وَالْوَجْهُ الْجَمِيلُ وَالْكَلَامُ الْبَلِيغُ وَالْإِحْسَانُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عُبِيدُهُ وَلَا كَمَالَ إِلَّا لَهُ تَعَالَى

الظاهرة بل لسيرتها الباطنة الباهرة ، فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع أنهم لم يشاهدوا لهم شيئا من الاشياء ، ومنه حب أرباب المذاهب كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من المشايخ ، حتى أن الرجل قد يتجاوز به حبه لصاحب مذهبه أو مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه أو شيخه فكيف من دم أريق في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم أو صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهياته فاستحسانه الذي حمله على إفراط حبه إنما هو لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة لأصورته الظاهرة (والوجه الجميل) لما له من صورة الجمال (والكلام البليغ) لما له من سيرة أهل الكمال (والاحسان فان الانسان) أي جنسه (عبيده) أي عبيد الاحسان ، وفي نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو أظهر لحمله على الانسان ، والمعنى أنه قد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء عليها كما ورد ، وقد ورد أيضا « اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي » كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته ، وهذا من عوارض صفاته ، بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك وأصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه لبعد المزار وتناهي الديار ، فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه فقط ، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي احسانه قط الى المحب ، لان كل جمال وحسن فهو محبوب ، فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتترك الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر ، والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحراس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الخائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة (ولا كمال) في الجمال والجلال (إلا له تعالى) شأنه وهو الملك

وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ وَالْأَعْلَى أَنْ يُحِبَّ لَذَاتِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَاهِبِ بِخِلَافٍ غَيْرِهِ
ثُمَّ لِلْكَامِلِ ثُمَّ لِلْإِحْسَانِ وَهُوَ مَحَبَّةُ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ

المتعال ﴿ولا احسان لامنه﴾ كما يشير اليه قوله تعالى : (وما بكم من نعمه فمن الله)
﴿والاعلى ان يحب﴾ أى الله ﴿لذاته﴾ مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجلالية من
رجاء الجنة ، ونعوته الجلالية من خوف العقوبة ، وما ترجبه صفات الافعال من الاكرام
والاحسان والانعام ﴿وهو﴾ أى الحب الذى لذاته ﴿من المواهب﴾ اللدنية والمراتب
العندية دون المكاسب العبدية ذاررده نعم العبد صيب لولم يخف الله لم يمهه ﴿بخلاف
غيره﴾ أى غير الحب لذاته من انواع الحب الآنية المعبر عنها بقوله ﴿ثم للكمال ثم
للاحسان وهو﴾ أى الحب الذى للاحسان ﴿محبة النفس﴾ أى نفس المحب ﴿في الحقيقة﴾
وان كان يطلق عليه محبة الله فى ظاهر الشريعة والطريقة ، فاذأ يرجع الفرق الى تفاوت
الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه . فكل من أحب المحسن لاحسانه
فما أحب ذاته تحقيقا ، أى بل أحب احسانه ، وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ، وتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه . وفى الاحياء إن الانسان لا يخفى أنه يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قد يحب غيره
لاجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه ، هذا بما قد يشكل على
الضعفاء حتى يظنوا أن لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ
الى المحب سوى ادراك ذاته . فالحق أن ذلك متصور وموجود ، ولاهل الكمال مدرك
ومشهود ، وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال ، وذلك
لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ، ولا يظن
أن الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء الشهوة ، فان قضاءها لذة اخرى قد تحب
الصور الجميلة لاجلها ، وادراك نفس الجمال ايضا لذيد فيجوز ان يكون محبوا
لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولا تؤكل
الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ، فقد كان عليه السلام يحب الخضرة
والماء الجارى كما روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس ؓ أنه عليه
السلام كان يحب أن ينظر الى الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة من العوارض
السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان

والآثار حتى أن الانسان لتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لالطالب حظ وراه النظر اليها ، فاذا ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله ، كما ورد أن الله جميل يحب الجمال ، رواه مسلم من حديث ابن مسعود . هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب ، اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لاسباب جمال او حظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون تشاغل الاشباح ، كما ورد الارواح جنود مجندة فاعترف منها اتلف وماتنا كرمها اختلف ، رواه مسلم من حديث أبي هريرة . والتعارف هو التناصب والتناكر هو التباين . ثم اعلم أن المستحق للمحبة إنما هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجماله وقصوره في معرفة ربه ، وإنما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم أحياء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ، ولأن أسباب المحبة المتقدمة بمجتمعة في حقه سبحانه يحملتها على وجه الدوام والكمال ، وأما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا أحادها على وجه النقضان والزوال ، وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض ، بل وهم وتخييل صرف لاحقيقة لها في شهودهم كما في وجودهم فان المبدأ لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالايحاء ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ؛ وإذا قال الحسن من عرف ربه أحبه ، ومن عرف النار بعد منها ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض ، بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه أيضا من جملة احسان الملك المنان ، بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال ، فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان . ثم العلم من اسباب المحبة فأين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، ولقد خاطب الخلق كلهم فقال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بل لو اجتمع أهل الارض والسماء أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خالق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشرة كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فالقدر اليسير الذي عليه الخلائق كلهم فتعليمه عليهم كما قال تعالى (خلق الانسان عليه البيان) ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان المبدأ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ،

وأما ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وب نفسه ، بل الله خالقهم وخالق قدرته وخالق أسبابه ، والممكن له من ذلك ولو ساط بموضة على أعظم ملك وأقوى ملك لا هلكته ، فليس للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث « لا حول ولا قوة الا بالله » ، وذا قال في أعظم ملوك الارض (إنامكننا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبياً) (والسموات مطويات بيمينه) والارض ومن عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكته ذرة ، وإن خاق أمثالهم ألف ألف مرة لا يزيد في ذلله سبحانه ذرة ، وليس لخالق الله الا بقدر ما أعطاه . وأما كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك إدراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته . فالواجب على العبد أن يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لا لغرض ولا عوض مما يلائم قلب العبد من حالاته ولذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام « إن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال ولكن ليعطى الربوبية حقها . وفي الزبور : ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لولم أخاقجنة ونارالمأ كن أهلا أن أطاع . ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم . ومربقوم آخريين كذلك فقالوا نعبدك حباً له وتعظيماً لجلاله ، فقال أنتم أولياء الله معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم انى أستحي أن أعبد الله للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل أو كالاجير السوء ان لم يعط أجرأ لم يعمل . ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه أمران يتخاق بأخلاقه في اكتساب محامد الصفات التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللفظ وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق ، فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير إلى تلك المناسبة قوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) اذ لم يستحق داود خلافة الله الا بتلك المناسبة ، واليه يومى قوله عليه السلام « ان الله خاق آدم على صورته » أى صفته الكمالية من النعوت الجمالية والجلالية . وقد ظن القاصرون أن لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبها وجسموا وصوروا تصويراً كثيراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسى « مرضيت فلم يعبدني

وَأَثَارَهَا الشَّوْقُ فَوَرَدَ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي

قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتني عنده ، وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض واتمام الشرائع لما قال تعالى « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهذا موضع يحب فيضان العلم عنه ، فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر ، والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد ، وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : انا الحق . وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله . وقال آخرون تدربت الناسوت باللاهوت . وقال آخرون اتحد به لما تقول الوجودية وهم طائفة ابن عربى بالممية . وأما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتشيل والاتحاد والحلول ، واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا ، ولعل ابا الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام .

لازلت انزل فى ودادك . نزلا تحير الالباب عند نزوله

(وَأَثَارَهَا) أى نتائج المحبة وأثمارها خمسة (الشوق) وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق ﴿ فورد طال شوق الابرار الى لقائى ﴾ قال أبو الدرداء لكعب : اخبرنى عن اخص آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى : طال شوق الابرار الى لقائى ، وإنى الى لقائهم أشد شوقا . وقال : مكتوب فى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى . فقال أبو الدرداء : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه . ومزدعاء نبينا عليه السلام لما اخرججه الناسانى والحاكم « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، وشوقا الى لقائك » وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين ، قال فقلت يوما يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فاعطى ذلك فقد اضر بنى القاق . قال فرأيت فى النوم أنه واقفنى بين يديه وقال : يا ابراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن اعطيك مايسكن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبته ؟ فقلت يارب تمت فى حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لى وعلمنى ما اقول ، فقال قل : اللهم مرضنى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، واوزعنى شكر نعمائك . وأوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقى بهم

وَهُوَ غَلْبَةُ التَّطَلُّعِ مِنْ وَرَاءِ حُجْبِ الْغَيْبِ إِلَى الْجَمَالِ وَأَنْبِعَاثُ الْقَلْبِ إِلَى الطَّلَبِ
وَبِالْمَوْتِ شَوْقُ اللَّقَاءِ الْحُصُولِ وَلَا يَرْتَفِعُ شَوْقُ زِيَادَةِ الْإِنْكَشَافِ ، فَلِلرُّؤْيَا
مَرَاتِبٌ لَا تَنْتَاهِي

وشوقى الى ترك معاصيهم لما اتوا شوقا الى ، وتقطعت اوصالهم من ، حبشى . ياداد هذه
ارادنى فى المدبرين عنى فكيف ارادنى بالمقبلين على . يادارد احوج مايكون عبدى
الى اذا استغنى عنى وارحم ما اكون بعبدى اذا ادبر عنى واجل مايكون عبدى اذا رجع
الى ((وهو)) أى الشوق ((غلبة التطلع)) أى الاشراف ((من وراء حجب الغيب الى
الجمال)) أى جمال الحق وسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار
لشدة ظهوره ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد . الا على الله لا يبصر القمر
لكن بطنت بما ظهرت محتجبا . فكيف يعرف من بالعزة استترا
فهو الاول والاخر والظاهر والباطن ((وانبعث القلب الى الطاب)) أى وقيام قلب
العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى
ولا أراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه أشعلها فى قلوب
أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات
فيكونوا من خلاصة أصفياه ((و)) يرتفع ((بالموت شوق اللقاء)) أى الملاقاة ((لحصوله))
حال النزع والاشراف ((ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف)) وهى الرؤية المبرر عنها
بالزيادة فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ((فللرؤية مراتب لا تنتهى))
لعدم تنهى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات
الجمالية لاهل الجنة قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) فتزايد النعم ساعة
فساعة كما يشير اليه قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا
من قبل) أى صورة (وأتوا به متشابهاً) أى سيرة لان الثانى يزيد على الاول لذة
وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا (قدوةوا فلن
نزيدكم الا عذابا) (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)
فلا يدخل تحت الحصر درجات اهل النار كما لا يدخل فى حيز الحصر درجات اهل
الجنة فكل عارف فى جنة عرضها السموات والارض من غير ان تضيق على مثله

اصلا إلا انهم يتفاوتون في سعة متزهاتهم بقدر درجاتهم في اتساع نظرهم
وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينسبك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء
ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة
لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة لما تنقلب النواة شجرة
ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)
ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا
قال عليه الصلاة والسلام « ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبيكر خاصة » كما رواه ابن عساكر
من حديث جابر وذلك لانه افضل الناس بسروقر في صدره فضل لا محالة يتجل
انفرد به في سره ، وتوضيحه أن طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهيه ، فمن لم يشته
الا لقاء الله فلا لذته في غيره بل ربما يتأذى به ، فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله
بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمنان والاسلام
والاحسان والله المستعان . فللمارفين في معرفتهم وفكرتهم الحاجات الله لذات لوعرضت
عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواصلون الى رتب المعرفة
ينقسمون الى الاقوياء المرادين المجذوبين فيكون أول معرفتهم لله تعالى ، ثم به
يعرفون غيره والى الضعفاء المرادين من المجتهدين فيكون أول معرفتهم بالافعال
ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى (أولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد) وبقوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم
عرفت ربك ؟ قال عرفت ربي برى ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثانى الاشارة بقوله (سنريهم
آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الآية وبقوله (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض)
وبقوله (قل انظروا ما ذا فى السموات والارض) وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين
والاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن المبين ، فالعارف لا يرى غير الله
ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس فى الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى
تابعة فلا وجود لها بالحقيقة ، وانما الوجود للراحد الحق الذى به وجود الافعال
كلها ، ومن هذا حاله فلا ينظر فى شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل
عن الفعل من حيث انه أرض وسماء وشجر وماء بل ينظر فيه من حيث أن له صانعا
فلا يكون نظره مجازا له إلى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث
انها فعل الله كان الموجد الحق الذى لا يرى الا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث
نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذى يقال انه فنى فى التوحيد وانه فنى عن نفسه

وَالْأَنْسُ وَهُوَ غَلَبَةُ الْفَرَحِ بِالْقُرْبِ إِلَى الرَّبِّ وَقَصْرُ النَّظَرِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ

والیه الاشارة بقول من قال: كتابنا فقیبنا عنا فقیبنا نحن بلا نحن ه ولذا قال أبو سلیمان الدارانی: ان لله عیادا لیس یشفاهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكیف تشغلهم الدنیا عن الله، وفي أخبار عیسی علیه السلام: اذا رأیت الفقی مشغوقا بطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه، وقال أبو سلیمان أيضا: من كان الیوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغولا بنفسه ومن كان الیوم مشغولا بربه فهو غدا مشغولا بربه وقال الثوری لرابعة: ما حقیقة إیمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالاجیر السوء بل عبدته حبا له وشوقا الیه. وقالت فی معنى المحبة:

احبك حین: حب الهوى وحبالانك أهل لذاكا

فاما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرک عن سواکا

وأما الذى أنت أهل له فكشفک لأحجب حتى اراکا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاکا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه الیه، وبانعامه علیها بالحفظ العاجلة، وبجبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجماله الذى انكشف لها، وهو اعلی الحبین واقواها. وقد قيل لرابعة: ماتقولین فى الجنة؟ قالت: الجارثم الدار، فبینت أن ایس فی قلبها التفات الی الجنة بل الی رب الجنة، وبذلك یشیر قول آسیة (رب ابن لى عندک بیتا فى الجنة)،

هذا ومن عرف الله عرف أن اللذات المفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال:

كانت بقلی اهواء مفرقة فاستجمعت منذ رأتك العین اهوائى

فصار یحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الوری منذ صرت مولائى

ترکت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرک یادینى ودنیائى

وقال بعضهم: وهجره اعظم من ناره ووصله اطیب من جنته

وما ارادوا بهذا الا یشار لذة القلب فى معرفة الرب على اذة الاكل والشرب والجماع ونحوها، فان الجنة معدن تتمتع الحواس، فاما القلب فلذته فى لقاء الله فى مقام الایناس (والانسان) أيضا من آثار المحبة (وهو) أى الانسان (غلبة الفرح بالقرب الی الرب وقصر النظر على المطالعة) أى مرافقه ومشاعده، ومن هنا قيل: الاستیناس

وَيُفَارِقُ الشَّوْقَ بِكَوْنِهِ حَالَةً الْإِضَافَةِ إِلَى الْحَاضِرِ وَذَلِكَ إِلَى النَّائِي

بالناس علامة الافلاس ، ومن أنس بالله توحش عن خلق الله . وفي اخبار داود عليه السلام : أنت الله تعالى قال : يا داود ابغ أهل ارضي أني حبيب لمن احبني وجالس لمن جالسنى ، وانيس لمن انس بذكرى ، وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ، ومطيع لمن اطاعنى ، ما احببني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى واحببته حبا لا يتقدم اليه احدهم خلقي ، من طلبني بالحق وجدنى ، ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الارض ما أتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وسدوها فأنسوا بى اونسكم واسارع الى محبتكم ، فاني خلقت طينة احبابى من طينة ابراهيم خليلي ، وموسى نجيبى ، ومحمد صفيى . ولاني خلقت قلوب المشتاقين من نورى ، ورقمتما بجلالى وفي اخبار داود عليه السلام ايضا : ان الله أوحى اليه قل لعبادى المتوجهين الى محبتى : ماضر لم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بغيون قلوبكم ؟ وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتى ؟ وما ضرركم من خط الخلق اذا التستم رضائى . وفي اخباره ايضا : ان الله أوحى اليه ان كنت تحببني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص أحببني بخالصه وخالط أهل الدنيا بخالطة . ومن هنا قيل : علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشره الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر ولذا ذه الفكر فان خالط فهو منفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر ، وحاضر فى سفر ، وشاهد فى غيبة ، وغائب فى شهر ، وخالط بالقالب ومباين بالقلب (ويفارق) الانس (الشوق بكونه) أى الانس (حالة الاضافة الى الحاضر وذلك) أى الشوق حالة الاضافة (الى النائي) أى البعيد الغائب ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : انت مشتاق ؟ فقال لا انما الشوق الى الغائب ، فاذا كان الغائب حاضرا قل من اشتاق ، فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقى فى الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له : من أين أقبلت ؟ فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضى التوحش من غير الله ، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اتمل الاشياء على القلب . كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس الا اخذه الغشيان ، لان الحب يوجب

وَيَجِدِي الْإِنْبِسَاطَ كَمَا وَرَدَ (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى - رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)
 أَنْجَحَ فِي الْأَوَّلِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ ، وَاعْتَذَرَ فِي الثَّانِي لِفَقْدِهِ ، وَلَوْلَا الْإِنْسُ لَعُوتِبَ
 كَمَا احْتَرَقَ قَوْمُ الْكَلِيمِ

غذوبة كلام المحبوب وغذوبة ذكره المطلوب . فتخرج غذوبة ناسواه من القلوب ،
 وقال بعض الحكماء في دعائه : يا من أنسى بذكره وأوحشني من خلقه . قال الله تعالى
 لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سوائى متوحشا ، وقيل لرابعة : بهم نلت هذه
 المنزلة ! قالت بترى ما لا يعنينى والنسى بمن لم يزل . وقيل من ذق خلاوة الوحدة استوحش
 من نفسه الوحدة . وكأنه يشير الى قول من قال : هو وجودك ذنب لا يقاس به ذنبه .
 وعن علي كرم الله وجهه في وصف أهل الانس من خواص الانس : هم قوم
 فهم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانو اما استوعره المترفهون ،
 وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآبدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
 اولئك خلفاء الله في ارضه . والدعاة الى دينه وقد قيل :

الانس بالله لا يحويه بطل وليس يدركه بالحول محتال

والآنشوز رجال كلهم نجب وكلمهم صفوة لله عمال

(ويجدى) أى يشر الانس (الانبساط) أى النشاط على حاشية البساط
 بالاقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال (كما ورد) فى التزويل : (واذا قال
 ابراهيم رب ارنى كيف تخيى الموتى) وقال موسى : (رب ارنى انظر اليك انجح
 فى الاول) أى اجيب لابراهيم بقوله : خذ أربعة من الطير الآية (لوجود الشرط)
 فيما طلب (واعتذر فى الثانى) فيما طلبه أى جواب موسى بقوله : (لن ترانى ولكن انظر
 الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) (لفقده) أى لفقد الشرط وعدمه كما بينه
 قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (ولولا الانس) أى وجوده المقتضى للانبساط
 لموسى عليه السلام (لعوتب) على ما صدر منه من السؤال والكلام (كما احترق
 قوم الكليم) عليه التسليم حيث قالوا (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم
 ينظرون) فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهية ، ولكنه
 محتمل من أقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم
 فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر بسببه كما فى قوم موسى .

ومثاله مناجات برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسأله أن يستسقى لبني اسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين . وخرج موسى عليه السلام يستسقى بهم في سبعين الفا ، فوحي الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم ، وسراثرهم خبيثة ، يدعوني على غير يقين ، ويأمنون مكري ، ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه ، فبينما موسى يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فرمى موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه ، وقال ما اسمك ؟ قال اسمي برخ ، فقال أنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا ، فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ، ولا هذا من حملك ، وما الذي بدالك ؟ انقصت عليك غيومك ؟ ام عاندت الرياح عن طاعتك ؟ ام نفذ ما عندك ؟ ام اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت بالرحمة وامرت بالعطف ، ام ترينا انك تمتنع ، ام تخشى القوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال فما برح برخ حتى اخضلت بمن اسرائيل بالقطر ، وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فوحي الله اليه ان برخا يضجكني كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال : احترقت اخصاص البصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق . وابو موسى امير يرمثد بالبصرة فاخبر بذلك ، فبعث الى صاحب الحص ، فأتى بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق ؟ قال اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقه ، فقال أبو موسى إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون في امتي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لا برهم » رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء . قال الحسن ايضا : ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخلى النار ، فقال له امير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال اني اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقني بالنار ، قال فاعزم عليها أن تطفأ فعزم عليها فطفئت . وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش ، فقال له ابو حفص : ما اصابك ؟ قال ضل حماري ولا املك غيره ، فوقف ابو حفص فقال : وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره ، قال فظهر الحمار في الوقت ، ومر أبو حفص رحمه الله . فهذا وامثاله يجري لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد : اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم

وَالْأَعْلَى التَّرْكُ اسْتِغْنَاءً كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْبِ
وَهُوَ زَوَالُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ وَالْخَلْقُ

وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم، واليه اشار القائل بقوله
قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برويته عما سواه له يا حسن روثيتهم في عزماناهوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام (ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء) وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال (ولهم
على ذنب فاخاف أن يقتلون) (والاعلى الترك) أى الاولى من المراتب في مقام
الانس هو ترك الانبساط في حضرة المولى (استغناء) عن السؤال في مراتب انتقال
الاحوال (كما كان له عليه السلام في تحويل القبلة) حيث كان متأدبا في مقام الانس
والدلال فاكتمى بالحال عن السؤال تبعاً للخليل حيث قال: حسبى من سؤالى عليه بحالى، كما
يشير اليه قوله سبحانه وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها)
أى تحبها وتهواها (والقرب) ايضا من آثار المحبة كما يشير اليه حديث ولا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه (وهو) أى القرب (زوال كل معترض)
أى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره (وهو) أى المعترض انما هو (النفس) أى
المتابعة هواها ومطارعة مشتتها قال تعالى (افرايت من اتخذ له هواه) وورد ما بغض
اله عبد في الارض الهوى (وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب) (والشيطان)
لانه يدعو حربه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في العقبى ، ولان نسبة الاضلال
اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من أسباب الضلالة ، كما أن النبى
سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبى في قوله (ولانك لتهدى الى صراط مستقيم)
بجاز و (لانك لاتهدى من أحببت) حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل
(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فانه سبحانه هو الهادى والمضل من يهد الله
فلا مضل له ومن يضله فلا هادى له، وهو يضل من يشاء وهو يهدى من يشاء، وهو
أعلم بالمهتدين كما هو أعلم بالضالين (والخلق) لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة
والبعد عن قرب الرب لاسيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار
من البساتين والمنتزهات من الدار في الديار حتى النوح بطيب اصوات الاطيار وروح

وَالدُّنْيَا ، وَكَأَلَهُ الْغَيَّةُ فِي رُؤْيَا فَعَلَهُ حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ فَاعِلَةٌ كَمَا وَرَدَ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) وَالْإِتِّصَالَ

نسيم الاشجار فيقدر أنسه وقربه الى غير الله يبعد عن أنسه وقربه الى مولاه كما أنه لا يتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الامان وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لا تحببه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة (والدنيا) فان قطع علائقها ودفع عوائقها وإخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل أو الهواء مالم يخل منه الماء (وما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه) ولما الحب المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية في القلب مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه ، وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل أو الهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وقوله (ان الذين قالوا ربنا الله) أى في مقام التوحيد (ثم استقاموا) على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه (وكأله) أى القرب (الغيبة في رؤيته فعله) أى غيبة العبد في رؤيته أفعال ربه (حتى لا يرى نفسه) أيضا (فاعلة) في الحقيقة (كما ورد) في التنزيل (وما رميت) خلقا أو حقيقة (اذ رميت) كسبا أو مجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه .

وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله ، والقريب من الله هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان والتخاق بمكارم الاخلاق التي هي اخلاق الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما يتوهم بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازل فكلما كان العبد أكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة في تهر النفس والشيطان صار أقرب الى الرحمن فتمتبهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله (والاتصال) أيضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا

وَهُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كُنَّا نَتَرَامَى اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ رَدِّ السَّلَامِ فِي الطَّوَافِ ، وَحَارِثَةٍ كَمَا سَبَقَ ، وَمَا وَرَدَ «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَحُبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ

قال (وهو) أى الاتصال يراد به (المكاشفة والمشاهدة) فى مقام المراقبة والمشاهدة أقوى من المكاشفة إذ يتصور وهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة .
والحاصل أن المكاشفة أول نتائج المجاهدة ، والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير إليه قوله عليه السلام بعد ذكر الإيمان والاسلام « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » وقبل المحاضرة ابتداء ، والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر . والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تأمل دليل وتطلب سبيل . والمشاهدة هى وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة من برج شوق الانوار ، كذا فى ارشاد المريدين ، وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

عبارتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

(كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كنا نترامى الله تعالى فى ذلك المكان) أى نتكلف فى مشاهدته أو نجتهد حتى نصل إلى مرتبة رؤيته ومثلة حضرته فى ذلك الحال الذى هو على الشان جلى البرهان ، وإنما قال هذا الكلام حال كونه (معذرا عن ترك رد السلام) لبعض الصحابة الكرام (فى الطواف) أى فى حال طواف بيت الله الحرام (وحارثة) أى وفى قول حارثة للنبي عليه السلام (كما سبق) فى تحقيق المقام (وما ورد) أى وكما ثبت (اعبد الله) وهذا نقل بالمعنى ، والصواب أن ينقل بالمبنى وهو أن تعبد الله (كأنك تراه) وهذا على مقام للعبد وأقصاه وأما أدناه فكما يشير إليه آخر الحديث (فان لم تكن تراه فإنه يراك) وقد بسطنا القول فيه فى شرح الأربعين وهو خير معين (ومحبة الله تعالى العبد) أى للعبد أيضا من آثار محبة

وَوَرَدَ (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ فَإِنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى بَلَائِهِ اجْتَبَاهُ وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ» وَوَرَدَ «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ

العبد لله سبحانه (وورد) في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال (يحبهم ويحبونه) وفي تقديم يحبهم إيماناً إلى أن الأصل هو المحبة الأزلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الأبدية وورد في الحديث (إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه) بالمصائب على قدر ماله من المراتب فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأهل (فإن أحببه الحب البالغ اقتناه) واقتناء المال وغيره امتحانه قنية ، فالمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه ، وفي رواية «فَقِيلَ وَمَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ لَمْ يَتْرَكْ لَهُ أَهْلًا وَلَا وَلَدًا» أي في قلبه فعلامة محبة الله أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير إليه قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقابه) رواه الطبراني وفي رواية «إذا أحب الله عبداً ابتلاه» (فإن صبر على بلائه اجتباه) في مقام ولائه (وإن رضى) باعطائه (واصطفاه) لمقام لقائه، وعن بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك، والحديث الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده وقد يتوهم من المتن أنهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه (وورد) أيضاً (إذا أحب الله عبداً) من عبده (جعل له واعظاً من نفسه) أي يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق نفسه (وزاجراً من قلبه) بأمر ربه (يأمره) بالخير (وينهاه) عن الشر والحديث رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن لكن بلفظ «إذا أراد الله بعبده خيراً» الحديث وله من حديث أنس «إذا أراد الله بعبده خيراً بصره بعيوب نفسه» وورد من حديث أنس كما رواه الديلمي «إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب» والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا : إن الله يحب التوابين ، ومعناه أنه إذا أحببه تاب عليه قيل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت فلا يضره الكفر الماضي قبل الإسلام وإن كبر. وقال عليه السلام «إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب» رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . ولاحد وأبي يعلى من حديث أبي سعيد من أكثر ذكر الله أحبه الله» وعن رابعة : من أحب شيئاً أكثر

وَمَعْنَاهَا أَنْ يُبْلِيَهُ بِهِ فَلَا يَصْلَحُ لِغَيْرِهِ كَمَا وَرَدَ (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) وَعَلَامَاتُهَا
كُتْمَانُهَا ، وَحُبُّ الْمَوْتِ

ذكره ، فذكر الله علامة لمحبة الله ومحبة العبد إياه . وفي الصحيحين « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وقال زيد بن أسلم : إن الله تعالى يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول أعمل ما شئت فقد غفرت لك ، ويؤيده أنه ورد مثل هذا لاهل بدر ﴿ ومعناها ﴾ أى معنى محبة الله للعبد ﴿ ان يبلية به ﴾ أى من علامة حب العبد للمولى ان يبلية بالبلاء المورث لزيادة الولاء . وأما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شأنه ظاهره وباطنه سره وجهره ، فيكون هو الميسر عليه والمدير لأمره ، والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه ، والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه ما واحدا من ذكر ربه ، والمبغض للدنيا فى قلبه ، والموحش له من غيره ، والمونس له بلذة المناجاة فى خلوته ، والكاشف له عن المحجب بينه وبين معرفته . فانظر فى تحقيق هذا المبنى فما اليسر الدعوى وما العسر المعنى . وقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ، ولا فى جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشىء من ذلك . وقد جاء من بعض المتبحرين من المفسرين فى قوله سبحانه (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة ﴿ فلا يصلح ﴾ العبد ﴿ لغيره ﴾ أى لغير مولاه فيما قدره وقضاه ﴿ كما ورد ﴾ فى التنزيل ﴿ واصطنعتك ﴾ أى اخترتك بالرسالة ﴿ لنفسى ﴾ أى لمعرفة ذاتى وصفاتى .

﴿ وعلاماتها ﴾ أى امارات محبة العبد لله ثمانية ﴿ كتمانها ﴾ لانه قد يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فى المبنى ، وتنظم عليه العقوبة فى العقاب وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا ، ويكون ذلك من الافتراء على الله من غير الامتراء (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) نعم قد تكون للمحب سكرة فى حبه حتى تدهش عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه ، والا فصدور الاحرار قبور الاسرار . ولقد قال بعض الابرار :

من اطلعوه على سرقتم به لم يامنوه على الاسرار ما عاشا

﴿ وحب الموت ﴾ فانه سبب اللقاء ، ولذا قال عليه السلام « لن تروا ربكم حتى

وَالْإِطَاعَةُ وَالتَّلَذُّدُ فِي الْعِبَادَةِ

تموتوا ۝ وقال حذيفة : حبيب جاء على فاقة لا افلاح اليوم من يذم . وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء ، والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدرلك ، وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه . وكان الثوري وبشر الحافي يقولان : لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب . نعم من يكون في ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه ، وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد ، وان يكون مؤثرا ما احبه الله على ما يحب نفس العبد ربهواه ، فان من بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري فترك ما اريد لما يريد

(والاطاعة) أى بمداومة الطاعة قدر الاستطاعة ، فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك :

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعـال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى من بديع المبني *

واترك ما اهرى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان هلك نفسي
(والتلذذ في العباداة) بالمراظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة ، فقد حكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلوة المناجاة في شدة الارادة ، فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ، ثم لحمتني فترة فانقطعت عن التلاوة . قال فسمعت قائلا يقول في منامي : ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كلامي ؟ اما ترى ما فيه من لطيف عتابي وشريف خطابي ، فانتبهت وقد اشرب قلبي تلاوة القرآن ، فماردت الى حالي ، وقال ابن مسعود : لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل ، وإن لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله ، وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا يبلغه الى العقي . وعن مطرف ان المحب

لايسام من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام : قد كذب من ادعى محبتي
 فاذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه ، فها أنا ذا موجود لمن طلبني ،
 وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه ، أي لأنها بما سواه ، وقال أيضا من لم
 تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ، ولقاء الله على لقاء الخلق
 والعبادة على خدمة الخلق . ثم اعلم أنه ليس في الوجود غيره سبحانه في عين أهل الشهود
 من ذاته وصفاته ومصنوعاته ، ولذا ذكر عن الشيخ أبي سعيد الميمني لما قرئ عليه
 قوله (يحبهم ويحبونه) قال بحق يحبهم فليس يحب إلا نفسه ، على معنى أنه الكل وإن ليس
 في الوجود غيره ، فن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه
 ذاته وتوابع ذاته من حيث أنها متعلقة بذاته فهو إذا لا يحب إلا نفسه ، كما أن العارف
 لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته إلا من حيث آثار قدرته وانوار ذاته واسرار
 صفاته . وما ورد من الالفاظ في حبه عبارة يؤول منها ويرجع معناه الى كشف
 الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه ، والى تمكنه اياه من قرب ، والى ارادته
 ذلك به في اذله ، محنة لمن حبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الالهية الارلية التي اقتضت
 تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب ، وإذا اضيف الى فعله الذي يكشف
 الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذي يقتضيه كما قال « لا يزال
 العبد يتقرب الى النوافل حتى احبه » فيكون قرب به بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
 الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه ، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو
 معنى حبه . وجملة الكلام في هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلي ، ونتيجة
 حب ربه الابدی . فحب العبد مكتشف بين حب الرب كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم
 ويحبونه) مع قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) ثم لا يخفى ان مراتب الحب
 ومافيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات . ويدل على تفاوت المقامات
 ما روى ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عانته
 قريش في ذلك وقالوا : انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى ، فقال والله لقد انكحته
 اياها وانى لا علم انه خير منها ، فكان قوله اشد عليهم من فعله ، قالوا فكيف وهى
 اختك وهو مولاك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اراد
 ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم ، كذا في الاحياء . وقال مخرجه
 لم اره من حديث حذيفة . وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر
 « ان سالما يحب الله حقا من قلبه » في رواية « ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم

وَالْمُصِيبَةِ ، وَالْحِرْصُ فِي الْخُلُوةِ ، وَالْمُنَاجَاةُ ، وَبَعْضُ الدُّنْيَا

يخف الله عز وجل ما عصاه فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره أيضا فلا جرم أن يكون تنعمه بإلقاء الله عند قدمه عليه على قدر حبه له وغناه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها، وقد قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله حبا متوسطا وإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي، وقال الجنيد: الناس في محبة الله عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا أن أحبوه، إلا أنهم تقل محبتهم وتمكث على قدر نعمتهم، قلت ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) بل إيمانهم إلى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشبلي لما سمع قوله تعالى: (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الخ نأين من يريد الله؟ وقد أجبت عن هذا في بعض مؤلفاتي (والمصيبة) أي والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل المبتلى سواء يكون في مقام الصبر أو الرضاء أو الشكر (والحرص في الخلوة) عن الخلق دون الخلوة لأنها غالباً تمنع عن مشاهدة الحق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا الذ عنده من العبادة وأطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته؟ فعلامة الحب كمال الانس بمناجات المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما يبغيض عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس أن يصير العقل والفهم كله مشغرفا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة إلى بعضهم حتى كان في صلاته فوق الحريق في داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة ولم يشعر بها، وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طالب الدنيا وأوحشه من جميع البشر (والمناجاة) أي والحرص في الدعاء والنداء والثناء في جميع الحالات والمقامات فيواظب على التهجد ويغتتم هدوء الليل وصفاء الوقت عن الخلّاتق بانقطاع العلائق وانفصال العوائق (وبعض الدنيا) بأن لا يأخذ منها إلا زاد العقبى من سلوك طريق المولى، وفي أخبار داود عليه السلام: لا تستأنس إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عنى رجلين رجل استبطأ ثوابي فأنقطع ورجل نسيني فرضى بحاله وعلامة ذلك أن كله إلى نفسه وأن ادعه في الدنيا حيران ثم مهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا

وَالْوَحْشَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَاتِّحَادُ الْهَمِّ وَطَرِيقُهَا السُّلُوكُ فُورِدَ «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتَ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَقَلْبًا وَيَدًا وَرِجْلًا»

من الله ساخطا عن درجة محبته ، وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى : إن برخان نعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال يا رب وما عيبه ؟ قال يعجبه نسيم الأسفار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى غيري ﴿ والوحشة من الخلق ﴾ لأن محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان ﴿ واتحاد الهم ﴾ هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقال بعض العارفين : إن الله تعالى عبداً أحبوه فاطمأنوا إليه فذهب عنهم الأسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو وأصل الهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق المحب إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوبه يشتغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول : يا رب باي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسى وبمتابعة الشيطان ؟ ﴿ وطريقها ﴾ أى طريق تحصيل المحبة ﴿ السلوك ﴾ أى سير مسالك أهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل : إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على أن كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه إلا من هو أقرب منه إليه ، وعن هذا قال تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ثم أقرب الطرق إلى الله تعالى هو المحبة وهى حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة ، وتماه باجتنب السيئات ، من المحرمات والمكروهات ، واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات ﴿ فورد لا يزال العبد يتقرب إلى ﴾ أى بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب ﴿ بالنوافل ﴾ من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنته العلماء ﴿ حتى أحبه ﴾ حبا يليق بأرباب المناقب ﴿ فإذا أحبته ﴾ حبا يليقا ﴿ كنت له سمعا ﴾ يسمع بي ﴿ وبصرا ﴾ يبصر بي ﴿ وقلبا ﴾ يعقل بي ﴿ ويديا ﴾ يبطش بي ﴿ ورجلا ﴾ يتقوى بي رواه البخارى وغيره بالفاظ مختلفة ، فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه وهم مالم يراهم المحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه لم

يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع من القضاء ، وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما في خيرته ويتذكر قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ولعله عليه السلام قال في هذا المقام : «انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين مرة» كما في الصحيحين وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني كما قيل : حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لأهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق ، كما يروى عنه عليه السلام مما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال : «في بعض الكتب المنزلة ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن اسلبه لذة مناجاتي» فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المسكر الخفى الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا القوي من ذوى الاقدام الراسخة ، وقد سمع ابراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكانت على جبل لبنان :

كل شئ لك مغفور ، رسوى الاعراض عنا ، قد وهبنا لك ما فاءت به بقى ما فات منا
فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرات عليه أحوال وغلبة ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحمت وقد قد منا ان درجات الحب
لانهاية لها في مقام القرب ، فحق العبد أن يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا حتى يزداد فيه
قربا ، ولذا قال عليه السلام : «من استوى يوما فهو مغبون» ومن كان يومه شرا من أمسه
فهو ملعون كذا في الاحياء وقال مخرجه : لا أعلم هذا الا في مقام لعبد العزيز بن أبي رداد
قال : رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت : يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة
في آخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة
فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

وقال بعض العارفين : من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال
ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عبده من طريق
المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالحب لا يخلو عن خوف ، والخائف
لا يخلو عن محبة ، والكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السيرة من الطائرين
المجذوبين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الأحرار منهم والعبيد
لقد عزت معانيه فغابت عن الأبصار إلا للشهيد
غريب الوصف ذو علم غريب كأن نواده زبر الحديد
ترى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عيد
وللأجباب أفراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد
وكان الجنيد ينشد أياتنا يشير بها إلى أسرار العارفين وإن ذلك لا يجوز إظهاره
للغافلين وهي هذه :

سرت بناس في الغيوب قلوبهم بما قد حباها الماجد المتفضل
عراضا بقرب الله في ظل عرشه تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والبر ومصدرهم عنها لما هو أكل
تروح بعز مفرد من صفاته وما كتبه أولى لديه وأعدل
سأ كتم من على به ما يصونه وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
فأعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما أرى المنع أعدل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والصور أعدل

فأمثال هذه المعارف التي أشير إليها لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا ينبغي أن يظهرها
من أن يكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت
الدنيا ولم تبقى على نظامها ، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتماها ولذا قيل :
الغفلة عن الله رحمة ولو لا الحمقى لخربت الدنيا بل لو أكل الناس الحلال أربعين يوما
لمعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها ، وبطلت الأسواق والمعاش منها .
ولو أكل العلماء من مال الحلال لاشتغلوا بأنفسهم لتحصيل الكمال ولو قفت الألسنة
والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الأنام ، ولكن الله فيما هو شر ظاهر حكم
وأسرار على ما لا يخفى كما أزيله في الخير أسراراً وحكما لا تحصى لانهائية حكمته ولا غاية
لقدرته هذا ، وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لأنه
مقهور إذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه ، وقد يفيض القلب به فلا
يندفع فيضانه ولا ينطفى لمعانه ، فيقول القادر على كتمانته :

فقالوا قريب قلب ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
فألى منه غير ذكر بخاطر بهيج نار الحب والشوق في صدرى

والعاجز عنه يقول :

تخفى فيبدي الدمع أسرازه ويظهر الوجد عليه النفس
ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكم
وكان صاحب البردة أخذ من هذه الزبدة في قوله :

أحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم
وقال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به إلى مقام قربه
وقد دخل ذو النون المصري على بعض أخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال : لا يحبه من وجد ألم ضرب به ، فقال الرجل : لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه ،
فقال ذو النون : ولكني أقول لا يحبه من شمر نفسه بحبه ؛ فقال الرجل : استغفر الله
واتوب إليه أي من دعوى حبه . وقد قال أبو تراب النخشي في علامة الحب آياتها

لا تتخذ عن الله محب دلائل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمسر بلائه	وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة	والفقر أكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه	طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما	والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل أن يرى متفهما	لكلام من يخطى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا	متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذا المعنى من المبني :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا	في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه	خوف الظلام فحاله من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا	نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما ترى	من دار ذل والنعم الزائل
ومن الدلائل أن تراه باكيا	أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما	كل الامور إلى الملك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا	بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الوري	والقلب محزون كقلب الثاقل

وَهُوَ بِلُزُومِ الْوُضُوءِ نَهْوٌ يَنُورُ الْقَلْبَ ، وَالْخُلُوةُ فَهِيَ تَفْرُغُ عَنِ الشَّوَاغِلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ ، أَوْ يَلْفَ رَأْسَهُ وَيَغْمِضَ عَيْنَيْهِ لَتَرْكُدَ الْحَوَاسُ ، وَالسُّكُوتُ فَهُوَ يَلْقَحُ الْعَقْلَ وَيَقْوِي الْقُوَى ، وَالْجُوعُ وَالسَّهَرُ فَهُمَا يَنُورَانِ الْقَلْبَ

(وهو) أى السلوك أو طريقه بلزوم عشرة أسباب تكون رفيقه (بلزوم الوضوء) أى الطهارة الظاهرة (فهو) أى الوضوء وما فى معناه (ينور القلب) بسبب تأثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن (والخلوة) أى ويلزومها عن الجلوة (فهى) أى الخلوة (تفرغ عن الشواغل) المانعة من تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة . ثم القوم مختلفون فى طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى مجرى الخلق كما يشير إليه قوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال فى حقهم انهم غريبون قريبون ، وكاثنون باثنون ، وعرشيون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المعتارفة بينهم تهوينا للمبتدى وأسهيلا للمنتهى وكان المصنف منهم ولذا قال (والاولى أن يكون) السالك الذاكر (فى بيت مظلم) ضيق ليس فيه متاع إلا ما لا يدمنه (أو يلف رأسه) اذا كان فى مسجد ونحوه (ويغضى عينيه) حال ذكره وفكره لآحين صلاته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته ، وانما يختار البيت المظلم للف الرأس وتغميض العين (لترك الحواس) أى لتسكن وتستقر ، وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل لإيراده بصيغة الجمع لتوارد النظر (والسكوت) أى ويلزومه من غير ذكر به فقد ورد من صمت نجاه « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فأيقل خيرا أو ليصمت » « ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (فهو) أى السكوت المشتغل على الفكر (يلقح العقل) أى ينتج كماله (ويقوى القوى) من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان (والجوع) أى ويلزومه للصيام وللصبر على فقد راحة الا فهو ليس مطلوباً بنفسه ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام « وأعوذ بك من الجوع فانه يئس الضجيع » فانه إذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه (والسهر) فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة ، وإلا فهو أيضا ليس بمطلوب فى حد ذاته (فهما) أى الجوع والسهر (ينوران القلب) اذا كان مشغلا

بَتَقْلِيلِ دَمِهِ وَذَوْبَانِ شَحْمِهِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ فَلَا فَرَاطُ شَاغِلٌ كَالْتَفْرِيطِ وَتَقَى
الْخَوَاطِرَ فَالْتَمِيزُ شَاغِلٌ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ وَنَصَبٌ مُتَفَقِّدٌ يَبْلُغُ
الْقُوَّةَ الْحَلَالَ فَهُوَ الْأَصْلُ

بذكر الرب ﴿ بتقليل دمه وذوبان شحمه ﴾ فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله
ووصوله فيختارهما ﴿ على الاعتدال ﴾ فيهما ﴿ فالافراط ﴾ والمبالغة، منهما ﴿ شاغل ﴾
عن العبادة ﴿ كالتفريط ﴾ والتقصير عن قدر الحاجة لأرباب الارادة وأصحاب السعادة
﴿ وتقى الخواطر ﴾ أى ويلزوم نفيها ودفعها إذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض:
ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردى

أى بارتدادى عن مقام كمالى وحال ودادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر
والافلا عبرة لها وأشار اليها بقوله ﴿ فالتمييز ﴾ بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى
والنفسى ﴿ شاغل ﴾ للسالك عما هو بصدد من حصول ذكر ربه ووصول سيره فى مقام
حبه ﴿ والتسليم ﴾ أى ويلزوم التسليم والتفويض ﴿ له تعالى فى كل حال ﴾ من جميع
أموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع أحواله الى مادبره الحق له فى
ازله ﴿ ونصب متفقد ﴾ أى ويلزوم تعيين خادم متفقد للوازمه ﴿ يبلغ القوت الحلال ﴾
أى يوصل اليه ما كوله ومشروبه من مال الحلال ولا يشبهه أقرب اليه من الحرام
فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الاصراف من الطيبات ﴿ فهو ﴾ أى الحلال
﴿ الاصل ﴾ فى محافظة الأعمال والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا) وقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال ،
وقد امر الله المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين
واللاحقين ، ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص ، والحرام يبطل ثواب
عبادة فعلها . وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال ، وكانت له وظيفة
عبادة فى الليل من الاعمال ، فقات منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل . فلا
شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة . ومن اكل الحرام اربس
الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه ، ماورد
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه منه شيء .

وَتَرَكَ غَيْرَ الْفَرَائِضِ وَالرَّوَائِبِ وَالذِّكْرَ الدَّائِمَ مُسْتَقْبِلًا مَعَ الْحُضُورِ بِاللِّسَانِ قِيلَ
هُوَ اللَّهُ وَوَرَدَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رواه الامام احمد عن ابن عمر . بل قوله تعالى: (انما يتقبل الله من المتقين) يعم اكل
الحرام وسائر المحرمات على الانام (وترك غير الفرائض) القطعية والظنية (والروائب)
أى وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس ، وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدى حيث
الافضل فى حقه مجرد الذكر ، وأما نسبته الى المتوسط فالادل فى حقه التلاوة ،
وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف
الحالة كما فى عوارف المعارف (والذكر الدائم) أى ولزوم الذكر على سبيل الدوام
(مستقبلا) لبیت الله الحرام (مع الحضور) أى حضور القلب فى مشاهدة الرب ، واعلم
اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة ، وأما الذكر قائما يكون (باللسان) أى بلسان البيان او
بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكل ، وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى
(واذكر ربك فى نفسك) وهو يحتمل أنه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع
الحق كما لا يخفى ، وكذا ماورد « خير الذكر الخفى » وورد « ان الذكر الذى لا تعلمه
الحفظة افضل مما تعلمه بسبعين ضعفا » فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فى أمرهم
بان يلصقوا لسانهم الى حنكهم ، ويقولون بلسان قلوبهم : لا اله الا الله ويشيرون
فى (لا اله) الى نفى ما سوى الله ، وفى (الا الله) الى اثبات ذاته وصفاته ، ويريدون بالكلمة
معنى لا اله معبودا وموجودا ومشهورا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم . واما
أهل الذكر الجلى باللسان فيشيرون بالنفى الى جانب اليمين ، وفى الاثبات الى جانب
اليسار وهو القلب . وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم فى مقام
الاظهار والاسرار ، والاثبات عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق
مضاخرة ، انما الثابت بالتواتر الصحة ومتابعة الكتاب والسنة . اذا عرفت هذا
(قيل) افضل الذكر (هو الله) لانه المقصود لاسواه ، الا انه لا يحصل التوحيد
فى مقام التفريد اذ اثبات وجوده لاشك لاحد فى شهوده ، ولذا (قالت رسلهم أفى الله
شك) وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خالق السموات والارض ليقولن الله) فلا بد
من كلمة التوحيد لتحقيق صفة التفريد ؛ وقدامر جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم
واشياعهم (وورد) عن نبينا ﷺ افضل الذكر لا اله الا الله (تمامه) وافضل
الدعاء الحمد لله « لما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر

وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فَوَرَدَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآلِ عِمْرَانَ
وَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ

مرفوعا ﴿ وقيل لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ وهو لا ينافي ما تقدم لما فيه من زيادة الحي القيوم ، ولانه آية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة البرهان ، فالحي الازلي الابدی يشير الى ان غيره لا يصلح للالهية ، لانه اما لاحيائه اوحياته حادثة، والقيوم هو الذي يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وأرادته وحكمته في مصنوعاته، وفي هذا تلويح الى بطلان مايقوله الوجودية من المعية في المراتب الشهودية حيث قال ابن العربي : سبحان من اوجد الاشياء وهو عينها ، وقد وقع التناقض في عين كلامه المنافي لمرامه ، فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحداثها كيف يتصور ان يكون عينها ، فما للتراب ورب الارباب ، فهو ابعد من قوله من قال بالاتحاد في مقام الاتحاد والله رؤف بالعباد ﴿ فورد ﴾ في بعض الروايات تقوية لما تقدم ﴿ الاسم الاعظم ﴾ ثابت ﴿ في آية الكرسي ﴾ أي في اولها ﴿ وآل عمران ﴾ أي في صدر سورتها ﴿ وهما يشتركان فيه ﴾ أي في وجود لفظ الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من السور ، فانها خالية عنهما . والحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن ابى شيبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعا بلفظ « اسم الله تعالى الاعظم في هاتين الآيتين : والمسلم اله واعد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران : الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) والظاهر انه في الآيتين كلتيهما معا على سبيل الاجتماع ، ويحتمل الانفراد ، وكذا الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة « اسم الله الاعظم في ثلاث سور : البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم النابغى : فالتستة فوجدته انه لحي القيوم لو جوده فيها . ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم « ان الاسم الاعظم يا حي يا قيوم ، وهو المناسبت لما تقدم والله اعلم . وأما ما اورده المصنف فما رأيت في حديث . ثم في المستدرك للحاكم عن سعد بن ابى وقاص « اسم الله الاعظم الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » وهو دعوة ذى النون يونس عليه السلام ، ويؤيده قوله سبحانه (فاستجبنا له ونجينااه من الغم وكذلك تنجى المؤمنين) وقيل هو هو حيث صدر به وختم به في قوله (هو الله الذى لا اله الا هو) ويقال .

وَالْأَوَّلَى فِيهِ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَيُؤَظِّبُهُ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ وَيَجْرَى دُونَ
اِخْتِيَارٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ تَنْمَحِقُ الْحُرُوفُ وَيَبْقَى الْمَعْنَى ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْعَدَدُ
وَتَصِيرُ حَالَةً مُسْتَدِيمَةً وَحِينَئِذٍ تَحْدُثُ الْمَحَبَّةُ فَلَا يَنْسَى الْمَذْكُورُ،

اعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضرع
ومن هنا قبل أن في ظلمة الجلالة انواعا من الجمالة اذ لو حذف الفه بقى لله والله
يسجد من في السموات ومن في الارض، واذا حذف لامه الاولى بقى له وله ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والآخرة وله الكبرياء في السموات
والارض، واذا حذف لامه الثانية بقى هو لا اله الا هو قل هو الله احد الى آخره
وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس لمثله شيء وهو
السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو، وقد جاء في الاسم الاعظم روايات
اخر كما بينته في شرح الحصن الحصين والجمهور على أن الاسم الاعظم هو الله وقد قال
القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني: أن الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط أن
تقول الله وليس في قلبك سوى الله، ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن
المكري قدس الله سره السرى في اول حزه استغفر الله عما سوى الله وتعقبه بعض
علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ما سواه وقد شرحته في جوابه وبينت القول
بصوابه (والاولى فيه) أي في المختار من الاذكار (الاستفتاء من القلب)
فيختار ما يلهمه الرب (ويؤاظبه) ليلا ونهارا وسرا وجهارا (حتى تسقط حركة
اللسان) أي تلفتها (ويجري) الذكر على اللسان (دون اختيار) أي من غير
تكلف تذكار واحضار (ثم يرجع) الذكر (الى القلب) أي ينتهي اليه
ويستولى عليه (ثم تمنح) وتنمحي (الحروف) من المبنى (ويبقى المعنى
ثم يرتفع العدد) من المائة والالف ونحوها بما لا بدله من احضار المبنى (وتصير)
مداومة تصور الذكر (حالة مستديمة) دالة على رتبة مستقيمة (وحينئذ تحدث
المحبة) وتظهر المودة (فلا ينسى المذكور) في حال من احوال الذاكر كالاكل
والشرب والحفاطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والمنام فقد قال المحبة دوام
الذكر ويؤيده حديث من أحب شيئا أكثر ذكره، وقال سفيان المحبة اتباع صاحب
النبوة ويؤيده آية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني والله در القائل

ثُمَّ يَغِيبُ عَنْ مُشَاهَدَةِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَتَّى عَنْ النَّفْسِ وَعَنْ مُحَاضَرَاتِهَا
فِي الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْقُرْبُ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنِ الذِّكْرِ أَيْضًا فِي شُهُودِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْفَنَاءُ
ثُمَّ يَحْدُثُ الْإِتِّصَالُ وَيُشَاهَدُ مَا يُشَاهَدُ لظُهُورِ النُّورِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الشَّوَاغِلِ

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذا ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم احيا ولو لا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمني واموت شوقا فكم احيا عليك ولم اموت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نقد الشراب ولا رويت

وقال ابن الجلاء: اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبدى فلم اجد
فيه الدنيا والآخرة ملائته من حبي وتوليته بحفظي ﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن ﴾
مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا ﴿ في مكنوناتهما من ارضها وسمواتها ﴾ حتى عن
النفس ﴿ وجودها واجزائها ﴾ وصفاتها ﴿ أى وعن شهود صفاتها الذميمة والمحمودة
وسائر حالاتها ﴾ ﴿ و ﴾ يغيب ﴿ عن محاضراتها في المذكور وهو القرب ﴾ أى المأثور
عن الجمهور، فعن الخواص المحبة محور الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات
﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن الذكر ﴾ أى عن وجوده وشهوده ﴿ أيضا ﴾
كما غاب عما عداه من المسطور ﴿ في شهود المذكور ﴾ أى حضوره بطريق الفرح والسرور
﴿ وهو الفناء ﴾ فى بحر النور ﴿ ثم يحدث الاتصال ﴾ وهو كمال البقاء فى القرب
الناشئ من جمال الحب ﴿ ويشاهد ﴾ الذاكر ﴿ ما يشاهد ﴾ من عالم الوصال ﴿ لظهور
النور ﴾ من اشعة الجمال ولمعة الجلال فى مقام الكمال ﴿ والغفلة ﴾ أى والغفلة
والذهول ﴿ عن الشواغل ﴾ والموانع من حصول الوصول الى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما: من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن
شغل الدنيا عنه قطعنا، وكأنه ما خوذ من قوله تعالى هـ وهو معكم اين ما كنتم هـ وقوله
شغلنا اموالنا واهلونا هـ وقال السرى: من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكأنه مقتبس من قوله تعالى،
(فانحيتنه حياة طيبة) هـ وقال هرم بن حبان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه
اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة

وَيَصِيرُ مِنْ مُلُوكِ الدِّينِ • وَقَدْ انْتَهَى الْكِتَابُ مُتَحَلِّي الْمَقْطَعِ بِالْدُّعَاءِ

بعين الرغبة وبقي بحسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الاعلى وما قال الشبلى اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين (ويصير) الذاكر حينئذ (من ملوك الدين) ومن الائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق علم اليقين فكمل ايمانه واسلامه واحسانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد ونهر التفريد وخاص في عين العلم وغاب عن عين غيره في زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكانه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وانه بسبب لذته في خدمة محبوه غير متعوب، ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الاتفسر ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو اسألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم؟ قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باى شيء بلغت هذه المنزلة؟ فقال كنت اقام الله حالى يعنى اسأله ان يكتم على ويخفى امرى، وروى انه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسترها عليك فقبل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها، وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى انبيائه انما اتخذ لخاصة من لا يفتقر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شيئا من خلقى وأن أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وأن قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد الما من لم يبلغ الى دارة غلبة الحب الى هذا الحد فن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان والله المستعان، وما يؤيد هذا الشأن من البرهان ما روى أنه عليه السلام قال لاني بكر الصديق أن الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من أمي واعطاني مثل ايمان كل من آمن بي من ولد آدم رواه الديلمي عن علي (وقد انتهى الكتاب) الذي هو لب الباب لكل فصل و باب عند ارباب الالباب (متحلي المقطع) المشير الى أن • ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (بالدعاء

الْمَأْثُورِ اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ
وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا

المأثور (عن سيد الأبرار وسند الأخيار (اللهم انا نسألك الهدى) بالآيمان
(والتقى) عن العصيان (والعفاف) بالصدق للانسان (والغنى) عن
الحق في جميع الأخيان، والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود
بلفظ اللهم اني اسألك الحديث، فلعل ما ذكره رواية في المبنى أو نقل بالمعنى، واختار
صيغة الجمع لندخل معه ويدخل معنا كما في قوله (ونعوذ بك من علم لا ينفع) وهو
يحتمل احتمالين، أحدهما انه في نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ماورد ان
من العلم جهلا، وثانيهما انه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا
عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة :

يامن تباعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الذاهرة

من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينتفع بعلومه في الآخرة

(وقاب لا يخشم) بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة واسباب
المعرفة كما قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم بأن
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وقال عز وجل ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة (ونفس لا تشبع) من الدنيا فتكون حريصة عليها
ومقبلة بكليتها اليها أو كناية عن كثرة أكلها وعدم قناعتها بقدر كفايتها (ودعاء لا يسمع)
أي لا يقبل في حال دعوتها والحديث رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن
ابن عباس وزاد اللهم اني أعوذ بك من هؤلاء الأربع ورواه الحارث وابن أبي شيبة عن ابن
مسعود بلفظ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا
تشبع، وفي رواية لابن حبان وغيره عن أنس اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع
وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي رواية لابي داود عن أبي هريرة اللهم اني أعوذ بك من
الأربع من علم لا ينفع ومن قاب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففي هذه
الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجعة الصادر عن استقامة الطبع كما حكى أنه قيل
لصاحب المنازل اترك السجعة فقال رجعت عما سجدت (وآخر دعوانا) بتوفيق مولانا

أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ
خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَتْقِيَاءِ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(ان الحمد لله رب العالمين) فيما اولانا في اولانا واخرانا وفيه ايماء الى قوله سبحانه اخبارا عن
أهل الجنة ان يقولوا فيها هذا الكلام وهو (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بإيمانهم تهرى من تحتهم الانوار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحتهم فيها سلام
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وفيه تنبيه نبيه على أن آخر مقامات أهل
الجنة في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بمزيد النعمة وإزالة المحبة لما يرمى
اليه قوله سبحانه (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحانا
دارالمقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب - أي تعب - ولا يمسنا فيها الغوب - أي كلال وكسل ،
وفسر الحزن بأنواعه بحسب ما كان كل أحد مبتلى بفرد من أصنافه فقبل حزن الفقراء
كراء البيت أو التحويل منه أو حزن الفراق وحجابه وهو لأهل الاشتياق الى مشاهدة الله ورفع
تقابه وهو أعلى مراتب أرباب الكمال وأعلى مناصب أصحاب الجلال المتزايد المترقى
ساعة فساعة الى أزل الآزال والله سبحانه أعلم بحقائق الاحوال) (وسلام على عباده
الصالحين) من الانبياء والمرسلين السابقين) (والصلاة على محمد رسول الله) سيد
الاولين والآخرين) (خاتم النبيين وعلى أتقياء أُمَّتِهِ) من أهل بيته وصحابته
وأتباعهم وأشياعهم أجمعين) (الى يوم الدين) آمين يا رب العالمين، وكان الفراغ
منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلفه آخر يوم الخميس المشرف على ليلة
الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب احد الاشهر الحرم
من شهور عام أربعة عشر بعد الألف من هجرة خير البشر وشافع المحشر من
مكة الامنية الى المدينة الامينة النازل فيها للؤمنين أنواع السكينة - حامدا ومصليا

ومسلما ومفوضا ومتوكلا وموثونا ومسلما - والصلاة والسلام

على سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين - وعلى اله وأصحابه

وأتباعه الى يوم الدين آمين آمين بحرمة سيد المرسلين

فی

عین العلم و زین الحلم

تأليف العلامة والشيخ الفاضل الشيخ نور الدين
سيد علي بن سلطان محمد الهروي المدوني القاري
مطبعة المطبعة الكبرية في مدينة ١٤٠١ هـ

مكتبة الثقافة الدينية